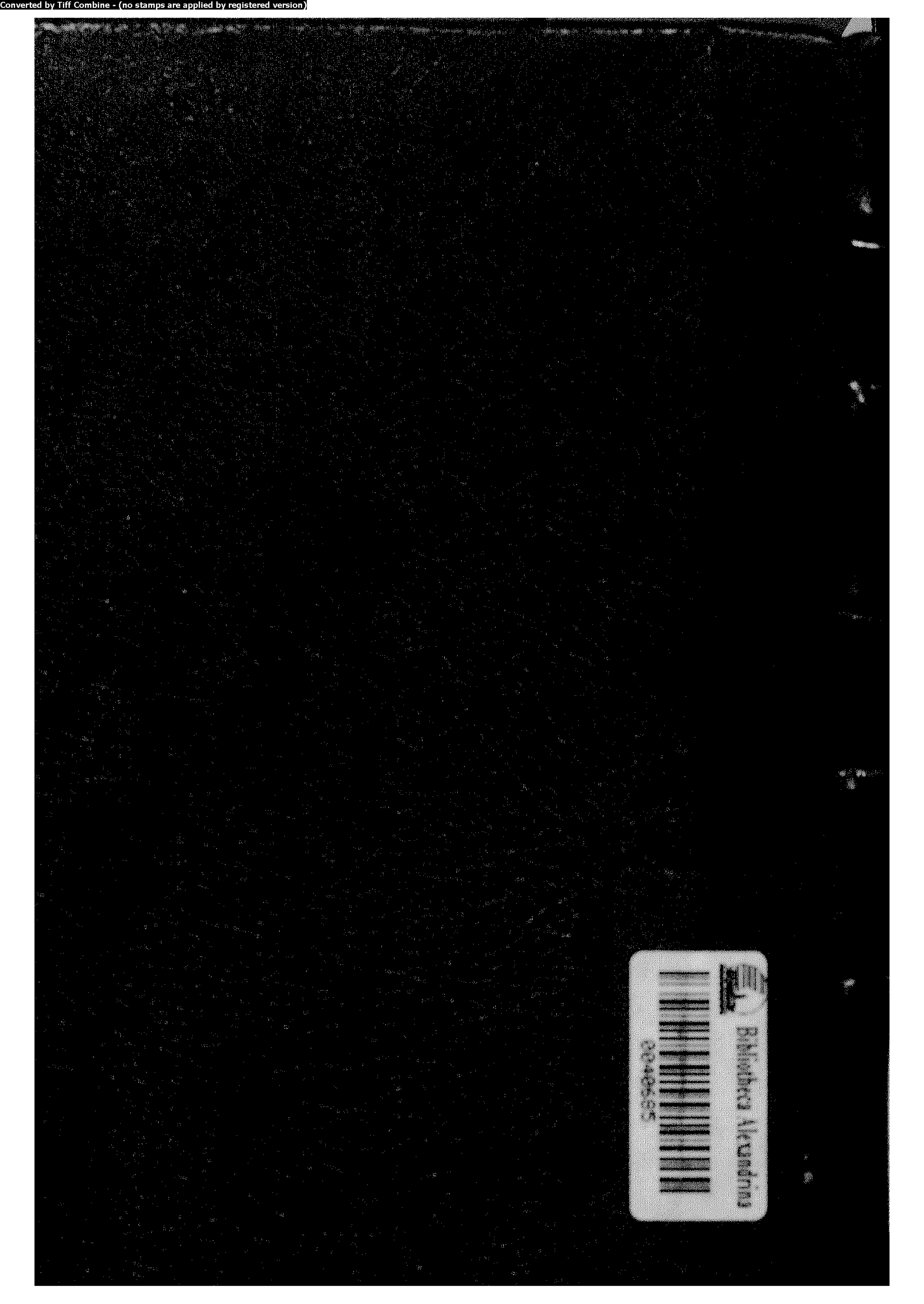
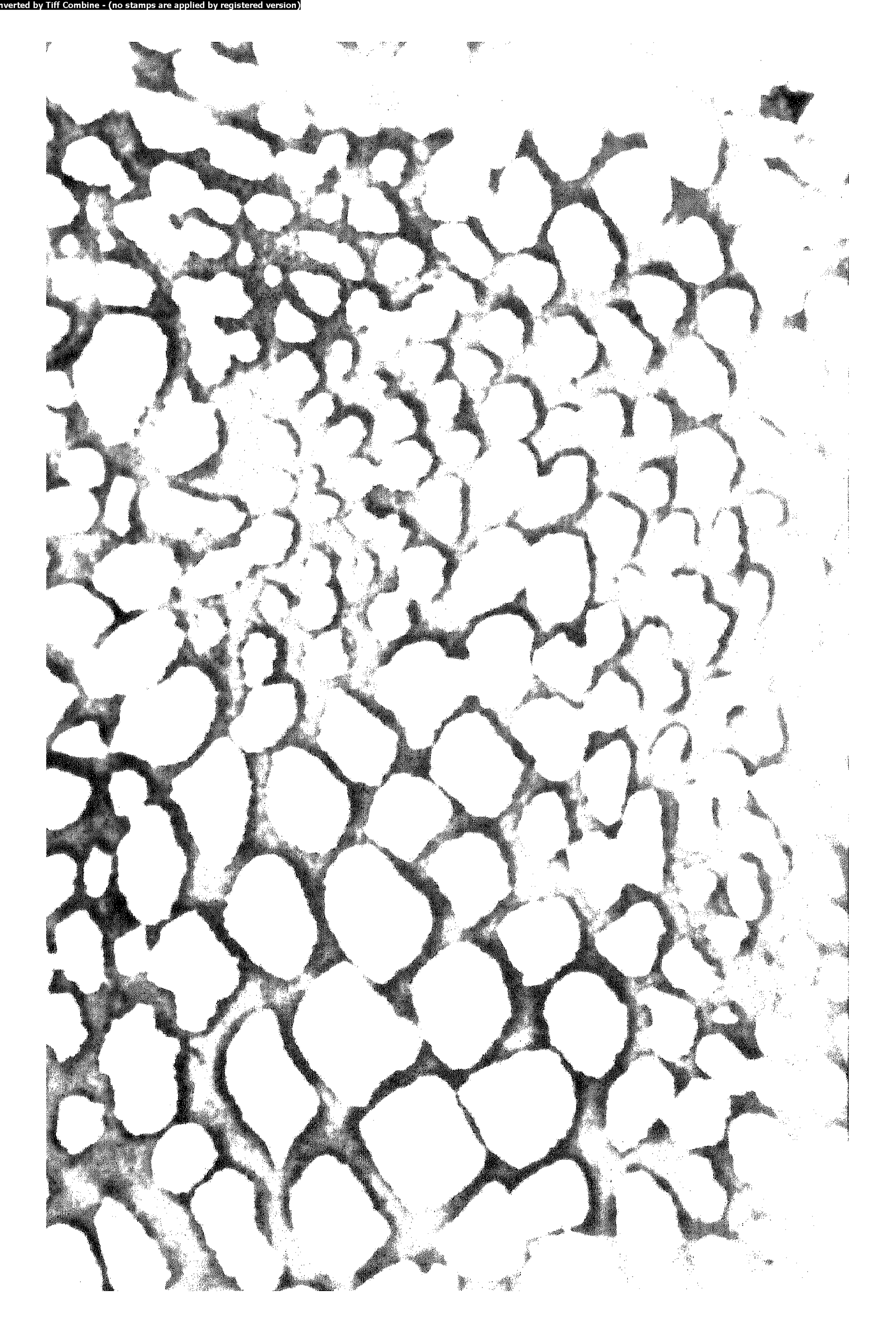
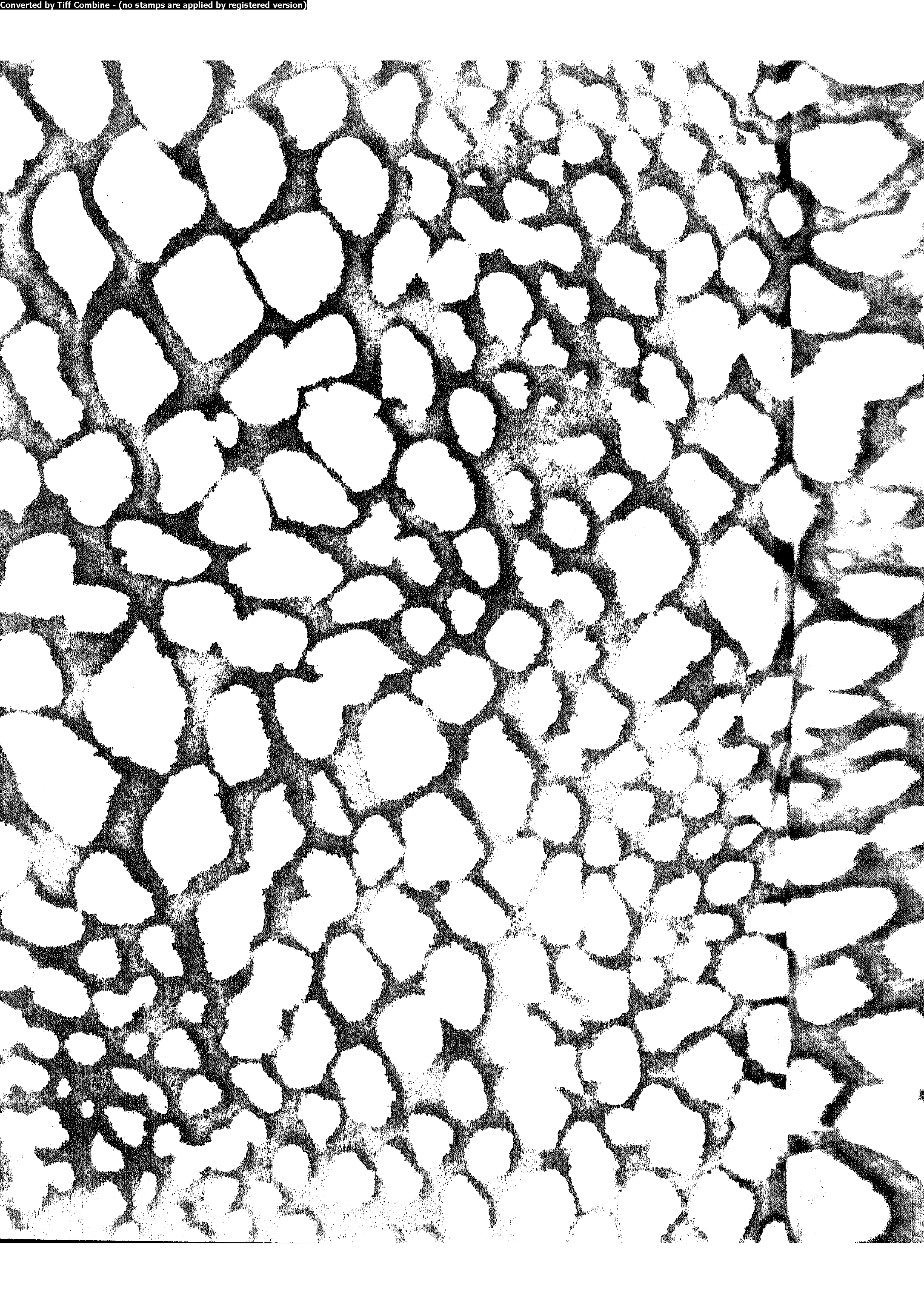

Bibliotheca Alexandrina







مطبوعات المجمع العلمي العراقي

الفرات الأوسط

رحلة وصفية ودراسات تاريخية

تأليف

الوا موسيل

ترجمة

الدكتور صدقي حمدي | الاستاذ عبد المطلب عبد الرحمن داود

مراجعة

الدكتور صالح احمد العلي
رئيس المجمع العلمي العراقي

الدكتور علي محمد المياح
عضو المجمع العلمي العراقي





تقديم

انه كتاب «الفرات الاوسط» هو أحد الكتب التي اختارها المجمع العلمي العراقي لتنقل الى العربية تحقيقا لأهدافه .

وقد الفه الوا موزيل، وهو بحاثة جيكوسلوفاكي ولد في سنة ١٨٦٨ وأجاد ومارس الحياة الاكاديمية دراسة وتدريسا وأجاد لغات اهل البلاد العربية القديمة ، واتقن اللغة العربية قراءة وحديثا ، واستوعب ماكتب فيها وخاصة عن تاريخ وأحوال المناطق الواقعة في شمالي نجد ، والاردن وبادية الشام والفرات الاوسط ، ولم يقصر حياته على قاعات الدرس ومكتباتها المحصورة، وانما عمل على مزج العلم بالعمل ، وعلى فحص شخصي دقيق للمناطق التي عني بدراستها ، محاولا بذلك تحديد مرقع المعالم التي ورد ذكرها في المصادر وتحديد اهميتها التاريخية ، واقتضاه تحقيق ذلك القيام بعدد من الرحلات امتدت قرابة عشرين سنة ، بدأها في سنة ١٨٩٦ برحلة علمية الى جنوبي الاردن ، في المنطقة التي كانت تسمى عند الاقدمين «العربية الصخرية» التي ينحت اهلها من الجبال بيوتا وامتدت رحلته في دراستها الى سنة ١٩٠٢ ، ثم اعقبها في سنتي ١٩٠٨ و ١٩٠٩ برحلة الى بادية الشام وتدمر ، واتبعها برحلة ثالثة ارتاد فيها الاطراف الشمالية من الحجاز ، ثم عاد في سنة ١٩١٢ الى ارتياد المنطقة الممتدة في شرقي تدمر وأواسط الفرات ، وفي سنة ١٩١٤ — ١٩١٥ قام برحلته الاخيرة التي ارتاد فيها بادية السماوة والاطراف الشمالية من نجد . وقد أتاحت له رحلاته دراسات ميدانية عززت مكانتها اجادته اللغة العربية ، وافاقه الفكرية الواسعة التي امتدت الى الاهتمام بالمعالم الطوبوغرافية والآثارية ، وبما في البيئة من ظواهر نباتية وبشرية ، ويسرت له استقامته وامانته واخلاصه في تحري المعرفة من اجل العلم الاتصال بأهل المناطق التي زارها وكسب ثقتهم والافادة من معلوماتهم في ضبط تسمية المواضع ووصف الاحوال ، فأضافت الى ما تميز به من دقة الملاحظة ، وسعة الافق ، وغني المعلومات ، وعمق التفكير ، وشمول المعرفة ، والاتزان في

في الحكم ، وسجل ثمار معرفته في كتب أفرد لكل منطقة منها مجلدا خاصا ، شملت « شمالي نجد » و « شمالي الحجاز » و « العربية الصخرية » (بلاد الانباط) و « الصحراء العربية » (بادية الشام) و « الفرات الاوسط » ، وخص بمجلد ضخم خاص « الرولة » وهي عشيرة من عنزة تقيم في اطراف الاردن ، فوصف احوالهم وعاداتهم وتقاليدهم .

وقد قامت الجمعية الجغرافية الامريكية بطبع معظم كتبه بالانكليزية في نيويورك بين سنتي ١٩٢٦ و ١٩٢٨ وظلت منذ صدورها مرجعا معتمدا واساسا لكل دراسة متصلة بالمنطقة ، ولم يظهر اي كتاب عن المنطقة يدانيها او يحل محلها ، ولم ينقل منها الى العربية الا بعض كتاب «شمال الحجاز» .

وكل هذه الكتب تجري على نسق واحد ، يخصص القسم الاول منها لوصف المنطقة التي يبحثها وصفاً دقيقاً مستوعباً ، ويورد في القسم الثاني المعلومات التاريخية لبعض المواضع الواقعة في المنطقة التي يدرسها ، فيورد كافة ما يتيسر عن المواضع من المعلومات المذكورة في النقوش البابلية والاشورية والكلدانية ، وما في كتب الاغريق والرومان ، والآراميين والسريان ، ثم ما في الكتب الجغرافية والتاريخية العربية المؤلفة في عهود الازدهار الاسلامي ، ثم يعقب ذلك بما ذكره الرحالون المحدثون . وقد استوعب المعلومات في الكتب التي توفرت له ، فكون منها صورة صادقة قد تغنيها ، ولكن لاتبدلها ، المصادر التي طبعت حديثاً بعد ظهور دراساته .

وافرد في كل كتاب بحث حدث مهم في التاريخ العربي متصل بتلك المنطقة ، فاستوعب المعلومات التاريخية عن ذلك الحدث وفصل في دراسة اسسه الجغرافية واثرها في سير الاحداث ، وناقش الدراسات التي كانت معتمدة في حينها ، وخاصة دراسات الامير ليوكايتاني ، واستنبط من كل ذلك نتائج تثبت او تعدل او تصحح الروايات العربية المتباينة عن ذلك الحدث .

وصف موسيل الاحوال الجغرافية والعمرانية التي كانت قائمة عند زيارته لها ، وضبط أسماء المواضع التي ذكرها بالتلفظ الذي سمعه من اهلها ، ولذلك فان كثيراً من هذه الاسماء تختلف عن اللفظ المتداول في الكتب العربية ، وابرز ذلك في استعمالة « گ » مكان « ق » و « چ » « مكان » « ك » وقد رأينا ان نثبت اللفظ الفصيح الشائع مكان اللفظ المحلي الذي ثبته •

ثم انه في ترجمتة النصوص العربية القديمة استعمل تعابير لها حالياً مفهوم محدد جغرافياً يختلف عن المفهوم المذكور في الكتب العربية القديمة • ومن امثلة ذلك استعماله تعبير « القنوات » لما كان يسمية العرب « انهاراً » ، واستعمالة « المستوطنات » (Settlement) مقابل ما نسمية اليوم « المدن » و « القرى » ، وقد آثرنا استعمال التعابير الواردة في الكتب العربية التي قد يختلف مفهومها عما هو سائد حالياً •

ان المعلومات الواردة في الكتاب تصف ما كان قائماً في السنة التي حدثت فيها الرحلة ، ومن المعلوم ان تسميات وأحوال كثير من هذه المواضع تبدلت بالتبدل الواسع الذي حدث في الاحوال العامة للبلاد ، وقد آثرنا إبقاء وصفه وتسمياته لانها تعبر عن الاوضاع في حينها ، ونحن واثقون ان القارىء يدرك ذلك ، علماً بانه لاتزال تعوزنا الدراسات والخرائط المفصلة عن الاوضاع الحاليـــة •

ان المجمع العلمي العراقي باختياره كتاب « الفرات الاوسط » اذ ينقل الى العربية ، يدرك اهمية معلوماته وسعتها والتوازن في عرضها ، فأنه يبحث منطقة واسعة من ارض العراق ، وهو جدير بان يطلع عليه ابناء الامة لانـه يدون ذخيرة من المعلومات تفيد الباحثين في الاحوال المعاصرة ، وتلقي ضوءاً على المواضع المذكورة في ثنايا حوادث الماضي ، وهي تقدم انموذجاً للبحث المتزن الدقيق يمكن ان يكون قاعدة صلدة للابحاث التالية ، ومثالاً يحتذى لدراسة المناطق الاخرى في العراق والوطن العربي •

وقد شارك في ترجمتة كل من الدكتور صدقي حمدي الذي نيطت بـه ترجمة القسـم الاول من الكتاب ، الاستاذ عبد المطلب عبد الرحمن الذي ترجم القسم الثاني من الكتاب • ومن اجل توخى الدقة والضبط فقد دقـق الدكتور على محمد المياح ترجمة القسم الاول ، ودقق الدكتور صالح احمد العلي ترجمة القسم الثاني ، ولاريب في ان الفضل الاول يرجع للمترجمين اللذين بذلا جهداً يستحق التقدير في التنسيق بين دقـة الترجمة ووضوح العرض ، ونرجو الله ان يوفقنا لمتابعة العمل في نشر « الامهات » من الكتب التي توضح معالم بلادنا وتاريخها ، واللـه من وراء القصد •

❋ ❋ ❋

مقدمة المؤلف

انّ الكشوف التي قمت بها في وديان بادية الشام في عامي ١٩٠٨ و ١٩١٢ اوصلتني الى الضفّة اليمنى من الفرات الاوسط ، التي اتّبعتها اثناء رحلتي عام ١٩١٢ (١) ومما حفزني على مواصلة عملي ما كتبه الباحثون القدامى والعرب عن النهرين الغامضين : سوكوراس والثرثار ، فتوغلت في داخل بلاد ما بين النهرين الجنوبية في عامَيْ ١٩١٢ و ١٩١٥ . وفي السنة الأخيرة ، وعند عودتي من رحلة موسّعة في اواسط جزيرة العرب (وسنأتي على وصفها في كتابي « شمالي نجد » وهو الحلقة القادمة من هذه السلسلة) لم اقتصر في بحثي على شبكة الجداول المتاخمة لمصبّ الفرات الاول فحسب ، بل انني تتبعت في طريق عودتي الى سوريا ضفة الفرات اليسرى شمالاً من الوشاش الى الدير متّبعاً طريقاً دفعتني اليه دراسة الروايات التاريخية القديمة التي تثبت ان الضفة اليسرى كانت في العصور القديمة أكثر أهمية حتى من الضفة اليمنى كطريق تجاري وعسكري . ان هذه الكشوف على طول ضفتي النهر العظيم والمناطق المجاورة له تكون حقاً موضوع الدراسة الحالية .

وسيجد القارئ مناقشة للطريقة التي بها رسمت خريطتي لشمال بادية الشام ، والتي تصور جزءاً من متن هـذا المجلد ، في مقدمة كتابي « بادية الشـام » (نيويورك ١٩٢٧) ص ١٣ — ١٦ . اما المعلومات لخريطتي عن « بلاد ما بين النهرين الجنوبية » الملحقة بهذا المجلد فقد جُمعت بالطريقة نفسها الى حدّ

---

(١) راجع كتابي بادية الشام وهو الجزء الثاني من هذه السلسلة ، نيويورك ١٩٢٧ ص ص ٤٤ — ٧٣ ، ١٢١ — ٢٧٣ ، ٣٥٧ — ٣٧٣ .

كبير . . وقد طُبعت خريطة شمال بادية الشام في معهد الخرائط في فينا (وهو المعهد الجغرافي العسكري سابقاً) ، اما خريطة جنوبيّ ما بين النهرين فقد تولى طبعها المعهد الجغرافي العسكري في براغ .

كان الدافع الاول لابحاثي دافعاً تاريخياً ولا صلة له بعلم الخرائط ، ولهذا حاولت جمع ما امكن جمعه من الاسماء الطوبوغرافية لتكون اساساً لأبحاثي التاريخية ، وتحقيقاً لذلك وجهت عناية خاصّة الى التهجئة . وعند نقل الحروف العربية [الى اللاتينية] استعملت نفس العلامات المستخدمة في كتابيّ « شماليّ الحجاز » و « بادية الشام » حيث حاولت التعبير عن كل صوت بحرف او رمز واحد . وسيجد المتخصصون معنى كلٍّ من الرموز المختلفة تحت البيانات الموجودة في خريطة ما بين النهرين الملحقة بهذا الكتاب . وأودّ ان أبيّن للقارئ العادي ان (g) يلفظ كما يلفظ (g) في (gem) الانكليزية [=ج في كلمة جمل بالنطق العراقي] ، s مثل ش ، و z مثل z في azure [= ژ] ، c مثل ch في chief [= ج] و j مثل y في yoke [= ى في يوم] واخيراً f يدل على صوت حلقي مشدّد [= ع بالعربية] .

اما العلامات الباقية فلا ينبغي له ان يزعج نفسه بها .

وحرصت في تضاعيف هذا الكتاب على نقل معظم الاسماء الواردة في الكتابات الآشورية والكتاب المقدس وفقاً للنظام المستعمل في نقل الاسماء العربية ولهذا اختلفت الاشكال الواردة في الكتاب المقدس ، الى حدّ ما ، عما نعهده في ترجمة الملك جيمس ، ولكن ما جاء في هذه الترجمة يمكن بسهولة التثبت منه بالرجوع الى الكتاب المقدس نفسه . اما الاسماء الأغريقية فانها تذكر وفقاً لشكلها اللاتيني بوجه عام وليست منقولة عن الأغريقية (٢) .

---

(٢) هناك حالات مستثناة من هذه القواعد العامة فيما يتعلق باسماء الاعلام التي اتخذت في الانكليزية اشكالا متداولة ، وقد احتفظنا بها خشية الاتهام بالتحذلق .

ان الاشارات الى الكتاب المقدس يقصد بها طبعة رودلف كتل الثانية للنص العبري . ليبزغ عام ١٩١٣ . . وسيلاحظ القارئ ان هذه الاشارات تخالف احياناً ما ورد في نص ترجمة الملك جيمس . وهذه الخلافات ترجع الى ان تفسيري لمعنى الأصل العبري ينحرف عن التفسير الذي اعتمده مترجمو نسخة الملك جيمس .

اما الاشارات الى المراجع في الحواشي فقد وُضعت بشكل موجز . ويمكن الوقوف على الاشارات الكاملة ، مع ما يتبعها من تواريخ المؤلفين العرب والقدماء ، في قائمة المراجع . .

ان معظم المصطلحات العربية المستخدمة في المتن يتضح معناها من سياق الكلام . على ان هناك لفظين ورد ذكرهما كثيراً من غير ايضاح : شعيب (وجمعه شعيبان) : مجرى مائي صغير نسبياً او واد يشغله نهر صغير متقطع .
الوادي : (وجمعه وُديان) مجرى مائي كبير نسبياً او واد يشغله نهر صغير متقطع .
اما المصطلحات النباتية الواردة في المتن فقد ذكرت في الفهرس مع اوصاف موجزة وما يقابلها باللاتينية ان امكن . .

وقد ضُمّ الى المجلد مخططٌ يبين الطريق الذي اتّبعه المؤلف كما يشير الى صفحات هذا المجلد التي بُحثَتْ فيها مختلف اقسام رحلته .

ولابدّ من عرفان الجميل للمديرين وسائر الموظفين في المكتبة الوطنية (فينا) ، مكتبة جامعة كارل (براغ) ، مكتبة جامعة كولمبيا (نيويورك) ، مكتبة الجمعية الجغرافية الأمريكية (نيويورك) . لما قدموه لي من التسهيلات للاستفادة من كنوزهم . والى السيد سدني سمث (المتحف البريطاني - لندن) لاقتراحاته فيما يتعلق بالفهارس . والى الدكتور ج . ك رايت ، المحرّر . لمعونته الجوهرية ، وخاصةً عند اعادة ترتيب الفهارس وتنقيحها . والى الآنسة انا بليجوفا ، سكرتيرة الحلقات الدراسية الشرقية بجامعة كارل (براغ) ، لدقة عملها في قراءة المسوّدات واعداد الفهرس . والى السيد كارل دربلك . المشرف الفني على منشأة الطباعة العامة في براغ لاتقان اشرافه على طبع هذا المجلد .

المسهمون في ترجمة هذا الكتاب

المترجم : الدكتور صدقي حمدي

ولد ببغداد ، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمدارسها . واكمل قسماً من دراسته العالية بجامعة بيروت الاميريكية .

حصل على الماجستير في الاسلاميات من جامعة لندن سنة ١٩٤٨ ، وعلى الدكتوراه من جامعة توبنكن بالمانيا الغربية سنة ١٩٥٨ .

اشتغل عدة سنوات بالتعليم في المدارس الثانوية وكلية الآداب بجامعة بغداد . وعمل مفتشاً اختصاصياً بوزارة التربية ، ثم ملحقاً ثقافياً بسفارة الجمهورية في : براغ ، الرباط ، بون ، بروكسل ، باريس . وعمل اخيراً رئيساً لقسم التاريخ بمعهد التربية للمعلمين في الكويت لعدة سنوات .

له ابحاث وترجمات في التاريخ الاسلامي .

ترجم عن الانكليزية كتاب (الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية) (في ٥٠٠ صفحة ونيف) وهو مجموعة قيمة من المحاضرات والمناقشات لاكابر المستشرقين باشراف الاستاذ الامريكي كرونباوم .

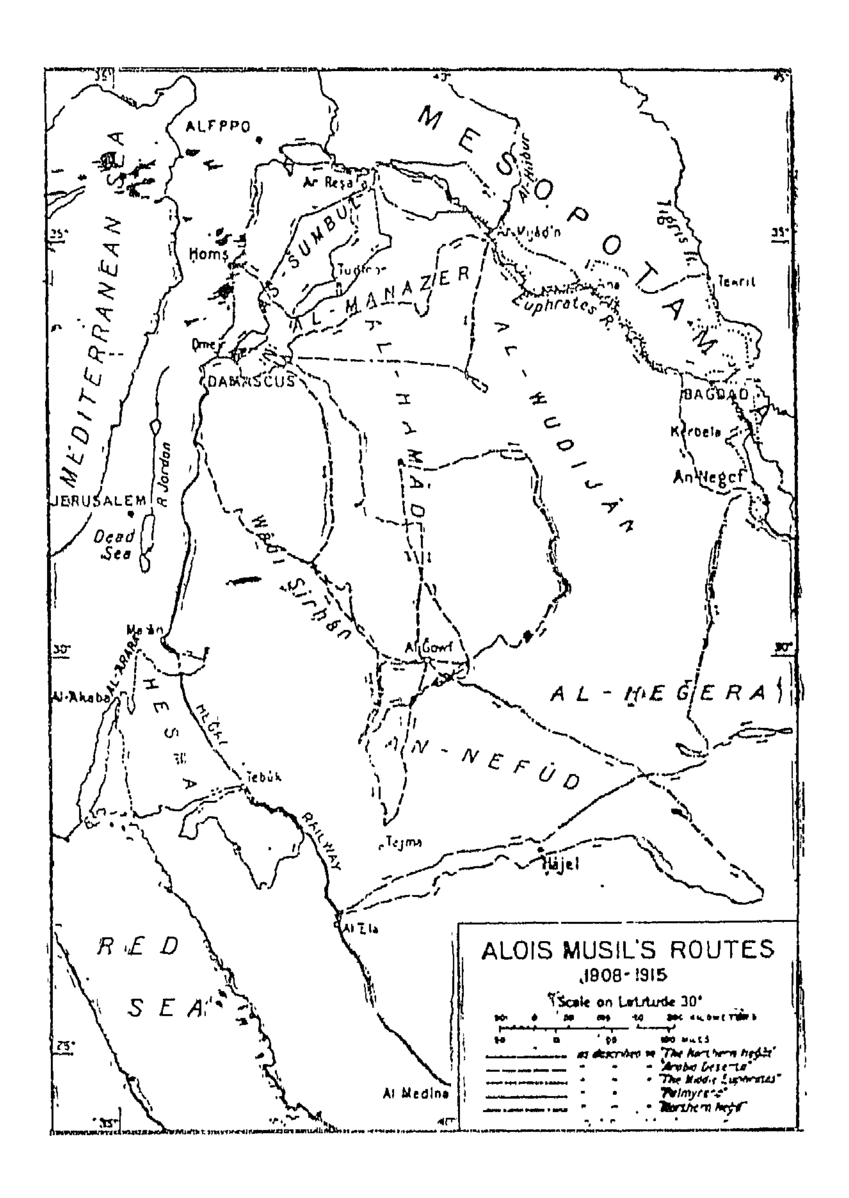
المترجم : عبدالمطلب عبدالرحمن داود

ولد في الموصل عام ۱۹۲۹ وتخرج في دار المعلمين العالية عام ١٩٥٠ بدرجة شرف من قسم اللغة الانكليزية . ثم ضم الى البعثة العلمية الى انكلترة عام ١٩٥٣ فحصل على شهادة بكلوريوس شرف بتقدير جيد جداً في الأدب الانكليزي ثم الماجستير من جامعة مانجستر. وعين بعد عودته الى الوطن مدرساً في كلية التربية بجامعة بغداد ثم نقل مديراً للتأليف والترجمة والنشر فمديراً للتبادل الثقافي في وزارة التربية والتعليم . بعدها عاد الى جامعة بغداد وانتخب رئيساً لقسم اللغات الاجنبية في كلية التربية واول رئيس عراقي لدائرة اللغات الاجنبية في جامعة بغداد . ثم نقل الى وزارة التربية ثانية بوظيفة ملحق ثقافي في سفارة الجمهورية العراقية في لندن وبعدها مديراً عاماً للشؤون الفنية . وفي عام ۱۹۷۱ اصبح اول استاذ مشارك في الادب الانكليزي بجامعة بغداد . وفي عام ۱۹۸۰ تفرغ للتدريس في المعهد الدبلوماسي التابع لوزارة الخارجية مدة خمس سنوات . ويقوم حالياً بتدريس الادب الانكليزي في كلية التراث الجامعة .

ترجم الى العربية بالمشاركة مع الاستاذ علاء الدين حمودي كتاب تاريخ الادب المسرحي الانكليزي للبروفسور ايفانز استاذ الادب الانكليزي في جامعة لندن . كما اسهم مع جماعة من الاساتذة في ترجمة موسوعة معارف الانسان عن العالم الحديث باشراف ليمان برايس .

كذلك اسهم المترجم بتكليف من وزارة التعليم العالم في تأليف المدخل الى النثر الانكليزي باللغة الانكليزية والمدخل الى الشعر والنثر الانكليزي باللغة الانكليزية ايضاً .

وللمترجم بحوث ودراسات نشرت في مجلة كلية الآداب وفي مجلة الاستاذ التي تصدرها كلية التربية ــ جامعة بغداد وفي مجلة الجامعة المستنصرية وفي المعلم الجديد التي تصدرها وزارة التربية العراقية .


ALOIS MUSIL'S ROUTES
1908-1915
Scale on Latitude 30°
MESOPOTAMIA
MEDITERRANEAN SEA
ALEPPO
Ar Resafa
SUMBUL
Homs
Tudmor
AL-MANAZIER
AL-HAMAD
AL-HUDIJAN
Euphrates R.
Tigris R.
BAGDAD
Kerbela
An Negef
DAMASCUS
JERUSALEM
R. Jordan
Dead Sea
Wadi Sirhan
Al Gowf
Ma'an
Al-Akaba
HESMA
AL-HEGERA
AN-NEFUD
Tebuk
Tejma
RAILWAY
Al Ela
RED SEA
Al Medina

القسم الاول
١٩١٢



الفصل الاول
دير الزور الى الفحيمي

قُمتُ في آذار واوائل نيسان من عام ١٩١٢ بصحبة (البرنس) سكتس آل بوربون ، الذي سمّيناه الأمير . برحلة بالميرينا (١) . والتحق برفقتنا رودلف توما سبركر أحد موظفي المعهد الجغرافي العسكري في فينا ، بصفة مساعد علمي وكان واجبه العنايـــة باجهزتنا العلمية ورسم مسار رحلتنا . وتولى ناصر بن عبيد المغلوق ومحمد بن سعد الدين الحموت العناية بنوقنا التسع وما حملته من متاعنا . كما تولى الأخير مهمة الطبخ والغسيل كذلك .

ومن بالمرينا اجتزنا سلسلة البشرى . ووصلنا في ٨ نيسان عام ١٩١٢ الى مدينة دير الزور (٢) .

دير الزور الى الساحل

تقع دير الزور (شكل ١) التي تعرف ايضاً بدير الشعر او الدير باختصار ، على الضفة اليمنى من الفرات . قبالة جزيرة خضراء صغيرة . ويصلها جسر ثابت بضفته اليسرى وتطل ست مآذن بيضاء على مجموعة قباب بيضاء وسطوح بيوت مستوية سمراء . وتظهر الى شرق البيوت كتلة خضراء من البساتين والمزارع ، بينما لانجد في الغرب سوى ساحات خالية قاحلة . وترى الى الشمال تكنة كبيرة .

---

(١) تناول هذا الجزء من الرحلة في كتاب (بالمرينا) الذي سيظهر قريبا في هذه السلسلة .

(٢) للوقوف على دليل باسماء الاماكن الواردة في هذا المجلد والمبينة على خرائط سبه جزيرة العرب الشمالية وبلاد الرافدين الجنوبية المنشـــورة في هذه السلسلة يراجع الفهرس . انظر كذلك فهرس الخرائط .

تقوم وراءها محلة الجراكسة ، وفيما يلي ذلك من ناحية الشمال بساتين الصالحية التي يملكها صالح باشا . وتتميز البيوت التي في القسم الشمالي الشرقي من المدينة بعلوها عمّا سواها . أما الاحياء الرئيسة في المدينة وتسمى (المحلات) فهي : الشيخ ياسين ، ابو عبد ، الرُشدية ، الجامع الكبير ، الوسط ، وعبدالعزيز ؛ ويقع مبنى الحكومة (السراية) على الفرات بين محلة عبدالعزيز ومحلّة الشيخ ياسين . وقد بني الجامع الكبير ، او الحميدي سنة ١٩٠٠ ، والجامع العمري قديم يشغل مركز المدينة . وتوجد فضلاً عن ذلك عدة مدارس عامّة هي الرشدية (مدرسة متعددة التقنيات) والاعدادية (المدرسة الثانوية) . ويمكن ان اذكر من بين العائلات الرئيسية : بيت فتيّح . بيت عبدالعزيز وبيت خطّار .

ويعيش السكان في الأغلب من التجارة . يشترون الصوف ، ويصنعون السجاجيد والبطانيات لأنصاف الفلاحين وحتى للبدو ، ويشترون كذلك زبد الأغنام والماعز ، الذي يصدّرونه غالباً الى دمشق . ويستوردون من المدينة الأخيرة ومن حلب السلع الاوربية ولا سيما المنسوجات القطنية والكتانية ، ومن بغداد يأتون بالتمباك (الطباق المستعمل للنركيلة) والعباءات الجيدة للأهالي ، ويبتاعون في بيرجيك أرماثاً صغيرة يحمّلونها حنطة وشعيراً . وكانوا يسافرون نهاراً ويستريحون ليلاً بحيث ان رحلتهم الى الفلّوجة كانت تستغرق مدة تتراوح من ثمانية الى عشرة أيام . وهناك تحمل الحبوب بعربات على ظهور الحمير ، ويبيعون الأرماث بنحو ٢٠٠ قرش (٩ دولارات) ، ثم يعودون الى اماكن سكناهم . ويشترون الزبد الرخيص احياناً وسلعاً اخرى في العراق يحملونها في قوارب شراعية يرحلون بها من قرية الى أخرى عارضين بضاعتهم للبيع . تستغرق هذه الرحلة ، بمثل هذا القارب ، نحو شهرين صعوداً في النهر للوصول من الفلوجة الى دير الزور .

وفيما عدا السكان المسلمين الذين يبلغ عددهم أربعة آلاف كان يسكن الى جانبهم في دير الزور منذ وقت طويل مسيحيون ايضاً معظمهم من الارمن والسريان. وقد زاد عدد هؤلاء المهاجرين بحيث اصبحوا سنة ١٩١٢ (٨٠٠) من السريان

و (٦٠٠) من الكاثوليك الأرمن ، فضلاً عن مائتين من اليهود . وكان للأرمن والسريان كنيستان صغيرتان .

وتخضع لقيادة دير الزور ثكنات الدرك (الجندرمه) غربيّ الفرات على الطريق العام من حلب الى بغداد ، وذلك في البيضا وتدمر ، وأرك ، السخنة ، الديدي . القباجب ، والقُصَيْبة ؛ وتوجد مثل هذه الثكنات على الطريق العام من حلب الى بغداد كذلك : في الكسارة (او الكسرة) ، المعدان ، التبنى ، الشميطية ، بوحسن (او الصور) ، الميادين الصالحية ، أبو كال (او ابو جمال) ، والقائم . وكان الدركي (الجندرمة) يتقاضى راتباً شهرياً يتراوح من ١٦٠—١٨٠ قرشاً (من ٧٫٢٠ — ٨٫١٠ دولاراً) ، علاوة على ١٢٠— ١٥٠ قرشاً (٥٫٧٠— ٦٫٧٥) دولارات لعلف حصانة . وكانت حامية دير الزور تتكون من ٤٠٠ بغالة (راكبوا البغال) ، وقد عُهد بواجب الدورية الى ١٢٠ دركياً . والحقيقة ان العدول عن ارسال البريد من دمشق الى بغداد مروراً (بدرب الساعي) ، ونقله من حلب بطريق يحاذي الضفة اليمنى من الفرات، الى هيت وبغداد ، كان له فائدة عظيمة لسكان الدير ، اذ كانت المسافة من حلب الى بغداد تقطع في ثمانية أيام .

وكانت كل ساعة من التأخير تستوجب غرامة دينار تركي واحد (٤٫٥٠ دولاراً). وكان العقد الخاص بحمل البريد بيد الحاج شيخو من أهل دير الزور، يتقاضى شهرياً بموجبه ١٠٥ دنانير تركية (٤٧٥٫٥٠ دولاراً) لقاء خدماته . وكان يحتفظ بخيول معدّة للسفر في جميع المحطات . وكان ساعي البريد ينقل حقائب الرسائل الى خيول جديدة ثم يسافر على الفور ثانية ، سائراً خبباً طول الوقت . ولم يكن يقبل نقل النقود او الرِّزَم .

وكانت (العربات) القادمة من بغداد تقف بالليل عادةً في المحطات الآتية : الفلوجة ، الرمادي ، هيت ، البغدادي ، الحديثة ، عانة ، النّهيّة ، القايم ، الصالحية ، الميادين ، دير الزور ، التّبني ، الصبخة ، الحمّام ، المسكنة ، نهر الذهب ، وحلب .

لا نستطيع بطريقة جازمة ان نحدد اسم دير الزور القديم (٣) .

---

(٣) اسنادا الى معجم ياقوت (طبعة وستفلد) مجلد ٢ ص ٦٦٢ ، ومراصد الاطلاع لأبى الفضائل (طبعة Juynboll) مجلد ١ ، ص ٤٣٠ يمكن اعتبار ديرالزور هي دير الرمان ، اذ كانت هده مدينة كبيرة وفيها اسواق للبدو بين الرقة والخابور ، حيث كانت القوافل القادمة من العراق الى سوريا تتوقف للاستراحة .

وصحيح أن الرقة والخابور (قرقيسيا) يقعان على الضفة اليسرى من الفرات ، بينما يقع ديرالزور على الضفة اليمنى ، الا ان ياقوت قلما كان يحدد مواقع الأماكن بدقة كبيرة ، كما اننا لانجد بين البلدتين المذكورتين على الضفة اليسرى اي اثر لمدينة كبيرة تسمى الدير .. وكانت القوافل تنزل للراحة في دير الرمان ، لانه في هذا الموضع كان يوجد اسهل طريق يؤدي من تدمر الى دمشق ، متفرعاً من الطريق الذاهب الى سوريا بمحاذاة الضفة اليمنى للفرات .

ويذكر اوبنهايم في كتابه (من البحر المتوسط الى الخليج «العربي») (١٨٩٩) مجلد ١ ص.٣٣٠ : ان اول نص ورد فيه ذكر الدير كان فى تاريخ ابي الفدا لسنة ١٣٣١م وفيه رواية هدم السد عند البسير ــ وهذه العبارة التي اشار اليها اوبنهايم ولم يذكر نصها موجود في طبعة القاهرة سنة ١٩٠٥ مجلد ٤ ص ١٠٦ .

ويروي ابن كثير في البداية (في الفهرست) مجلد ٧ ورقة ٢٠ يمين ، انه حدث في عام ١٣٣١ فيضان كبير في الفرات ، دام اثنى عشر يوما ، وانه بسببه لحق ضرر كبير بالاملاك المجاورة للرحبة . وجرف النهر الهائج جسر القوارب في ديرالبسير ، ونتج عن ذلك ارتفاع عظيم في اسعار الحبوب . وقام الاهلون باصلاح الجسر ، ولكن المياه قوضته مرة اخرى .

ويؤخذ من سياق الرواية ان الجسر المذكور كان قريبا من الرحبة (المياذين الحالية) على خمسة واربعين كليو متراً من الدير . ولعل الحبوب كانت تجلب اليها من بلاد الرافدين بطريق الخابور ، وكذلك من المنطقة الخصبة التي حول نهر دورين القديمة . ويجب ان يعين موقع دير بسير ، وفقا لهذا التفسير ، بالقرب من المياذين وليس عند دير الزور حيث وضعها اوبنهايم وموريتس (بالميرينا [١٨٨٩] ص ٣٥) ويكتفى ابن كثير بالاشارة الى تدمير جسر للقوارب فقط . ومن الممكن ايضاً ان يكون اسم البلدة الحديثة « البسيرة » مشتقاً من « بسير » .

وقمنا بزيارة المتصرف (حـــاكم السنجق) بعد وصــــولنا فوراً ؛ ولكنه كان نائماً ، فناولنا رسائل التوصية لقائد الدرك ، وواصلنا السفر ثانية في الساعة ٢٫٢٠ بعد الزوال ، اذ لم تكن توجــد حول المدينة مراع مطلقاً ترعاها جمــالنا . وكانت البغال قــد أتت على الحشائش القليلة ، ولا توجــد مناطق خضراء اخرى سوى الحقول . وكانت تمتد على الشاطئ الأيمن ، جنوبيّ المدينة بساتين الجفرة ، وعلى الأيسر بساتين الحُصَيْنيّة والهطلة . وكانت ترتفع الى يميننا مجموعة تلال التــرده . وفي الســاعة ٣٫٤٥ مررنا بثــلاث خرائب صغيرة : الخضر وفي الساعة ٤٫٣٥ نزلنا للاستراحة بالقرب من خرائب (الساحل) على الفرات ،

=

ويذكر حاج خليفة في « جهان نوما » (استانبول ١١٤٥هـ) ص٤٤٤ ان بلدتي الرحبة والديــر كانتا تابعتين لدائرة الرقة السياسية . كمـا يؤكد ان قلعة الدير كانت تقع على مرتفع في منطقة الرحبة الادارية .

ويشير اوليا جلبي في تاريخه (ترجمة فون همر) مجلد ١ ، ص٩٥ الى سنجق دير رحبة .

وفي سنة ١٨٠٧ اغــار سعود بــن عبــد العزيز وجماعتــه الوهــابيون على عانة ودير الزور (روسو ، بــاشوية بغــداد ، [١٨٠٩] صص ١٧٩ ومابعدها) .

وفي سنة ١٨٥٧ احتل عمر باشا [حاكم حلب] هذه البلدة . ونجح خلفه خلبل بك في اقامة نوع من النظام هناك ، وفي المنطقة المجــاورة كلها ، وكانت النتيجة انه بعد خمس سنوات فقط انشئت متصرفية فيها (والمتصرفية كلمة عربية تقابل سنجق التركيــة) . وكان اول متصرف هو حسني باشا . ودخل خلفه ارسلان باسا فى حروب مستمرة بينــه وبين عشائر الجبور ، والعقيدات ، وشمر ، وعنزه ، وهكذا وسع نفوذه ، ولكنه بعد سنة ونصف استدعي [الى استانبول] وارسل مكانه عمر باشا الميال الى السلم ، فشيد في منطقته السياسية : المدارس ، والثكنات العسكرية ، والمستشفيات ، وجسراً يصل الى الضفة اليسرى من الفرات ، وقد جرفت مياه الفيضان القسم الشرقي من هذا الجسر بعد فترة قصيرة (ســـــنة ١٨٨٦) . وفي ســــــنة ١٨٩٠ في أيــام حافظ باشــا اقيمت المواصلات البرقية واصبح الطريق آمنا من حلب الى بغــداد .

وحال الفلاحين في المراعيّة يثير الشفقة لما يتجشمون من عمل مرهق ضروري لريّ اراضيهم . ذلك انهم يرفعون الماء من النهر طول الليل بمعونة أبقارهم ، ويوجهونه خلال مشاعب صغيرة الى الحقول ، ثم يحفرونها بمجارف عريضة لايصاله الى الحقول . انه عمل قاسٍ ، ومن نوع لا يمكن لفلاحينا في اواسط اوربا أن يتصوروه . .

الساحل الى الشيخ علي

في ٩ نيسان ١٩١٢ ، في الساعة ٥٫٤٥ صباحاً دخلنا بقاع مزارق الحشل والمريعية . وهي بقاع غرينية زراعية . وكان النهر يجري هادئاً تحت غطاء ضباب خفيف ، وقد اندمجت السفوح الصخرية المحيطة بها مع الافق بلونه البنفسجي ولا ترى في الشرق الا وهجاً أحمر يزيد تألقاً باستمرار ، حتى ظهرت الشمس للعيان وهي تتوهج كالذهب حتى ليبدو انها بزغت من النهر الآن حتى اذا ماظهرت اخيراً اخذت تنظر حولها باستغراب الى الريف الهادئ النائم . وارتفعت خيوط رفيعة من الدخان على يمين الشمس ويسارها لم تلبث ان تلاشت في زرقة السماء المصطبغة بلون الورد . ولم يكن ثمة شيٌ يتحرك . سوى رافعة خشبية تحت مجموعة من اشجار الجوز تقع على يسارنا ينطلق صريرها كلما رُفع الماء لري الاراضي المجاورة .

في الساعة ٦٫٢١ كان الى اليسار منا ثلاثة تلول وهي الخرائب المعروفة بـ (الصرّة) ، وفي الساعة ٧٫٥ ظهرت امام ابصارنا ثلاثة بساتين كبيرة المساحة نوعاً ما تنمو فيها اشجار الجوز يسمى الغربي منهـا (بو حسن) ، ويعرف القسم الشرقي منها الواقع على الضفة اليسرى بالطابية . والى الجهة الجنوبية الشرقية ظهرت القبة الرمادية لمشهد ابو نهود الصغير . (٤)

---

(٤) أميل الى القول بأن ابو نهود هو مشهد فم سعيد .
ويقول ابن سرابيون في (العجائب – مخطوط المتحف البريطاني ورقـة ٣٣ يمين) و (لوسترنج) ص ١٤ ان نهر سـعيد يتفرع من الفـرات عند المشهد الصغير المسمى فم سعيد ، ويجرى بازاء قرى كثيرة عـلى



شكل ١ — دير الزور

في الساعة ١٨ر٧ بدت على يسارنا هضبة صغيرة مدورة فيها خرائب الشنافية ، وفي الثامنة ظهرت خرائب الطالع . ويقع مرقد ابو نهود الصغير جنوبيّ قريـــة

= الضفة اليمنى ، ويروى مزارع بلدة الرحبة ، ثم تخرج منها بعض الفروع الى مزارع البلدة الصغيرة : الدالية ، حتى تصب في الفرات فيما وراء هذا الموضع المسمى دالية مالك بن طوق .

وكذلك يشير ياقوت (المعجم — وستفلد ، مجلد ٤ ص ٨٤٠) الى نهـر سعيد فيما دون بلدة الرقة . وقد سميت باسمه نسبة الى احـد ابنـاء الخليفة عبدالملك ، الذي اطلقوا عليه ايضا اسم سفير الخير لتقـواه . وكانت الاراضي التي يخترقها نهر سعيد مغطاة بالادغال مما جعلها مأوى للاسود . وقد حصل عليها سعيد بطريق الاقطاع من أخيه الوليد بـن عبد الملك . وهو الذي أمر بشق هذا النهر ، وباسكان الناس فيما حوله من الاراضي .

ويذكر ابو الفدا (التقويم — رينو وديسلان ، ص ٢٨١) ان سـكان هذه القلعة الصغيرة والرحبة يستقون مـاء الشرب من الترعـة الآخـذة من نهر سعيد .

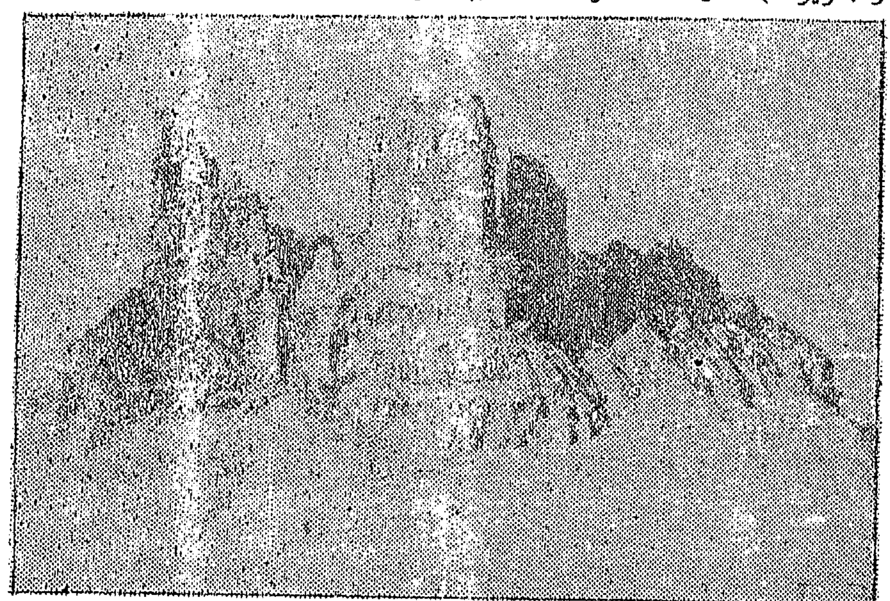
القطعة على كومة خرائب منخفضة . والى الشرق منها ارتفعت عدة اكوام خرائب غطى الرمل نصفها تسمى طعوس الخبز وما وراء ذلك يمتد سهل متموج تقع فيه خرائب (الحريم) وقرية صغيرة تسمى (الصور) وهي ملك لأسرة (بوليل) من (العضيدات) . وتكوّن (الحريم) تلاً مستطيلاً مستوياً ، ينقب الفلاحون عاديات مختلفة فيه خلال أشهر الشتاء . والى اليمين ، على مسافة ٣ كيلومترات جنوباً ، يرتفع جرف صخري شديد الانحدار، يخلق الوادي الذي حفره الفرات لنفسه خلال عصور لا تحصى في هضبات الصحراء الغربية . وترتفع الى الشمال الغربي امام هذا الجرف ربوة (نيشان التيس) . والى الجنوب الغربي منا انبسط سهل (المدوّرة) الأجرد والى الشرق يرتفع تلّ (الجبيل) . وفي نحو الساعة الثامنة أخذت تهب ريح شمالية غربية باردة . وفي ٨٫٤٠ مررنا باكوام من الخرائب . وفي ٩٫٢٠ اجتزنا خرائب (أم الذكر) ، وفي ٩٫٣٣ كنا نجوس خلال الخرائب الواقعة غربيّ قرية (الثوب) . وظهرت (البسيرة) الى شرق — الجنوب الشرقي ، وهي قرية صغيرة تقوم على حافة منخفضة طويلة تمتد الى الفرات ، اما الى الجنوب فيرتفع قصر (الرحبة) . وكان السهل الى يميننا مغطىّ بنبات العرج . وفي ١٠٫١٢٠ بدت خرائب (الصليع) على يسارنا ، وتمتد الى الوراء منها مزارع (السعاوه) ، والى الجنوب الشرقي (الزباري) و (المملحة) . وفي ١٠٫٣٥ اجتزنا سهول (الخريسه) و (بغروس) . وتغمر هذه السهول المياه اوقات الفيضان عادة .

من ١٠٫٥٥ الى ١٢٫٥٦ اخذنا نصيبنا من الراحة في حقول لايض ، ورسمنا خارطة للمناطق المجاورة . وفي ١٫٥٠ بعد الظهر بدت على اليمين بقايا برج مشيد بالآجر وعلى اليسار مزارع (البلعوم) و (السياحات) . وفي ٢٫٥ مررنا بخرائب .

وينخر الفرات ضفته اليمنى ، وتنشأ من جراء ذلك بصورة دائمة جزر صغيرة جديدة تسمى الحويجة (والجمع حوائج) تغطيها اشجار الحور . وعلى اليسار بدت للعيان مئذنتان ونخلتان ، تدل على موقع بلدة صغيرة تسمى (الميادين) اختفت وسط المزارع ، ويسكن هذه البلدة نحو ٤٠٠ مسلم ، و ١٥ من المسيحيين

السريان وثلاث عائلات يهودية . وكان المسيحيون قد هاجروا اليها من ماردين منذ زمن غير طويل . وفي الجملة كان يسكن هناك ٢٥٠٠ نسمة في نحو ٣٨٠ بيتاً وهذه البلدة مقرّ (القايمقام — حاكم القضاء) ايضاً . وكان يقوم بحفظ النظام والأمن عشرة بغّاله ، ١٢ جندرمة ، وعشرة شرطة . ويوجد بها كذلك مدرسة للبنين(٥) .

والى جنوب الميادين تقع قرى (الفارسة) و (المحكان)(٦) و (تل القريّة) والجزيرة) . وقد استخرجتُ بالقرب من المحكان والقرية مخلفات آثارية .



شكل ٢ قلعة الرحبة

(٥) انظر فيما بعد ، الملحق ١٥ .

(٦) أحدد موقع البلدة القديمة سرقي في الخرائب التي بين المحكان والقرية . حينما خيم الملك الآشوري توكلتي انورتا الثاني (٨٨٩ — ٨٨٤ ق.م) في حقول اقر بني ، قدم اليه مدده ، حاكم أرض (لقى) ، مائتي كبش مخصي ، ثلاثين رأس ماشية ، مع حبوب وتبن وخبز وشراب . وعندما اقترب من سرقى ارسل اليه ملك تلك المدينة ثلاثة امنان من الذهب ، وسبعة امنان من الفضة الخالصة ، واربعين اناء من النحاس ، وطالنا من المر ، وعدة مئات من الاغنام ، و ١٤٠ رأس

وكانت ترتفع الى يميننا أطلال قصر الرحبة فوق تل اصطناعي ينفصل عن الأجراف الشديدة الانحدار وكأنها تحدّق من علٍ على السهل الفيضي . وقد بنيت على نتوء، يفصله عن سهل يمتد الى الغرب منه، خندق بصورة تجعله يكوّن تلاً منعزلا . وكان التلّ محاطاً بسور حجري متين، أنشيء عليه طريق متعرج يوصل الى القصر . اما المواد التي بني منها السور فقد هدمت منذ ذلك الوقت ونُقلت الى المياذين واختفت بذلك معالم الطريق . واصبح من العسير الصعود الى القصر . ولا تزال في حالة جيدة الاقبية الواسعة المبنية بالآجر تحت ارضية القصر وجدار عال يحيط بباحة مستطيلة الشكل . و يقوم في مركز هذه الباحة بناء واسع سميك الجدران بداخله باحة ثانية . وقد تهدمت جزئياً جميع هذه الجدران تقريباً، اما بعضها فقد نُقل بكامله . والى شمال تلّ القصر وشرقه يمكن مشاهدة بقايا ابنية قديمة من الآجر واكوام كبيرة من قطع فخار مهشم ليست لها اهمية تذكر

وتدل الحفر التي حفرت حديثاً هنا وهناك على ان التنقيب في هذه الخرائب كان يجري اما للحصول على مواد البناء او للعثور على كنز (٧) .

ماشية، وعشرين حمارا، وعشرين طائرا، كذلك كميات من الحنطة والتبن والعلف .

(الحوليات [شايل ، الحوليات (١٩٠٩) ، اللوحة ٤] ، الوجه المعاكس، اسطر ٢ ومابعد ، ٨ — ١٠ ؛ شايل ، المرجع المذكور ، ص ٢٠) .

(٧) يؤكد ابو الفدا (التقويم رينو و دىسلان ص ٢٨١) ان رحبة مالك بن طوق قد تهدمت ، ولم يبق منها سوى مستوطنة برزت منها مآذن الجوامع و [معالم] المباني الاخرى التي تمثل المخلفات الوحيدة من البلدة القديمة . وقد شيد شيركوه بن احمد بن شيركوه ، حاكم حمص ، الرحبة الجديدة في جنوب البلدة القديمة على بعد فرسخ من الفرات ، ويقال ان هذه [الرحبة] كانت مستوطنة صغيرة ولها قلعة على تل صغير من التراب ، وكان أهلها يستقون الماء من ساقية تأخذ من نهر سعيد . وكانت حوالي سنة ١٣٣٠ محطة للقوافل الآتية من العراق وسوريا وثغرا من ثغور

وتقوم شرقيّ قصر الرحبة ، وفوق الجروف مباشرة ، ثلاثة مشاهد صغيرة. ولا تزال مئذنتان في هذه المشاهد سالمتين ، أما الثالثة فقد تهدم جزء منها ويسمى المشهد الشمالي (الشبلي) . ويليه جنوباً الشريج وفي اقصى الجنوب : الشيخ علي او علي الحصين . وأقمنا خيامنا الى الجنوب من هذا في الساعة ١٢ر٥ وذلك بجانب مزارع عالية المقلاط عند كف جرف شديد الانحدار . وبعد ان تسلقنا هذه الاجراف بشيء من الصعوبة ، تحرّينا هذين المشهدين . ويقع [مشهد] علي الحصين في القسم الجنوبي من قرية كبيرة خربة [شكل ٣]



شكل ٣ مرقد الشيخ علي

=

المسلمين . ويذكر ابو الفدا بهذا الصدد ، نقلا عن (العزيزي) ان المسافة بين الرحبة وقرقيسيا ثلاثة فراسخ .

ويروي ديلافاله في رحلته (البندقية ١٦٦٤) مجلد ١ ص ٥٧١ انه شاهد عند المساء قلعة الرحبة على مسافة غير قليلة من الفرات ، واخبروه بانه لاتزال هناك آثار قديمة كثيرة . ويقول في مكان آخر (المصدر نفسه ص ٥٧٤) انه خيم في بلدة لم تكن مسورة تسمى مسجد علي ، وهذا الاسم كان يطلق اذ ذاك على مراكز سكانية كثيرة في بادية الشام (شمالي جزيرة العرب)

مختفية في منخفض صغير ينحدر نحو الجنوب الشرقي الى نبع غزير مرّ المياه في وادي الخور . والأكواخ مبنية من الحجر والآجر والطين ولكن لا يسكن فيها أحد . والمسجد بناية صغيرة يتكون اسفله من مربع لا يلبث ان يتحول الى شكل مثمّن في أعلاه تعلوه قبّة . وترتفع الى الشمال الشرقي من المسجد منارة مثمنة الشكل . اما الشريج فهو مشهد بسيط يتكون من مسجد واسع ومنارة خربة ، وقد بُني على نبع ماء عذب . وهاتان القريتان الصغيرتان (على والشريج) حديثتا العهد. وفي لحف الاجراف التي تقوم على حافتها خربة علي والشريج تقع مزارع خصبة تعود لرجلين مسيحيين هما جرجي وعبدالمسيح من اهل دير الزور ، ويوسف من أهل ماردين الذين ابتاعوها من عبدالله وعلي ابنَيْ حفل من عائلة نجرس التي تملك سهل الفرات الفيضي بأسره من المياذين حتى قرية ابو جمال وان عبدالله وعلياً كليهما من شيوخ عشيرة ابو جمال. اذ تخضع لعبدالله جماعة شبه فلاحية تستقر على الضفة اليسرى ، ولعلي من كان منهم على الضفة اليمنى . ويقيمان في قرية العشارة .

الشيخ علي الى الصالحية

وفي ١٠ نيسان (ابريل) ١٩١٢ بدأنا سيرنا ثانية في الساعة ٥٥ر٥ صباحاً وكانت ريح باردة تهب من جهة الشمال الغربي . وعلى يميننا وادي (الخور) الواسع الذي قطع ماؤه مسافة عظيمة من الصحراء العربية ؛ وظهرت الى يسارنا خرائب قديمة على تلّ اسود يقع قريباً من النهر ، حيث تجمعت فوقه اكواخ قرية (العشارة) الكبيرة اوتلّ العشارة . وهي اكواخ غبراء تقطنها نحو مئتي عائلة ، وهذا تل اصطناعي يبلغ علوه نحو ٢٠ متراً . قد جرف النهر قسمه الشرقي . وكان في هذه القرية ديوان للحكومة في باديْ الأمر ، ولكنه نقل سنة ١٨٦٢ الى دير الزور ، بعد ان تمّ بناء ثكنات عسكرية على الطريق المارّ من دمشق الى تدمر فديْر الزور ومن ثمّ الى الصوار .

تسمى الاراضي التي ترويها مياه الامطار فقط (السيل) ، في حين تسمى الأراضي التي تسقى من الفرات بطريقة صناعية او طبيعية (السراء) .

والى جنوبي (العشـــارة) تتجمع : السويدان ، الكســـره ، الرغيبة ، السوراني ، ســـور الحـــرب (وتسمى سور الحـــرم ايضاً) ، السبيحان ، المعيزيلة ، المسيفة ، الكشمة ، عين ابو سُويمر والدوير .

وفي الساعة ٩٫٣٧ كنا نسرّ على امتداد لحف جرف القمر ، وهو جرف صخري يبلغ ارتفاعه نحو ٣٥ متراً ويسُدُّ وادي الفرات من جهة الجنوب الغربي

وفي الساعة ١٠٫٢٠ اخترقنا مزارع (سراة ابو شويمر) ، وفي ١٠٫٤٧ صعدنا مرتفع القسراطي ، حيث يصل الفرات عند هذه النقطة جرف الاندرة الذي يُطلّ على السهل الفيضي من الناحية الجنوبية . ومن ١١٫٢٧ الى ١٢٫٤٠ بعد الزوال أخـــذنا قسطنا من الراحة . وفي ١٢٫٥٢ عبـــرنا فج اب الجاسم وهو شقّ عميق في أرض صخرية . وتقع الى يمينه بالقرب من الفرات قرية الدوير . وكان شيخ عشيرة البوجمال من هذا الموضع حتى القائم جنوباً هو : محمد الدندل وكان يقيم عادة في البوجمال .

وفي الساعة ١٫٥٤ ظهرت للعيان حصون الصالحية الضخمة . وهي أبنية صفراء اللون كبيرة تلفها طبقات هواء غير مستقرة حتى انها كانت تظهر وتختفي لمجـــرد حركة خفيفة من رأس الراصـــد . وخُيّل الينا ان هذه الهضبة السمراء الحصوية التي سفعتها الشمس وكنا نخترقها الان قـــد جعلت الجدران تقترب منا تارة وتتراجع تارة أخرى — وهكذا خدعنا (السراب) . وفي ٢٫٣٠ كنا عندقبور وبقينا نمر خلالها حتى بلغت الساعة ٢٫٥٢ ، عندها أنخنا جمالنا داخل الركن الشمالي الغربي من خرائب الصالحية الواسعة (شكل ٤ ، ٥) .

وفي القسم الجنوبي الشرقي من هذه الخرائب ، التي كانت تكوّن اسوار مدينة (الدورة) القديمة ، حدّد الكتاب العرب موقع قرية (الدالية) (٨) .

(٨) في سنة ٩٠٣ — ٩٠٤م هرب ابو شامة زعيم القرامطة مع ابنه الصغـير واحد أعمامه من جوار حما وعبروا الصحراء الى الكوفة بمساعدة دليـــل من ابناء المنطقة . ولما وصل الى مقربة من الداليـــة في منطقة طريـــق الفرات ، ارسل صاحبه لشراء بعض المؤونة لجماعته وعلفا لماشيتهم .

ويقوم شمـــالي خرائب الصالحية ، فوق الفــرات مباشرة ، مشهد شيخ بابر وهو مشهد صغير ويليه شمالاً نتوء (المشنقة) الاسود ، والى شمال ذلك تقع صخور (الشتيبة) و (الاربعين) ، حيث ينفرج وراءها شق (ابو البرادع)

وفي ١٠ر٥ قطعنا الطريق العام المؤدي الى الفرات ، ونصبنا خيامنا في الساعة ٢٢ر٥ في مستنقعات (الجزلة) التي تغطيها الطرفة (الطرفاء) — في موضع غير بعيد عن مخيم البوجمال ، ومنه اشترى (الجندرمة) المصاحب لنا شعيراً لحصانه . ولا يزال جدول قديم يظهر للعيان اسفل الجرف الصخري المنحدر الذي

=

ودخل صاحبه البلدة المسماة دالية ابن طوق لكنه كشف أمره بطريقة كلامه فاقتادوه الى قائد تلك الحامية . فأخبره بمكان زعيم القرامطة حيث كان في انتظار عودته . ومضى القائد مع جماعة من جنده الى ذلك المكان ، وهو تل صغير غير بعيد ، فوجدوا جماعة القرامطة وأتوا بهم الى الرقة ، حيث كان مقر اقامة الخليفة المكتفي اذ ذاك (تاريخ الطبري — دى خويه : سلسلة ٣ ، ص ٢٢٣٧ فما بعد) وفي يناير (كانون الثاني) سنة ٩٠٦ اتى فريق من جند القرامطة الى الدالية بقرب طريق الفرات ، وبعد أن التحق بهم بعض البدو قاموا بغارة نحو دمشق (غريب : الصلة — دىخويه ، ص ٩) .

وفي سنة ٩٠٨ — ٩٠٩م سار جيش من قرقيسيا : بطريق الرحبة الى الدالية (الطبري السابق الذكر ص ٢٢٨٤) .

وفي سنة ٩٢٨م قدم ابو طاهر الزعيم القرمطي الى بلدة الدالية في منطقة تكريت الفرات وقتل الكثير من أهلها . ولكنه لم يحصل على غنائم اذ لم يكن ثمة شيء يذكر . ثم سار الى الرحبة فدخلها في ٣ آذار سنة ٩٢٨ ، وقتل الكثير من اهلها هناك (تجارب ابن مسكويه — أمدروث، مجلد ١ ص ١٨٢ ، والكامل لابن الاثير — تورنبرغ — مجلد٨ ص١٣٢) ويقول ياقوت (المعجم — وستنفلد — م ٢ ص ٥٣٨) ان الدالية هي البلدة الصغيرة على الضفة اليمنى من الفرات بين عانة والرحبة ، حيث قبض على زعيم القرامطة .

ويلاحظ ابو الفضائل (المراصد — يوينبول — مجلد ١ ص ٣٨٦) عند نقله هذه الرواية ان هذه البلدة لم تكن معروفة في زمانه .

ويقوم دير حنظلة بين الدالية والبهنسة ، على الضفة اليسرى من الفرات أسفل من رحبة مالك بن طوق (ياقوت مجلد ٢ ص ٦٥٥ ، ابو الفضائل السابق ذكره مجلد ١ ص ٤٢٨) .

بُنيت عليه بلدة الصحية . غير ان الفرات قطعها في بعض المواضع . وبالقـرب من الشاطئ الأيمن والايسر توجد جزر كبيرة وصغيرة ، مما يدل على ان الفرات قد غير مجراه خلال القرون القلائل الأخيرة . ولا يزال مجرى الفرات القديم باقياً في السهل الفيضي الى الشرق من قاع النهر . ويمتد المجرى على الضفة اليمنى الى الجنوب الشرقي ، بحيث يروي مزارع عدد كبير من القرى ولا تزال آثارها ظاهرة بين الصالحية والبيضة .

الصالحية الى القسايم

في ١١ نيسان من عام ١٩١٢ اخترقنا الأجمة الى الطريق العام . وفي ٣٥ر٦ صباحاً ظهر صدع واسع في الاجـراف الصخرية الممتـدة على اليمين يسمى (شعيب السويحل) . وتبرز في وادي الفرات شرقيّ السويحل آخر ما تبقى من طبقة كانت سميكة يوما ما ولكن عوامل التعرية لم تعمل على ازالتها حتى الان . في ٤٠ر٦ ظهرت على يميننا محطة (درك) المسماة الصالحية وخان يملكه أحد أهالي دير الزور . وبجانب الفرات تشاهد رافعات المياه المعروفة بـ (الجرد). وتتكون أبسط أنواعها من عمودين يحملان محور البكرة، وعلى البكرة حبل يتحرك ، في احد طرفيه دلو جلدي كبير ، وفي الطرف الآخر من الحبل رُبطت بقرة ترفع الدلو عند امتلائه .

واخترقنا الآن سهل اللايح حيث ينتهي (شعيب الورد) (٩) . وهذا السهل مزروع في بعض الأماكن وفي أخـرى تغطيـه شجيرات طـرفاء كبيرة (١٠) في ١٠ر٧ مررنا بقرية (السروط) . وفي الساعة الثامنة : (بالقطعة) وما وراء ذلك قامت اكواخ قليلة ــ تعرف بـ (الخريطة) و (الدميم) ، اما الى الغرب

---

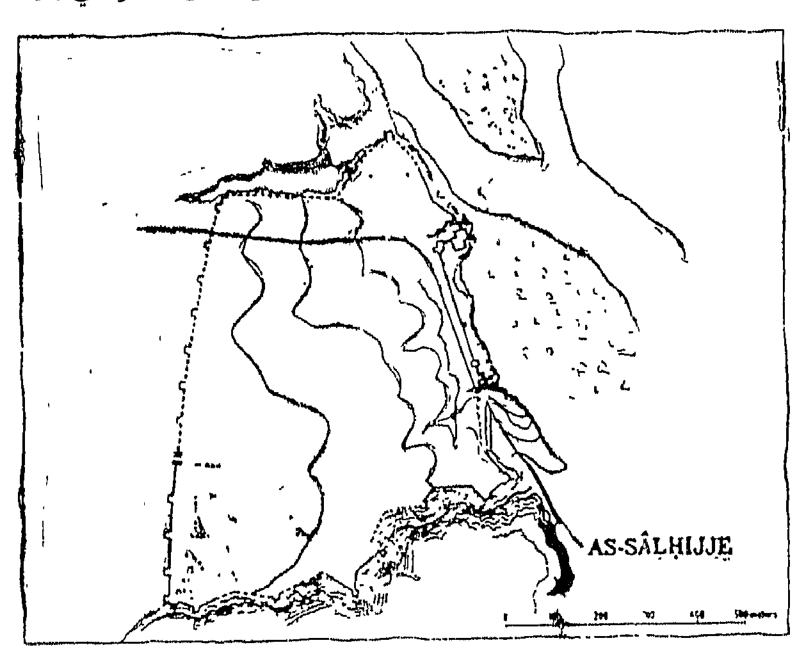
(٩) ان المصطلحات العربية (ماعدا النباتية) التي لم يحدد معناها في النص قد ورد ايضاحها في المقدمة .

(١٠) المرادفات اللاتينية والبيانات الموجزة لكثير من المصطلحـات النباتيـة العربية الواردة في النص يمكن الوقوف عليها في الفهرس .

فتوجد خرائب (النصورية) ، وتمتد وراءها الاجراف المعروفة بـ (رقيبة اليهودي) . وفي ٨٫٤٥ شاهدنا على اليمين خرائب (المصلّخة) ، والى الجنوب الغربيّ منها تلاً عريضاً من الخرائب يسمى (الجحش) مع قرية الرمادي أو (رمادي الزور) . وابتداء من الساعة ٩٫٤٥ اجتزنا مزارع (سراة ابو قبيع) ومررنا بخرائب شعبان وام زناد ، والحريري : الواقعة غربيّ قُرَى : الحسرات ، السيّال ، والحليبة . وفي الساعة الحادية عشرة وصلنا الى تلّ كبير كونته خرائب المدقوق وخرائب رسول الاصغر منها .

ولحاجتنا الى مرعى لجمالنا ، انعطفنا في الساعة ١١٫٢٥ الى اليمين واسترحنا من الساعة الثانية عشرة الى الواحدة بالقرب من خرائب (ابو سيبات) . وكان الحرّ شديد الوطأة . وكانت الريح تهب من الجنوب الشرقي محملة بسحب رمل ناعم هيّج الأعصاب .

وظهر للعيان على الشاطئ الأيسر نتوء صخري هائل يسمى (العرضي) ينحدر



شكل ٤ ـ الصالحية مخطط الخرائب

الى الفرات انحداراً شديداً . وتظهر الغبرة على جهة اليمين فيما وراء (سراة ابو قرامس) ، وهي محطة (درك) مهدمة ، وبقايا أبنية قديمة . وكنا في هذه الأثناء نخترق مزارع العشاير والسكرية والبيضة .

في الساعة ٢٫١٥ بعد الظهر شاهدنا قرية ابو جمال الجديدة بمسجدها الصغير نوعاً ما ومنارتها الرشيقة ومبسانٍ قليلة أكبر حجمـاً في القسم الجنوب الشرقي . وتندمج في (ابو جمال) الاراضي المرتفعة الغربية مع السهل الفيضي الزراعي . هنالك مكثنا من ٢٫٣٢ الى ٢٫٥٨ ونحن نفاوض القائمقام للحصول على خفراء . وفي ٣٫١٢ عبرنا (شعيب الرثقة) عند مزار (او قصر) علي ، غربيّ قرية ام عياش ، ونصبنا الخيام في الساعة الرابعة عند مزارع (السويعيه) شماليّ مرتفع (الصفر) .

وفي ١٢ نيسان ١٩١٢ بدأنا الرحلة في الساعة ٥٫٣٨ قبل الظهر مخترقين مزارع السويعية . وفي ٦٫٤٠ عبرنا (شعيب الحميضة) ، وبعدها مباشرة (شعيب الفهيدة) . والى جنوب هذا الموضع ، برزت على مسافة بعيدة من الفرات ، (ظهور المانعي) . وهي تسدّ الأفق . وهي صخرة عالية مائدية الشكل . وكانت على يسارنا من جهة الشمال مقبرة قديمة تسمى (قبور علي) . وظلت تظهر للعيان لوقت طويل هضبـة العرضي وبقايا خرائب كبيرة وصغيرة وقبور على هيئـة أبراج باعـداد كبيرة . وسـرنا عبر حقول (سراة ابو الجرس) ، جنوبيّ الحصيبة والهاي ، وخرائب العنقا (١١) والوحلات .

---

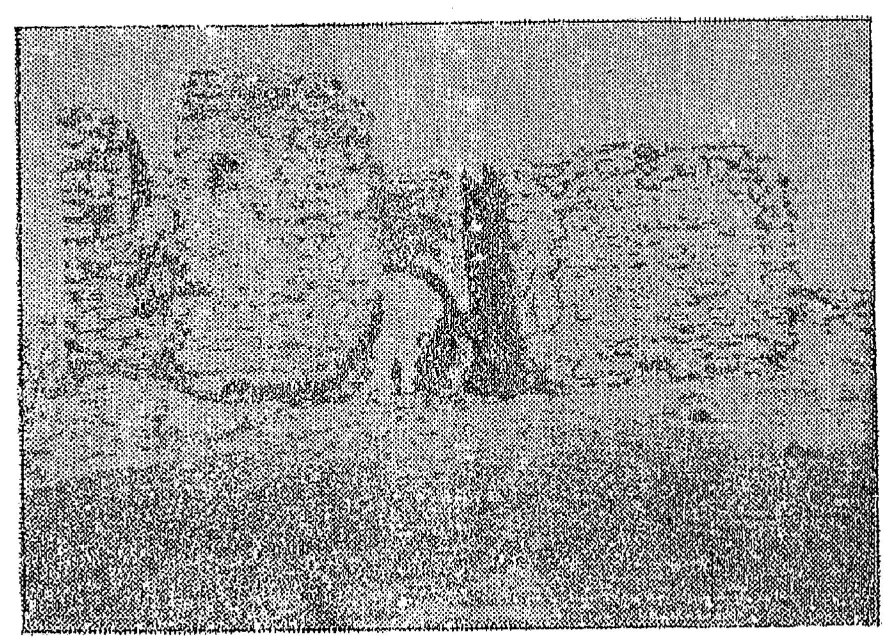
(١١) ارى ان خرائب عنقا لها صلة بقايم عنقا .

ويروي ابو الفدا (التقويـم – رينـو و ديسلان ص ٥١) نقلا عـن سليمان بن مهنا انه كان يمتد على جانبي الفرات سهل فسيح يبلغ قايم عنقا ، حيث يضيق الوادي مؤدياً الى عانة ، والحديثة ، وهيت ، والانبار . وفيما وراء بلدة هيت يجري الفرات خلال سهل العـراق ، الذي يسمى بالري – والقايم هو دير القايم ، ومحطة القايم الحالية ، وينتهي سهل الفرات الفيضي على بعد خمسة كيلومترات غربي عانة ، وعلى اكثر من عشرين كيلومتراً غربي القايم .

وبعد عبورنا (شعيب المانعي) في الساعة ٧٫٥٦ وجدنا انفسنا في خرائب (تل الجابرية) — او الشيخ جابر ، وهو مرقد صغير بُني وسط خرائب الى جانب الفرات (شكل ٦ ، ٧ ، ٨) . وقد مكثنا هناك من ٨٫١٠ الى ٨٫٥٢ (١٢) .

(١٢) ان موقع خرائب الجابرية تضطرنا الى ان نجعلها مطابقة لبلدة خندانو القديمة .
ولقد قدم امة الربه ، ملك خندانو ، الى الملك الآشوري توكلتي انروتا الثاني (٨٨٩ — ٨٨٤ قم) عشرة امنان من الذهب ، وعشرة امنان من الفضة ، وطالنين من الرصاص ، وطالنا من المر ، وستين قطعة نحاسية ، وعشرة امنان من نبات زديدو ، ونمانية امنان من حجر شمزيده ، وثلاثين جملا ، وخمسين راس ماشية ، وثلاثين حماراً ، واربعة عشر طائراً كبيراً ، ومائتي راس غنم ، وخبزاً ، وشراباً ، وتبناً وعلفاً .
وتبين من ذكر المر والجمال ان خندانو كانت لها معاملات تجارية مع تجار كانوا يستوردون منتجات مختلفة من جنوب جزيرة العرب بطريق الخليج العربي .
وحينما كان آشور ناصر بال ، بعد ارتقائه العرش بزمن قصير ، مشغولا باخماد العصيان في مدينة سوري في بلاد بيت خدبه ، ارسل اليه خياني — وهو حاكم خنداني (كذا) — جزية من فضة ، وذهب ، ورصاص، وبرونز ، واحجار كريمة وجمال الركوب . وللدلالة على انه يعترف بسلطانه عليه ، اقام له تمثالا في قصره وعليه كتابة منقوشة كما نصب لوحة بكتابة مماثلة عند مدخل المدينة .
وفي سنة ٨٧٨ دفع سكان خندانو الى آشور ناصر بال الثالث : فضة ، وذهبا ، ورصاصا ، واواني ، وانسجة وقطعانا .
ويذكر شمسي — ادد السابع (٨٢٤ — ٨١١ قم) أن حاكم خندانو انضم الى آشور دانيال الذي تمرد على ابيه شلمانيصر الثالث (٨٥٩ — ٨٢٤قم) غير انه تم اخماد العصيان ودخلت بلاد اشور من مدينة اريدى حتى بلاد سوخى في طاعة (شمسي — ادد) مرة اخرى .
وفي نحو سنة ٦٥٣ قم كان سن، سار اسور واليا في خندانو ، وثمة بعض السجلات المؤرخة من عهده .
وفي سنة ٦١٦ اغار نبوبو لاشر ، ملك بابل ، على خندانو وانتهبها .
وقد علم ايسيدور الكرخي ص ٢٤٧ بوجود مدينة كدن التي ينبغي ان تكون — وفقا لوصفه — مطابقة لـ (خندانو) .
ويسمي اسطيفان البيزنطي ص ٢٦ ، مدينة ادنه على الفرات بلدة فينيقية سميت كذلك نسبة الى الدوكس ادانون . والقول بأن ادنه ،

في ٩٫١٥ عبرنا (شعيب سعيدة)، وفي ٩٫٥٠ (شعيب السده) . وفيما وراء ذلك تقترب الأجراف الوعرة من الفرات ثانية . ورأينا في الطريق عدداً من الفلاحين يركبون الحمير . وكان آخرهم رجلاً مسناً اعور، أخذ يلعننا باستمرار ويكرر مائة مرة على الأقل : « ليتكم تموتون اليوم ، ليت هذا اليوم آخر يوم لكم في هذه الدنيا ».



شكل ٥ — الصالحية ، باب القايم الى عانة

التي تطابق خندانو ، هي بلدة فينيقية يدل على اهميتها التجارية .

ويقول ياقوت (المعجم ، فستنفلد مجلد ٣ ص ٦٦٨) ان عزان الواقعة على الفرات كانت في حوزة الملكة الزباء ، وعدان التي على الضفة الاخرى من الفرات في حوزة أختها . وتشير عدان — من جهة النطق — الى [الكلمات] ادنه ، كدن ، وخندان ، بينما نجد في عزان استمرارا للكلمة الارامية خنزان .

ويذكر القزويني (العجائب — فستنفلد ، مجلد ٢ حرص ٢٨٣ وما بعدها) ان عزان كانت ملكا للزباء ، التى بنت بلدتين على ضفتى الفرات احداهما تجاه الاخرى وانشأت بينهما نفقا تحت النهر .

ولقد همّ خادمنا محمد بضربه لكنا امرناه بالمحافظة على هدوئه ، وتحولنا من الطريق العام الى (شعيب الخويخل) عند محطة القايم ، حيث مكثنا من الساعة ١٠٫٠٠ صباحاً الى ١٢٫٢٠ بعد الظهر .

القائم الى عانة

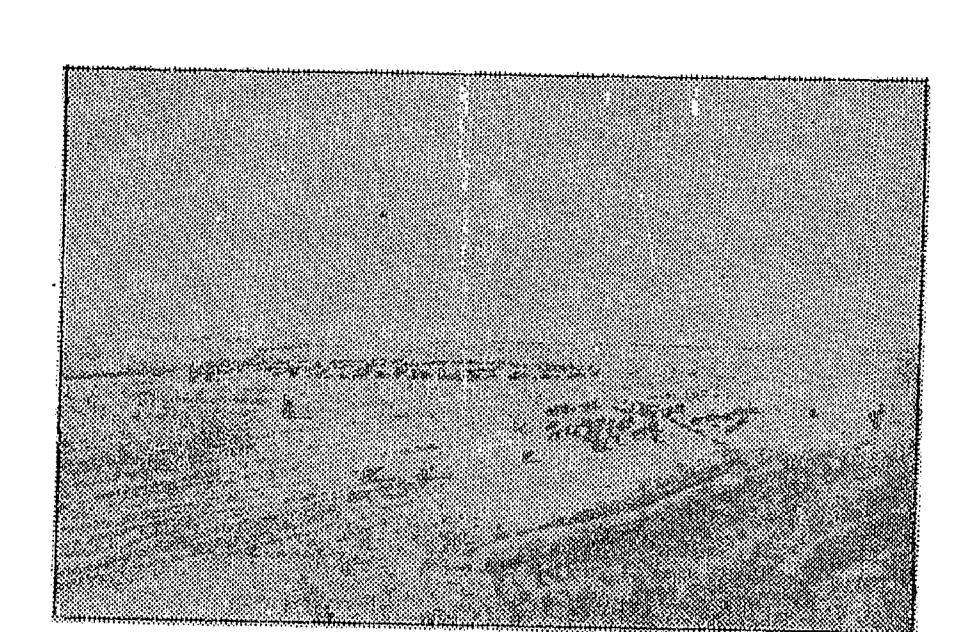
يقع مخفر (درك) القائم على مرتفع فيالضفة اليمنى من(شعيب الخويخل) أو القائم . والى الغرب منه بُني (خان) بجانب الطريق العام ، وتقوم الى شرقيّه كومة خرائب تبرز فوقها بقايا برج (١٣) .

---

(١٣) كان القايم مدينة ثغرية .

ويذكر ابو الفرج (الاغانى ، بـولاق ١٢٨٥هـ) مجلد ٥ صـ ١٢٣ وما بعدها ــ (البكرى : المعجم وستنفلد ص ٣٥٩ وما بعدها) انه زار دير القايم الاقصى ، الذى يقع على الضفة الغربية من الفرات على الطريق المؤدية الى الرقة . ويذكر انه كان في الاصل برجا للمراقبة على غرار الابراج التى اعتاد الفرس والاغريق اقامتها عند الحدود . ثم بنى ديـر بالقرب منه ، ولكنه سرعان ما أصبح بغير سطح او باب في منتصف القرن العاشر . وكان لايزال مسكونا تحت حكم الخليفة هرون الرشيد (٢٨٦ ــ ٨٠٩م) حيث اقام ثلاثة ايام اثناء سفره الى الرقة وكان مما اجتذبه كثرة الازهار ولاسيما شقائق النعمان هناك ، وقـد اعجب الخليفة بكـرم ضيافتهم ايما اعجاب ، حتى انه اعفاهم من الخراج (ضريبة الأرض) ، وامرهم بدفع عشرة دنانير فقط سنويا عن جميع ممتلكاتهم .

وقد أورد ياقوت (المصدر السابق) مجلد ٢ ص ٦٨٤ ، وابو الفضائل (المراصد ــ يوينبول مجلد ١ ص ٤٣٧) كلمات ابى الفرج في هذا الموضوع وزادا عليها انهما شاهدا هذا الدير ايضا . ويقال انه سمى القايم لارتفاع برجه ، الذى امكن منه مراقبة خطوط الحدود الفارسية والرومانية على السواء . وقد زعموا ان هذا البرج يشبه عقرقوف عند بغداد ، واصبح خفان بضواحى الكوفة .



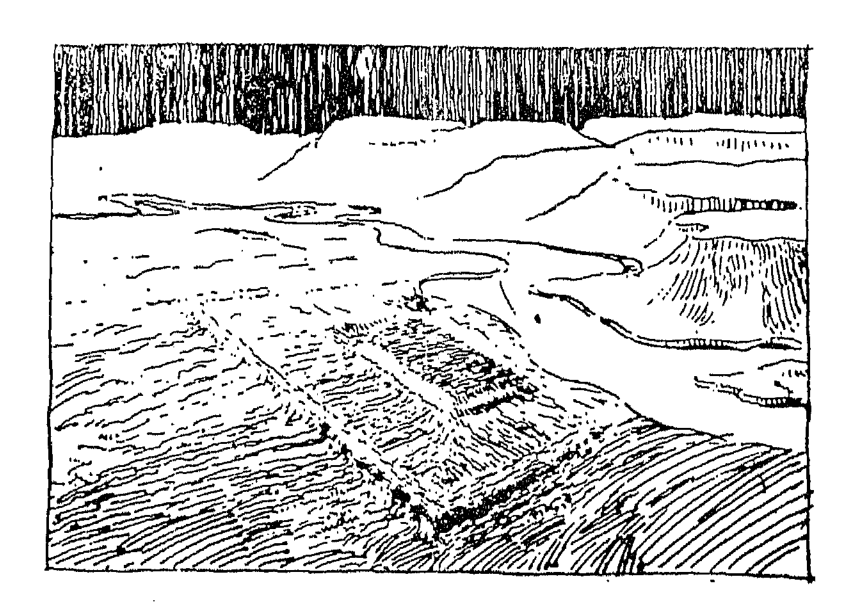
شكل ٦ ــ من الجابرية ناظرا الى الجنوب الشرقي



شكل ٧ ــ حلب الماعز في الجابرية

في ١٠ر١ بعد الظهر كان على يسارنا سهل الفياضية ، وعلى اليمين منحلر التريجية الصخري . وفي ٤٤ر١ عبرنا شعيب سلمان الذي ترتفع على ضفته اليمنى ظهور القنيطرة وهي عدة تلال صغيرة مستطيلة منبسطة السطح . وفي الساعة الثانية كنا في شعيب أبو ربيع حيث كانت قافلة تجارية كبيرة تجلب التمـر والزبد من عانه الى حلب تحط رحالها . اما ابو ربيع فيبدأ عند سفح (طـَرّق ابو سعد) ويتخذ طريقه بين تلال (الرخيميات) و (التريجية) . وفي ١٢ر٢ غادرنا سهل الفريضية الرسوبي واتجهنا شرقاً فوق مرتفع (مفازة الشنانة) ، متحاشين الدوران حول اربع اشباه جزر كوّنها مجرى النهر . وتقع على مقربة من ضفة الفرات اليمنى قرى الفريضية ، والقنيطرة ، والعبيدي ، والمطرزية ،والمشعل ، البرد (البريد) ، الحصيم (الحميص) ، الشفيرة ، الجروه الشقاقية ، الرّافدة ، الجرن ، الصفر ، الوضاحية ، الهفـّة (الهبنة) العمـّاري (العمارية) ، الزعفرانه ، الزلّه ، الشفوانية ، والنهيـّة . وتوجـد بالقـرب من قرية الصغيـرة خرائب (الحصير) ، وهي خرائب واسعة يعثـر الفـلاحون فيها على مختلف العاديات وعند (الجروة) ينتهي شعيب ابو الجرؤة حيث تشاهد على الجانب الأيسر منه خرائب اخرى تبعد مسافة ستة كيلومترات من النهر . يرتفع في الجنوب تلاّن صغيران هما تلاّ (القرون) وينتهيان من الجهة الجنوبية الشرقية بمرتفع طويل . في الساعة ١٠ر٣ كان تلّ (رجم الفَرَس) على يسارنا وفي ٤٠ر٣ دخلنا ثانية سهل الفرات قرب (البريد) وقطعنا وادي (ابو الجروة) وفي ١٤ر٥ خيـّمنا على الجانب الايسر من الطريق العام وسط اجمة صغيرة من الطرفاء . ومن مخيـّم الدليمي عند خرائب (الشفيرة) ، حيث يتولى الرئاسة فرحان بن شرجي ، كنا نسمع طوال الليل قرعاً رتيباً على طبل كبير . لقد كانوا يستعدون لحفل ختان رقص فيه الرجال والنسـاء من المسـاء حتى الصباح . واجتزنا ثانية في الساعة ٤٦ر٥ صباحاً من يوم ١٣ نيسان سنة ١٩١٢ الهضبة التي يقطعها (شعيبان الصخرة) . وظهرت

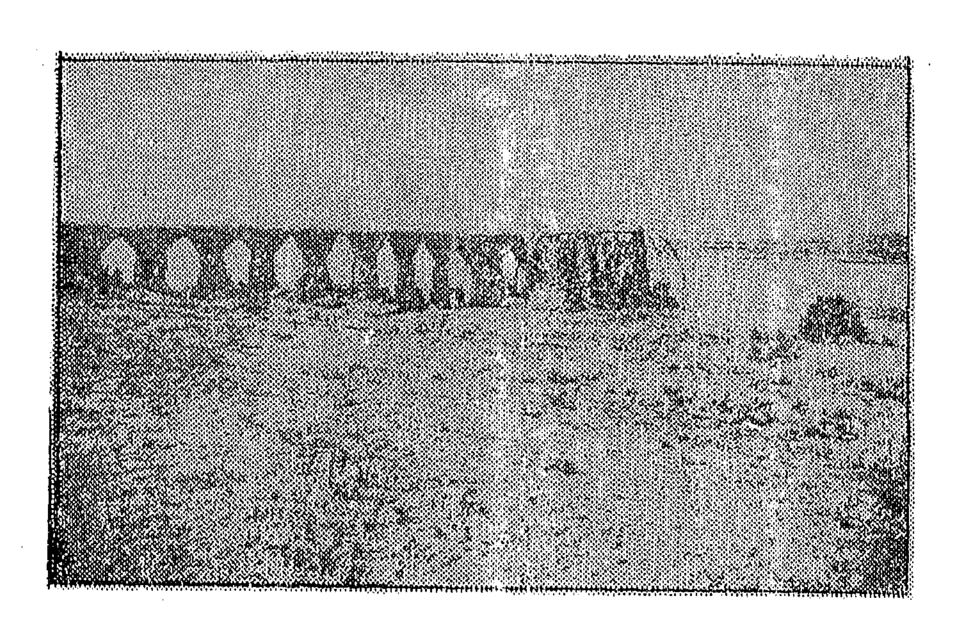
خرائب ارتاجه الى اليسار على جرف شديد الانحدار . وفي ٦٫٤٤ شاهدنا في حقول الهضبة اول رافعة ماء من نوعها المعروفة (بالناعور) (شكل ٩) وتتكون من دولاب كبير رُكّبت على حافته أوعية فخارية مستطيلة . ويظـــل الدولاب



شكل ٨ الجابرية

غائصاً في النهر الى عمق كبير ويستند محوره على دعامتين من الحجر ويرتبط بضفّة النهر بصفّ من الدعائم تحمل عقوداً (قناطر)وضع عليها حوض . ويحرك الماء المتدفق الدولاب ، فتمتلئ الجرار بالماء وينصب في الحوض ، ومنه يتدفق الى المزارع . ويسمع صرير هذه الدواليب ليلَ نهار .

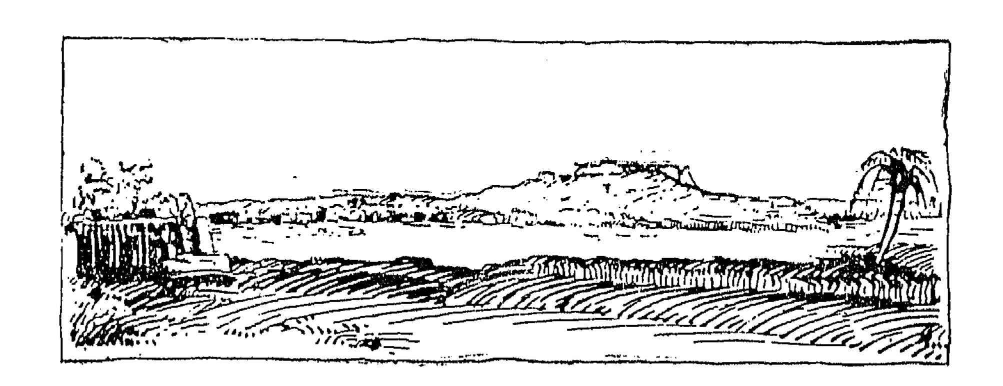
وفي الساعة ٦٫٥٥ بدت للعيان مزرعة قصر المشوّخ الى الشمال في مزارع الزعفرانة. في ٧٫٢٨ انحدرنا الى الفرات بقرب مزارع الزلّة . ثم استرحنا في



شكل ٩ ـ ناعور حقول الحافي

الزاوية من الساعة ٨ ، حتى ٥٠ر٨ وبعدها مررنا بسهل الربيضة الفيضي الذي تحيط به من الجنوب روابي اذينه حيث تشاهد جمالاً كثيرة ترعى . وكانت هذه قطعان عشيرة العبيد . حيث كانوا يخيمون في شعيبان الفحميات . وفي الساعة ٣٠ر١٠ وصلنا الى مخفر (جندرمة) النهية الواقع في جنوب الطريق قرب كومة مواد بناء قديم وكان يوجد الى الشرق منه مخيم كبير للدليم ، يمتد وسط مزارع البرقنية والافطارية . وفي ١٠ر١١ صعدنا مرتفعات مسقط الجبال الوعرة . وتقع على النهر من الناحية اليسرى خرائب الدينية ، تليها بقليل قريتان صغيرتان هما : المهيدية ، الابراهيمية ، وخرائب الخلاوي والنزالية ، ومزارع الهدرية . ولقد عثر في المدينة على آثار مختلفة من الزجاج ، والأباريق ، وأوعية فخارية كبيرة . وظهرت الى الجنوب هضيبات قور البطاطيح المنخفضة والى شمالها روابي الغزويات ، والى الشرق من الأخيرة هضيبة كتف المغر حتى اذ ابعدنا ناحية الشرق ظهرت

سلسلة منبسطة هي سلسلة الثميديات واسترحنا من ١١٫٣٥ الى ١٫١٠ بعد الظهر حتى اذا بلغت الساعة ٣٫١٠ كنا بجانب النهر مرة اخرى ، قرب مزارع الابرحيّة. وعلى اليسار كانت الفجوات التي كونتها (شعْبان الخضكه) تبدو سوداء اللون . وفي الساعة ٤٫٣٠ أقمنا مخيماً قرب مزارع العونيّة شمالي الحميديات .



شكل ١٠ ـ راوة من الجنوب الغربي

وفي ١٤ نيسان سنة ١٩١٢ مررنا خلال روابي الهلاليات جنوبيّ قرى الحسينية ، الشروانية ، السويويدة، الشرحلية ، والمنظرية . ومن ٦٫٣٠ حتى ٧٫٠٠ صباحاً كانت جمالنا ترعى في شعيب الحصَى ، حيث تطفح مياه نبع الرخيصى ، وشاهدنا امامنا مجموعة أبنية نصف مهدّمة تعرف بالمشهد (أو المشهد الكبير) ، والى الشمال منه توجد مطحنة وتمتد في شرقه بساتين قرية (راوه) يُطلّ عليها نتوء صخري وثكنة جنود ومزار الشيخ (رجب بن احمد) الرفاعي . وفي ٨٫٢٣ كنا عند المشهد الكبير . وهو قرية صغيرة خَرِبة تقع قرب مسجد تعلوه قبّة كبيرة وقبّتان صغيرتان (١٤) .

(١٤) كان المشهد الكبير فيما مضى ديرا مسيحيا ، وكان مقرا لمعين لمدة سبع سنوات ، ومعين هذا كان في وقت ما قائدا تحت حكم الملك الساساني سابور الثاني (٣٠٩ ـ ٣٧٩٠م)

لقد رأينا بقرب المشهد الكبير اول بقرات مُسَنَّمة . وكانت على يسارنا جزيرة (الكرابلة) الصغيرة ببيوتها الخمس واشجار نخيلها الجميلة . وفي الساعة ٩٫٦ كان الى يسارنا مرقد علي ، وما وراء ذلك ضريح الشيخ محمد ، وجزيرة صغيرة تسمى اللبّاد . وفي ٩٫٣٨ عبرنا شعيب [الكهف] ، ومن ٩٫٢٤ الى ٩٫٣٨ توقفنا أسفل اجراف صخرية شديدة الانحدار رأينا منها روعة منظر الشمال الشرقي . وتتوج الضفّة اليسرى من الفرات بساتين يانعة ترتفع فوقها مدرجات اكواخ قرية راوة (شكل ١٠) وتعلو هذه ثكنة القليعة العسكرية العظيمة . وفوق القليعة من جهة اليسار مشهد يؤمّه الزوّار يسمى مزار الشيخ رجب الذي يعلو على الأفق . وهنا ترتطم مياه الفرات بجزر صغيرة متعددة تغطيها اشجار النخيل . وترتفع على الضفة اليمنى أجرف صخرية صفراء متحدّرة ، تُخْفي الى حدّ ما نخيل عانة واكواخها . وقد بنى القليعة مدحت باشا سنة ١٨٧٢ ، لكنها مهجورة الآن ، لأنها اصبحت مكاناً للاشباح على ما يقال .



شكل ١١ عانة من الجنوب العربي

في الساعة ٩٫٥٠ وصلنا الى بساتين قرية (عانة) (١٥) . ومن بين الخضراوات التي تزرع هنا كان البصل والثوم اكثرها وفرة . اما فيما يتعلق بالاشجار ، فقد كان هناك ، فضلاً عن النخيل : الرمان ، والتين ، والتوت ، وفي حالات نادرة : الزيتون . وسرنا اول الأمر خلال البساتين وعلى امتداد المنحدر الصخري الذي توجد فيه مغارات كثيرة ، ما بين طبيعية ، وصناعية . وتابعنا السير بعدئذ في درب ضيق بين البساتين والاكواخ التي تراءت كانها لصقتْ بالصخور ، اذ لم يكن في القرية الا شارعٌ واحد يمتد خمسة كيلومترات تقريباً ، وينحصر بين صقع شديد الانحدار في الجنوب والفرات في الشمال . وانتظرنا من الساعة ١٠٫٥٣ الى ١١٫٤١ لمقابلة ممثل القائمقام ولكنه كان غائباً . ويقوم مبنى الحكومة بجانب (شعيب القنطرة) . ولما واصلنا السير رأينا على اليمين في الساعة الثامنة عشرة قبّة البرمكية ، ثم عبرنا شعيب الشيخ خضر ، حتى وصلنا في الساعة ١٢٫٧ بعد الظهر الى جسر مهدم (شكل ١١) يصل القرية بجزيرة حويجة القلعة — وتعرف فيما عدا ذلك بعانة العتيجة أو عانه العتيقة — حيث لا تزال هناك بقايا قلعة حصينة .

ولم نغادر محلة الهداهدة الا في الساعة ١٢٫٣٢ ويطلق هذا الاسم على المحلة الشرقية من عانة .

وأقدم محلة في عانة هي القسم الغربي : بيت الكحلى ، ثم يتبعه الحمران ، الصاغة ، السراية ، جميلة ، العوجة ، الشريعة — وتسمى ايضاً الدلابحة — السدّة . والهداهدة . ويسكن عانة نحو ٧٠٠ عائلة مسلمة ، و ٥٠٠ عائلة يهودية . ويقطن اليهود في محلتي العوجة والشريعة ، ولهم كنيسة ، ورئيسهم خوجه روبين بن مناحيم . وكثير من البيوت في الشريعة مبنية على طراز قديم (شكل١٢) وهي اما ان تؤلف مربعاً او مستطيلاً ، يضيق في أعلاه ، ويغطّيه سقف مستوٍ

(١٥) انظر فيما بعد ، الملحق ١٦ .

يحيط به جدار منخفض تنتظمه بعض الكُوَى . والكثير منها تتألف من ثلاثة طوابق ، ولكن الطابق الارضي لا توجد فيه نوافذ . وتسمى الجُزر التي بقرب عانة : لبّاد ، الحضرة ، المسجد ، البشن ، الخراب ، الشيخ نُصّار .

عـانة الى الفحيمي

وبعد ان تجاوزنا القرية سرنا في مزارع صغيرة زُرعتْ شعيراً ، وخيمنا في الساعة ١٫٣٠ بعد الظهر قُبالة شعيب ابى الجرابعة (شكل ١٣) . وارتفعت امامنا على الضفة اليسرى منارة (المفتول) التابعة لدير الملويّة المهدّم بالقرب من قرية صغيرة مهجورة تعرف بالحابولية .

في ١٥ نيسان سنة ١٩١٢ بدأنا الرحلة في الساعة ٥٫٥٠ صباحاً على شريط من السهل الفيضي الواقع بين الاجراف الصخرية العالية جنوباً وبين النهر . والسهلُ الفيضي في هذا الموضع ضيق صخري . وفي الساعة السادسة شاهدنا على اليمين مزرعة مهدّمة بجانب مرقد يسمى القصر أو المشهد الصغير ، وعلى اليمين الثغرة التي كوّنها شعيب القصر ، الذي ينبع فرعاه : الطويل وأبوتين بين طرق ابو سعد وخشم الوعرية . وفي الساعة ٦٫٢٥ عبرنا (شعيب المحدّر) ، وفي مقابل جزيرة تلبس الصغيرة المأهولة بدأنا الصعود الى هضبة (الراحانة) وتعرف ايضاً بالريحانة ، التي تحدّها جنوباً روابي منخفضة يتعرج خلالها وادي خجلان . وفي الساعة ٨٫٣٠ شاهدنا من خلال شعيب العوصية نخيلَ قرية الحبين على الضفة اليسرى . ثم تركنا جمالنا ترعى من الساعة ٩٫٣٠ الى ١٠٫٣٨ . وقبل الساعة الحادية عشرة بقليل التقينا بالقائمقام يصحبه عسكري برتبة رائد مع عشرين جندياً على ظهور البغال (البغّالة) ، يخفرون اثنين من رؤساء عشيرة الدليم قيلَ لنا انهما رفضا ان يدفعا للمرة الثانية بعض المستحقّات التي سبق ان اختلسها جابي الضريبة في قرية الحديثة . وفي الساعة ١١٫٣٥ وصلنا الى الفرات . وتقع في الشمال مزارع الاشويميّة ، البيجان ، والعوصية ، وفي جنوبها امتدّ شريط طويل من شجيرات الطرفاء والعوسج محاذياً النهر بعرضٍ يبلغ نحو ٣٠ متراً .

وقد اكسب تفتح عدد لا يحصى من الأزهار جميع الشجيرات لوناً احمر وابيض. وتغطي السفح ببســاط أخضر من مختلف النباتات السنوية والدائمة . وكانت جمالنا متعبة وجائعة ، وكنا نتوق الى حمّــام جيّد . ولذلك نصبنا خيامنا في الساعة ١١٫١٨ على الجهة اليسرى من الطريق العام ، بقرب الفرات نفسه .

لقد امضينا يومي السادس عشر والسابع عشر من نيسان في فحص ملاحظاتنا الطبوغرافية ، واستكمال نواقص خرائطنا ، وفي جمع النباتات ، وترتيب الصور الشمسية . وكم كنت أوَدُّ أن أضع قائمة خاصة بكل عشائر الدليم ، غير اني لم استطع ان اجد اثنين من المخبرين يتفقان بهــذا الصدد . فقد يختزلون مكانة العشائر المعروفة لهم الى مجموعات صغيرة أو حتى الى اسرة واحدة . أو لعلهم يصورون بعض الأسَر المنفردة في هيئة عشائر عظيمة في حين يجعلون العشائر التي لا يعلمون عنها الاّ النزر اليسير في عداد الأسر غير المهمة .

الفصل الثاني
الفحيمي الى الرمادي
الفحيمي الى وادي حوران

بدأنا رحلتنا في ١٨ نيسان سنة ١٩١٢ في الساعة ٥ر٤٩ صباحاً . وفي ٦ر٢٠ عبرنا شعيباً واسعاً هو شعيب الفحيمي (ويسمى أيضاً الحضر) وصعدنا الى مرتفع العوسجات . وعلى اليسار يقوم مخفر الفحيمي ، وأمامه كومتان عاليتان من الاحجار للدلالة على الطريق . ويسمى الشريط الضيق من المزارع التي تحاذى النهر (الجرن) حتى اذا بعدنا شرقاً ظهرت مياه النهر وهي تنخر الاجراف الصخرية الجنوبية مكونة عدة جزر صغيرة . ثم برزت بعد الساعة الثامنة على يسارنا جزيرة المرزوقية . وتقع على شواطئها الشمالية والشرقية قرى صغيرة هي : جرنه ، الشامة ، ترنانة (وفيها خرائب) ، شغياثه ، ترتاسه ، سوسه ، وشجال . ويجري الفرات بطيئاً متعرجاً بين شواطئ مزروعة واطئة ركثير من الجزر . والى الجنوب تظهر روابي العمري وابو شابور وهي روابي واطئة داكنة اللون . وفي الساعة ٩ر١٦ عبرنا شعيب السكة ، وفي ١٠ر٢ شعيب البارج . وعند قرية الباهية اقتربنا ثانية من الفرات . وظهرت الى الجنوب الروابي التي ينبع منها شعيب أبو شابور ، الذي اجتزناه في ١١ر٢٨ . أما على اليسار فكانت قرى صغيرة هي : البشتية ، طيمانية ، بني حارثة والجزل . وتركنا جمالنا ترعى من الساعة ١١ر٣٨ الى ١٢ر٤٦ في وادي الحجر .

في الساعة ١ر١٠ بعد الظهر مررنا بقرية البطينة ومرقد الشيخ حديد (شكل ١٤) والأخير مبني على قاعدة مربعة تستقر عليها خمس درجات مستديرة ؛ ويرتفع مخروط على الخامسة منها . ورأينا في الساعة ١ر٢٦ على يميننا ضريح السيد

محمد (شكل ١٥) ، وهو شكل مثـمن الأضلاع يحمل ثماني درجات مستديرة ومخروطاً . وكانت المزارع التي على اليسار تسمى : الخمسة ، علاته ، حبيب ، والمخاضة . وفي الساعة ٤٠ر١ وصلنا الى قرية الحديثة .

تقع الحديثة على جزيرة . وقد بُنيت بيوت القسم الشمالي منها بعضها قرب بعض وتنمو في قسمها الجنوبي انواع جيادة من النخيل . وثمّة جسر يؤدي الى الضفة اليمنى . ويقع بالقرب منه مخفر و (خان)، ونشاهد على الروابي المحيطة بهـا قبور بيضاء كثيرة (١٦) .

---

(١٦) روى البلاذرى (الفتوح ـ دى خويه ص ١٧٩) انه حدث في خلافة عمر بن الخطاب أن سار مدلج بن عمرو السلمى من الكوفة متجها الى هيت وحصون اخرى في تلك الناحية . وفتحها ، واسس الحديثة على الفرات . وقد زعموا ان ابنه ولد في هيت .

وفي النصف الاول من كانون الثاني (يناير) سنة ١٠٦٠م وصل الخليفة القائم من منفاه في عانة الى بلدة حديثة عانة ، ومنها عاد الى بغداد (ابن القلانسي ـ الذيل ـ أمدروز ، ص ٨٩٠ ، ابو الفدا : المختصر ـ ادلره ـ مجلد ٣ ، ص ١٧٢) .

وفي سنة ١١٢٢ ـ ١١٢٣م كان عامل بلدة الحديثة لعله الامير سليمان بن مهارش العقيلي (نسبة الى قبيلة عقيل) ، وقد أجار الوزير المعزول : جلال الدين بن صدقة الذى مالبث ان اعلن العصيان على الخليفة (ابن الاثير : الكامل ـ تورنبرغ ـ مجلد ١٠ ص ٤٢٥ .

اتابك ان اهل حديثة عانة كانوا بسبيل العصيان عليه وجه اليهم الجنود ،
اتابك ان اهل حديثة عانه كانوا بسبيل العصيان عليه وجه اليهم الجنود ،
فاستولوا على البلدة ، وقتلوا اشخاصا كثيرين ، وانتهبوا كل ماوجدوا هناك (ابن القلانسي كالسابق ص ٢٨٠) .

وفي سنة ١٩٠م استولى الناصر لدين الله على حديثة عانة ، لكن بعد مقاومة عنيدة ، وعلى ان يقطعوا الاراضي في مناطق اخرى (ابن الاثير كالسابق مجلد ١٢ ص ٣٨) .

ويذكر ياقوت (المعجم ، مجلد ٢ ص ٢٢٣) ان حديثة الفرات (وتسمى ايضا حديثة النورة) تقع على بعد عدة فراسخ من الانبار على جزيرة في الفرات ، وكانت بمثابة حصن ذى اهمية ملحوظة ، وينقل عن السمعاني (توفى سنة ١١٦٦ ـ ١١٦٧م) قوله ان الحديثة كانت مقرا لطائفة النصيرية .

ويعين ابو الفداء (التقويم ـ رينو وديسلان ـ ص ٢٨٧) موضع بلدة الحديثة بين الانبار وعانة .

وتتجمع جنوبيّ الحديثة قرى : المحسّة ، القايد ، حندول ، ميلان ، سرو ، مجيود ، النجمي ، الحجر ، بني ظاهر ، قرهيفة ، والشرونة ، وعند الأخيرة ينتهي وادي خجلان ويعلوها مرقد الامام علي(ع) . وكل هذه القرى تسمى ايضاً بني ظاهر . وعندما اصبحنا مقابل جزيرة الوربان في الساعة ٢٫٤٧ صعدنا الى مرتفع مفازة الدبس . وفي الساعة الثالثة اجتزنا وادي خجلان العميق حيث يمكن رؤية جزيرة التيمية . وهي جزيرة صغيرة في الفرات تقع الى الاسفل منه : وقادنا طريقنا الى سهل القائد وهو سهل اجرد سفعته الشمس لا توجد نباتات سنوية فيه الا في بعض المواضع السفلى منه (حمري) . وفي الساعة الرابعة عبرنا شعيب الزغادان وفي ٥٫٢٠ شعيب اليهودي ، وفي ٥٫٥٥ انعطفنا يساراً ثم انحدرنا على الجانب الغربي من أخدود قصير يهبط الى النهر مقابل جزيرة (آلوس) ، حيث خيّمنا لقضاء الليلة فيه . ويوجد في هذه الجزيرة عشرون بيتاً مرتفعاً متين البنيان كما تنمو فيها اشجار نخيل ضخمة (١٧) . وفي اسفل الأجراف الصخرية المُطلّة على الضفّة اليمنى تقوم قلعة مهدّمة . وكان البرق يومض في تلك الليلة على بلاد الرافدين .

١٩ نيسان سنة ١٩١٢ . . منذ ساعة مبكرة اي في ٦٫١٧ قبل الظهر حملتنا الجمال خلال سهل متموج تخترقه شعبان الخفاجيات ، وتنتظم سفوحه كثير من المغارات . وفي ٦٫٨ أطلعنا الدرك بالقرب من شعيب بنات الحسن على بعض هياكل عظمية لخيل وجمال ، وهي بقايا معركة نشبت بين (الدرك) ومحاربي قبيلة الظفير . وكانت الظفير ، التي تقع مخيماتها بالقرب من الخليج العربي ، قد هاجمت قافلة تابعة لتجار من اهل عانة كانوا يجلبون تمباكاً (التبغ للنركيلة) وعباءات فاخرة من بغداد . وقد قُتل دركيان ، وجرح ثلاثة ، وسُلبت القافلة كلّ ما معها من متاع . اما التجار فقد لاذوا بالفرار ، ولكن الجمال وما عليها من احمال استحوذ عليها رجال الظفير بأسرها . اما الحيوانات التي وقعت فقد

---

(١٧) ويشير ياقوت (المصدر السابق ، مجلد ١ ، ص‌ص ١٦٥ ، ٣٥٢) الى قرية الوسا او الوس بالقرب من عانه والحديثة على الفرات .

ويضيف ابو الفضائل (المراصد — يونيبول — مجلد ١ ص ٨٨) قوله ان الوس تقع اسفل من عانات ، غير بعيد من الحديثة .

سلخ جلودها الفلاحون واشباههم واقتطعوا خير اجزاء لحومها ، وتركوا ما بقي منها فريسة للحيوانات . في ١٥ر٨ عبرنا وادي حوران (١٨) .

وادي حوران الى هيت

في الساعة ٢٨ر٩ تراءت لنا في الجنوب الشرقي اشجار النخيل في قرية الجبّة الى الجنوب الشرقي ، أما الى الشرق ،فكانت بساتين القرى واكواخها تحتضن المنحدر الصخري على الضفة اليمنى من النهر عند جزيرة آلوس . وهذه القرى الصغيرة هي : الفليفلي ، السبوروت ، القصب ، الجديدة ، جنفة ، الوردية ، الرِّبعيّ ، عناية ، الصوينخ ، ابلى ، ابو العلا ، الابرازية ، الجودفيه ، السمعانيه . والمروانية ، والأخيرة تقع قريباً من جبّة . وفي ٣٩ر٩ شاهدنا الجزيرة — وعليها قرية الجبة — الى الشرق منها مباشرة ، وكنا آنذاك نقترب ثانية من الفرات(١٩) .

وإلى الجنوب من جبة تقع قرى الجدامية ، ام دويل (وتسمى أيضاً جَنَفْته) ، المشهد ، المهيريّة ، بيت خلف ، والحلبسية .

وقضينا فترة استراحة من ٢٥ر١٠ صباحاً الى ٣٠ر١٢ بعد الظهر . وفي ٩ر١ اجتزنا شعيب القصر ، ويقوم على مقربة منه مخفر (درك) وخان البغدادي على ضفاف الفرات . وفي ٢٠ر١ كان على يسارنا بستان كبير هو ملك فهد بن هذّال شيخ قبيلة العمارات . وينتهي شعيب العشلي في هذا البستان . ثم تابعنا

---

(١٨) بطليموس (الجغرافيا) م ٢٠ ، ٣ يشير الى منطقة اورانتس بالقرب من الفرات في بلاد بابل . فاذا كانت كلمة أوران لم تنسخ خطأ من ارام ، فيجب ان نبحث عن اورانتس في المنطقة المجاورة لوادي حوران ، ولو ان هذه المنطقة لم تكن في بلاد بابل وانما كانت في بادية الشام . بيد ان بطليموس كان في الغالب يضع الاماكن في البلاد المتاخمة ، ولعله فعل ذلك بالنسبة الى اورانتس . وكان الجزء الشمالي الغربي من بابل يسمى ارامتس

(١٩) ويذكر ياقوت (المصدر السابق) مجلد ٢ ، ص ١٣ وابو الفضائل (المصدر السابق) مجلد ١ ص ٢٤٠ جزيرة تسمى الجبة بالقرب من هيت .

طريقنا متجاوزين روابي البيادر على اليمين، بينما بدت على يسارنا بساتين وقرى سحاقية ، الجديدة ، الوسيطة ، لمّاع . المجاول ، الدرعة ، البشيري، الزويّة، الزريج ، الدويلية ، وخرائب الجابرية الواقعة عند مضيق من الأرض . وتقع وراء المضيق : الجنانية ، الزرّاعة ، العيايسة ، الاسّية ، المشقوقة ، القطبية ، القراية ، الضحيخة ، النغاشة ، البازية ، النويعم ، الفالح ، الورشانية ، الحريدية ، الخضارم ، بني خزرج ،المفردات ،الدّبّية ، سعدان ، الشيخ ظاهر ، السكارية ، البسطامية ، البثية ، الابردية ، السليّة ، الخولدية ، السريدية ، السمعانية ، المشخن ، جزيرة غانم ، البلاتية ، الحسنيه ، الشيخ السليّة ، القاميّة ، الدليثة ، الحجر ، وكنان القريبة من بلدة هيت .

واسترحنا من ١٨ر٢ الى ٥٦ر٢ في موضع غير بعيد من جزيرة (ناووسه) المأهولة (٢٠) .

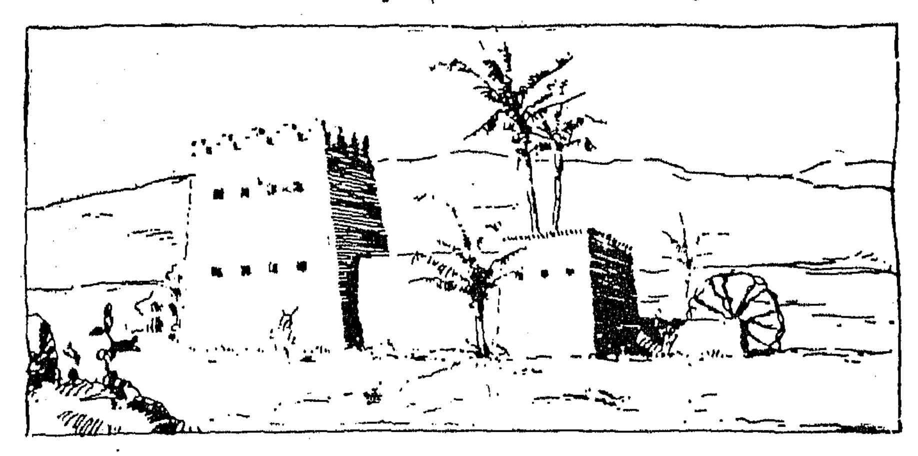
كان الحر شديد الوطأة ، وخاصة لأن شبه جزيرة (المعيزيلة) باعدت بيننا وبين برودة النهر عندما كنا نقطع سهل سيباط الأجرد الذي لفحته الشمس . وفي الساعة الخامسة عسكرنا في منخفض غربيّ الطريق العام .

في ٢٠ نيسان سنة ١٩١٢ كنا نسير في ارض صخرية وعرة ترتفع فيها روابي مخروطية الشكل تتوزع هنا وهناك . وفي الساعة ٥ر٦ قبل الظهر اجتزنا شعيب الفالج الأول وفي ٢٨ر٦ عبرنا شعيب النالج الثاني ، حيث تنمو نباتات الشيح والعنسل بكثرة . والى الشرق منا بدا للعيان مرقد الامام ابو الزين قرب قرية الشيخ ظاهر ، والى الجنوب الشرقي ارتفعت من مدينة هيت سُحُب دخان اسود

(٢٠) الناووسة محطة قديمة على الطريق من بغداد الى الرقة .
ويقول الادريسي (النزهة ــ ترجمة جوبير ، مجلد ٢ ، ص ١٤٤) ان الناووسه بلدة صغيرة كثيرة السكان على جزيرة فى الفرات ، وينمو في البساتين المحيطة بها انواع فاخرة من الفواكة والخضروات المختلفة .
ويلاحظ ابو الفضائل (المصدر السابق ، مجلد ٣ ص ١٩٢) ان مستوطنة الناووسه تقع في منطقة هيت الادارية .

وفي الساعة ٥٧ر٦ دخلنا أراضي السهلية والحسينية المالحة . وفي ١٢ر٧ تجاوزنــا جزيرة صغيرة تسمى الافليـــوي (او الفليوى) ، التي حولت الى بستان . ومن ٣٢ر٧الى ٢٠ ٥ر٧ ملأنا قرّبنا ماءً في بساتين الشيخ محمد السليّة . وفي ١ر٨ تركنا الفرات وسرنا بين روابي واطئة جرداء، وفي ٢٨ر٨ مررنا خلال شعيب واسع هو شعيب المرج يمتد بين أجراف بيضاء شديدة الانحدار . واسترحنا من ٣٤ر٨ الى ٢٢ر٩ .

وأخيراً ظهرت للعيان بلدة هيت(٢١) وقد تصاعدت منها أعمدة دخان تزداد علواً وسواداً . وتحجب كثافة خضرة بساتين قنان و(البصاير) و(القندي) هذه البلــدة ، ولـم يكن يُـسرَى من ناحيتهـا الشرقية سـوى عـدد من البيوت القاتمة ومئذنة مائلة تنذر بالخطر . والى الجنوب امتدت حافة عريضة واطئة هي حافة (قوس السنّ) ، وبرزت الى الجنوب منها منارة المعيميرة (المعمورة) العالية . وفي ٣٠ ٥ر١٠ وصلنا الى سكة حديد ضيقة ، استخدمت لنقل احجار البنـــاء من المقالع القديمة في المعيميرة الى الفرات . وكانت الأحجار تنقل في قوارب الى الهندية لاستخدامها في بناء سدة على الفرات . ويظهر الى غربيّ سكة الحديد هذه، وعلى طرف البساتين ، مقام علي وهو مرقد صغير نصف مهدم

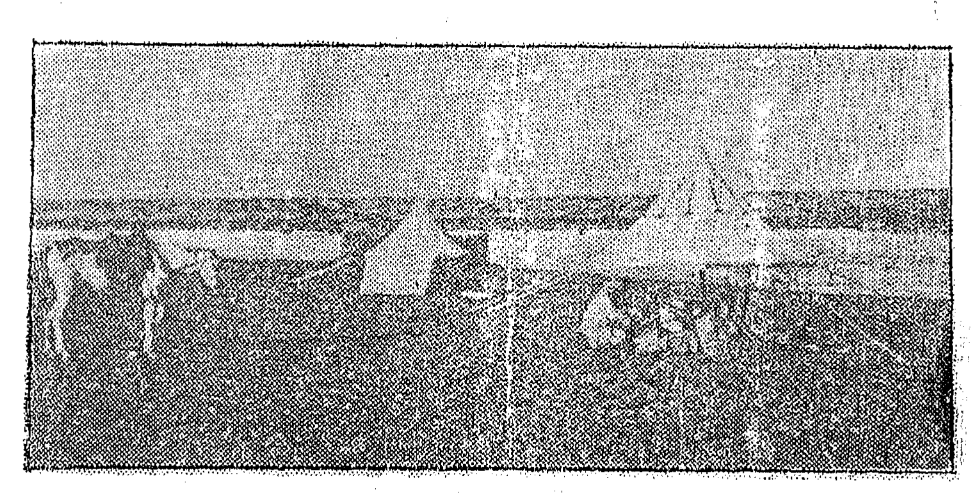


شكل ١٢ ــ بيت رجل يهودي في عانة

(٢١) انظر فيما بعد ، الملحق ١٧ .

يقع على مسافة قصيرة من نبع يطفح بالماء . ومن ١٠ر١١ الى ١٥ر١٢ بعد الظهر توقفنا عند بساتين الدوارة الواقعة في الجهة الجنوبية من المدينة . وذهب ناصر لشراء الملح ، وبعض الخضراوات وشيْ من الشعير ايضاً لحصان الدركي .

أن البيوت السمراء الغامقة في مدينة هيت تغطي ربوة مصفّرة اللون مخروطية الشكل من اعلاها الى ادناها ، ويبلغ ارتفاعها نحو ثلاثين متراً . وتقع اوسع البيوت واعلاها في الجانب الشرقي ، حيث يقوم المسجد القديم ومنارته المائلة ايضاً . ويفصل المدينة القائمة الربوة المخروطية عن (الخانات) والمخازن التي في لحفها الجنوبي الغربي شارع عريض . وتوجد بين الضاحية وبساتين الدوارة افران تستخدم لصهر القار وتصفيته . ويبلغ سكان هيت نحو خمسة آلاف نسمة ، ينتمي ثلثاهم الى قبيلة الدليم ،ونحو خمسهم فقط ينتسب الى قبيلة عقيل . وتتألف بيوتهم عادةً من طابقين ، والشوارع ضيقة ، ملتوية وقذرة ، اذ أنها لا تغسل الا اثناء سقوط امطار الشتاء الغزيرة . وترتفع المنارة الطويلة فوق البيوت . وتوجد بين السكان عائلات يهودية متعددة عاشت هناك منذ أزمنة قديمة . وعائلة (الياسين) ابرز عوائل المدينة وعلى رأسها محمد بن ذياب . والمهن الرئيسية للسكان هي : جمع القار والنافثا ، قلع الحجر ، البستنة ، وبناء (الشخاتير) . والمواد



شكل ١٣ مخيمنا على الجهة المقابلة لشعيب (أبو الجرابيع)

المستعملة في صنع هذه القوارب هي الخشب وجريد النخيل ، والقار الذي يستخدم لطلائها من الخارج والداخل . وسعر القارب ستة او سبعة ليرات تركية (٢٧ أو ٣١٫٥٠ دولاراً) . وكل عيون النافتا والملح ملك للحكومة وتؤجر لقاء مئة مجيدي(٩٠دولار) حتى مئتي مجيدي (١٨٠ دولاراً) . ويستعمل القار (الجير) في البناء ، كما يستخدم في طلاء سطوح القوارب التي تصدّر الى كربلاء بصفة خاصة . وبساتين هيت ضيقة جداً وتقع على ضفة النهر فقط . إذ على مسافة قليلة منها تصبح التربة مشبّعة بالملح الى حد يمنع نمو أي شئ فيها . امّا بستان الحمّادي ، الذي يجاور بساتين (بنّان) فقد غرس حديثاً في شرق الدوارة .

ان الاراضي الواقعة بجوار هيت تتكون من حجر كلسي أصفر ، تغطيه طبقة جبس سميكة تبلورت بصورة غير منتظمة تنبثق منها عيون كثيرة مجة او مرّة الماء نوعاً ما . ومن مثل هذه العيون تشمّ رائحة الكبريت وتتسرب من هذه العيون غازات مختلفة ، مكوّنة فقاعات كبيرة . ويشبه القار الذي يتدفق على السطح زبداً قذراً . ويتسرب الملح على حافات العيون محاطاً بوحل وردي اللون . ويُغرف القار بسعف النخيل ، ويخزن في شكل قطع كبيرة ، ثم يُخفّف باضافة الكلس اليه ويصدّر في القوارب. وتُنسج في هيت أوعيه من القش وسعف النخيل كذلك وتُطلى بالقار من الداخل والخارج ؛ ثم انها تُعلّق على دواليب ونواعير تستخدم لرفع الماء من الفرات لريّ البساتين . ويبلغ قطر هذه الدواليب من عشرة الى خمسة عشر متراً . وتوجد جنوبيّ هيت منطقة واسعة مستوية فيها عدد لا يحصى من عيون مجة الماء ، ويجري الماء الى خزانات مربعة الشكل ، حيث يستخلص منه الملح بطريقة التبخير . وأهم عيون القار هي : عين لطيّف ، الدروبي ، لايج المعمورة ، المرج ، والجرب (عين الجربة) .

المعيميرة قرية غربيّ هيت ، لم يبق منها سوى مسجد . فقد انتقل سكانها الى قرية (الكبيسة) .

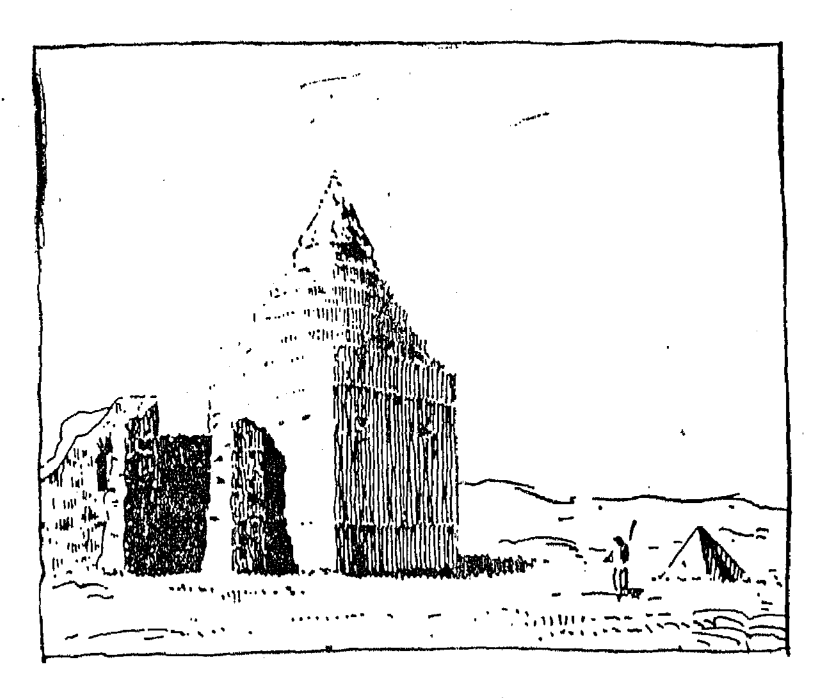
ويروي ان رجلاً من قبيلة الدليم تزوج فتاة من هيت واتى بها الى خيمته حيث جعلها تعاونه في حلب غنمه وبقراته غير ان الحياة في المرعى المشمس لم ترق لهذه

الفتاة . فقد تشوقت الى مسقط رأسها وقالت لزوجها : حتى وان كنت تحب هذه الارض المشمسة ، فاني لا أحبّها ، إعطني صوت النواعير وبساتين النخيل في هيت .

ومن هيت كان طريق النقل القديم الى دمشق يتجه غرباً . وكانت قريـــة (كبيسة) التي تبعد خمسة عشر كيلومترا تقريباً الى الغرب هي نقطة البدء الفعلية .

ويسكن (كبيسة) نحو تسعمائة عائلة اقواها بيت راضي وعلى رأسه فرج ابو الحافظ . وهناك عيون كثيرة ؛ واعذب المياه ينبع من عين العذي .

والاراضي المجاورة كلها تحولت الى بساتين واسعة كثيرة النخيل ليس للزيتون أثر فيها . ومعظم السكان يعيشون على التجارة مع البدو ، ومن هنا اشتقت كلمة الكبيسي (وجمعه كبيسات) ومعناها البائع المتجول .



(شكل ١٤ ـــ قبر الشيخ حديد)

تقع قرية (كبيسة) شماليّ وادي الشعير (٢٢) ، الذي يعرف بـ(شعيب البزم) حينما يبدأ في سهل فيضة العابج عند غدير العوج ورجم الصابولن ثم يسير متعرجاً بين هضيبات المظاهير المنحدرة الجوانب . ويتصل بهذا الوادي من الجهة اليمنى بـ (شعبان) أبو العفين ، الشـواء ، وابو جلطة . وتقع على طريق النقل في القسـم الرئيسي من وادي الشعير خرائب تصر خبّاز ؛ كما تتدفق ميـاه عينيّ الزعزوع والعذي كذلك بالقـرب من هـذا الوادي ؛ وتوجـد في شعب ابو العُفين : عينُ العواسل ، وفي شعيب ابو جلط : عينا الشيخ والعصفورية .

وعلى بعد ثلاثين كيلو متراً تقريباً جنوبيّ الكبيسة تتدفق عين القار المسماة بـ(ابوالجير) ، تحيط بها مزارع عشيرة جليب (كليب) . واذا بعدنا جنوباً وجدنا هذه العشيرة تزرع المحاصيل ايضاً بالقرب من آبار (الثميل) . وليس هنالك بيوت بل بضعة اكواخ بائسة .

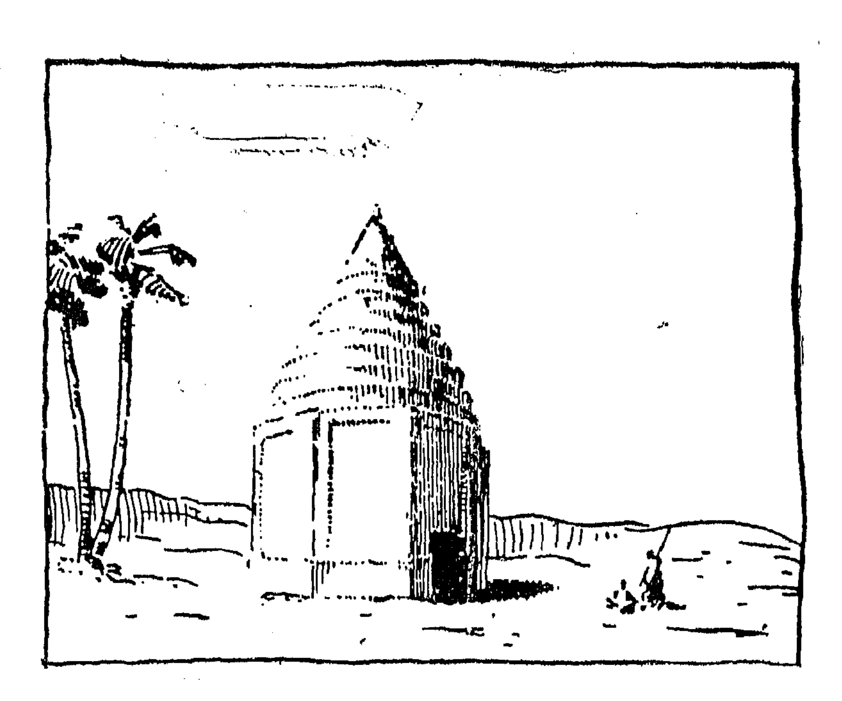
---

(٢٢) ذكر ياقوت (المعجم ــ مجلد ٤ ص ٢٣٥) ان كبيسة على في طريق برية السماوة على اربعة اميال من هيت ، منها تسلك البرية وهناك عدة قرى اهلها على غاية الفقر والفاقـة وضيق العيش لانهـم في جوار الباديـة

وفي ربيع سـنة ١٣٢٠ اجبر الزعيم الرئيـسي مهنا مـع قبيلة العيسى على الخروج من الاراضي المجاورة للسلامية ، فاقاموا خيامهم في المنطقة المحيطة بعانة والحديثة على الفرات . ولم يلبث الجنود السوريون ان طاردوهم حتى بلغوا الرحبة وحتى دانه : ومن هناك هربوا الى الصحراء التى ماوراء الكبيسات (ابو الفدا : المختصر ــ ادلر ص ٣٤٠ فما بعد) وتدل الكبيسات على مجموعات من الاكواخ في واحة الكبيـسة ، على بعد خمسة وستين كيلو مترا من الحديثة .

ان اسم عين (العط) يومىء الى اسم (العصا) ، الذى يقـول ياقـوت عنه (في المصدر السابق مجلد ٣ ص ٦٨٣) انه موضع على شاطىء الفرات بين هيت والرحبة ، ونسبه الى العصا فرس جذيمة الابرش التي نجا عليها قصير وكانت الملكة الزباء قد قتلت جذيمه غيلة . واشتهر بين قبائل العرب امر هذه المعركة المعروفة بيوم العصا والخيفق .

ان موقع عين العذي الموجودة اليوم بالقرب من هيت او الرقـة حيث كانت تقيم الملكة المشهورة الزباء ، يتفق وموقع عين العصا . ولعـل هذا الاسـم الـوارد في روايـة ياقـوت كـان ينبغي ان يكتـب (اذا) بدلا من العصا ، وهو خطأ ليس من الصعب وقوعه في الخط العربي . كما ان اسم العصا يشير الى اسم قرية القوصية .



شكل ١٥ — ضريح السيد محمد

هيت الى الرمـادي

في الساعة ١٢ر٥٠ بعد الظهر وصلنا الى الحافة الجنوبية لمستنقع السبخة المالح. حيث استرحنا حتى ٢ر٢٨ ومرض اميرنا (البرنس سكستس آل بوربون) من الحرّ ورائحة القار . ثم تقدمنا بعدئذ حتى ٣ر١٠ مخترقين سهلاً صخرياً ، ابيض ، متموجاً . واختفت الأجراف التي تطلّ على ضفة الفرات اليمنى عند خرائب (كلكه) الواقعة الى الشمال الغربي من هيت ، ولا تظهر للعيان ثانية الا عند الطرف الجنوبي الغربي لبساتين (بنّان) ، حيث يقطعها مرتفع المرج والعقبة (العُكَيْبة) وحوالي الساعة ٣ر٢٠ كنا في ممر المضيج [المضيق] المحصور بين الأجراف والنهر . وتتدفق على سطح المرج الشمالي الغربي عين الرّيّان . وبعد الساعة الرابعة سرنا مخترقين احواض ملح الشعير ، الخوجه ، والمحمّدي التي استغلت في الزراعة جزئياً. وفي الساعة ٤ر٤٥ شرعنا في صعود بروز العقبة

الصخري ، حيث أقمنا خيامنا على سفحه الجنوبي في ١٠ر٥ . واندفعنا فوراً الى النهر للاغتسال من غبار الملح الذي غطّانا تماماً . وكانت الحرارة محرقة ، والريح شرقية منهكة .

ويتفرع أسفل نتوء العقبة مباشرة نهــر قديم مطمور يمتد نحو الجنوب الشرقي مخترقاً سهل (ابو طيبان) الخصيب وقد رصفت ضفاف هذا النهــر عند بدايته بالحجر رصفاً محكماً . ولعلّ السبب في ان الضفة اليسرى قــد دعّمت بجدار متسع العرض يرجع الى حاجة سهل ابو طيبان الى سد يحميه من التآكل بفعل مياه الفرات .

وفي ٢١ نيسان سنة ١٩١٢ كنا على سروجنا في وقت مبكر ابتداءً من الساعة ٢٧ر٥ صباحاً . وقد سكنت الريح تماماً والتفّ الشرق كلّه بوهج ذهبيّ اللون . وتراءت النخلات كأنها اشجار هائلة الحجم وقد برزت اعاليها فوق الأفق وكادت تلمس السماء . وسرنا بمحاذاة الجانب الشرقي من (جدول كري سعده) خلال حقول تكون جزءاً من سهل ابو طيبان . وانخفض ارتفاع الاجراف التي تسد وادي الفرات من جهة الغرب – الى جنوب العقبة واخذت تبتعد عن النهر. وترتفع على اليمين في وسط السهل الخصيب ربوة خرائب (تليل العــدّة) ؛ وفي ٢٥ر٦ كان الى الغرب منا ، والى الشرق منا يتصــل جدول (كري سعده) بالفرات ثانية . حيث يلاطم ماؤه نتوءاً صخرياً يسمى (الاسود) . ثم ينعطف انعطافاً كبيراً نحو الجنوب وفي ٤٧ر٧ بلغنا مزرعة و (خان) ابو ريّات ، وتوجد هنا عدة برك صغيــرة مملوءة بمياه الفرات . وظهرت شمال النهر نخيل القطنية كما ظلت جمالنا ترعى من الساعة ٣٥ر٨ الى ٤٠ر٩ . وكانت القطا قد تجمعت على بركة تطفيْ ظمأها . . وقد أخذت تهوي من طيرانها في صف طويل الى سطح الماء وتشرب واحدة بعد أخرى من المكان نفسه دون ان تكُفّ عن طيرانهــا ؛ ثم تستدير ، وترجع لتشرب مرة أخرى . ولم تغادر المكان الا بعد أن ارتوت واخذت كفايتها من الماء. وكان ثمة آلاف من هذه الطيور تكون شكلاً بيضياً عظيماً . .

في الساعة العاشرة وصلنا الى سلسلة روابي (السرج) . وتقع هذه على مسافة قليلة فيما وراء ضريح الإمام وَيَس وتمتد هذه جنوب الاجراف شمالاً على مسافة قريبة جداً من الفرات . ويتكون ضريح الإمام وَيْس من قبة بيضاء ناصعة تقوم على قاعدة مربعة ومن فناء . ومن ١٠ر٣٠ الى ١١ر٤٥ توقفنا في سهـــل المياذين الذي تقطعه جداول صغيرة ضحلة . ولقد أفزعْنا كذلك عظاة (أرول) هربتْ امامنا بسرعة البرق حتى انّ محمداً نفسه — وهو العدّاء الماهر — لم يستطع اللحاق بها . وكان الفلاحون في حقول (الخرفشة) قد بدأوا حصادهم . بعد ان نضج القمح نضجاً تاماً . ولكن الحبوب كانت صغيرة ؛ وفضلاً عن ذلك لم يتمكن الفلاحون من طرد اسراب القطا وهي تطير من حقل الى آخر وتتلف سنـــابل القمح . وأخـــذت بساتين مدينة (الرمادي) اليـــانعة تومئ الينا من بعيد . وفي الساعة ٢ر٥٣ بعد الظهر عبرنا جدول الورار ثم جـــدول الشريعة في ٢ر٤٠ . وفي الساعة الثالثة عبرنا جدول العزيزية ودخلنا بساتين نخيل الرمادي وبلدتها . وفي ٣ر٣٠ خيّمنا في مرج مستنقع يقع الى الشمال الشرقي من البلدة .

والرمادي بلدة غنيّة ، يقطنها نحو ١٥٠٠ نسمة ، يملكون جميع المزارع الممتدة من (بنّان) الى الفلّوجة . واغنى اسرة فيها بيت عريم يمثلها الحاج علي . وقد عاش في هذه البلدة ، مدة اربعين سنة ، او منذ ايام مدحت باشا ، الذي زاد في عمرانها كثيراً ، بل يمكن القول بانه أسسها . ويعيش في البلدة نحو ١٥٠ يهودياً مع المسلمين ، وكان لهم كنيسهم . وقد بنى على بن سليمان البكر ، شيخ الدليم ، بيوتاً كثيرة في القسم الجنوبي من البلدة . ومع انّ البلدة والمنطقة المحيطة بهـــا كانتا تداران من قبل القائمقام ، او موظف تركي من درجة ثانوية ، فقد اطلق الفلاحون عليها اسم (الولاية) وعلى غرار ذلك اطلقوا اسم (الولاية) على هيت وكربلاء ، مع انه لم يكن هناك والٍ او محافظ يقيم فيها .

وتفاوضنا مع القائمقام لتزويدنا بخفير يصاحبنا لرحلتنا المقبلة ، وأكملنا تجهيزاتنا ، واشترينا شعيراً لخيـــول الدرك . والى جانب ذلك قمت بترتيب وثائق الخرائط ورسمت خريطة اولية للاقليم الذي كنا سنمر فيه .

والى الشرق من الرمادي تقع بساتين حقول القطنية ، الجوبية ، الصوفية ، المشيهد ، السّحلات . والى الجنوب منها ترتفع ربوة عليها مشهد قديم . (٢٣) ويفصلها منخفض (المنسربة) عن روابي (المظاهرات) التي تسدُّ من ناحية الجنوب سهل الفرات الفيضي وقُرى السررة ، القصيبة ، والسطيح . والى الجنوب الشرقي من القرية الأخيرة ، تقوم على اجراف (الرعيان) الصخرية ، خرائبُ الرحايا (٢٤) .

---

(٢٣) ان ضريح المشهد بقية من قرية صندودا . وفي سنة ٦٨٤ ـ ٦٨٥م سار سعد بن حذيفة بن اليمان من ترقيسيا بطريق هيت وانضم الى المثنى بن مخربه العبادى عند صندودا ، حيث مكثوا يوما وليلة (تاريخ الطبرى سلسلة ٢ ص ٥٦٨) .

ويروى ابن منقذ (الاعتبار : دير تيبورغ ، مجلد ٢ ص ١٢٨ فما بعد) ان الخليفة المكتفى بأمر الله زار في سنة ١١٥٩ ـ ١١٦٠ الجامع الذى بنى اكراما لامير المؤمنين في ضواحى الانبار على الضفة اليمنى من الفرات وكان ذلك في صندودا .

ويذكر ابو الفضائل (المراصد : مجلد ٢ ص ١٦٨) ان صندودا كانت قرية في غربي الفرات فوق الانبار خربت وبها مشهد لعلى بن ابي طالب (رض) .

وقد لاحظ الرحالة بدرو يتخيرا عندما كان على بعد فرسخين خارج ام الروس ـ جامعا يسميه العرب مكست سنداديه على مسافة نحو ثلاثة فراسخ عن يساره (يتخيرا : الرحلات ـ ترجمة سنكلير ص ٧٥) وتقع ام الروس على نحو اثنى عشر كلو مترا شرقي الشمال الشرقي من المشهد .

(٢٤) وبالاعتماد على خط رحلة توكولنى أنورتا الثانى يمكن ان نعد هذه الخرائب بقايا المدينة الحدودية القديمة : ربيقى (المحوليات : شيل سنة ١٩٠٩ ، شكل ٢ المقابل ٢ ـ ٥٦ ـ ٥٧ ، شيل [السابق] ص ١٦) .

واستولى حمورابى في القرن الحادى عشر على بلدتى ربقو وشليبى (كنغ : التواريخ ، ١٩٠٧ مجلد ٢ ص ٩٩ .

ويقول اددنيرارى الاول (حوالى ١٣٢٥ق م) في تاريخه رولنسون : نقرش مسمارية مجلد ٤ شكل ٤٤ ، المقابل ١ ، ٧

وجنوب خرائب الرحايا ، يتّسع سهل (شط العتيج) [العتيق] ؛ وترويه سواقي الفلاّحات ، نصّاف الزوير ، والزعيريّة . وشمال حقول الفلاحات ، التي تقوم في وسطها خرائب البارود ، يرتفع جرف الحمر والحيطان ومرقد صغير للشيخ مسعود ، والى الشرق من ذلك تقترب صخور (المؤيد) من الفرات . حيث يحدّها شعيب الخضر من الجنوب. ومن الرمادي سافرنا عن طريق (عين التمر) الى النجف . (٢٥)

الحوليات : بادج وكنج ١٩٠٢ ص ٥) ان ربيقو موضع من مواضع النغور على حدود الامبراطورية الاشورية .

تكلات بلاسر الاول (١١٢٠ ــ ١١٠٠ق م) فتـح المدن العظيمة التاليـة مع حصونها : دور ــ كوريكالزو ، سبر شاشمش ، بابل ، اوبى ، وانتهب اكرسلو حتى بلغ لبدى ، وكذلك شوخى حتى ربقى وقد فتحها جميعا . في المصدر السابق مجلد ٣ ص ٤ رقم ٣ عمود ١٨٢ ــ ٤٢ و شرايدر المصدر السابق مجلد ١ ص ١٩٨) .
مجلد ١ ص ١٩٨) .

ويذكـــر شتريـــك (ابحـاث في الخط المســـــماري : ســـــنة ١٩٠٦ ص ٣٦ فما بعد) ان اسم ربيقى التى على حدود شوخى قد ورد لاول مرة اثناء حكم مردوك نادينااكه (حوالى ١١٠٠ق م) .
ويفتخر اشور ناصر بال (نقش مخير : رولنسن : المصدر السابق مجلد ٥ لوحة شكل٦٩، المقابل ١، ٩ ــ لا يارد : نقوش معتمدة سنة ١٨٥٢ لوحة١ ومابعدها ــ تواريخ ، رولنس : المصدر السابق مجلد ١ : لوحات ١٧ــ٢٦، عمود ٢ ، ١ ، ١٢٨ ــ المصدر السابق صفحات ١٦٣ ، ١٦٩ ، ٢٥٤) بأنه اصبح سيدا على جميع بلاد لقى وبلاد شوخى التى فيها مدينة ربيقى .

ويذكر سرغون (نقوش اسطوانية : رولنسن في المصدر السابق مجلـــد ١ لوحـــة ٣٦ ، ص ١٢ وما بعدهـــا ــ باشراف شرايـــدر مكتبة النقوش المسمارية مجلد ٢ ص ٤٠) انه فتح دور ــ كوريكالزى ، ربقو ، وجميع الصحراء الى حد غدير مصر .

(٢٥) لما كان هذا الجزء من رحلتنا قد استلزم توغلنا في الصحراء وابتعادنا عن الفرات فاننا اتينـا عـلى وصفـه في كتابنـا الصحـراء العربيـة نيويورك سنة ١٩٢٧ الصفحات ٢٣٠ ــ ٣٣٥ .

الفصل الثالث

النجف الى بغداد مرورا بكربلاء

النجف الى خان المصلّى

في ٢٧ نيسان سنة ١٩١٢ زرنا مدينة النجف في الصباح الباكر . يمتد من بابها الشمالي شارع السوق ، وهو شارع عريض يتجه نحو الجنوب . ويسمى جزء المدينة الواقع غربَ السوق (شمرت) والجزء الواقع شرقيّة (زقرت) . وباجتيازنا السوق تصل الى الجامع العظيم الرائع جامع الامام علي ، حيث دفن علي (عليه السلام) ، صهر النبي (ص) ، وان السيد جواد ، (كليدار الحضرة) اي رئيس ادارة جامع الامام علي (المسمى بالحضرة) هو اقوى رجل في المدينة وما جاورها . وقد بنت الحكومة التركية ثكنتين عسكريتين في النجف : احداهما في الشمرت (اي القسم الرئيسي من المدينة) والأخرى في ضاحيتها الجنوبية الغربية (الحويش) حيث ينزل ، فضلاً عن الدرك ، نحو ٢٥٠ من الجنود المشاة وراكبي البغال . وتوجد فوق الباب الشمالية الغربية للمدينة : الادارة المحلية (البلدية) . ويُلحق سكان النجف مساحات من الأراضي بأملاكهم كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا . ولكنّ اكبر مصادر رزقهم يأتي من [الزوّار] .

ان المرتفع الأجرد ، الذي بنيت عليه المدينة يسمى (النجف) ، وسميت به المدينة نفسها . ويسمّيها البدو : النجف ، أو المشهد (المشهد) او مشهد علي (٢٦) .

(٣٦) يذكر اليعقوبي (البلدان ــ دى خويه ، ص ٣٠٩) ان الحيرة منها (الكوفة) على ثلاثة اميال والحيرة على النجف والنجف كان ساحل بحر الملح وكان في قديم الزمان يبلغ الحيرة وهي منازل آل بقيلة وغيرهم .

في الساعة ٤٠ر٥ بعد الظهر ارتحلنا في الطريق المحاذى لترام الخيل المؤدي

=

ومن الحيرة الى قصر الخورنق ثلاثة أميال في اتجاه شرقي . وبني السدر في الصحراء بقرب الحيرة . يتحدد ويتعين مركز الحيرة في الجنوب الشرقي من ربوه خربة الكنيدره ، والمسافة بين الكنيدرة وخرائب الكوفة تماثل المسافة بينها وبين الخورنق .

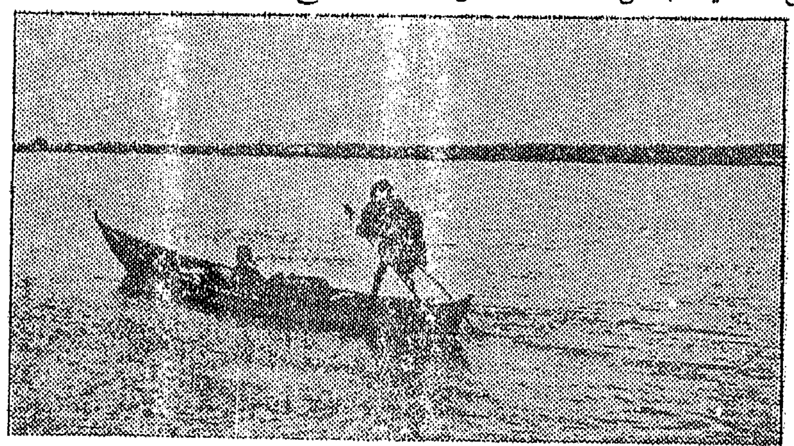
ويقول الادريسي (النزهة : ص ٦) انه قد بنيت قبة عظيمة على بعد ستة اميال من الكوفة ، تقوم على اعمدة ، وعلى كل جانب منها باب . وكانت جميع جدرانها مغطاة بالسجاد الفاخر ، كما فرشت الارضية ببسط ثمينة . ويقال ان الامام علي بن ابي طالب (ع) وسلالته قد دفن هناك . ويروى ابن جبير (الرحلة : دى غويه ص ٢١٠) ان النجف بظهر الكوفة كأنه حد بينها وبين الصحراء وهو صلب من الارض منفسح متسع للعين فيه مزاد استحسان وانشراح . وعلى نحو فرسخ واحد غربي الكوفة يوجد المشهد الذائع الصيت الذي يحمل اسم الامام على (ع) . ويقوم هذا المشهد على المو ضع الذى بركت فيه الناقة التي كانت تحمل رفات الامام . والمعتقد انه مدفون هناك .

ويقول ابن بطوطة (التحفة : ، فريميرى وسانكنوينى ، مجلد ١ ص ٤١٤ ومابعد) انه بات ليلته في مشهد على بن ابى طالب في سهل النجف . ويذكر انها بلدة رائعة تقوم على ارض مستوية صلبة ، وبالنظر الى عدد سكانها وعمارتها فانها تعد من البلدان الكبرى فى العراق . وكذلك فيها اسواق واسعة نظيفة يدخلون اليها من باب الحضرة : وهذا المدخل يؤدى ايضا الى مرقد الامام على .

وفي سنة ١٢٦٣ امر والى بغداد المغولي بحفر نهر من الفرات الى النجف ، ولكن سرعان ما ردمته الرمال . وفي سنة ١٥٠٨ جرى تنظيف هذا النهر وبناء قبة عليه بأمر الشاه اسماعيل : وقد عملوا في السطح المعبب ثقوبا يسحب الماء منها الى أعلى . وكان اسمه اول الامر نهر الشاه ويسمى في الوقت الحاضر الفنا (لغة العرب : مجلد ٢ : ١٣٣٠ — ١٣٣١هـ (١٩١٢م) ص ٤٥٨ .

وفي سنة ١٧٩٣م شق نهر جديد ، ولكن سرعان ما ردمته الرمال كذلك . وحفر بعد ذلك كري حفر الشيخ ، كما حفر زمن حكم السلطان عبد الحميد الثاني نهر الحيدرية ، ولكن الرمال ملات كليهما في سنوات قليلة . وفي سنة ١٩١٢ بدأوا بوضع انابيب حديدية لنقل الماء الى النجف مباشرة من الفرات . (المصدر ص ٤٥٨ ، ٤٩١) .

الى الكوفة . وقد مُدّت سكة الترام على نفقة المجلس سنة ١٩٠٩ . وتوجد بعض المقابر البسيطة على جانبي الطريق : الحفّانة في الجنوب ، والكُميل الى الشمال وتركنا جمالنا ترعى من الساعة ٦٫٠٣ الى ٧٫١٢ . وبعد ذلك عبرنا خط الترام واتجهنا شرقاً بين اكوام الخرائب . وفي الساعة الثامنة كان على يسارنا (قصيّر القنا) الى جانب قناة باطنية . وفي ٨٫١٠ مررنا فوق نهر قديم ، وفي ٨٫٥٨ خيّمنا بجانب الفرات تحت اشجار النخيل في حقول عشيرة (ابن برّاق) . وكان رئيس العشيرة ، دغيّم بن برّاق ، في السجن آنذاك ، وقد أُلقي فيه بطلب من اهل النجف الذين كانوا يضمرون له كرهاً شديداً سواء أكان ذلك حقاً أم باطلاً . وفي اثناء غيابه ، رحّب بنا أخوه الذي كان ينوب عنه ، مظهراً لنا الودّ وعارضاً علينا حمايته بوصفنا ضيوفه . وكنا في حاجة الى هذه الحماية فعلاً اذ كانت عشيرة ابن براق تابعة لقبيلة الخزاعل الذين سبق ان وقعت مناوشة بين الجند الذين كانوا معنا وبين مقاتليه قبل ذلك بقليل . على مرتفع (اللسان)(٢٧) وقد



شكل ١٦ قارب على الفرات قرب الكوفة

بينّا له ما حدث ، فاجاب ان هذا الأمر قد دُفن واصبح نسياً منسياً ، لقد ارتكبت الخزاعل ذنباً اذهاجموكم ، والذي فعلتموه لم يكن الا دفاعاً عن

(٢٧) انظر كتابنا : الصحراء العربية ص ص ٣٦٨ — ٣٦٩ .

النفس ، واضاف يقول : وشاء الله ان تكون بنادقكم أبعد مرمى من اسلحتهم .

في ٢٨ نيسان سنة ١٩١٢ اكملنا ما لدينا من مذكرات ومخططات ، ووضعنا قائمة بالقبائل المتواجدة في الأقليم المحصور بين الرُحبة والمسيّب .

وفي ٢٩ نيسان سنة ١٩١٢ تركنا مخيمنا في الساعة ٢٠ر٥ صباحاً باتجاه شمالي غربي . وفي ٠٥ر٦ مررنا بخرائب (تلّ السيّار) ، حيث يبحث اهل الكوفة عن عاديات فيها . وقد بنيت العقود والجدران بالآجر . وفي ٢٥ر٦ شاهدنا على يسارنا (مرقد مسلم) الذي لا يزال بحالة جيدة ، وهو محاط بجدران عالية تذكرنا بجدران قلعة (الأخيضر) ؛ والى يميننا تقع خرائب السحالة ، وتقع من ناحية الشرق وراءها جدران بساتين الكوفة الغائرة . والى الجنوب أصبح من الممكن رؤية ربوة خرائب طولها نحو كيلومتر واحد ، وعرضها ٤٠٠ متر .

وفيما يلي ذلك شمالاً لم نجد أية بقايا مهمة أخرى . وكان هذا كلّ ما بقي من الكوفة التي كانت مدينة عظيمة في عصر مضى . (٢٨)

ويرتفع تدريجياً سفح صخري مغطى بالرمال غرب نهر سعده القديم حيث توقفنا من ٢٠ر٧ الى ٣٠ر٧ والتقطنا صوراً شمسية لجسر قديم بني بالآجر يصل بين جانبي النهر (شكل ١٧) . وفي ٤٨ر٧ عبرنا عند مزرعة قصر ابو

---

(٢٨) يقول ابن العبري ، التاريخ السرياني ، ــ ببجان ص ١٠٦ ، ان الكوفة مطابقة للعاقولا .

ويروى أيليا النصيبى كتاب الحوليات . بروكس ص ١٧٣ ، انه بنيت سنة ٧٥١ ــ ٧٥٢م عدة ابراج على طول طريق النقل من الكوفة الى مكة لتكون معالم يهتدى بها الحجاج .

وروى ابن الفقية (البلدان : دى خويه ص ١٦٥) ان عدة اهل الكوفة ثمانون الفا ومقاتليهم اربعون الفا . واشار الى مسجد ظفر (المصدر نفسه ص ١٧٤) الذى يسمى أيضا مسجد السهلة .

ويحكى ابن جبير (الرحلة : دى خويه ص ٢١٣) من اسباب خراب الكوفة قبيلة خفاجة المجاورة لها فهى لاتزال تضربها .

فشيجة جدولاً غائراً آخر . ونتفرع من الفرات قناة جوفية تجلب الماء الآن الى مدينة النجف . ويمتد في ناحية الغرب سهل المغوطة ، وهو أرض مقفرة جرداء . وتبرز على سطحه هنا وهناك روابي متعرشة . أمّا من ناحية الشرق فقد أشار دليلنا الى قرية صغيرة تسمى قصر بيك اهامي ، والى شمالها قرية ام سواري . وتوجد ، اذ ابعدنا عن ذلك الى الجهة الشمالية الشرقية ، بساتين نخيل قرية (عناب) ، ونرتفع الى شمال — شمالها الشرقي منارة قرية الكفل من فوق أشجار النخيل (٢٩)

خان المصلي الى كربلاء

في الساعة التاسعة كان خان المصلّي على يميننا . وهو بنــاء كبير مستطيل تحيط به جدران عالية من الآجر . ويدعم كل جدار في وسطه برج نصف دائري وينفتح الباب على الشرق . وقد بنيت أروقة على امتداد جدران باحته . وتوجد الى الشرق ثلاثة خانات اصغر مساحة ، وبعض المقاهي ، وأبنية أخرى وقبر . وتركنا جمالنا ترعى من ٢٦ر٩ الى ٠٥ر١٠ ; ومن ٣٠ر١٠ الى الساعة الحادية عشرة ملأنا قربنا ماءً من بركة متصلة بالفرات وقد طغت عليها مياه الفيضان . وفي ٣٥ر١٠ رأينا على الضفة اليمنى قريه ام العجه التي تحيط بها مياه(هور بني حسن) وفيما وراءها شرقاً : قرية (الكفل) الكبيرة . وكان عرض الفرات هنا يبلغ نحو كيلومتر واحد تنتشر فيه عــدة جزر صغيرة . وكانت اعداد كثيرة من قطعان الجاموس تتحرك في الماء هنا وهناك . وينتقل الأهلون من جزيرة الى اخرى على قرب جلدية منفوخة .

وفي الساعة ٢٠ر١٢ بعد الظهر كان الى الغرب منا (خان جدعان) المهجور والى الشرق قرية (المجر) وفيما وراءهـــا الماوية ومن ٤٣ر١٢ الى ٤٧ر١ استرحنا

(٢٩) يروى ياقوت (المعجم : وستنفلد ، مجلد ٣ ص ٣٣٥) ان قرية سونة بارض بابـــل (العـــراق) اســـفل من حلة بنى مزيد . وبها قبر القاسم بـــن موسى الكاظم بـــن جعفر الصادق ، وبالقرب منها قبـــر ذى الكفل وهو حزقيل في بر ملاحة .
ويذكر حاجى خليفة (جهان نامة : استانبول ١١٤٥هـ ، ص ٤٦٤) ان ذا الكفل على مسيرة ثلاث ساعات من الكوفة التي اشتهرت بسبب قبر النبي ذى الكفل .

في موضع مقابل لقريتيْ : فليفل وام الرجي ثم ظهرت للعيان فوق اشجار النخيل من الناحية الشمالية خرائب البرس . والنظر اليها من الجنوب يذكرنا بمبنى (الروتندا) في فينا ،وتقوم على خربة هائلة تشبه قبّة مائلة الى الشرق ، بقايا جدران قديمة ضيّقة طويلة (٣٠) من جهة الغرب .

وعلى يسارنا امتد من جهة الغرب سهل متموج هو سهل (مرور المحيميد) كما ظهرت بقايا حصن قديم يعرف بـ (ايشان المحيميد)،ورأينا على اليمين عدداً من أفران كور الآجر المهدّمة ، حيث سبق ان أعدّوا فيها آجر (خان زبّار) وفي ٢٠ر٣ شاهدنا ، مقابل قرية الأجدع مدخل (كري سعده) . وعلى مسافة غير بعيدة شمالاً يقوم (خان زبّار) وهو بناء واسع بابراج نصف دائرية . وتحيط به من ناحية الشرق ثلاثة خانات صغيرة ، وعدة مقاهي واكواخ وبعض البيوت الخرِبة . وعلى الشمال الشرقي تراءت اشجار نخيل قرى : المنيضر أم هلال الخميسانية وأعيلة وكلها سوداء اللون . وتبرز [قرية] البرس بصورة واضحة بين نخيل القريتين الأخيرتين ، تمثل حين نظرنا اليها من هذا الجانب ، هرماً منتظم الشكل مع ملحقه .

وقد تجمعت الى الشرق منها وما بعدها اكداس عالية من مواد بناء قديمة . اما من الناحية الشمالية فقد سد الافق بنخيل قُرَى:شنتونية ، الحرقة ، والقضبان؛ كانت الابنية العالية في القرية الأخيرة تتألق في اشعة الشمس الغاربة .

---

(٣٠) البلاذرى في فتوحه (دى خويه ص ٢٥٥) يسميها برس او اجمة برس ، ويروى ان رستم حينما خرج للقاء المسلمين نزل برس ثم سار فأقام بين الحيرة والسيلحين اربعة اشهر لايقدم على المسلمين ولايقاتلهم والمسلمون معسكرون بين العذيب والقادسية .
وبعث سعد خالد بن غريطة على خيل الطلب فجعلوا يقتلون من لحقوا حتى انتهوا . وهرب الفرس الى المدائن (المصدر نفسه ص ٢٥٩) .
ويروى عن الحسين بن صالح قال : بلغني أن عليا رحمه الله الزم أهل أجمة برس اربعة الاف درهم وكتب لهم بذلك كتابا في قطعة ازيم . واجمة برس بحضرة صرح نمرود ببابل . (المصدر نفسه ٢٧٤) .
ويشير قدامه في (الخراج : دى خويه ص ٢٣٨) الى برس العليا وبرس السفلى .

وقد نصبنا خيامنا في الساعة ٥٥ر٤ غروبي (البرس) بالقرب من احد فروع الفرات .

في ٣٠ نيسان سنة ١٩١٢ ، بدأنا الرحلة في الساعة ١٥ر٥ صباحاً . وكانت الشمس قد أخذت في الشروق وراء قرية (البرس) تضرب الخرائب باشعتها مرسلة أعمدة طويلة لا تحصى [من النور] . ورأينا في سهل (عمو شويج) الاجرد الواقع الى الغرب ،ربوة خرائب (عطشان) ،وعندها يتجه الطريق الى الغرب ماراً بـ (نيشان السحر) و(خربة الموجاة)مؤدياً الى حصن (قصر الأخيضر) والى شمال نيشان السحر يقع (سهل الزيدي) ، والى الشرق من هذا السهل تقع مزارع قصر نور والرخيطه ، ثم يلي ذلك شمالاً مزرعة الثمانية . والى الشمال الشرقي منها توجد قرية ابو رويّة . وفي الساعة السابعة كانت الى شرقنا اكواخ (الرجيبة) و (الزبدية) ، وما وراءهما قرية (طويريج) — او كما تسمى رسمياً الهندية — والى الشمال الغربي منهما قرية أبو عبد عونيّات . وبينما كنا نسير راكبين في سهل (المجاهيل) صادفنا الكثير من الزوار مسافرين على ظهور الحمير في طريقهم الى النجف . ويكتري الزوار هذه الحيوانات من رجال ببغداد : ينقلونهم الى كربلاء ، ثم يعودون الى محل سكناهم وهم يحملون مسافرين جدداً ، بينما ينقل اهل كربلاء الزوار الى النجف ، ويعودون بهم الى مدينتهم ثانية . وفي نظير كراء الحمار يدفع الزائر من ١٥ الى ٢٠ قرشاً (٧٣ الى ٩٠ سنتاً) لرحلة واحدة .

وفي الساعة الثامنة ظهرت للعيان من ناحية الغرب أجراف سديرة صبخان . وفي ١٠ر٨ بلغنا خان (نزل) ابن نخيلة . وبجانب الخان الكبير توجد ثلاثة خانات اصغر منه (٣١) .

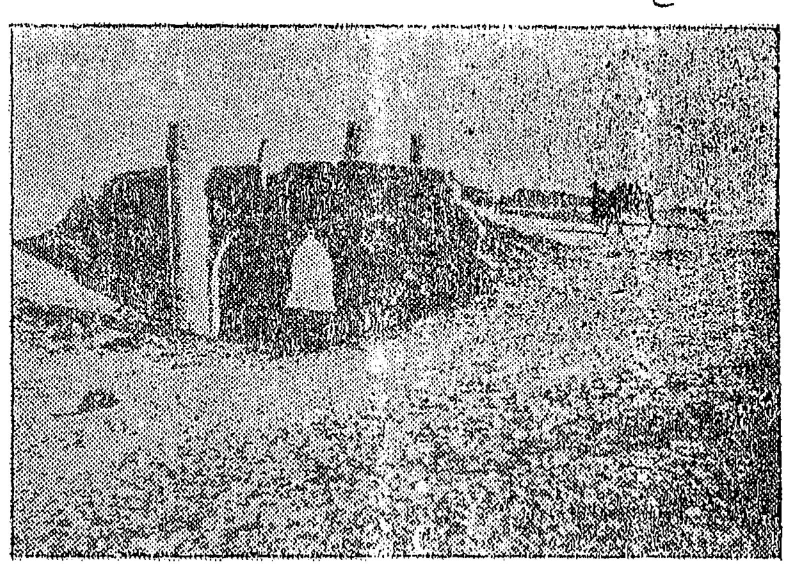
---

(٣١) لعل خان ابن نخيله هو المخفر العسكرى للمسلمين بالنخيلة .
ذكر ياقوت (المعجم : وستنفلد مجلد ٤ ص ٧٧١ أن النخيلة تقع بقرب الكوفة على حدود الشام .

وفيما وراء خان ابن نخيلة تبدأ بحيرة (هور براز) ، وتقع الى الشرق منه قرى التعبوري ، الهنيدية ، الزبيلية ، والسليمانية . وتمتد الى الغرب سهول جرداء متموجة ، وتعرف بسهول المليحة ، والطفحات .

والى شمال — الشمال الغربي ظهرت لنا الخطوط العامة السوداء لبساتين كربلاء ، وتألقت القبة الذهبية لجامع سيدنا الحسين .

واسترحنا من الساعة العاشرة الى الحادية عشرة . وفي ٤٥ر١١ رأينا في الغرب ربوة يقطعها صدع الى قسمين تسمى (ابو راسين) ، كما شاهدنا امامنا عدة كُوَر (افران) لصنع الجص .



(شكل ١٧ — جسر فوق نهر سعدة)

وفي الساعة ٣٥ر١٢ بعد الظهر دخلنا بساتين كربلاء عند قصر الهندي . وبعد مسيرة قصيرة على سهل الملح المسمى (الحجيمة) وصلنا في ٠٥ر١ الى المدينة نفسها . ولما كان سد جدول الحسينية قد تهدم في موضع واحد ، وغمرت المياه كثيراً من الشوارع ، لذا واجهنا بعض المشقة في قيادة جمالنا خلال المدينة لبلوغ بساتين الشمال حيث خيّمنا ، في الساعة ٢٤ر٢ ، بجانب خرائب (أم تل) .

تضم كربلاء نحو ثلاثين الف نسمة ، نصفهم من الفرس . وابرز القبائل بين السكان هم : بني سعد ، سلاله ، الوزوم ، التهامزة ، والناصرية . واغنى الأُسَر فيها اسرة دَدّه . فهم الذين حفروا نهر الحسينية ، وكافأهم السلطان سليم على ذلك بمنحهم مساحات واسعة من الاراضي . واعظمها وجاهة اسرة البويع ، لانهم قاموا بدفن الامام الحسين . والمشهد الرئيسي يقوم في القسم الغربي من المدينة ويعرف بالصحن ، او الامام سيدنا الحسين ، وتعلوه قبّة ذهبية . اما الجامع الذي في القسم الشرقي فيسمى سيدنا العباس . وكان العمل قد بدأ بمبنى الحكومة سنة ١٨٧١ عند الطرف الجنوبي من المدينة بأمر من الوالي مدحت باشا ، ولكنه لم يكتمل بعد . وقد وسّع هذا الوالي سوق المدينة ويبدأ عند مبنى الحكومة . وكان يطلق اسم كربلاء للدلالة على القسم الشرقي من البساتين فقط . أما المدينة الرئيسية فكانت تسمى المشهد او مشهد الحسين . والى شمال بساتين كربلاء تقع ضواحي البقيرة وبساتينها وحقولها . والى الشمال الغربي : بساتين قُرّة ؛ والى الجنوب بساتين الغاضرية ؛ والى الغرب من هذه الأخيرة تقع غزة ثم غلطاوية ، نهر (الحُر) ، نهر العيساوي ، وأخيراً الحيدرية في الغرب ، ومن هذا الموضع الى الجنوب الشرقي تقع قرى : البازول البديواتيه ، الشريفيه . الهندي . البايبل . وكربلاء (٣٢) .

---

(٣٢) في سنة ٦٨٤م سار سليمان بن صرد رعيم التوابين بأتباعه من النخيلة وبات ليلته في دير الاعور . وفي اليوم التالي نصبوا خيامهم في الاقساس ، أو اقساس مالك ، ومكثوا هنالك يوما وليلة ، ثم ساروا على الحصاصة ، والانبار ، والصدود ، والقيارة (تاريخ الطبرى ٦ سنة ٢ ص ٥٤٥) .
ويذكر الاصطخري (المسالك : دي خوية ص ٨٥) وكربلاء من غربي الفرات فيما يحاذي قصر ابن هبيرة .
ويقول ابن حوقل (المسالك : دي خوية ص ١٦٦) هذا الكلام نفسه ، ويزيد عليه وبها قبر الحسين بن علي وله مشهد عظيم وحطب في اوقات من السنة بزيارته .
ويعيد الادريسي (النزهة : مجلد ٤ ص ٦) كلام ابن حوقل .

ويبين المقدسي (احسن التقاسيم : دي خوية ص ١٣٠) ان ضريح الحسين شيد على الموضع الذي قتل فيه في كربلاء ، خلف قصر ابن هبيرة .

وفي سنة ١٠١٦ — ١٠١٧م شبت النار في ضريح الحسين بكربلا من شمعتين ، فسوته بالارض . اما الحسن بن فضل الذي أمر ببناء حائط حول الضريح فقد توفي حوالي سنة ١٠٢٣ — ١٠٢٤م (النجوم : لابن تغري بردي مجلد ٢ ص ١٢٣ ، ١٤١ . وطبقا لرواية ابن الاثير في الكامل (تورنبورك ، مجلد ٩ ص ١٥٤) أمر الحسن بن فضل ايضا ببناء سور حول مشهد الامام علي .

ويذكر ياقوت (المعجم : مجلد ٤ ص ٨٧٠) بسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين (رض) . وانتهك ضبة بن محمد الاسدي من اهل عين التمر ، وكان الرئيس الاعلى لكثير من العشائر ، حرمة مشهد الحسين عند الحائر (بكربلا) . وفي سنة ٩٨٠م أرسل الجند الى عين التمر ، فهرب الى الصحراء خوفا (تجارب ابن مسكويه — امدروز — مجلد ٢ ص ص ٣٣٨ ، ٤١٤) .

وسافر ابن بطوطة (التحفة : مجلد ٢ ص ٩٩ ومابعدها) من الحلة الى كربلا ، ويقول انها بلدة اقرب الى الصغر واقعة بين بساتين النخيل التي تسنقي الماء من الفرات . وتقع الروضة الحسينية في مركز المدينة بجانب مبنى مدرسة كبيرة ودير مشهور حيث يقدمون الطعام للزوار . والمدخل الى الضريح تحت الحراسة ، ولا يمكن الدخول اليه بغير اذن الحرس . والزوار يقبلون الضريح المصنوع من الفضة ، وقد علقت فوقه مصابيح معمولة من الذهب والفضة . وعلى جميع الابواب ستائر من الحرير . وينقسم السكان الى فريقين : اولاد رخيك واولاد فايز ، وبينهما صدام مستمر . وهذه المنازعات الداخلية يعزى اليها ماصاب المدينة من الفساد والانحلال .

ويذكر المقريزي في المواعظ (يمين ورقة رقم ٩٠٨ مخطوط فينا) ٨٢ ان كربلا التي فيها ضريح الحسين، يتبعها مزارع كثيرة .

وفي آذار سنة ١٥٣٥ زار السلطان سليمان كربلا والنجف كليهما ، وامر بحفر جدول الحسينية (شيها اقليم بغداد [بالفرنسية] ص ٣٤ ، همر برغشتال : الامبراطورية العثمانية : [١٨٢٧ — ١٨٣٥] مجلد ٣ ص ١٥٤) .

ويذكر حاجي خليفة (جهان نامه ص ٤٦٢) ان البلدة التي تحوي ضريح الامام الحسين تقع في منطقة كربلا على مسيرة يوم واحد شمالي

الحلة . وهي مشهورة بتمورها .
وبجوار كربلاء احدد موقع دير الجماجم ودير قرة التين برزنا في حملة عام ٦٣٥م بين المسلمين والفرس . اما اسم قرن فقد حفظ لنا في القسم الشمالي الغربي من البساتين .
وعقب هزيمة القادسية عام ٦٣٥م هرب قسم من الجيش الفارسي الى دير قرة ، وحينما اشتد الضغط عليه واصلوا الانسحاب الى المداين (تاريخ الطبري سلسلة ١ ص ٢٣٥٧ ومابعدها) .
والواضح انه ينبغي لنا البحث عن دير قره شمالي القادسية او في شمالها الغربي ، على الجانب الغربي من الفرات . ولم يكن يتسنى للفرس الهرب الى الجنوب او الجنوب الشرقي ، لان هذه المناطق كانت تحت نفوذ قبيلة بكر بن وائل الحالفة للمسلمين . وامتدت اراضي هذه القبيلة حتى بلغت القادسية . وابتداء من هذا الموضع نحو الشمال كانت تقع الاراضي التي خيمت فيها قبيلة تغلب . وبهذا هيأت ملجأ للهاربين .
في سنة ٧٠١م سار الحجاج بن يوسف ، والي العراق ، من البصرة ووصل الى المنطقة التي بين العذيب والقادسية . ودفع اليه عدوه ابن الاشعث بفرقة قوية من الفرسان الذين تعقبوه من القادسية حتى بلغوا دير قرة ثم خيموا .. وكان ابن الاشعث نفسه قد الحق بالجند عند دير الجماجم . ولكن قبل بلوغه دير الجماجم تلقى الحجاج امدادا من الخليفة عبدالملك في الشام . وكانت الخطة التي اعدها هي الهرب من طريق هيت الى بلاد الرافدين وبهذا يكون اقرب الى بلاد الشام ، ولكنه خيم اولا عند دير قرة بالقرب من الفلاليج وعين التمر . وكلا الجيشين تأهب للحرب ، فنشبت معركة بينهما (تاريخ الطبري سلسلة ٢ ص ١٠٧٢ فيما بعد) .
وهزم ابن الاشعث ، وفي اثناء هربه وصل الى قرية صغيرة لبني جعدة في الفلوجة ، حيث عبر الفرات في قارب (المصدر نفسه ص ١٠٩٥) .
وتدل هذه الرواية ايضاً على ان دير قرة كانت تقع شمالي القادسية او في شمالها الغربي . وكان الحجاج ينوي الهرب الى هيت : لذلك انصرف من القادسية متجها الى الغرب ، ودار حول الكوفة حتى التحق بفرقة الامداد التي سارعت لنجدته من الشام . ولكنه لم يصل الى هيت ، اذ كان ابن الاشعث مع جنود اخرين قد انضم الى اعدائه وسد عليه طريق التقدم . وكان دير قرة في منطقة الفلاليج الادارية غير بعيد

كربلاء الى خان المحاويل

خرائب بابل

زارنا بعض الفلاحين العاملين في البساتين المجاورة ورسموا لي على الرمل خريطة المنطقة المحيطة بنا . وهكذا تمكنت من اكمال مذكراتي الطوبغرافية عن المنطقة الواقعة بين كربلاء وشفاثة ، والرمادي .

وكان احد الفلاحين مخيّماً غربيّ الامام الحرّ : وهو مرقد صغير بُني في الطرف الجنوبي الغربي من البساتين ، بجانب بئر (الخنيفس) والى جنوب هذا الموضع تقع قرية (شريعة السّليب) ، والى جنوب هذه القرية (الرزازة) ، وفي الغرب

=

من عين التمر . ويظهر ان الحجاج لم يتقدم في اتجاه عين التمر (فلو انه فعل ذلك لاخبرتنا الرواية بانه تحصن في هذا الحصن) ، لكنه توقف في منتصف الطريق بين قرى الفلاليج الواقعة مباشرة على الفرات و بين عين تمر — اي في نفس الموضع التي تقع فيه بساتين كربلا الآن . وانقطاع مواصلات الحجاج مع الجزيرة الفراتية يتبين كذلك من افتقاره الى المؤن ، لامتناع الناس عن تزويده باي شيء ، بينما كان عدوه ابن الاشعث على اتصال لم ينقطع بالعراق . وينبغي ان يكون دير الجماجم واقعا في جنوب دير قرة ، وعلى مسيرة يوم واحد في الاقل من الفرات ، اذ نجد ابن الاشعث عند هروبه لايصل الى النهر الا بصعوبة وذلك بعد مسيرة طويلة مضنية ، وقد عبره بقارب .

ويعين ياقوت المصدر السابق (مجلد ٢ ص ٦٥٢) موقع دير الجماجم على طرف الصحراء على مقربة من الكوفة ، وتبعد عنها بنحو سبعة فراسخ على طريق البصرة . اما ابو الفضائل (المراصد : مجلد١ ص٤٢٧) فانه يكرر ماجاء في رواية ياقوت .

لانعلم المصدر الذي استقى منه ياقوت لتعيين المسافة بين الكوفة ودير الجماجم ، اما ان يكون دير الجماجم على الطريق المؤدي من الكوفة الى البصرة فهذا غير وارد . ان مسيرة خمسة فراسخ الى جنوب الكوفة او جنوبها الشرقي تؤدي بنا الى اراضي قبيلة بكر بن وائل ، بعيداً عن هبت ، التي اسرع الحجاج للوصول اليها ، وكذلك بعيداً عن الفلاليج وعين التمر ، وبين هذين الموضعين الاخيرين — اي عند دير قرة ودير الجماجم — تحصن الحجاج .

الراشدية والضُحَنه . أما نهــر القاضي فينتهي بعد أن يزوّد هذه القرى جميعاً بالماء، الى هور ابي دبس جنوبيّ تل حصّانه . وفي المساء تأكدنا من خطّ العرض، وقد امضينا ليلة مزعجة جداً بسبب كثرة البعوض .

في (١) أيار سنة ١٩١٢ غادرنا في الساعة ١٦ر٥ صباحاً فتراءت لنـــا من ناحية الغرب اشجار قرية القرطة الخضراء ، والى الجنوب الشرقي من هذه القرية تألق مشهد الامام الحرّ بقبّته الزرقاء . وفي ٢٢ر٥ عبرنا نهر القاضي ، وفي ٤٥ر٥ عبرنا نهــر الحر . وانهمكت جمالنا الجائعة في الرعي من ٥٥ر٥ الى ١٧ر٦. وفي ٢٠ر٦ عبرنا ركوباً نهر الجمالية . وارتفع الى الشمال ، على نتوء الجنوب الغربي من مرتفع واسع مشهد الامام عون . وفي ١٠ر٧ شاهدنا بعض الخرائب الى الشمال الغربي ، والى اليمين بساتين القرّة . وتقع الى الجنوب الغربي من الأخيرة بساتين الغاضرية . وفي ٤٥ر٧ اخترقنا ارضاً رملية غير مزروعة مارّين بمشهد الامام عون بقبته الخضراء وبابه الاخضر المطعم . والى شمالنا الغربي رأينا مرتفع ام الهوا ، وفي الشمال الشرقي مرتفع المرقده، وفي الساعة الثامنة كنا في نهــر العلقمي القديم الذي كان ينقل الماء من الفرات خلال تلال الدعالج الى كربلاء ، وكان يرتبط بالجدول الذي يمتد الى هور رايد . وفي ١٨ر٨ رأينا في الشرق بعض الخرائب الصغيرة نوعاً ما ، وقرية الاوند ، والى الشمال مرتفع مرقَدة . ويسد الجانب الغربي من مستنقعات العنب والبحيرة طار عويد وتلال (المغراغير) . وها نحن اولاء نتقدم بين روابي الدعالج وبين سهول الملح التي تسمى سهول الجازية والسوارج . وتقطع هذه جداول كثيرة نصف غائرة . وفي ٥٨ر٩ رأينا خرائب أخرى الى اليمين ، ونزلنا للاستراحة من ٠٥ر١٠ الى ٥٢ر١٠ وفي ٢٠ر١١ كنا في سهل البوبهاني ، وتحمي هذه المنطقة من الفيضان سدود ترابية ، وقد زُرعت فيها بساتين واسعة يزرع فيها القثاء (الخيار) على نطاق واسع بصورة خاصة :

في الساعة ١٢٫٤٠ بعد الظهر عبرنا جسر قوارب مقام على الفرات ودخلنا مدينة المسيب (شكل) ١٨) وكانت تبدو كأنها متوجة بأكليل من النخيل . وبعد ان استدرنا متجهين نحو جنوب – الجنوب الشرقي ، انتظرنا من ١٫٢٠ الى ٢٫٥٠ . وكنا نشاهد الى الشمال قباب مشهد (اولاد مسلم) (٣٣) وكان يتعهد بالمحافظة على الأمن في الطرق المجاورة للمسيب الشيخ ابن فيحال رئيس عشيرة المعامرة . وتُروي الحقول هنا بوساطة نهـر الناصرية الطويل، ونهر القط الأقصر منه . وفي ٣٫١٧ كان على يميننا تلّ مسعود الكبير وخرائب (العجيبي) ؛ وتوالت بعدها خرائب أخرى : منها مشهد السيد ابراهيم و إيشان نينوا . والى الشرق تقع ربوة خرائب إيشان المنصورية (٣٤) .

---

(٣٣) يؤم الزوار ضريحا فيها يقال ان المسيب بن نجبة قد دفن فيه . وكان المسيب من قبيلة فزارة ، عاش بالكوفة ، وكان شيعيا متحمسا يرغب في الثار لمقتل الحسين (تاريخ الطبري : سلسلة ٢ ص٤٩٧ (٥٥١).

(٣٤) ان قسما من هذه الخرائب الواسعة بقية المدينة الاسلامية : قصر ابن هبيرة . كان يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات فلما اتاه كتاب مروان يأمره باجتناب مجاورة اهل الكوفة فتركها وبنى القصر الذي يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب من جسر سورا .(البلاذري ، الفتوح دي خويه ص ٢٨٧) .

ويبين المقدسي (احسن التقاسم : ذي خويه ص ١٢١) اما قصر هبيرة فمدينة كبيرة جيدة الاسواق يجيئهم الماء من الفرات كثيرة الحاكة واليهود والجامع في السوق .

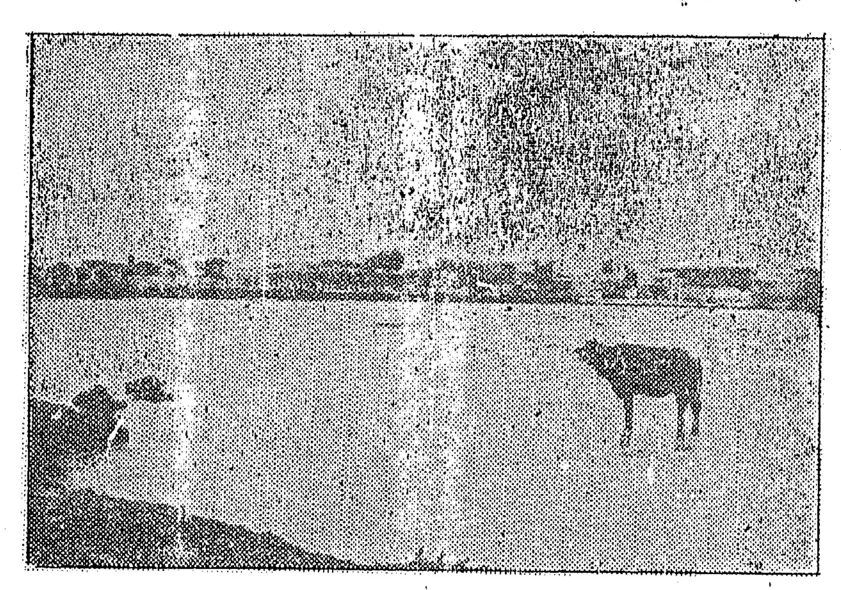
ويقول ابو الفدا (التقويم رينوو ديسلان ، ص ٣٠٥) ان قصر ان هبيرة يقع بالقرب من الفرات الحقيقي : الذي تخرج منه كثير من الجداول الصغيرة التي تؤدي اليه . وعلى الجانب المقابل ، الى جهة الغرب في الصحراء ، تقع كربلا . وقد بنى ابن هبيرة ، عامل العراق للخليفة الاموي مروان الثاني ، هذه البلدة بالقرب من جسر القوارب المسمى سورا ، ومدينة بابل القديمة .

وقد ورد فى كتاب العزيزي ، الذي اقتبس منه ابو الفدا ، ان المسافة بين قصر ابن هبيرة والفرات الحقيقي تبلغ فرسخين .

واشان نينوى هو نينوى الذي يذكره الطبري (التاريخ سلسلة ٣ ، ص ٢١٩٠) .

ويقول ياقوت (المعجم : مجلد ٤ ص ٨٧٠) ان كربلا بلدة في منطقة نينوى ، التي تقع في الاراضي الخصبة حول الكوفة .

وكان بامكاننا ان نرى سدود الجداول القديمة من جهتي اليمين واليسار على السواء . وفي ٣٫٥٥ ظهرت خرائب إيشان الحصى الى يسارنا ، والى شرقها بدا ايشان العوفي ، والى جنوب غربه إيشان السيد عباس .



شكل ١٨ : منظر المسيب من الغرب

ان الصعوبة التي لقيناها في عبور جدول من جداول الري ، سبب تأخرنا من ٤٫٣٠ الى ٤٫٥٢ . . وفي ٥٫٢٠ رأينا على يسارنا ايشان البد ، والى شرقه ايشان ام الورد . . وفي ٦٫١٥ عبرنا فوق جدول قديم عريض . وفي ٦٫٤٣ نصبنا الخيام وراء خان المحاويل . وكان في هذا الخان الكبير مركز للدرك ، وقد تجمع خلفه نحو ثلاثين كوخاً . وتقع قرية قصر المحاويل الى الشرق من ذلك . واصابتني نوبة حمى شديدة أزعجتني طول الليل ، ولم تتركني حتى الصباح .

وفي الساعة ٥٫١٦ صباحاً في الثاني من ايار سنة ١٩١٢ واصلنا السير متجهين جنوباً . في ٥٫٣٣ بدت على اليمين خرائب ايشان ابو روطة . والى الجنوب الشرقي : ايشان الخاتونية ، والى الجنوب : خرائب القريني والبزل ، والى الجنوب الغربي بساتين النخيل في البطة . وفي الساعة ٦٫٥ اجتزنا جدول (بدعة السياحية) ،

ثم جدول (الفنادية) (الذي يجلب الماء الى مشهـــد ام حمدان . والمنطقة تملكها عوائل الجسر والجراونة والجدي . وفي ٧٫٣٧ عبرنا الجسر المنصوب على (نهر النيل) . ووصلنا الى خرائب (بابل) العالية المتهدّمه . وفي ٨٫٢٥ توقفنا بالقرب من ضريح علي بن الحسن ، وسرنا على اقدامنا الى الخرائب ، التي كان يجري فيها تنقيب آثاري آنذاك بإشراف الاستاذ روبرت كولدوي . ورحّب بنا هذا الرجل بطريقة ودية ، وتحدث الينا عن نتائج الحفريات ، واطلعنا على مختلف اقسام المدينة القديمة ، ثم ودّعنا بعد ان قدم لنا المرطبات المنعشة ، ورجعنا الى جمالنـــا .

وفي ٢٫١٥ بعد الظهر غادرنا علي بن الحسن ، ووصلنا الى خان المحاويل في ٤٫٥٥ .

خـــان المحـــاويل الى بغـــداد

في ٣ أيار سنة ١٩١٢ بدأنا رحلتنا باتجاه شمالي في الساعة ٥٫١٧ صباحاً. وفي ٦٫١٢ رأينا على اليمين مشهد الامام الخضر ، وعلى اليسار خرائب (الضباع) . وفي ٧٫١٢ عبرنا نهر الناصرية ، وفي ٧٫٢١ وصلنا الى خان الناصرية المهجور . ويرتفع الى الشمال الشرقي منه إيشان ابو شعير . ومن ٨٫٠٥ الى ٨٫٥٢ كانت الجمال ترعى . والتربة هنا مختلطة بكثير من الرمل وصغار الحصى ، ويغطّيها نبات (العجرش) بنوع خاص ، غير أن الاماكن التي تروى بصورة كافية من النهر او العيون تغطيها حشائش وافرة ، أمّا المواضع التي تعتمد على المطر وحده فسرعان ما تجف وتصبح ابتداءً من آذار فصاعداً صحراء قاحلة تحرقها الشمس . وفي ٨٫٥٥ عبرنا (نهر المسيب) . وفي ٩٫٢٠ . بدا الى يسارنا (مزار كاظم العوفي) ؛ وفي ٩٫٣٥ اجتزنا خرائب الطويبة التي كونت هضبتين متفردتين ، ولمحنا الى الشمال الغربيّ (أيشان الصليبي) .

والتقينا بعدة مئات من الجنود يزحفون لإخضاع فلاّحي (البعيج) اصحاب الاراضي الواقعة جنوبَ شرق خان المحاويل ، فقد هاجم هؤلاء قبل أيام قلائل قائمقام (الحلة) وقتلوا الضابط رئيس الدرك وعدةً من رجاله . وفي الساعة

الحادية عشرة وصلنا الى الخان ومركز الدرك في (الحصوة) . وتقع الى الغرب من الطريق العام الآتي من المسيب مزرعة (الهراوي) . وفي ١٧ر١١ عبرنا نهــر السكندرية (او الاسكندرية) ، والى الغرب منه يقع على الطريق العام الخان الذي يحمل الاسم نفسه . وفي ٤٤ر١١ ينعطف الطريق المار بهذا الخان ، والمؤدي الى المسيب وكربلاء ، الى اليسار . وواصلنا السير في ارض مقفرة مخترقين مجموعة خرائب ، وفي الساعة ٣٤ر١ بعــد الظهر وصلنــا الى خان البيض والى جواره تقع اكوام خرائب قديمة . ومن ٤٨ر١ الى ٣٥ر٢ استرحنا عند نهر اللطيفية . وعلى اليمين كانت أطلال (شيشبار) . وفي ٥٨ر٣ وصلنا الى نهر (المحمودية) وخانها ومركز دركها.

وتشتمل هذه القرية على عشرين (نُزُلا) ، ومقاهي وحوانيت وعدد قليل من دور السكن . وبدا الى الغرب (إيشان ابو حبة) الضخم ، والى شماله الشرقي خرَبة (المقاعيد) . وفي ٤٠ر٤ كان ايشان الدير على يسارنا .

وبعدئذ عبرنا نهر الملك القديم . وفي ٢٠ر٥ شاهدنا على يسارنا خاناً مهجوراً يعرف بخان الزاد . وعلى مقربة منه تقع خيام (البو عامر) وهم فرع من قبيلة (المعدان) .

ان هذا أقليم موحش لا يمكن العيش فيه . توجد على جانبيه ربوات خرائب تحصر بينها ارضاً مقفرة سفعتها الشمس ينمو فيها العجرش بصورة ضعيفة مبعثرة هنا وهنالك . وحتى هذه الاماكن كان يغطيها غبار داكن رمادي اللون . وأثارت الريح أمامنا الغبار والرمل مكونة من ذلك اعمدة عالية تتحرك من مكان الى مكان تغطينا من حين لآخر من رؤسنا الى أخمص القدم . فلا غروَ اننا كنا حريصين على التقدم بسرعة ذاكرين ما قاسيناه من جفاف الهواء ، وحرارة الشمس ، والريح الجنوبية الشرقية المحرقة . ومن ٥٠ر٥ الى ٢٧ر٦ كانت جمالنا ترعى جنوبَ شرقيّ (الابيض) ، وبعد ذلك ظللنا على سروجنا الى ٥٥ر٨ ، حين أقمنا الخيام في ساقية الى يسار الطريق العام . ولم نستطع اشعال النار اذ لم يكن لدينا وقود وخشينا ان تلفت النار انتباه اللصوص الينا . ولم يكن نهر دجلة بعيداً عنا فقد علمنا ذلك من اسراب البعوض التي اهتدت الينا بأسرع من لمح البصر .

وفي ٤ أيار ، ١٩١٢ بدأنا الرحلة في الساعة ١١ر٥ صباحاً فظهرت لنا على اليمين قوارب شراعية تتهادى متباطئة على ماء دجلة ، حيث تحف اشجار النخيل النهر هنا من الجانبين . وأرسلت الشمس اولى اشعتها كأنها تستطلع الارض وخيل الينا انها خرجت من الماء . وذلك لشدة قربها من الافق . كان الطريق مكتظاً بالناس . وكانت زمر الفلاحين والفلاحات تحمل الخضروات ، والدجاج ، والحبوب الى السوق . ورأينا الزوّار في طريقهم الى الاماكن المقدسة او عائدين منها ، ورأينا عادة جماعات من الشيعيين يحملون موتاهم الى كربلاء او النجف لدفنهم هناك . وكان بعض اهل بغداد يسافرون مع عائلاتهم في رحلة الى مزارعهم في الريف ، كما كانت جماعة من تجار الماشية يسوقون امامهم الجواميس والاغنام للقصابين ببغداد . كل هذا النشاط والحركة كانت علامات لا تخطئها العين تدل على اننا نقترب من مدينة كبيرة . غير ان بغداد نفسها كانت لا تزال مغطاة بطبقة سميكة من الضباب ، مستغرقة في النوم على جانبيّ نهر دجلة والى الشمال . ظهرت فوق المدينة ، ومن خلال سحب البخار قبابُ مشهد الكاظميين المذهّبة .

وفي الساعة ١٥ر٦ صعدنا سدّ (الخر) الطويل الذي بنى لسكة الحديد سابقاً واصبح الآن طريقاً عاماً . وعبرنا الجسر الحديدي ، ودُرْنا الى جهة الشمال واخترقنا سهلاً أجرد لا شيْ فيه غير العجرش ، للوصول الى الطريق العام الذاهب الى الموصل ، وعلى مسافة غير بعيدة من ضريح الست زبيدة كان جماعة من الجنود تتدرب على السلاح (البندقية) . وسمح لنا الضابط الآمر بالمرور بين جماعة الرماة والهدف ، لكنه وجّه تأنيباً شديداً الى الدركي الذي قادنا الى هذا الطريق . مسكين هذا الدركي لقد كان رجلاً مُسناً من أهل المحاويل ، وقد أبقيناه في خدمتنا لعله يستطيع شراء ملابس لاحفاده بدلاً من اسمالهم الممزقة . وكان ابنه قد قتل قبل هذا بأيام قلائل على ايدي البعيج .

وفي الساعة الثامنة بلغنا الطريق العام المؤدي الى الموصل، وخيمّنا تحت النخيل في بستان على حاج طعمة . وكانت اقامتنا في هذا الموضع ممتعة جداً . كانت الارض جافة ، والنخيل تنشر علينا ظلالها ، واشجار التوت تمنحنا من ثمارها الجنّية ، ومع ان الماء كان قليلاً في دجلة القريب منها ، فانّ الضفاف كانت مغطاة بكثير من الاعشاب مكونة منظراً ساراً لجمالنا التي لم تحصل الا على القليل مما تأكله منذ عدة أيام . لهذا لم يكن ينقصنا شيء لنستجم بصورة تامة . وكان الاستجمام اشدّ ما نحتاج اليه آنذاك .

* * *

الفصل الرابع
بغداد الى تكريت
بغداد الى بئر الحصيني

في ٨ أيار ١٩١٢ تقدمنا نحو الغرب ، وسرنا اولاً خلال البساتين ، ثم في حقول الطّف . وزادت رطوبة التربة كلما اقتربنا من هور الدهنة . يجفّ هذا الهور في الخريف ، غير انه يمتلئ ثانية في الربيع . وعلى ساحله الغربي والجنوبي على السواء نصبت عشيرة البطة خيامها مع زعيمهم ضاري بن محمود . وهم فرع من قبيلة زوبع . وفي ٢٠ر٦ صباحاً ابتدرنا نحو الشمال الغربي ، ثم عبرنا في ٤٠ر٧ جدول نهر البحاج الذي يتجه الى الجنوب الشرقي ناقلاً الماء من هور الدهنة الى دجلة . وتألقت امامنا في ضوء الصباح قمة برج (عقرقوف) القديم ، والى الجنوب خرائب البضاغ . والى الغرب تلال السرّاحه وهور ابو جدايد .

ومن ٢٠ر٩ الى ٥٥ر٩ توقفنا في عقرقوف . وهي بقايا زاقورة ضخمة ، واكوام آجرّ قديم . وقد شيدت الزاقورة من لبن وآجرّ كبير الحجم وضع فيما بينها سعف النخيل يُلصق بالقار (٣٥) .

---

(٣٥) عقرقوف هو الحصن الثغري القديم دور كوريگالزو الذي بناه الملك البابلي كوريگالزو الاول (١٤٦٠ — ١٤٤٥ قم) (ونكلر الـواح فخارية في شريدر : مكتبة النقوش السمارية [١٨٨٩ — ١٩٠٠] ، المجلد ٥ ، ص ١٦) ، حيث كان معبد الاله بل .

ويقول ياقوت (المعجم : مجلد ٣ ص ٦٩٧) والقزويني (العجائب مجلد ٢ ، ص ٢٨٤) ان عقرقوف قرية في اعمال الدجيل ، على بعد خمسة فراسخ من بغداد . وبالقرب منها يقوم تل مرتفع يمكن رؤيته من مسافة خمسة فراسخ .

والى الشمال الغربي من عقرقوف تقوم ثومة خرائب تسمى البيّوض ، وعلى مسافة قصيرة الى الجنوب منها توجد خرائب الاسمر والفرّس ، والى الغرب من ذلك مشهد (الصالحين) الذي تزينّه قبة صغيرة . وفي ٢٥ر١١ رأينا الأخير الى جنوبنا(٣٦).

وسرنا الى الشمال الغربي بمحاذاة الطرف الجاف من هور الدم . وكان الشلغم من المحاصيل التي زرعت فيه . واسترحنا من الساعة ١٢ الى ١٠ر١ بعد الظهر . وفي ٣٥ر١ كنا عند الآبار المعروفة بـ (بيار الكرّمة) وعبرنا ، بعد ان جاوزناها ، نهر القرمة الذي يتفرع من الفرات غربيّ الصقلاوية . وعُمقُ هذا النهر لا يكاد يبلغ مترين ، ولم يتجاوز عمق الماء فيه حينذاك ٢٠ سنتمتراً . والى الغرب والجنوب من موقفنا الذي كنا فيه قامت خرائب البياض والأشهبي ، والى شمالنا خرائب العقلة والمقيّر .

في ٥٥ر١ كان الى يسارنا مشهد سيدنا ابراهيم الخليل . وفي ١٠ر٤ مررنا الى شرق ربوة خرائب يقوم عليها مشهدان ابيضان يسميان (بنات الحسن) ، وخيّمنا في الساعة ٣١ر٤ عند لحف هضبة (حمرة بني سعد) الى شرق تلّ المجصّة الابيض . وكان على مسافة قصيرة منـــا مخيّم للدليم ، وكانت هذه القبيلة تكنّ عداءً مريراً للحكومة . والغريب انها ناصبتنا العداء أيضاً لان الترك كانوا بصحبتنا . وقد اخذوا علينا اننا كنا السبب في القاء زعيمهم نجرس بن كعود (قعود) في السجن . وكانوا يرون انه لم يرتكب ذنباً على الاطلاق ، وانما خدعه

---

(٣٦) كانت السالحين محطة على الطريق العـام من بغــداد الى الانبار . وذكــر الطبري (التاريـخ سلسلة ٣ ، ص ١٦٠٠) انه في عـام ٨٦٥م امتلأ خندق بلدة الانبار بالماء من الفرات حتى فاض على الاراضي المجاورة كلها ، حتى بلغ الصالحين . ــ واغلب الاحتمال انه جرى في مجـرى القرمة حتى غمر الفيضـان الاراضي القريبة من الصـــالحين ، كما حـدث سنة ١٩١٥ ...
ذكر ياقوت المصدر السابق (مجلد ٣ ، ص ١٣) ان اسـم الموضــــع يكتب « السالحين » ويقرأ « الصالحين » وكلاهما خطأ ، والصواب هو : سيلحين نطقا وكتابة . وفضلا عن ذلك يقول ابو الفضائل (المراصد : مجلد ٢ ، ص ٤) ان هذه البلدة تقع على نهر عيسى .

جابي الضرائب الذي اراد منه ان يدفع الضريبة ثانية بالرغم من انه سبق ان ادّاها دون ان يأخذ ايصالاً منه . اما الدرك فلم تغمض لهم عين طوال الليل خوفاً من الدليم ، والواقع ان أحدهم اطلق طلقة عليهم بعد منتصف الليل . فبادرنا الى السلاح فوراً ، ولكن بغير طائل ، اذ لم يظهر أحد . . وبالرغم من الهدوء التام الذي ساد بعدئذ ، لم نستطع النوم ثانية .

في ٩ أيار سنة ١٩١٢ سرنا في الساعة ١٦ر٥ صباحاً نحو الشمال الغربي على امتداد الطرف الشرقي لـ(هور ابو رويس) ، حيث تألق تل المجصة المائدي الشكل ، وظهر لنا فيما وراء ذلك في موضع من ناحية الغرب مشهد ابيض يسمى (مكان المهدي) . وفي ٢٠ر٦ مررنا خلال هور ابو العويجيلة ، الذي يرتفع الى شماله (تل غرب) .

وأعلمنا دليلنا ، وهو من أهل تكريت ، أنّ الدليم أخبروه بان (شمّر) اعلنت عصيانها على الحكومة وانها تشن غاراتها الآن على الطريق العام الذي يربط بغداد بالفلوجة . وعلى الطريق الذاهب من بغداد الى تكريت فالموصل كذلك . والسبب في ذلك ان الحكومة سبق أن خلعت زعيمها مِجْوِل بن فرحان قبل ٢٠ يوماً ، ونصبتْ مكانه اخاه حميدي . فثارت ثائرة مجول لذلك ، فتحالف مع أخيه الآخر فيصل ، واندفعا في طريق الحرب . وكان فيصل في الشتاء السابق في نجد ، وسط الجزيرة العربية ، وهي الموطن الاصلي لقبيلة شمر التي تقطن بلاد الرافدين ، وذلك لاسترضاء (تومان) الذي كان قد أختلف مع أبيه فرحان فهاجر الى نجد مع اتباعه . ونجحت مهمة فيصل الى حد انه اعادهم الى بلاد الرافدين . وما ان استقروا هنالك حتى أصبح من الميسور كسبهم الى جانب الثوار ، اذ كانو يكرهون حميدي اشد الكره لانه كان الابن المفضل لدى ابيه فرحان .

وقد أدخلت هذه الحكاية الرعب في قلوب دركيينا حتى كادا يجنّان هلعاً . واخذ كلّ منهما يندب حظه التعس الذي كتبه الله له . الم نكن نسافر الآن في هذه الارض التي لا بد ان تمرّ بها شمر اذا ارادت الغارة على المسافرين في طريق بغداد - الفلوجة ؟ وقريباً سندخل طريق تكريت حيث يصبح بامكان هذه العشيرة أن

تعيث فيها ايضاً . ومن المؤكد انهم لن يُبقوا على الدرك ، الذين يمثلون الحكومة . وقد بذلنا وسعنا للتخفيف عنهم ، ولكن دون جدوى . وظلّوا يندبون حظهم .

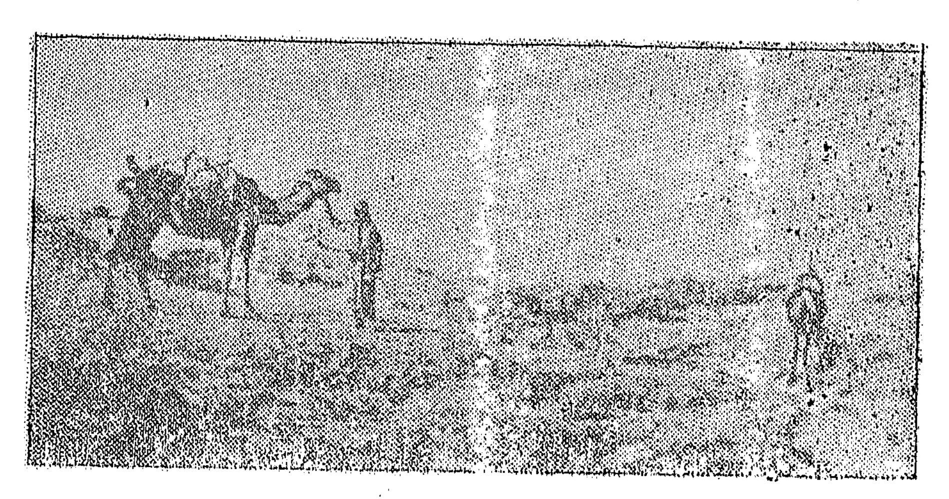
وسرنا في سهل متموج يرتفع بالتدريج نحو الغرب . وكانت تنتشر هنا وهناك روابٍ قبابية منخفضة . ولم تكن النباتات الدائمة والسنوية تنمو الا في المواضع الواطئة . وفي احدى هذه الاراضي المستوية الواقعة عند اللحف الجنوبي لهضبة (ردايف) رعتْ جمالنا من ٨٫٤٠ الى ٩٫٢٠ . ولفت الدليل نظرنا غرباً الى بئر الكيفيات ، وشمالاً الى بئر الرشراش .

ولم يكن بامكاننا تهدئة الدرَكيَيْن فقد بقيا يتحدثان طوال الوقت عن اولادهم واقربائهم ، واخوانهم ، ويصرّ ان على ان هلاكنا بات محتماً في الصحراء حيث ستذهب دماؤنا هدراً إذ ما من احد سيعرف شيئاً عن القتلة . كان الهواء ممتلئاً بالغبار ، وكانت الشمس طالعة ولكنها ضعيفة النور . وكان الحرّ شديد الوطأة . واسترحنا من الساعة ١١٫٠٢ الى ١١٫٥٥ في منطقة الثريثر . وحيثما وجّهت نظرك لا ترى تلاً او ربوة او شجرة سوى سهل متموج يمتد امامنا ووراءنا بما فيه من اماكن مرتفعة واسعة ومنخفضات غير عميقة وكان من الصعب أن نسير في خط مستقيم ، حتى ان الدليل نفسه التمس منا اللجوء الى البوصلة لتحديد الاتجاه .

بئر الحصيني الى كهف الكلب

والى الغرب من بئر الحصيني رعتْ جمالنا من ٣٫٤٢ الى ٤٫٢٠ بعد الظهر . وفي الجنوب شوهدت تلال عكّار الواطئة التي يقـــع الى شرقيها (بئر السبعة) مع ماء (عَلْيّة البنات) في الجنوب . والى الشمال عند لحف مرتفع ردايف : بئر (الخسيفات) . وفجأة رفض الدركيان ان يتقدما أبعد من ذلك . حتى انهما عمدا الى التهديد بعودتهما الى دجلة اذا واصلنا السير في هذا الطريق . وانضم الدليل اليهما ، فلم يكن لنا مندوحة عن التفاوض . وطوال ذلك اليوم لم يقع بصرنا على خيمة او كائن بشري . وكان يمكننا الاستغناء عن الدركيين ، اما عن الدليل فلا . . . واتفقنا آخر الأمر على المسير الى دجلة ولكن باتجاه شمالي وليس باتجاه

شرقي ، ولهذا انعطفنا الى شمال — الشمال الغربي نحو تل ترابي هائل لاح لنا على الأفق . والى غربنا كانت آبار خنفسان ، الرضوي ، وحليج الذيب ، والى الشرق بئـــر السبعة . وفي ٥٠ر٦ أقمنا خيامنـــا في واد مغطّى بأعشاب ونباتات دائمية .



(شكل ١٩ — ركام سور (جلو) قرب بئر ابو ظهير)

في ١٠ ايار سنة ١٩١٢ امتطينا السروج في الساعة ٠٢ر٥ صباحاً ، وفي الساعة السادسة حينما كنا شماليّ بئر الغردقية ، وصلنا الى ركام سور (جلو) يتراوح ارتفاعه بين اربعة وستة امتار ، ويبلغ عرضه في اسفله ٣٠ متراً ، و١٥ متراً . وبرزت في بعض المواضع نتوءات دائرية كأنها بقايا ابراج . ويمتد الى جانبه الغربي منخفضٌ غير عميق ، لعلهم اخذوا ترابه لعمل الربوة ، وهذا يوضح كذلك لِمَ كان الركام في جانبه الغربي اعلى بكثير مما هو في جانبه الشرقي . وواصلنا السير الى الجانب الشرقي من الركام على الأغلب . وقد نبت في الاراضي المجاورة : الرمث والأرطة . والى الغرب بدتْ هضبة الشنانات العريضة ، حيث توجد آبار اللُبّاد والبراغيث . والى شرق — الشمال الشرقي من الغردقية ماء (ابو عظام) . ومن ٢٥ر٨ الى ٥٣ر٨ تعبتْ جمالنا بين بئر ابو ظهير وبئر ابو

شراطة ، (شكل ١٩) والى الشرق كانت تلال (المطبّق) العريضة الواطئة تسدّ الأفق ، وبجانبها تقع بئر العتيق والشّطايط . والى الغرب بدا ضريح الحجيرة للعيان .

في الساعة الحادية عشرة ظهـــرت فوق الأفق مئذنة عالية ، وبالقرب منها تألقت قبّة كالذهب في مدينة سامرّاء .

وبدأت تظهر قبب اخرى وبعض الأبنية من خلال الوهج مما يخيل للناظر انّ بريقها وموقعها وشكلها يتغير باستمرار . واخذت اشعة الشمس المحرقة تلفحنا بدون رحمة ، وسرت رعشة في الهواء ، وما لبث ان كون الوهج طبقات كثيفة انعقدت على الافق الواسع ، وتبدل مظهر المنطقة كلها في فترات متقاربة . وشوهدت الى الشرق ، على ضفاف دجلة ، خرائب الاصطبلات وخرائب وقرى : القبّان ، المعيبر ، ام شعيفة ، تلّ المصايح ، الغضاضير ، البحيرية ، الحباب ، تل ذهب ، التويثة .

في الساعة ١٢٫٤٥ بعد الظهر استدرنا قليلاً الى اليمين من ربوة السدّ ، وعبرنا في الساعة الواحدة جدولاً قديماً ، واخترقنا سهلاً مقفراً ابيض مغطىً بنباتات العجرش والشفلّح واشجار السدر . واسترحنا بين قريتي شريعة الغزال والمعوجيل بجانب الطريق العام المؤدي من بغداد الى تكريت . والى الغرب منا كانت نهاية ربوة السدّ ، والى الشرق : خيام فرق العمال المكلفة ببناء سكة الحديد . وهنا تابعنا الطريق العام المتجه الى الشمال . وكان الى يسارنا سفح صخري يرتفع ارتفاعاً تدريجياً سرعان ما تحوّل الى صفّ من الاجراف العالية تطلّ على وادي دجلة وتحجب الرؤية من الناحية الغربية . وفي القسم الجنوبي من هذه الاجراف المسمـــاة كهف كلب يوجد بئر قصير وبئر ابو شنين . وفي ٥٥ر٢ كانت ربوة كهف كلب ترى من جهة اليسار ، والى شمالها خرائب الصليبية . حتى اذا بعدنا عما يلي ذلك شمالاً فوق الاجراف العالية ظهر قصر الخليفة او العاشق ، والى جهة الشمال الشرقي توجد بضعة أكواخ تتألف منها قرية عابد .

وفي السهل المتموج المعروف باسم ذمّوم : غربيّ العاشق ، يوجد البئر الطبيعي المسمى الاجودي وربوة خرائب الحويّصلات .

كهف كلب الى تكريت

" في الساعة ٢٠ر٤ كانت على يسارنا أجراف كهف كلب والمغارة التي تحمل الاسم نفسه . وكانت الارض التي اخترقناها أرضاً زراعية . وكان نهر الاسحاقي القديم يمتد بين الطريق ولحف الاجراف . وعلى اليمين ، رأينا مدينة سامراء الحديثة ، وخرائب المدينة القديمة ، المهجورة منذ وقت طويل . ولا بد ان تكون العاصمة بغداد قد بلغت درجة هائلة من الاتساع والعظمة فيما مضى بعد ان اسسها وزيّنها عدد كبير من الخلفاء ، إذ ان سامرّاء ، التي انشئت لتكون مقراً موقتاً لهم ، كانت تتباهى بمثل هذه السعة . ان سامراء حافلة بآثار عهودها التي خلت منذ عصور طويلة ، بينما لا نجد في بغداد بناية واحدة من الابنية القديمة الرائعة قائمة الى اليوم . هنالك هدموا كل شيء ودمّروه ، واستعملوا انقاض العصور الضخمة في اصلاح بيوت اليوم وأكواخه . .

وفي ٠٥ر٥ خيّمنا على بروز صغير يطل على النهر مباشرة ، اسفلَ قصر العاشق (٣٧) . . "

---

(٣٧) يذكر ابن جبير (الرحلة : ٢٣٣) انه نزل مع الصباح بمقربة من قرية تعرف بالحربة من اخصب القرى وافسحها ، ورحلنا من ذلك الموضع ، واسرينا الليل كله ، ونزلنا مع الصباح على شط دجلة بمقربة من حصن يعرف بالمعشوق ، ويقال انه كان متفرجاً لزبيدة ابنة عم الرشيد وزوجه رحمه الله . والمسافة بين هذا الوضع وتكريت تبلغ مسيرة يوم واحد . وقد شاهد ثفنو (الرحلات باريس ١٦٨٩ مجلد ٢ ، ص ٢٠٦) الى اليمين قرية تسمى عشوق ، واخرى تدعى المعشوق الى اليسار . واخبره الاهلون انه كان في كل من القريتين برج : وكان يقيم في احدهما العاشق ، وتقيم حبيبته في الآخر . وهنا كانت المحطة السادسة للقوافل القادمة من الموصل الى بغداد .

ومن الضفة اليمنى الصخرية تنبع على حافة النهر تماماً ، عين يتدفق منها ماء عذب ، احسن وابرد كثيراً من ماء دجلة . وعلى مسافة قريبة من هذا المكان كانت جماعة من اصحاب الرّمث (الاكلاك) العائدين من بغداد قد استلقوا على الارض طلباً لراحة قصيرة . وكانت حميرهم محملة بسلال كبيرة ملأوها باكياس مخيطة من جلد الماعز المدبوغ . ويرحل اصحاب الرمث بهذه الاكياس حتى كردستان حيث يبتاعون الخشب ، والحبوب ، والصوف والزبد ، ثم يصنعون ارماثاً صغيرة من الخشب ، يربطون في أسفلها قرباً جلـدية منفوخة ، ثم ينحدرون بها في دجلة الى بغداد . وهناك يبيعون كل شيءٌ ، ما عدا قرب الجلد . وتحمّل هذه القِرَب مرة ثانية على حمير يجلبونها معهم أو يشترونها في طريقهم ، ويعودون ادراجهم للمتاجرة مع الاكراد كما فعلوا اول مرة .

في الساعة ٥٨ر٤ صباحاً من يوم ١١ أيار سنة ١٩١٢ سافرنا بمحاذاة الضفة الشرقية لنهر الاسحاقي (٣٨) . والى اليمين منا ، على الضفة اليسرى من دجلة ،

---

(٣٨) ويذكر ابن سرابيون : العجائب ، مخطوطة المتحف البريطاني ، ورقة ٣٦ يمين .

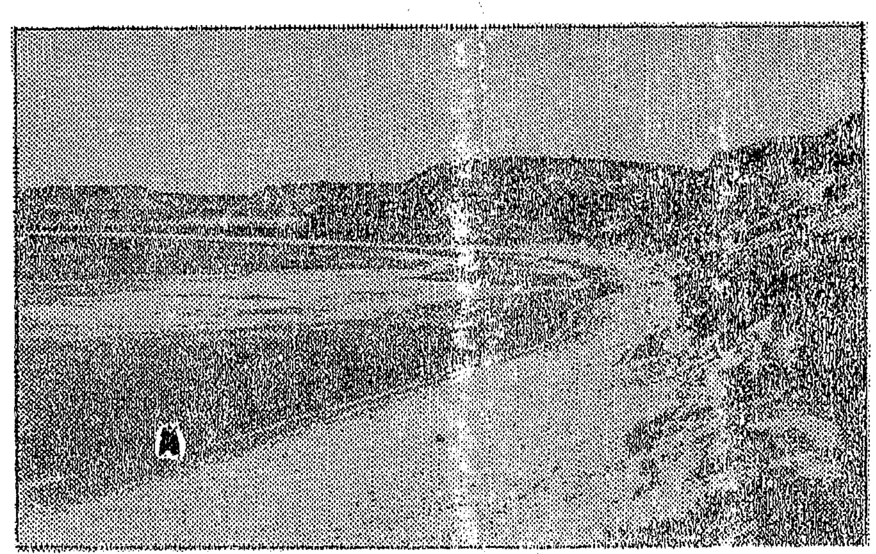
الاسحاقي اوله اسفل من تكريت بشيء يسير يمر في غربي دجلة عليه ضياع وعمارات ، ويمر بطيرهان ويجيء الى قصر المعتصم بالله المعروف بقصر الجص ويسقى الضياع التي هناك في غربي مدينة سر من راى المعروفات بالاولة والثانية والثالثة الى السابعة ويصب في دجلة ازاء المطيرة

وكان قصر الجص يقع على الضفة اليمنى فوق قصر الهاروني ، وهذا الأخير يقابله على الضفة اليسرى قصر المعشوق ، وهو مطابق لقصر العاشق اليوم . وكانت المطيرة متنزها لاهل بغداد وسامراء ، وكانت تقع على نحو فرسخين اسفل من القصر الأخير (ياقوت : المعجم ـ مجلد ٤ ص ٥٦٨) . ويحدد موقع طيران شمالي قصر الهاروني ،ولعله في خربة.

وبحذاء الضفة اليمنى لنهر الاسحاقي يمر طريق الاسحاقي المؤدي من سامراء الى الانبار (الطبري سلسلة ٣ ، ص ١٦٠٠) .

ولما كان الجدول الرئيسي لنهر الاسحاقي ، في اي موضع كان لايقترب

ارتفعت اسوار اشنـــاس ومآذن ابي دلف وإمـــام دور (*) وفي الساعة ٦٫١٥ شاهدنا على جرف الى يميننـــا ، ركام خرائب الحويصـــلات ؛ وكانت على اليمين حقول بو عباس الزراعية .



(شكل ٢٠ — ضفة دجلة اليمنى الصخرية قرب قصر العاشق)

وهنا يأخذ السهل الفيضيّ في الاتساع حيث تتراجع أجراف الضباعي الى الغرب . وبعد الساعة السابعة اخترقنا مزارع كان يحصد فيها الشعير . وفي ٧٫١٥ كانت قُريّة عباس على يميننا ؛ وقد إرتفعت وراءها على الضفة اليسرى منارة

= من الانبار اكثر من ثمانين كيلومترا ، فانه ينبغي لنا ان نفترض ان هـــذا الطريق كان يتابع الضفة اليمنى لفرع من هذا الجدول . ولابد ان يكـــون الطريق المذكور قد استمر في جريانه على مرتفع الردايف تفاديا لخنادق السري [المثبوتة هنا وهناك]. وينبغي ان يكون هذا الفرع من الجدول قد ترك الاسحاقي غربي الاصطبلات الحالية ، ومضى جنوبا ، بينمـــا عاد الفرع الكبير من الاسحاقي للاتصال بدجلة في جنوب شرقي الاصطبلات . اما الفرع فهو في نظري جدول الفرحاتية المردومة في الوقت الحاضر .

* يقصد به المشهد المعروف في مدينة الدور .

ابي دلف بشكلها المستطيل. ومن ٨٫٣٢ الى ٨٫٥٥ رعتْ جمالنا بالقرب من طريق يهبط من هضبة الضباعي التي تقع فيها خرائب (المكيشيفة) ، وعين الهويرة ، وبئر الخيزة . وفي ٩٫٢٠ رأينا على يمين الطريق خرائب رسم المحيجر ، حيث يبلغ عرض السهل الفيضي كيلو متراً واحداً فقط. وفي ١٠٫٥٠ كنا عند قبر العروس أسفلَ أجراف خشم الجدمة والمزارع الواقعة الى الشمال الشرقي من هذا القبر ، المعروفة باسم حاوى العوجة ، ملك لعشيرة البيجات . وملأنا القرب من النهر الفائض من الساعة ١٢ الى ١٢٫٣٠ بعد الظهر ، بالقرب من مزارع المجيبرة ، وكانت مياه الفيضان قد بلغت الأجراف الصخرية العالية الواقعة في الغرب مما ادى الى قطع الطريق المؤدي مباشرة الى تكريت . واهذا أخذنا الطريق العام الذي يخترق شعيب الفحل (الذي يفيض من ماء الشجيمي) وصعدنا الى هضبة المطلع في الغرب . وبدت في النهر جزر متعددة مغطاة بأشجار الحَوْر كأنها قطع سوداء ، غير أنّ الضفتين،إبتداء من العاشق ، كانتا عاريتين من اي اثر للاشجار أو الشجيرات . وفي ١٫١٥ عبرنا شعيب الرومية العميق ، وفي ١٫٢٥ شعيب شيشين ، وفي ٢٫٠٢ شعيب شعيبة . وكنا نرى أسفلَ منا شرقاً جزيرة جيوان الكبيرة نسبياً، وهي ملك البوعجيل؛ وظهرتْ من مسافة بعيدة على الافق الشمالي الشرقي سلسلة حمرين ؛ والى الغرب منا مرقد الأربعين : والى شماله ضريح محمد الباسر ، وبدت امامنا خرائب تلول الكهفة ، التي سرعان ما تركناها على يميننا .

ان بيوت تكريت الحديثة (٣٩) تغطي نتوءاً صخرياً من مرتفع يقع في الربع الشمالي الشرقي لبقعة كثيرة الاطلال . ويهبط النتوء الى النهر بانحدار شديد من ناحية الشرق ويغور الى الجنوب في جوف عميق قاسماً الاطلال الى قسمين . والى الشمال يندمج بالتدريج في خليج صغير في ضفة النهر ، بينما نجد في الغرب ضلعاً شديد الانحدار يصل بينه وبين المستويات العليا للهضبة . ويعرف

(٣٩) انظر فيما بعد ، الملحق ٢٫١ .

القسم الجنوبي من المدينة ، بالقلعة ، والقسم الشمالي بالحارّة(*) . وتوجد مقبرة في ضلع الجبل المذكور ، حيث توقفنا في ٢٧ر٢ . ويقسم المنخفض الجنوبي ، المسمى بالمسيل ، الخرائب الى قسمين . وترتفع تلال القسم الجنوبي المعروفة بـ (أَلِكْهِفَة) أعلى من المعتاد . وثمة ربوة خرائب واسعة اخرى تسمى تل السكن ، وتقع الى الشمال الغربي من المدينة الحاضرة . ويسكن تكريت نحو الف عائلة ، من بينهم كثير من اليهود ، (**) ولكن ليس منهم أسرة مسيحية واحدة . ووسائل المعيشة الرئيسة للسكان هي المتاجرة مع الاكراد ، ومع مدينتي سامراء وبغداد .

(*) يبدو ان المؤلف قد خلط بين موقع المحلتين ـ المراجع

(**) لم تكن في تكريت آنذاك سوى اسرة واحدة لصائغ يهودي ـ المراجع

الفصل الخامس
تكريت الى راوه مرورا بالثرثار
تكريت الى شعيب شيشين ، منطقة شمالي تكريت

بعد ان وجدنا دليلاً يعتمد عليه يسمى احمد الخطّاب ، وتزودنا بمقدار من الشعير يكفي خيل الدرك ، غادرنا مدينة تكريت المهملة في الساعة ٢٥ر٥ وانطلقنا في سهل مقفر متجهين غرباً . وتجاوزنا مرقد محمد الباسر ومشهد الاربعين الكبير الخرب ، الذي كان ديراً في عهد سابق — حتى بلغنا وادياً واسعاً قليل العمق يعرف بوادي شيشين حيث نصبنا خيامنا في ٢٠ر٦ . وقد وجدت جمالنا الجائعة هناك مرعى جيداً ، بينما كان جو المكان النقي وهدوئه التام متعة لنا .

ورسم لنا الدليل في الرمل خارطة لهذه المنطقة .

وتقوم الى الشمال من تكريت التلول المسماة (تلول جحا) . وينتهي شعيب (درب) الحمر في السهل الفيضي شمال هذه التلول . وبالقرب منها تقع خرائب (الثويبت) ، (الثبوت) والكهف المسمى (مغارة السعلوة) ؛ وأبعد من ذلك يوجد شعيب (الجريم) (الكريم) مع بئر يحمل الاسم نفسه . ويلي ذلك شعيب (ابو رياش) ، الجيسات مع آبار ابو قطب والربيضة ، وأخيراً الشريمية مع عين الشبيهة . ويقع مركز الشرطة المسمى (نقطة الشريمية) على ضفة النهر بجانب الشعيب الاخيــر ، ويقع بجانب الجيسات خان الخرفينة . وبالقرب من شعيب الكريم يوجد الضريح المسمى قبة ابو خلخلان (خلخـــال) وإلى الشمال من الشريمية تمتد جبال المكحول (٤٠) والمجيحيل من دجلة باتجاه شمال الشمال

---

(٤٠) ان سلسلة مكحول هي جزء من سلسلة الجبال التي كانت تسمى بارمـــا قديما . ولعلها سميت باسمها الحاضر نسبة الى قريـــة كحيـــل وخليجها الصغـــير .

=

الغربي ، وتفصل بينها الفجوة المسمـــاة (جفرة الحار) ، ويتعرج خلالها شعيب جهنم ، الذي يتصل بدجلة بالقرب من اطلال قلعةقصر البنات .

=

ويشير ابو الفرج في اغانيه (بولاق ـ مجلد ٢ ، ص ٥٨) وابن الاثـير في الكامل (مجلد ٤ ، ص ٢٦٠) الى شعيب الكحيل على بعد عشرين فرسخا جنوبي الموصل . وفي هذا الموضع اثناء خلافة عبدالملك (٦٨٥ ـ ٧٠٥) قاتلت بنو تغلب وحلفاؤهم من قبائل اليمن قبيلة قيس ـ وان عشرين فرسخا من الموصل تؤدي بنا الى جبل مكحول .
وكان والد الاسقف العلامة موسى بارسيفا المتوفي سنة ٩٠٣ ، من ابنـاء قريـة الكحيل على دجلة (اسيمانوس ـ المكتبة الشرقيـة ـ رومـا ١٧١٩ ـ ١٧٢٨ مجلد ٢ ورقة ٢١٨) .
ويذكر الاصطخري في مسالكه (ص ٧٥) والسن على شرقي دجلة وهي مدينة صغيرة بقربها جبل بارما على مرحلة . وجبل بارما يمتد الى وسط الجزيرة ممـا يلي المغـرب . ويقـال انه مما يلي المشرق يمتـد الى حد كرمان .
ويقول ابو الفضائل في مراصـده (مجلـد ٢ ، ص ٤٨٠) ان الكحيـل قرية تحت الموصل على شـاطيء دجـلة الغربي مقـابل الحديثـة . به مشهد يعرف بمشهد الكحيل قبل كان مدينة عظيمة .
وسافر تفنو (الرحلات : باريس ١٦٨٩ مجلد ٢ ، ص ١٧٩) مـن الموصل الى بغداد بحذاء ضلع جبلي يقال ان احد الفرنجة بنى قلعة فيه ، وفقا للرواية المحكية ، تسمى مكحول قلعى (قلعة مكحول) . وتعرف قلعة مكحول ايضا بقصر البنات . وفي موضع اسفل منها مبـاشرة يتلقى نهر دجلة شعيب جهنم ، الذي ربما كان مطابقا لشعيب الكحيل . وهـذا يتفق مع المسافة عشرين فرسخا من الموصل .
ولعل مكحولا يطابق كذلك بلدة العقر الاقدم منه عهدا .
وقد وصل ابن بطوطة (التحفة ـ مجلد ٢ ، ص ١٢٣) بعد مسـيرة مرحلتين من تكريت الى بلدة العقر على شطر دجلة وبأعلاها ربوة كان بهـا حصن .
حصن . وبأسفلها الخان المعروف بخان الحديد له ابراج ، وبناؤه حافل ، والقرى والعمارة متصلة من هنالك الى الموصل .
ويقول ابو الفضائل (المصدر السابق مجلد ٢ ، ص ٢٦٧) ان هـذه البلدة كانت تسمى عقر ابن زعلا .

ان التآكل الذي احدثه نهر دجلة في النصف الجنوبي من جبل مكحول هو الذي كوّن الممر الضيق المعروف بالخانوقة . وبالقرب من هذا الممر بُني خان النمل بجانب النهر ؛ وتقع الى الشمال منها خرائب قلعة شرقاط ، او آشور القديمة . وعلى امتداد السفح الغربي لجبل مكحول يتعرج وادي الثرثار الذي يبدأ من الشمال الغربي لنهاية الجبل بالقرب من التلول المسماة (تل عباده)(٤١) والمريتيصي ، والنجمة .

ويحدد الأهلون رأس الثرثار في شعيب الثريشير ، الذي يتصل به من اليمين : العبدان ، وخور مرّ ، والخنيفس ، شعيب فويعة ، ومن اليسار : شعيب الحمر . وفي الشعيب الأخير هذا توجد مياه (سحل حمد) والصليبيات ، والدبشية ؛ وفي شعيب الثريشر توجد مياه الجمل . وعند ملتقى الحمر بالثريشر توجد بقايا جسر القنطرة ، وتقع الى الجنوب الغربي منها خرائب الحضر . والى الشرق من هذه الخرائب ، قريباً من مجرى نهر الثرثار ، توجد اطلال الأسرب . ويخرج من جبل مكحول شعيب الصفاء والعنبية وجهفت (كهفة) الخيل ، والسويسه ، والعجارب (مع عين مطلق) ، ام الغُرُبه ، المنجور ، والزبيدي . وفي هذا الأخير توجد آبار طبيعية هي : الزبيدي ، بلايج (٤٢) ، ابو شاطن ، وخدرن .

وتبرز اكمة خربة هي تل بكر غربيّ بئر خردن ، ويقوم الى الجنوب منه ضريح الشيخ حديد . وتوجد على جبل مكحول ، شمال دجلة ، خرائب المسّحق والجبّار ، والى الجنوب بئر المرس وشعيب وضريح المصّلحة . وينضم الى

---

(٤١) يذكر الاخطل (الديوان ــ الصالحاني ص ٣٢) تل عبده بالقرب من الحشاك على نهر الثرثار .

(٤٢) يقول ياقوت (المعجم : مجلد ١ ص ٧١١) ان البلاليق موضع بين تكريت والموصل ، وانها كانت تسمى البلاليج ايضا ... مع ابدال القاف بالجيم ــ ان الجيم هنا تمثل نطقا خاصا لحرف القاف من اعلى الحنك (اعلى باطن الفم) ؛ وهذا النطق في لهجة الروله يختلف عن صوت الجيم [المألوف] .

الثرثار . جنوبيّ الزبيدي من جهة اليسار شعيبـــان الحميرآت ، ابا القدور ، السمومة ، ام غُربة (مع بئر الخيل) ، الافيتح ، ابو جدعه ؛ ويقطع الشعيب الأخير الطريق المؤدي الى عانة . اما الشعيبان التي تنضم الى الثرثار من جانب اليمين فهي ضحلة وقصيرة . والى الجنوب من الحضر توجـــد شعيبان الســدّة ، و الدّباغية ،الشّيلية ،و هذا الأخير يأتي من آبار الشوه، الكحيفات ، الأعظميات . ويوجد في شعيب الجحران بئرٌ يسمى بهذا الاسم ، والى الغرب منه تقع بئر النفيعة ، والى الجنـــوب منهل السّحريات . وفي الشرق من هذا توجد آبار الغريرات ، مع بئر الشطيطات الى الجنوب منها . وفي الجزء الاسفل من شعيب الزبيدي ينضم الى الثرثار شعيب الحبة ، وعند رأسه تقع بئر ابي ذكير وخربة بنيّة الفاج . والى الجنوب الغربي من هذه الأخيرة توجد آبار الحاّث ، السّمدان ، أبو زبير ، ام طوق ، اللولحية ، الهلهي ، . والى الجنوب الشرقي من ابي زبير توجد آبار المروان ، والثميليات، والمصطفيات ، والمرة . وتوجد في غرب التميرات آبار العرسة ، المانعة ، بنيّة الملحة . وأسفل من ملتقى شعيب ام غربه الثرثار – مباشرة - يوجد شعيب الطبيشية ، وبالقرب من فم شعيب الأفيتح وقبر الصلبي يوجد شعيب ينحدر من عيون الجريبيعات .

شعيب شيشين الى الجمه

في ١٢ ايار سنة ١٩١٢ بدأنا السير في الساعة ١٢ر٥ صباحاً في اتجاه غربيّ مخترقين منطقة متموجة تقطعها أودية واسعة . وظهر لنا الى الجنوب الغربي مخروط منخفض نسبياً حيث يقع بئر الغربان ؛ كمـــا توجد من جهة الشمال الغربي اكوام صغيرة من الحجر لتدل على موضع نبع صغير هو نبع البيجات وفي الساعة ٥ر٦ كانت الى الجنوب منا خرائب الجبران وبئره ، وفي الساعة ١٠ر٧

اخترقنا شعيب البسيتين الذي يقع في صدره ماء البسيتين ، وتقع اسفل منه عيون الدريجة ، والغزلاني ، والحريس ، والأبطح ، والشيوخ ، والخماش . وحوالى الساعة ٨٫٧ كنا عند آبار الحمراني (٤٣) ، وتقع هذه في واد عريض ينحدر الى الجنوب وتحفّ بها روابي : قارت الحصى الواطئة . وماء الحمراني مَجّ والمنطقة المجاورة له قفراء ، وتربتها متفتتة رمادية قاتمة اللون . وعلى بعد خمسة كيلو مترات الى الجنوب يمكن مشاهدة خرائب خان الاخوان على طريق عانة الذي يتجه غرباً ، ويمرّ بآبار : ابو جدعة ، الصّلبُي ، المعالف ، امّ ركيبة ، ابو درج ، الاهذيبه ، المجباش ، النخيلة ، ساحل الطويل ، ساحل ابو خريبة ، الطقاقة ، والصفاء .

ويلتقي شعيب الحمراني وشعيب البسيتين ؛ وتقع الى الجنوب من الأخير آبار ابو جحاش ، المنقوب ، الشقرة والسدّة . ومن ٨٫٢٥ الى ٨٫٥٦ اخذنا قسطاً من الراحة . ثم انعطفنا الى الجنوب الغربي فوصلنا الى بئر الحياضية في ١٠٫١٠ ، وفي الساعة الحادية عشرة رأينا امامنا ، على بعد ٢٥ كيلو مترا ، الضفة اليمنى من وادي الثرثار ، وعلى حافتة صفّ من اشجار السدر . وفي ١٢٫٢٠ بعد الظهر اخترقنا شعيب المرير الذي تكثر فيه آبار مجّة الماء ثم استرحنا من الساعة ١٢٫٣٠ الى ١٫٣١ . .

ويجري المرير في اتجاه الجنوب الغربي بين تلال مرقب فرحان ومرقب الحمه في الغرب والعوسجية في الشرق . وتقع كل من بئر ابو زمايل والعوسجية في هذا الوادي . والى الجنوب من هذه الأخيرة يرتفع تلّ المالحات وبالقرب

---

(٤٣) يبين ياقوت (المصدر السابق : مجلد ٢ ، ص ٣٣٣) ان قصر حمرانة يطلق على بلدة تبعد مسيرة يوم واحد من تكريت بالقرب من المعشوق غربي سامراء . والظاهر ان مزرعة حمرانه كانت تقع على الطريق من تكريت ، لهذا يمكن القول انها تطابق حمراني التي ذكرناها آنفا .

منه تقع بئر المالحة ، بينما تجري العين المعروفة بعين الأريب الى الغرب من ذلك . ومن هذه العين ومن آبار الممبطح ، والتريدة ، وام الحيايه ، تنحدر عدة أخاديد صغيرة قصيــرة الى الثرثار . وفي ٣٥ ر ٢ كان على اليمين منـا عين النخيلة التي تقع في حف السفح الجنوبي لتل صغير يعرف باسم أبو جذع . ووصلنا في الســاعة ٤٥ و ٢ الى الحافة الغربية لهضبــة تمتد بين دجلة ووادي الثرثار الفسيح ، الذي شاهدناه أمامنا — : يحف به غرباً سفح رمادي تغطيه بساتين داكنة الخضرة وبرك صغيــرة متلألئــة بلونهــا الضارب الى الحمرة . واختفى الوادي بعد مسافة بعيدة الى الجنوب وراء مخروط الحصيبي المرتفع الاحمر وتبين فيه سطح مائي مالح لامع لايختلف شكله عن بركة متجمدة . وتبين للدليل ان يكون ذلك ام رحل . ويأتي الناس من جميع القرى المجاورة ومن تكريت كذلك للحصول على الملح من هذه البحيرة ، زاعمين انه احسن طعماً من الملح المستخرج من (منخفض) ملح العسكر شمالي عانه ، او من منخفضات الملح الأخرى غربي الثرثار . وكان الهبوط لايخلو من صعوبة كبيرة ، وخاصة في أول الأمر اذ كانت الارض الصفراء قد تآكلت الى عمق غير قليــل واصبحت جميع المنحدرات شــديدة الانحــدار . وفي ٢٥ ر ٣ مررنا بعين الحصى وكانت آنذاك مليئة بالجراد وبعد أن تعرج طريقنا بين عــدد لايحصى من تلال ترابية استطعنا الهبوط الى حوض (الثرثير) الصغيــر (وينبغي ان لا نخلط بينه وبين الشعيب الذي يحمل الاسم نفسه الواقع في صدر الثرثار) ، المغطى بطبقة كثيفة من الحشائش ، حيث أقمنا خيامنا في الساعة الخامسة من بعد الظهر وقد اخذت الشمس النارية تتوارى وراء الهضبة الغربية وكنا لانزال نرى الى الشمال هضبة الحمر التليبيشية وام ركيبة . وفي الساعة ٠٥ ر ٦ من صبــاح يوم ١٣ أيار سنة ١٩١٢ تابعنا طريقنا مرة أخرى . وهنا يتسع شعيب الثريثير فيصبح سهلا تحفه من الشرق حافة عالية مكونة من طبقات صخرية ملحية . وظهر في الشمال قبر ابيض يسمى قبر الصُلُبي وفي ٤٠ر٥ كنا على ضفة مجــرى الثرثار ويتروح عــرض وادي الثــرثار بين ستــة الى عشــرة كيــلومترات .

وهو قليل العمق كثير المستنقعات ، بحيث ان النهر يغطي مساحة شاسعة وقت الفيضان . وقد يصعب عبوره في مثل هذه الاوقات ، لأن الحيوانات لايمكن ان تتجنب المستنقعات . ولا توجد أرض صخرية تصل قريباً من مجرى النهر تجعل العبور ممكناً الا على الضفة اليسرى من شعيب الشريشير . وعلى الضفة اليمنى نجد بئر الجمة التي لا يكاد يبلغ عمقها متراً واحداً ، شأنها كشأن جميع الآبار الأخرى التي على طريقنا . وهنا توقفنا من ٦ الى ٦/١٨ . ولما لم يكن بمقدورنا التأكد من ان الآبار الاخرى غير ملوّثة بالجراد كهذه البئر ، فقد رمينا الميتة منها جانباً ، وملأنا قربنا بذلك الماء الأصفر المج الكريه الرائحة . (٤٤) .

(٤٤) نهر الثرثار كان معروفا لدى الكتاب القدماء .
واصطاد [الملك] توكلتي انورتا الثاني تسعة من الثيران البرية بالقرب من الثرثار (الحوليات ـــ شيل ١٩٠٩ ، لوحة ٢ ، الوجه المقابل ، ص ٤٥ فما بعد ؛ شيل : المصدر نفسه ص ١٤) .
ويرى شيل (المصدر السابق ص ٣٥) أن توكلتي ننب (توكلتي انورتا) الثاني أمر بسحب مياه الامطار من الخزانات الصناعية ، التي سماها گبو المحاذية للثرثار . وكلمة گبو مطابقة لكلمة الجب الحديثة التي تدل على بئر صناعية فيها عين ماء ، ويوجد من هذه الاخيرة عدد كبير على امتداد الثرثار .
ويشير بطليموس (الجغرافيا مجلد ٥ ، ١٨ : ٣) الى نهر يقال له سوكوراس بين الفرات ودجلة . ويتفرع من خابوراس (الخابور) ويصب منفردا في الفرات .
ونهر سوكوراس الذي لم يرد ذكره في أي مصدر كلاسيكي آخر ، مطابق لجدول اراكسس (دورين الحالية) الذي يتفرع من الخابور عند قرية السكير التي هي سوكوراس القديمة اما فيما يخص نهر الثرثار فان بطليموس لايذكره البتة ، مع أن بلدة الحضر المحصنة ، وكانت مركزا تجاريا هاما ، كانت تقع عليه . ولابد ان يكون بطليموس قد عرف الحضر التي اوردها بصورتها المحرفة : بيترا (وهي أرجح من بتهترا) .
وقد اخذ الكتاب العرب بالايضاح الذي اورده بطليموس عن أصل سوكوراس ـــ على انه يخرج من الخابور ـــ فأوضحوا اصل الثرثار بالطريقة نفسها .
وفي خلافة عبدالملك الأموي (٦٨٥ ـــ ٧٠٥م) نشبت المعارك غالبا على ضفاف الثرثار بين القبيلتين المتنافستين : تغلب وقيس . ويذكر ابو

الفرج في اغانيه (مجلد ٢ ، ص ٦٢) ان قيسا وتغلب أتوا نهر الثرثار بين راس الائيل ، ص ٦ والكحيل . وعبرت فرقة من تغلب نهر دجلة عند قرية ابا بين تكريت والموصل ، فوصلوا الى دجلة كذلك .

ويذكر الاخطل (الديوان ـ صالحاني ـ ص ٢٢) الحمر البرية عند الثرثار .

ويذكر ابن الاثير (الكامل مجلد ٤ ، ص ٢٥٥ وما بعدها) نأ نهر الثرثار ينبع شرقي بلدة سنجار بالقرب من بلدة سرق ويصب في دجلة بين الكحيل وراس الايل ، وكلاهما تابع لمقاطعة الفرج الادارية ـ وبلدة راس الايل مطابقة لقرية الائيل ، والثرثار لم يصب في دجلة على الاطلاق .

ويروى ابن خرداذبة (المسالك ص ١٧٥) ان الثرثار يتفرع من نهر الهرماس ، ويجري حول الحضر ، ثم يصب في دجلة . والهرماس فرع من الخابور . ولايبين ابن خرداذبة الموضع الذي يدخل فيه الثرثار دجلة .

وكذلك يصف ابن الفقيه (البلدان ص ١٢٩) نهر الثرثار ويقول انه يخرج من سنجار ، ويشق مدينة الحضر الى شطرين، وعلى حافتي الثرثار القرى والجنات ، ويصب في الفرات ويحمل عليه السفن . غير انه لم توجد مستوطنات كثيرة بحذاء الثرثار ، وربما وجد بستان صغير هنا وهناك . كما ان القرارب لم تكن تجري فيه ، لانه كان يتخلى من الماء فعلا لمدة اشهر متعددة ، والى هذا كان مجراه على درجة غير قليلة من الانحدار .

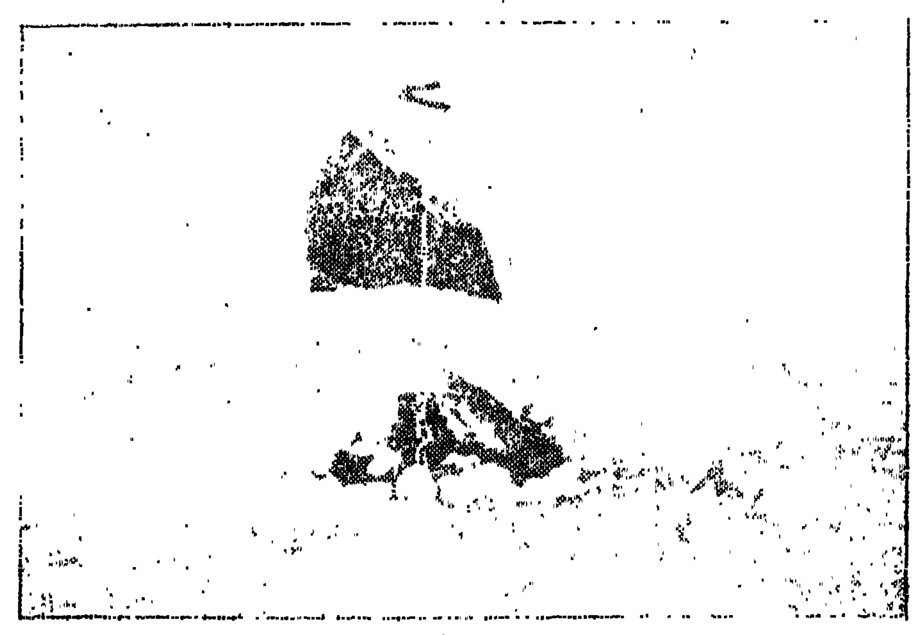
ويقول ابن سرابيون (العجائب ص ١٨ ، لوسترنج) ان نهر الثرثار اوله من نهر الهرماس (نهر نصيبين) فيقطع جبلا معترضا له ويجيء في البرية ويمر بالحضر ويجيء في برية سنجار ويصب في دجلة فوق تكريت، بفرسخين. ومن الغريب ان ابن سرابيون ، الذي كان على معرفة تامة حتى بالمناطق البعيدة التي تحيط ببغداد ، لم يكن يعلم أن نهر الثرثار لايصيب في دجلة ولا في الفرات .

ويروى ابو الفدا (التقويم ص ٥٢) أن الفرات يتلقى المياه من نهر الهرماس الذي ينبع من منطقة نصيبين . وبعدئذ يتفرع الثرثار من الهرماس ، فيجري بحذاء بلدة الحضر مخترقا صحراء سنجار ، ويصب في دجلة في موضع غير بعيد من تكريت . غير ان نهر الهرماس ـ بعد ان يتفرع منه الثرثار ـ ينعطف نحو الخابور ، ويتصل به قبل وصوله الى قرقيسيا . ولا يلبث ابو الفدا ان يلاحظ بعد قليل ان نهر الثرثار يصب في دجلة اسفل من تكريت ، وفي رواية اخرى فوق هذه البلدة ، على مسافة فرسخين منها .

الجمسة الى المستفيض

تقع بئر الجمسّة على الطريق القديم المتجه شمالا من بغداد الى مسكين فالحضر. وبعد ان يترك الكاظمين يمرّ هذا الطريق بـ (تلّ غريب) وآبار السبعة ، والوشيل ، وام الحيايه ، وعين الفرس ، والجمسّة ، وبنيّة حمد ، والجريبيعات ، وبنية المالحة ، والمروان ، بنّيـّة الفاج ، و بنية الثيلية ، الحضر ، شريعة . سفرة ثرثار ، وتل عبده. وقد انشئت على امتداد هذا الطريق كله ، وعلى مراحل يتباعد بعضها عن بعض نحو ثلاثين كيلومتراً انشئت اماكن للتوقف او نزل للمسافرين (تسمى بنيـّة) .

في ٦٫٣٠ لاحت لأبصارنا الضفة الشرقية لوادي الثرثار (شكل ٢٢) كوّنها جرف شديد الانحدار يبلغ ارتفاعه نحو عشرين متراً . ثم مررنا خلال سهـل الطبلات المتموج ، الذي يأخذ في الارتفاع نحو الغرب ، وتتناثر فيه تلول وقباب صغيرة طبيعية وجميعها مجوفة (شكل ٢١) — نتيجة لذوبان الرواسب الجبسية وتعريتها . والكثير منها تهدم او تساقطت اجزاؤه تماما .



شكل ٢١ قبة مجوّفة في الثرثار نشأت بفعل ذوبان الجبس وتعريته

ولكن بعضها لايزال سليماً . ويمكن الزحف الى داخل بعضها وتوجـــد طبقة تراب وحصى متماسك يبلغ ارتفاعها خمسين سنتيمتراً مكوّنةً ما يشبه القبة ترتفع على حيّز مغطىّ ببقايا جبس متبلور . وتستعمل هذه القباب ملاذاً عند سقوط المطر اذ يتسع بعضها لايواء عشرين شخصاً . وبين هذه القباب الشبيهة بالفقاعات ، التي ترفع على ارض مكونة من جبس متبلور ، فجـــوات فاغرة الافواه مختلفة الاحجام تتجنبها الجمال وتحذر منها .

في الساعة ٨٫٣٠ وصلنا الى آبار ابو قبره ،وفي ٩٫٢٣ : آبار ابو سماج (شكل٢٣) حيث بقينا حتى الساعة ١١٠٥ . وكان الدليم في ذلك الحين يخيّمون هناك . وكان يرأسهم ابن زعيمهم السجين تجرس بن كعود الذي بدأنا التفاوض معه لكي نضمن حمايته لنا . وكانت العشائر التي تحت سلطته تخيّم احياناً على اطراف المنطقة الزراعيـــة بين هيت وســـامراء ، حيث توجـــد لهـــم ارض يملكونها . وكان [الابن] قد توغل في عمق الصحراء واتخذ موقفاً يساعده على مهاجمة موظفي الحكومـــة ومن يحتمي بهـــا في كل فرصة ممكنة . وقد وعدته باننـــا سنبذل جهدنا لمعاونة ابيه السجين ، اذا ما ضمن لنا الحماية من مضايقات اتباعه . فوافق على ارســـال أحـــد خادمه معنـــا للدلالة على اننـــا في حمايتـــه ؛ ولكن طلب الينا — مقابل ذلك — ان نَعِدَه بارجاع خادمه اليه فوراً عندما تبدو لأعيننا ضفاف الفرات. ولما كان على دراية ممتازة بالمنطقة الواقعة بين مملحة ام رحل والفرات فانه رسم لي على الرمل مواقع الاماكن المختلفة ، مما ساعدني على رسم خريطة يمكن استعمالها عنـــدما اطرح اسئلة اضافية . وكان ابن قعود قد خيّم اثناء الأشهر الستة الأخيرة قرب معظم الآبار الواقعة بين الخابور وتكريت تقريباً ، ولهذا كان يعرف أسماء الآبار الواقعة بجانب الطرق الرئيسية ، وقد اعطاني هذا فكرة واضحة دقيقـــة عن موقع كلّ منهـــا ، المسافات التي تفصل بعضها عن بعض .

وينتهي شعيب ابو سماج الضحل في الثرثار مقابل الشعيب الذي ينحدر من عين الفَرَس . والى الجنوب من ابو سماج يتصـــل الثرثار بالشطيجية (حيث ماء الدقوقي) ويلي ذلك جنوباً ام الطبول ، وابو شنينه ، والاعوَج . وهذه كلها

تنبع من منطقة عالية واسعة يخترقها الطريق المؤدي من ابو سماج الى هيت ؛ وفي هذه المنطقة توجد آبار : ابو تريجية ، والفزيّل ، والطويل ، والعيدي ، والقميصم . كما يوجد في الجنوب الغربي منهل الرِّجمة ، والى الجنوب منه تقع آبار ام طبرق والمويجيبه ، والمغيزل . والى الجنوب الغربي من هذه الأخيرة يقع ابو صفيحة . والى الغرب من الرجمة يوجد ماء صالح للشرب في بئر العقابي ، والى الغرب منه سهل متموج تخترقه (شِعْبان) من احجام مختلفة تنحدر الى الفرات .

ويتدفق الماء في بئر ابو سماج من الارض بقوة عظيمة مكوناً فقاعات حتى لقد قيل انه يقذف الاسماك الى السطح احياناً ، ومن هنا سمّي ابو سماج . وطعم مائه مجّ شأنه كشأن جميع المياه في البُرّيجة — وهو اسم المنطقة الممتدة بين الخابور ودجلة ومن سلسلة سنجار الى الفرات . والمقصود بالبُرّيج إمّا الملح الصخري وامّا المايكا الذي يبرق عندما يتعرض لاشعة الشمس .

في الساعة ١٢٫٢٣ بعد الظهر ظهر للعيان من ناحية الغرب مرقب الاحيمر ومن ١٢٫٣٥ استرحنا اسفل بئر الأحيمر حتى الساعة ١٫٣٠ وعندها ارتحلنا مرة اخرى في اتجاه غربي — شمالي غربي . وفي ٢٫٤٠ كانت بئر الربيضة على يميننا ؛ وفي ٣٫٢٠ كان بامكاننا مشاهدة بعض التلال الصغيرة الى الجنوب الغربي ؛ وكان من بينها منهل الكزيّم . والى الشمال تقع آبار ابو قلايد وعين الملواح . وتتدفق مياه الأخيرة بضوورة عظيمة بحيث يسمع هديرها من مسافة بعيدة . وتقوم بالقرب منها خرائب بناء صغير . والى شمال الملواح ترتفع حافة أمّ ركيبه (رُقَيْبَة) بينما كانت الشمس الغاربة في الشمال الغربي تلقي آخر أشعتها على حافة مماثلة هي حافة اللّولحية . وتمتد اللولحية من الشمال الغربي ؛ حيث تعرف بقرائن فاطمة ، الى الجنوب الشرقي حيث يسمى هذا القسم امّ الطوس وحمر الطبيشية . والى الشمال منها توجد مجموعة هُضَيبات صغيرة منخفضة — قور امّ الدّلي — تواجه الجنوب بحافة مماثلة أقصر منها . وتوجد بين الحافة الأخيرة واللولحية ، ابتداءاً من الجنوب ، الآبار التالية :

اللولحية ، الهلهي ، أمّ طبوق ، ابو زبير ، السمدان ، وامّ الدّلي .

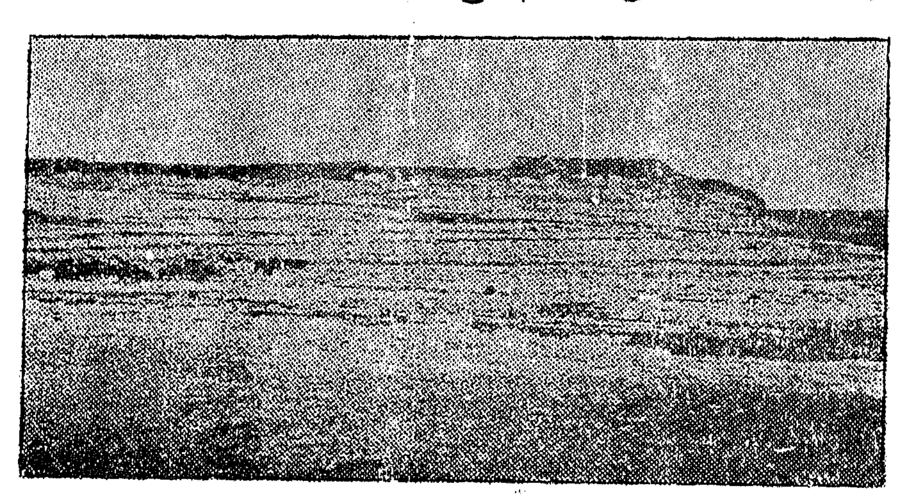
وانعطفنا الآن بدرجة اكبر نحو الشمال الغربي ، فوصلنا في الساعة ١٠ر٥ الى بئر المستفيض ، حيث أقمنا خيامنا بجانبها الغربي .

المستفيض الى بئر ابو درج

كانت المنطقة ذات طبيعة متناسقة — مكونة من ارض صخرية مصقولة ملساء فيها حفر وهضيبات صغيرة مجوفة . وقد نمت في الاماكن الواطئة منها نباتات سنوية نصف جافّة . ونباتات دائمية رديئة جداً ، وخاصةً الرمث ، والروثة ، والزريجة ، والشيح ، والتيصوم .

وكان دليلنا احمد الخطاب من عشيرة البيجات . وكان اخوه قد لقي مصرعه على يد رقيب (عسكري) على أثر شجار بينهما . وقد ثأر احمد لأخيه بقتل الرقيب واثنين من الدرك وولّى هارباً الى داخل الصحراء مع عشرين من الخيالة وعائلاتهم . وكانت اراضي مضاربهم المعتادة تنحصر بين الثرثار ودجلة ، ومن هنا شنوا غاراتهم على الطرق العامة . وكان يزور تكريت ليلاً ، اذ كانت حبيبته تقيم هناك ، ولكنّ والديها رفضا زواجه منها خوفاً من الحكومة . وأخيراً بدأ الاب بالتفاوض مع الضابط الآمر وعرض عليه تعويضاً عما أريق من دماء . . وطالب الآمر بعشرة أفراس (حجر) وبغل واحد.. ولكن أحمد أبى ان يقدّم الا حجراً واحداً . و في ذلك الحين تماماً بلغ الضابطَ ان أحمد مخيّم بجوار تكريت ،وينوي زيارة حبيبته فجمع دركه وذهب للقبض عليه . ولكن احمد أثبت انه اعظم دهاء ومكراً منه . فقد عرف من ابنـاء بلده باي ليلة يتـرك فيها الدرك خيماتهم الثـلاث التي اقاموها بجانب النهر قريباً من تكريت ، وداهمهم بفرسانه ، وقتل اثنين من حرّاس الدرك .واخذ الخيام وستة من البغال ، وارسل بهذه الغنائم الى جماعته في الصحراء ، ثم نصب كميناً لآمر الدرك ومن بقي من رجاله . ولقـي الضـابط حتفـه وجرح عـدد من رجـال الدرك ،

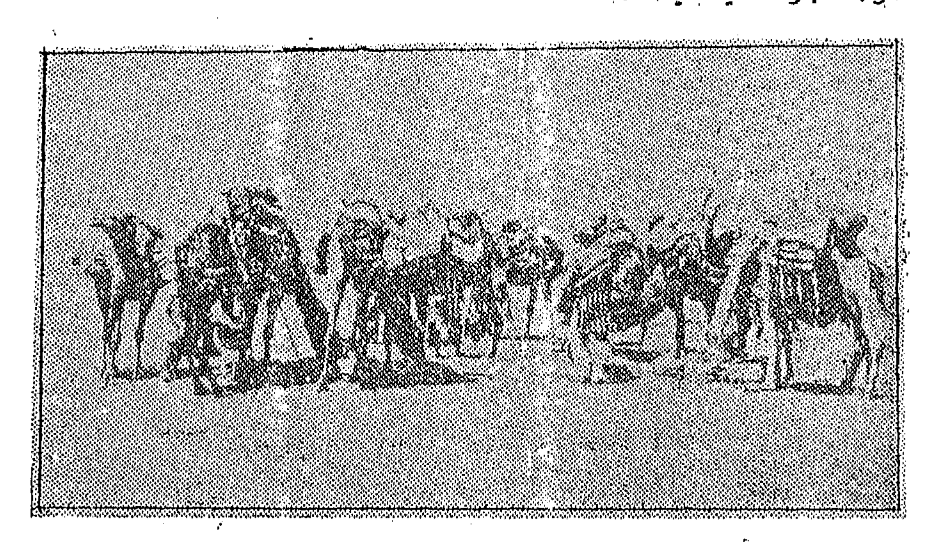
وفرّ الباقون . . وفي السنوات التالية سلب ما يزيد على عشرين عربة في الطريق العام ، وغنم نحو (٣٦) من بغال الحكومة ، وملأ صدور الترك هيبة منـه ، الى حدّ انهم لم يقوموا بمحاولات أخرى للقبض عليه . وفي عام ١٩٠٩ ، بعد سقوط السلطان عبدالحميد ، صدر العفو عن أحمد وغيره من الثوار ، اما احمد فقد تزوج المرأة التي أحبّها ، وانتقل الى تكريت . وفي عام ١٩١١ انتخب عضواً في المحكمة العليا واستطاع ان يلتزم جمع الضرائب .



شكل ٢٢ الضفة اليسرى من الثرثار

وغادرنا في السـاعة ٠٧ر٥ صباح يوم ١٤ أيار سنة ١٩١٢ السـاعة صباحاً متجهين الى الشمال الغربي ، وفي ١٥ر٥ وصلنـا خط تقسيم المياه بين الثرثار والفرات . ويمتدّ الى جهة الجنوب – اي نحو الفرات – اقليم صخري فيه مناطق عالية ووديان غير عميقة ، وتكاد تكون الهضـاب مقفرة ولكن نباتات دائمية مختلفة الانواع تنمو نمـواً جيدا في المنخفضات الغرينية . اما النباتات السنوية فلم يكن لها وجود . ويسمى القسم الجنوبي الشرقي من هذه المنطقة سكران ؛ والأوسط علاّوى ؛ والقسم الشمالي الغربي يسمى وتاحة . وبين القسمين الاخيرين توجد تلال مائدية الشكل تعرف بـ (قرْت الغبين) . ويسدّ المنطقة الواقعة الى الجنوب الغربي من الفرات خط واضح من أجراف منخفضة ، وتقع الى الغرب من

وتاحة تلال متعزلة مائدية الشكل تفصل بينها منخفضات عميقة تسمى السحل (جمعها سحول) والشحول عبارة عن مجاري ضيقة يتجمع ماء المطر فيها تحت طبقة من الحصى بيد ان الشخوز عملت على سد مجاريها . وعلى الطريق من تكريت الى عانه توجد سحول : الطويل ، ابو خريبة ، الطقاقة والصفاء ؛ والى الشمال الغربي من الأخير : سحل التين ، والى الاسفل من الطقاقه : سحل الحدثين ، وشمال سحل أبو خريبة : سحول الرقيط والرمضاني . وفي الموضع الأخير توجد بئر عادية ايضاً .



شكل ٢٣ — قافلتنا عند ابو سماج

واخذت تهب الآن ريح شمالية قارسة البرد ، وكنا نحاول عبثاً ان نحمي انفسنا منها . لقد نفذت خلال ملابسنا الخفيفة الى الجلد مباشرة . ولما لم يعد باستطاعتنا البقاء على السروج حيث كانت الريح الشديدة لاتكف عن رفع عباءاتنا واغطية رؤوسنا ، لذا اضطررنا أن نمشي معظم الوقت . وفي ٥٥ر٧ لمحنا الى الشمال الغربي تلال ام رقيبة ، بل استطعنا رؤية حمر الطبيشية ايضاً وتقع الى الشمال منها هضبة مركب الفاج ، وبجوارها توجد بئرا ملحة الفاج ، وبيضات الفاج .

لم يتغير مظهر المنطقة . ولا تقع العين في أي جهة الا على تلال مجرفة (الطبلات) ، بينها حُفَر مختلفة الاحجام ، أما النبات فلا اثر له الا في بعض الوديان الصغيرة هنا وهناك حيث تنمو نباتات ،ائمية منها . ونظراً لأنحباس المطر في فصل الشتاء الماضي فقد كان من النادر أن تقع العين على نبات سنوي . ومن (٢٠ر٨) الى (١٨ر٩) رعت جمالنا . . وفي ٥٥ر١٠ كنا عند بئر ابو دراج على الطريق من تكريت الى عانة . والى الشمال الشرقي من هذه البئر تنخفض حافة ام رقيبة الى مستوى يمكّن المرء ان يرى ما يقع خلفها الى حد اللارلحية وأم الطاس ،والى الشمال الغربي منا ظهر تلّ قليب المغيزل ، وخلفه نتوء (رؤوس السحول) ،ويليه على مسافة أخرى حافة رمادية اللون هي قَرْت الطماشة .

بئر ابو درج الى طريق الموصل العام

ولم يتوقف هبوب الريح بل تغير اتجاهها فجأة ، واخذت تهبّ في وجوهنا مباشرة من الغرب . واختفت السماء وراء سحب كثيفة ، ولم تعد الشمس تبعث الينا ولو بقليل من الدفء ، وجمدت اصابعنا من البرد ، واسترحنا من ١٠ر١٢ الى ١١ر١ بعد الظهر . ولم يكن دليلنا الدليمي يرغب في الذهاب أبعد من ذلك ، وأبدى أحمد الخطاب كذلك رغبة كبيرة في العودة . وكان احمد يخشى ولاريب ان يلتقي با حد الفلاحين من راوه ، أو بتاجر من اهل عانه ممن سبق ان نهب اموالهم عدة مرات ، فيحتجزوا فرسه عوضاً عن ذلك . اما الدليمي فكان قد جرح رجلاً من اهل راره ، ولمّا يدفع تعويضاً عن الضرر الذي ألحقه كما اتفقوا عليه . لهذا أخذه القلق على ناقته . وكان هو واحمد كلاهما يشكوان شدة البرد . كان احمد ، يسافر بقميصه وكان الدليمي يلتف بعباءة ممزقة وكل منهما يتوق الى خيمة يلوذ بها ودفء نار يدفع عنه البرد . وكان الدرك يرتجفون من البرد كذلك ،ولكنهم ارادوا مواصلة الرحلة ، ولم يريدوا العودة ، لانهم سيجدون في عانه من الدرك من ينوب عنهم . ولذلك استحثّونا على المضيّ قُدُماً ، حتى انهم هددوا الدليمي واحمد باطلاق النار عليهما ، اذا ما تخليا عنا قبل بلوغ الطريق المؤدي من عانه الى الموصل .

لم تكن رحلة مرحة . . كان الدليلان ساخطين ، و كلنا يكاد يجمد من البرد ، والمنطقة على نسق لا يتغير : فالى الشمال توجد حافات منخفضة ، والى الجنوب سهل منبسط تماماً ، وامامنا تلال المغيزل ، وحوالينا قباب مجوفة او فقاعات (طبلات) فيها حُفَر مدوّرة كانت جمالنا تخطو بينها بخوف ظاهر . ويبلغ ارتفاع بعض هذه (الفقاعات) ثلاثة امتار، ويتروواح محيطها بين عشرة وخمسة عشر متراً وتد انهار الكثير منها ،ولكن الاخريات كانت لا تزال بحالة سليمة ، ويبدأ الانهيار عادة في أوطأ اقسامها لأنها تتعرض لرمال تسفيها الرياح اكثر من غيرها .ويقل سمك قشرة كل (فقاعة) بالتدريج حتى تنهدم اخيراً بفعل الريح او المطر ، وينشأ عن ذلك حفرة تأخذ في التوسع حتى تنهار كلها . وقطعُ هذه (الفقاعات) حادة الاطراف ، وتلتمع كما لو كانت مخلوطة بزجاج مرآة . من ٥٠ر٢ الى ١٢ر٣ رعت الجمال . واصبحت النباتات الدائمة الخضراء اكثر ندرة كلما تقدمنا في رحلتنا . . كنا نقترب الآن من منطقة لم يسقط عليها مقدار كاف من المطر لعدة سنوات مضت . . وفي ٥٢ر٥ ساقت الريح الغربية الباردة الينا رذاذاً من المطر ، لهذا خيّمنا بين مرتفعات الحمام الى الجنوب وقارت الطمّاشة الى الشمال . واشار احمد الى موقع بئر التينير في شرقي مخيّمنا ، وبئر الحمام الى الجنوب من الشقيق . وفي قارت الطماشة يمكن الحصول على ماء جيد من بئر النُقَيد . وبالرغم من المطر جمعنا كومة كبيرة من النباتات السنوية الجافة ، واوقدنا ناراً عظيمة وتدفّأنا على خير وجه ممكن ، وشربنا شاياً ساخناً وسرعان مانسينا البرد الشديد الذي قاسينا منه طوال اليوم ، غير ان شدة الريح لم تتناقص ، وكانت تقوّض خيامنا باستمرار طوال الليل ، لذلك لم نستطيع النوم الاّ غرارا . .

في ١٥ أيار سنة ١٩١٢ حوالي الساعة ٤٠ر٥ صباحاً كنا على الطريق . انقطع المطر ، ولكن استمرّ هبوب الريح الباردة وكانت السماء مبدّة بسحب رمادية وكان يحوم على السهل ضباب كثيف . وأصابنا الملل من الرتابة مرة أخرى،لا تغيير في المناظر اينما وجهت البصر. والارض المستوية الصقيلة نفسها و (فقاعات) مماثلة،

وحفــر ، تلال منخفضــة ، ومرتفعــات مائــدية الشكــل ، ولكن لاشيء يستحق الذكر .

في الساعة ٦٫٤٠ بلغنا الطريق العام : الدرب السلطاني ، الذي يؤدي الى الموصل عن طريق النجمة .

منطقة شمالي عنانة

الدرب السلطاني طريق عريض مطروق مما يدل على انه لا يزال يستخدم كثيراً في السفر . ويرتفع الطريق من الفرات بصعود حاد تماماً فوق سفوح علو جبريت ، ومصباح الكريّم ، وقرت الخرّار والسناجرة ، ومن ثمّ يقطع سهل البُرّيجة في اتجاه شمالي — شمالي شرقي .

وفي هذا السهل نمرّ بآبار : ام المناطين ، الصبغة ، فاطمة ، التويسان : السدعان ، الطريفاوي ، قايب الملاح ، ام غيره ، ام الذيابة ؛ والى الغرب من الحضر نمرّ بآبار : شريعة ، فويعة ، الجمــال ، الدبشيّة ، سجل عطّاف والمتياهة . وفيما وراء بئر الصبغة يصعد الطريق في منحدر قارت الطماشة ؛ وفيما وراء فاطمــة يدخل وادي هور المويعـــد ؛ وبعد الطويسان يخترق منخفض نقرة العوين ، ويدور فيما وراء السدعان حــول مملحة الطريفاوي . وينتهي قَرت الطمّاشة غربيّ الطريق العام بالقرب من بئر الشلاّلة ؛ والى الجنوب من هذا الموضع تبدأ حافة أخرى : قَرت ابو السون ؛ ثم حزم بن بويته الذي يمتد غرباً حتى مملحة العــديد وتتصل حافة قراين فاطمة في الغــرب بـ (قَرْت الهور) وكعود الشارد ، والقــاعدين ، و بـ (قَرت الزيـّر) قرب مملحة العديد . وتوجد بالقرب من قارت الزيّر آبار : ابو عراجي ، ولَعَمه ، والغريبيات ، والدخول ، والفراى ، والصفويات ، والمالحة . وتنحصر نقرة العوين من الجهة الشمالية الغربية بحافتي : القطّار ، وقَــرت المجادح ، اللذين تقع بينهما مملحة القطّار ، والى الجنوب الغربي من الأخيرة توجد بئر الشقمة . وتوجد في شماليّ مملحة القطّار ، وغربيّ مملحة الطريفاوي آبار : الطماخيات ، عقيلة الضلان ، ابو شامة ،

والشريّر ؛ وشمالي الأخيرة تقع آبار الجنيف. الجويمل . ويلي ذلك الطّماخيات في منخفض ام الذيابة . وتشغل مملحة العسكر النصف الغربي من هذا السهل المنخفض ، الذي يقع على مسافة نحو عشرين كيلومتراً شمالي حافة قارت المجادح ، ويسدها من جهة الغرب كتف الجبل وخشمة البصّالة وقرت الروشة ، بينما تدخله (حزم الملح) من الشمال . اما مملحة الأشقر فانها اوسع ما تكون عند جانبها الشمالي ؛ والى الشمال تنقسم الى فرعين — الشرقي ويعرف بمالح حسنان والغربي ويسمى السنيسلة — وتحيط هذه بحزم الملح كما لو كانت شبه جزيرة . وفي فرع السنيسلة تنتهي الشعبان التي تنحدر اليها مياه آبار ثرى القرّاح ، والوسط والملاح . وتوجد بين فرعي المملحة : مياه البويضى وسحل ابو قيصومة . وعلى الطرف الجنوبي من الأشقر عدة آبار مَجة المياه على الارجح . وافضل المياه تستقى من آبار مالحة المطوية ، والفوارات ، ابو جرد وفي الغرب ابو جدح وابو خويمـــة . ويرتفع جنوبيّ ابو جدح ، على خشمة البصّالة ، مخروطاً المنايف وكزيز نعام .

ويوجد طريق آخر من عانة الى الموصل ماراً بسنجار . ويسمى على سفوح وادي الفرات : درب الملاّن (الملالي) أمّا على الهضبة فانه يعرف باسم درب سنجار . ويتجه الى الشمال الغربيّ صُعُداً الى مكسر الجمل ، وقرت الصوفي ، وابو غرب ، والمحروق ، الى أن يصـــل السهـــل عند الموضع الأخير ، وهنا يستدير شمالاً بصورة تامة تقريباً . وعلى طول هذا الطريق تقع آبارُ : سحل الأمير . الزرقاب ، الحجل ، نخيلة ابو غراب ، المالح ، شريعات الغربية ، شريعات عبدالله ، الأعمى ، الدخول ، ابو راسين ، عقلة الخصيان . الشبيجة ، المنخر . ثَرَىّ الملاح . والى الغرب من ثرى الملاح تقريباً يرتفع تلّ عال يعرف بـ (تليل السقار) والى جنوبيّه آثار الحزدية ، الغزيّل . المالح ، الرذله ، وابو حيايه . والى غربيّ هذه الآبار تمتـــد من الهضبة العـــالية سلسلة واطئة تسمى [الكبد] وترتفع فوقها عدة تلال صغـــيرة مدورة . والى الجنوب الغربيّ من الكبـــد ينتهي شعيب العجيج في منخفض الروضة الذي ينحدر من تليل الصقّار الواقع الى الشمال الشرقي . وتوجد عين العُسَيْلة عند مدخل هذا الوادي . ويتصل بالعجيج من جهة

اليسار : شعيبان هما الحويسية والتجارية الواقعين غربيّ رجم العيّار حيث توجد عينان للمياه معروفتان بهذين الاسمين أيضاً . ويتصل بالعجيج من جهة اليمين شعيب : البديعة ، والمجمّـــع ، والمُغَلّقة ، وعقيـــلة الحليب ، والسهل ، وام غُريبه ، وبها جميعاً مناهل ماء . والى الشرق من بئر أم غريبة يوجد منهل قلبان (جلبان) الصِلْبُي عند لحف (الكبد)

ومن طريق ملاّن (الملالي) ينعطف غرباً طريقٌ عند شريعة عبدالله يتجه الى الخابور فيبلغه اسفل (جنوب) قرية الدشيشة . وعلى امتداد هذا الطريق تقع آبار : الصفويّات ، والطريفاوي الملاّح ، وحسييان الغليسيّة ، والخبيرة . وفي الشمال الشرقي من الصفويات يوجد ماء جيد في بئر الغراي الواقعة في منتصف الطريق تقريباً بني الصفويات والدحول . وفي الشمال الغربي من الغراى توجد بئر الثرثان ، يرتفع فوقه تلٌ ذو قِمتّين : يسمى ابو راسين . ويمرّ الطريق بين الصفويات وطريفاوي الملاح بالقرب من منخفض العديد ، وشماليّ مملحة الروضة .

قرت* السناجرة الى راوة

اراد كلٌ من الدليمي واحمد أن يعودا الآن ، ولما كنا في حاجة اليهما لمعرفة اسماء الاماكن المختلفة التي تصادفنا ونحن ننحدر الى القرات ، لذا لم نسمح لهما بذلك وواصلنا السير في الطريق العام باتجاه غربي — جنوبي غربي .

وهنا تبدأ الهضبة في الانحدار نحو النهر ، ولكن على شكل سلسلة مدّرجات واضحة تؤلف قرت السنـــاجرة ابعـــد واحدة منها شمالاً وتتصل الحـــافة الواقعة في الجنـــوب الشرقي بقرت ابو القـــروة ، وقرت الغبيبن ، وفي الغرب تتصل بقرت المحروق ، وقور طويسان الملاح ، وقور الطيارات بقرب منخفض العديد . وعلى السطح الجنوبي من قرت السناجرة يوجد منهل الزعيريع ؛ وفي اسفل من المحروق : مياه ام عضه والقصيعة ، والخويخه .

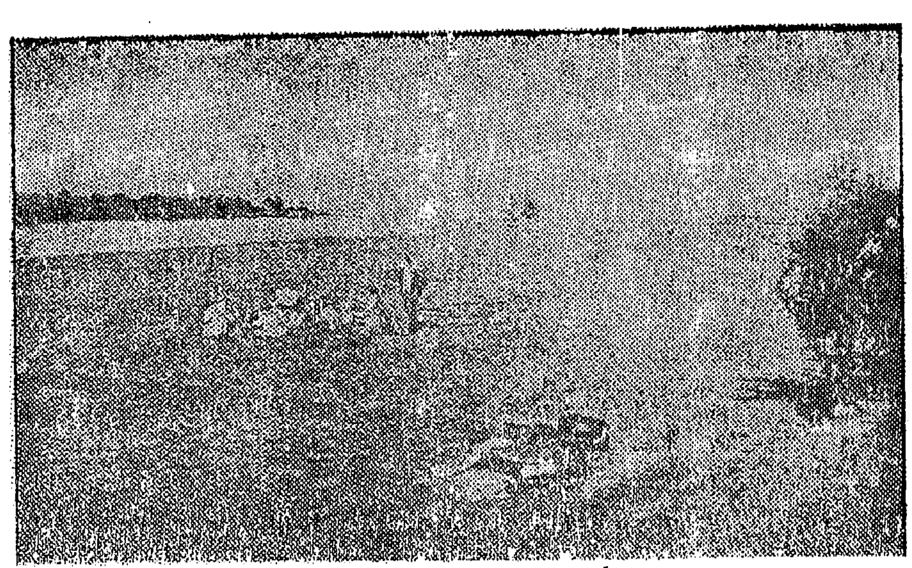
---

* قرت الدم كنصر يبس بعضه عن بعض ، او اخضر تحت الجلد من الضرب ، وقرت كفرح تغير وجهه من حزن او غيظ .
والقارت من المسك اجوده واجفه ، والذي ياكل كل شيء وجده .
القاموس المحيط — فصل الفاء والقاف — باب التاء — المراجع .

من الساعة ٧٫٥٠ الى ٨٫٢٥ استرحنا على قرت السناجرة والتمس الدليمي ان نسمح له بالذهاب قبل ان يراه احد من الفلاحين من اهل راوه . وقد تكفلنا بحمايته ، ولكنه خشي ان يكون اعداؤه قد نصبوا كمينا له ليأخذوا ناقته بعد اطلاق سراحه . لذلك دفعنا أليه أجره وذهب مغادراً على الفور . اما احمد فقد اراد الذهاب معه ، ولم يبق معنا إلاّ حين اعلمناه انه لن ينال (بارة) (قرشاً) واحداً قبل ان تظهر بساتين راوه للعيان ، ومهما يكن فانه اقدر على الهرب من اعدائه وهو على صهوة حصانه من الدليمي على ظهر ناقته .

في الساعة ٩٫٢٨ كنا على الحافة العليا لقرت الخرّار ، ومن هنا شاهدنا لأول مرة المنطقة الوعرة المجاورة للفرات ، إذ يتجمع الى الجنوب الغربي والجنوب الشرقي عدد لا يحصى من الهضاب والتلال والهضيبات تفصل بينها فجاج ووديان عميقة ضيقة . وتظهر هنا وهناك أرض منبسطة بيضاء صغيرة المساحة ولكن كان من العسير جداً الانتقال من واحدة الى أخرى . وينفتح الى الشرق فج عانه حيث يقع ماء زعيزيع . والى يمين هذا الوادي يرتفع قرت أبو بطيحه وبه بئر مقر ابي بطيحة وما يتجمع به من مياه الامطار والى اليسار : ام غيرة ، وقرت العناب وهنا يبرز تلّ الفرَس الى الجنوب تقريباً ، والى الجنوب الغربي تمتد سلسلة تلال قرت الصوفي الصفراء وتلّ مكسر الجمل الطويل وتظهر مواضع كثيرة مقدار ما بذله الناس من جهود ليشقّوا طريقهم في الصخور وليجعلوا الهبوط أسهل ، وبعد ان قطعنا مثل هذه المواضع في مدرج مصباح الكريّم العالي وصلنا في الساعة ١١٫٢٠ ألى سهل التين الحجريّ ، وفي الساعة الثانية عشرة كنا على طريق فرعيّ يوصل الى تكريت . ومن هنا كان علينا ان نقود الجمال بمقاودها للدوران حول المخاريط المنعزلة والهضاب المعّوقة في فجاج عميقة ، وهو أمر عسير التحقيق غالباً حتى على الراجلين .

كان وادي الفرات مغموراً بأبخرة رمادية كثيفة وقد خفّتْ وطأة الريح ولم يكن في الامكان رؤية الشمس ، التي كانت تبعث حرارة مثل حرارة الفرن من خلال طبقة هواء مثقلة بغبار ورمل ناعم . وتاقت نفوسنا الى ماء نقي ناعش والى برودة بساتين ظليلة ، وكنا نعلم ان كليهما على مقربة منا الآن ، ولكن لم



شكل ٢٤ — مخيمنا قرب راوة

نستطع ان نحث خطى الجمال المحملة . وحيثما وجهنا البصر شاهدنا صخوراً بيضا وصُفراً فككتها عوامل المناخ من غير اثر لخضرة ولا ملجأ يصلح لحمايتنا من هجوم داهم .

وفي الساعة ١٢٫٤٠ بعد الظهر رأينا الى اليمين على سفح الزرقاب شجرتَيْ سدر ، وأسفل منّا كانت ثكنات القلعة الخَرِبة تطل على قرية راوة .

وهنا توقّف احمد الخطّاب ، وبعد أن تسلّم أجرَه توّجه باسرع ما يمكن الى طريق تكريت . وفي الساعة الواحدة استدرنا غرباً ؛ وهبطنا من الجرف المنحدر الذي يقوم فوقه ضريح الشيخ رجب ، ورأينا اسفل منا بساتين الخريبة . ولما كانت الجمال لاتستطيع النزول كما نزلنا تحتّم ان نتبع طريقاً ثانوياً يفي بالمرام . واخيراً توقفنا في الخريبة في الساعة ١٫٤٠ بقرب ثلاث شجـرات توت وشجرتي سدر (شكل ٢٤) . ولم يكن ثمة اشجار أخرى لأن النـاس كانوا قد هدموا حائط البستان وقطعوا الاشجار والشجيرات . وتمتد البساتين الرئيسية الى الشرق من الخريبة وتسمى اسعيميرة ، الدرّاجية ، [المسكينة] ، الهلالية ، عبيد الله ، الزعفرانه ، الهايج ، واخيراً تأتي بلدة راوة .

وبعد استراحة قصيرة ، وتناول شيء من الشاي الساخن ، صرفنا الترك ، فذهبوا مسرعين بانفسهم الى عانة في الضفة الأخرى . وتلقينا بعد الظهر زيارة من شريف بن علي ، الذي رافقني في رحلتي الى الحجاز سنة ١٩١٠ . وكان بصحبته بعض الرجال الذين لهم خبرة بأحوال البُرّيجه كلها . وقد ساعدوني في رسم خريطة للطرق المختلفة هناك ، وشغلني هذا العمل الى ساعة متأخرة من الليل .

ان بلدة راوة تتألف من المناطق التالية :

السادة	السواهيك
السراحنة	البو عبيد

والزعيم الأول هو محسن بن محمد من السادة . وقد زار اخوه ابراهيم القسطنطينية ثلاث مرات لمقابلة السلطان .

ان زراعة بساتين النخيل باهظة التكاليف فالذراع المربع (= ٥٨ دسمتراً مربعاً) من هذه الارض تكلف نصف مجيدي على الاقل (٤٥ سنتاً) ، وتكلف النخلة الكاملة النمو من ليرتين الى ثلاث ليرات تركية (٩ دولارات الى ١٣٫٥٠) .

ومن راوة تُحمل سِلَعٌ كثيرة على ظهور الجمال والحمير الى الموصل . وتشحن القهوة ، والبترول . والثياب . وغيرها من المصنوعات الاوربية بالقوارب من بيره جيك الى راوه ، حيث يعاد تحميلها على الجمال لمواصلة نقلها الى الموصل ومن هنا يُنقل كذلك تبغ الغليون والزبيب الى حلب ودمشق . ويحتاج الجمل ، اذا كان حمله معتدلاً ، الى ثماني ليال ليقطع المسافة بين راوه وبغداد ، او تسع مسيرات كل مسيرة تبلغ ثلاثين كيلومتراً ؛ ويكلف كل جمل ليرة تركية واحدة (٤٫٥٠ دولارات) . وتحمل الجمال من بغداد : الودك (الشحم) ، والتمور وعسل العنب (الدبس) ، والتمّن (الرزّ) .

وغالباً ما تتعرض هذه القوافل لغارات اثناء سيرها .

في اليوم ١٦ من ايار سنة ١٩١٢ بدأت عملي مبكراً في الساعة الخامسة صباحاً لجمع المعلومات لخريطتي . . وفي كثير من هذه المناطق [التي مررت بها]

كنت أسأل خمسة او ستة من المخبرين ، كلاً على حدة ، بحيث لم يكن احد منهم ليعرف ما رسمه او قاله الباقون . وبهذه الطريقة استطعت — الى حد ما على الاقل — ان اضمن صحة المعلومات الواردة في بياناتهم . وفي المساء جاءني شريف برجلين من الدليم من جوار هيت، اللذين اكملا الخريطة التي رسمتها من المعلومات التي زودني بها ابن نجرس . وتبين لي انهم لا يناقض بعضهم بعضاً بصورة ملموسة .

* * *

الفصل السادس
راوة الى الرقـة بطريق الصوار
راوه الى سهل اراقرته
قبيلة العقيدات

في ١٧ ايار سنة ١٩١٢ . . في الساعة ١٥ر٥ صباحاً ارتحلنا متّجهين غرباً، بمحاذاة الضفة اليسرى للفرات . وفي الساعة ٣٠ر٥ كانت مزارع العميرية على يسارنا . ويحد هذه المزارع من الشمال تلال البغاذين ؛ التي ترتفع فوقها مخاريط دعيباه ، وسلدان ، وطويرين . وفي ٥٠ر٥ رأينا على اليسار اكواخ ابو كوّه ، وبقايا دواليب ناعور في الفرات (شكل٢٥) وعلى اليمين شعيب الحصيوان ، والى يمينه نتوء خشمة النهل وعليه تقع خرائب قيسة القراطية ، ويصل هذا النتوء الى النهر ؛ وبعد ان غادرنا الضفة استدرنا الى الهضبة . وفي ٤٠ر٦ اقتربنا من حقول العريّة ، ثم عبرنا شعيب جباله في ٠٨ر٧ . وتوجد على سفحه المغاور المعروفة بـ (كهف السويلم) . وكانت حقول الناطرية على يميننا في الساعة ٣٠ر٧ ، وفي الساعة الثامنة سلكنا الطريق المؤدي الى مملحة العديد . وقابلنا في هذا الطريق جماعة مهاجرة من عشيرة الجغايفة التي تزرع حقول الناطرية والعريّة . والجرايفة ينتسبون الى قبيلة العقيدات .

تملك العقيدات ضفاف الفرات من التبني الى الفحيمي . وضفافَ الخابور حتى تلّ الشيخ حمد . وهم ينقسمون على النحو الآتي :

ابو جامل [كامل] ، البكيّر وهذا القسم يخيّم على الخابور من البُسَيرة الى تلّ الشيخ حمد .

عشائر ألبو كامل

الظواهرة	(رئيسهم : تبان بن حفلة)
الدعيجل	(رئيسهم دوش بن عدّاد)
الشهبات	(رئيسهم حسين بن خضل)
الطلاّع	(رئيسهم عبدالله بن علي)
الزبيّب	(رئيسهم منادى الخليل)
القرعان	(رئيسهم عبد بن عبيسي)
البو رحمة	(رئيسهم اجارت بن خليل)
الشعيطات	(رئيسهم حمد ابو سبع)
المشاهدة	(رئيسهم حاج بن خلف)
الجهيش	(رئيسهم خلف بن عجيل)
الزباري	(الرئيس : احمد بن علي)
البوسرايا	(الرئيس : حمود بن شلاش)
الذياب	(الرئيس : عبدالله بن حاج)
البو عزالدين	(الرئيس : سارى بن عبدالجريم)

عشائر البو كمال :

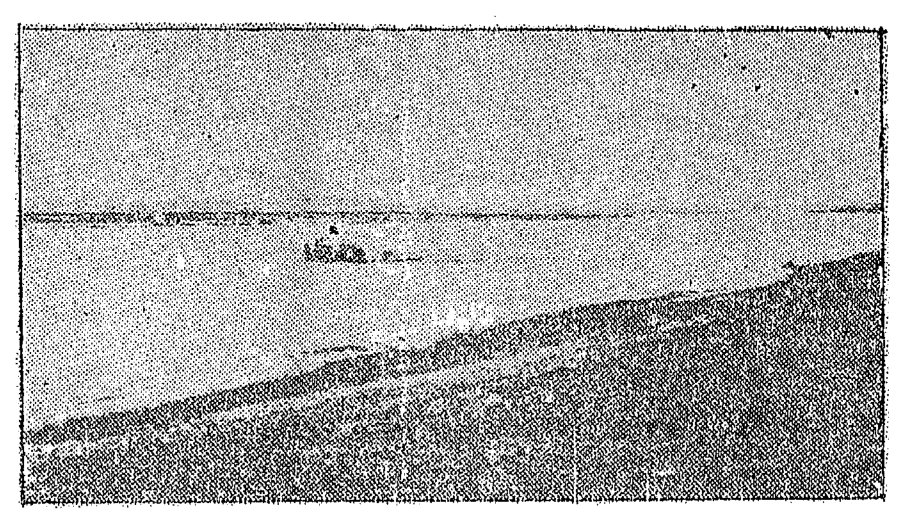
العضاء	(الرئيس احمد بن محمد بن نجرس)
الدميسم	(الرئيس علي بن حسين)
الحسّون	(الرئيس محمد بن دندل)
الجرّاح	(الرئيس : شيّاح بن عبدالله)
البو حردان	(الرئيس سليمان بن صبيحان)
المروح	(الرئيس : هزّاع بن مهلاّ)
الجغايفة	
المجاودة	(الرئيس : حمد الشمرّ)

عشائر افخاذ البكّير :

الهنيْدي	(الرئيس : حجاج بن حربي)
المشرِّف	(الرئيس : جدعان بن حسين)
الخلَف	(الرئيس : كبن بن جارالله)
الكبيسة	(الرئيس : شرور بن عفيف)
الشعبان	(الرئيس : فرحان بن كسّار)
الفرج	(الرئيس : فرحان بن ملحم)
البوليل	(الرئيس : موسى بن صالح)
البو هليهل	(الرئيس : اخزام بن علي)
البو معيْط	(الرئيس : دموك بن علي)

الى الشمال من مخاريط طويرين ترتفع هضبة العجانه ، والى الشمال الغربي منها هضيبة ابو مخامر . وبالقرب من الأخيرة توجد بئر قليلة العمق جداً تحمل الاسم نفسه ، وتتردد عليها الحمر الوحشية بين الحين والحين . وهذه الحيوانات النادرة ترعى في سهل البُرّيجه ، وتجد مخابيٌ لها في الفجاج الضيّقة العميقة بقرب (مخامر) ، حيث يكمن لها الصيادون في الغالب . وزعم دليلنا جميل انه صادف مرةّ قطيعاً من الحُمُر الوحشية يبلغ عددها الستين ، بين صغيرة وكبيرة . وقد اصاب احدها بنار بندقية بالقرب من بئر ابو طبل ، وحاول الحيوان الجريح الفرار ولكنّ احد الرجال لحق به بسهولة على صهوة حصانه . ويزعم الدليل ان بعضهم يأكل لحم الحمار الوحشي ، وتصنع ادوات مختلفة من جلده . وفي ٢٢ر٨ عبرنا شعيب الدهاريج الذي ينبع بالقرب من ابو مخامر ويتصل بالفرات عند قرية صريصر . وكان طريقنا في الصعود يمرّ بين أجراف شديدة الانحدار وعبر فجاج عميقة ضيقة . وكانت المدرّجات التي تهبط من الهضبة نحو الفرات لا تزال ظاهرة للعيـــان اما طبقات الملح الصخري ، التي سمـــاها دليلنا الجبجابه ، فتصبح اكثر سمكاً كلـّما زاد ارتفاعنا . وبقيت جمالُنا ترعى من ٢٥ر٩ الى ٥٧ر٩ بالقرب من شعب عود السدّة . والى الغرب ظهرت هضيبة المصاد الواطئة وبقايا قلعة فوقها .

في الساعة ١٠٫٤٠ من شرقي عين الصفرة عبرنا شعيب الحمباي العميق ، ويبدو أنه قد نشأ من تآكل صخور بيضاء ؛ ويتصل به شعب صغير يسمى ابو ذكر كنا نمرّ فيه آنذاك . ويبدأ الحنبلي من فج سحل خويخه ويصل الى الفرات



شكل ٢٥

عند قرية الشمسية . وتتخلل مجراه حفر كثيرة يبلغ عمقها احياناً ثلاثين متراً ، ولكن المياه لا تتجمع فيها لانها سرعان ما تتبخر او تترشح خلال التربة الجبسية . وفي الساعة ١١٫٤٥ وصلنا سدّ خربقه . ويتكون هذا السدّ من حائط حجري يبلغ سمكه ثمانين سنتمتراً وقد بُني في عرض اضيق مكان من الشعيب ، والى الشمال الغربي من الجدار يتسع الشعيب مكوناً حوضاً كبير الحجم من السهل تحويله الى بركة. وعلى مرّ الزمن امتلأ هذا الحوض بالطمي ، وانهدم السدّ ، واخذ الماء يشق لنفسه الآن مجرى جديداً عميقاً . وينمو النيتول كثيراً — وسمّاه دليلنا يتنان — في كل أنحاء الحوض . والدليم تغلي هذا النبات ليعملوا منه مرهماً كثيفاً يفركون به صوف اغنامهم المصابة بالجرب . ان فجاج شمال راوه تكون مخابئ فيها كثير من الحيوانات الضارية : الذئب ، والنمر ، والغرير . وفي موضع شمال العميرية قُتلت بالرصاص ثلاثة نمور في صيف عام ١٩٦١ . . والغرير حيوان بطول الكلب

تقريباً ، لكنه اقلّ ارتفاعاً منه ، وله ظهر عريض ابيض، وجانبان اسودان ، وخطم قصير كأنف العنز . وحكى دليلنا أنّ غريراً هاجمه ذات مرة ، ولم يستطع ان يرغمه على الفرار الا بمشقة عظيمة .

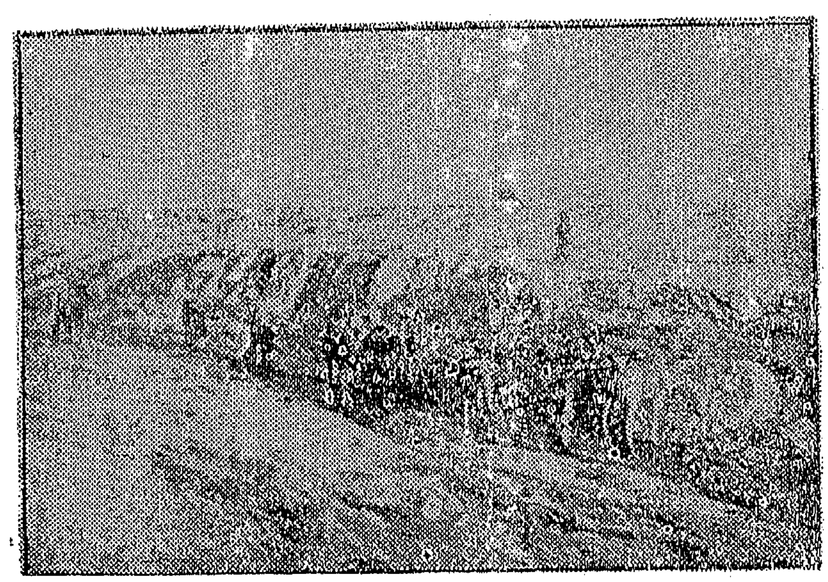
وفي الساعة ١٢٫٣٠ بعد الظهر شاهدنا الى الشمال الغربي بئر المذكار ، وخلفه حافة قور الطيارات ، والى الغرب منها هضيبة المسطاح . ومن ١٢٫٣٥ الى ١٫٤٠ اطلقنا جمالنا لترعى . وفي ١٫٤٧ ظهر الى يسارنا بجانب الطريق قبرُ جابر ، وتليه غرباً هضيبة المصايا ، مع مناهل سحل الفلاحية شمالاً ؛ وابو برايج الى الجنوب . وفي ٢٫١٠ رأينا على اليمين رأس شعيب ابو ذكر . وفي ٢٫٢٣ صعدنا الى هضبة فيضات العلوي الواسعة ،وهي هضبة تنتظمها منخفضات عريضة قليلة العمق او (السوخ) وجمعها (سياخ) يغطيها نبات الصرّ . وتحدها من الشمال مرتفعات منبسطة السطح وقور طويسان الملاح وقور الطيارات . وفي ٣٫٢٥ تراءت لنا قمّة قـرت [السكة] الى الجنـوب الغربي ، وفي ٤٫٣٨ اخذنا في الهبوط الى السهل الواسع المعروف بالأقرقة . وينمو هناك كثير من الصبّر والجزار ، والشنان والعفو . والخشب المأخوذ من هذا الأخير يشتعل مدة طويلة . وشوهدت على الافق من جهة الغرب وجنوب — الجنوب الغربي حافات منبسطة بنفسجية هي حافات السكة وقـرت ام غـدير وقـد امتـدت امامها ثلاثة صفوف من تلال صغيرة مسطحة القمة ، اما الى الشمال الغربي فترتفع حافة الطيارات المنحنية التي تسد سهل الأقرقة المنخفض . وتربة سهل الاقرقة مفككة ومالحة المذاق . وفي الساعة الخامسة خيّمنا عند بئر العويجة (شكل ٢٦) .

ولعـله لم يكن في المنطقة كلهـا اي اثر لنبات سنوي ، ما عدا بضعة براعم جديدة نامية على نباتات دائمة هنا وهناك ، ومع ذلك فان الجراد وجد الطريق حتى الى هذه البئر ، وان لم يكن باعداد كبيرة لحسن الحظ . واذا ما سقطت بضعـة الآف من هـذه الحشرات في بئر عميقة تسمم ماؤه . والويل لاولئك الحجاج الذين لا يتزودون من الماء الا بما يكفي حاجتهم بين محطة واخرى ، ثم يجدون البئر التالية قد امتلأت جراداً .

ولقد قاد دليلنا جميل ذات مرة قافلة كبيرة تحمل صوفاً وزبداً من سنجار الى عانة في الوقت الذي امتلأت فيه جميع الآبار التي في طريقه بالجراد (مجرود). واخيراً نفد الماء لدى المسافرين ، ولما اخذ العطش منهم مأخذه توقفوا عند بئر ابو رأسين ، ليستقوا منها الماء بالرغم من اختلاطه بجراد متفسخ . ونزلوا في البئر واحداً بعد الآخر وقد سدّوا انوفهم بالبصل (وكان عمق البئر نحو ثلاثة امتار) ، واغترفوا من هذا العصير العفن بوعاء يستعمل في طبخ طعامهم ، وارسلوه الى الاعلى بحبلين فتلقاه رفاقهم ، وافرغوا هذا المحلول الخبيث الرائحة وادلوا الوعاء في البئر مرة أخرى . وكان الرجل الذي قام بالمهمة داخل البئر قد رُبط بحبل اضافي حتى يصبح بالامكان سحبه الى الهواء الطلق فوراً عندما يعطي اشارة معلومة . غير ان رجلين من من هؤلاء لم يفعلا ذلك ، فسقطا مغشياً عليهما ثم ماتا قبل ان يتمكن احد من سحبهما الى خارج البئر . واخيراً ، بعد ان بذلوا قصارى جهدهم في تنظيف البئر ، كان جزاؤهم الحصول على شربة ماء صالح للشرب . وبعد فترة قصيرة امتلأت البئر ثانية .

وقبل بضع سنوات بنت الحكومة مراكز للدرك عند بئر العويجة وبجوار مملحة العديد للحيلولة دون جمع الملح بحرية مطلقة . وعندئذ بدأ الأهلون على ضفتي الفرات يقصدون أم رحال الواقعة في نهاية وادي الثرثار للحصول على الملح . ولما رأت الحكومة انه لم يعد أحد يشتري الملح من العُديد ، سحبت الحرس . وما ان فعلوا ذلك حتى اسرع الفلاحون بالعودة الى هناك ، بل ان تجّار راوه اكتروا ٢٥٠ حماراً و ٣٠ جملاً لحمل كمية كبيرة من الملح تفيض عن الحاجة المعتادة بعد ان ارتفعت ارتفاعاً كبيراً.

ولما بلغ الحكومة نبأ هذه الحملة ، ارسلت خمسين رجلاً من راكبي البغال ، سرعان ما لحقوا بالقافلة وقتلوا رجلين وخمسة جمال واثني عشر حماراً واستولوا على ١٠٦ من الحمير ، وسبعة عشر من الجمال . اما رجال القافلة فقد القوا الملح عن ظهور ما بقي من دوابهم ، وهربوا معها الى الشعْبان . وعقب هذا الحادث ، اخذت الحكومة تجبي عن كل قنطار (نحو ٢٠٠ كيلوغرام) مجيدياً واحداً (٩٠ سنتاً) ، ومع ذلك فقد حدث بعد نحو شهرين أن أحاط القدعان بحراس الملح ، وقتلوا سبعة منهم ، وفرّ الباقون . . ومنذ ذلك الوقت تركت الممالح دون



(شكل ٢٦ — بئر العويجة)

حراسة. ويكلف قنطار ونصف من الملح في راوة عادة ستة مجيديات (٠٤ر٥ دولار) وكانت الحكومة تفتش عن الملح باستمرار في جميع القرى ، وكلما عثرت على شيء منه صادرته وفرضت غرامة عليه .

وكان السعر — على اثر ذلك — يرتفع بوجه عام .

في المساء تأكدنا من خط العرض .

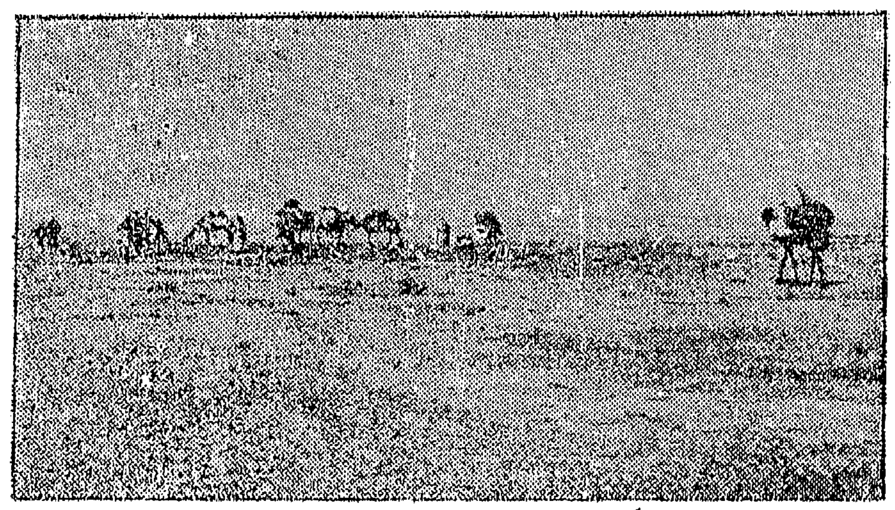


شكل ٢٧ — مملحة العايد

سهل الاقرقة الى الخابور

في ١٨ من ايار سنة ١٩١٢ بدأنا السير ببطء شديد في الساعة ٣ر٤ صباحاً متجهين غرباً خلال سهل الأقرقة . وفي ٤٥ر٦ تركنا طريق درب الملح الذي يتجه شمالاً تقريباً مؤدياً الى التلول المائدية الشكل التي تعرف بـ (قور القنطرة) . وهذه التلول مبعثرة بين سطوح الملح ، ولما كانت غير محاطة بمستنقعات فان جمع الملح على مقربة منها كان أمراً يسيراً . والى شمالي القنطرة توجد بئرا المغيريثات والمالحة ، وعلى بعد منها تأتي عين الطريفاوي الملاّح . وهي عين مالحة ويسمى باسمها احياناً القسم الشمالي من مملحة العديد . وفي ايام الشتاء ، ولاسيما بعد سقوط الامطار حين تتسرب مياه جميع الاودية الى المسطحات الملحية السفلى يذوب الملح ويختفي تماماً . ويتبخر الماء في الصيف ويكوّن الملح قشرة سمكها خمسون سنتمتراً تقريباً تغطـــي سطح الأرض . وملحُ العديد ناصع البياض ، ناعم ولذيذ الطعم . اما الملح المستخرج من الأشقر ، او السنيسلة ، او القطّار فانه مرّ المذاق شديد الصلابة لذا يلزم تكسيره وطحنه حتى يصبح مسحوقاً .

ويحدّ مملحة العديد من الجنوب الشرقي تِلالُ مائدية الشكل تسمى بـ (قرت الشُقيق) ، ومن الجنوب (ظهر دبدَب) ، ومن الجنوب الغربي قرت ام غدير



شكل ٢٨ قرت الحصان من الجنوب

والمسيجرة . ويسد المملحة من الشمال الغربي سفح الحداجة . ويتصل هذا السفح من ناحية الغرب بمرتفع هائل هو مرتفع حزم العوجة . وفي الساعة الثامنة مررنا راكبين بين مرتفعات الطويرات بسطوحها المنبسطة ، ومن احدى المغارات العميقة الموجودة هنــاك — حسب الاعتقـــاد المحلي — تخرج الاشباح من الكهـوف العميقة الموجودة هناك لتقوم بدعاباتها مع الناس . ومن الساعة ٨ الى ٨٫٢٨ تركنا جمالنا ترعى . وكان المرعى رديئاً ليس فيه غير الشيح والعلنــده ، والشنان ، والرغل ، والجزار ، بمقادير غير كثيرة . وظهرت على مسافة بعيدة من ناحية الجنوب سلسلة ظهر دبدب ، وهضيبة قرت الشقيق الداكنة الى جهة شمال — الشمال الشرقي.

وفي الساعة التاسعة ظهر للعيان الى يميننا سطح ملح العُدّيد ممتداً من الجنوب الى الشمال ، وبعد وصولنا اليه في ٩٫١٤ بدأنا في اختراقه في اتجاه شمالي غربي (الشكلان ٢٧ ، ٢٩) . وكانت قشرة الملح تتكسر وتتقصف تحت وطأتنا . وحيثما كانت القشرة سميكة بدرجة كافية كان العبور ميسوراً لنا ولدوابنا ، ولكن عندما تتقوض لم يمكن بمقدور الجمال ان يتبع بعضها بعضاً ، بل تغطس في الرحل وتنزلق باستمرار . ولم يكن مستوى سطح الملح متماثلاً في كلّ مكان ، فهناك مناطق كبيرة مستوية وملساء تماماً . ، في حين توجد مساحات تتكون من ضلوع حادة لا حصر لها ترتفع نحو عشرة سنتيمترات .

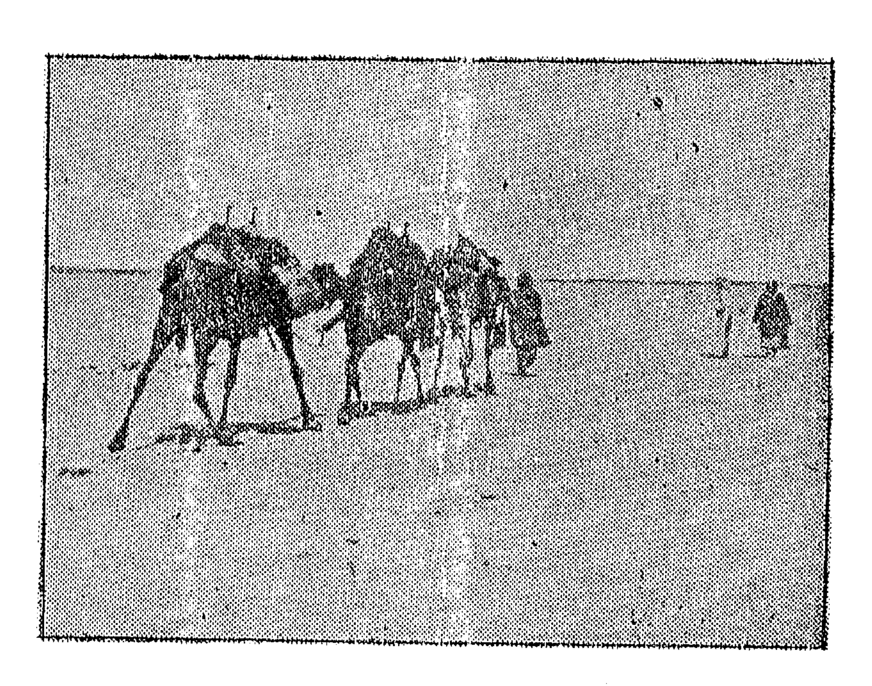
في الساعة ١٠٫٢٥ بلغنا أرضاً صلبة مرة أخرى ومررنا فوق نتوء قارت ام غدير ، وتلول المسيجرة ، ثم استرحنا من ١١٫٢٣ الى ١٢٫٣٠ بعد الظهر . وظهرت الى الشمال حافة قور الطوال ، وخلفها سفح حــزم الحـــداجه الطويل الذي يتميز بانحدار شديد الى حدما . وفي ١٫٤٨ أتينا بئر السبع ، حيث استقينا من مائها المرّ الى ٢٫٢٥ . ومن ٣٫٠٧ الى ٣٫٣٠ اخترقنا مستنقع الملح المعروف بسبخة السبع . وتحد هذا المستنقع من الشمال الشرقي تلال قور الطوال المسطحة ، ومن الشمال نتوءات العوجة ، ومن الغرب طار الدميم ، ومن الجنوب نتوءات العجاج . ويقع الى الشمال منه غدير القعيد ، والى الشمال الغربي آبار : المويلح ، والبرغوث ، والدميم :

من ٣٫٤٠ الى ٤٫٢٠ رعت جمالنا شمالي بئر الشعطات . وبرزت على الأفق من جهة الشمال هضيبة قارت الحصان (شكل ٢٨) . وفي ٥٫٢٤ شاهدنا الى غرب الشمال الغربي فيما وراء الفــرات خرائب الصالحية ، والى الشمال الشرقي روابي بطانة الدميم الواطئة . وفي الساعة ٥٫٥٥ نصبنا الخيام .

في الساعة ٤٫٥ صباحاً من ١٩ ايار سنة ١٩١٢ — كنا على سروجنا . كانت ليلة دافئة ، ولم تكن هناك نسمة هواء . . كنا نمرّ الان باراضي لم يسقط فيها مطر يذكر منذ اربع سنوات . لذا لا تكاد ترى نباتات سَنوية ، رطبة او يابسة ، في اي مكان . فالنباتات الدائمية جفّت تماماً ، بل ان الريح اقتلعتها من جذورها وتراكمت في اكوام ترتفع ١٥ سنتيمتراً وراء كل صخــرة كبيرة ، وظهرت الى جنوب — الجنوب الشرقي روابي عين على البيضاء وفيها عين ماء تحمل الاسم نفسه . وفي الساعة السابعة انعطفنا نحو الشمال الغربي ، في موضع غير بعيد من كدس أحجار رجم الحويطي . اما الافق الشمالي فقد حجبه طار الدميم ومن ورائه (حزم العوجة) بحجمه الهائل .

وظلت جمالنا ترعى من الساعة ٨٫١٨ الى ٨٫٤٥ على (النيتول) الجافّ القاتم اللون الى الجنوب الغربي من بئر الدميّم ، حيث تلتقي طرق كثيرة وعرة من جميع الجهات .

والى الجنــوب والغــرب ينحــدر سهــل (أزدفــة الزور) المتموج هابطاً الى حافات قارت ابو زلّة وقارت الغنمية . وتنتشر نحو الشمال سهولُ (سيلة الوردة) ، والفقارة ، وفيضه الجزر ، حيث تقع آبار الحدّاج والعايتة . ومن ١٠٫٠٠ الى ١٠٫٢٠ توقفنا عند شجــرات العليّى (من فصيلة belladonna) ولاحظنــا ان جمالنــا تلتهم اغصــانها الصغيرة (التي لم تزل خضرة) بشهية بالغة . . ومن ١٢٫١٠ بعد الظهر الى ١٢٫٥٢ اخذنا فترة استراحة . وقد مرّت بنا قافلة من العقيدات في طريقها للحصول على الملح . وكان يرتفع من شدة حرارة الارض غبارُ ملح ناعم . وقــد سبب ذلك تهييج الغشــاء المخاطي بصورة مؤلمة . ولم يكن في المنظر ثمة شيء يلفت انظارنا . ولقد تركنا الفقاعات



(شكل ٢٩ ــ مملحة العديد)

(الطبول) وراءنا، وفيما عدا بريق الملح الحجري في بعض المواضع لم يكن هناك شيء يذكّرنا بها . ولم نشاهد اثراً للنباتات السنوية او الدائمية في اي مكان فقد اصبح (النيتول) أسود اللون ، وذهبت الرياح بالشيح والشنان . وكانت ضفة الفرات اليسرى آخذة بالاختفاء ولكنّ اجراف الضفة اليمنى كانت لا تزال تُرَى بوضوح تام . وظهر من بعد في ٢٫٣٠ مشهد رائع لقلعة الرحبة الخربة وهي تعلو فوق الأفق الغربي . ومن ٣٫٣٥ الى ٤٫١٢ ، ثم من ٤٫٤٥ الى ٥٫٣٨ راحت الجمال ترعى . وفي الساعة ٧٫٠٥ خيّمنا في سهـــل منبسط مقفر لم نجد فيـــه شيئاً نوقد به ناراً .

في ٢٠ أيار سنة ١٩١٢ بدأنا السير في الساعة ٤٫٥٨ صباحاً متجهين نحو الشمال الغربي ، وشاهدنا في ٥٫٢٠ من خلال صدع نهر الخابور بالقرب من

قرية [الصقــر] (٤٥) ثم انعطفنا شمـــالاً عنـــد خرائب تل حجنه والشيخ سالم ؟

وادي الخـابور ، قبيـلة الجبـور

لقد نحتت عوامل التعرية وادي الخابور دون مستوى الهضبة بالطريقة نفسها التي تكون بها واديا الفرات ودجلة ، فعلى الجانب الغربي تنحدر الهضبة انحداراً شديداً الى السهل الفيضي ويتثنى النهر خلال مجراه العميق . وتنتشر على طول ضفافه اكوام خرائب مختلفة الاحجام .

اما في الجانب الشرقي فتنحـــدر الهضبة بصـــورة تدريجية نحـــوه . ونمـــو قريبـــاً من النهر اشجـــار حور منفـــردة مع اشـــرطة من اراضي خصبة خضراء واكواخ صغيرة صفراء تنتشر بينها وبين جدران الوادي . وعلى الضفة اليسرى من الخابور ، والى الشمال من مصبّه في الفرات ، تقع خرائب وقرى : الزرّ ، ثاعو ، العوينه ، الماشخ ، الصجر . وبالقرب من الموضع الأخير يتفرع جدول دورين . اما على الضفة اليمنى من الخابور فتوجد قرى وخرائب البسيرة . والصالحة ، وتل الجبن ، وبرشم ، وتلّ البنيّات ، والطالعة مقابل تل الحجنة . وفي ٦٫١٥ هبطنا الى الضفة اليسرى عند قرية طيبّة الفال . والسفح الايسر من الوادي ليس شديد الانحدار ، والاخاديد التي حفرتها عوامل التعرية قصيرة وقليلة العمق . ومن ٧٫٠٥ الى ٧٫٤٥ رعتْ حدثنا جنوبيّ قرية تلفيس . التي تقع على دقعة أرض صغيرة تبرز من الضفة اليمنى باتجاه الشمال تقريباً من خرائب الهنيدي.

---

(٤٥) يروى ابن الاثير (الكامل مجلد ٤ ، ص ٢٥٧) انه نشب القتال فى خلافـة عبدالملك (٦٨٥ ـــ ٧٠٥م) بين قبائل قيس وتغلب عند السكر او ـــ كما سمى هذا الموضع احيانا ـــ عند سكير العباس على نهر الخابور . وقد هزمت تغلب وحلفاؤها النمر .

ويذكر ياقوت (المعجم مجلد ٣ ، ص ١٠٩) ان سكير العباس بلدة اميل الى الصغر ، على نهر الخابور ، وفيها منبر وسوق .

ورأينا الى شمالنا خرائب تلّ فدين (أو الفدَيْن) (٤٦) وهي تطل على الضفة اليمنى من النهر ، ممتدة من الجنوب الى الشمال .

---

(٤٦) الفدين هي الفدانا او الابفدانا عند بطليموس (الجغرافيا مجلد ٥ ، ص ١٨ : ٦ ، ١٣) ولعلها ابدنا المذكورة في — ٣٦ رقم ٨ .

وفي أيام عبدالملك هاجم عمير بن الحباب مستوطنة الفدين على الخابور وقتل من وجده من التغلبيين هناك . ويذكر النقيع الشاعر هذه البلدة ومعها الصور (ابن الاثير : المصدر السابق مجلد ٤ ، ص ٢٥٦) .

ويضع ابن خرداذبة (المسالك : ص ٧١) اسماء هذه البلدان في مقاطعة الخابور الادارية : الصور ، الفدين ، ماكسين ، الشمشانية والسكير .

ويقول ياقوت (المعجم مجلد ٣ ،ص ٨٥٨) ان بلدة الفدين تقع بجانب الخابور بين ماكسين وقرقيسيا .

وكانت الفدين من غير شك محطة على الطريق من قرقيسيا الى الموصل، اذ كان هناك طريق هام على طول الخابور يصل العراق بالشام اذ ذاك . وتعزز هذه الحقيقة روايات كثيرة وصلت الينا . على ان هذه الروايات تعرضت للتصحيف من قبل النساخين بحيث لم يعد في الامكان تعيين مواقع المحطات المختلفة .

ويصف ابن خرداذبة (المصدر السابق ص ٩٦) الطريق من الموصل نحو الغرب مخترقا الصحراء حتى يبلغ محطة سكير العباس الواقعة على الخابور . والمسافة من هناك الى الفدين هي خمسة فراسخ ، ومنها الى ماكسين ستة فراسخ ، ومن ماكسين الى قرقيسيا حيث يتصل الخابور بالفرات : سبعة فراسخ . وظل اسم الفدين باقيا في الفدين الحالية على بعد حوالي ٢٧ كيلومترا من قرقيسيا القديمة . بيد انه وفقا لابن خرداذبة تبلغ المسافة من قرقيسيا الى الفدين ١٣ فرسخا اي ٦٥ كيلومترا . لذا يمكن ان نفترض بان ترتيب المحطات لم يتغير فحسب ، بل تغيرت المسافات التي بينها كذلك .

والمسافة من قرقيسيا الى سجر — السكير القديمة او سكير العـ . . . هي ١٧ كم (اربعة فراسخ) .

ومن السجر الى الفدين ١٠ كم .

ويسرد قدامة (الخراج ص ٢١٦) هذه الاسماء بترتيب غير ..صحيح كذلك ، مع ذكر المسافات [السابقة] نفسها .

راوة الى الرقة

في الساعة ٨٫٣٠ بَدَتْ على اليمين قرية المجيبرة المجاورة لتلّ فدين ، كما بدت في الساعة ٩٫٤٥ على الضفة اليسرى قرية الخريجة وفي الساعة ٩٫٤٥ مزرعة النملة . ويقترب النهر في هذا الموضع من الاجراف الشرقية للوادي . ومن ١٠٫١٥ سرنا خلال صخور مثلّمة ، لم نغادرها حتى الساعة ١١٫٢٥ . ويأخذ السهل الفيضي الخصب بالاتساع فيما وراء قرية النملية حتى يصل في النهاية الى النتوء الجبلي [سنّ الجبل] الذي تقوم عليه خرائب الصوّار المطلة على النهر. وعلى الضفة اليسرى ابتداء من صخور النملة البيضاء يمتد قسم آخر من السهل الفيضي الخصب الى الشمال الى الموضع الذي تطل منه عليه ربوة خرائب الشيخ حمد .

وتوجد شمال هـذا الموضع على الخـابور ، وعلى الضفة اليمنى من دجلة بين المكحول وتكريت كذلك ، مخيّمات قبيلة الجُبور . ويسمى القسم الغربي من هذه القبيلة : الحجّاج ، والقسـم الشرقي الهياجن (او الهياجل) . وعشائر قبيلة الجبور كما يأتي :

الهياجل	(الرئيس : مسلا بن محمد أمين)
الشويخ	(الرئيس ..ر العمَرّ)
الجاموس	(الرئيس عبدالرحمن بن داغر)

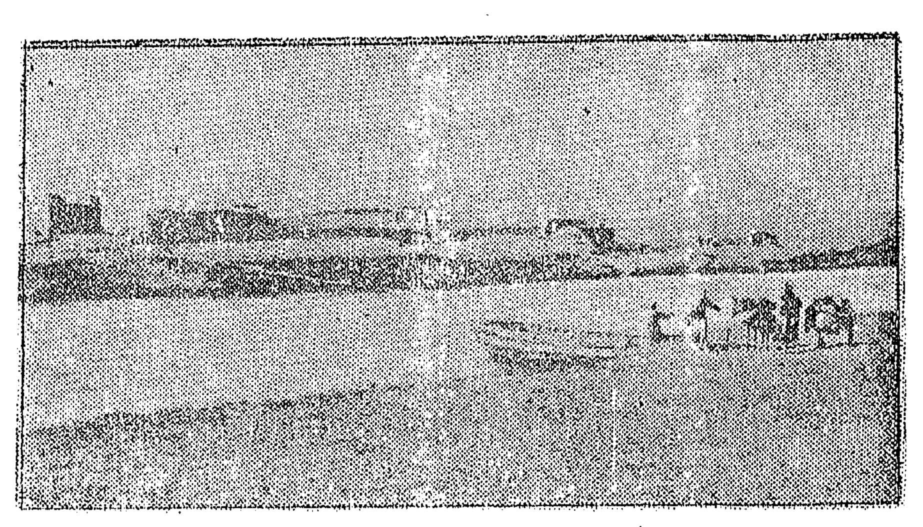
=

ويذكر المقدسي (احسن التقاسيم : ص ١٥٠) من قرقيسيا الى فدين مرحلة ثم الى السكير مرحلة .

ويذكر الادريسي (النزهة : ترجمة جوبير مجلد ٢ ، ص ١٥٤ فما بعدها) ان المسافة من قرقيسيا الى ماكسين ب (٢١) ميلا ، ومـن هنـاك الى الفدين (١٨) ميلا ، ومنها الى سكير العباس (١٥) ميلا . وفيما يتعلق بالترتيب والمسافات فانها تتفق والمعلومـات الواردة في ابن خرداذبـة وقدامة كلها : ٥٤ ميلا ، ١٨ ميلا ، او ٩٠ ميلا .

ابو خطاب	(الرئيس عبيد بن هلّوش)
العجل	(الرئيس وقاع بن زرزور)
ابو نجاد	(الرئيس عبدالعزيز المهيري)
الناصر	(الرئيس حمود بن عبدربه)
البقّارة	(الرئيس بشير بن جابر)
العبيدات	(الرئيس عجل بن علاوي)
العـــابد	(الرئيس بشير)
هرّاشـــد	(الرئيس محمود بن قحيط)
البو حسن	(الرئيس دبوس بن ضويح)
البو حمدان	(الرئيس وادي بن شواش)
البو رحمة	(الرئيس عبدالله السمين)
العبد الكريم	(الرئيس محيمد بن قحيط)
المشهور	(الرئيس على الرمضان)
الخنجر	(الرئيس سطّام المحمد)

وتابعنا السير في السهل الفيضي المزروع على الضفة الشرقية في اتجاه الشمال تقريباً حتى الساعة ١٠ — ١٢ بعد الظهر وعندما بلغنا موضعـــاً حرجاً في النهر استدرنا الى الغرب . وفي الساعة ٢٠ر١ خيّمنا بجـــانب مخاضة مقـــابل مركز الدرك وخان الصوار (شكل ٣٠) الواقع على الطريق العام المؤدي من دير الزور الى الموصل . وثمّة جزيرة صغيرة شمالي ّ المخاضة المذكورة والى الجنوب الشرقي غيضة اشجار حَوَر . وفوق الجزيرة (ناعورة) كبيرة ترفع الماء من النهر لريّ المزارع الممتدة على الضّفاف ، حيث كانت تنتشر عليها خيـــام عشيرتي العقيدات والجبـــور . وسرعان ما أقبل عدة رجال من الخيام لزيارتنا ، وقد حاولت الحصول على دليل من بينهم . لذلك انتحيت بهم ناحية ، كلاً على انفراد . وطلبت الى كل منهم ان يرسم على الأرض خارطـــة الخابور والفرات . وان يضع حصاةً على كل موضع يذكر اسمه . ولم يكن لبعضهم



شكل ٣٠ ـــ خان الصوار من الشرق

فكرة عن الجهات ولا يستطيع التفريق بين الشمال والجنوب ولم أضيّع وقتي ثانية على مثل هذا الأمر . ثم اني طلبت الى الشخص الذي اصاب في تعيين المواضع التي كنت أعرفها أن يبين لي خط سير الطرق من الصوار الى دير الزور ، او من الصوار مباشرة الى الرقة او من الصوار الى ملح الأشقر او العابد . . الخ وبعد ان أحطت بالمنطقة التي كنت أعنى بها مع الشخص الاول ، عدت اليها مع الثاني ، والثالث ، والرابع وهكذا حتى وضعت اساساً ثابتاً لجمع المعلومات عن الطرق الاخرى وعن المنطقة المحيطة بها . وعلى هذا النحو اكملت خارطتي ورسمت طريق رحلتي التي ازمعت اتباعها .

وأمضينا يوم ٢١ ايار (من عام ١٩١٢) بتمامه في رسم الخرائط ليس للاراضي التي مررنا بها حتى الآن فحسب ، بل المناطق التي كنا ننوي زيارتها بين الخابور والرقة كذلك . ويندمج السهل الفيضي الذي على الضفة اليسرى من الخابور بهضبة خشم المعيجل . حيث ترتفع الى شمال ـــ الشمـــال الشرقي من الصوار هضبة تقطع امتداده . ويزيد عرض القسم المنتبج من السهل الفيضي على كيلو مترين ، ويمكن ريه أو غمره بالماء تماماً ، وتراه في بعض المواضع مزروعاً بأكمله ، ولكن الحقول في اماكن اخـــرى تمتد على ضفاف النهر ذاتها .

حيث شقّ الخابور لنفسه مجــرى عميقاً . وتوجد هنــا وهناك مجموعات اشجار الحور تعمل على تنوع المشهــد وعنــدها يسير المــرء صعداً مع ضفة النهر حيث يختفي السهل الفيضي تقريباً ، ولا يتسع مرة اخرى الاّ بعد ان يتخطى خرائب تل ّالحصين(٤٧) حتى اذا جاوز تل مرقدة يصبح اوسع من سهل الضفة اليسرى وينتهي بالقـــرب من تل ّ مرقدة شعب الحِمـّة الذي يسد بانحداره من الغرب — جنوب منطقة المعـــزة البركانية ببراكينها الثلاثة الخامدة . والى الجنوب الغربي من هذه الأخيرة والحِمـّة تقع آبار المعـــامرة ، والجوّيف ، والمربـّه والعُميـّر . والى غرب البراكين الخامدة والشمال الغربي من هذه الآبار توجد مناهل الفـّياض ، وسهلان ، وابو النوق والطاران ، والرُّغيـّان ، والرميلان ، والمليحان ، والبقـّه . ويتصدرها جميعاً شعب جَهيد الذي يجري ملتوياً بجوار منطقة حِمـّة المعزة البركانية في الشمال ، وينتهي مقابل قرية الدليجمية شمالي ّ تل ّ الفدغمي ّ . ويخرج من هنا طريق يؤدي شرقاً الى الموصل ماراً ببئر ابو حمزة والبديعة . وعلى الضفة اليمنى من الخابور جنوبيّ تل ّ الفدغمي يقع تل ّ الشميساني وقرية الدشيشة ؛ وعلى الضفة اليسرى جنوبي ّ تل ّ المرقدة تقع قرية سايتح وتـّل الشّيخ حمد . وفي المساء حددنا خطّ العرض .

وفي ٢٢ أيار سنة ١٩١٢ حمـّلنا مالدينا من امتعة السفر في قارب كبير عبرنا به الى الضفة اليمنى . اما الجمال فقد عبرت مخاضة في النهر تبعد نحو نصف كيلو متر الى الجنوب . وكانت اجرة العبور خمسة مجيديات (٥٠ — ٤ دولار) . وتقع خرائب الصّور على الضفة اليمنى : ويقع الاخر على اللحف الجنوبي لنتوء صخري . ومع ان هذه الخرائب لا تلفت النظر الاّ انها واسعة الى حد كبير ويظهر انها نقبت مراراً ، ونُقلت منهــا مواد البنــاء الجيدة

(٤٧) يروى ياقوت (المعجم : مجلد ٢ ، ص ٢٨١) ان الحصين بلدة صغيرة على الخابور . وكان الزوار يؤمونها ، فيما مضى في كل عام لزيارة قبر الشيخ ابى بكر ، المدفون بقرب هذه البلدة .

ولكن روابي خرائب حماء التي على الضفة اليسرى ، وتل الحصين على الضفة اليمنى شمالي ، وتل فدني الى الجنوب ، اكثر منها سحراً وخلابة(٤٨) .

---

(٤٨) الصوار هي سوري المذكورة في الكتابات ، الاشورية ، وهي مركز بلاد لقي
حينما جاء توكلتي ننب (توكلتي انورتا) الثاني الى حيرى (لعلها خرائب الصرفا الحالية) ، ارسل اليه حمتاى ، والى منطقة لقي ، بالاتاوة المطلوبة منه : ٢٠٠ راس غنم ، خمسين راس ماشية ، وخبز ، وشراب ، وحبوب ، وتبن . ولما اقترب الملك العظيم من مقر اقامته : بلدة سوري في خدبة على الخابور ، قدم اليه الوالى عشرين منا من الذهب ، وعشرين منا من الفضة ، و اثنين وثلاثين طالنا من الرصاص ، ومائة وثلاثين طالنا من النحاس ، وطالنا واحدا من القطن الازرق الداكن ، وخمسة امنان من نبات (الزديدو) ، وطالنا واحدا من الحديد وزيتا رائقا ، والفا ومائتي خروف ، مائة راس ماشية ، وطيورا كبيرة ، واثنتين من زوجاته مع مهر كبير (حوليات شيل القابل ٢ ، ٤ فما بعد ، ١٥ — ٢ ، دبي المصدر نفسه ص ٢٠ ، ٢٢) .
وبعد ان ارتقى اشور ناصر بال الثالث(٨٨٤ — ٨٥٩ق م) العرش بمدة قصيرة ، ظهر فجاة امام بلدة سوري في منطقة بيت خدبة ، ليعاقب سكانها على مقتل الوالى حمتاى ، الذى عينه الملك الاشوري حاكما عليهم من قبله ، والاستبدالهم حمتاى برجل يسمى اخيا بابا من بلاد بيت اديني . واستلم كبار الموظفين واعيان البلد بدون قيد او شرط . وامر الملك الاعظم باستباحة القصر والمعابد فحصل على الغنائم الاتية :
(تمثيل) الالهة ، النساء ، العذارى ، الفضة ، الذهب ، البرنز ، الحديد ، الرصاص ، اواني برنز مختلفة ، البستر ، حجر كريم من الجبال عربات ، معدات الخيل ، فرق خيل ، خيل ، منسوجات مختلفة الالوان ، خشب الارز ، الواح مطعمة ، ارجوان ، صوف ، توابل معطرة ، ماشية ، ماعز .. الخ .. واقيمت منصة خارج مدخل البلدة ، وعلقوا عليها ماسلخوه من جلود عدد من العصاة البارزين واخرون منهم شنقوا على المنصة ، وقتل بعضهم حولها بالخازوق .
(رولنسن : كتابات سماوية مجلد ١ ، عمود ١ ، ٢ ، ٧٩ — ٩٢ ، برج و كنك : جوليات — ١٩٠٢ ، ص ٢٨١ — ٢٨٤) .
وتسلم اشور ناصر بال الثالث في سنة ٨٧٨ من سكان البلدة في بخدبه (التى تقابل الصوار عندنا) : فضة ، وذهبا ، ورصاصا ، اوعية برنز ،

=

نهر الخابور الى بير الزهمك

في الساعة ٧٫٤٥ غادرنا السوّار واخذنا اتجاهاً شمالاً غربياً نحو سهل الظهرة المتموج المقفر . وهو في واقعه يعد استمراراً للهضبة الفسيحة المرتفعة التي تطلّ على الضفاف اليسرى لنهري الخابور والفرات . يمر الطريق العام الى دير الزور باتجاه غربيّ — جنوبي غربي مخترقاً سهل فيضة الشنانة والنتوءات الجنوبية لـ (حمة ابو صالح) . ويوجد في القسم الجنوبي من فيضة الشنانة بئر الكسّار ، وفي القسم الشمالي : بئر البو رحمة وبئر كالش .

وفي ٨٫٤٥ شاهدنا باتجاه شمالي — الشمال الغربي واحداً من براكين المعزة ، وهو مجموعة تلول بركانية سوداء اللون ، تنتهي غرباً بـ (خشم المعزة) المدبب وفي ٩٫٤٨ ظهر لنا جتب الضرو ، وهو مرتفع أحمر اللون قليل الارتفاع يمتد من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ؛ وظهرت من ناحية الغرب براكين سوداء احدها صغير وآخران كبيران ، تسمى الحجان (او الحجيفات)(*) . ومن ٩٫٥٠ الى ١٠٫٢٥ رعت الجمال الروثة والصرّ ، والقيصوم . وفي الساعة الحادية عشرة رأينا على اليمين آبار : سويلم ، الهيبة ، وعبد الكريم . ومن ١٢٫١٠ بعد الظهر الى ١٫٠٨ استرحنا عند بئر المريقب ، التي امتلأت قسم منها ببقايا نباتات جافة.

= ومنسوجات ملونة ، وماشية ، وقطعانا (ورلنسن : الحوليات السابقة الذكر مجلد عمود ٣ بدج وكنك ، المصدر نفسه ، ص ٣٤٨) .
بدج وكنك ، المصدر نفسه ، ص ٣٤٨) .
الاخطل (الديوان ص ١٠٦ فما بعدها) يذكر الحموم مع الصور ، وكذلك الخابور مع السرر .
ويذكر ياقوت (المعجم مجلد ٣ ص ٤٣٤) ان بلدة الصور تقع على ضفة نهر الخابور على اربعة فراسخ من الفدين . وجرت معركة مع **الخوارج هناك** .
ويعدد ابن الفقيه (البلدان ص ١٣٣) في ضمن الاجزاء التى تشتمل عليها مقاطعة الخابور الادارية ، مايلى : الصور ، والغدير ، ماكسين ، الشمشانية ، والسكير . والغدير لابد ان يكون خطا في النسخ لكلمة العدين ، اما السكير فهى السحر الحالية .

(*) حجف : حاجف محاجفة : عارضه وافعه .

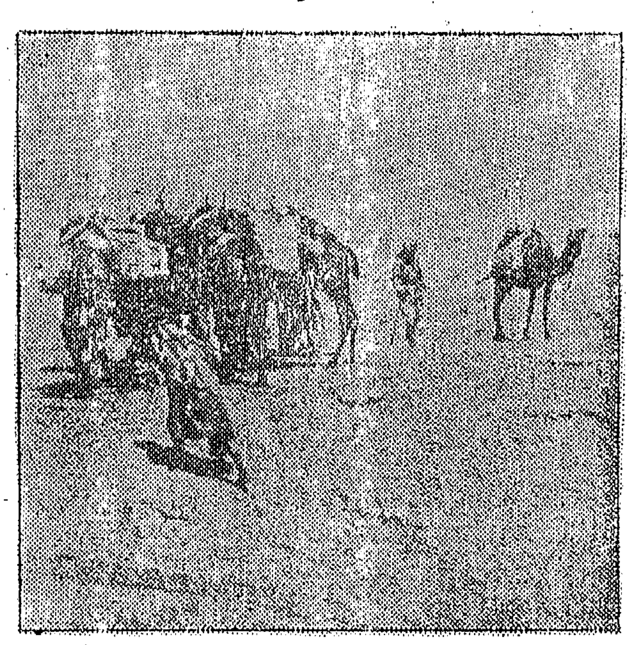
واشار دليلنا الى مجموعة آبار في الغــرب هي : الرويشد ، وحمر الطــويل ، وفي جنوبي الأخير بئر قصر الدين والى الشمال منها : العربيدي ، والى الشرق من العربيدي : بئر البيّوض . ورأينا الى الشمال عند لحف مرتفع طويل نوعا ما اكداساً صغيرة من الاحجار للدلالة على بئر العُميّر ؛ والى الشمال الغربي منها تحت نتوء جبلي اسود تقع بئر المربة : وما وراءها الجويّف ؛ والى غرب -- الشمال الغربي من البئر الأخيرة بئر المعامرة .

و صار الهواء الآن حاراً للغاية حتى رأينا بوضوح انه ينقسم الى اربع او خمس طبقات متفاوتة في عمقها وشفّافيتها ، تهتز باستمرار وتعيق أنظارنا .

وهذا هو (السراب) . وفي ١٥ر٢ لمحنا الى يسارنا تلّ البيّوض . وكان الافق من ناحية الشمال الغربي يسدّه جتب وكان هذا لا يخلو من ثغرات تخترقه في بعض تخترقه في بعض المواضع . ورأينا الى الجنوب منا اعلى بركانين من مجموعة الحجينات (او الحجاف) . وقد ظهرا في غمرة السراب كأنهما عنريتان اسودان . وبين الحين والحين كان رجم الطاران يبرز من السراب . وتقع الى الاسفل منه مباشرة بئر بهذا الاسم نفسه . والى الجنوب منها بئراً : الفياض وابو النوق . وبعد الساعة الثالثة امكن رؤية قطع من البازلت واللابة هنا وهناك . وكنّا عند سنّ الحمّة في ٤٨ر٣ وبلغنا حافته في ٠٥ر٤ وبقينا هناك الى ٤٥ر٤ ، وهي مكونة من البازلت واللابة ، الحمة كما سمّاها دليلنا . وتمتد المنطقة البركانية من تلّ مرقده على الخابور حتى بئر مايحان . واشار الدليل الى اكداس من الحجارة في الشمال تدلّ على مواضع آبار سهلان ، وابو النوق ، ورُغيّان ورميلان ، أما التي في الجنوب فتدل على بئر الحدب . وفي ١٠ر٥ ظهرت سلسلة عبدالعزيز الى الشمال . وخيمنا في ٢٠ر٦ عند رأس شعيب جهيد . وحدّدنا خطّ العرض .

في ٢٣ أيار سنة ١٩١٢ خرجنا في الساعة ٠٢ر٥ صباحاً متجهين نحو الشمال الغربي وكانت الريح غربية باردة . . وفي ٣٠ر٦ لاحظنا في حوض واسع الى الشمال منا ربوة خرائب المالحة ؛ وظهرت وراءها على مسافة كبيرة سلسلة عبدالعزيز المثلّمة . ورأينا الى الشرق منا تلّ رزنتري المنعزل . ومن ٠٠ر٨ الى ٤٨ر٩ توقفنا

عند المالحة (شكل ٣١) ، وهي بئر يبلغ عمقها نحو ٢٥ متراً ، ويكاد ماؤها يكون عذب المذاق. والى الشمال الغربي من خرائب المالحة توجد بئر المليحان . والى غرب الشمال الغربي تندمج سلسلة عبدالعزيز مع سلسلة البيضة [البيضاء] الأقل ارتفاعا منها ، وتقع اعلى قممها في الوسط .



(شكل ٣١ – بئر المالحة)

وكان بودنا ان نتفحص خرائب المالحة لشبهها بقلعة مبنية من كتل بازلتية ، غير ان الدليل حذّرنا من قطاع الطرق الذين يجوبون عادة الاماكن المجاورة لسفح سلسلة عبدالعزيز ولعلهم كانوا يرقبون حركاتنا باستمرار عندما كنا نسقي خيلنا وجمالنا ونملأ القرب بالماء . واعتلى الدليل ربوة قريبة منا ، وأخذ يراقب منها المنطقة المجاورة بكل دقة . وكان الترك غير راغبين كذلك في تعريض للخطر وقد ناشدونا العودة من حيث اتينا لنكون بمنأىً عن الاكراد . وحتى نشرح خواطرهم اتجهنا غرباً في سهل متموّج يرتفع الى الجنوب الغربي . وفي الساعة ٢٧ر١٠ وصلنا الى بئر مهدمة . وفي ٢٥ر١١ عبرنا الطريق المتجه نحو شمالي–

الشمال الغربي من دير الزور . ويبدأ هذا الطريق من دير الزور وبعد ان يخترق شعيب البقر يرتقي حمة صالح في شرقيّ براكين الحجيفات ، ويمر على بئر الغربيدي وبئر ابو قبرة . وقد بلغنا الأخيرة في الساعة ٣٥ر١١ . واسترحنا من ١٠ر١٢ بعد الظهر الى ٢٠ر١ .

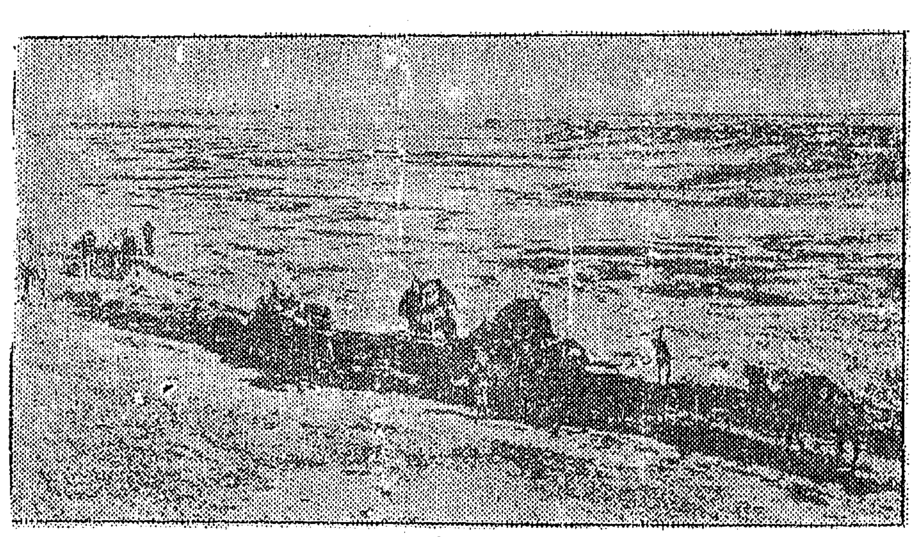
وفي الساعة الثانية كنا عند بئر عبّاس . شاهدنا الى الجنوب منا ركاماً من الحجارة عند بئر ابو رداني ، والى الجنوب منه رأينا ثانيةً مخروط الزرّاب الواة على جنب الضرو . وثمة كدس حجارة سوداء تُعلمٌ موضع بئر فنيجير بينما كانت روابي المانعية تسد الافق من جهة الغرب . وفي الساعة ٤٠ر٢ لاحظنا الى الجنوب منا ستة رجال يركبون الجمال واربعة من المشاة متجهين الى الشمال ، وعندما لمحونا هربوا الى الشرق . والظاهر انهم حينما رأوا ثلاثة رجال على ظهور الخيل في صحبتنا ، ظنّوا اننا قطاع طرق عادوا بغنائم احدى الغارات . على انهم انفسهم كانوا يشبهون قطاع الطرق . وكان بامكانهم مهاجمتنا ولكن افتقارهم الى خيل سريعة جعلهم يحاذرون إذ ان الحصان أسرع واخف من الجمل في الهجوم . وبقيت جمالنا ترعى من الساعة ٥٥ر٢ الى ٤٢ر٣ وقد مكنتنا الارض المرتفعة التي كنا نقف عليها من رصد حركات العدو . وسلسلة البيضة [البيضاء] تمتد من الشرق الى الغرب ، ويبقى مستوى ارتفاعها متماثلاً في النصف الشرقي من امتدادها تقريباً ولا تبدأ في الانخفاض الا على مسافة ابعد نحو الغرب . ورأينا الى الغرب منا بئر الزهمك والى الجنوب منها تل كليب الحمّة الاسود . والى الشرق منها بئر الجردية وبئر الثماد . وخيّمنا في الساعة ٢٠ر٥ وكنا حذرين طول الليل مخافة ان يهاجمنا الغرباء .

بئر الزهمك الى الرقــة

في ٢٤ ايار سنة ١٩١٢ كنا في طريقنا حوالي الساعة ٥٥ر٤ صباحاً وقد هبّت ريح خفيفة من جهة غرب ـــ الجنوب الغربي ولكنها كانت قاسية البرد . وفي الساعة ٥٥ر٥ كانت على يميننا ، بالقرب من الطريق ، بئر الزهمك ،

ويبلغ عمقها عشرين متراً ، حيث سقينا خيلنا حتى الساعة ١٠ر٦ . وكانت ترى في الشمال الغربي روابي المانعية القاتمة اللون سلسلة البشرى فيما وراء الفرات جنوباً . وكان أشد ما يلفت النظر هو الصدع العميق بين القسم الرئيسي من السلسلة ونتوئها الشرقي : الفصّايات . ومن ٠٠ر٨ الى ٢١ر٨ رعت جمالنا الى الجنوب الغربي من بئر الطريفاوي وشمال آبار الدرة والصبّاغة في شعيب المسوّق . وكنا نقطع الآن خط تقسيم المياه بين الفرات والشعبان التي تمتد نحو سلسلة البيضة. وكان السفح الى الجنوب شديد الانحدار وتدريجياً نحو الشمال على كل حال . وظهر على الافق الغربي في الساعة ٤٠ر٨ بركانا (المناخر) ، في نهاية السهل الرتيب الذي كنا نمرّ فيه والى الجنوب نظرنا الى الأقليم المتموج الواسع الذي الى الاسفل منا من لحف البشري منحدراً نحو الفرات ، حيث يشهر في الجروف العالية التي تحدّ الضفة اليمنى من النهر . وعلى الضفة اليسرى في غربي بئرَيْن الدرّة والصبارة تختفي هذه الجروف . وفي ٥٠ر٩ رأينا الى الجنوب منا تلّ الحميضة الهائل على الفرات . ثم واصلنا السير مخترقين شعيباً ماتوياً يتجه نحو الجنوب . وفي ٤٠ر١٠ كنا في شعيب عريض يسمى شعيب (عقلة مشحم) . وكان مغطّى باشجار الطرفاء وينتهي بين تلّ مطبّ والعنز على الفرات . وأمكن الآن ان نرى بوضوح ثغرة الخانوقة التي ينفذ منها الفرات .

وسلسلة البشري او الحمّة ما يسمى امتدادها الشرقي البازلتي ، تمتد الى براكين الحجيفات ، ولا شك في انها كانت في وقت ما تكوّن سدّاً طبيعياً للفرات . غير أن طبقات الملح الصخري والجبس اللينة لم تستطع مقاومة التيار السريع الذي نحت مجرى مجرى ضيقاً عميقاً يسمى الخانوقة ، وهكذا فصّل القسم الاكبر من السلسلة المعروف بالحمّة في الشرق ، عن القسم الباقي في الغرب . وعلى الضفة اليمنى من عقلة مشحم تمتد روابي (ذابلة) من الشمال الى الجنوب ، والى الغرب منها مرتفعات واسعة تفصل بينها اودية قليلة العمق تنحدر نحو الفرات . وفي الساعة ٣٠ر١١ عبرنا شعيب الحسّ ، واسترحنا من ٢٠ر١٢ بعد الظهر الى ٢٠ر١ . . وظلّت الجمال في مرعاها من



(شكل ٣٢ — من الخفيان غرباً — وادي الفرات على بعد)

٢٫٥٠ الى ٣٫١٠ في وادي خفيّان (شكل ٣٢) جنوبي جبّ الشعير . وفي الساعة الرابعة أخذنا نسير على طبقة من الحمم] اللابة] الخالصة ، وفي ٥٫٥٥ وصلنا الى بركان المنخر الشرقي واستدرنا حول قاعدته الشمالية للوصول الى شعيب الشغاء . وهذا البركان على شكل مخروط مستطيل يمتد محوره من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي ، ويظهر انّ له اربع فُوَّهات ، اكبرها تقع في الجنوب الغربي . ومنها تدفق جدول عميق من اللابة امتد الى الشمال الغربي ، وفي القسم الاعلى من شعيب الشغاء يوجد بئر ابو جدايع ؛ وفي القسم الادنى بئر ابو مرمر ، والى الغرب من الأخيرة آبار : غيلان ، الخضيّبة ودميم . والى الاسفل من ربوة تقع شماليّ بركان المنخر الغربي تقع بئر لُقطة ؛ والى الجنوب الغربي من البركان : بئر ابو توثة ، والى الشمال الغربي من الأخيرة بئر الهبأ والحوار .

في الساعة ٥٠—٦ خيّمنا على طبقة الحمم في منتصف المسافة بين البركانين في منطقة واسعة ليس فيها أثر لعصن شجرة صغير أو أي شيء يشبه الوقود . . . كانت ليلة لطيفة والريح تهبّ من الغرب .

في ٢٥ أيار سنة ١٩١٢ بدأنا السير في الساعة ٣٥ ـــ ٤ صباحاً . وكانت تهبّ آنذاك من الشمال . وفي ٣٢ - - ٥ درُنا حول القاعدة الجنوبية للبركان الثاني ؛ الذي يقع على طبقة من البازلت (المانع) واللابة يبلغ ارتفاعها نحو خمسة وعشرين متراً ، وهي اشد انحداراً من جهة الشمال . وفي ٢٠ر٦ ـــ كانت آبار ابو ترثة على اليمين منا ، وفي ٢٥ر٧ وصلنا الى ضفة الفرات ضفة الفرات غربيّ خرائب الجَهّال ، وظلت جمالنا الى الساعة الثانية ترعى من شجيرات العوسج حتى أخذت كفايتها .

ولا يمكن القول بان مجرى الفرات في الجنوب الغربي من الجهال قد استقرت أبعاده وحتى الآن . فلا تزال هناك فروع كثيرة من النهر العظيم ـــ تتثنى بين جزر صغيرة تظهر وتختفي ثانية ، لانه ليس ثمة اساس صخري يدعمها . وتنمو على كثير من هذه الجزر أعشاب كثيفة ، ترعى فيها قطعان الجاموس والبقر . وحاولنا ان نخترق حقول السميري مباشرة للوصول الى قرية الرقّة ؛ ولم نوفّق في ذلك لأن المروج التي اختفى فيها نهر البليخ كانت مستنقعة الى حد كبير حتى اضطررنا في الساعة ٤٠ ر٨ الى التحول شمالاً لتحاشي هذه المروج والسير على أرض صخرية يابسة . نجحوانا خيراً ، برغم بعض الصعوبات في عبور البليخ ومستنقعاته عند خرائب زيدان وتوجهنا الى الغرب ثانية . (٤٩)

من ٢٠ ر١١ الى ٤٠ ر٢ بعد الظهر استرحنا في الجنوب الشرقي من الرقة في المزارع القريبة من خرائب (الحمرا) وغربيّ خرائب (الرقة السمرا).

---

(٤٩) تل زيدان هو زنودوتيوم القديمة ويشير اريان في (شذرات) ص ٥٨٧ ـــ الى زينودوتيوم بقوله انها بلدة في اوسروئين بالقرب من نيقيفوريم ويروى ياقوت (المعجم : مجلد ١ ص ٨٦٧) نقلاً عن نصر ، ان تل زيدان موضع قريب من الرقة في بلاذمابين النهرين .

ويظهر من هذه العبارات ان نيقفوريم كانت تقع عند مصب البليخ . وانها مطابقة للرقة او لقسم منها .

والرقّة الحالية (٥٠) يسكنها نحو ٣٠٠ عائلة وعبد الهادي العجيلي أعظم رجالها نفوذا . وماء هذه المنطقة مج المذاق .

وفي ٥٠١ ر١ الى (عبّارة) الفرات وبعد صعوبات بالغة استطعنا ان نسوق جمالنا المسكنة الى سطح قارب عال . وكان رجال القارب قساة القلوب إذ سرعان ما انهالوا على الحيوانات المذعورة بالضرب والدفع والرفس والهزّ ، حتى اشفقنا على اعضائها ان تصاب بضرر . وذهب ناصر ومحمد وتومان مع الجمال ، وظلّت بقيتنا تقوم على حراسة الأمتعة . وأنزلت الجمال الى البّر على مسافة بعيدة الى الجنوب الشرقي ، وقد بقي تومان هناك ، بينما عاد ناصر الى القارب وبعد ان اصبحت الجمال الثلاثة الباقية والاصقة على ظهر القارب صعدنا اليه . القارب وحمل تيار النهر السفينة بسهولة ويسر . وفي وفي منتصف النهر دفع الملاحون اعمدة طويلة ثقيلة]المرادي [محاولين دفع القارب الى اليمين قليلا ليتوسط دوامة الماء التي ترقطم بنتوء يبرز من الضفة اليمنى ممتداً في سهل الكسارة الفيضي . نجحت المحاولة فقد حملتنا الدوّامة مباشرة الى الضفّة ، حيث نصبنا الخيام للمبيت في الساعة السادسة مساءً .

---

(٥٠) انظر فيما بعد ، ملحق ١١ .

الفصل السابع
الرقة الى ابو هريرة

في ٢٦ أيار سنة ١٩١٢ . . الساعة ٥٧ ر٤ صباحاً بدأنا سيرنا عبر سهل الكسّارة ، وهو جزء من سهل الفرات الفيضي الذي طالما تغمره مياه الفيضان وفي هذا الوقت كانت تغطيه نباتات السوس التي لم يتفق طعم اوراقها الخضراء الداكنة ومذاق جمالنا وفي ١٥ ر٧ دخلنا السهل الفيضي المسمى حاوي ابو قبيع حيث رأينا في الساعة ٣٢ ر٧ ربوة خرائب السِجل : وعلى امتداد ضفة النهر اليسرى بالقرب من هنا توجد قُرى ومزارع الحسّانية ؛ والدرعية ، والجزره والهراقلة ، وسراة عبد علي وخرائب القديرات . وقرية صيلحيبية الكبيرة نوعا ما . وكنا نسير الآ ن نحو مزارع البُليل على امتداد ممشّي ضيق على حافة النهر حيث وكان اقرور صعباً في بعض المواضع . وفي ٤٠ ر٨ عبرنا شعيب ابو هباطة الضيق ، واسترحنا من ..ر٩ الى ٢٨ ر٩ . . وفي الساعة العاشرة بدأنا الصعود في اراضي ام تلوس الزراعية الى خرائب سوريّا ، التي كانت في ٣٧ ر١٠ فوقنا من ناحية الشمال . وبلغنا هوّة بين سوريا والحمام . والحمام التي تساعد على النزول الى النهر بسهولة . وفي ٥٨ ر١٠ كان علينا ان نصعد ثانية . وفي ٢٠ر١١ توقفنا امام مركز درك في الحمام : وكان ثمة خانات ومركز للبريد والبرق وبعض الأكواخ . واسترحنا من ٥٠ر١١ صباحاً الى ٥٠ر١٢ بعد الظهر . وكان مخروطاً الثاديين (٥١) يمكن رؤيتهما بوضوح في الجهة الغربية .

---

(٥١) يذكر المتنبي الثديان (الديوان : ديترتيشي ص ٤٣٤) بانه موضع يقع على طريق حلب المحاذي للضفة اليمنى من الفرات ، والمؤدي الى الرقة ، وانه احتبس فيها لسقوط امطار غزيرة .

وفي ١٫٠٥ مررنا بالموضع الذي سبق أن خيمنا فيه في اليوم الأول والثالث من شهر نيسان الماضي .

وكانت السفوح آنذاك مغطاة بخضرة زاهية ، وكانت براعم الشجيرات في مرحلة نموها الاولى . اما الآن فكان كل شيء محترقاً أجرداً ، والعشب جافاً تذروه الريح ، والنباتات كلّها قد أكلتها الحيوانات ، ولم تبق سوى بضعـة مواضع خضراء قريباً من سطح الأرض . وفي ٢٫٣٢ كانت خرائب الهُنَيده على يميننا ، وكانت تقابلنا ، على الضفة اليسرى ، شبه جزيرة القدير انون تغطيها الشجيرات . والى الشمال الغربي منها حقول النّشابه ؛ والى الغرب حقول المسيطيحة ، والقبيبة ؛ والرُّقَيْبة : وخرائب قلعة جعبر . وفي الساعة ٣٫٢٧ وصلنا سهل الصُّفّافة الفيضي . وتغطى قسمه الجنوبي نباتات الطرفاء والحمّيض (او الحمبيض) ، وقسمه الشماليّ نباتُ السوس . وفي الصيف يقوم اشباه الفلاحين بقطع اوراق السوس وتجفيفها لتكون علفاً تحبه ابقارهم كثيراً ، وفي الشتاء والربيع يقتلعون جذوره ويركمونه على هيئة اكوام كبيرة تشبه الخيام ، ويبيعونها بعد جفافهـا الكامل الى شركة في حلب ، لهـا فروع في الرقة وبيرجيك . وهـؤلاء الرجال لا يتعاملون الاّ مع الرئيس فهو الذي يقوم بتسليم العروق الجافة بدلاً عنهم وتسلّم النقود . ويحصل العمال عن قنطار تركي (٥٦ كيلوغرام) من العروق على عشرة قروش (٤٥ سنتاً) . وفي ٣٫٥٠ رأينا مقبرة على يسارنا على الضفة اليسرى من شعيب القبور . وقد رُكزت اعمدة] سوار] على بعض القبور ربطوا بأعلاها قطعاً من القماش بل كان على بعضها قمصان كاملة . وفي الساعة الرابعة كنا في ممر الشعبة . . وعرض الممر هنا نحو مترين . ويبلغ ارتفاع الاجراف في جنوبه ٣٠ متراً تقريباً ؛ بينما تنحدر الارض من جهة اليمين عشرة أمتار انحداراً عمودياً الى النهر . وقد اجبرتنا الزوايا الحادة الناتئة من الجروف على السير في نسق منفرد . وفجأةً اشتبك النصف الايسر من حمولة ناقتنا البيضاء باحد هذه

الاطراف الحاد وتدحرجت ساقطة على رأسها في النهر . ولعلها كانت قد غرقت لولا ان حملها كان مربوطاً الى ظهرها بحبال مشدودة على البطن مما ساعدها على ان تظل طافية . . وكانت الناقة المسكينة ارجلها مدفوعة الى اعلى تحاول بكل قوتها ابقاء رأسها على سطح الماء . وأوقفنا الجمال الأخرى ، وهبطنا اليها بصعوبة بالغة ، ثم سحبناها بعد ربطها الى الضفة وهي ترفس . وانزلنا احمالها بعناية ، ونقلنا ، قطعة بعد اخرى الى الطريق . وعاونّاها على الانقلاب . ثم سحبناها الى مسافة نحو مئة متر شرقاً الى أخدود صغير . حيث يمكن هناك سوقها مرة اخرى الى الطريق . وبحسن الحظ انها لم تُصَبْ بجراح مطلقاً ، ولم يظهر عليها أيّ أثر لإصابة باطنية . والتأخير الذي نجم عن هذا الحادث لم يتجاوز . سبعاً وثلاثين دقيقة . من ٣٨ر٤ الى ١٥ر٥ . . وبعد ان وضعنا على ظهرها ثانية ذلك الحمل الناقع تماماً صعدنا من فجوة صغيرة على الهضبة الجنوبية وبقينا نقطعها حتى الساعة ٤٠ر٥ ، حيث هبطنا من شعيب الشعبة عائدين الى الفرات ثانية ، وفي الساعة ١٢ر٦ خيّمنا في حقول الهوره الزراعية . وهناك كان علينا ان نجفف ملابسنا المبلّلة . وكان سكّرنا ناقعاً وسكايرنا كانت سوداء وتحوّل طحيننا الى عجين . .

في ٢٧ أيار سنة ١٩١٢ قوضّنا المخيم في الساعة السادسه صباحاً . ورأينا الى الشرق على هضيبة : قلعة جعبر . ترتفع في وسطها منارة رشيقة ؛ وامكن رؤية منارة ثانية الى الشمال منها (٥٢)

ان سهل الطبقة الخصب ، الذي كنا نخترقه الآن ، يتسع اتساعاً ملحوظاً ، وذلك بسبب انحناء الفرات نحو الشمال . وفي ٢٢ر٧ شاهدنا على يسارنا خرائب بلدة صغيرة . كان شريط الارض القريب من النهر والمسمى حاوى العايد (أو العبيّد) مغطّى بنباتات السوس ، وكان ثمّة اكوام من الجذور التي اقتُلعت تُرى في كل مكان . وفي ٣٨ر٧ شاهدنا على يسارنا في الاجراف الصخرية على

---

(٥٢) انظر كتاب المؤلف الذى سيصدر قريبا بعنوان (بالميرنيا) .

مسافة عشرة امتار تقريباً اسفل السطح ، بعض الكهوف الصناعية التي لا يتمكن المرء من دخولها الا ان يتدلّى اليها بحبل ، ما لم يكن هناك مر نقب في الصخر يُوصل اليها . وفي الساعة الثامنة ،بلغنا نهاية الاجراف التي تتحول هنا الى سفح صخري ، انتثرت عليه اكوام من الآجر القديم . وتوجد على هذا السفح بعض المراقد المتهدمة وشواهد قبور قديمة وبرج بنات ابو هريرة المدور الى الشمال منها . ويصنبح السفح . البرج اكثر انخفاضاً ، ويتحول من اتجاه شرقي وغربيّ الى شمال — الشمال الشرقي وجنوب — الجنوب الغربيّ ، مكوناً بذلك حدّاً لحوض (المنصف) الذي يوجد في قسمه الشمالي الغربي مشهد الشيخ ابو هريرة ، وقد بدا لنا ابيض اللون ، بينما رأينا على نتوء صخري من الطرف الشمالي الشرقي لـ (طرّق العطفة) الذي يفصل شعيب المنصف من شعيب سلماس العريض ، فوق النهر مباشرة تقريباً ، وظهر لنا مخفر درك ابو هريرة وجدران خان (نزل) سوداء.

وكان هناك خانان (نزلان) وبعض الاكواخ قرب المكان الذي توقفنا بالقرب منه في الساعة ٩٫٠٦ في حقول القرين .(٥٣) (٥٤)

---

(٥٣) قلعة جعبر تحدد موقع بلدة دوسر القديمة يروى فرونتو مجلد ٢ ، ص ١٠) ان فيرس استولى على بلدتي دوسره ، نيقيفوريم . ويقول اسطيفان البيزنطي ص ٢٢٢) ان بلدة دوسرة تقع بقرب اديسا . ويروى بروكوبيوس في (مجلد ٢ ص ٦ : ١٤) ان الامبراطور جستنيان الاول قام بتجديد قلعة دوسر .

وبحسب رواية ابن خرداذبه (المسالك ص ٧٤ ، ٩٨) تقع دوسر على الطريق من الرقة الى صنبج ، وايضا على الطريق من الرقة الى بالدوحلب ويقول ابن القلانسي (الذيل : ص ١٠٠) انه في سنة ١٠٦٨م توفى الامير جعبر حاكم دوسر ، وسمى الموضع قلعة جعبر نسبة اليه .

ويذكر كمال الدين (التاريخ -- باربيه دى مينار ص ٦٠٥ ، ٦١٠ ، ٦١٥ فما بعدها) انه في سنة ١١١٥م كان اسم حاكم قلعة جعبر مالك بن سالم ، وان هذا الحصن كان يسمى كذلك قلعة دوسر .

ويروى ابن القلانسي في المصدر نفسه ص ٢٠٧ انه قد اشهر مطر شديد مع ريح عاصف على قلعة جعبر في ربيع سنة ١١٢٢ ، مما ادى الى تدير ٨٠٠ بيت في الضواحى . وفتذاك . ويذكر ايضا انه في ١٥ اغسطس سنة ١١٤٦م قتل عماد الدين اتابك زنكي تحت قلعة دوسر ،

التي كانت قد سميت عندئذ جعبر ، وهو من اصل صليبي ، خادما لدى عماد الدين .
يذكر وليم الصوري (من صور) في تاريخه مجلد ١٦ ص ٧ بلدة محصنة على الفرات تسمى كالوكنبر (قلعة جعبر) .
ويروي ابن منقذ في الاعتبار (طبعة درنبورك ص ٧٥ ومابعدها) ان اباه ارسل اسيرة صغيرة ، كانت ابنة احد الصليبيين ، الى صديقه حاكم قلعة جعبر الذي انجب ابنا منها . وهذا الابن الذي سماه بدران عينه خليفة من بعده . وبعد وفاة والده ، وبالاعتماد على مشورة امه ، قام بتدبير شؤون قلعة جبر والمنطقة المجاورة ، التي تبعد عنها مسافة غير قليلة ، في وقت واحد . غير ان امه رغبت في الهرب كسبت ثقة بعض الاصدقاء الذين ساعدوها اول الامر على الهبوط من الاسوار بالحبل ثم صحبوها الى بلدة سروج ، التي كانت تحت حكم الصليبيين حينذاك . وتزوجت هناك برجل من الصليبيين ، وهو صانع احذية ، بينما كان ابنها حاكم قلعة جعبر .
ويقول هامر برغستال في (مجلد ١ ص ٤٢) ان سليمان شاه رجع مع قبيلته في سنة ١٢٢٨م من شمال سوريا الى ارمينيا من الطريق الذي يخرج من حلب مخترقا جعبر . وعندما كان يعبر الفرضات غرق مع فرسه ، ودفن في قلعة جعبر .
ويقول ابو الفدا (التقويم ص ٢٧٧) ان قلعة جعبر كانت تسمى الدوسرية في الاصل ، لأن الذي بناها هو دوسر خادم النعمان بن المنذر . وقد تولى حكمها فيما بعد رجل يسمى سابقالدين جعبر القشيري ، ومن هنا سميت جعبر . ثم تملكها ملكشاه السلجوقي . وكانت القلعة خرائب في عهد ابي الفدا . ولم تكن بها بيوت . وقد بنيت في صحراء وادي الرافدين فوق جرف صخري شاهق على الضفة الشمالية من الفرات بين بلدتي الرقة و بالس .
وبحسب رواية ابن الوردي (التاريخ — بولاق مجلد ٢ ص ٣١١) وان قلعة جعبر هدمت في زمن هولاكو واعيد بناؤها سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٥ — ١٣٣٤م) من قبل الامير سيفالدين ابوبكر البشيري حاكم حلب.
ويصف خليل الظاهري (الزبدة : رافيس ص ٥٠) قلعة جعبر بانها بلدة جليلة [عامرة fine] ولها قلعة حصينة والى جوارها قرى كثيرة . وهي تابعة لدائرة حلب السياسية .
(٥٤) عن ابي هريرة انظر ايضا فيما بعد ، ملحق ٩ وللوقوف على تتمة وصف هذه الرحلة من ابي هريرة الى دمشق انظر كتابا للمؤلف يصدر قريبا بعنوان بالميرينا (وسيكون العدد ٤ من هذه السلسلة) .

القسم الثاني

١٩١٥



الفصل الثـــامن
في أطراف الحيرة

قمت في الفترة الممتدة بين كانون الاول سنة ١٩١٤ ونيسان سنة ١٩١٥ . برحلة جست خلالها بادية الشام وشماليّ نجد(٥٥) . وكان الاشراف على الاجهزة العلمية ، لمحاولة المسح ، وتحديد العروض قد عُهد بها الى كارل فالدمان ، احد موظفي المعهد الجغرافي العسكري بفيّنا وكانت النيـــاق الاحدى عشرة ، التي استخدمنا بعضهـــا للركوب وبعضها لحمـــل الأمتعة ، في رعاية ناصر بن عبيد المغلوق . وكان صاحبنا الدائم وحامينا اثناء وجودنا بنجد : نازل بن ثنيّان ، من ابناء عم رئيس عشيرة السّنجارة ، وهو الذي قادنا الى النجف وأوصلنا اليها في الخامس من نيسان سنة ١٩١٥ . .

بعثة الى دغيم بن براق

في ٦ نيسان سنة ١٩١٥ خيّمت في الركن الشمالي الشرقي من مدينة النجف المحصنة . وبعد الساعة العاشرة صباحاً بقليل زارني قائمقام النجف ، وجاءني خادمه كذلك بفرس معدّة للركوب . ورجاني القائمقام بان أقوم بمهمة المصالحة بينه وبين الزعيم دغيّم بن برّاق ، اذ كان رجاله [اذذاك] يطلقون النار على كل احـــد دركي يوجـــد خارج حدود المدينة ؛ ولمـــا كنت على

(٥٥) ان وصف هذا الجزء من الرحلة من دمشق الى الجوف قد ورد فـــي كتـــاب للمؤلف بادية الشـــام (وهو العـــدد ٢ من هذه السلسلة) نيويورك ١٩٢٧ ص ٣٧٧ ـ ٤٧٤ ، اما الجزء الخاص بالرحلة من الجوف الى النجف خلال شمالي نجد فسيأتي بيانه في الكتاب القادم للمؤلف بعنوان (شمالي نجد) وهو العدد ٥ من هذه السلسلة .

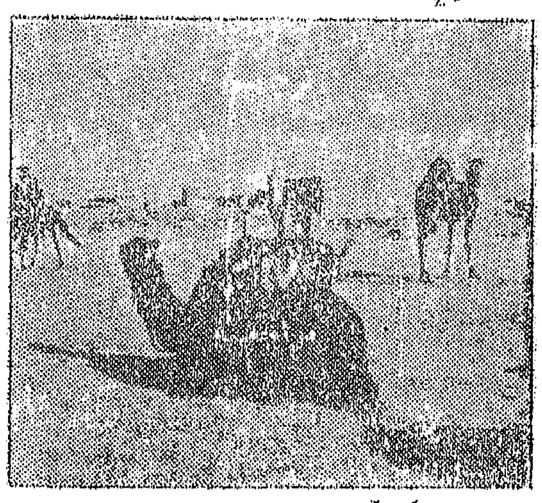
معرفة بعائلة دغيّم منذ سنة ١٩١٢ لذا وعدت القائمقام بالذهاب لمقابلته . وكان حرسي الوحيد نازل بن ثنيان ، رفيقي الأمين من اهل نجد ، ورجل من الدرك ، الحقوه بنا ليحول دون أسرنا من قبل جنود الاتراك الذين ربما كانوا يجوبون تلك البقاع . خرجنا في الساعة الحادية عشرة . . وظل الدركي معه طول الوقت بيني وبين نازل لانه كان يخشى دون شك من رصاصة تصيبه . وبحثت في اول الأمر عن دغيّم بقرب الفرات ، حيث كانت تخيّم أسرته في نهاية نيســان سنة ١٩١٢ ، لكنه لم يكن هنالك . وذهبنا بعدئذ الى [مستودعه] وطرقنا الباب طرقاً شديداً ، ونادينا باعلى أصواتنا ، ولكن مامن سامع أو مجيب . . لقد اختفى الرجال والنساء على السواء في اللحظة التي شعروا فيها بقدومنا من بعيد إذ ظنوا عند رؤيتهم رجل الدرك بين اثنين من البدو ، ان الحكومة انما ارسلتنا لإلحاق ضرر بهم .

واخيراً ترجلت ، وسرت وحيداً الى البساتين التي على الفرات ، وسألت عن دغيّم . . وهنا لم يهرب أحد مني ولما علمت منهم أن دغيّم قد أقام خيامه في الخرائب التي في الجنوب الغربي من الكوفة وجنوبيّ (ترام) الخيل عدت الى اصحابي وامتطيت جوادي ثانية ، ولم نلبث ان وجدنا خيمة دغيّـم . ولقد رحّب بنا صاحب الدار من بعيد ، وأدخلنا خيمته وأمر النسوة باحضـار العشاء لي ولنازل . اما الدركي فقد قيل له ان يعود الى النجف بالطريق السلطاني ولم يسمح له بالبقاء معنا الا بعد ان التمست ذلك من دغيّم ، قائلاً انه دليلنا وانا مسؤولون عنه ، فأومأ الشيخ اليه بان يجلس في ركن من الخيمة . ثم انه اطلق لسانه بسيل من الشكاوى على الحكومة .

قال : ان الحكومة تكاد تسلخ جلودنا ونحن احياء . . بل انها تدمّرنا فعلاً وباسم ضريبة الحرب ، تستولي على حبوبنا ، وماشيتنا ، وخيلنا ، وترغمنا على الالتحاق بالخدمة العسكرية . وعلى دفع مبالغ متزايدة وباستمرار دون ان ان تقدم لنا شيئاً في نظير ذلك . لقد زرعنا الاراضي الواقعة بين الكوفة والجعارة منذ عصور سحيقة . . وكانت ملكنا دائماً ، ملك اجدادنا ، وقد ورثناها

عنهم . واليوم تنوي الحكومة ان تأخذ هذه الممتلكات منا . وقبل عشر سنين قام فريق من اهل النجف ، وخاصة عبد الحسين ششترلي ، السيد مهدي ، وحسين الهجّراوي ، برشوة موظفي الحكومة للحصول على مستندات الملكية لأراضينا وتسجيلها باسمائهم . وقد كتموا عنا هذا الأمر لتسع سنوات كاملة . اما الآن وبعد ان ازداد عدد الدرك في النجف ، واصبحت المنطقة المجاورة طريقاً مطروقاً للعسكريين ، فان هؤلاء الرجال يطالبوننا بالاعتراف بانهم المالكون الحقيقيون ، واننا مستأجرون فحسب . وتؤيدهم الحكومة في هذا الأمر الى حد أنها ارسلت الدرك ضدّهم منذ حين . واني اسألك ياموسى : « هل هذا النوع من الحكومة يستحق القتال من اجله ؟ »

حاولت التخفيف عنه ووعدته بان اكون وسيطاً لدى السلطات سواء في النجف ام في بغداد لمعاملة رجال عشيرته بالعدل . ثم اتفقت معه بوضع نفسي تحت حمايته ، واتفقنا على ان يصاحبني هو أو اخوه الى القايم، وهي قرية صغيرة على مسيرة يوم واحد جنوبي النجف .



(شكل ٣٣ ــ مقبرة شمال النجف)

وبعد عودتي الى المدينة عرضت شكوى دغيّم على القائمقام . فقال بغير تحفظ : ان دغيم على حق فيما يقول ، غير ان اهل النجف لهم اصدقاء أقوياء

في كربلاء وبغداد على السواء ، وعلى كل حال فان الحكومة نفسها تحابى اهل المدينة دون الفلاحين ولا سيمـــا الآن في وقت الحـــرب حين نرى الانكليز يحاولون استمالة السكان في المدن ، وتبذل أقصى جهدها للاحتفاظ برضا الاهلين في البلدتين المقدستين : مشهد علي (النجف) وكربلاء لان الانكليز يحاولون وقت الحرب ، استمـالة سكان هاتين المدينتين . ونصحني آخر الأمر باستشارة متصرف كربلاء او والي بغداد بهذا الصدد ، اما هو نفسه فلا يستطيع عمل شيء .

وكان لا بدّ من استئـــذان القائمقام لترك أهـــمّ امتعتي في منزله ، لأني على اي حال ، لا استطيع ان اعهد بكل شيء الى دغيّم . فقد كانت المنطقة المجاورة النجف آنذاك تعجّ بالهـــاربين من الخدمة العسكرية ، وكان بامكان هؤلاء مهاجمة مخيم دغيّم الصغير ليلاً بسهولة ، ونهب امتعتي المودعة لديه . ووافق القائمقام على هذا بلا تردّد ، بل أنه استأجر فضلا عن ذلك رجلين ليحملا امتعتي الى منزله . وفي المساء حدّدنا خط العرض .

في ٧ نيسان سنة ١٩١٥ أتانا الشيخ وأخوه وخادمان للذهاب بنا عبر مقبرة النجف الى مخيّمه الذي نقله الى موضع اقرب الى الفرات . (شكل ٣٣) .

والمخيم كان كله مؤلفاً من خمس خيام فقط ، اما بقية رجال عشيرته فكانوا يسكنون في اكواخ اقاموها حول البساتين . والى الشرق من مخيمنا ، الذي كان يقع في الشمال الشرقي من الكنيلره والجنوب الشـــرقي من الكوفة ، شاهدنا نهراً قديماً كان يجلب المـــاء سابقاً من الفرات الى الخورنق . وعلى ضفته اليسرى توجد اكوام خرائب صغيرة (٥٦) .

---

(٥٦) اني اعتبر هذه الخرائب هي بلدة حروراء القديمة ، التي كانت تقـــع وفقا لرواية ياقوت (المعجم : مجلد ٢ ص ٢٤٦) وابي الفضائل (المراصد : مجلد ١ ص ٢٩٧) على بعد ميلين من الكوفة حيث كان مخيم الخوارج في زمن علي بن ابي طالب (ع) ، ومن هنا كان اسمهم الخوارج .
ويبين المسعودي (التنبيه : ص ٣٨١ ومابعدها) ان حروراء كانت تقع بين نهرين مقابل الخورنق .

وكان يزورنا كل يوم بعد غروب الشمس خمسة رجـــال مسلّحين عُهد اليهم بحراسة الخيام من الهـــاربين من الجندية . وكان دغيم ـــ لشـــدة بغضه للحكومة ـــ كثيراً ما يدعو عليها بالدمار . وكان شديد الكراهية للانكليز .

وفي المساء جاءنا احد تجار الحمير والخيل بخمسة حمير وحصان واحد لرحلتنا القادمة الى القايم ، واذا امكن ، الى (ابو غار) كذلك . ولم يمكن استخدام الجمال لهذه الرحلة لان طريقنا يقودنا عبر مزارع مرويّة وسواقي عميقة مملوءة ماءً وذات ضفاف زَلِقة ، يتعذّر على الجمال السير فيها . . وفضلاً عن ذلك فان الفلاحين لابدّ ان يحسبونا بدواً ، ويهاجمونا . لذلك عزمنا على الركوب بالطريقة التي يركب بها الفلاحون انفسهم . .

وفي الليل رقص الحراس رقصاتهم الحربية ، (دبكات) يضربون الارض باقدامهم ، ويصفقون ، ويغنّون ، ويقصّون الحكايات حتى مطلع الفجر ، وكان الغرض من هـــذه الجلبـــة والضوضاء تحذير قطاع الطرق وإبعادهم عنا ولكنها حرمتنا لذة النوم ايضاً . .

زيارة الى الخورنق وابو صخير

٨ نيسان سنة ١٩١٥ . . بدأنا رحلتنا على ظهور الحمير في الساعة ٨٫٠٥ صباحاً قاصدين الخورنق : سائرين أولاً في اتجاه غربي ـــ جنوبي غربي وفي الساعة ٨٫١٣ عبرنا نهراً قديماً نصف مملوء يمتد نحو الجنوب الشرقيّ .

في ٨٫٥٠ مررنا بخطّ مستمر من اكوام كبيرة تتكدس فيها مواد بناء قديمة ويقع عند الطرف الغربي من هذا الخط أعلى هذه الأكوام ويسمّى امّ فشيجة (ام طلقة) وجميعها تكوّن اطراف بلدة الحيرة القديمة . اما بلدة النجف القديمة ، التي نشأت منها المدينة الحاضرة فتقع بالقرب من الحيرة ، وتكوّن ضاحية على طريق دومة (٥٧)

---

(٥٧) (انظر ص ٩٨ ـــ ٩٩) كانت الحيرة تتكون من احياء مختلفـــة تسمى القصور تفصل بينها بساتين تغطي مساحة كبيرة . وكان مركز البلـــدة

في موقع خربة الكنيدرة ، وبصورة ادق الى جنوبها بعض الشيء ، وذلك لان هذا الموضع يقع على بعد خمسةكيلومترات من الكوفة والخورنق على السواء ، وعشرة كيلومترات من النجف ، وتنطبق هذه المسافات بالدقة على ماورد في المصادر العربية .

ويروي كلوكس (شذرات ص ٤٠٩) واسطيفان البيزنطي (ص ٢٧٦) أن كانت بلدة بارثية على الفرات .

ويقول الطبري (التاريخ : سلسلة ١ ص ٧٤٨ فمابعدها) أن الحيرة بنيت للتجار العرب . وفيها نزلت تنوخ ، كما نزلت في الانبار وفي جميع القرى القريبة الواقعة على ضفاف النهر ، حيث اقامت في اكواخ بنيت من اغصان الشجر وفي خيام من الشعر وليس في بيوت من الطين .

ويقول حمزة الاصفهاني (التاريخ : ص ١١٣) انه لم يمت في الحيرة احد من الملوك ، ماعدا قابوس بن المنذر . اما الباقون فانهم هلكوا جميعاً اما في غارة او صيد واما اثناء زيارتهم للمناطق المستقرة ، وذلك لصحة هواء هذه البلدة . ومن اقوالهم المأثورة ان نوم ليلة في الحيرة انجع من كل دواء ..

وجرى التوقيع على قرار المجمع الكنسي النسطوري لسنة ٤١٠م من قبل هوشع اسقف حيرتا مع آخرين . (شابو – سينودكن – ١٩٠٢ ص ٣٦) .

وفي سنة ٤٢٤م كان اسقف حيرتا رجلا يسمى شمعون ، وكانت حيرتا [اذذاك] تابعة الى بدو طيايه (المصدر نفسه ص ٤٣) .
وفي سنة ٤٨٦ كان شمعون آخر اساقفة حيرتا (المصدر نفسه ص ٥٣) .

وفي سنة ٤٩٧ كان رجل يسمى الياس هو اسقف حيرتا (المصدر نفسه ص ٦٢) .

وفي سنة ٥٨٥ كان اسم الاسقف : يوسف (نفس المصدر ص١٦٤) ، واسم خلفه : شمعون وعقب ٥٩٤ – ٥٩٥م بوقت قصير وصل الجاثليق ايشوعيابه هارباً الى قرية بيت قوش ومات هناك . وقد حملت هند ابنة النعمان جثمانه ، يصحبها القس وابناء العقيدة الى بلدة الحيرة حيث دفنوه

ويروي الطبري (سلسلة ١ ص ٢٠٥٦) نقلا عن سيف : ان خالد بن الوليد امضى سنة كاملة في الحيرة وقام بغارات كثيرة منها قبل رحيله الى الشام .

* * * * * * * * * * * * * * * *

في سنة ٧٩٠ ذكروا ان رجلا يقال لـه يوئيل كـان اسقف الحيرة ويضيف ابن الفقيه (البلدان : ص ١٨١) بلدة الحيرة البيضاء الى مدينة الكوفة ، ويقول انها كانت فيما مضى محل اقامة ملوكهم ، وذلك لحسن موقعها وصحة هوائها .

ابن رسته (الأعلاق ص ٣٠٩) يجعل المسافة من الكوفة الى الحـيرة ثلاثـة اميـال . ويقـول أن الحـيرة بنيـت على النجف ، والنجف ، كان ساحل بحر الملح وكان في قديم الدهر يبلغ الحيرة ... والخورنق بالقرب منها مما يلي المشرق وبينه وبين الحيرة ثلاثة أميال والسدير في برية تقرب منها .

يقول الاصطخري (المسالك ص ٨٢) الحيرة مدينة جاهلية طيبة التربة مفترشة البناء كبيرة الا انها خلت عن الاهل لمـا عمرت الكوفة وهواؤها وترابها اصبح من الكوفة بينها وبين الكوفة نحو فرسخ . وقريب مـن الكوفة قبر علي (ع) وقد اختلف في مكانه فقيل انه في زاوية على باب جامع الكوفة ومنهم من زعم انه من الكوفة على فرسخين وعليه قنطرة وآثار المثابر .

ويزيد ابن حوقل على ذلك (المسالك : ص ١٦٣) وقد شهر ابو الهيجاء عبدالله بن حمدان هذا المكان وجعل عليه حصارا منيعا . وابتنى عـلى القبر قبة عظيمة مرتفعة الاركان من كل جانب لها ابواب وسترها بفاخر الستور وفرشها بثمين الحصر السـامان . وقد دفـن في هـذا المـكان المذكور جلـة اولاده ، وسادات آل ابي طالب من خارج القبة وجعلت الناحية مما دون الحصار الكبير تربا لآل ابي طالب .

ويروى الشابشتي (الديارات : مخطوطة برلين ، ورقة ١٠٣ يمـين وما بعدهـا) ان ديارات الاساقف بالنجف ، بظاهر الكوفة ، وهو أول الحيرة . وهي قباب وقصور . وبحضرتها نهر يعرف بالغدير . عن يمينه قصر ابي الخصيب ، مولى ابي جعفر ، وعن شماله السدير ، وبـين ذلك الديارات . وقصر ابي الخصيب هذا احدى متنزهات الدنيا . وهـو مشرف على النجف وعلى ذلك الظهر . ويصعد من أسفله على درجة طولها خمسون مرقاة الى سطح حسن ومجلس ، فيشرف الناظر على النجف مرقاة الى سطح أفيح ومجلس عجيب . وابو الخصيب هذا مولى أبي جعفر المنصور وحاجبه . والسدير قصر عظيم من ابنية ملوك لخم في قديم الزمان .

ومن هذه الانبية : المسقطات . وهو قصر في ازاج مستطيلة مسقطة شرقي الحيرة على طريق الحاج . ثم القصر . ثم كوة البقال . ثم العدسيين ثم القصر الابيض . ثم قصر بني بقيلة ... ومن بعده دار عون ، وهي ما يلي النجف فهذه هي قصور الحيرة الباقية الان .

وقبة الشتيق من الابنية القديمة بالحيرة ، على طريق الحاج . وبازائها قباب يقال لها الشكورة ، جميعها للنصاري . فيخرجون يوم عيدهم من الشكورة الى القبة ، في احسن زي ، عليهم الصلبان ، بايديهم المجامر ، والشمامسة والقسان معهم يقدسون [على نغم واحد متفق في الالحان] ،

ويتبعهم خلق كثير من متطربي المسلمين واهل البطالة ، الى أن يبلغوا قبة الشتيق .

ودير ابن مزعوق بالحيرة ، في وسطها ، [قريب دير الحريق] وهو دير كثير الرهبان ، حسن العمارة ، احد المتنزهات المقصودة والاماكن الموصوفة .

ودير هند ، بنت هذا الدير هند بنت النعمان بن المندر بالحيرة ، وترهبت فيه وسكنته دهرا طويلا ، ثم عميت . وهذا الدير من أعظم ديارات الحيرة وأعمرها . وهو بين الخندق وحصراه بكر .

ونهر الغدير الذي ذكره الشابشتي لايزال قائما . ويتفرع من الفرات في بساتين الجمارة ، ويجري بحذاء لحف النجف الصخري نحو الشمال الغربي ، وينتهي في منخفض يمتليء من وادي الخر ، بعد سقوط امطار غزيرة ، ويحدد موقع قصر ابي الخصيب في الخرائب الواقعة شمال النهر على حافة الاجراف على نحو عشرة كيلومترات جنوبي شرق النجف ، والى الجنوب منه ، على الجانب الشمالي من النهر توجد خربة صغيرة في بستان ، وهي على الارجح بقية قصر السدير . وكان طريق الحاج القديم يصل من الكوفة الى الخورنق مباشرة، اي الى شرق الحيرة كما يلاحظ الشابشتي . وكان دير هند أو كما يقول ابن الاثير (الكامل : مجلد ١ ص ٣١٥ ، ٢٧٥) دير بني هند يقع شمالي الحيرة فقد ذكروا ان موقع ديار بني مرينة كان بين دير بني هند والكوفة .

في ١٩ نوفمبر ١٠١٣م انتخب يوحنا اسقف الحيرة ليكون جاثليقا ديلابورت (اكابر الكنيسة النسطورية ص ٣٨١ سنة ١٩٠٩)

ويروي ابو الفدا (التقويم : ص ٢٩٩) ان مدينة الحيرة بنيت قبل عهد النبي محمد (ص) على مسافة نحو فرسخ واحد من الكوفة ، في

ومن الممكن زراعة سهل الجرعاء . الذي كنا نجتازه الآن، وبلغنا نهايته الجنوبية في ٩،٠٥ ، اذا ما رُوِي رياً كافياً (٥٨) .

والى الاسفل من هذا السهل عند لحف سفح صخري يهبط الى السهل الفيضي من ناحية الجنوب يمتد نهـــر من الشرق الى الغرب . وسرنا على حافـــة الاجراف باتجاه جنوبي شرقي . وفي ٩،٣٢ ظهر على يميننا اخدود قصير عميق ، كما ظهر على صخور فوق ضفته اليسرى كدس آجر قديم . وينحدر هذا الاخدود من ربوة خرائب الكنيدرة . وفي الساعة العاشرة شاهدنا على يميننا عند اسفل الاجراف خربةً صغيرة نوعا ما تسمى خيط السلام . وفي ١٠،١٥ رأينا على اليمين وعلى حافة الاجراف مباشرةً خَربةً صغيرة ، كما رأينا في الساعة ١٠،٢٠ خربةً أخرى على الضفة اليمنى من الاخدود . وفي ١٠،٢٥ انحدرنا الى نهـــر عريض يبدأ من الجهة الشمالية الشرقية . وكانت تمتد على يميننا ، شرقيَّ النهر ، بقـــايا بعض المباني الى مسافة لا بعيدة تصل حتى خَرِبة الخورنق (٥٩) - حيث القينا الرحال في الساعة ١٠،٣٥ .

وسط انهار متعددة : وبحسب روايات اخرى كانت تبعد ثلاثة اميـــال . وكان يسكن المدينة سلالة النعمان بن المنذر ، ومن هؤلاء المنذر بن امرىء القيس الذي تنصر . . وقد بنى كنيستين كبيرتين في الحيرة ، وهـــذه المدينة تقع بالقرب من موضع يسمى النجف . وكان القدماء يعتقدون ان الخليج العربي في وقت ما وصل الى هذا المكان .

(٥٨) ويطلق ياقوت في معجمه (م ٢ ص ٦٢) اسم الجرعا على السهل الرملي بقرب الكوفة ، الذي يمتد — على ما ذكر ابو حذيفة في كتابه « فتـــوح الشام » — بين النجفة والحيرة وحيث خيم خالد اثناء قدومه الى العراق . وفي هذا السهل نفسه تنازع اهل الكوفة مع العـــامل الذي بعث بـــه الخليفة عثمان اليهم بخلاف رغبتهم (الطبري : المصدر نفسه سلسلة ١ ص ٢٩٣٤ ، ٣٤٠٩) .

لم يعتبر ياقـــوت ولا الطبري كلمـــة الجرعاء من اسماء الاعلام ، وانـــما جعلاها لفظا يدل على السهل الحجري الخالص من النبات . [والواقع] ان سهلا محرقا كهذا يمتد على الهضبة التي بين موقعي الحيرة والنجف .

(٥٩) حتى عام ٦٨٦ — ٦٨٨م كان المسيحيون لايزالون يعيشون عند الخورنق (الطبري : التاريخ : سلسلة ٢ ص ٧٦٠) . وفي سنة ٦٩٠ — ٦٩١م

قام الخليفة عبدالملك بزيارة للكوفة وأولم وليمة لاهلها عند الخورنق (المصدر السابق سلسلة ٢ ص ٨١٩ وما بعدها ، ابن خلدون ، العبر : م ٣ ص ٣٤ وما يليها) .

وروى البلاذري في فتوحه (ص ٢٨٧ وما يليها) واما الخورنق فكان قديما فارسيا بناه النعمان بن امرىء القيس ... فلما ظهرت المباركة (العباسية) احدث ابراهيم بن سلمة فيه الخورنق في خلافة ابي العباس ولم تكن قبل ذلك .

وكانت الاراضي المحيطة بالخورنق تزهو بجمالها خاصة في الربيع ، اذ تغطيها الازهار من جميع الانواع (الاغاني : ابو الفرج م ١٢ ص ١١٣) . ويذكر اليعقوبي (البلدان : ص ٣٠٩) ان الخورنق بالقرب من الحيرة مما يلي المشرق وبينه وبين الحيرة ثلاثة اميل والسدير في ابرية تقرب منها .

ويحكي المسعودي في التنبيه (ص ٣٨١ وما بعدها) ان ابا طاهر زعيم القرامطة نزل الموقع المعروف بالخورنق وحازاها في أوائل كانون الاول (ديسمبر) ٩٢٧م ، ونزل ابن ابي الساج في اليوم الثاني بالقرب منه في الموضع المعروف بين النهرين مما يلي القرية المعروفة بحروراء . ولم يلبث ان نشبت المعركة بينهما عند بلدة ، انتصر فيها القرامطة ، الذين ساروا بعد ذلك من طريق الكوفة الى الانبار .

ـ وبين النهرين ـ من غيرشك ـ هو السهل الفيضي الضيق بين نهر الخورنق القديم والفرات في الوقت الحاضر ، الذي يجري شرقي الكوفة وابي صخير . أما الحروراء القديم فيمكن ان تكون الخرائب الواقعة عند مخزن ابن براق [للبضائع] وعلى نحو خمسة كيلومترات جنوبي مدينة الكوفة الحديثة ، وعشرة كيلومترات شمالي الخورنق (انظر ماسبق ص ٣٢ هامش ٥٦) .

ويقول الاصطخري (المسالك ص ٨٢) وابن حوقل (المسالك ص ١٦٣) ان القادسية والحيرة والخورنق هي على طرف البادية مما يلي الغرب ويحبط بها مما يلي المشرق النخيل والانهار والزروع .

ويصف ياقوت الخورنق (المعجم : فستنفلد ، م ٢ ص ٤٩١ ومابعدها) بانه قصر بناه المعمار البيزنطي سنمار للنعمان امرىء القيس ، واستغرق بناؤه ستين عاما . وصعد النعمان ذات مرة الى سطح قصره ، ونظر الى البحيرة التي امامه ، ثم الى الصحراء الممتدة ماوراءها ، فراى انواع الحيوانات على حقيقتها : ما عاش منها في الماء وما عاش منها على اليابسة على السواء ، وكذلك اشجار النخيل . وفي احدى المرات كان جالسا في الخورنق يمتع نظره بما حوله فرأى الى جهة الغرب هضبة النجف

ومنبسطا فسيحا تغطيه الجنائن وبساتين النخيل : تجري خلالها الجداول، والى الشرق : نهر الفرات الذي احاط بقصره كالخندق ، فاخذته الدهشة لما رأى من جمال المنظر .

ويقول ياقوت (المصدر نفسه مجلد ٣ ص ٢١٨ ، وابو الفضائل : المراصد مجلد ٢ ص ٨٠) ان الخورنق يقع على الطريق الموصل من القادسية مارا على السيلحون الى الكوفة — وأحدد موقع السيلحون عند الحافة الشرقية من بستان دسم القرب من بساتين جعارة . وكان طريق الحاج قديما يحاذي سلسلة قليلة الأرتفاع تمتد من هذه النقطة ويؤدى من القادسية الى الجنوب الغربي متحاشيا المستنقعات . وبني عند بلدة السيلحون جسر من قوارب على جدول الحضوض .

ويبين ياقوت (المصدر نفسه مجلد ٢ ص ٣٧٥) ان الخورنق يقع على مسافة ميل واحد تقريباً شرقي الحيرة بينما يقوم السدير في وسط البادية التي بين الحيرة الشام . وهذه العبارة غير صحيحة ، لانها تربط بين قصر السدير وسهل السدير . وكان قصر السدير يقوم في السهل الفيضي جنوبي قصر ابي الخصيب ، اما سهل السدير فكان يمتد جنوبي بلدة كسكر على الطريق من الكوفة الى البصرة (المصدر السابق مجلد٣ ص ٦١) . ويطلق ابن الفقيه (البلدان ص ١٨٧) اسم السدير على جميع المنطقة التي بين نهر الخيرة ، والنجف ، وكسكر .

ويقول ياقوت (المصدر نفسه مجلد٢ ص ٦٤٢، ٦٩٢ ومجلد٤ ص١٠٧ — وابو الفضائل : المصدر نفسه مجلد٢ ص٤١٨) ان القصر التابع لابي الخصيب ، وهو احد رجال بلاط الخليفة المنصور ، قد بني في ضاحية الكوفة على طرف هضبة النجف ، غير بعيد من السدير ، بقرب ديارات الاساقفة. وهذه الديارات كانت تتكون من مشاهد ومجموعات قصور مسورة . ويجري جدول الغدير الى اسفل منها ويقع قصر ابي الخصيب على ضفته اليمنى والسدير على ضفته اليسرى. وقد بنت اسرة المناذرة دير مارة مريم بين قصر ابي الخطيب والخورنق والسدير ، ويحتمل ان تكون أما على حافة الهضبة أو في اسفلها — ومن الممكن ان تكون خرائب حيط السلام هي مابقي من مارة مريم .

وقد سافر ابن بطوطة (التحفة مجلد ٢ ص ١ ومابعدها) من مشهد علي الى البصرة من طريق الخورنق في حماية قبيلة خفاجة التي كانت تملك

يبلغ طول هذه الخرّبة (شكل ٣٤) من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ستين خطوة . وهي مستديرة الشكل من جهتها الجنوبية الغربية وقد اخذت جميع مواد البناء الصالحة فيها او انها تؤخذ الآن . وتنقل . . . . والمنظر الطبيعي جميل في هذه المنطقة . فإلى الغرب ، الى يمين مدينة النجف . تُشاهد مرتفعات صفراء تعلو في صحراء مقفرة ، والى الشمال والشرق مجموعات أكواخ صغيرة وكبيرة تظلّلها اشجار نخيل باسقة واشجار صفصاف وارفة .

واصبح بالامكان رؤية لمعان سطح الفرات هنا وهناك ، وتتراءى برهة اشرعة لتختفي في لحظةً اخرى بين الاشجار . والى الجنوب يمتد سهل خصب كأنه حديقة واسعة يَحدّها الفرات من الشرق ، اما من ناحية الشمال فتحدها أجراف النجف الصخرية الوردية اللون ، ومن الغرب والجنوب الغربي صخور بيضاء وكثبان رملية تعكس اشعة الشمس بصورة مؤذية للعين متى ركزت البصر عليها ولو لفترة قصيرة. وهواء الخورنق كان صحياً على الدوام لأن الرياح تهبّ طليقة من جميع الجهات دون مانع يعترضها .

غادرنا الخورنق في الساعة ١١٫٣٢ ومررنا فوق سطح (ذيب الشياحة) الى الجنوب الشرقي وفي الساعة الثانية عشرة شاهدنا اكواخاً ومسجد قرية

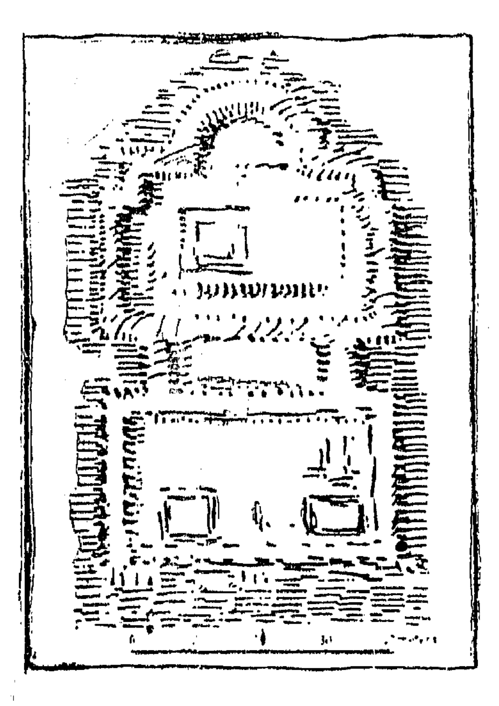
***

الاراضي المجاورة بأسرها. وشاهد ابن بطوطة في الخورنق بقايا مختلفة لبعض المشاهد في سهل فسيح بقرب نهر يخرج من الفرات . ومن هناك ذهب الى قايم الواثق .

ويذكر ابو الفدا (التقويم : ص ٢٩١ ومابعدها) ان بعضهم يقول ان الخورنق نهر في منطقة الكوفة ، ويقول آخرون انها قصر .

وينكر ابو الفضائل (المصدر السابق مجلد ١ ص ٣٧٣) ان يكون الخورنق نهر ، ويؤكد انه كان قصرا لايزال قائما في الاراضي المجاورة للحيرة . كما انه لايزال يمكن رؤية نهر يجري قريبا جدا من قصر الخورنق من الجنوب الغربي ، لعله كان في وقت سابق يسمى الخورنق ايضا .

ابو صخير ، وكلها مبنية بالطين . وفي هذه القرية مقرّ القائمقام . وتسمى البساتين هناك بالجَعّارة ، ويطلق هذا الاسم ايضاً على السدّ الذي يقع فيها الى الجنوب



(شكل ٣٤ - الخورنق)

الشرقي من قرية المُزَيْريق وكانت على يميننا في الساعة ١٢ر٠٩ بعد الزوال خَرِبة قديمة . وفي الساعة ١٢ر٣٢ توقفنا امام مقرّ الحكومة في القرية ، وهو مبنى ذو طابق واحد مشيد باللبن . وهناك في الجانب الغربي باب يؤدي الى داخل فناء محاط بعقود قائمة على اعمدة ، وفي الجانب الشمالي يوجد السجن . غادرنا ابو صخير في الساعة الواحدة بعد الزوال بطريق الحج القديم الذي يسير محاذياً ضفة الفرات اليمنى . واتجهنا الى مخيمنا الاصلي بقرب الكوفة . وفي ١ر٥٠ شاهدنا على اليمين قرية ابو جزرة الصغيرة . وفي ٣ر١٨ وصلنا الى خيامنا . وبدأنا فوراً اعداد رحلتنا الى القايم .

ولم نفكر في تلك اللحظة بزيارة ابو غار لنشوب الحرب آنذاك بين سكان بلدة السماوة والحكومة ، وبين عشيرتي الخزاعل وزياد كذلك . ولما كانت عشائر ابن برّاق . والشبل ، والغزالات . التي تعمل بزراعة الاراضي الواقعة شمالي السماوة ، تمت الى الخزاعل بصلة قربى . . فقد كان هناك اكثر من سبب يحملنا على الشك في إمكان الحصول على حماية من احد ؛ شماليّ السماوة ، ضدّ زياد والقبائل المتحالفة معهم .

وفيما يلي عشائر بني سلامة : وهم فرع من قبيلة الخزاعل ، او كما يسمونه احياناً : المعدان

المسعود ويخيّمون في الاراضي القريبة من كربلاء و (ورئيسهم : مسعود بن الهيتمي)

المغُارة — ويخيّمون في الاراضي الواقعة شرقي البرّية

الغزالات . . .

الشبل —

بني حسن —

فتلة —

والعشائر الاربع الأخيرة في هذا النهر يخيمون في الجنوب الشرقي من وادي الخرّ وقرية القايم . والى جنوب بني سلامة يخيم العجيب ، والزياد ، والبدور ورئيس مشايخ البدور هو شرشاب بن زويد .

ينحدر بنو زياد من الكراكبة ، الذين ينتسبون الى قحطان ورئيس مشايخهم هو عزارة بن جنديل [قنديل] وخيامهم تمتد حتى عين صيدا . وفي سنوات الوفرة والخير (الربيع) يرحلون بقطعانهم الى الصحراء حيث ترعى ماشيتهم في حماية قبائل الضفير . والفايز . وشمرّ ؛ أو عنيزة : ويأخذ الشيخ الذي يتولى حمايتهم نعجة مع وليدها من كل خيمة . وفي أيار يعودون بقطعانهم ، والزبد والصوف الى الفرات .

من مخيمنا قرب الكوفة الى القادسية

في ٩ نيسان سنة ١٩١٥ ، في الساعة ٠٥ ر٧ صباحاً بدأنا رحلتنا الى القايم ، وكان يصحبنا اخو دغيّم ومعين . وظلّ معيني ناصر مع الخيام لرعاية الجمال وحراسة جزء من امتعتنا . وفي ١٥ ر٧ عبرنا نهراً عريضاً قديماً . وفي ٤٠ر٧ كانت خَرِبة فُشَيْجَة على يميننا . وفي ٢٠ ر٨ سرنا على (درب القطعة) ، وفي ٣٥ ر٨ على درب ابو صخير ، وفي ٤٥ ر٨ بلغنا ضواحيَ النجف ، التي بقيت على يميننا . وفوق حيطانها وسطوحها تألقت القبة الذهبية لمشهد الامام علي وكانت تُرى من مناطق واسعة بعيدة .

وبالقرب من طريق البحرة (بحر النجف) هبطنا في الساعة التاسعة من أجراف النجف الى نهر يأخذ الماء من الفرات باتجاه شمالي غربي الى المدينة مباشرة . وفي ١٢ ر٩ توقفنا لسقاية الحيوانات وملء اثنين من قربنا الصغيرة .

وسرنا في الساعة العاشرة الى جهة الجنوب الغربي خلال حقول بحرة الزراعية الخصبة . وكانت هذه في اوائل العقد الأخير من القرن التاسع عشر بحيرة تغمرها المياه كلما فاض الفرات وعند زيارتنا هذه كان بناء سد السدّة قد تمّ أخيراً فجفت الميـاه وتحولت البحيرة الى اراضٍ خصبة ، قلمّا يغمرها ماء السيح المتدفق من وادي الخر . واذا حدث ذلك فلا يدوم اكثر من بضعة أيام . وتقع أوطأ نقطة فيه الى الجنوب الغربي من النجف . الى الغرب من آخر بستان للنخيل . ولقد حوّل السهل برمته الى حقول وبساتين للنخيل . وكانت تُشاهد هنا وهناك (قصور) مستطيلة او افنية و اماكن سكن الفلاحين وتحيط بكلّ قصر من الخارج جدران من اللِّبن قريبة الشبه بأسوار الحصون ، وفيها (باب) واحد يؤدي الى فناء الدار . حيث بُنيت الاكواخ والاسطبلات بسطوحها المستوية بمحاذاة الجدران . وكلما اقتربت جماعة صغيرة من الجند الى مثل هـذه المزرعة يُحكم النـاس الذين في الداخل اغلاق البـاب ؛ ويصعدون الى السطوح . ويرصدون من الفتحات [الكوّات] حركات الضيوف غير المرغوب فيهم .

ويمرّ طريق البحرة على سواقي ري كثيرة وكانت في هذا الفصل ، الذي نضجت فيه الحبوب ، مملوءة بالماء . ولم تكن هناك جسور ، ولم تستطعْ حميرنا الوثوب الى جانبيها الآخر اذ كانت جميعها محمّلة بأمتعة مختلفة ؛ لهذا تحولنا قليلاً الى الجنوب عند (قصرالدعم) للخروج من هذه الحقول . وبعد استراحة في قرية الجلابات من ٥٥ ر١٠ الى ٣٠ ر١١ اتجهنا الى الجنوب تقريباً . وفي الساعة الثانية عشرة مررنا خلال بضعة خرائب مغطاة بطبقة سميكة من الرمل .

في الساعة ٥٥ ر١٢ بعد الظهر شاهدنا الى الجنوب الغربي : القصايم ؛ مفردها القصيمة وهي رمال سفتها الرياح . وتكون هذه خطّ كثبان عالية منبسطة السطح يمتدّ من جنوب — الجنوب الشرقي الى شمال — الشمال الغربي . وفيما وراء ذلك غرباً قام قصر الطريفاوي . وقصر حسّوْ عبيّد ، والى شمالهما قصر المزيراوي . وفي شرقي الأخير قصر الشقيج وقصر المظّلوم . وفي الساعة ٤٥ ر١٢ عبرنا نهر المدلن الذي يأخذ ماءه من هور المشخاب . وتستعمل كلمة (الهور) في منطقة الفرات للدلالة على البقاع المنخفضة التي يملؤها النهر بالماء من حين الى حين وفي الساعة الواحدة وطئت اقدامنا نطاق الكثبان المعروف بقصيمة أمّ غزلان . ويتفرع هذا النطاق من كثبان الرمل الواقعة الى الشرق المسماة قصيمة ام نَصبة . [ناصبة] وفي ٠٥ ر١ بعد ان غادرنا الأراضي الغرينية الغنية وتابعنا السير على أرض صخرية ينتهي فيها شعيب الاميلح ؛ دخلنا طريق الحج الجديد الذي يؤدي من الكوفة الى مكة ماراً بالقادسية . وبعد الساعة ٤٢٨ر١ اخترقنا ارضاً غرينية مستنقعة تتغلغل بين تلال صغيرة تقع في الجهة الغربية . وفي ٤٠ر٢ وصلنا الى (غدير المقصورة) الواقع في فرع مجرى شعيب الحسيب . وكانت الحقول المحيطة به كلها مزروعة . وشاهدنا الى الجنوب الشرقيّ (١٥) نخلةً باسقة ؛ وبالقرب منها بقايا جدران . والى الشمال الشرقي من النخيل قامت بعض اكوام آجر قديم . وهي بقايا أبنية

وبقايا بعض الحيطان . وهـذا كل ما كان يمكن رؤيته من محطة الحجاج في القادسية . وقد وصلنا اليها في الساعة ٣٨ ر٣ بعد الزوال(٦٠) .

---

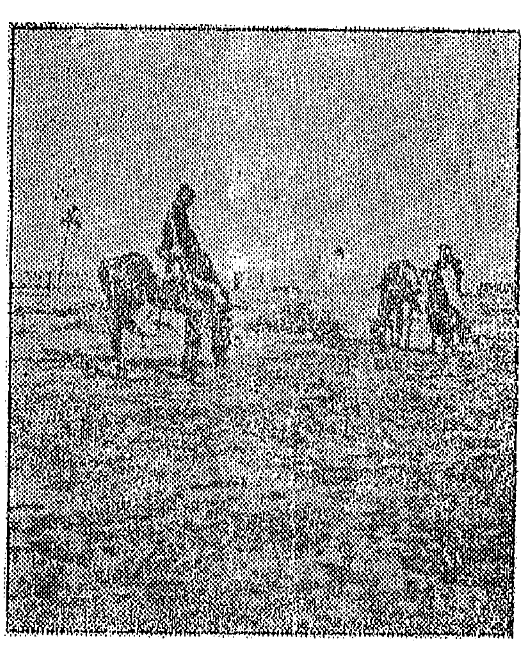
(٦٠) ويؤكد الشاعر المتلمس (الديوان ـ فولرز ص ٢٠٠ وما بعدها) ان ملوك الحيرة كانوا يملكون : السدير ، والبارق ، والمبيض ، والخورنق وقصر السنداد ، والغمر بالقرب من آبار الاحساء ، والثعلبية جميعها . ويذكر ويذكر الهمداني (الصفة ـ ملر ـ ص ٢٣٠) القادسية بدلا من الثعلبية . والقادسية هي القراءة الصحيحة . فقد كانت الثعلبية محطة بسيطة فيها آبار وليس بها بساتين ، ولهذا من العسير ان نفهم لماذا اضاف الشاعر قوله : أن « جميعها » كانت ملكا للملك ، او أن الملك كانت له املاك خاصة به في منطقة نائية على حدود الاراضي التى تملكها قبائل لم تخضع خضوعا تاما لنفوذه قط .

ولما كانت القادسية ، من جهة اخرى ، محاطة ببساتين واسعة الارجاء ، فمن الواضح ان الشاعر عند اشارته الى هذه البلدة احتاج الى ان يبين ان ملك الحيرة كان مالك البلدة « جميعها » والبساتين التى حواليها . .

وفي سنة ٧٦٢ ـ ٧٦٣م احتل ابن معقل القادسية ليمنع اهل الكوفة من مناصرة الثوار في البصرة . (اعتاد اهل الكوفة الذهاب الى البصرة من طريق القادسية ، والعذيب ، ووادي السباع ، ثم يخترقون صحراء البصرة) ولم يلبث ابن معقل حتى اتاه الخبر من اهل موضع يسمى الشراف ، على بعد ميلين شمالي محطة الواقصة ، بأن اثنى عشر رجلا من الكوفة كانوا يخيمون في وادي السباع . فتبعهم ابن معقل ، ولحق بهم عند خفان على اربعة فراسخ من القادسية ، وقتلهم هناك . (الطبري : التاريخ سلسلة ٣ ص ٢٩٥) .

ويذكر ابن حوقل (المسالك ص ١٦٣) ان القادسية مدينة علـى شفير البادية صغيرة ذات نخيل ومياه ، ويزرع بها الرطاب الكثيرة ويتخـذ منه القت علفا لجمال الحاج وغيرها .

ويذكر المقدسي ايضاً ، (احسن التقاسيم (دي‌خويه) ص ١١٧ ، أن القادسية مدينة على سيف البادية تعمر ايام الحج ويحمل اليها كل خير لها بابان وحصن طين . وقد شق لهم نهر من الفرات الى حوض على باب بغداد ، وثم عيون عذيبية وماء اخر يجرونه عند باب البادية ايام الحـج وهي سوق واحد الجامع فيه .



(شكل ٣٥ ـ القادسية من الشمال)

القادسية الى الرحبة

الى الجنوب الغربيّ ظهرت قلعة الرحبة المعروفة بقصر السيد . وقد وصلنا اليها في الساعة الرابعة بعد مرورنا بحقول زراعية خصبة ؛ ونصبنا الخيام في الجانب الشمالي منها .

وقلعة الرحبة (٦٠أ) لا يسكنها غير الفلاحين وتوجد خارجَ الباب الشمالي بعض الاكواخ ومزرعة صغيرة .

---

(٦٠) ويذكر الشابشتي فيّ الديارات (مخطوطة برلين) ورقة ١٠٢ الجهة اليسري ، أن دير سرجيس كان بطير ناباذ بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق وبينها وبين القادسية ميل . وكانت ارضه محفوفة بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر . وكانت احد البقاع المقصودة والنزه الموصوقة .
وقد خرجت الان وبطلت وعفت آثارها وتهدمت آبارها ، ولم يبق من جميع رسومها الاقباب خراب وحجر على قارعة الطريق تسميه الناس معصرة ابي نؤاس . =

واسرع الينا صاحب المزرعة ورجانا النزول عنده ، اذ كان في هذه المنطقة كثير ممن هربوا من الخدمة العسكرية يجوبون كلّ مكان ، ومن الممكن ان يهاجمونا وينهبونا . ولهذا فان اصحابنا قاموا بنقل امتعتنا الى مزرعة الرحبة ، بينما ذهبنا - انا وخلف - الى مشهد ابن حسن على مرتفع قريب ، حيث استطعنا من هناك ان نرسم خريطة للمنطقة المجاورة . والى شمال - الشمالي الغربي ، على نحو ثلاثة كيلو مترات من المشهد ، يقع قصر النّجاريّة في خليج صغير من السهل الفيضي . والى الغرب منه يتدفق ينبوع غزير يحمل نفس الاسم . وثمة ينبوع اكثر غزارة منه يسمى عين السيد يقع على نحو اربعة

=

وقد خربت الان وبطلت وعفت آثارها وتهدمت آباها ، ولم يبق ممن جميع

ويقول ابن جبير في رحلتـه (دي‌خويه ص ٢١٠) ان القادسـية مستوطنة كبيرة فيها بساتين النخيل ، ومناهل الماء التى تمتلىء من الفرات .

ويذكر المدائنى ان القادسـية كانت تسمى القديس بادىء الامر ، ويشتق ابن هشام اسمها من مزرعة قديس بالقرب من العذيب . والمسافة من القادسية الى الكوفة خمسة عشر فرسخا ، والى العذيب اربعة اميال (ياقوت : المعجم ، مجلـد ٤ ، ص ٧ و ٩ ، ابو الفضائـل : المراصد [يوينبول] مجلد ٢ ص ٣٧٦ .

ان ياقوت وابا الفضائل كليهما يذكران المسافة بين القادسية والكوفة خطأ بالفراسخ بدلا من الاميال . ويمكن ان يكون المقصود بـ (قديس) هى الرحبة الحالية .

ويشير ابو الفدا (التقويم ص ٢٩٩) الى القادسية بقوله انها بلـدة صغيرة فيها بساتين النخيل ومياه وافرة ، وموقعها يماثل موقع الحيرة ، والخورنق : بين الصحراء والمنطقة الزراعية .

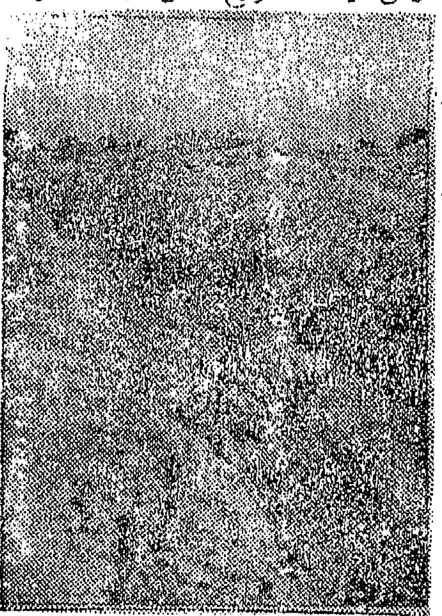
ويذكر المقريزي (المواعظ (مخطوطة فينا) : ورقة ٣٨ اليسرى وما بعدها ان مدينة القادسية واقعة في طرف الصحراء غربي منطقة بغداد ، وان ماءها ليس بالغ الجودة ، ويزرع فيها علف كثير .

ويصف حاجى خليفـة (جهـان نـامه : القسطنطنيه ، ١١٥٤هـ ، ص ٤٦٥) بلدة القادسية الصغيرة بانها اشتهرت ببساتين نخيلها ووفرة مياهها . وتقع على حدود الجهات الزراعية الغربية من العراق .

كيلو مترات الى الجنوب الغربي من الرّحبة ، ويجري منه نهـــر كبير في ساقية عميقة الى الرحبة يروي مزارعها (شكل ٣٦) . (٦١)

الرحبة الى القـــايم

ان الحوض الذي تقع الرحبة عند طرفه الجنوبي يمكن زراعته ، من ناحية الغرب ، مسافة ثلاثة كيلو مترات على الأقل ، وما يزرع منه الآن يقع حوالي التّجارية . ولم أدخل القلعة . وفي المساء حددنا خط العرض ، ولم نستطيع النوم بعد ذلك لأن حراسنا امضوا الليلة كلها في الرقص ، والغناء ، واطلاق النار .
وسرنا يوم ١٠ نيسان ستة ١٩١٥ . وفي الساعة ٥ر٣٥ صباحاً الى الجنوب الشرقي مخترقين منبسطاً خصباً من الأرض ، يكتنف الزرع بعض جهاته . وتركنا طريق الحج عند الرحبة



(شكل ٣٦ نهر السيّد من الشرق)

(٦١) ويروي الطبري (التاريخ : ص ٩٦٧) ان شبيبا قدم الرحبة مع جيشه سنة ٦٩٦ ٦٩٧ للميلاد .

وفي ٥٠ ر٥ عبرنا شعيب الوديجان الذي تقع مزرعة (قصر عقّار) على ضفته اليمنى . وفي ١٠ ر٦ كنا في شعيب الوُعَيْر شرقيّ الماء الذي يحمل نفس الاسم . وفي ٢٥ ر٦ ظهرت مزرعة أبو رويّس للعيان الى الجنوب الشرقي وسط لمعان سطح بحيرة كبيرة تسمّى بحرة ام السباع . وهذه بحيرة فصلية اذ كلما انخفض منسوب الفرات تبخر ماؤها وجفت سوى برك ومستنقعات صغيـرة تظهر هنا وهناك فقط . وأمكن رؤية بيوت الفلاحين التي تنتشر على البحيرة كلها — ويقوم هـؤلاء بزراعة أرضهـا المستنقعة بنبـات يسمى [الشلب *] بذور (التّمن) وهو شبيه بالرز . وفي ٣٨ ر ٦ كانت مزرعة قصر سعد على يسارنا . وفي ٤٨ ر ٦ صعدنا من المستنقعات الى منطقة مرتفعة صخرية تحدّ الارض المنخفضة من الغرب والجنوب . وفي الساعة السابعة مررنا ، قرب قصر ابو لبن ، بقاع شيب ابو طلح الجاف الذي يأتي من جهـة خزّان الست زبيدة على طريق الحاجّ

....

وفي النصف الثاني من القرن الثامن اقام ولي العهد عيسى بن موسى في ضياعه بالرحبة ، ولم يزر الكوفة الا خلال عطل رمضان وذى الحجة (الطبرى : قسم ٣ ص ٤٦٧) .

ويروى ابن جبير (الرحلة : ص ٢١٢) الذى كان هناك في اوائـل مايو سنة ١١٨٤ ، ان الرحبة تقع بقرب العذيب ، وانه توجد عدة منازل ماهولة هناك ، وأن سكانها يستقون الماء من عين دافقة بأعلى البلدة . ويذكر ياقوت (المعجم مجلد ٢ ص ٧٦٢) ان بلدة الرحبة تقع شرقي طريق الحاج مقابل القادسية على مسيرة يوم واحد من الكوفة . وكان قد حل بها الخراب في ايامه ، نتيجة لما قاسته من غزوات البدو ، ولا توجـد بلدة اخرى وراءها . ويحكى ياقوت عن السكوني قوله : ان من اراد الذهـاب الى المنطقـة الزراعيـة (الغرب) عليـه الشخوص مـن محطة (المغيثة) الى العيون الواقعـة علـى اطـراف الحجاز : واول هذه العيون عين الرحبة التى تبعد ثلاثة اميال عن القادسية — ومن ثم الى الخفية . ويضيف ابو الفضائل (المراصد : مجلد ١ ص ٤٦٤) قوله ان بلدة الرحبة كانت خرائب في عهده .

(*) هو رز الشتال ، ويبدو ان المؤلف لم يدرك تماما ما كانوا يزرعون. المراجع

وكان المسافرون الذين لقيناهم يحملون السلاح ، كما كان يحمله الفلاحون العاملون في الحقول . ويكوّن هؤلاء على الدوام جماعات ؛ ليكونوا أقدر على حماية انفسهم من شرور الهاربين من الجندية .

وفي ٨٠٨ر٨ عبرنا شعيب ام دودة . حيث تنمو بعض أشجار النخيل . ورأس هـــذا الشعيب قريب من مخفر أم قرون على طريق الحج ؛ أما قسمه الأعلى ، حيث تقع [بركة] حمد ، فانه يحمل اسم ام السباع (٦٢) . واسترحنا من ١٤ر٨ الى ٤٦ر٨ .

....

(٦٢) (انظر ص ٤٢) . عين السيد هى العذيب قديما .
وكان من عادة تغلب ان تنصب خيامها بالتناوب عند العذيب وقصر مقاتـــل (القطامي : الديوان ــ طبعة بارث ــ صـــص ٥١ ، ٨٩ ــ قصر مقاتل هو شثاثة الحالية .
في سنة ٦٣٥ للميلاد خيم المسلمون بقيادة سعد بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس ، ومن هنا شنوا الغـارات ســواء في الصحراء أو في المنطقة الزراعية . وقد بنيت مدينة القادسية بين الخندق العتيق . وامتدت الى يسارها ارض سبخة خضراء بين طريقين حتى كادت تصـل الحـيرة بامتدادها . يخترق احدهما مرتفعا تسفعه الشمس، ويسير الاخر بمحاذاة شاطىء الخضوض حتى يصعد الاجراف الواقعة بين الخورنق والحيرة . والى يمين القادسية سهل فيضي حسن الري يمتد حتى الولجة . وخيمت طلائع المسلمين فيما بعد عند القادسية ، بين العتيق والخندق ، مقابل جسر حجري ، وعلى بعد ميل واحد تقريبا كانت تقع بلـدة قديس حينذاك . وترك سعد جميع نسائه تحت حماية فرسانه عند العذيب ، وسار ببقيـة جنده [للاغارة] على القادسية . (الطبري : قسم ١ ، ص ٢٢٢٨) .
وبعد الانتصار في معركة القادسية أمر سعد بنقل قتلى المسلمين الى العذيب حيث دفنوا على سنوح وادي المشرق بين العذيب وعين الشمس (الطبري : قسم ١ ص ٢٣٠٤) .
وعذيب الهجانات هو عين السيد الحالية ، وعذيب القوادس عـين النجارية . وربما كان الخندق سدا فارسيا يمكن رؤية بقاياه غربي بساتين القادسية . ولعل العتيق هو ذلك النهر القديم نصـف المطمـور الـذي يتصل بالسد [المذكور] عند طرف البساتين . ويسير الطريق الغربي محاذيـا للمرتفعات التي تسفعها الشمس ، اما الطريق الشرقي فـكان يتابع المرتفع الضيق الطويل الذي يمتد من القادسية نحو الشمال الشرقي .

* * * * * * * * * * * * * * * * *

وما زال في الامكان رؤية بقايا نهر الخضوض عند اللحف الشمالي الشرقي من هذا المرتفع . ويستدير هذا النهر القديم بالقرب من الشبينة قليلا نحو الغرب في اتجاه بساتين القادسية . ويجب البحث عن الولجة عند عين [ضاحك] الحالية ، لان السهل الفيضي تغمره المياه في موسم الفيضان حتى هذا الموضع . ولاتزال بقايا النهر القديم والسد ترى على مسافة كيلومترين الى الشمال الشرقي من الرحبة : ولهذا فاني اعتقد ان الرحبة بمعناها الدقيق هي القديس القديمة . ويجب ان نبحث عن قبور شهداء المسلمين على مرتفعات ابن حسن . واخيرا فان وادي المشرق هو الاراضي المنخفضة التي بين عين السيد وعين النجارية .

في سنة ٦٨٠ ـ ٦٨١ مر احد الفرسان المحاربين من قبيلة طي في طريق بني ثعل للانضمام الى الحسين بن علي ولما اصبح على مقربة من عذيب الهجانات ، بلغه الخبر بان الحسين لم يستطع الوصول الى الكوفة ، فقفل راجعا (الطبري قسم ٢ ص ٣٠٥) .

ويذكر ابن رسته (الاعلاق : ص ١٧٥) العذيب موضع مسلحة كانت للفرس على طريق البادية .

ويروي قدامة (الخراج ص ١٨٥) ان العذيب كانت حصنا بين العرب والفرس على حدود البادية . وكان على طول الطريق كله من القادسية الى العذيب صف من الاسوار المحيطة ببساتين النخيل .

واورد البكري (المعجم ص ٤٢٣) أبياتا للشاعر القطامي يذكر فيها الاماكن التي كانوا ينزلون بها في الصيف بين العذيب وراسب .

وكتب بن جبير في رحلته (ص ٢١٢) ان العذيب واد تكثر فيه المراعي والعيون ، وكان ثمة بناء بالقرب منها .

ويذكر ياقوت (المعجم مجلد ٣ ص ٦٢٦) ان وادي العذيب ملك لبني تميم ، وهو محطة للمسافرين على طريق الحج من الكوفة الى حدود الاراضي الزراعية . ويقول نقلا عن السكوني ، ان المسافة من القادسية الى العذيب ستة أميال .

ويضيف ابو الفضائل الى ذلك (المرأصد مجلد ٢ ص ٢٤٣) ان العذيب فيه منهل للمياه على مسافة اربعة اميال عن يمين القادسية على الطريق الموصل من محطة الحجاج المسماة منارة القرون ، وانه ملك لبني تميم . وكانت في الازمنة القديمة مزرعة في العذيب تسمى القديس ، ومنها اشتقت بلدة القادسية التي تقع على بعد أربعة اميال من الوادي الذي

وكان دليلنا فلاحا من ام بزّونه ، استأجرناه في الرُّحبة وكان يشكو شكوة مريرة من الحكومة . فقال: ان الضرائب لا نهاية لها . فما ان يدفع الفلاح — وهو أمّي غالباً — ضريبته المقررة حتى يأتي اليـه الجابي ثانية مصحوبا بالدرك او الجنود ويطالبه بدفع مبالغ أخرى ، ومن لم يكن قادراً على الدفع او أبى ذلك ضربوه حتى يبادر أقرباؤه بدفع آخر فلس عليه . وان لم يجد الجابي الرجل المطلوب في بيته ، ضُرِبَتْ زوجته او ابنته . ولهـذا السبب هرب الفلاحون من قراهم الى الصحراء ، حيث انضمّوا الى القبائل التي تعتنى بتربية الماعز والاغنام ، ومن هناك كانوا يقومون بغاراتهم على الاماكن التي ظلت مواليه للحكومة للحصول على الـذرة والملابس وكانوا يشترون الاسلحة من الهاربين من الجندية ومن الدرك ويزعم هؤلاء بعـد ذلك انهم هوجموا وسلبوا . وكان الزنج التابعون لابن رشيد يرغبون في بيع اسلحتهم واسلحة غيرهم ايضاً . . وبهذه المناسبة اخبرنا نازل بأن راشداً هذا والعبيد الآخرين الذين قدموا النجف معنا ، باعوا في خمسة ايام (٣٨) بندقية موزر كانت الحكومة التركية قد بعثت بها الى ابن رشيد .

في الساعة ٤٠ ر٩ كانت قرية ام العصافير على يسارنا وكانت القرى في هذه المنطقة محاطة بالماء تماماً ، لهذا كانت القوارب هي وسيلة النقل الوحيدة وان اشرعتها كانت تُشاهد على جميع انحاء المنطقة الواقعة الى الشرق والى الجنوب الشرقي . وفي الساعة العاشرة عبرنا شعب العاصي الذي تقع اعاليه في

....

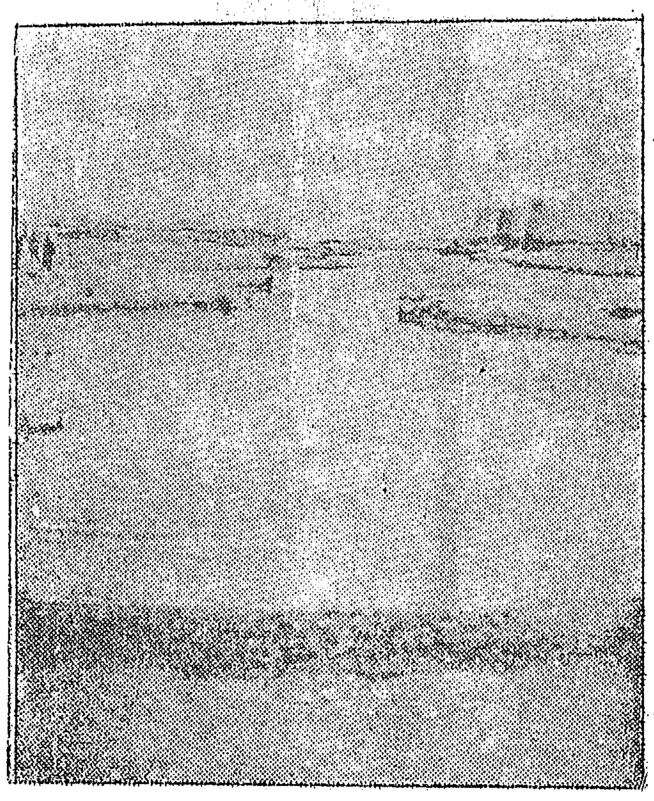
=

اشتقت اسمها منه (ياقوت ، المجلد ٤ ص ٧ و ٩) .

ويبين ياقوت أن وادي البحث ، بالقرب من محطة العذيب ، يقطعه طريق الحج من الكوفة الى البصرة ، وان الحازمي ينفي ذلك (ياقوت ، المصدر السابق ، مجلد ١ ص ٤٩٨) .

ويقول ان بطوطة في وصف العذيب (التحفة دفرميري وسانكوينتي ، مجلد ١ ص ٤١٣) وكان قد زارها في نهاية سنة ١٣٢٨) انه واد خصب ، بناء ومرعى جيد الى جواره .

المغيثه . ورأينا موكب جنائز ايضاً مكوناً من ستّ جثث محمولة في صناديق [توابيت] مكشوفة . وكانت لحية الخطيب (اي امام الصلاة) المرافق للجنائز مخضبوبة بالحناء ولكن شاربه الاشيب ترك على حاله ، وفي ٢٥ ر١٠ أتينا خرائب الثرثور . حيث بقينا حتى ٣٧ ر ١٠ . . وكانت القرية القديمة تقع على مخروط منعزل عند الطرف الغربي من سهل كان خصباً يوما ما واصبح الآن أرضاً مغمورة بالماء . وكانت اسس الأبنية مبنيّة بالحجر ؛ ولكن الجدران قد بنيت باجرّ كبير الحجم [على مثال ما نراه في المباني الباقية من العصر البابلي .

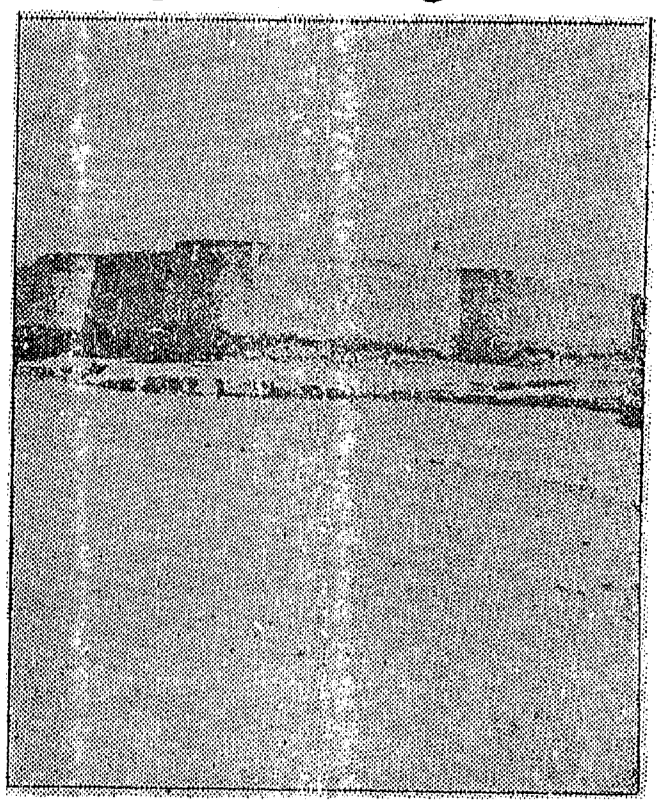


(شكل ٣٧ — القايم من الشرق)

ويواصل الفلاحون تنقيبهم في الثرثور بائعين الحجارة والآجر على السواء في الشنّافية .

المغيثه . ورأينا موكب جنائز ايضاً مكوناً من ستّ جثث محمولة في صناديق [توابيت] مكشوفة . وكانت لحية الخطيب (اي امام الصلاة) المرافق للجنائز مخضبوبة بالحناء ولكن شاربه الاشيب ترك على حاله ، وفي ٢٥ ر١٠ أتينا

وفي ٤٥ ر١٠ صعدنا إلى السهل الصخري المرتفع ومن هناك رأينا امامنا قلعة القايم (٦٣) والى شرق ــ الشمال الشرقي منها رأينا نخيل وأكواخ بلدة الشنّافية الصغيرة . وفي ٠٦ ر١١ ترجّلنا في قرية القايم ، وهي قرية صغيرة لاتكاد أكواخها البائسة تبلغ خمسة وعشرين تتجمع شماليّ القلعة . وتقوم



(شكل ٣٨ ــ قلعة القايم)

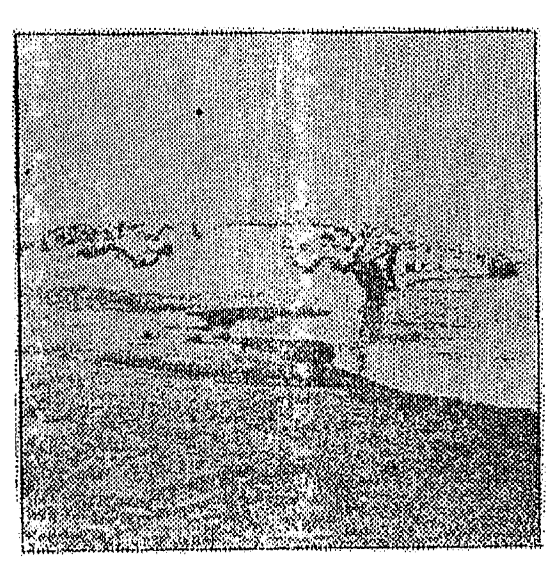
(٦٣) يذكر ياقوت (المعجم مجلد ٣ ص ٢٩) ان السباع اسم موضع ، وان وادي السباع يقع فيما يلي بركة ام جعفر على طريق الحاج على مسافة ثلاثة اميال من الزبيدية . ويقال انه كانت هناك قلعة ، وغدير من مياه المطر ، وبئر يزيد عمقها على اربعين قامة ، وفيها ماء عذب .
ويضيف ابو الفضائل (المراصد (يونيبول) مجلد ٢ ص ٧) الى ذلك خطأ ان السباع يقع على طريق المؤدي من البصرة الى المدينة . وبركة ام جعفر مطابقة للحوض المعروف بـ (برجة الست زبيدة) .

القلعة على الضفّة اليمنى من نهر كبير ينبع من عين في الصخور تقع في الناحية الغربية ، على بعد مائتي متر تقريباً (اشكال ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩) . والقلعة غير مسكونه ، وجدرانها متصدّعة وفي بعض المواضع منهارة . وبينها وبين العين بركة رائعة مملوءة بالسمك . والى الشمال الشرقي من القلعة يرتفع تلّ صغير ، فيه بقايا جدران قديمة ، يسمي [الكوكب] ؛ والى الشرق توجد خرائب دوراك ، وفي غربها ركام مرقد عبد الله بن الحسن .

عودة الى الحيرة

ان قرية الشنافية الكبيرة محاطة ببساتين النخيل وفي غربها رأينا الضوء يسطع على سطح هور الصليب والى الجنوب هور ربيش حيث ينتهي شعيب المهاري . ويقع صدر الأخير الى الجنوب بالقرب من غدير ابو مريس شرقيّ السميعة . وفي الجنوب الشرقي من هور ربيّش توجد قرىً عين [ضاحك] ، الخفس الواقعة في حقول تحمل نفس الاسم ، الدهيمية ، الغذاري ، عين البحيرة وجو عموده . وفي مستنقعات الغذاري ينتهي شعيب ام العواجل وشعب الشنان الآتيان من بئر الفرج ، وفي الشمال الغربي من هذه المستنقعات ينتهي شعيبا العوينة والتماد . كل هذه الشّعْبان تقطع سهل ام خيلان المتموج الذي يندمج بالتدريج في سهول الفرات الغربية . واذا اتجهنا نحو الجنوب الشرقي أبتداءً من النجف ، وعلى طول حافة سهل صخريّ مرتفع تؤلف ام خيلان جزءاً منه ، أصبح من الممكن رؤية كثبان رمل واطئة تعرف باسم القصايم .

ولم يستطع مرافقي ابن براق مواصلة السير معنا ، اذ كانت عشيرته في حرب مع عشيرة زياد الذين كانوا يخيمون آنذاك جنوبيّ القايم وكان المشهدي ، التاجر الذي اكترينا منه الحمير ، يخشى ان يسلبه رجال زياد . لذلك رجاني أن أتوجه الى مكان آخر للحصول على الحيوانات التي احتاج اليها اذا ما قررت متابعة السفر الى الجنوب الشرقي . وكانت هذه قاصمة الظهر . ولما رايت اني لا استطيع العمل بصورة فعّالة في بلاد تنشب فيها



(شكل ٣٩ — القايم — النبع)

الحرب ليس على الحكومة القائمة فحسب بل الاسوأ من ذلك : حرب اهلية بين القبائل ، لذلك انعطفت ثانيـــة في الساعة ٥٤ ر٣ في اتجاه شمالي غربي . واسترحنا من ١٠ ر٣ الى ٤٠ ر٣ . . شمالي الشنافية حيث ظهرت قرية الشاطئ من ناحية الشرق . وفي الساعة ٥٤ر٣ كانت قرية أم قبرّة الى شمال — الشمال الشرقي — والى غربها خربة عالية وقرية (تلك) الجديدة .

واخبرنا الدليل بان رجلا يسمى الأخيضر هو الذي بنى قلعة الرُّحبة وكان يملك القصر الذي يحمل نفس الاسم ، ويقع هـــذا القصر الى الجنوب الغربي من كربلاء . لذلك فان فلاّحي الاراضي المجاورة للرحبة يعتبرون الاخيضر رجلاً ؛ و (ال) التعريف عندهم تعني ما تعنيه (آل) او (ابن) لدى البـــدو فمعنى (الاخيضر) اذن هو (سليل الاخيضر) .

وقال رجل كبير السنّ من قرية القايم ان قلعة القايم كانت فيما مضى ملكاً لعشيرة خفاجه التي اخذت تتولى حراسة الطرق التجارية الى البصرة وأهملت العمل بالزراعة لأن القايم تقع على حافة روابي صخرية قاحلة .

..ولما كانت العودة من الطريق الذي أتينا منه لا تحظى باهتمامنا لذا تحولنا الى السهل الفيضي المنبسط ..وفي الساعة ١٠ر٥ رأينا الى شمال — الشمال الشرقي خرائب مخروطية الشكل تسمى نيشان الطوق ، والى الجنوب الشرقي منها توجد قرية امّ بزّونه ، وابعد من ذلك في الاتجاه نفسه نخيل قريتي ام البطّ والشاطي . وتقوم في شرق — الشمال الشرقي من ام بزّونة خَرَبة أحيمر وتليها على النهر قرى الدعرية والحنف والحمّام وامّ عودة والهسارميّة . ولا نزال بعض الخرائب قائمة في الحمام ايضاً . وفي الساعة ٢٠ر٥ كان الى يسارنا تلّ قامت عليه خرائب الفرديّة وفي ٤٨ر٥ وصلنا الى قصر مسعود وخيّمنا بالقرب منه . وكانت الارض المستنقعة المغطاة بالملح رطبة جداً بحيث اننا غُصْنا الى الكاحل فيها . وتشاغل مرافقونا بمداعبة الفلاّحين الذين كانوا يعملون في أحد الحقول المجاورة المزروعة بالشلب . وفيما كان الحرس مشغولين بغنائهم كنا نحن تحت رحمة ملايين البعوض تحتشد حوالينا .

١١ نيسان سنة ١٩١٥ . . كنت أتطلع بسرور الى رحيلنا عن هذا المكان . اذ لم استطع ان أغمض عيني طوال الليل . ولم اكن قد اعتدت على البعوض بعد ولم اعرف كيف احمي نفسي منه . وارتحلنا في ٢٥ر٥ صباحاً وعبرنا في الساعة ٣٨ر٥ مجرى شعب الوديقان وكان نهراً للري يوماً ما . وفي الساعة السادسة وصلنا الى سلسلة رملية ممتدة من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي . وكان يسير على امتدادها طريق الحجاج السابق الموصّل من القادسية الى الخورنق. وفي ١٦ر٦ عبرنا نهراً يجري الى الشمال الغربي وعلى جانبه الشمالي تمتد خرائب الشبينة القديمة التي لم تعد الان سوى بضعة اكوام كبيرة . ويجري الى الشمال الشرقي منها نهر مملوء بالماء وتقوم خلفه جدران مبنيّة بالآجر لقلعة من القرون الوسطى ذات ابعاد كبيرة نسبياً ولم يكن في الامكان فحص هذا البناء ، مع رغبتنا في ذلك ، اذ لم تكن لدينا وسيلة لعبور النهر المحيط بالربوة التي ترتفع القلعة على قمتها .

في الساعة ٦٫٥٧ كنا عند خربة الرّمادي غربيّ ام عودة ،والى الجنوب الغربي من بستان نخيل دسم . وفي ٧٫٢٥ عبرنا النهـــر القديم الممتد من خرائب الصنّين (٦٤) باتجاه جنوبي غربي الى القادسية .

من الساعة ٨٫٥٣ الى ٩٫١٥ توقفنا للاستراحة بجانب مرتفع الراقوب . وهو مرتفع احمر اللون يقع الى الجنوب الشرقي من قصيمة ام غزلان . وفي ٩٫٥٣ وصلنا الى طريق الحج وتابعنا السير خلال مزارع المشخاب . وفي ١٠٫٣٠ عبرنا نهراً يأخذ المـــاء من الفرات . وفي ١٠٫٤٦ رأينا الى الغرب قصـــر المظلوم وفي الجنوب الشـــرقي منه : الشجيج أو [الشقيق] ودخلنـــا في الســـاعة ١٢٫٠٦ بعد الظهر بساتين النجف حيث تُفضّل زراعة اشجار النخيل والرمّان والتوت دون غيرها من الاشجار .

وفي ١٢٫٢٩ كنا في النجف .

وبعد القيام بزيارة كلّ من القائمقـــام ورئيس البلدية نسخت بحضور نازل واثنين آخرين من اهـــل المنطقـــة ممن له معرفة بالاقليم ،جميع الاسماء الجغرافية بين العلاء والنجف من دفتر مذكراتي ، ثم تهيأت لرحلة اخرى الى الشمـــال . واصبحت الآن منهـــوكاً بدنيـــاً وعقليـــاً بحيث اني تشـــوقت الى فترة راحة وهدوء أطول ببغداد . وصحيح أنّ نازل وعدني مرة بعد اخرى بمرافقتي حتى البشري ولكني علمت انه سوف يصعب عليه الوفاء بوعده ، ففي اللحظة التي سيغلب عليه الحنين الى موطنه فانه سيتركني دون شك ويعود مع اقربائه الى الصحراء . وفي هذا الوقت بالتحديد طلب الاذن له بقضاء الليلة مع ابناء بلده . ولم اكن لأوافق على ذلك طبعاً لأني اردت أبيّن له فوراً كراهيتي لفراقه ولكن يظهران عدم موافقتي زادت في تعكير مزاجه اذ لم يأت خيمتنا ذلك المساء ولا تلك الليلة .

....

(٦٤) انظر فيما بعد ، ملحق ١٩ .

الفصل التاسع

الحيرة الى بغداد مرورا بالفلوجة

الحيرة الى المسيب

في ١٢ نيسان سنة ١٩١٥ قمنا بتحميل خيامنا وامتعتنا (شكل ٤٠) ، وودّعنا دغيم بن براق . ورجعنا الى النجف لأخذ اشيائنا التي تركناها في عهدة القائمقام . وبعد تحميل هذه أيضاً . بدأنا في الساعة ١٠ر٩ صباحاً، بصحبة رجلين من الدرك ، السيرَ في الطريق العــام الموصل الى كربلاء(٦٥) . وبقينا من ٥٠ر١٠

....

(٦٥) يذكر حمزة الاصفهاني (التاريــخ ص ١٠٤ وما بعدهــا) ان امــراء القيس بن النعمان استخدم المعمار البيزنطي سنمار لبناء قلعة (حصــن) صنــين .

وفي عام ٦٣٥م ارسل سعد جماعة من جنود المسلمين في ليلة مظلمة لمهاجمة الحيرة . وبعد الانطلاق من محطة العذيب عبروا جسر القوارب عند السيلحين بغية الوصول الى هدفهم . وعند سماعتهم فجاة جلبــة صادرة عن حفلة عرس كبيرة توقفوا وخبأوا انفسهم حتى اجتازت الجماعة بهم في اتجاه الصنين. وكان حاكم هذه البلدة قد تزوج ابنة والي الحيرة الفارسي (الطبري ، التــاريخ [دي خويــة] السلســلة ١ ، ص ٢٢٣٢ ومابعدها) .

وقد وصل المسلمون الى الطرف الجنوبي من بساتين الجمارة الحالية، وذلك بطريق المرتفعات الواقعة على الجانب الايسر من النهر . وهنــاك عبروا النهر بواسطة الجسر ، وراقبوا حفلة العرس . وظلوا مختفين جهد الامكان في انتظار مرور الجماعة بجانب الجسر ، ولما استداروا عــلى يمين النهر باتجاه الصنين ، داهموهم بغتة ، وأسروا العروس .

ويكتب ياقوت ، المعجم (فستنفلد) ، المجلد ٣ ص ٤٣٠ ، أن الصنــين كانت بلدة فيما ســبق بجوار الكوفــة ، حيث اقام المنــذر احيانــا . وكان ثمة نهر وحقول .

الى ١٩ر١١ نسير بمحاذاة الحد الشمالي لهضبة المغوطة الى ان وصلنا في الساعة ١٢٫٢٥ بعد الظهر الى خان المصلّي . وتقع في شرق هذا الخان قلعة درويش . ثم تركنا جمالنا ترعى من الساعة ١٠ر١ الى ٥٠ر١ في بُطنان الحُمرْ ، وهو موقع غير بعيد عن خان جدعان وتليل الذيب . وفي ٠٨ر٥ نصبنا الخيام عند مبنى متهدم بقرب خان صبّار .

١٣ نيسان سنة ١٩١٥ . . بدأنا السير في ٤٫٤٥ صباحاً ، ولكنني اكتشفت في ٥٠ر٥ فقدان دفتر مذكراتي ، وسرعان ما أدرت وجهي وعدت خَبَبَاً الى خان صبّار وهناك اعيد الكتاب اليّ من قبل رجل درك محلّي . وكان قد تسلمه من صبيّ وجده في ارض المخيم . وكان الصبي قد فتش المكان صباحاً تفتيشاً دقيقاً عسى ان يجد شيئاً نسيناه يستفيد منه . والذي حدث اني بعد ان سجلت فيه قبل الفجر وقت مغادرتنا وضعته في جيبي . ولم أدفعه الى الداخل بدرجة كافية ، لذلك سقط مني عند ركوب الجمل . وقدمنا مكافأة مناسبة لكلّ من الدركي والصبيّ ، فقد كان الدفتر يشتمل على مذكرات وصفية إبتداء من ١٦ آذار ، وان فقدانها يتعذر تعويضه .

وفي ٥٥ر٨ بدأنا السير ثانية الى الشمال ، وفي الساعة الثانية عشرة وصلنا الى خان بن نخيلة . وفي الساعة الواحدة رأينا الى الشمال خرائب الزبيلية ، كما رأينا في الساعة ١٠ر٢ بعد الظهر قرية السليمانية من ناحية الشرق . وفي ٥٠ر٢ كنا عند الجسر في بساتين كربلاء

وبعد أن طلبت من رفاقي الذهاب مع الجمال شمالاً خلال هذه المدينة ذهبت مع الدركي الى مبنى الحكومة لزيارة المتصرف وكان هذا الموظف مشغولاً بمؤتمر مهم . لذا كان حديثنا قصيراً بالضرورة . كانت طرقات كربلاء خالية .

إن الحياة التي سبق ان شهدناها هناك سنة ١٩١٢ اصبحت شيئاً من الماضي . وكان الجنود كثرة في كل مكان . ووجدت رفاقي عند الطرف الشمالي

من البساتين بقرب معامل الآجر القديمة . وفي المساء جاء المتصرف وآمر الدرك لزيارتنا ، غير أنهما لم يمكثا طويلا فقد تبين ان البعوض كان لا يطاق . وقد حذّرانا كثيراً من اللصوص ، الذين اتخذوا من هذه المعامل مقراً مفضلاً لهم في الايام الأخيرة . وكانت المعامل فيما يبدو مهجورة ، وعلى العموم ، لقد توقفت الاعمال أو لم يبق سوى القليل منها في اي مكان .

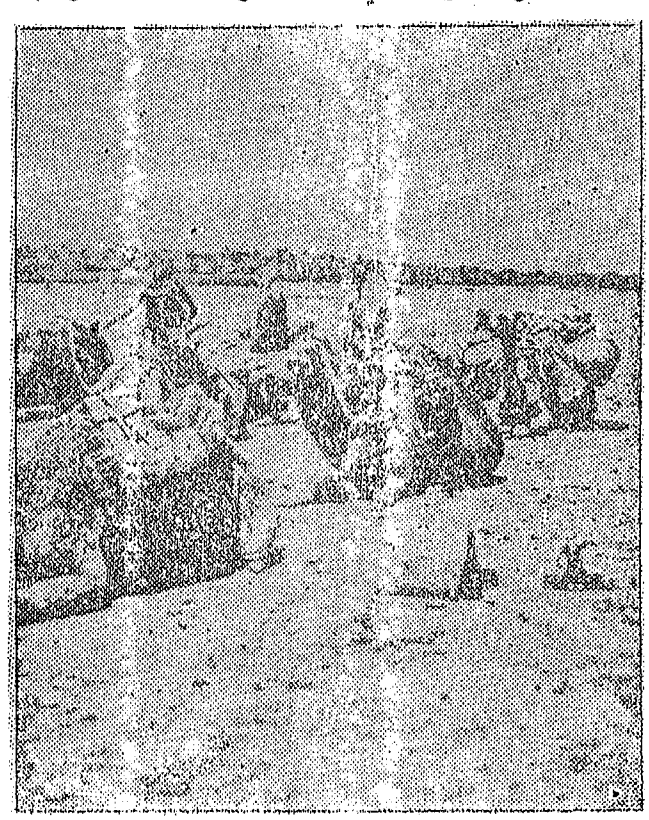
في ١٤ نيسان سنة ١٩١٥ ، في الساعة الخامسة صباحاً أخذنا الطريق العام الى المسيب . وكانت الحقول عن اليمين والشمال قد تُركت بوراً في الغالب بعد أن امتنع الفلاحون عن الحرث والبذر ، إما لأنهم اكرهوا على الخدمة في الجيش واما ان تكون الحكومة قد صادرت حيواناتهم وبذورهم . ورعت جمالنا من ٦٫٠٠ الى ٦٫١٦ . وكان الطريق العـام وحلاً بحيث اضطرت المركبات الى التحول عنه مسافة طويلة . وفي ٧٫٢٠ عبرنا نهـر العلقمي القديم الذي يمتد من شمال — الشمال الشرقي ، وفي ٨٫١٠ عبرنا نهراً مماثلاً آخر بالقـرب من خرائب الحوطة . واسترحنا مرة أخرى من الساعة ٩٫٣٨ الى ١٠٫١٢ . وفي الساعة الحادية عشرة رحّب بنا مدير مركز الدرك بالمسيب ، وقدّم لنا في الوقت نفسه رجلين جديدين من رجال الدرك لمرافقتنا الى بغداد .

المسيب الى الفلوجـة

وبعد ان إنعطفنا عن هذا الطريق الى مزارع البوبهاني غرباً مكثنا هناك الى ١٢٫٤٨ بعد الظهر ، ووجدنا فيها دليلاً له معرفة بضفة الفرات اليمنى من المسيب الى الشمال . وكان من رجـال عشيرة مسعود التي تخيّـم عادةً مع عشيرة الزقاريت ، فيما بين كربلاء والمسيب . والقبيلتان تنحدران من شمّر وتشتغلان بتربية الاغنام والجمال على السواء .

وعند البوبهاني تقوم خرائب الأحيمر ، والى غربها خرائب الشراجي ، والى الشمال خرائب ابو بَطّية ، ويليها من ناحية الشمال ايضاً على الفرات : خَرَبة الألس الكبيرة ، التي توجد على شمالها الغربي خرائب ومزارع الصنيديج[الصنيديق]والدوّاس . وبالقرب من الأخيرة يتفرع من الفرات نهر العجيدة القديم متجهاً نحو الجنوب الغربي .

وتقع على الضفة اليسرى من جنوب شرقي الدوّاس : حقولُ الغزار وابو لوقه . وكنا ننوي مواصلة السير الى الشمال الغربي مباشرةً ، ولكنّنا اضطُررنا الى ان نعود ادراجنا في الساعة الواحدة عند خرائب الاحيمر



(شكل . ٤ — بساتين الكوفة من الغرب)

لاننا لم نستطع ان نحمل جمالنا على المرور فوق قنوات الري . وباستخدام جدول (الحسينية العتيجة) [العتيقة] وكان ملوءاً الى نصفه بالماء ، وصلنا في ١٫٢٥ الى الطريق العام وتابعنا سيرنا فيه نحو الشمال الغربي ، وفي الساعة ١٫٥ انعطفنا من خلال حقول البوبهاني الى شمال — الشمال الغربي مرة اخرى . وفي ٢٫٥٠ رأينا الى الجنوب الغربي خربة (نيشان جازيه) وفي شمالها سفوح مرتفع المرقدة . وفي الساعة الثالثة اخترقنا خرائب الجبور ؛ وفي ٣٫١٦ خرائب اخرى تسمى أحويش . وكان ثمة جدران متهدمة لحصنٍ

مستطيل الشكل يرتفع برج في ركن كل جدار ، وتوجد الى الجنوب منها أكوام بقايا ابنية قديمة مبنيّة بالآجر . ويظهر انها جميعاً نقبّت عدة مرات ، وان الجيد من آجرّها نُقل الى اماكن أخرى ، وبالقرب من هذا الموضع يجري نهر العميدة القديم الهائل الذي يترك الفرات نحو الشمال الشرقي عند بستان الدوّاس . وفي ٢٠ ر٤ أعددنا مقرّنا الليلي في حقول قرية الروريحية وهي محلّ سكني دليلنا عوّاد . وتملك عشيرة مسعود الحقول المجاورة برئاسة عائلة ابن هتيمي ، ويؤكد هؤلاء انهم سبق ان هاجروا الى هنالك من جوار منطقة حايل وأنّ قرابة الدم تربطهم بشمّر .

في ١٥ نيسان سنة ١٩١٥ كنا على سروجنا في نحو الساعة ٠٨ ر٥ صباحاً وحوالي ٢٠ ر٥ كنا قد اخترقنا نهر العلقمي القديم . الذي يقال انه يتفرع من الفرات مقابل مرقد صغير لسيدنا خضر الياس . وظهر المرقد للعيان في ٢٥ ر٥ من ناحية الشمال الشرقي . والى الجنوب الغربّي ظهرت خرائب الحجيرة مرة أخرى . وفيما وراءها ايشان الذهب . وبعد ان قطعنا جرف الصخر ، وهو سهل غريني خصيب يبلغ عرضه نحـــو عشرة كيلو مترات وصلنا في ٥٠ ر٥ الى ابو قبّة القديم . وفي ٢٤ ر٦ رأينا من جهة الشمال الشرقي خرائب المذبحة على بعد ٤ كيلو مترات تقريباً ، والى الشرق منها ربوة الجصّ في العراق . وكنا نشاهد بقايا مزارع قديمة في كل مكان ، وفي ٥٠ ر٦ لاحظنا الى غرب — الشمال الغربي المرتفع الذي فيه بئر القلب ، والى الغـرب منه بئر ذهّاد ، وفي شمال الأخيرة شاهدنا بئر ام غوير ثانية . وفي ٥٠ ر٧ شاهدنا في شرق — الشمال الشـــرقي ضريحاً عصريّا هو قبـــر الرصَيّف في خربة قديمة شرقيّ نهر العلقمي ، وخرائب البأج في الحقول التي تقع شماليّ قبر الحجير . ثم سرنا على امتداد مرتفع (الظهره) الصخري . وفي ٢٠ ر٨ كان على يميننا بستان اللطيفية ، وشاهدنا في شرقها على الضفة اليسرى من الفرات اراضي المجصّة المرتفعة المتموجة . ويملك الجنابيون الحقول الواقعة في شمال اللطيفية وهم فرع من الزبيد تحت زعامة بوصَخرّية ومن ٥٥ ر٩ الى ٥٤ ر١٠ رعت جمالنا بقرب ابو الفياض على الفرات .

من الساعة ١٠ ر١١ فما بعد سرنا بمحاذاة مرتفع الفاضلية الصخري الذي يكاد يصل في امتداده الى الفرات ، وفي ٢٢ ر١١ عبرنا نهـــراً قديماً هائل الحجم يترك الفرات قريباً من هناك ، وقد سماه دليلنا ، كري سعده . وفي ٤٠ ر١١ ظهرت خرائب على يميننا كما ظهرت في ٤٠ ر١٢ بعد الظهر خرائب اخرى على اليسار تلتها في ١٢ر٩٥ خرائب كبيرة على ضفّة الفرات مباشرة يجري منها نهـــر قديم . وفي شرق – الشمال الشرقي ، على الضفـة اليســرى من مدخل جدول المحمودية ، يرتفع مشهد ابراهيم الخليل . وفي الساعة الواحدة اخترقنا خرائب بترا الواسعة الواقعة قريباً من الفرات . وكان يمرّ بالقرية السابقة هنا نهران يقسمانها الى ثلاثة اقسام . وتقع في السهـــل المتموج في الغرب وفيما وراء سفح طار الهيبان الشديد الانحدار آبار الغربية ، والى جنوبها الغربي آبار الشيحيّات ، وفي الشمال الغربي من الأخيرة آبار السّهل ويقع الى الشمال منها بئر الزعب . وفي شرقيّ بئر الزعب تقع البرجة [البركة] وفي الشمال الغربي من البركة آبار الحشربي ، الشروَعية ، الصلُوبية ، وام شطن . وفي الجنوب الغربي من الأخيرة يقع بئر المسمّة .

وفي الساعة ٠٨ر١ الى شمال الشمال الشرقي وعلى الضفة اليسرى من النهر ظهر مرقد حمزة بن قادم . ولم تكن الاراضي الواقعة فيما وراء ابو الفياض مزروعة لأن كثرة حصاها يحول دون حرثها تماماً . كما ان التربة هنا ليست غرينيّةً ، كما هي الحال في شمال شرقي ابو الفياض ، بل هي ارض صخرية باكملها ، يخالطها ملح صخري وجبس الى حـــد كبير . وفي ٢٠ر١ مررنا ثانية خلال بعض الخرائب حيث توقفنا لاستراحة قصيرة من ٢٣ر١ الى ٥٢ر١ . والى شمال الشمال الشرقي من الجزيرة – وهذا الاسم يطلقه ابناء المنطقة على الاقليم الواقع على الضفة اليسرى من الفرات – ترتفع ربوة عالية منعزلة من الخرائب تسمى عقر الاجدع ؛ وكنا نمرّ الآن بازاء الحدّ الغربي من البزيبز ، وهو شريط ضيق مزروع من الأرض . وفي ١٥ر٢ عبرنا نهـــراً قديماً وشاهدنا على اليمين صفّاً منحدراً من الاجراف تهبط الى الفرات تقريباً تعترضها اخاديد قصيرة

كثيرة . وفي ٣٠ر٢ بلغنا حوضاً عميقاً يتجه من الشمال الى الجنوب وتحيط به أجراف شديدة الانحدار ، وتوجد في الاجراف الصخرية الشمالية فقط سقوف تسمح بدخول الماء عند فيضان الفرات . وعند ذلك تتكون بركة في الحوض ، يعمل الماء على تحليل طبقات الجبس والملح الصخري الليّنة والتشبع منه حتى اذا ما تبخر الماء رسب الملح في قاع البركة . ومن هنـــا سميّت الامليحة (البركه المالحة) . ومن ٤٠ر٢ الى ٣٠ر٣ مررنا بازاء الامليحة ، وتوجد في طرفها الشمالي الغربي خرائب قصَيْبة .

وعلى طول الفرات ظهرت لنا مجموعات من الاكواخ يسكنها الفلاحون في موسم الامطار ، بينما يعيشون في خيامهم في فصل الجفاف . ومع انهم يمتلكون قطعاناً كبيرة من الغنم والماعز ويعيشون تحت الخيام عدة أشهر في السنة ، فانهم يختلفون من وجوه كثيرة عن البدو ، الذين يُعنَون بتربية الماعز والاغنام اكثر من عنايتهم بالزراعة . وكثيرا ما سمعتهم يقولون :

(عندنا هيج ، وعنـــد اهل الغنم هيج) اي : عندنا هكذا وعند اهل الغنم هكذا ..

وعلى طول الطريق من النجف سمعتهم يتذمرون من الألمان. وكانت عادة الموظفين ، كبارهم وصغارهم ، ان يضعوا اللوم فيما يتعلق بالحـــرب عموماً وباشتراك الاتراك فيها خصوصاً ، على الألمان . وشكى لي رجل الدرك محمد ، الذي رافقني من المسيب ، شكوى مريرة من ان الالمان لم يقدموا ايّ عون للحكومة وانهم فضلاً عن ذلك يستهلكون خير الأطعمة بدون خجل . وبعد ابدائه العطف على السلطان عبد الحميد لعن الحرية التي أتت بها جمعية الاتحاد والترقي ، التي لم تجرّ على تركية غير الحرب والشقاء .

وبعد اجتيازنا خرائب الغطاس في منطقة العامرية خيّمنا في الساعة ٣٠ر٥ بجانب مخيّم صغير لعشيرة الجنابيين يقع الى الاسفل من سدّ عال بني لحماية سهل الخابوري الخصب من الفيضان ، اذ كان مجرى الفرات هنا اعلى من السهل

الفيضي بما يقرب من اربعة أمتار . وقبل حلول المساء غمرتنا أسراب من البعوض المتعطش للدماء ، آذت الانسان والحيوان على السواء . وكانت الارض رطبة جداً حتى ان اغطيتنا كانت مبللة في الصباح .

وفي ١٦ نيسان سنة ١٩١٥ نهضت من فراشي وأنا اشد تعباً مما كنت حين أويت اليه . وفي ٥ر٠٦ غادرنا الواديَ قاصدين الاجراف الصخرية في الغرب . وبعد أن تعدّينا خرائب الخابورتي عبرنا شعيب ابو التوق القصير ، واتجهنا ثانية نحو الشمال الغربي .

وشُوهدتْ شمال ـــ الشمال الشرقي في الجزيرة ربوة خرائب عقر النعيلي ، وفي شرق ـ الشمال الشرقي تلّ السلطان على الفرات والى الجنوبي الشرقي منه : تلّ القحيصان وتلّ قنيصة ؛ والى الغرب من تلّ السلطان ، وفي حقول الحشيْ : خرائب الأجربية(٦٦) .

في الساعة ٣٠ر٧ ظهر للعيان نيشان احيمر من جهة شمال ـ الشمال الشرقي على الضفة اليسرى ، وأمامنا على الضفة اليمنى : الحافة الصخرية البيضاء « جال التربة » ، وتلال سنّ الذبان أعلى منها شمالاً وتركنا الجمال ترعى من ٥٣ر٧ الى ٢٨ر٨ .

وعندما كنا غربيّ تلّ الاحيمر غادرنا الطريق على قاعدة مرتفع صخري يسدّ السهل الغريني ، وفي الساعة التاسعة اتجهنا خلال السهل الفيضي الى شرق ـ الشمال الشرقي نحو جامع الفلوجة . وكان طريقنا يمرّ خلال حقول الحسيْ ، وكان المرور فيه صعباً جداً في بعض المواضع ، حتى أنّ قوائم جمالنا غاصت في الوحل . وفي ٢٨ر٩ ظهرت على الضفة اليسرى ربوة خرائب تسمى الخراب . وفي الساعة العاشرة وصلنا الى الجسر العائم المعروف بالقنطرة ، حيث أرحنا الجمال

---

(٦٦) للوقوف على بيانات أوفى تتعلق بالطريق الذي بين النجف والمسيب راجع ص ٣٥ ـ ٤٣ من كتاب المؤلف .

من اثقالها . وأوعزنا بحملها [على الاكتاف] الى الفلوجة (٦٧) . وبعد ذلك قدنا جمالنا للعبور ، وكان هذا عملاً فذاً ، اذ كانت تجفل باستمرار ، ولم يكن يربط الجسر المرتفع بضفة النهر اليسرى الواطئة الا لوحٌ من الخشب لا يكاد عرضه يزيد على ثلاثين سنتمتراً .

---

(٦٧) وقد هرب ابن الاشعث بعد انحداره في نهاية عام ٧٠١م بالقرب من دير الجماجم ، متجها نحو بلدة بني جعدة بن هبيرة في الفلوجة ، حيث عبر الفرات (الطبري ، التاريخ ، [دي خوية] ، السلسلة٢ ص١٠٩٥) . واحدد موقع دير الجماجم بجوار كربلاء ، وقرية بني جعدة الى الشرق من المسيب الحالية .

وكانت الفلوجة منطقة ادارية ، وتقع فيها بلدة الزابوقا (المصدر نفسه المجلد ٣ ص ٢٢٥٦ ؛ عريب ، الصلة [دي‌خوية] ، ص ١٠) .

وفي عام ٧٤٩ – ٧٥٠م خيم ابن هبيرة ، الذي ارسله الخليفة مروان الثاني ، بجانب احد فروع الفرات في منطقة الفلوجة العليا ، على بعد ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة . ولما كان الخوارج قد عبروا الفرات عند الأنبار ، وكانوا يتقدمون ببالغ السرعة بمحاذاة ضفته اليمنى الى الكوفة ، فان ابن هبيرة تقدم عندئذ في الاتجاه نفسه بين الفرات ونهر سورا (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ، ص ١٣) . ويؤدي بنا ثلاثة وعشرون فرسخاً في اتجاه شمالي غربي حتى بلدة الفلوجة الحاليـة .

ويذكر ابن الاثير ، الكامل (تورنبرك) ، المجلد٩ ، ص ٤١٣ ، انه في عام ١٠٥٤م حاصرت قوات بغداد الانبار ، التي كان قد استولى عليها حاكم الموصل قبل ذلك بفترة وجيزة ، وانهم قد احرقوا دمما والفلوجـة .

ويسجل ياقوت ، المعجم (فستنفلد) المجلد ٣ ، ص ٩١٥ ومابعدهـا ، ان فلاليج السواد كان مفهوما انها تشتمل على قرى الفلوجات الكبرى والفلوجات الصغرى ، بين بغداد ، والكوفة ، وعين التمر . وتعرف ايضا فالفلوجات العليا والفلوجات السفلى . وتعني كلمة فلوجة في الاصل « التربة التي أعدت لزراعة القمح » .

وقد علم حاجي خليفة ، جهان نامة (القسطنطينية ، ١١٤٥ للهجرة)، ص ٤٦٤ ببلدة الفلوجة الحالية . فيقول انها موضع على الضفة اليسرى للفرات ، على بعد مسيرة من الحلة ، حيث كانت تفرغ البضائع المجلوبة بالقوارب من بيرجيك . وفي موسم فيضان الفرات كان من الممكن لسفن تدعى بالكلك (الرمث) ان تسير مشرعة في الجدول المتفرع من الفرات والذي يصب في دجلة عند قريـة « المنطقة » بين

الفلوجة الى بغداد

في الساعة الواحدة بعد الظهر غادرنا قرية الفلوجة البائسة وتوقفنا في ١٫٣٢ عند خربة بجانب الطريق ، حيث تناولنا غداءنا واسترحنا الى ٢٫٤٠ .

وفي ٢٫٥٥ دخلنا اراضي ابو تلول الصخرية ، حيث وجدنا مقداراً كبيراً من الجبس الذي هو سمة بارزة من سمات أرض الجزيرة ، وهي إقليم يعدّ السكان المنطقة التي نمرّ فيها الآن جزءاً منها . وتغطي مرتفعاتها الواسعة المتموجة طبقة من الحصى والرمل . والى الشمال الغربي من الفلوجة تُروّى الحقول المنخفضة من جدول الأزرقية . ويتفرع من الضفة اليسرى من الفرات جنوبيّ الفلوجة جداول : ابو غريب ، دفّار ، الرجوانية ، المحمودية ، اللطيفية ، والسكندرية ، وجداول كثيرة اخرى أقصر منها ، وكان الماء لا يزال يجري فيها جميعاً . وفي الساعة الرابعة كنا نسير على صخر أجرد وفي ٤٫٢٠ إنعطفنا يميناً نحو منخفض هور ابو غريب ، وهو عبارة عن أرض منخفضة يغمرها الماء . وعلى بعد منه شوهد خان السنية الجديد ، والى الغرب منه قرية الشعيبة التي فيها مقرّ « المدير » . وخيّمنا بقرب الماء ، حيث وجدنا خير مرعى لجمالنا . ومرةً اخرى تعرضنا لأذى البعوض .

في ١٧ نيسان سنة ١٩١٥ خرجنا مبكرين ، اذ كنا على سروجنا في الساعة ٤٫٣٨ صباحاً . وبعد عودتنا الى الطريق العام الممتد من الفلوجة الى بغداد قطعنا بعد ذلك حقول العبادي . والى الشرق من مخيمنا أشار دليانا عبد ابل (كذا) عباس من عشيرة بي سوده الى تلّ الطوبية وفي شمـــالها خرائب تلّ الحمل ؛

الامـــام موسى وقلعـــة قوشلر . وقد امـــر والي بغـــداد خساكي [كذا] محمد باشا بتحصين مدخل هذا الجدول عند «المنطقة» ، ذلـك لان كميات كبيرة من مياه الفـرات كانت تندفـــع وقت الفيضان بحيث اصبحت القلعة معرضة للانهيار . والمسافة بين الفلوجة والحلة هي ١٢٠ كيلومترا ، أي مسيرة يومين . ويتفرع نهر عيسى في موضع أســـفل من الفلوجـــة .

وعلى نحو اربعة كيلومترات في شمال شرقيّ هذين الأخيرين يقوم مركز درك مهجور : نقطة العصيد. وفي ٤٠ر٥ ظهرت خرائب السندية ، وهي السندية القديمة ، الى جنوب — الجنوب الشرقي(٦٨) .

وظلت جمالنا ترعى من ٢٠ر٦ الى ٣٩ر٦ . . وفي الساعة ٤٨ر٦ أتينا مركز الدرك : (نقطة ابو منيصير) عند خان العباس (ويسمى ايضاً خان ضاري) . وفي ٠٨ر٧ ظهرت خرائب الدّراعي القديمه الى شمال — الشمال الشرقي منا ؛ وفي ١٣ر٧ عبرنا نهر العليمي القديم العظيم ، وفي ١٨ر٧ عبرنا جدول ابو غريب الجديد الذي يجري فيه الماء الى (التراجف) ؛ والى شرق — الشمال الشرقي ظهر للعيان تل هويرج باشا .

ان الجهات الوحيدة التي كان يعرفها دليلنا على البوصلة هما : الغرب والشرق المطابقان لمجرى الفرات وتبعاً لذلك فانه طالما جعـــل الغرب شمالاً او الشرق جنوباً فقد قال مثلاً «قليلاً الى الشرق من الغرب» وكان يعني الشمال الشرقي . وكثيراً ما سمعناه يقول: «يقع لا شمالاً ولا جنوباً : لا هو جبْلي [قبلي] ولا هو شمال » ويقصد الجنوب الغربي . وكان ينطق كلمة (ابن) شبيهة بـ (ابل)، و (تل الرمل) : تَرْ رَمْل . . وكلمة (يَسكنون) تخرج من فمه شبيهة بـ (يِـسكِنـون)

وفي ٥٥ر٧ عبرنا نهر العيساوي القديم ، وكانت تظهر للعيان من ناحية الشمال خرائب تراجف والى الشمال الشرقي نيشان الاسمر . وفي الساعة ٤٦ ر٨ ظهرت الأخيرة ثانية الى شمالنا ، ثم قرية الشنيغي وخرائب ابو صليبيخ ، والى الجنوب الشرقي

(٦٨) يذكر ابن الاثير في تاريخه (دي سلان) ص ١٣ ، ان شرف الدولة بسط سلطانه سنة ١٠٨٤م على الاراضي الممتدة من السندية على نهر عيسى حتى منبج ، وخضعت له مدن هيت ، والانبار ، والموصل وكذلك منـــاطق ربيعة والجزيرة .

ويقول ياقوت ، المعجم (فستنفلد) ، المجلد ٣ ص ١٦٨ ، ان بـلدة السندية تقع على نهر عيسى بين بغداد والانبار .

قرية الجرية وفي ١٥ ر٩ كان نيشان ابو طنطور يقع على يميننا . والى الشمال ظهر لنا مخروط عقرقوف ، والى الشرق منه ضفاف جدول الاتباري . وظلت الجمال ترعى من ٢٥ر٩ الى الساعة العاشرة . وفي ٣٠ ر١٠ رأينا قرية الجرية على نحو خمسة كيلو مترات الى جنوب — الجنوب الغربي ، كما رأينا الى شرق — الجنوب الشرقي : مركز درك مهجور هو مركز الداودي ، والى الشمال الشرقي سدود جدول الأمباري وتل الادرم وفي ٤٠ ر١٠ رأينا تل بغساغ الى الشمال الشرقي .

وشرح لنا الدليل الطريقة التي تتبعها الحكومة لتجنيد المتطوعين وتبدأ بدعوة يوجهها الوالي الى جميع الرؤساء [الشيوخ ؟] للقدوم الى بغداد ،وبعد ان يحلّوا فيها يسألهم ان يتطوعوا للخدمة العسكرية برضاهم . وكان يفرض لكل متطوع عشر ليرات تركية ذهبية الى اثنتي عشر (من ٤٥ — ٥٤ دولار) وعند ذلك يذكر كل شيخ ارتجالاً عدد المتطوعين من رجال عشيرته ، ويحصل على المبلغ الذي يستحقه فوراً . . وعلى سبيل المثال فان احدهم أعلن تطوع ١٧٠ من رجاله ، وتبعاً لذلك دُفع اليه مبلغ ألفيّ ليرة ذهبية . ولكن لم تسمع احداً من العشيرة كلها ينوي الذهاب الى الحرب . وتلقّت الحكومة خدمة مماثلة من غير هؤلاء من سكان العراق والجزيرة .

وتنحدر عشيرة زوبع من قبيلة طيّ وتنتشر مضاربهم في الأراضي الواقعة بين المحمودية وابو حنطة (حبّة) والطريق العام المؤدي من فلوجه الى بغداد . والبيوت التي تتألف منها هي :

الشيطي	السيحنات
السعدان	الشعّار
الفياض	عزّة
الخيطاويين	الهليّل
الكروشيين	المقادمة
جداده	بني زيد القحطان

واسم شيخهم هو ضاري بن فداغة بن ظاهر المحمود . في الساعة ٢٠را١١ عبرنا نهراً قديماً عنـــد ربوة قبر حمود . وكان حمود بن ثامر رئيس مشايخ عشيرة المنتفج (المنتفق) في مطلع القرن التاسع عشر . وفي ٣٠ ر ١٢ بعد الظهر بلغنا سدّة الخرّ ، الذي يخترق مزارع الدورة (٦٩) شماليّ القبيبة وخرائب الرّمل ، حيث مكثنا حتى الساعة ٥٤ ر١٢ . . وفي ٢٥ ر ١ رأينا على اليمين سكة حديد ضيقة توصل الى المجدم (المقدّم) ، وكانت تستخدم لنقل البنادق من بعض السفن في الفرات الى سفن اخرى في دجلة . وفي ٣٠را كان الى اليمين منا الطريق العام الموصل من المسيب الى الكاظمين .

في ٤٨ ر ١ وصلنا الى الطريق الفرعي المتجه الى الحلة والمسيب . وبعد ان دفعنا رسم العبور عبرنا جسر الخر الجديد وصلنا في ٢٥را الى ارصفة سكة الحديد المكتظة بعربات النقل . وفي ٤٣ ر ٢ انعدلفنا خلال الضاحية الشمالية الغربية ، وفي الساعة الثالثة وصلنا الى البستان الذي سبق ان خيمنا فيه عام ١٩١٢ بضاحية (المتوليّه) على طريق (ترام) الخيل بين بغداد والكاظمية . وقد رحّب بنا صاحبها احمد طعمة ، بوصفنا اصدقاء قدماء — وفي خـــلال ساعة نُصبت خيامنا تحت اشجار النخيل الباسقة بجانب حقل مزروع بالفلفل . ولسوء الحظ كانت مياه دجلة التي تتدفق قريباً منا عالية جداً آنذاك مما جعل البستان رطباً جداً ، بحيث اصبح الجلوس على الارض العراء امراً مستحيلاً . واصبحت كل الاشياء التي في خيامنا مبتلّة ايضاً . وأما البعوض الذي لم نلحظ وجوده قط

(٦٩) وهذه هي با (او بيت) دورايا .
ويكتب ياقوت ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٤٦٠ ومـابعد ، وابو الفضائل ، المراصد (يونيبول) ، المجلد ١ ، ص ١١٦ ، ان بادورايا كانت جزءا من منطقة الاستان ، ولاحقا كانت جزءا من منطقة نهر عيسى ابن علي . وقد شيدت بعض ارباض بغداد على حد بادورايا . ووفقـا لبعض الثقاة الذين اوردهم ياقوت فان كل مايقع شرقي الصرا [الصراة] فهو بادورايا ؛ وكل مايقع غربا فهو قطربل . على انه ينبغي لنا ان نفهم شمال الصراة وجنوبه بدلا من شرقه وغربه ، ذلك لأن قطربل تقع شمالي بغـداد .

سنة ١٩١٢ ، فقد وفدت الينا مجاميعه لتعذبنا هنا كما عذبتنا فيما بعد ببغداد ، حيث كنا نرجو ان نستعيد صحتنا وراحتنا . وبدأ المطر يسقط في المساء ، واستمرّ ينهمر طوال الليل . .

بغداد في وقت الحرب

في ١٨ نيسان سنة ١٩١٥ ذهبت قبيل الظهر الى مركز الدرك على الضفة اليمنى من دجلة لإخبارهم بوصولي ولطلب حارس يقوم بحمايتي وحماية رفاقي وجمالنا من المضايقات ايضاً . وبعد ذلك عبرنا الجسر العائم (جسر الاطواف) الى الضفة اليسرى التي تقع عليها مدينة بغداد الأصلية ، وكان غرضي زيارة القنصل النمساوي / المجري ، دي تاهي هنالك ، وكان يسكن جنوبيّ المدينة على ضفة نهر دجلة مباشرة . .

وسنحت لي فرصة طيبة اثناء الطريق لملاحظة الضرر الذي نجم عن الحرب والفيضان . فقد اقفرت طرقات مركز المدينة ، التي كانت تصعب الحركة فيها سنة ١٩١٢ ، وأصبحت الآن خالية خاوية . وكانت معظم الحوانيت مغلقة ، والمقاهي لم تُشْغَل سوى نصف مقاعدها ، والنساء الريفيات اللاتي كنّ يبعن الطعام في الاوقات العادية لم يعد لهن وجود . وظهرت احياناً جماعات من الجنود هنا وهنالك . وكانت تحد المدينة من جهة الشمال الشرقي بحيرة لا يمكن للمرء ان يرى عبرها . اما صفوف الاكواخ التي كانت تكتظ بها بساتين النخيل فقد تهدمت او جرفتها مياه الفيضان . وكان الرجال والنساء على السواء منهمكين في اصطياد ادوات خشبية مختلفة تطفو على البحيرة ويسحبون بصنارات طويلة البطانيات [الأغطية] والمخدّات [الوسادات] من الاكواخ ويضعونها في قواربهم . وفي مقبرة النصارى ، الواقعة شرقيّ الطريق العام المؤدي الى ايران كانت توابيت وهياكل بشرية نصف متفسخة تطفو على الماء . ونتج عن انتشار الكوليرا المروّع في المدينة (كان يموت ثلاثمائة شخص كلّ يوم) أن اصبح موتى المسيحيين يدفنون الآن على سد الطريق العام الجديد ، لهذا كان على الماشي

والراكب لا ان يمر على مقربة منها فحسب ، بل عليه ان يسير بين القبور وعليها كذلك . وكانت هذه القبور قليلة العمق والجثث مغطاة بطبقة خفيفة من التراب لذا فان الروائح الخبيثة الخطرة انتشرت بسرعة في جميع الجهات . ولم يعد ثمة وجود للحياة بهذه المدينة ، التي كانت فيما مضى من اكثر المدن نشاطاً في الشرق .

ان القنصل دي تاهي نبيل مجريّ طيب السريرة وقد رحب بي بصورة تدل على الودّ ولكن مع شيءٍ من الحيطة ، ولم ينطلق على سجيّته الا بعد ان علم من سياق الحديث بأنني جيكي الاصل . وعنـــد ذلك عرض عليّ القيام بضيـــافتي بحمـــاسة صـــادرة عن القلب بحيث انـــي قبلتهـــا بســـرور . وقبل الظهر خرجنا راكبين لزيارة الوالي : وهنا التمست الاذن بزيارة المنطقة المجاورة لسميحة [سميكة] فوراً ثم العودة الى سوريا بمحاذاة الضفة اليسرى من الفرات . فأجابني المحافظ (الوالي) بان هذا الأمر من اختصاص القائد العسكري للمنطقة ولهذا ينبغي لي ان أراه . ولكن ابن مارس [اله الحرب عند الأغريق [يعني القائد العسكري] أبَى حتى الاستماع لي . وطرح توصياتي جانباً مبيّناً انه في مثل هذه الأمور لا يأخذ بمشورة احد في القسطنطينية اياً كان ، وامرني في الوقت نفسه . بالعودة الى سوريا سائراً في الطريق المعتاد الذي يساير الضفة اليمنى من الفرات . وحينما أعلنت له انه من حقّي السفر في النواحي الداخلية [من البلاد] ما دامت لم تدخل في منطقة الحرب بعد ، وانني لا اطلب سوى دركيّ لحمايتي من التساؤلات التي لانهاية لها عن جواز سفري وعن الشهادة بانه ليس معي عسكري هارب ، حينئذ انكر بجفاء ان يكون لي مثل هذا الحق وصرفني قائلاً انني استطيع تقديم شكوى الى القسطنطينية ان رغبت في ذلك ، ولكن ينبغي ان انتظر الجواب في سوريا ، وليس ببغداد . وكان اعتذاره الوحيد الى القنصل الذي شملني برعايته ، من عدم معاونتي هو تمسّكُهُ بالقوانين العسكرية التي زعم انها تحول دون اجابة طلبي .

وانصرفت وانا في غيظ شديد ، ذلك لأن القائد برغم محافظته على كل مظاهر المجاملة اثناء رفضه لرجائي ، لم يسعني الا ان أشعر ببغضه الشديد لي . لقد قدمت بغداد لغرض واحد ، وهو تقصي الوادي الادنى لنهر الثرثار والضفة اليسرى من الفرات : ولو كان في مقدوري التنبؤ بهذا الرفض الحقود لكنت حتماً اتجنب بغداد واجعل بداية رحلتي من الفلوجة . واستغرب القنصل قرار القائد أيضاً واعرب عن رأيه بانه ربما كان سعود ، وزير ابن رشيد ، الذي كان من كبار المقربين لأنور باشا ، والذي عملت ضده في وسط الجزيرة العربية ، قد وجه التهم الي في استانبول وان أنور باشا ، تبعاً لذلك ارسل امراً برقياً الى بغداد يأمرني فيها بالعودة الى سوريا . وبدا لي هذا الحدس معقولاً الى حد كبير ، فقد كان غرضي ، حينما كنت في وسط الجزيرة العربية ، ان اعمل على اسقاط الوزير سعود ، ومعه الأمير الضعيف ابن رشيد ، الذي سبق ان اهدى اليه انور باشا عدة آلاف من بنادق الموزر مع ما يلزم من الذخيرة ومبلغاً كبيراً من الذهب . ولعل سعوداً ابلغ هذه التهمة بوساطة فارس سريع الى محطة المعظم على سكة حديد الحجاز وان انور باشا — الذي كان يعلم اني لا اوافق على سياسته في داخل الجزيرة العربية — اتخذ بعض التدابير المناوئة لي بعد ان اكتشف من خلال هذه التهمة أنّ الاعمال التي قمت بها ضدّ الاشخاص الموالين له ، كانت فعّالة .

وخطر لي الآن ان اسأل القنصل ، الذي زعم انه على علاقات طيبة جداً بالقائد العسكري ، ان كان في استطاعته ان يتأكد من اسباب هذا السلوك ، وقد فعل ذلك بعد ساعتين . وانتظرته امام المبنى الحكومي ، حيث خرج بعد اقل من نصف ساعة ، ودعاني للدخول قائلاً ان كل شيء قد تمّ توضيحه ، ويعتقد اني سأرضى بهذا الايضاح . والواقع ان القائد خرج الى حجرة الانتظار لتحيتي ، وحيّاني بأدب جمّ ، معتذراً من معاملته السابقة لي . لقد حسبني المانياً من النمسا ، وقد كان بغضه الشديد لهؤلاء لايقل عن كراهيته للالمان البروسيين ، كما يسميهم ، لهذا اراد اظهار سطوته لي والانتقام لنفسه

ولو بطريقة غير مباشرة من جميع ما قاساه من جمهرة الالمان المحيطين به ، الذي لم تكن له سلطة عليهم . وقد رفع صوته بشكوى مريرة من مسلك الضباط البروسيين ، حتى من لم يكن منهم عسكرياً محترفاً اذ كانوا يزعمون انهم اطول باعاً في الشؤون العسكرية من خيرة ضباط الجيش التركي . وضرب مثلاً لذلك ضابطاً المانيا برتبة رائد كان ممثلاً لهيئة اركان الحرب البروسية ببغداد : أباح لنفسه التشهير امام الجمهور . ليس بالضباط الاتراك فحسب ، بل بالضباط النمسويين كذلك . وعلى سبيل المثال أقام هذا الرائد منذ زمن غير طويل حفلة دعا اليها نخبة من اهل بغداد البارزين والضباط . . وكانت الموسيقى تعزف من جهاز حاكي (فونوغراف) كبير ، وفجأة افلت نابض في الجهاز ، مما ادى الى زيادة سرعة الحاكي وفي هذه اللحظة نهض الرائد وهتف قائلاً :

« هذه سرعة الجيش النمسوي الهنغاري عند ما يجري هارباً امام الجيش الروسي » فوثب القنصل النمسوي دي تاهي من مقعده . وهو يصرخ بغضب : « اسحب كلامك ، والا لطمت وجهك ! »

فاذا كان الممثل العسكري البروسي يعامل حليفه الاوربي بهذه الطريقة ، فمن الممكن ان نتصور كيف كان يسلك تجاه هذا الاسيويّ الذي اجبرته الظروف على محالفته . وهكذا فان حاكم بغداد العسكري لم يكن شيء يسعده اكثر من ان تتاح له فرصة النيل من زميله البروسي . وزيادة على ذلك فقد روى لنا ، بمرح عظيم . كيف أزعج اعضاء الحملة الالمانية الى افغانستان . بالاستيلاء على اكثر من نصف ما لديهم من الذهب والسلاح ، وكيف أخّر عمداً في بغداد الوزير البروسي والنمسوي وكانا في طريقهما الى طهران . . وهكذا . وأخبرني القنصل دي تاهي كذلك . كيف انه كان يستضيف السفير النمساوي — المجري في طهران في مقرّ إقامته مراراً اثناء مكوث الأخير في بغداد . وأخبرني ايضاً ، بأنه كان يرثي لحال هذا الوزير اذ كان زميله البروسي ينحّيه جانباً ويستخفّ به في كل مناسبة .

وابدى القائد التركي حزنه العظيم لهذه الحرب ، وكان يخشى على كل حال ان تكون فيها نهاية تركية . وفي حالة انتصار الحلفاء ، كان يتخوف من تقطيع أوصال تركية ، اما اذا انتصر الالمان فان تركية سوف تخضع لهم . وحينما علم أنني أنتسب لاحد الشعوب الخاضعة للنمسا زادت مودته لي ، وصرّح اخيراً بأني استطيع السفر متى شئت وحينما أردت . وبعد الاستئذان من القائد ، الذي اصبح راضيا تمام الرضا ، عدت الى خيامنا . وعهدت بكل متاعنا الى خلف وناصر ، ثم ذهبت الى منزل القنصل لمعالجتي من الوعكة التي ألمّت بي .

من الثامن عشر الى السابع والعشرين من نيسان لازمت الفراش بصورة مستمرة تقريباً . وكان يزورني كل يوم طبيب الماني انتقل الى بغداد من بومبي بعد اعلان الحرب . وكان الطبيب على معرفة جيدة بمهنته ورجلاً ذكيا استطاع اثناء اقامته الطويلة في الاقطار الأجنبية التعرف بالانكليز وتقديرهم اكثر من معرفته بمواطنيه البروسيين الذين أثنى على بعض خصالهم ولكن لم يسَعْهُ الا ان يضيف ان هذه الخصال نفسها هي التي جعلت البروسيين غير محبوبين في الخارج . وكان القنصل دي تاهي يكره الالمان ايضاً لاسيّما البروسيين منهم ، ولم أجد بين ممثلي الدولة النمسوية المجرية الذين قابلتهم في البلاد الأجنبية من هو أشد استنكاراً للتحالف مع المانيا من القنصل دي تاهي . وكان في الوقت نفسه يرثي لموطنه الاصلي ، المجر ، وكان واثقاً من أن مصيراً مماثلاً لمصير تركيه ينتظره ذلك لانه ، كما يقول ، لا يشك في ان (إنتصار الحلفاء)سيؤدي حتماً إلى تحرّر [القوميات] الخاضعة للدولة النمسوية المجرية . اما اذا حالف التوفيق الالمان فانهم سيطغون على المجر .

وبين حين وآخر كان يأتيني مالك البيت الذي يسكنه القنصل للجلوس معي برهة من الوقت . وكان رجلاً في نحو الستين من عمره ، يملك عدداً من المعامل الصغيرة ، وأكبر محل تجاري للتوريد والتصدير ببغداد . ولما كان

عربياً فقد اظهر اهتماماً كبيراً بتاريخ قومه القديم ، وفضلاً عن ذلك فقد أراد ان يتعرف طبيعة المنطقة التي وفد منها اجداده الى بغداد بحسب تصوره . لذا سرّه ان يلقى رجلاً على معرفة بالتاريخ العربي واعماق الصحراء على السواء ، ولم يدخر وسعاً في ابداء شعوره الطيب نحوي بكل وسيلة ممكنة . وأحضر الى غرفة نومي جميع ابنائه ، واحفاده ، وحتى ابناء احفاده ، ورجاني كثيراً ان ازوره متى استطعت القيام ، ليقوم بضيافتي ، ويقدّمني الى زوجته . وكان هذا الرجل ايضاً كثير الشكوى من الحكومة التي كانت في رأيه لا تكاد تقوى على حفظ كيانها بعد الآن . وكان يفضّل الالمان على الأتراك لانهم يستطيعون العمل على رقيّ الزراعة والصناعات والتجارة .

وسمعت آراء مماثلة من جميع تجار بغداد تقريباً ، ممن لاقيتهم في القنصلية أو خارجها . وكلهم يعتقد ان التغيير السياسي مرغوب فيه الى اقصى حدّ من أجل رفاهية البلد كله ، وكانوا لا يترددون في ابداء هذا الرأي .

في ٢٨ نيسان سنة ١٩١٥ ذهبت لرؤية رفاقي ، الذين كرروا زيارتهم لي اثناء فترة مرضي ، وأخبروني بكل ما حدث في غيابي . وفي هذا الوقت كانوا جميعاً قد لُقّحوا ضـد الكوليرا والجدري . وكان ظهوري في الخيمة مدعاة لعظيم سرورهم . وسرعان ما قدّموا لي على الفور طبقاً من التوت [تكّي] الطازج وقدحاً من اطيب الشاي .

واجتمعت الآراء مع ذلك على الرغبة في الرحيـل ، والتمسوا مني التعجيل به في اقرب وقت ممكن . وقالوا ان الصحراء وان لم يكن فيها لحوم ولا فواكه ولا خضروات ، فان كلّ شيء فيها خير مما يوجد تحت ظلال النخيل ببغداد . . . ولما كنت متفقاً معهم في الرأي طلبت اليهم ان يفحصوا ويصلحوا سروج التحميل ، ويشتروا ما كان ضرورياً ، وان يستعدوا السفر في اول ايار . وامضيت المساء مع اسرة مالك المنزل الذي يسكنه القنصل النمسويّ .

في ٢٩ و ٣٠ نيسان قمت بزيارة بعض اصدقائي ، وحصلت على رسائل توصية مختلفة ، وعينت خط العرض ، ورسمت خريطة للاراضي التي عزمت على زيارتها ، وفحصت السروج ، وقرب الماء ، والاسلحة ، والمؤونة . وعلى العموم لم أجد أي نقص غير ان فراق القنصل كان عسيراً عليّ في الواقع . لقد رحّب بي واكرم مثواي حين كنت منهكاً ، وعُني بي عناية رقيقة ليلاً ونهاراً في المراحل الخطيرة من مرضي ، وأطعمني ، وساعدني في الاعداد لرحلتي القادمة . وكان سلوكه طوال هذه الفترة سلوك أخ كريم عسى الله ان يزيد نعمته .

الفصل العاشر
بغداد الى الثرثار بطريق مسكن
بغداد الى خــان المشاهدة

في الاول من أيار سنة ١٩١٥ . . غادرنا بستان المتولّية في٥٧ر٤ صباحاً وتابعنا السير بمحاذاة خط الترام (الذي تجرّه الخيل) الى الكاظمية . وفي ٠٥ر٥ كان الى يسارنا مركز درك نقطة المتولّية ، وفي ١٥ر٥ وصلنا الى بساتين الكاظمية (٧٠) .

....

(٧٠) واعتبر الكاظمين مطابقة للخنافس الواردة في المراجع العربية . ويذكر سيف بن عمر مقتبساً من محفز (الطبري ، التاريخ [دي‌خوية] ، سلسلة ١ ، ص ٢٢٠٤) ، ان الخنافس يمكن الوصول اليها من الانبار في ليلة واحدة . وانطلق القائد المسلم المثنى من اليس فوصل اولا الى الخنافس ؛ وزحف بعد ذلك على الانبار ، حيث التمس دليلا ، ثم رجع ادراجه الى الخنافس . وعند وصوله الى منتصف الطريق استفهم عن المسافة المتبقية حتى هذه المدينة ، فأخبر بانها اربعة او خمسة فراسخ . وحينذاك ارسل جماعة من الرواد تسبق الجيش ، وعبر المخاضة في اثرها ، وعند الصباح هاجم سوق الخنافس . ثم انه خيم بازاء خليج السيلحون . واخيرا وصل الى الانبار. وكان يتردد على الخنافس للتسوق اناس من المنطقة كلها ، وكذلك العرب من قبيلتي ربيعة وقضاعة (المصدر نفسه ، ص ٢٢٠٢ وما بعدها) .

ويقول ياقوت ، المعجم (دي‌خوية) ، المجلد ٢ ، ص ٤٧٣ ، وابو الفضائل، المراصد (يونيبول) ، المجلد ١ ، ص ٣٦٧ ، أن الخنافس اسم لأرض عربية في العراق بقرب الانبار في منطقة البردان . ويضيف ابو الفضائل وحده ان الخنافس تقع شرقي الفرات .

ورواية سيف تجعل في مقدورنا ان نحدد في الأقل وفق بعض المعايير موقع سوق الخنافس . ويؤدي طريق من الانبار (وتلفظ الآن : الامبار) الى هناك . وتبلغ نصف المسافة من الانبار الى الخنافس اربعة أو خمسة

=

وفي الساعة ٥٫٤٨ مررنا بمركز درك الكاظمين ، وفي ٦٫٠٨ محطة سكة الحديد . وفي ٦٫٤٠ كنا في مزارع الهيتة . والى غربيّ سكة الحديد ما زال بالامكان رؤية نهر قديم . وفي ٧٫٢٠ مررنا في مزارع السرّاحة بثلاث اكوام من شظايا اواني فخّار لعلها بقايا افران فخّار هناك . ومن ٨٫٢٥ الى ٩٫٠٠ رعت جمالنا الى شرقي تل ابو عظام . ثم اتجهنا الى الغرب وسرنا خلال مزارع الحسّيات نحو مجموعة صغيرة من الاكواخ بقرب دجلة تسمى البيضاء . وفي الساعة العاشرة وصلنا الى نهر دجلة ، ثم تابعنا في سيرنا الى الشمال كتفاً عالياً من اكتاف النهر يمتد على ضفته اليمنى يحمي الحقول الخصبة من الفيضان . وكانت زراعة البصل في هذه الحقول ناجحة بوجه خاص . وتتركز اشجار النخيل في هذه المنطقة على الضفة اليسرى اما على الضفة اليمنى فلم نشاهد الا شجرة توت واحدة . وفي ١١٫٠٨ شاهدنا الى اليمين قرية المزروفة (٧١) ، وبعد فترة قليلة شاهدنا ربوة خرائب تل قوش على اليسار منا .

= فراسخ . ويتابع الطريق نهر السيلحون ، وقبل الوصول الى الخنافس لابد من عبور نهر آخر . وان اقامة الاسواق هناك تجعل من المحتمل ان كانت الخنافس محطة لتوقف القوافل التجارية ، وانها كانت تقع بجوار مدينة بغداد فيما بعد . ووفقاً لما اورده سيف وياقوت من بيانات يمكننا ان نحدد موقع الخنافس في منطقة البردان ونطابقها بالجزء الغربي من مدينة الكاظمين الحالية ، التي تبعد ٥٥ كيلومترا (نحو عشرة فراسخ) من الانبار ، اما النهر الذي كان لابد من عبوره فهو نهر الدجيل . والسيلحون هي السالحيين الحديثة ، على بعد ٢٠ كيلومترا غربي بساتين الكاظمية على الطريق المباشر الى الانبار .

ويبين ابن بطوطة ، التحفة (دفرميري وسانكوينتي) ، المجلد٢ ص١٠٨ ، ان موسى الكاظم ، وهو ابن جعفر الصادق ، كان قد دفن على الضفة اليمنى لدجلة . ودفن الى جانبه الامام التاسع ، محمد الجواد . وقد شيدت قبة فوق قبريهما ، مبطنة بألواح خشبية محلاة بالفضة .

(٧١) ان المزرفة الحالية هي بلدة المزرفة القديمة ، وتؤلف الحد الشمالي لمنطقة قطربل . واحدد موقع بلدة قطربل في الخرائب الواقعة في حقول السراحة ، على نحو ١٢ كيلومترا من جسر بغداد . وكانت تسمى في =

كان الفلاحون في حقول السطيح، الواقعة على أرض أكثر ارتفاعاً، يحصدون القمح آنذاك وقد إسود لونه كلية لاستمرار سقوط الامطار. وفي ١١/١٩٤٨ رأينا تل القر(٧٢) الى شمال-الشمال الغربي، وتل الزواغير الى غرب-الشمال الغربي.

= الاصل بيث نيكاتور عند السوريين، وكانت منذ النصف الاول من القرن الثالث مقراً لمطران مسيحي السريانية؟ (مدونة اربيلا [ترجمة سخاو]، ص ٦١).

وقد عانت بلدة قطربل كثيراً من جند المرتزقة الاتراك في خلافة احمد المستعين (٨٦٢ – ٨٦٦م)، حتى انهارت اخيراً. (الطبري، المصدر السابق، السلسلة ٣ ص ص ١٥٦٢ ومابعدها).

ويكتب ابو الفضائل، المصدر السابق – المجلد٢ ص ص ٤٢٩ ومابعدها، ان قطربل أو قطربل كانت بلدة بين بغداد والمزرفة غربي دجلة. ومنها اشتق اسم منطقة قطربل، الممتدة فوق الصراة والتي تروي من نهر الدجيل. ويذكر ان المزرفة (المصدر نفسه، المجلد ٣، ص ٩٠) كانت بلدة كبيرة على الطريق شمالي بغداد، غير بعيدة عن دجلة.

ويقول حاجي خلفة، جهان نامة (القسطنطينية، ١١٤٥هـ)، ص ٤٦٠، نقلا عن روايات قديمة، ان بلدة قطربل الواقعة بين بغداد وعكبرا معروفة بسكانها المسيحيين وكنائسها المتعددة.

(٧٢) ولعل تل قبر والخرائب المجاورة هي بقايا بلدة البردان القديمة.

ويقول الشابشتي، الديارات (مخطوط برلين) ورقة ٢٤ يمين، انه كان ثمة دير في البردان على ضفة دجلة. وكانت البساتين ممتدة طوال الطريق من بغداد الى البردان، تتخللها متنزهات كثيرة، مثل تل شكر، المحمدية، الطولوني الصغير، الطولوني الكبير والبردان..

ويروي ياقوت، المصدر السابق، المجلد ١، ص ٥٢٢، ان المسافة من بغداد الى البردان هي سبعة فراسخ، وتقع صريفون غير بعيدة من هناك. وفي زمن ياقوت لم يعد موقعا صريفون والبردان معروفين. فلا بد ان تكون المسافة سبعة فراسخ خطأ.

ويذكر ابن سرابيون، العجائب، (لوسترنج)، ص ٩، ان دجلة يجري الى جانب مدينتي تكريت وسامراء، ثم الى جانب قرى القادسية، الأجمة، العلث، الحظيرة، الصوامع، ويخترق مدينة بغداد.

ويبين ابو الفدا، التقويم (رينو ودي سلان)، ص ٥٤ أن دجلة يستدير بعدها شرقاً الى سامراء، على خط طول ٦٩°، وخط عرض ٣٤°؛ ثم يتجه جنوبا الى عكبرا على خط طول ٦٩°، وخط عرض ٣٣°؛ وبعده يتجه شرقاً الى البردان، على خط طول ٦٩° ٥٠َ، وخط عرض ٣٣° ٣٠َ، واخيراً يتجه جنوبا شرقيا نحو بغداد.

وبعد ان غادرنا ضفة النهر اتجهنا شمالاً بمحاذاة مجرى دجلة القديم المسمى الشطيطة ، ومن ١٢٫٢٥ بعد الظهر الى ١٫١٠ تناولنا غداءنا على الحافة الغربية من حقول الشيخ حبيب . وكان على يميننا في الساعة ١٫٤٥ قبر الشيخ حبيب . وفي الساعة الثانية كان طريقنا يخترق خرائب تل المفْهده ؛ وفي ٢٫٤٠ ترجلنا امام مخفر الدرك بقرب خان المشاهدة . وكان الخان (النزل) مهجوراً وخرّباً . وكانت خطتي ان نترك مؤننا وخيامنا في غرفة بالطابق الاول من مخفر الدرك تحت حراسة ناصر ، ونترك النوق الخمس في مضارب المشاهدة في موقع قريب منا ، وبعد ذلك نتجه الى نهر الثرثار . وكان علينا ، بعد ان نفرغ من دراسة الاقاليم الممتدة على طول الجزء الادنى من النهر ، ان نعود ادراجنا الى خان المشاهدة لاسترداد امتعتنا ، ثم نواصل سيرنا جميعاً الى سوريا بمحاذاة الضفة اليسري من الفرات . وتقرر ان يصحبنا اثنان من رجال الدرك في رحلتنا الى الثرثار . وكان الرجلان فارسين ، لذا وجب علينا شراء شعير علفاً لحصانيهما ولكن لـم يكن للشعيـر وجـود في المنطقة المجـاورة كلها . وقيـل لنا أن السبب في ذلك هو عدول الناس عن زراعة الشعير الآن لان الحكومة كانت تصادر المحصول كلما زرعوه في بقعة من الارض . واشاروا علينا بالذهاب الى سميكة للحصول على حاجتنا منه . فالتربة هناك اكثر جفافاً واصلح لزراعة الشعير بحيث يمكن ابتياعه في تلك المنطقة على الدوام .

وكانت الاراضي المجاورة لخان المشاهدة تروى سابقاً من نهر الدجيل وتتبع ادارياً منطقة الدجيل (٧٣) .

---

(٧٣) واستناداً الى الرواية التي حفظها لنا ابو زيد فان مصعباً كان قد قتل عام ٦٩٠ — ٦٩١م ، بالقرب من نهر الدجيل غير بعيد من ديـر الجاثليق (الطبري ، التاريخ [دي خوية] ، السلسلة ٢ ص ٨١١) .
ويذكر ابن خرداذبة ، المسالك (دي خوية) ص ٧ ان الفرات والدجيل يرويان مناطق فيروز ، سابور ، مسكن ، قطربل ، وبادورايا . وامـا ابن خردابة فيما يظهر يخلط بين جدول الدقيل ، الذي يأخذ من الفرات ، وبين نهر الدجيل ، الذي يتفرع من دجلة فان ذلك يتبين من أن منطقة

مسكن لم يكن في الامكان ارواؤها من الفرات ، بينما لايمكن ارواء المناطق الاخرى من دجلة .

يجري بجانب مدينة تكريت ، على خط طول ٢٥ ٦٨ وخط عرض ٣٤ ؛

وفي عام ٨٦٦م قام سعيد بن صالح ، صاحب الخليفة المعتز ، بوضع الخليفة المعزول احمد المستعين في قارب ، وسار مشرعا معه على دجلة من سامراء الى مخرج نهر الدجيل ، حيث ربط حجرا بقدمه والقى بـه في الماء (الطبرى ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ص ص ١٦٧٠ وما بعدها) .

ويدون ابن حوقل ، المسالك . (دي خويه) ، ص ١٥٦ ان نهر الدجيل يتفرع من دجلة بالقرب من بلدة تكريت ، ويروى بعض المزارع الاراضى التابعة لهذة ، ثم يجرى في حقول بلدة سامراء ، بحيث جعلتها صالحة للزراعة حتى حدود بغداد . ويخلط ابن حوقل بين نهر الاسحاقى وبين نهر الدجيل .

ويقول ياقوت ، المعجم (فستنفلد) ، المجلد ٢ ، ص ٥٥٥ ان الدجيل نهر بين بغداد وتكريت ، اسفل من سامراء ، مقابل القادسية . ويروى مناطق واسـعة وقرى متعـددة ، مثـل : أواناء ، عكبرا ، الحظيرة ، صريفون ، الخ .. ويصيب في دجلة . وتقع بلدة مسكن ، حيث هزم مصعب وقتل ، على النهر .

ويضيف ابو الفضائل ، المراصد (يوينبول) ، المجلد ١ ، ص ص ٣٩٣ وما بعدها ، الى هذا : ان نهر الدجيل يصب في دجلة عند بلدة الطاهرية . وتبنى مرقد فوق ضريح مصعب ، وكان يؤمه الزوار . وفي منطقة الدجيل بقرب بلدة أواناء كان ثمة جدول الناب (المصدر نفسه ، المجلد ٣ ص ٢٥٢) . وامتد نهر زوار غير بعيد من عكبرا (المصدر نفسه ، المجلـد ٣ ص ٢٤٧) مارا ببلدة زوا . وجرى جدول البيطار بين بلـدة حرباء وبلدة أوانا (المصدر نفسه ، المجلد ٣ ، ص ٢٤٥) .

ويقول حاجـي خلفـه ، جهـان نامـه (القسطنطنية ، ١١٤٥هـ) ، ص ٤٦٠ ، أن بلدة الدجيل تقـع الى جنب خرق الدجيـل (الخرق : القناة) . على مسافة ساعة او ساعتين من مدخله . وكانت فيما مضى مركزا مشهورا لمنطقة الادارية ، تكثر فيها القرى الاهلة بالفلاحين . واصبحت هذه المنطقة مقفرة عندما اختنق نهر الدجيل بالطمى . وقد امر حاكم بغداد السياسي ، مرتضي باشا في عام ١٦٥١ بتنظيف النهر القديم الى حد ما ، واعادة اسكان الاهلين في عدة قرى ، ولكن المـاء لم يجر في النهر الا بكميات غير وافية . وتبعا لذلك سرعان ما غـادر الاهلون قراهم ثانية ، وتعطلت زراعة الاراضى هناك ، اذ ان الاصلاح النهر بصورة شاملة كان باهظ التكاليف ولا ريب .

خان المشاهدة الى السميكة

في ٢ أيار سنة ١٩١٥ ، في الساعة ٠٨ ر٥ صباحاً غادرنا خان المشاهدة على الطريق (٧٤) الموصل من بغداد الى تكريت مارّين ببلدة سميكة .

كنّا نمرّ الآن باقليم مسعود ، وهو اقليم مستغل بالزراعة الى حد كبير . وفي ٣٠ ر ٥ كانت الى غرب — الشمال الغربي منا محطة سكة حديد مقصّ مسعود ؛ والى شرقنا حقول الملّوح وخرائب الصبوح ، وشاهدنا شرقاً خرائب الطاسة ، والى الشمال الشرقي منها تلّ المدوّد ، وفي شرقي شرقي — الشمال الشرقي من التل الأخير توجد سدّة الملّوح . وقطعنا بعد ذلك سهل مغابير المُرّ . وبعد ان عبرنا نهر قديماً في الساعة ٤٠ر٦ رأينا الى الشمال

---

(٧٤) وكان يؤدى من بغداد في الازمنة السابقة طريقان الى الشمال ، احدهما على الضفة اليمني لدجلة ، والاخر على الضفة اليسرى . ولايهمنا في هذا المجال سوى الطريق الذى على الضفة اليمنى .

ويسجل قدامة ، الخراج (دي‌خويه) ، ص ٢١٤ المسافات التالية : من بغداد الى محطة البردان ، ٤ فراسخ ، ومن هناك الى عكبرا ، ٥ فراسخ ، ومن هناك الى باحمشا ، ٣ فراسخ ، ومن هناك الى القادسية ٧ فراسخ . — ويمكن مطابقة البردان بخرائب تل قير ، على مسافة ٢٠ كيلو مترا شمالى بغداد القديمة . وتقع خرائب عكبرا على بعد ٢٦ كيلو مترا شمالي تل قير على الضفة اليسرى لمجرى دجلة القديم . ولابد من البحث عن محطة باحمشا في مكان ما بقرب الشيخ منصور . اما بلدة القادسية ، التى لاتزال ماهولة حتى يومنا هذا ، فانها تقع على الضفة اليسرى لمجرى دجلة الحالى .

ويذكر الاصطخرى ، المسالك (دي‌خويه) ، ص ٧٩ ، ان المسافة من بغداد الى سامراء ٣ مراحل ، ومن سامراء الى تكريت مرحلة . — ومن بغداد الى سامراء تبلغ المسافة ١٠٥ كيلو مترات ، او لمسافة من سامراء الى تكريت ٤٨ كيلو مترا ، وعلى هذا فالمراحل لم تكن متساوية الطول .

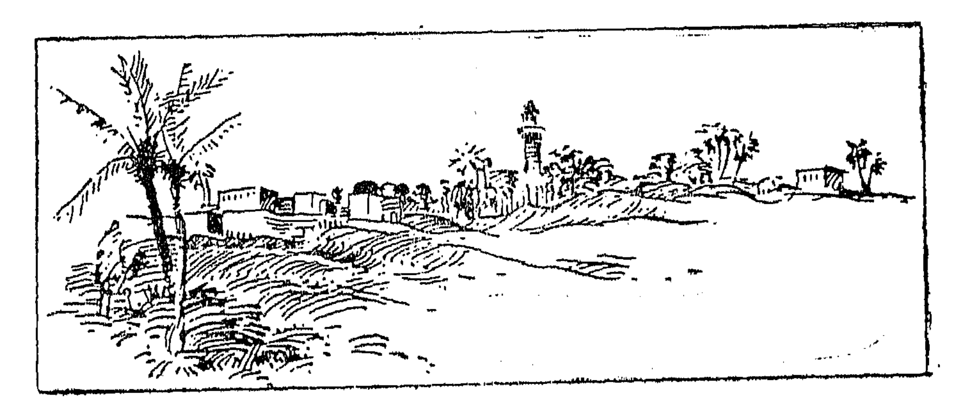
ويعدد ابن حوقل ، المسالك (دي‌خويه) ، ص ١٥٨ ثلاث مراحل من بغداد الى سامراء ، مرحلتين من سامراء الى تكريت ويحصى المقدسي ، احسن (التقاسيم) (دي‌خويه) ، ص ص ١٣٤ وما بعدها ، من بغداد الى البردان بريدين (اى محطتي بريد ، ثم الى عكبرا مرحلة ، ثم الى باحمشا ، نصف مرحلة ، ثم الى القادسية ، مرحبلة ثم الى

الكرخ مرحلة ثم جبلتا مرحلة تبلغ المسافة الفعلية من بغداد الى البردان نحو ٢٠ كيلو مترا ، ويمثل هذا المسافة بين محطتي بريد .. ومن هناك الى عكبرا تبلغ المسافة ٢٦ كيلو مترا ، أو مسيرة واحدة ، ومنها الى باحمشاء : نحو ١٤ كيلو مترا ، او مسيرة نصف يوم ، ومن هناك الى القادسية : نحو ٣٧ كيلو مترا ، أو مسيرة واحدة .

ويتفق الادريسي ، النزهة ، م ٤ ، ٦ ، مع المقدسي . وفضلا عن ذلك فانه يحتفظ بجزء يتعلق بطريق من بغداد الى وادى الترثار ، وهو الطريق الذي يقول انه يبدأ عند موينة الحضر . ومن هناك يمتد لمدة تسعة ايام مخترقا صحراء الرقة . ونقرأ في ترجمة جوبير للادريسي ، المجلد ٢ ، ص‌ص ١٤٦ وما بعدها ، ان هذا الطريق يترك دجلة عند تكريت . ـ فان كان في الامكان الوصول الى الرقة بهذا الطريق في تسع مسيرات فلابد اذن ان كانت كل مسيرة قرابة خمسين كيلو مترا . واتجه الطريق من تكريت الى الغرب مباشرة ، مـارا بابار ابى القـدور ، بنية المالحة ، السمدان ، التويسان ، الشخمة ، ام غدرم ، الغليسية ، والخبيرة . وعبر الطريق نهر الخابور عند تل الشيخ حمد (ماكسين) ، ووصل الى الفرات عند بلدة الخانوقه ، وتابع سيره بمحاذاة ضفته اليسرى .

وسافر ابن بطوطة ، التحفة (ديفريميرى وسانكوينتى) ، المجلـد ٢ ص ١٣٢ وما بعدها ، من بغداد الى بلدة بجانب نهر الدجيل الذى يأخـذ من دجلة ، ويروي قرى كثيرة . وبعد يومين وصل الى مدينة حربى الكبيرة الفنية ، ومن هناك بلغ قصر المعشوق على ضفة دجلة بعد مسيرة أخرى ، وقد خيم على مقربة منه . وكانت وقفته التاليه لقضاء ليلته في مدينة تكريت . وبعد مسيرة يومين اخرين وصل الى قرية العقر الواقعة على دجلة . وفي الجزء العلوي من هذا المكان ارتفعت ربـوة بهـا قلعـة قديمة مهدمة . وفي اسفل منها مباشرة كان يقع خان الحديد ، المحصن بابراج . ويستمر الطريق بعد ذلك بين قرى ومزارع كثيرة اهلة بالسكان حتى الموصل . وكانت المحطة التالية فيما وراء الموصل تسمى القبارة ، وتقع على النهر ، وبجوارها كانت توجد عيون قير متعددة . ولعل ابـن بطوطة امضى ليلته الاولى عند بلدة البردان ، التى كانت على بعد ٢٠ كيلو مترا شمالي بغـداد ، وكانت تحصل على مائها من فرع من نهر الدجيل . ومن هناك تبلغ المسافة ٥٢ كيلو مترا الى حربى . ويمكـن مطابقة قصر المعشوق بقصر العاشق الحالي ، الذى يبعد مسافة ٣٧ كيلو مترا من حربى ، واربعين كيلو مترا من تكريت . اما محطة العقر ، التى تمتد شمالها القرى قرية بعد قرية مع حقولها المزروعة ، طـول الطريق المؤدى الى الموصل فينبغى البحث عنها بقرب قصر البنات .

منه كثيراً من الروابي كونتها خرائب النادريات . وفي ٤٨ر٦ وصلنـــا الى عدة آبار مهدمة وبركة البير الصناعية المرصوفة بالآجر . وفي ١٠ ر٧ عبرنا جدول الناصرية ، التي يأتي من السميكة ، وشوهدت من جهة اليمين ، على بعد اربعة كيلو مترات منا تقريباً بركة هور الطارمية الكبير الذي يقع ، والى الشمال ، منه مخفر الدرك : (نقطة الطارمية) : وتركنا جمالنا ترعى من الساعة ٤٨ر٧ الى ١٦ ر٨ بالقرب من قبر العبد . وفي ٢٥ ر٨ عبرنا نتوء سكة الحديد الذي يتفرع هنا باتجاه ابو فراج ونهر دجلة ، ثم سرنا بمحاذاة الجانب الجنوبي الغربي من حافة جف علي [كفّ علي] وظهرت الى الشرق خرائب صقر وبارود ، وغزال ، وبساتين الخضيرة ؛ والى الشمال الغربي كانت جماعة المقدامة ، من عشيرة زوبع قد تركت قطيعاً من جمالها يرعى هناك . وفي ١٢ ر ٩ مررنا بمشهد الشيخ ابراهيم الذي بني في طرف خربة واسعة . وفي ٢٥ ر٩ وكان الى يميننا في الســـاعة ٢٥ ر ٩ نهر قديم كبير يقع خلفه مشهد جف علي ، والى الشمال من ذلك تظهر خرائب أوآنا ثانية ؛ وكانت امامنا بعض بساتين النخيل وفي الغرب ربوة عطّاف .



(شكل ٤١ — سميكة من الجنوب)

وفي الساعة ٠٥ر١٠ رأينا بئر السّفيْرات من ناحية الشرق . كما رأينا الى الشمال منها ، على الضفّة اليسرى من مجرى دجلة القديم ، خرائب ومحطة سكة حديد عكبرا (٧٥)

وبدأت الريح تَهبّ من شرق — الشمال الشرقي . وفي ٢٠ ر١٠ كانت الى يميننا خربة تلّ منصور . وفي الساعة الحادية عشرة توقفنا في خرائب تقع جنوبيّ قرية السميكة (شكل ٤١) ، الى شرقها ترتفع قرية مسكين (٧٦)

(٧٥) انظر مايلى ، الملحق العشرون .

(٧٦) عكبرا وأوانا كانتا من المراكز السكنية المعروفه لدى كتاب العرب الاوائل وقد بنى الملك سابور الاول (٢٤١ — ٢٧٢م) ، وهو من معاصرى الامبراطور فاليريان ، على ضفة دجلة مدينة مرو خابور ، التى سمبت فيما بعد : عكبرا ، (مدونة سيرت (شير) ص ٢٢١) .

ويكتب الطبرى ، التاريخ (دىخويه) ، السلسلة ١ ص ٨٣٩ ، ملاحظة ٢ ، ان الاسم الاصلي لهذا المكان كان بزرج سابور (انظر ابن خرداذبه ، المسالك [دى خويه] ، ص ٢٨) .

وفي عام ٦٣٣ — ٦٣٤ ارسل خالد بن الوليد جندا من المسلمين من عين التمر اغاروا على مخيم التغلبيين بالقرب من احد مناهل الماء،ومن هناك الى المنطقة التى كانت مدينة تكريت حاضرتها . ويروى محمد بن مروان انه عندما وصل الجند الى بلده عكبرا طلب اهلها الصلح . وذهب المسلمون بعدئذ الى البردان ، حيث تم الاتفاق على الصلح ، وبعد ذلك الى المخرم . وهناك عبروا جسر القوارب عند قصر سابور ، الذى دعى فيما بعد بقصر عيسى بن على ، حيث ابدى القائد الفارسى المقاومة . وبعد دحره عادوا الى عين النمر سالمين . (البلاذرى ، الفتوح [ديخويه] ، ص ٢٤٨ ومابعدها) .

وبالاستناد الى هذه الرواية فقد عاد الجند المغيرون من عكبرا بمحاذاة الضفة اليمنى لدجلة بطريق البردان ، او تل القر الحالي ، الى قصر سابور ، الذي عرف فيما بعد بقصر عيسى . ولما كان القصر الاخير يقع في ضواحي بغداد بجانب نهر يحمل الاسم نفسه ، فلابد من البحث عن المخرم بجوار بساتين المتولية . واذ عبر الفاتحون على جسر قوارب عند قصر عيسى ، فمن الواضح ان نهر الدقيل ، الذي عرف فيما بعد بنهر عيسى ، لابد ان كان يصب آنذاك في دجلة ، على مقربة من الموضع الذي بنيت فيه مدينة بغداد فيما بعد .

◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆

ويحصى ابن خرداذبة ، المسالك (دي خوية) ، ص ٥٩ ، تسع سكك من سامراء الى عكبرا ، ومن هذا المكان الى بغداد ست سكك . ويذكر في موضع آخر (المصدر نفسه ، ص ٩٣) ان المسافة من بغداد الى البردان هي اربعة فراسخ ، ومن هناك الى عكبرا خمسة فراسخ . وهذه البيانات غير صحيحة .

ويكتب المقدسي ، احسن [التقاسيم] (دي خوية) ، ص ١٢٢ وجه سامرا مدينة عكبرا وهي كبيرة عامرة كثيرة الفواكه جيدة الاعناب سرية .

ويدون ابو الفضائل ، المراصد (يوينبول) ، م ٢ ، ص ٢٧٠ ، نقلا عن ياقوت ، ان عكبرا بلدة صغيرة في منطقة الدجيل الادارية على بعد عشرة فراسخ من بغداد ؛ ولكنه يضيف ان بلدة عكبرا تقع على الضفة الشرقية من دجلة ، ويقول : انه حينما احتفر دجلة لنفسه مجرى جديداً شرقي ذلك المكان سمي المجرى القديم بالشطيطة . وتقع أواناء على الضفة اليمنى للمجرى القديم ، مقابل عكبراء ، وقد انتقل سكان البلدة الاخيرة الى اوانا وقرى اخرى . وقد عرفت المنطقة التي بين الشطيطة ومجرى دجلة الجديد بالمستنصري ، لأن الامام المستنصر كان قد أمر بحفر جدول للري هناك ، يتفرع من نهر الدجيل .

ويسجل ابن الاثير ، الكامل (تورنبرك) ، المجلد ٤ ، ص ٢٦٥ ، ان مصعباً ـ عند زحفه من الكوفة ـ خيم في باخمرى غير بعيد من اوانا ، التي كانت تعود الى منطقة مسكن السياسية .

وخرج عليه الخليفة عبدالملك بطريق قرقيسياء واتخذ موضعاً في مسكن، على بعد ثلاثة فراسخ ، او ربما فرسخين فقط من مخيم مصعب .

وبغية اجتناب المكان الذي كان ابن هبيرة قد تحصن فيه فان قحطبة ابن شبيب زحف عام ٧٤٩م بطريق بزرج سابور (اي عكبرا) وعبر دجلة من مخاضة الى اوانا (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ، ص ١٢) . وفي عام ٨٦٥م جرت مناوشة عند اوانا مع حامية قطربل (المصدر نفسه السلسلة ٣ ص ص ١٥٨٧ ومابعدها) .

وعلم ياقوت ، المعجم (فستنفلد) ، م ١ ص ٤٥٨ ، بوجود باحمشا وهي بلدة تقع بين اونا والحظيرة ، حيث حارب المطلب في عهد هارون الرشيد .

والجويث هي بلدة بين بغداد اوانا ، بالقرب من البردان (المصدر نفسه ، م ٢ ص ١٦٣) .

المتهدمة . وتقع الى الجنوب الشرقي خرائب أوآنا وصفرين ، وكانت عكبرا الى الشمال الشرقي منها وكانت بينها وبيننا ربوات وبساتين والى الشمال تجمعت اكواخ قرية (سميكة) .

ان الاراضي التي تقع حول نهر الدجيل القديم ملك قبيلة بني تميم ويبلغ عدد خيامهم حوالي مائتي خيمة وتتكون من العشائر الآتية :

البوحشمة

البوحسن

العتائبة

الشريفات

الثامر

ولاقينا صعوبة كبيرة في شراء حاجتنا من الشعير وما حصلنا عليه ، مع ذلك ، كان ذابلاً بسبب الجفاف ولم يكن يفضل القش كثيراً . وكان سعره غالياً ايضاً بفضل وجود عدد من الاكراد (المجاهدين) الذين كانوا في طريق عودتهم الى ديارهم بعد هزيمة الاتراك في البصرة ، وكانوا جميعاً من الفرسان وفي حاجة الى علف لخيولهم .

السميكة الى سهل الشنانات

بعد حصولنا على دليل واصلنا رحلتنا في الساعة الثانية بعد الظهر واتخذنا طريقاً متعرجاً لتحاشي مقابلة المتطوعين ، وصلنا في الساعة الثالثة الى الطرف الشمالي من البساتين ، حيث يرتفع في شمالها تل العبارة ، والى شرقها تل الصوفية ، والى شرقي — الجنوب الشرقي تل الأحيمر وشاهدنا الى الجنوب تل (الدويّر) يليه على مسافة بعيدة الى الغرب تل سمارة فمرتفعات ردايف . وفي ١٥ ر٣ مررنا خلال خربة الوقف . وفي ٥٠ ر٣ رأينا الى الشمال تل الدبابيين . وكان في الساعة ٠٢ ر ٤ على مقربة من يسارنا ضريح الشيخ منصور ، والى الشمال منه خرائب الوزن . وفي ٣٠ ر ٤ بلغنا مخيم عشيرة

الغنّام من قبيلة الخزرج ، وهذه العشيرة تشتغل بالزراعة فقط : وفي ٥٠ ر ٥ خيمنا في مخيّم الخزرج بالقرب من ربوة ضريح الشيخ غريب الذي تظلله نخلة واحدة . وهنا وجدنا دليلاً جديداً ادّعى انه يعرف كل شبر في منطقة الثرثار . ومع انّي لم أثق بكلامه كثيراً ، فقد استأجرته آخر الأمر ، لأن الخزرج قالوا انه شمّري . وكان اسمه حُمُودي بن ظاهر بن ربيّعة . والتمع البرق في الليل كثيراً في جهات مختلفة وسقطت بضعة قطرات مطر كبيرة . كما ان البعوض من نوع القارص (الكارص) والزَريجْ [الزريق] ساعد كذلك على جعل ليلتنا غير مريحة .

في ٣ أيار سنة ١٩١٥ ارتحلنا في الساعة ٢٠ ر ٥ صباحاً . . لم يكن ثمة أثر للريح . وكانت ترى الى الشمال الغربي خرائب ام الخيمة ، والى غرب ـ الجنوب الغربي منها خرائب أم الضّباع ، والى الشمال الشرقي محطة سكة حديد الطوبيعة . وفي ٣٥ ر ٥ وصلنا الى خرائب ام ضَبَيْعة (أو الضباع) ، وتجرّى بجانبها ساقية ري (جمّ شريعة) وتتفرع هذه من نهر الدجيل . وتسمى الحقول التي تقع شمالّي ضَبيعة ابو شنّه ، وهي ملك عشيرة الرفَيْعات من قبيلة المجمع . وتملك هذه العشيرة المنطقة الممتدة حتى نهر الدجيل . وتتكون عشيرة المجمّع من البيوت الآتية :

الرّفيعات	الجسّات
الطعَيْمة	الغَضيب
العويسات	العنَديّة

ويملك السوامرة اي سكان سامرّاء ، الأراضي الواقعة حول خرائب الاصطبلات . وفي ٤٥ ر ٥ وصلنا الى شجرات العسل : وهي مجموعة من نحو عشرين شجرة كبيرة يزعمون انها زرعت هنا بأمر الخليفة المأمون . وازهارها كبيرة نوعاً ما صفراء كصفرة الليمون وهي تشبه بشكل اوراقها ونموّها اشجار (المشملة)(١) وقد أكد لنا دليلنا التركي ان هذه الشجرات مقدسة ويحرم

(١) المشملة ـ شجر من الفصيلة الوردية او ثمره . .

قطع غصن او عود منها ؛ لذلك لم استطع الحصول حتى على عسلوج فيه بعض الازهار لكي أضمّه الى مجموعتي النباتية . وفي ٢٥ ر ٦ عبرنا نهــر ابو درج القديم ويبدأ عند قرية جسر حَرْبى(٧٧) الى الشمال ، وينتهي عند مستنقعات الهور شماليّ عقرقوف ، ثم ظهرت الى شمال — الشمال الغربي ربوة ضريح ابو المحاسن بلونها الأبيض .

وفي ٤٠ ر ٦ ظهر للعيان الأقيرن في جنــوب — الجنوب الغربي ، وبالقرب منه خرائب ابو عوسجه وفي غرب — الجنوب الغربي : تل بياض . وأمضينا ساعة من الوقت بين ١٠ ر ٧ الى ١٠ ر ٨ في رفع الماء من الآبار الضحلة القريبة من خرائب السعْلوّة . وكانت خرائب تلّ بياض الى الجنوب الشرقي في الساعة ٥٠ر٨ ؛ وتكون هذه تلاً مستطيلاً مائدي الشكل يبلغ علوه نحو عشرة أمتار ، ويقع عند الحدّ الغربي من السهــل الفيضي . والى الغرب ظهرت مرتفعات ردايف المتموجة تقطعها اودية عريضة قليلة العمق . وفي الساعة التاسعة عبرنا سدّ الفرحاتية القديم ، الممتد من الشمال الى الجنوب حتى يصل هور ابو العويجيلة على مقربة من تّل بياض . ويزيد عرضه على عشرين مترا أما ارتفاعه فيبلغ خمسة امتار . وقد لفت دليلنا نظري الى بئر عقلة الدريجة الصغيرة جنوباً والى بئر فأج ابو عصافير شمالاً .

---

(٧٧) ويذكر ابن الأثير ، التاريخ (ديسلان) ؛ ص ٢٢٢ ، انه في عام ١١٥٨م انضمت جيوش الامير محمد ، ابن السلطان محمود ، الى جيوش الاتابك قطب الدين ، حاكم الموصل ، في منطقة حرباء ، وبعد ذلك زحفوا على بغــداد .

ووصل ابن بطوطة (التحفة [دفريميري وسانكونيتي] ، م٢ ، ص٢٣٢) في اثناء رحلته من بغداد متوجهاً الى الموصل ، الى محطة على نهر الدجيل الذي يتفرع من دجلة ، ويروي قرى كثيرة . وبعد يومين آخرين بلغ بلدة حربى الكبيرة الواقعة وسط حقول خصبة واسعة . ومن هناك وصــل في اليوم نفســه الى قرية مبنية على نهر دجلة بالقرب من قصر المعشوق ، وبعد مسيرة طويلة بلغ مدينة تكريت .

يؤكد ابو الفضائل ، المراصد (يوينبول) ، م ١ ص ٢٩٥ ، ان حربى هي بلدة صغيرة في القسم الاعلى من منطقة الدجيل بين بغداد وتكريت . وتصنع فيها منسوجات قطنية خشنة ، تباع في نطاق واسع من تلك الانحاء .

وحوالي ١٠ ر ٩ بدأت، جمالنا ترعى النباتات المألوفة في الصحراء ، التي دخلناها فيها الان . وفي ٢٥ ر٩ رأينا في الشمال ربوات المطبّق التي يخترقها ممرّ ثنيّة الشطيط ، وفي الشعيّب المجاور لهذا الممرّ يوجد غدير يحمل نفس الاسم . وظهرت امامنا عقلة نفاخ ، والى الجنوب الغربي بئر ابو عظام ، وبئر الغردقية الى الجنوب الغربي منها .

ان الأقليم الذي كنا نقطعه الآن يشبه منتزهاً عظيماً ، فالمرتفعات المتموجة تغطيها انواع مختلفة من النباتات الحولية والدائمة . وفي السهول تتعاقب بساتين السّدر مع مروج نضرة إتخذتها القطا مكامن لبناء اعشاشها . وهذه من الكثرة بحيث تعد بالآلاف . إذ لا تعدّ شجيرتين الا لتجد تحت الثالثة منها حفرة قليلة العمق حفرتها هذه الطيور ووضعت فيها ثلاث بيضات ، لا يزيد حجم الواحدة منها عن حجم البندقة كثيراً . ويضرب لون هذه البيوض الى الخضرة تنتظمها نقاط سمراء اللون . ولم نرَ في اي مكان طيراً منها حاضناً بيضته ، وعندما كنا نفاجيء بعضهـا احياناً لا نصادف الا قطاةً كانت تضع بيضها في تلك اللحظة . وشاهدنا بعض الاروال ايضاً في البقع التي يتكاثف فيها نمو الحشائش ،

وفي ٤٠ر١٠ كانت عقلة نفّاخ نحو كيلومتر واحد الى الجنوب منا ، والى جنوب ـ الجنوب الغربي منها عقلة ابو عظام .

ومن ٤٨ر١٠ الى ٠٠ر١٢ كان موعدَ غدائنا . وفي ٤٠ر١ بعد الظهر وصلنا الى عقلة أبو كُوزة ، وفي جنوبها تقع بئر أبو ظهير ، وفي شمالها : بئر عنيق . وفي ١٨ر٢ عبرنا سدّاً عالياً (جالي او جالو) ، وهو السدّ الذي سبق ان تبعناه في ١٠ ايار سنة ١٩١٢ (٧٨) . . وفي الساعة الثالثة هبّت ريح شديدة من الغرب . وفي ٠٤ر٣ اشار لي الدليل الى عقلة ابو شرّاطة ، وكانت تقع على بعد ثلاثة كيلومترات تقريباً الى الجنوب منا وفي ٢٠ر٣ كان على يميننا جايب (قليب) الابيض ، حيث كان اربعة جنود هاربين يحاولون الاختباء في تلك اللحظة خلف

---

(٧٨) راجع ماسبق ، ص ٤٩ .

بعض اشجار السدر . ولما أبدى الدرك رغبة في اعتقالهم ، اعترضت ، مبيناً لهم ان واجبهم ينحصر في حمايتي وليس في مطاردة الهاربين من الجندية ، وهكذا كُتب لهؤلاء المساكين النجاة الى أمد قصير . . ورأينا الى الشمال ربوة وعليها ركام ضريح ابو حجيره . وتسمى المنطقة الواقعة الى الغرب منه الشنانات لان الشنان ينمو بكثرة هناك . وفي ٤٤ر٤ خيّمنا بقرب مخيم لعشيرة من عشائر الدليم حصلنا منها على دليل جديد . وعلى مسافة اربعة كيلومترات تقريباً الى جنوبيّ المخيم كان موضع ماء البراغيث ، وتقع على بُعد ستة كيلومترات من ناحية الشمال الشرقي عقلة أم شنينة .

سهل الشنانات الى ام رحل

في ٤ أيار سنة ١٩١٥ خرجنا في الساعة ٤٠ر٤ صباحاً متجهين الى الغرب في سهل الشنانات المتموج الحصوي ، وفي الساعة السادسة كانت بئر الحديدي على يميننا . وواصلنا طريقنا على مرتفع (مرقب الطيور) ، الذي يهبط جنوباً الى واد تقع فيه آبار : الوشيل ، الغريبي ، واللُبّاد . وشاهدنا هنا وهناك ملحاً صخريا وطبقات من الجبس . وتركنا جمالنا ترعى من ٢٥ر٧ الى ٠٠ر٨ . . وفي الساعة ٤٠ر٨ ارتفعت في الشمال هضيبات قويرات الغزلاني بسطوحها المنبسطة ، يتعرج بينها شعب الشدرة . وفي الساعة ٤٠ ر ٩ بيّن لنا الدليل من ناحية جنوب — الجنوب الشرقي تلاً عاليا مائدي الشكل ، احمر اللون هو تل المدرّة الذي تقع الى الشمال الشرقي منه ، عقلة القطبة . وفي ٢٠ر١٠ رأينا الى الجنوب الغربي ، والغرب ، والشمال الغربي جال حافة الرخيمي الشديد الأنحدار الذي تبرز منها طبقات صخرية تضرب ألوانها الى الحمرة والصفرة. ولتحاشي ذلك انعطفنا الى جهة الشمال الغربي ومررنا خلال شعب الجديّدة الصغير . ومن ٢٥ ر ١١ الى ٠٠ ر ١ بقينا في شعب الهبي ، وهو شعب عميق تغطية حشائش كثيفة . وفي ٢٥ ر ١ بعد الظهر وصلنا الى برك من مياه المطر في شعب الشدرة حيث توجد ايضا ، على مسافة أبعد شمالاً : آبار خمّاش ، والشيوخ ، والأبطح . وفي الساعة الثانية لمحنا من ناحية شمال — الشمالي الغربيّ

في أجراف ابو نخلة الاخدود الذي تقع فيه مياه السدّة . وشاهدنا في غرب — الشمال الغربي تلال الحصيبي الصغيرة ، وترتفع الى شمالها وديان الحصّابيات . وفي ١٠ر٢ رأينا القسم الغربي من وادي الثرثار وهو بقعة مستوية رمادية اللون تنحدر انحداراً معتدلاً نحو الغرب ، تقطعها اخاديد واسعة ، وتطلّ عليها هضيبات منبسطة السطح ، وارتفعت فوق سطح الهضبة نحو الغرب مباشرة تقريباً بعض التلال المسماة قرت المعسّم . رتقع هذه على خط تقسيم المياه بين الفرات والثرثار . والى الجنوب الشرقي من هذه التلال يتبع خطُ تقسيم المياه هضيبات العويسجي ، والنويقطات ، والمهمات ، وقويرات غمر ، والريخيميات . وأبرزها جميعاً قويرات عمر ، ويقال انه لا يزال على سطحها بعض بقايا قلعة ما . وفي الشمال الغربي من المعسّم تقع آبار الغزيّل ، والمويجيبة ، والمغيزل . وعند الاولى منها ينتهي شعب ابو ثية الذي ينبع عند بئر ابو زويجة في الشمال ؛ وعند الثانية : شعب المويجيبة الذي يمتد من بئر أم طبوق . وفي الجنوب الغربي من المغيزل توجد بئر ابو صفيحة ، وفي جنوب الجنوب الغربي بئر ابو رمّانة . وفي شرقي ام طبوق ، عند بئر ابو تريجية . يبدأ شعب ابو تريجية ، وهو فرع من شعب ابو سماج الذي ينتهي في الثرثار .

ان مرتفعات الشطيحيّة ، التي تقع بئر عقلة الدّقوقي على نهايتها الشرقية ، تفصل ابو تريجية عن شعب ام الطبول . ويمتد الى الجنوب من ذلك شعب ابو شنينة الذي يقع بالقرب منه ماء حليويّة مرزوق . وأبعد من ذلك جنوباً يقع شعب الاعوج الذي ينحدر اعظم فروعه من قرت المعسّم ، بينما يأتي فرعان أقصر من ذلك من العويسجي والنويقطات . وتقع في الفرع الاكبر عقلة المركده. وتقع على خط تقسيم المياه فيما وراء هُضَيبات النويقطات آبار السلطانيات ، الطويل ، وابو صفّي . وتخرج عين الارنب من يسار الثرثار والى الشرق من بئر ابو تريجية مباشرة . وتقع في جنوبيّها الآبار الآتية على التوالي : عين الفرس وآبار المنبطح ، والقريدة ، وام الحيايا ، وترتبط هذه كلّها بالثرثار عن طريق أخاديد قصيرة .

في ١٥ر٤ دخلنا شعب الحَمَر ، وفي ٣٥ر٥ عبرنا الطريق المسمّى درب ام الحيايا ، وفي الساعة السادسة خيّمنا بجانب الثرثار في سهل فيضة فرحان ، حيث كانت تخيم آنذاك البوحازم وهي عشيرة من قبيلة الدليم ، ثم حدّدنا خط العرض ، وأخذنا في البحث عن دليل جديد . وتخيم قبيلة الدليم على ضفتي نهر الفرات على السواء ، في المنطقة الممتدة من الفحيمي الى الانبار . ومن بين عشائرها سجلت ما يلي :

البو محل		البو صقر
البوعَسَاف		المحامدة
البو جليب (كليب)		المَصَالحة
البو خليفة		البو عبيد
البوذياب : عائلتان	الحردان	
	الشلاّل	
		الملاحمة
البو فهد		الجمْيلَة
البو غنام		البو عيسى
العَلَيّ جاسم		الحلابسة
البو نمر		البوحيّات
البو حازم		
البوعلوان		الجغايفة
		البو مرعي

ويترأس العشائر على الضفة اليمنى علي السلمان البكر من البو عَسَاف . ويملك أراضي كثيرة في المنطقة المجاورة للرمادي ، وعلى الضفة اليسرى كان الشيخ الفعليّ نجرس بن قعود ، ولكن بعد سجنه اعلنت رئاسة حردان العُوَيْثة (أو العَيْثة) من البو ذياب .

منخفض ام رحـل

٥ أيار سنة ١٩١٥ . . في الساعة ٤٥ر٤ صباحاً خرجنا مع دليليّنا ، القديم والجديد متجهين الى جنوب ــ الجنوب الشرقي . وفي ١٠ر٥ توقفنا لرسم خارطة مجملة المنطقة المحيطة بالمجرى الادنى لنهر الثرثار ، الذي يخترق سهل فيضة فرحان الفسيح ، وتكثر على الجانبين الشرقي والغربي باتجـــاه هذا السهل جبال وتـــلال منبسطة القمم . وهي بقـــايا سطح هضبـــة نخرتهـــا عوامل التعرية تنحدر سفوحها انحداراً تدريجياً . وفي ٢٠ر٥ ارتقينا مرتفعاً يقع الى الشرق استطعنا ان نُطلّ منه على جميع انحاء منخفض بيضي الشكل تنصب فيه مياه الثرثار . وأخذ هذا المنخفض يتكشف بصورة بطيئة من نقاب أبخرة كثيفة ، وظهر في وسط خضرة زاهية غنيّة ، محاطاً بحافة شديدة الانحدار وردية اللون وتحول تدريجياً الى سهل واسع بيضيّ الشكل ، يرتفع من وسطه الى الشمال والجنوب ، تسدّه حافة ثانية بيضاء اعلى من الاولى . وتوجد بحيرة مالحة ، على قاع هذا المنخفض تهبط حوالي ٥٠ متراً عن مستوى البحر تسمى الملح أو أم رَحَلْ . ويقطع هذه الحواف والسهل على السواء اخاديد عديدة تحمل مياه السيح من الجنوب والشمال الى المنخفض. وفي الساعة السابعة وقفنا لرسم خارطة .

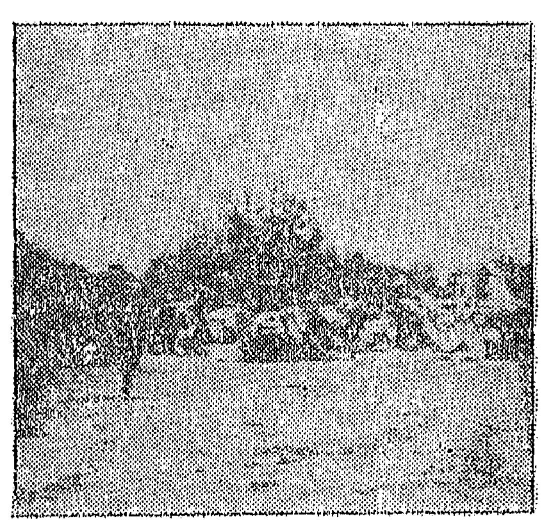
وعندما إمتحنّا دليلنا الجديد في أسماء مختلف التلال والوديان تبين سريعاً نقص معلوماته بهذا الصدد . لهذا فاني اعفيته فوراً وارسلت أحد الدرك مع الدليل القديم الى شعب الجِدَيدة حيث كانت تخيم عشيرة البوعبيد من قبيلة الدليم ، لإحضار دليل آخر . وتسكن هذه العشيرة بجانب بحيرة الملح طول العام لاستحصال الملح منها . وقد اخبرنا الدليل القديم ، وهو من عشيرة البوذياب الذين يملكون سفوح هضبة راديف الصخرية التي تحفّ بالسهل الفيضي الممتد بين الصقلاوية وسامرّاء ، عن مختلف الاماكن في شرق البحيرة وفي شمالها الشرقي . ولم يعـــد الدليل والدركي حتى الساعة العاشرة ، لكنهما أتيا بدليل لم تتنـــاقض أقـــواله مطلقاً ، وكان ، بكل تأكيـــد على معرفة تامة بالمنطقة المجـــاورة كلهـــا .

والى شمال قويرات عمر وشرقي قور المهمات أمكن رؤية سهل سلابة الذي ينحدر على شكل مدرجات نحو الشرق ، ومنه تخرج شعاب ام دلى ، وابو سبعه ، وابو بيشة — وفي كلّ واحد منها بئر (عقلة) تحمل نفس الاسم — متبعة طريقاً متعرجاً الى بحيرة الملح . وتقع في جنوب قويرات عمر بئر — القوّارة ، التي ينحدر منها شعب الخنيزير الى البحيرة ، وفي شرق الرخيميات توجد آبار الخَفّي ، والمنزّل وابو عرجايه . وهنا أيضا نجد رأس شعب الغرابة ، ودشت نايفه . حتى اذا بعدنا الى الجنوب الشرقي امكن رؤية جال (حافة) طار المزابد ، وينفتح الى الإسفل منها شعيب الحَمَر والناعيري ، ودشت الرديني ، وابو حصى ، وينتهي الأخير عند الحافة الجنوبية للبحيرة .

وبعد الانتهاء من رسم الخطوط الاولية للخارطة غادرنا الساعة ٥٣ ر ١١ سائرين على امتداد ضفاف البحيرة . وفي ٢٥ ر ١٢ بعد الظهر كان الى يميننا منهل (بحات شراب) . وشاهدنا الى يسارنا شمالي البحيرة طبقة تراب احمر يبلغ سمكه نحو ٢٠ متراً ، تتخلله اشرطة افقية من الملح تستقر على قاعدة صخرية . وفي ٣٠ ر ١ عبرنا شعب الحليوات ، وفي ١٥ ر ٢ استرحنا في شعب الابيتر بجانب بئرين منخفضتين (عقلتين) بين شجيرات كثيفة من الغضا (شكل ٤٢) ، والظاهر ان اوراقها كانت تلائم ذوق جمالنا كثيراً . وارتقينا اقرب مرتفع لرسم خارطة اخرى للمنطقة المجاورة ، وفي المساء حددنا خط العرض . وداهمتنا في الليل عاصفة رملية من جهة الغرب ، وسقط المطر في منتصف الليل لمدة نصف ساعة تقريباً .

وفي ٦ أيار سنة ١٩١٥ ، بدأنا السير في الساعة ٠٩ ر ٥ صباحاً ، وواصلنا الرحلة خلال سهل منبسط مغطّى برمل ورديّ اللون ، وقد نبتت فيه اجمات هائلة من شجيرات الغضا ، وقد أزال المطر طبقات الملح والرمل الرمادية اللون التي كانت تغطي اشواك هذه الشجيرات ، ولهذا فانها كادت تعمينا بخضرتها الزاهية . وارتفعت فوق السهل تلال قبابية صغيرة منفردة ، قريبة الشبه بالاضرحة الكبيرة في المقابر القديمة . وأشرقت البحيرة بلونها الازرق الصافي ، فيما كانت الحافات

الجنوبية الشديدة الانحدار ملتفة بنقاب ورديّ . وسمح الهواء بعد ان أزال المطر شوائبه واعاد اليه نقاوته ، برؤية واضحة جداً . وكانت النهاية الشمالية للبحيرة مسدودة من ناحية الغرب بثلاث حافات شديدة الانحـــدار ترتفع الواحدة وراء الأخرى . وتختفي الحافة الوسطى . سلابة ، بعد ان تساير امتداد البحيرة الى ثلث مسافتها . ولكنها تعود للظهور على بعد عشرة كيلو مترات تقريباً الى الجنوب مكوّنة طار المزابد . اما الحافة (الجال) الثالثة ، وهي اعلاها ، فانها تختفي الى الجنوب ايضاً ؛ بينما ترتفع اوطأ هذه الحافات بطريقة تكون فيها جداراً عاليا عند الطرف الجنوبي من البحيرة . وتوجد على الجانب الشرقي ثلاث حافات او مدرجات فوق الطرف الشمالي من البحيرة ، ولكن لايبقى في جنوب هضبة المدرّة الا اثنان فقط . ويتقطع القسم الشمالي الغربي من المضبة ، التي تكوّن حافتُها أعلى جدار في شرقيّ البحيرة ، الى تلال منبسطة القمّة . وتتكون كل السفوح المشرفة على المنخفض من جبس وملح صخري يـمدّ البحيرة بالملح حتى يقال ان طبقة ملح نقي ترسبت بها يبلغ سمكها اكثر من مترين .

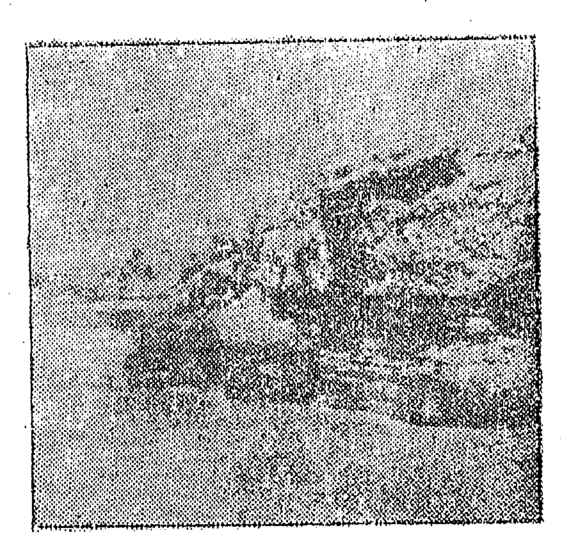


(شكل ٤٢ — في الابيتر ، شجيرات — غضا في الخاف)

وفي ٣٠ر٦ رأينا على اليسار شجيرات، آبار عقل الحلوات . وفي ١٠ر٧ عبرنا شعب الجردانيات الاول ويمتد عند نهايته الشرقية — الجنوبية الشرقية نتوءان جبليان تنحدر جوانبهما الواطئة بصورة عمودية تقريباً ، الى داخل البحيرة من الجنوب . تدل كثرة الدروب التي تؤدي الى هذين الأخيرين على انها تصلح مواضع لجمع الملح . وظلت جمالنا ترعى من ٢٣ر٧ الى ٤٣ر٧ . ووجدت في تربة الشِعَيْب الخِصبة نبتــة شعير فيها عشرون سنبلة ، في كل سنبلة خمس وسبعون الى اربع وثمانين حبّة . وفي ١٦ر٩ شاهدنا من ناحية الجنوب على سفح فوق البحيرة حافة صخرية تتكوّن من اضلاع عمودية . وأخذت الريح تهب الآن من غرب — الشمال الغربي ، وفي ٥٠ر٩ عبرنا شعب المحبّش وكانت البحيرة الغربية تلمع كأنها مرآة . وفي ٢٠ ر١٠ رأينا الى جنوب — الجنوب الغربي شعب النعيري يغيب في منطقة مرتفعة ، وفي ١٥ ر١١ كانت حافة الرواسب الملحية الجنوبية تقع الى الغرب منا مباشرة (شكل ٤٣) ، بينما كان تّل الدوير يقع الى الشرق منا . وفي ٤٠ ر١١ مررنا الى اليمين بنهاية شعب النويقيد الذي يتحد بشعب القطّارة . ومن ٤٦ ر١١ الى ١٠ ر١ بعد الظهر أخذنا قسطنا من الراحة . وفي ٤٠ ر١ ظهرت الى جهة غرب — الجنوب الغربي منا حافة طار المزابد الشديدة الانحدار التي تقع فيها بداية شعب النعيري . وكان على يميننا شعب البُخُزْ ، او على حدّ تعبير دليلنا : ابو خروص .

في ٢٠ ر٢ مررنا بآبار (بيارأبو خُصّن) ومياهها عذبة جيدة . وفي ٣٠ر٢ وصلنــا الى السكــة (وتعني الطــريق السهــل المطــروق) المــؤدية من الفرات الى النتوءات الصغيرة التي تمتد الى داخل البحيرة ، وقد سبق ان ذكرنا أنها أيسر مكان لجمع الملح . وتمثل الحافات التي تسدّ بحيرة الملح من الغرب ، كما ترى من الموضع الذي نفذنا منه الى الطريق ، سلسلة عالية . وفي ١٠ر٣ صعدنا الى سطح هضبة الرفَيْعي وقد ادت عوامل التعرية التي تعرض لهــا هذا السطح الى تكون المنخفض الذي تقع فيه بحيرة الملح . والهضبة ذات لون ابيض مُغْبرّ ،

ينمو نبات السمع بضـورة كثيفة في الاقسام الواطئة منها ، وتغطيها طبقة من الحصى . وبعد مغادرتنا طريق ملح السكّة انعطفنا شرقاً وألقينا نظرة أخيرة على البحيرة ، وقد تألقت كما لو كانت مليئة بالبلّور . ورعت الجمال من ١٨ر٣



(شكل ٤٣ ـ الطرف الجنوبي لأم رحل)

الى ٤٨ر٣ . وفي الساعة ٢٥ر٤ كان في جنوب ـ الجنوب الشرقي منا (قليب طرّاح) وسط مرج متّسع ، والى الغرب منه تلال تويم . وفي ٢٨ر٥ اتجهنا نحو مخيّم عشيرة البوصقر من قبيلة الدليم وقد سبق ان رأيناه الى الشمال الشرقي . وفي ٠٨ر٦ تجلت لابصـارنا ثلاث ربوات أضرحة ناصعة البياض الى جنوب ـ الجنوب الشرقي منا ، والى شمـالها تقع بئر الطريفاوي . وفي ٣٥ر٦ نصبنا الخيام ، ولكن ما لبثنا الا قليلاً حتى احاط بنا الدليم وارادوا فحص امتعتنا وسروجنا . وما كان منهم الا ان ضحكوا ساخرين من رجال الدرك ، وأزعجونا بكلّ وسيلة ممكنة ، ولم نستطعْ ان نحملهم على العدول عن ذلك ولم يتركونا الاّ بعد ان اعلنت لهم انني سأروي في كل قرية أمرّ بها على الضفة اليسرى من الفرات ، كيف يعامل البوصقر ضيوفهم المتعبين ، عندئذ غادرنا الرجال المسنّون اولاً وسار على إثرهم الشباب منهم .

الفصل الحادي عشر
الثرثار الى الخابور بمحاذاة الفرات
ام رحل الى خان المشاهدة

في ٧ آيار سنة ١٩١٥ ، بدأنا رحلتنا في الساعة ٤٫٥٦ صباحاً متجهين الى الشرق . وفي ٥٫٠٥ كانت بئر الطريفاوي على يميننا . وفي الساعة السادسة كانت آبار غضيبوي ، وحليج (حَلْق) الذيب، والغردقية الى الشمال منا ، وفي ٦٫٥٣ عبرنا سداً قديماً بالقرب من بئر ختنفسان . وفي ٧٫١٣ اخترقنا بعض المسالك المؤدية شمالاً الى بئر حليج الذيب القليلة العمق . والى الجنوب اشار دليلنا الى مرتفعات عكّاز ، وفي شمالها آبار الخسيفات ، والى الجنوب آبار عَلية البنات والشهاب . ورعت الجمال من ٧٫٤٠ الى ٨٫٠٧ . وفي ٨٫٢٠ كانت بئر الحصيني تقع الى الجنوب منا ، وفي ٩٫٤٧ عبرنا ثانية ذلك السدّ الكبير القديم (جالو أو جالي) الذي سبق ان عبرناه في موضع ابعد الى الشمال منذ اربعة ايام (٧٩) . ويبلغ ارتفاع هذا السد هنا ثلاثة امتار تقريباً ، وعرضه اربعة وعشرون متراً . وينعطف هذا السد نحو الشمال الشرقي باتجاه خرائب بياض ، ثم يسير شمالاً الى دجلة . وكان فيما مضى يفصل المنطقة الزراعية عن الصحـــراء . والظاهر انه كان يوماً ما معززاً بتحصينات شبه دائرية ، ويدل على ذلك وجـــود اجزاء منبعجة على كلا الجانبين . وأرانا الدليل في الشمال الشرقي ، غربيّ الجالو ، آبار بكر ، والسبعة ، والى شماليّ الأخير : بئر الغردقية . وفي ١٠٫٢٠ كانت بئر القُصَيبة الى الجنوب منا ، والى الشمال الغربي منها بئر الخنيفره . والى الشمال الشرقي من الأخيرة بئر الرشراش . وفي ١١٫٢٠ سرنا على فرع من السدّ القديم الذي يمتد من شمال

(٧٩) راجع ماسبق ، ص ١٣٤ .

الشمال الغربي الى جنوب — الجنوب الشرقي . وكان العرفج ينمو بكثرة في هذا المكان خاصة . واسترحنا من ١١٫٣٨ صباحاً الى ١٫٥٥ بعد الظهر بالقرب من بئر الصبحي . وفي ٢٫١٥ كانت عين البقرة تقع الى الجنـــوب الشرقي ، ومنهل النخيلة الى الشمال ، وأمامنا منهل القـَضيـّة . وفي ٢٫٢٠ عبرنا درب الغضا الذي يؤدي من بغداد ، ماراً خلال وادي الثرثار ، الى مدينة الحـَضـَر الاولى . وفي ٣٫٤٠ كانت بئر المغيران الى شمال — الشمال الشرقيّ منا ، والى شمالها بئر الورّان ، حتى اذا بعدنا الى الشمال الشرقي كانت بئر شنّاعه ؛ وفي ٣٫٥٠ كانت الى يسارنا بئر القـَضيـّة .

من ٣٫٥٥ الى ٤٫١٥ رعـَتْ جمالنا على الحافة الغربية من وادٍ كبير يسمى عبّ ابو ثوب حيث يمكن زراعة النخيـــل . وبعـــد ان انعطفنا الى الجنوب الشرقيّ في الساعة الخامسة ، شاهدنا ، بعد عشرين دقيقة ، في جنوب — الجنوب الغربي عند نهـــاية الوادي خرائب الحمـــرة الكبيرة . وفي ٥٫٢٥ عبرنا نهـــراً قديماً عريضاً يتجه من الشمال الى الجنوب . وفي الساعة السادسة رأينا من جهة الشرق على مسافة كيلومترين ونصف تقريباً خرائبَ الدير الواسعة النطاق ، تكوّن مستطيلاً هائلاً ، يرتفع في شمالها تلٌ صغير . وظهرت الى شمال — الشمال الغربي من الدير خرائب المشرّخات . والى الشرق خرائب البطاويات . وفي ٦٫٢٢ أقمنا الخيام للمبيت بحذاء مخيم بني زيد والجميلة ، وكلاهما ينتسب الى قحطان ، ولكنهما انضمـّا الى عشيرة البو صـَقـْر من قبيلة الدليم .

في ٨ أيار سنة ١٩١٥ ارتحلنا في الساعة ٤٫٤٧ صباحاً الى شرق — الجنوب الشرقي . وعلى يميننا امكن رؤية قبر شلاش بن جربـّا بلونـه الابيض ، الذي كان يوماً ما شيخَ قبيلة شمر التي تخيم في اقليم مابين النهرين . وفي ٥٫١٠ لمحنا الى الجنوب تألـّق زخارف مرقد بنات الحسن ، والى الجنوب الشرقي سبعة أشن (أو ربوات الخرائب السبع) ، وفيما وراء الأخيرة خرائب الضبعة المستطيلة الشكل . وفي ٦٫٤٥ كانت سبعة أشـَنْ الى الجنوب الغربي . وربوة خرائب مسعود الكبيرة الى الشمال منا تقريباً . وعبرنا نهراً قديماً في الساعة ٧٫٣٥ ، ثم عبرناه مرة اخرى في

٧٫٤٥ ، وعبرنا في ٧٫٥٨ درب الكَلَك الذي يمتد من الكاظمين الى السُمَيْكة . وهذا الطريق لا يستخدم في فصل الامطار ، ولكن ، يُرجّح عليه ، الطريق العام الذي يمرّ بازاء خان المشاهدة . رعت جمالنا من ٨٫١٨ الى ٨٫٤٦ ، وفي الساعة ٩٫٤٤ وصلنا الى خان المشاهدة ، وأقمنا خيامنا خارجه . وهنا وجدنا ناصراً والخيام ، وحوائجنا والجمال التي سبق ان تركناها في ٢ أيار . وأكملنا خلال النهار مذكراتنا الخاصة بالخرائط ، وفي الليل حدّدنا خطّ العرض .

خان المشاهدة الوشاش

في ٩ أيار سنة ١٩١٥ ارتحلنا في الساعة ٤٫٤٥ صباحاً متجهين الى الجنوب الغربي خلال اطلال الخريبة . وكان على يميننا هور بقوع . وفي ٥٫٢٠ اخترقنا خرائب الأحمدي ثم عبرنا في ٥٫٤٥ نهـــراً قديماً ، وفي ٥٫٥١ عبرنا درب الكلك . وفي ٦٫٣٠ كانت خرائب الضبعة الواسعة الى جنوب ــ الجنوب الشرقي منّا . وفي ٦٫٤٥ انعطفنا الى جنوب ــ الجنوب الغربي . وظهرت لنا ، في ٦٫٥٥ من ناحية الجنوب خربةُ الطاقية التي تشبه قبعةً عالية . والى الجنوب منها تقع تقـــع خربة الزواغير . وفي الســـاعة ٧٫١٠ وصلنـــا الى خرائب السطيح ، وتركنا جمالنا ترعى من ٧٫١٨ الى ٧٫٤١ ثم انعطفنا الى الجنوب الغربي للحصول على دليل في احد مخيمات بني تميم التي تقع في ذلك الاتجاه . وكان امام كل خيمة من خيام بني تميم كومة من الجبس الابيض وظهر على يسارنا غدير الحصان ، وما وراءه هور ابو العوبجيلة . وفي ٨٫٣٠ ظهر تلُ القَرعة الى الشمال . وفي ٨٫٤٥ كانت ركامات خرائب السُّمُر في الشمال ، وقبّةُ مرقد بنات الحسن في الجنوب الغربي ، وتلُّ غريب في الشمال الغربي منا . وكنا نخترق الآن سهلاً غِرْيَنياً خصباً ، وكانت كلّ الظواهر تدلّ على انه يصلح لزراعة القطن . وفي ٩٫٢٥ مررنا خلال مخيمُ اللهيب وهم عشيرة من عشائر قبيلة زبيد . وكان علينا هنا الانعطاف الى غرب الشمال الغربي للألتفاف حول هور الحمرة . وكانت تهبُّ منه ريح غربية شديدة تدفع الماء شرقاً على السهل المنبسط مسافة

خمسمائة متر . وفي ١٥ر١ رأينا جزيرة المجصّة الصغيرة الى جنوب ــ الجنوب الشرقي . وتتكون هذه الجزيرة من ربوة بيضاء واطئة على الأكثر تنحدر بدرجة اكثر حادة نحو الغرب والشمال الغربي ؛ وهنا يستخرج بنو تميم جبساً يبيعونه في الكاظمين وبغداد . والى الجنوب الغربي ظهر تلُّ أبو رويس فوق الافق .

ترجع قبيلة زبيد الى بني تميم ، وقد سجلت من عشائرها ما يأتي :

البطّــة : بين خان ابو طنطور وبغداد شماليّ الطريق العام ؛

القرغول : بجانب الضفة اليسرى من جدول اللطيفية ؛

الجنابيون : على ضفتي الفرات بين ابو الفياض والرّويّعية ؛

البوسوده : يخيمون مع زوبع .

ابو صقر : بين المطبق وعقرقوف .

اللهيب : بقرب نيشان القسّاوي .

استرحنا من الساعة ٢٠ر١١ الى ٥٠ر١٢ بعد الظهر عند سدّ مرتفع ، يمتد من جنوب ــ الجنوب الشرقي الى شمال ــ الشمال الغربي ، في الشرق من ابو رويس ، وهو قلعة حدودية قديمة . ويبلغ عرض هذا السد عند قاعدته نحو خمسة واربعين متراً وفي ١٠ر١ سرنا في شعيب الثريثير الضحل الذي يأتي من مرتفع يحمل هذا الاسم كذلك . ورأينا الى الجنوب الغربي بئر ابو طبق ، الذي يكاد يقع تماماً الى غرب خــرائب المقيّد الكبيرة . وظهر الى الشرق نهر قديم عريض يأتي من الجنوب . وفي ٢٥ر١ تراءى لنا تلّ ابو جلب (كلب) المنفرد الى شمال ــ الشمال الغربي ؛ والى الاسفل منه تقع بئر تسمى بالاسم نفسه . والى الشمال الغربي وراء ذلك يقع بئر الكيفيات .

وكانت أول وقفة لنا بعد الساعة ١٥ر٢ عند تلّ المقيّد .

وكان هذا فيما سبق موضعاً لمدينة محاطة بسور بيضي الشكل . وفي ٣٨ر٢ انعطفنا الى الجنوب بمحاذاة السدّ الى مخيّم اللهيب ، حيث رغبنا في شراء شعيــر لافراس الدرك الذين معنــا . ومن ٠٨ر٣ الى ٣٤ر٣ رعت جمالنا بقرب

بئر جقّال ؛ وفي الوقت نفسه كنّا نقف على سدّ آخر يزيد عرضه على خمسة وسبعين متراً ويمتد الى جنوب — الجنوب الشرقي ، ورسمنا من اعلاه خريطة للمنطقة المجاورة . وكان بالامكان أن نرى من ناحية الشرق مرقد بنات الحسن ، وهو ضريح أبيض اللون أصغر حجماً يقع في الناحية الشرقية . والى شرق — الشمال الشرقي توجد ربوة قبر عبدالله ؛ والى الجنوب ربوتا قبر الأخيين وقبر النمراوي ، وتليهما ربوات خرائب الطّيبة ، والعقلة ، وبياض المقيّر ، والأشهبي . وعند الخرائب الأخيرة يخرج من نهـــر القرمة فرعٌ يسمى الدّواية متجهاً الى بنات الحسن . وتقع بين النهـــر الرئيس وفرعه خرائب المقيّر والعقلة . وفي ١٥ر٥ خيّمنا عند آبار القسّاوي .

وفي ١٠ ايار سنة ١٩١٥ ، واصلنا السفر في الساعة ٤٣ر٤ صباحاً خلال سهل متموج ينحدر بالتدريج الى الجنوب الغربي . وفي الساعة الخامسة رأينا الى الجنوب الغربي تلّ أم العشُوش ؛ والى الوراء منه تلّ جَسَّم ، الى الجنوب الشرقي ، والى اليسار من خرائب إيشان المهيدي والشمال الشرقي من إيشان الرحيلة تقع ربوة ضريح سيدنا ابراهيم ؛والى الشرق ربوة قبر مهنّا . وقد حجبت الأفق من الجهة الشمالية ، والشمالية الغربية ، والشمالية الشرقية مرتفعات صخرية ، حيث امكن رؤية طبقات من ملح صخري تلمع في ضوء النهار . وكان ينمو في الوديان كثير من شجر السدر . وفي ٣٠ر٥ كانت الى يميننا خرائب تلّ ام العشوش ، وفي ٤٨ر٥ كان الى يسارنا تلُّ جَسَّم . ثم انعطفنا غرباً وعبرنا نهـــراً قديماً ، كان يجلب الماء من « الخُور » — هكذا كان يحلو لدليلنا جاسم بن علي من عشيرة اللهيب ان ينطق هـذه الكلمة بدلاً من « الهور » كما تنطقها القبائل التي تعيش على الضفة اليمنى من الفرات . وفي ٠٨ر٦ كانت على اليمين بيار (آبار) ام العجاريج (الضفادع) ؛ وعلى اليسار منطقة الحصيوات ، التي تملكها عشيرة الجميلة ، وفي ٤٥ر٦ ظهر تلُّ الأشهبي الى الجنوب ، في جنوبيّ القرمة (الكرمة) وهو النهر الذي يتفرع من الفرات عنـــد قرية الصقلاوية ثم يتصل بدجلة . والنهـــر الذي يجري فيه الماء دائماً هو نهـــر (حبيٌّ) ويسمى « القـرنة » ،

بينمـــا يطلقون على النهـــر الجاف او « الميّت » اسم « الرسم » ، فان كان محاطاً باكوام كبيرة من التراب سمي « الخَيط » (وجمعها : الخيوط) .

وفي غرب ــ الشمال الغربي امكن رؤية سد آخر قديم هائل الحجم (جالو) وبعد الساعة السابعة كنا نسير في وادي الخور . ومن ١٨ر٧ الى ٤٦ر٧ رَعَتْ جمالنا بالقرب من خرائب ابو صخير الواسعة . وفي ٢٥ر٨ كنّا بين خرائب العنّازي . وقد بدت لنا من جهة الجنوب بلونها الابيض الضفة الجنوبية من نهـــر القرمة (الكرمة) وفي ٢٠ر٩ رأينـــا على ضفة نهر القرمة اليمنى ومن الناحية الجنوبية ربوتين من خرائب الذيابيّات ، والى الجنوب الغربي خرائب الانبار الكبيرة ، وبالقرب منها نهر ابو سديرة القـــديم مع تل الكوخ .

من ١٥ر١٠ الى ٣٠ر١١ تناولنا الغداء بجانب آبار القليبّات الضحلة ، وهي ملك عشيرة المحامدة احدى عشائر قبيلة الدليم . ورسمنا تخطيطاً لخريطة المنطقة المجاورة من قمة مرتفع يوجد الى اسفل منه عدد من الآبار الصغيرة العميقة . واستطعنا ان نرى بوضوح من هذا المرتفع خرائبَ الانبار ، ونخيل قرية الصقلاوية . وتقع الأخيرة على الضفاف اليسرى لكلٍ من نهرالفرات ونهر القرمة . ويوجد في القرية نحو ٢٥ بيتاً . أما السفوح التي الى الشمال منا ، وتسمى الشناذةوعكان ، فيشتد انحدارها ونزداد الشعاب عمقاً كلما تقدمنا شمالا . . وفي ٣٥ر١٢ بعد الظهر وصلنا الى خرائب (الصفيّرة) بعد ان قطعنا سهل الخريجي . وقد سمّيت بهذا الاسم نسبة الى « الصفَيّرة » نبات سنوي ينمو في كل انحاء المنطقة المتموجة الحصوية المجاورة . ثم شاهدنا بين ربوة الكوخ وخرائب الانبار مئذنة بلدة الفلـــوجة ووجدنا في خرائب الانبار الواسعة ان مراقد ابو فياض والشيخ عبدالله ؛ ومسجد علي لا تزال باقية في حالة جيدة(٨٠) .

(٨٠) انظر مايلي ، الملحق الثامن عشر .

في ١٫٣٥ لاحظنا الى يميننا نهاية جالي (أو جالو) وتليه تلال الغُرّ الصغيرة ؛ والى اليسار امكننا مشاهدة بعض البساتين والبيوت بمحاذاة الفرات . كما لاقينا اثنين من المجندين الهاربين ، لاذا بالفرار عندما لمحا الدرك الذين معنا .

وعلى الضفة اليمنى من الفرات . في موضع غير بعيد من السهل الفيضي ارتفع خط أجراف شديد الانحدار . ويسمى قسمها الشرقي سن الذبّان ، والقسم الغربي المعيّد . والشيخ مسعود . وأبو نهد . ويمتدّ الاخير الى الرمادي . ويظهر صدعان في هذه الاجراف . ويرتفع على الشرقيّ منهما مخروط واطيء بعض الشيء ، وفوق الغربيّ مخروط ينحدر بدرجة حادة الى الشمال . ومن ٢٫٠٨ الى ٢٫٤٥ رسمنا خريطة المنطقة المجاورة . وفي ٣٫٢٠ ظهر على يسارنا سدّ من الصخر يبلغ علوّه نحو أربعة امتار ، تتدفق مياه الفرات من خلال ثلاث حفر فيه الى فرع يسمى الوشّاش (شكل ٤٤) . ورأينا في الحيّز الصخري المتكون فوق الجندل اثنين من الصيادين يستخدمان (الفاله) وهي حربة ذات اربع شُعَب ، (شكل ٤٥) في صيد الاسماك . ويُدعى السهل المغمور بمياه الفيضان غربيّ الجنادل بالمغَيْرة .

الوشـــاش الى الصبيب

ان فرع الوشاش يصل الى الفرات من طريق نهر القرمة ، ويتفرع هذا النهـــر نفسه من الفرات عند الصقلاوية . وتقع بين هذه القرية والوشاش مجموعة قُرًى وحقول هي الشلال ، والحويده ، وخرائب الحوز ، وقرى السرّية ، والكنعانية ، والقرطان ، والزوّية ، والفرّاج ، وخرائب ابو الفريوة .

في الساعة ٤٫٠٨ كان على يميننا غديرُ الرحله ، وفي ٤٫٢٠ كانت على يميننا خرائب الخارجيه وعلى اليسار خرائب أبو الفريوه . وجميع هذه الاماكن تقع على لسان من الارض يمكن الوصول اليها عن طريق السهل الفيضي من جهة الجنوب الشرقي . وتغمر مياه الفيضان هذا السهل في اغلب الاحيان . وفي الساعة الخامسة لاحظنا الى الغرب مجموعة خرائب إشان (ربوة) ماحرز ؛ والى الغرب منها تقع

حقول العبيدية وحقول الفرّاج الى جنوبها الشرقي . وعلى اليمين منا انفرج وادي عبدان الواسع وظهرت خرائب صغيرة تقع عند نهايته الشمالية ـ الشمالية الغربية ويجري الفرات في هذا الجزء من مجراه خلال سهل غرينيّ ويتفرع الى عدة فروع (٨١) منها الوشاش الذي يترك المجرى الرئيسي عند العبيدية .

(٨١) يقول قدامة ، الخراج (دي خوية) ، ص ٢٣٣ ان الفرات يأتي بالس ثم الرقة ثم قرقيسيا ويمر الرحبة ، ثم يمر حتى يلتف على عانة ثم يمتد على سنته ثم يمر بهيت والانبار فيتجاوزهما ، فينقسم الى قسمين منهما قسم يأخذ نحو المغرب قليلا المسمى بالعلقمي ، الى ان يصير الى الكوفة ، وقسم يستقيم ويسمى سورا حتى يمر بمدينة سورا الى النيل وما يتصل بها ، فيسقى كثيراً من اعمال السواد ويخرج من اسفل الانبار نهر يعرف بالدقيل يحمل منه نهر عيسى الذي يأخذ الى بغداد ويصب الى دجلة .

ويكتب ابن سيرابيون ، العجائب (لوسترنج) ، ص ١٠ ، ان الفرات يمر ببالس ، والرقة ، والمبارك ، ومخرج نهر سعيد ، قرقيسيا ، والرحبة، والدالية ، ويشق طريقه خلال صخور سلسلة القسوس ، ويجري حول بلدة عانة الجزرية ، ويصل آلوسا ناؤسا ، هيت والانبار ايضا ، حيث يوصل جسر عائم ، الى الكوفة اخر الامر .

ويشير المقدسي ، [احسن التقاسيم] (دي‌خويه) ، ص ١٣٨ ، « المدن الفراتية اكبرهن رحبة ابن طوق ، قرقيسيا ، عانة ، الدالية ، الحديثة » ،

ويقول الادريسي ، النزهة ، ج ٤ ، ٥ (ترجمة جوبير ، م ٢ ص ١٣٧ ومابعدها) ، ان مدينتي الرافقة والرقة هما على يسار الفرات ، والمحمدية على يمينه . ويجري الفرات مارا بالخانوقة وقرقيسيا ، حيث يصل الى نهر الخابور ؛ ثم يمر بجانب رحبة مالك ، الدالية ، عانة ، هيت ، والانبار. وهنا يتفرع نهر عيسى ، ويجري نحو بغداد . وفيما وراء هذه النقطة (صدر نهر عيسى) يجري الفرات من الرحبة خلال الصحراء ، وفي اثناء الطريق تخرج منه اربعة فروع : الاول باتجاه صرصر ، والثانى الى القصر، والثالث الى سورا ، والرابع الى الكوفة .

ان اقحام الرحبة هنا بعد الانبار غير صحيح . والفرع الثاني كان ينبغي ان يسمى نهر الملك ، اذ ان النهر الذي كان يمر بالقصر (قصر ابن هبيرة) كان مطابقا لنهر سورا .

ويذكر الدمشقي ، النخبة (ميرك) ، ص ٩٣ ان الفرات يلامس مدن بالس ، الرقة ، الرحبة ، العانة ، الحديثة ، ويحيط بجزر عانات ، ويصل الى بلدتي هيت والانبار ، حيث ينقسم الى فرعين . ويجري الفرع

في ٣٥ر٥ ظهر لنا من الناحية الشمالية الغربية مخروطان طبيعيان منخفضان (التويم) . وفي ٥٥ر٥ عبرنا وادياً واسعاً يسمى عَتَبّ خاطر الذي يأتي من بئر طرّاح . وفي ١٠ر٦ شاهدنا امامنا سدّاً (جالي) ينتهي عنـد قلعة ام الروس الواقعة على مرتفع في سهل الفرات الفيضي الخصب . وتتألف القلعة من بعض اكوام آجرّ قديم سوية مع القسم الرئيسي للحصن نفسه . والحصن مستطيل الشكل له جدران مدعمة بابراج نصف دائرية . وكان المدخل لا يزال ظاهراً للعيان على الجانب الغربي . وكانت القلعة تشبه معسكراً رومانياً للناظر من بعيد . وكان من المستحيل الاقتراب منها لأن المياه كانت تحيط بها من كل جانب .

وخيّمنا للمبيت في ٤٧ر٦ في حقول العبيدية ، بقرب مخيم لعشيرة من الدليم كان افرادها منشغلين آنذاك بحصاد الحنطة . كان الجو مليئاً ببقّ كبير وهو آفة تربة بابل الغرينية التي كنا نخيّم عليها . وبما ان المنطقة كانت تقطعها اعداد لا تحصى من الانهار القديمة والجديدة تكونت على ارضها برك ومستنقعات مختلفة المساحة مما جعلها أماكن مثالية لتكاثر البعوض .

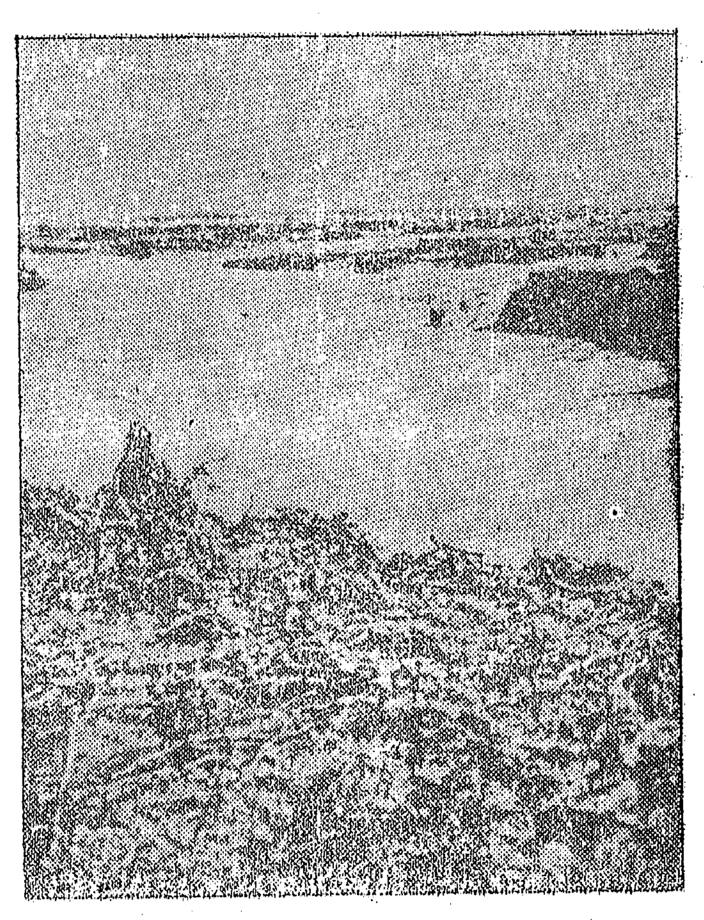
=

المسمى العلقمي في اتجاه جنوبي على الاكثر الى مناطق سوراء ، قصر ابن هبيرة والحلة ، والى مستنقعات البطيحة . واسم الفرع الثاني عيسى .

ودخول اداة التعريف على عانة غريب جدا . ومن الممكن على كل حال ان عانة هذه نشأت عن اسم آخر ، اذ انها تظهر ثانية بصيغة عانات (وان كانت في غير موضعها الصحيح طبعاً) . وان وصف انهار الفرات غير صحيح عموما . فقد كان نهر العلقمي (وليس العلقم) متصلا في وقت ما بالفرع الذي يمر بالكوفة (الحيرة) .

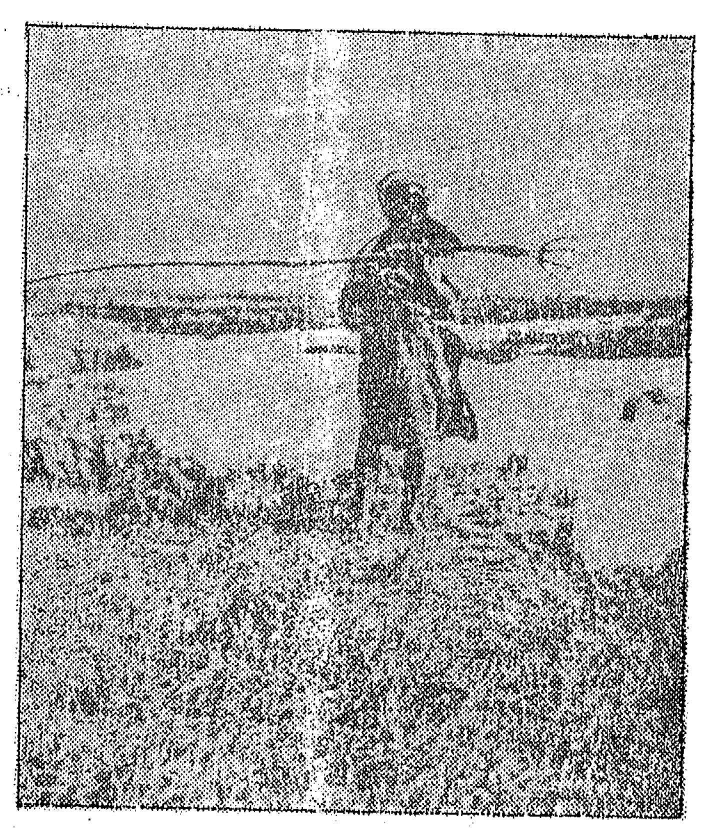
ومن جهة اخرى فان النهر الذي يمر بجانب قصر ابن هبيرة ، سوراء ، والحلة استمد ماءه من مجرى الفرات الرئيسي ، الذي جرى من الانبار في اتجاه جنوبي شرقي .

ويسجل ابو الفداء ، التقويم (رينو و ديسلان) ، ص ٥١ ان الفرات يجري نحو الشرق مارا ببالس ، قلعة جعبر ، الرقة ، الرحبة ، عانة ، هيت ، والكوفة .



(شكل ٤٤ — الوشاش من جهة الشرق)

في ١١ أيار سنة ١٩١٥ ، في الساعة الخامسة سرنا في طريق الكيفية مع صياد سمك يسمى جميل ، اتخذناه دليلاً . وفي ٤٠ر٥ صباحاً عبرنا عبّ ابو عريج . بعد أن تركنا السهل الفيضي . والعبُّ معناه المدخل او الخليج ويعني كذلك وادياً بدون مجـرى . ومن عبّ ابو عريج الذي يأتي من بئر عوَج يؤدي مسلك خلال بقعة تعرف بالغسيابة الى منهل التويم الواقع في رأس شعيب ابو خوص الذي ينحدر الى البحيرة الواقعة في منخفض ام رَحَل . وفي ٥٠ر٥ الى جهة الجنوب الغربي تراءى ضريح المشهد بلونه الابيض فوق جرف شديد



(شكل ٤٥ — صياد يحمل فالة بالوشاش)

الانحدار يقع على الضفة اليمنى من النهر . كما امكن رؤية نخيل الجويبة الى الغرب منه . وفي ٨٠ر٦ عبـــرنا عبّ هلّي الذي تقع فيه بئر ابو قبيرة . وفي الغرب شوهدت خرائب سيباط محمد العيثة ومزرعته ، والى الغرب منه ظهرت خرائب كبيرة وربوة قبر فرج ، وفي الشمال الغربي من الأخيرة بعض البيوت الصغيرة وفوقها خرائب إيشان ابو حليب المستطيلة الواسعة الارجاء . وفي ٤٠ ر٦ — شاهدنا الرمادي الى الجنوب الغربي بين بساتين من شجر الصفصاف البابلي (الغُراب) والى غـــرب — الجنوب الغربي رأينـــا الى اليمين منها ربوة مقبرة الشيخ محمد . وتكاد الاجراف الصخرية الشمالية تصل هنا الى الفرات وفي ٤٢ ر٦ كنا في السهل الغربي ، الذي يبلغ عرضه هنا نحو خمسة كيلو مترات

ويحدّ السهل الفيضي في غرب الرمادي منحدر معتدل يرتفع تدريجياً الى جهة الشمال الغربي . وفي (٠٨ ر٧) بلغنـا الحـافة الشمالية من سهـل العليمية ، الذي يبدأ عند قبر فرج ويمتد حتى الشيخ حديد . وفي (١٨ ر ٧) ظهرتْ الى الغـرب خرائب إيشـان ابو جريشي وهي خرائب كبيرة مستطيلة الشكل . ومن (٣٢ ر ٧) الى (١٠ ر ٨) رعت جمـالنا الى جنوب الجنوب الغربي من ابو قبيرة . وفي ٢٠ ر ٨ كان على يسارنا إيشان ابو جريشي وكذلك مدخل ساقية صدر العزّار الذي يروى السهل الفيضي . وفي الساعة ٣٠ ر ٨ عبرنا مجرى ثانوياً من مجاري شعب الحدّ . وقد حكى دليلنا جميل انه اصاب ذات مـرّة غزالاً برّياً بالقرب من بئر الحليوات عند رأس الحدّ ، ولكن الحيوان استمر في الجري لانه كان جريحـاً فقط . وصادف ان مرّ به رجل غريب في تلك اللحظة ، وهو على صهوة جواده ، فلحق به وصرعه . وأخذ جميل جلده ، وتقاسما اللحم . . .

واستطعنا ان نلاحظ ان خطّ الاجراف الصخرية الشديدة الانحدار على الجانب الايمن من الفرات التي تحدّ السهل الفيضي ، تأخذ في الانخفاض تدريجياً من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي . وهنا يكوّن السهل الفيضي رقعة يبلغ عرضها نحـو عشرة كيلو مترات ، يكاد يقع مركزها الى الجنوب بالضبط من ضريح الشيخ حديد ، حتى اذا بعـدنا عن ذلك جنوباً اخذت الاجراف ترتفع ثانية ببطءٍ حتى تكون الحافة العالية التي ترتفع شرقيّ الرمادي .

من (٥٦ر٨) الى (١٤ر٩) كانت جمالنا في المرعي ، فيما كنا نتفاوض مع دليل جديد . وفي ٤٢ ر ٩ عبرنا المجرى الرئيسي للحدّ الى يمين خرائب ابو سفينة . ويأتي شعب الحد من الشمال الغربي بادئاً من تلال الرخيميات المائدية الشكل الواقعة الى الشمال الشرقي من هيت . وتوجد في المجرى آبار الحليوات ، والكلب وابو ذكير . ومن (٣٥ر١٠) سرنا بمحاذاة لحف أجراف (خرم الصاري) المتاخمة لمزارع

ابو سفينة والأُميلح مكونة الحافّة الجنوبية لهضبة بيلو المتموجة التي تمتد حتى تبلغ الحدّ . وفي ٥٠ ر١٠ شاهدنا الى يسارنا على بعد مئتي متر تقريباً ، خرائب قوّاشته . وفي الساعة الحادية عشرة ، قاربنا ان نكون على ضفاف الفرات . وارتفع الى يميننا مدرّج حزم الصاري بلونه الاحمر . وفي الفرات امكن رؤية جزيرة ابي ريشة الصغيرة . وفي الساعة الثانية عشرة كانت الى يسارنا مزارع فوح فرحان ، والى اليمين قبور جاسم ، واسترحنا من ١٤ر١٢ بعد الظهر الى ٥٢ ر١ . . وفي الساعة الثانية كنا في شعب نبار أسفل بعض الخرائب الصغيرة على ضفته اليمنى . وفي ٣٢ ر٢ عبرنا شعب الضباعي . وكان الى يسارنا حقل يبلغ عرضه نحو ٣٠ متراً وعلى مسافة منه نحو الشمال الغربي يوجد مستنقع مالح (سنجة) ، وكان يوجد في هذا الموضع على ضفة الفرات اليسرى سدّ منخفض على مقربة من الماء تنمو بالقرب منه مجموعات قليلة من شجر الحور ونخلة واحدة ، وينتشر بين الاشجار كثير من الأكواخ . ولاحظنا في الجرف الصخري الذي يطلّ على السهل الفيضي من ناحية الشمال كثيراً من الملح الصخري والجبس .

وصلنا في الساعة الثالثة الى عين نافثا قويّة تسمى النّفاطة حيث يخرج النافثا من عين يبلغ عمقها نحو مترين ، وعرضها أربعة امتار وكان يخزّن ما يجمع من النافثا في كوخ بائس يقع بجانب العين . والى الغرب من هذه، يخرج من المنطقة المرتفعة الشمالية نتوء صخريّ أسود يرغم النهر العظيم على الانحناء نحو الجنوب مسافة قدرها خمسة كيلو مترات تقريباً مكوّناً شبه جزيرة . وفي ٤٠ر٣ رأينا الى اليسار ساقية قديمة عميقة تتاخم – من الشمال – خرائب الصنيديج [الصنيديق]. وقد جرفَ الفرات النصف الجنوبي من هذه الخرائب . وأمام هذه الخرائب توجد جزيرة صغيرة تكتظ باشجار الحور . وفي الساعة الرابعة عبرنا شعب الثماد . وظهر امامنا ، على شبه الجزيرة الصخرية السوداء ، حصن عظيم متهدم يسمى تل الأسود . وفي الساعة ٤٠ ر ٤ وقفنا تحت جدرانه . والحصن محاط من الشرق والشمال بخندقين [او خنادق؟] عميقين يشبهان أنهار

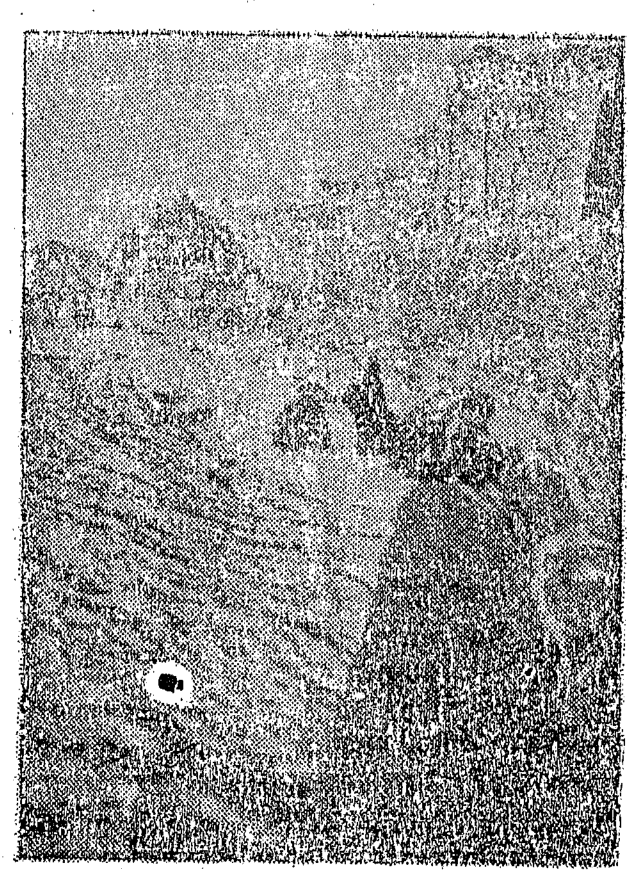
الريّ القديمة اما الابنية فلم يبقَ منها الكثير ، لأن الفرات جرف القسم الاكبر منها ، ومابقي تداولته الايدي بالحفر ثم غُطيّ بطبقة كثيفة من الرمل . وفي ٤٥ ر ٤ هبطنا الى الفرات ودخلنا سهـل الزوية المنبسط ، الذي تحدّه من الشمال اجراف صخرية شديدة الانحدار ، يعلوها مشهد بنات المحلّبات . وبالقرب منه يقوم حصن نصف متهدم .نصبنا خيامنا في الساعة ٠٨ ر ٦ في حقول الصّبيْب ، وكانت مزروعة آنذاك بالحنطة والشعير . . . .

الصبيب الى المحبوبيـة

في ١٢ ايار سنة ١٩١٥ ، ارتحلنا مصحوبين بدليل يسمى مانع بن صّحاو . واخترقنا اولاً سهل الصبيب ، الذي يحده من الغرب نتوء صخري يبرز من الاجراف ممتداً نحو النهر ويسمى عُنق الهواء . وتوجد في هذا النتوء مغارة البحيس [كهف] ويضيق وادي الفرات ضيقاً شديداً بين صخور البحيس وصخـور العقْبُـة على اليسـار لذلك تحتم الضرورة ان تمـر الطـرق على الضفتين خلال ممرّات ضيّقة . وفي ٥٣ر٥ رأينا الى جنوب الجنوب الغربي على الضفة اليمنى من النهر خرائبَ إيشانَ القبْة . وبعد الساعة ٤٠ ر ٥ سرنا بازاء الحافّة الشمالية لمزارع الجبلو شاهدنا الآن تَل هيت المخروطيّ الشكل ، القاتم اللون مغطّى ببيوت صغيرة بهيجة الالوان كلمّا تقدمنا استطعنا ان نراها بوضوح اكثر . الا انها كانت ، بين الحين والحين تختفي في سحب من الدخان الأسود المنبعث من افران القار الواقعة عند قاعدته الجنوبية الشرقية . وفي ٥٠ ر ٦ كان على يميننـا شعب صغير يسمى الحَسْحيس وتوجـد عنـد نهايته الدنيا خرائب طلاّع زبن ، وعند رأسه ، بئر المعاطشة . والى الشمال الغربي ظهر للعيان سفح طابنّخية الشديد الانحدار . ومن ٠٨ ر ٧ الى ٣٤ ر ٧ تناولنا طعام الافطار في شعب الصويب بجانب خربة المربّط .

أن الحقول المزروعة على جانبي الفرات حقول مروية على الأغلب يُرفع الماء اليها بوساطة دوّاليب مائية (نواعير) مثبتة على اعمدة حجرية غالباً ماتمتد مسافة طويلة في النهر . ولهذه الابنية الحجرية اسماؤها الخاصة بها

وتقـوم هنـا وهنـاك اكـواخ من الطين منفـردة ومجتمعـة ، وليست لها اسماء مطلقاً وانما تعرف باسماء النواعير التي الى جانبها حتى ولو كانت هذه متهدمة وغير صالحة للاستعمال . وقد ازداد عدد الاكواخ منذ عام ١٩١٢ زيادة ملحوظة ، كما بُنيتْ في اماكن عدة قرى صغيرة بكاملها . والقاعدة العامة هي ان تكون كل قرية ملكاً لعائلة واحدة ومنها تستمد اسماءها ايضاً .



شكل ٤٦ ممر صخري بمحاذاة الفرات ؛ المضيق

وفي ٧٫٥٣ اقتربنا من الفرات الأصلي . فرأينـا الى اليسار على الضفة اليمنى من النهر : قرية بنّان وفي هـذا الموضع تقترب الاجراف الصخرية ، التي

تحدّ واديّ الفرات من جهة الشمال،بصورة تدريجية من الماء تاركةً على طول النهر شريطاً صخرياً يسمى [المضيق] (شكل ٤٦) لايزيد عرضه على ثلاثة امتار . وسرنا على هذا الطريق من الساعة ٠٠ ر٨ الى ٠٤ر٨ ٠٠ وكانت امامنا بساتين النخيل السوداء التي تسمى : المجنونة ، والدرستانية،والبقّ ، والطُربة ، وعلى الضفة اليمنى مزرعة الحمّادي . والكلمة المستعملة لمبنى المزرعة هنا ليست « القصر» بل [القرية]، التي تطلق ايضاً على مجموعة من الاكواخ . وفي ٢٢ر٨ اخترقنا أول شعب من شعاب المعبريّات . وفي ٤٣ ر٨ وصلنا الى تلال الطابخية العالية ، حيث كان يتدفق القار والكبريت . وفي ٤٨ ر ٨ كانت على يسارنا قرية المجنونة ، وعلى الضفة اليمنى قُبّة السيد أحمد . وفي ٥٨ ر ٨ مررنا خلال شعب العيدي الذي تتدفق على ضفتة اليسرى (عين قار) بغزارة . ويتجه هذا الوادي جنوباً الى تلال مائدية الشكل تسمى (قور المهمات) و(قويرات عمر) التي ترتفع على الهضبة عند منتصف المسافة بين الفرات والثرثار تقريباً. والى جنوبي قويرات عمَر تقع بئر الفوّارة ، وفي غربيّ الفوارة تقع بئر الفندي ، وفي جنوب الأخيرة توجد بئر القميجم والرّحيميات :وجميعها تقع في وادي العيدي . ويتصل هذا شعب في منتصف مجراه من ناحية اليمين شرق قرت العَلْمة ، بشعب (أبو كروش) وتوجد في اوطأ اقسام هذا الشعب خرائب الاشيعْل . وتحيط اشجار النخيل بقرية البق(٨٢) .

---

(٨٢) وعلم اليعقوبي، التاريخ (هوتسما) ، م ١ ص ٢٣٧ بوجود منطقة بقة الادارية على ضفة الفرات بالقرب من الانبار . وكانت تحكمها امرأة : الزباء .

ويسجل الطبري ، في تاريخه (دي‌خويه) ، السلسلة ١ ص ٧٥٨ وما بعدها ان ملوك الحيرة اقاموا احيانا في بلدة البقة .

وقد زحف الملك جذيمة الابرش من هنا بطريق الفرضة بمحاذاة الفرات الى [زلبية] ، محل اقامة الملكة الحسناء الماكرة : الزباء . ويروى ابن السكيت (ابو الفرج ، الاغاني [بولاق] ، المجلد ٨ ، ص ٧٠) ان الشاعر امرء القيس طلب اللجوء عند احد اقربائه على الفرات . وكان هذا القريب

في ٩٫٠٥ كانت مدينة هيت على يسارنا . وقد تجمعت البيوت هناك على مدرّجات تل هائل الحجم ، مخروطيّ الشكل . وفي وسط المدينة تقريباً ترتفع مئذنة المسجد القديم . وتوجد جالية يهودية في هيت . وعلى الضفة اليسرى من الفرات ، في الجهة المقابلة للمدينة يقوم ضريح على الهيتي يجاوره بستان نخيل الطربة . وفي ٩٫٤٠ رأينا على اليمين خربة الصَّدقة ويتفرع من الفرات امامها نهـــر قديم يجلب الماء لريّ الحقول الممتدة على طول الضفة اليسرى . وعلى هذه الضفة تقع أيضاً قرية الناطق ، وتليها قرية الحسينيّة حيث استرحنا من ١٠٫٠٠ ١١٫٥٤ . . وكان قد تمّ حصاد الحنطة والشعير . وكان التفاح والمشمش قد نضج تقريباً في البساتين . وفي ١٢٫٠٤ بعد الظهر اجتزنا قرية (الكُميّة) الصغيرة ، والى شمالها الشرقي ينبجس القار من عين بصورة قوية . وفي ١٢٫١٠ كانت

=

هو عمرو بن المنذر ، الذي ادار ــ بالنيابة عن ابيه ــ شؤون المقاطعـات المختلفة على امتداد الفرات ، وعاش في بلدة بقة ، الواقعة بين الانبـار وهيت . وقد رحب به عمرو ، الذي كانت امه تنتمي الى عائلة الشاعر ، فلما سمع المنذر بذلك اضطر الشاعر الى الهرب (امرؤ القيس ، الديوان [ديسلان] ، ص ١٢) .

ويصف المسعودي ، التنبيه (دي‌حوية) ص ٣٨٣ ، حصار القرامطـة لمدينـــة هيت في كانـــون الاول ، ٩٢٧م . تقـدم بعضهم من الانبـــار بمحاذاة الضفة اليسرى للفرات ، وعندما وجدوا عددا من القوارب في مدخل نهر البقة ، فم بقة اسفل (جنوب) من هيت ، عبروا النهر بها . ويدل هذا على ان بقة تقع على الضفة اليسرى بالقرب من هيت مــن ناحية الجنوب الشرقي ، لان الأهلين ــ بلا ريب ــ ما كانوا ليخفوا قواربهم في مكان بعيد جدا عن بيوتهم .

ويكتب البكري ، المعجم (فستنفلد) ، ص ١٧٦ ، مشيرا الى ابن الكلبي ، ان بقة بلدة على الفرات على حدود العراق . واستنادا الى (محمد بــن احمد) المفجع ، كانت بقة بلدة بين الانبار وهيت .

ويصف ياقوت ، المعجم (فستنفلد) ، م ١ ، ص ٧٠٢ ، وابو الفضائل ، المراصد (يونيبول) ، م ١ ، ص ١٦٦ ، بقة بانها بلدة قديمة ، او قلعـة ، على بعد فرسخين من هيت . ان بيانات ياقوت المتعلقة بالمسافات نـادرا ما تكون صحيحـة .

على يميننا عينان أخريان للقار يقال ان ما يستخرج منها يومياً يعادل حمولة ستة حمير . وفي ١٢ر٢٠ كانت قرية الحبية على يسارنا .

وفي ١٢ر٢٨ تركنا السهل الفيضي المستوى على مقربة من قرية العميرة ودخلنا الطريق المسمى مفازة البناشيرة المؤدية الى ما وراء الاجراف الصخرية . وتقع على امتداد الفرات في هذه الناحية مجموعة قرى هي: المنازل ، وعبده ، وسلامية ، وعَويره (وخربتها) ، وجاديّة ، والسبيّ ، والنويعير ، والدلاثات ، والقوشرية ، وخَربة المحلبية . وفي الساعة الواحدة رأينا على يميننا هُضَيْبة قرت العلمة ، وفي ١ر٣٠ عبرنا شعب القوشرية ، وفي ١ر٥٤ هبطنا الى سهل المناشيرة (أو البناشرة) المستوى ، حيث راحت جمالنا ترعى من ٢ر٠٥ الى ٢ر٣٠ . . وابتداءً من قرية الدبس الى المناشيرة يرتطم ماء الفرات بأجراف الضفة اليسرى ، تاركاً رواسب غرْيَنيّة على ضفته اليمنى . وفي ٢ر٤٠ كانت مجموعة اكواخ المناشيرة على يسارنا ، وعلى الضفة اليمنى تقع قرية السَعدان ، وتعلو عليها ربوة مقبرة الشيخ ظاهر . وفي الساعة الثالثة كانت قُريّة الحيطان على اليسار . والمفَرْدات على الضفة اليمنى: وهي قرية اكبر حجماً تمالكها قبيلة الخزرج . وفي ٣ر٢٠ شاهدنا الى الغرب اثنتي عشرة نخلة كبيرة وخمس عشرة صغيرة مع دولاب للسقي [ناعور] ، وعلى مقربة منها مزرعة الورشانية الكبيرة ، وعلى مسافة ابعد كان بمقدورنا رؤية قريتي الخزرجية والسنيّة .

وكان علينا بعد ذلك ان نخترق سهل الشُبيِّجة وهو سهل مقفر تغطيه طبقة حصى ناعم ، ومنه صعدنا سفح الشّيحة الصخري ولم نلبث أن هبطنا الى الفرات ثانية في الساعة ٥٠ ر ٣ وفي ١٠ ر ٤ كانت المبغيّة على يسارنا . ثم تقدمنا على امتداد سهل فيضي خصب مزروع ينتهي عنده وادي العين. وعبرنا هذا الوادي في ٢٠ ر ٤ . . وتنمو الطرفاء بكثرة هناك . وفي ٤٠ ر ٤ كانت على يسارنا قرية القطبية ، وعلى يميننا تلال صغيرة صفراء وعرة يتناقض لونها مع لون الاجراف البيضاء التي تسد سهل الفرات الفيضي . ومع انها تبدو من بعيد كأنها خرائب كبيرة فليس ثمة اثر يدل على وجود ابنية قديمة كانت هناك . وفي ٤ر٥٠

كانت على يميننا بعض الخرائب الصغيرة ، وظهرت امامنا بقعة جميلة تضم تكوينات تشبه نظائرها الموجودة في صحراء النفود العظيمة في جزيرة العرب . وقد حفرت الريح الغربية في رمال الفرات الرمادية الداكنة مائة غور او « قعر» على الأقل ، تنفتح الى جهة الشرق ؛ ولكن هذه الحفر (القُعُور) صغيرة جداً تتميز جوانبها الغربية بشدة انحدارها وعلوّها عن الأخرى . وفي الساعة ٣٠ ر ٥ اخترقنا حقول اللُّحودية ، التي تتحول تدريجياً الى مستنقع ملحيّ ، لقربها من شعب (المُسْطح) الذي عبرناه في الساعة ٥٣ ر ٥.. ويأتي السيح بملح كثير يمتصه من الصخور الجبسية التي تكوّن قاع هذا الفج .

وتوجد في شعب المُسْطح جنوبيّ قرت المعُسَّم بئرُ ابو عزَب وبئر ابو سويجة ، والى شرق هذا الشِعْب يوجد بئر الزعتري . وفيما وراء المسطح أتينا مزرعة المحبوبية ، وفي الساعة ١٢ر٦ أقمنا خيامنا في حقول السرّاجية ، وسرعان ما داهمنا البعوض ، ونالنا منها أذى شديد طوال الليل .

المحبوبية الى شعب ادمامة

في ١٣ أيار سنة ١٩١٥ خرجنا في الساعة ٤٣ ر ٤ صباحاً واخترقنا حقول المعّلية متجهين صوب هضبة الأجعل المقطعّة . وتكوّن هنا لساناً يمتد في النهر يحيط به الفرات من ثلاث جهات . وتتكون هذه الهضبة من عدد لا يحصى من ربوات صخرية منبسطة السطح تتخللها اخاديد عميقة متعرجة . وبعد أن ضللنا الطريق وصلنا ثانية الى الفرات في الساعة ٢٠ر٨ بالقـرب من المِرعْبِديّة ، وتركنا جمالنا في المرعى هناك حتى الساعة التاسعة . ثم قادنا دليلنا ماراً بقرية الطحمانية الصغيرة فوق صخور شديدة الانحدار . وعلى طول ضفة لسان الاجعل المطل على النهر توجد قرى صغيـرة هي : الطليحية ، الورّادية ، الدانقية الواصلية ، يردة ، سماله ، غرّاف ، الدويلية ، المسجد ، المهيدانية ، الزوير ، الميسرية ، المباركة ، المدّة ، مركان وجبّة . . ولاحظنا الى الجنوب جزيرة عليها بعض البيوت . وهذه الجزيرة تسمى الخنيفس أو حويجة الناووسه .

ورأينا عبّر النهـــر على الضفة اليمنى في الســـاعة ٥٠ر٩ قريتين هما الجنانية والدويلية وترتفع بالقرب من الأخيرة أطلال الجابرية .

ومعظم هذه القرى الصغيرة يملكها اناس اغنياء من اهل كربلاء وبغداد وحتى حلب . وهؤلاء إما انّهم اشتروا حقوق الأرض من الدليم ، او انهم بكل بساطة استولوا عليها بعد ان طردوا الدليم منها واقاموا فيها النواعير ،وبنوا الاكواخ وأجروا الأرض الى فلاحين من قرى أخرى وعلى المستأجر أن يدفع الضرائب جميعها ويعطي ثلث غلّتة الى مالك الأرض ، محتفظا بالباقي لنفسه . وله ان يظل على هذه الارض اذا رغب في ذلك ، وان لم يشأ ، فانه يذهب للبحث عن عمل في مكان آخر . ونتج عن هذا النظام المفكّك ان تبقى مساحة كبيرة من الارض بدون زراعة لسنـــوات طويلة فتتدهور وســـائل الريّ ، وتتهدم الإكواخ . ولو كانت هذه الاراضي ملكاً لمن يعمل بها أو لو كان ما لكوها هم الذين يدفعون الضرائب ، مع السماح للمتسأجرين بالاحتفاظ بنسبة معينة من المحصول ،لما بقيت ، بعد وقت قصير أرضٌ غير مزروعة على طول الفرات . ولكنّ الملاّك يصرّون على تسلّم الجزء المشروط من المحصول دون ان يتأكدوا من أنّ الغـــاة مُجزية او يعرفوا ارتفاع مقدار الضريبة المفروضة . ويبتز محصّل الضريبة الفلاح ايضاً بأقسى الطرق بحيث لايترك له في الغالب الا أقلّ من سُدس المحصول الذي سعى الرجل المسكين سنة كاملة في تحصيلة مع كل افراد اسرته ، وماشيته وبما لديه من ادوات .

وفي الساعه ٣٥ ر ١٠ بلغنا الفرات ثانية عند قرية الطحمانية . وكانت تقع امامنا جزيرة صغيرة وعليها قرية تدعى جُبّة القديمة . ومن ٤٤ ر١٠ الى ٤٥ر١١ تناولنا غداءنا بجوار حقول السّفلة . وفي الساعة الحادية عشرة عبرنا شعب الجبارية مقابل قرية المروانية على الضفة اليمنى . وفي مدخل هذا الوادي توجد بئر أبو جماعه : والى الجنوب الشرقي منها بئر عنيزة والى الشمال بئر رُمّانة . وفي ٣٦ ر ١٢ بعد الظهر كانت على اليسار اكواخ البروثة ، وعلى اليمين ضريح الشيخ ظاهر . وبعد ان بارحنا الفرات من خلال شعب القناطر واصلنا السير

حتى الساعة ٢٥ ر ١ على طول نتوء صخري ينحدر الى الماء . ومن ثمّ سرنا خلال مستنقع العامرة الملحي ، حيث رعت جمالنا من ٣٨ ر ١ الى ٠٦ ر ٢ . وفي ٣٨ ر ٢ تجاوزنا خرائب الطوسية ، وفي ١٥ر٣ كانت خرائب السِفْلة على يميننا ، وفي ٢٠ ر ٣ خيمنا بين العاملين بالحصاد . ولما كانت امامنا رحلة طويلة خلال صحراء صخرية لايوجد منها شيءٌ يقوتُ جمالنا وخيولنا اضطررنا الى البقاء في الحقول .

في ١٤ أيار سنة ١٩١٥ ، بدأنا في الساعة ٤٣ ر ٤ صباحاً ودخلنا مفازة أبي سكران . وهي مرتفعات صخرية جرداء تقطعها فجاج عميقة تمتد هابطة الى الفرات . وفي ٠٨ ر ٥ عبرنا شعب النّهل ، حيث يقع منهل امّ الحمام ؛ وفي ١٥ ر ٥ كانت على اليمين حقول الزيرة وعلى الضفة اليمنى قرية عناية مع اكوام خرائب قديمة ترتفع بالقرب منها . وفي ٥٠ ر ٥ وصلنا الى الفرات ثانية وكان مدخلنا في هذه المرة عند حقول الخالدية . وقد سميت بذلك نسبة الى مرقد الشيخ خالد . وكانت القرية في ٠٥ر٦ على يميننا . وترتفع الاجراف المشرفه على الضريح بقايا حصن . والى الشرق ينفتح شعب سكران وينحدر هذا الشْعب من بئر ام سبرق وبئر ابو شوكايه (أبوشوكة) وفي ١٥ر٦ شاهدنا جزيرة الخزنة ، وهي جزيرة مأهولة بالسكان وحينما اقتربنا من الأسودية كان علينا مرة اخرى ان نصعد جرفاً شديد الانحدار رأينا النهر تحته محفوفاً بشريط ضيق من الحدائق وقطع صغيرة من الحقول تسمى الاسودية . المنتور . الحمّادي ، الخلخالية ، القويضة ، الجبل ، زبده ، الصّدقه . السايحْه . بربيسي . برقيتا (بوكيطة) ، بحران (حوران) الحدّادية . الزّمياقية ، بني صالح . السُّبَيلة . هوَيدَس ، بجاريّة ، بني زَجّة . دوار (الدير) ، واخيراً : بروانه . وفي ٣٥ر٧ دخلنا شعب الحسين خلال حقول يملكها أهل بروانه .

وأعرب دليلنا ، وهو فلاح من أهل بروانه ، عن شكواه المريرة من الحكومة التي طالبتهم برأس غنم عن كل عشرة اغنام تربى من أجل لحومها ، ومن كل رأس ثلاث أقّات (٨٤ ر٣ كيلوغرامات) من الصوف وثلاث أقات من الزبد

مع سبعة قروش (٣١ سنتاً) ؛ والثلث من كل ما يحصدون من قمح . ولقد جمعت الحكومة التركية هذه الضريبة الفادحة مرتين في عام ١٩١٤ .

في ٨٫٤٠ ظهر لنا منظر جميل على النهر مزيناً ، كما كان، بجزر خضراء في وسطه وتحف بساتين النخيل بجانبيه ، تطل عليها أجراف بيضاء : وكان علينا أن نسير على منطقة مرتفعات حتى ندور حول قرية بروانة ، التي رغم شدة ضيقها ، فانها تمتد مسافة خمسة كيلومترات . وهذا تحوّل في الطريق استغرق منا وقتاً امتد من الساعة ٨٫٥٧ الى ١٠٫٠٠ . وتتكون هذه القرية من اكواخ وحقول الشقيلية (الشكيلية) ، وابن سلاّم ، وساطين ، وابو الكراديس . والمعبرة ؛ والدويلة ، والعالّية (العالية) وفي ١٠٫١٢ طلعنا من شِعْب الدمامة (إدْمامة) ، حيث يقع منهل القِرْنة .

شعب ادمامة الى راوة

في الساعة ١٠٫٥٠ كان على يميننا مشهد الشيخ محمد الحوراني ، وفي شرقه يرتفع نتوء رأس لتَل الصخري . وبدت الى جانب الفرات قرية المعَيْميرة . وتراءى على الضفة اليمنى ضريح السيد نور الدين بلونه الابيض . وقد تجمّعت اسفلَ منه اكواخ قرية (الخمسة) ، وارتفعت غربي جزيرة حديثة قبّة الامام علي (أو مشهد علي) على الضفة اليمنى من الفرات . ومن ١١٫١٥ الى ١١٫٣٨ كانت الجمال في المرعى . وفي ١١٫٤٥ شاهدنا الى الغرب منا قرية البثينّة وفيها ضريح الشيخ حديد . وفي ١٢٫٣٥ بعد الظهر اخترقنا حقول ابو تَفَسَرد . وفي ١٢٫٤٧ عبرنا شعب ابو تفسره . ويتصل به فرع الزويجي (الزّكي) بالقرب من منهل ابو ذكير . وفي الساعة الواحدة كانت قرية ابو تفسرة على يسارنا . وحوالي ١٫١٠ كنا قد اجتزنا خندقاً صغيراً يسمى زَقَب ؛ وشعب (لاثة) حوالي ١٫٣٠ . ومن ٢٫٢٠ الى ٢٫٥٨ استرحنا عند الغُرَيْر بالقرب من الشعْب الكبير . وتقع على ضفة النهر قريتان صغيرتان هما : جوراثة ؛ وزبدة . وفي ٣٫٢٨ رأينا على يميننا فجاً صغيراً هو فج الدويليب ، وعلى يسارنا جزيرة سوسة الزراعية . وفي غرب الأخيرة تقع جزيرة صغيرة فيها بستان جميل تسمى الخصَيّين .

وتوجد بالقرب من السليمية (مخاضة) يستخدمها البدو حينما يقومون بغاراتهم . واثناء هذه الغارات يأخذون كل ما تصل اليه أيديهم من علف ، ويتركون خيولهم وجمالهم تقضم سنابل الحبوب وهي لا تزال خضراء . وفي ٥٠ر٤ كان على يسارنا قرية صغيرة تدعى الأفحج وفيما وراءها جزيرة الناصرية وعلى اليمين منا : شعب المامسيّة . وفي ٢٠ر٤ سرنا خلال ممرّ ضيق محصور بين الفرات وبين خط من الاجراف الصخرية . وفي الساعة الخامسة بلغنا شعب الجمّة الكبير ،ويمتد امام مدخله مستنقع ملحي . وتقوم في هذا الموضع على الضفة اليمنى من النهر اكواخ ترتاسة . وظهر في الغرب فوق أجراف عالية تشرف علينا مشهد صغير يدعى (مزار حبيب النجار) . وقد اوضح لنا الدليل بشيء من التفصيل ان حبيباً هذا كان نجاراً وقد ساعد في بناء سفينة نوح . وفي ٣٨ر٥ كانت على يسارنا اكواخ الدير ، وقد بُنيت هذه في خربة قديمة مقابل جزيرة صغيرة هي حويجة الدير ، كما بُنيت نواعير شغيلة على الضفة اليمنى . وتسد سفت الرياح على السهل المنبسط الذي كنا نقطعه الآن الرمال الداكنة وكوّنت منها آلاف السافيات المنخفضة (طعوس) تعرقل السفر . وفي ٣٢ر٦ عبرنا شعْب [الكتيبة] الواسع الذي يبدأ في هضبة علاّوي . وفي ٥٠ر٦ شعب الحبيب الذي يأتي من سهل الوتاحة المستوي . وفي الساعة السابعة كنا أسفلَ ضريح حبيب النجار ، وفي ٢٠ر٧ خيّمنا في حقول الزّرقة في وقت كان يحصد فيه الشعير .

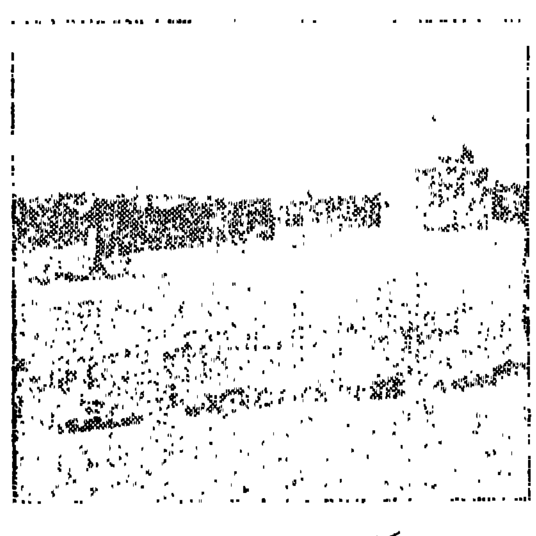
في ١٥ ايار سنة ١٩١٥ بارحنا الزّرقة في الساعة ٣٨ر٤ صباحاً . وكان دليلنا حمّاد بن عبدالله .

وفي ٥٤ر٤ كانت على يسارنا جزيرة صغيرة تدعى السّوّاري (٨٣) ، وامامنا تلّ المحدّادة الذي يحجب شعب السّهْليّة . ورأينا على الضفة اليمنى

(٨٣) ويذكر اسنيوس كوادراتوس ، الشذرات (ملر) ، ص ٦٦٠ ، ان سير بانة هي جزيرة في الفرات . ويمكن ان تكون هذه الجزيرة مطابقة لسواري ، او السواري ، فقد حرفت الباء الى الواو ، وبدل ترتيب الحرفين : الراء والباء .

جرنه ، ويليهــا من ناحيــة الغرب [مضيق] المرزوقية . وجزيرة العسكر ، الواقعة الى جنوب السوّاري ، كبيرة نوعا ما . وهي جــزيرة مزروعة مأهولة بالسكان .

في ٢٠ر٥ كانت على يسارنا قرية صغيرة تدعى ابو جوعانه وتقــع مقابل جــزيرة الوُداية النهــرية الصغيــرة ، ومزرعــة العليْــه على مسافة ابعد من ذلك على الضفة اليسرى . وفي ٤١ر٥ قطعنا شعب السّهالية العميق الذي تحف به صخور كلسية بيضــاء ، وتقع مقــابل مدخله جزيرة صغيرة تدعى المُهـْرة مغطاة باشجار كثيفة من الحور والطرفاء . وفي ٥٣ر٥ كانت على اليمين منــا خرائب قرية قديمة ، وفي ٠٥ر٦ كانت على يســارنا خربة الجرعة مع ضريح صغير للشيخ محمد في غربيّها . وتقع أعلى منــه قرية كبيرة هي : الزاوية



(شكل ٤٧ -- قرية حبين)

ومن ١٣ر٧ الى ٤٤ر٧ تركنــا جمــالنا ترعىً . وفي الســاعة الثامنة وصلنــا الى قــرية ابو جــرعة التي تقــع على ضفــة النهــر في نهاية ممر ضيق . اثر تقدمنــا في سهل كاسي يمتد الى مســافة بعيدة ناحية الشمال

وفي ١٥ر٨ شاهدنا خــرائب المعاذيب الى جنوب الغربي . وفي ٢٠ ر ٨ عبرنا شعب البلجارية ، وفي ٤٢ ر ٨ شعب العَمرية ، الذي يبدأ في عين الغُبين . وكنا نمرّ الآن في سهل شَبَن الصخري الذي يحفّ به مرتفع عناب (ومن ورائه يمتد مرتفع الوتاحة) ويقطعه عدد من الفجاج العميقة . وفي ٥٥ ر ٨ رأينا على مقربة منا قرية المردادية كما رأينا على الضفة اليمنى شريطاً ضيّقاً كونته بساتين الشويحية يمتد الى نقطة تقابل قرية حبين . وكانت اشجار نخيل هذه القرية تحيينا من بعيد (شكل ٤٧) . ومن ١٠ر٩ مررنا بنخيل قرية البيضا . وفي الحقيقة ان هذه القرية تكوّن مع قرية (الشعبية) المجاوور لها ، جزءاً من قرية حَبين الطويلة الضيقة . وكان طريقنا يمر بأزاء الاجراف الصخرية المشرفة على هذه القرية . واقتربنا ثانية من الفرات بعد الساعة ٣٠ ر ٠٩ وكانت تقع امامنا في وسط النهر جزيرة تَلْبَس (شكل ٤٨) تقوم عليها عدة أبنية قديمة يلاطم ماء الفرات جدرانها . وتنمو اشجار نخيل جيدة في القسم الشرقي من الجزيرة ، ويقابلها على الضفة اليسرى خرائب السور . وهذه مكونّة من تلّ مستدير الشكل وربوة خرائب عالية تمتدّ من الجنوب الغربي الى الشمــال الشمال الشرقي (٨٤) . ويمتد شعب ابو سالي الصغير ، الذي ينبع من منيعة ، على طول الجانب الجنوبي من الخرائب . عبرنا هذا الشعب في الساعة ٢٠ ر١٠ .

(٨٤) وفي زمن الملك حمورابي كان شخص يسمى سن ــ ايقيشم وصيا على سوخي ، وان محل اقامته كان نبي سورى في ذلك الاقليم (سيسي ، وثيقة بابلية قديمة [١٨٩٩] ، ص ٢٤ وما بعدها ، بيزر ، علم الاثار الشرقية القديمة ، رقم ٤ [١٩٠١] ، ص ٥٠ ومابعدها) . ولعل هذا كان حصن سور ، مقابل جزيرة تلبس .
وفي عام ٨٧٨ق . م ثار خدورو ، حاكم سورو ، وهي القلعة المنيعة في بلاد سوخي ، على الملك اشور نازربالى الثالث (الجوليات [رولنسن ، نقوش مسمارية ، م ١ ، اللوحات ٢٣ وما بعدها] ، العمود ٣ الاسطر ١٧ ــ ٢٥ ، بج وكنك ، الحوليات [١٩٠٢] ، ص ص ٣٥١ ــ ٣٥٣) . الذى كان يقترب من الشمال الغربي . وقد ساعد خدورو جيش بابلي ارسله الملك نبو ــ ابلا ــ ادين تحت امرة اخى هذا الاخير واسمه سبداتو . ناستولى اشور ناصر بال على القلعة عنوة ، الا ان خدورو وهرب بطريق

(شكل ٤٨ — تلبس من جهة الشرق)

الفرات مع سبعين من رجاله . وأسر خمسين فارسا ، واخا الملك البابلي وكذلك ثلاثة الاف من الجنود البابليين ، واستباحوا القلعة لمدة يومين ، ثم هدموها وكانت غنائم الاشوريين : النساء من حريم الحاكم ، وما كان في حوزته من خيول الحرب ، عربة قتال ، خيول ، ادوات حرب مختلفة ، الفضة ، الذهب ، الرصاص ، اوعية نحاسية ، واحجار كريمة من الجبل ، وكل تجهيزاته .. وامر اشور ناصر ربال باقامة تمثال له في المدينة المهدمة وعليه كتابة تشيد بانتصاره .

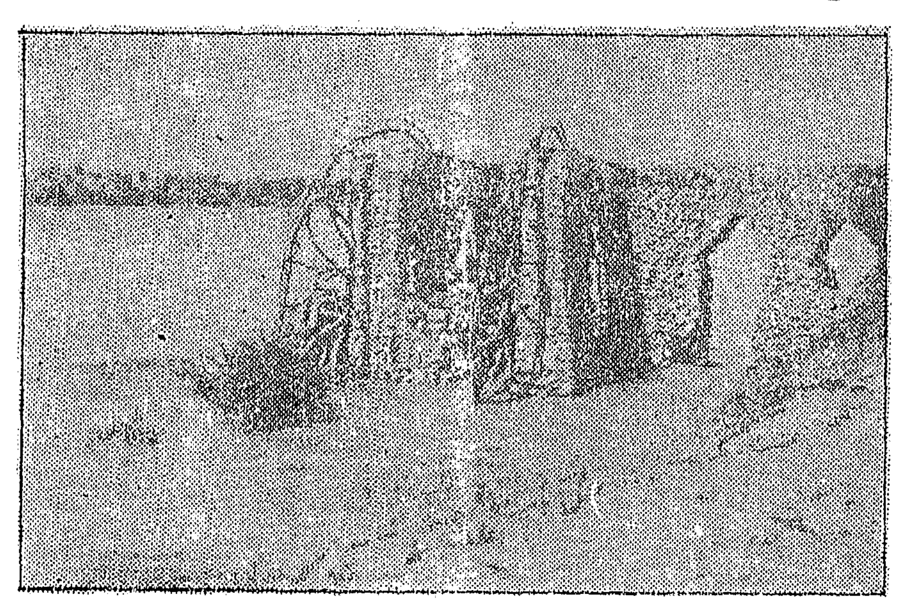
ويكتب اميانوس مارسلينوس

ج ٢٤ ، ٢ : ١ ، ان ثلوثا هي قلعة حصينة بنيت وسط النهر على تل عال ، وقد حصنتها يد الطبيعة والانسان على السواء . وفي عام ٣٦٣م تردد الامبراطور جوليان في مهاجمتها مخافة ان يصاب بخسائر فادحة . فطلب الجنود عندئذ من السكان الاستسلام ، وقد وعدوهم بذلك لكن بعد ان ينصر الرومان على حاكمهم الفارسي .

ويذكر اسنيوس كوادراتوس ، الشذرات (ملر) ، ص ٦٦٠ ، بلدة تدعى ثيلا موسى على الفرات في بلاد العرب . ولما كان حرف البـاء في الغالب ينطق به خطأ كحرف الميم ، وكان اسم جزيرة تلبس يكتب ولا ريب باشكال مختلفة لدى الكتاب القدماء ، فيمكن ان تكون ثيلا موسى مطابقة لكلا ثيلوثا وتلبس .

ويكتب البلاذري ، الفتوح (دي‌خويه) ، ص ص ١٧٨ وما بعدها ، نقلا عن راوية اهل قرقيسياء لما فتح راس العـين سلك الخابـور وما يليه حتى اتى قرقيسيا وقد نقض اهلها فصالحهم على مثل صلحهم الاول ، ثم اتى حصون الفرات حصنا حصنا ففتحها على مافتحت عليه قرقيسيا ولم يلق في شيء منها كثير قتال ، وكان بعض اهلها ربمـا رموا بالحجارة ، فلما فرغ من تلبس وعانات اتى الناوسة وآلوسـة وهيت ... وقد أتاه أهل هذه الحصون فطلبوا الامان فأمنهم واستثنى على اهل هيت نصف كنيسهم فانصرف عمير الى الرقة .

واسترحنا من الساعة ٥٠ ر ١٠ الى ٤٨ ر ١١ . وفي الساعة الثانية عشرة كان على يسارنا تلّ أبو ثور وهو مخروط غير مذبّب يخلو من وجود خرائب عليه . وفي ٠٨ ر ١٢ بعد الظهر رأينا بلدتي عانه وراوه . وفي الساعة ١٥ر١٢ بالقرب من حقول الجديْدة عبرنا شعب الهابرلية الذي توجد بجواره اكواخ متهدمة لقرية تجمعت حول مئذنة (مفتول) متداعية للدير الملويّة . ويمتد الى غرب الهابولية سهل صغير مستو يسمى الدفلة . حيث تنمو شجيرات الدفلى بكثرة وافرة ، وفيما وراءه بلغنا حقول الرزّاز ، وخندق سحل الحادثين ، حيث يوجد منهل ام نخل ، وبساتين الزخنونة ، وعبد الله ، وشعبان عانه ، وبساتين المزندقة ، والضويعة ، والشعيبة ، والنتوء الصخري المسمى : القرنة ، وبلدة راوه . ولما لم نستطيع المرور بجمــالنا بين الاكواخ ، بين نهــر الفرات الذي كان فائضاً آنذاك ، استدرنا حول راوه سائرين على الاجراف الصخرية التي تطلّ عليها . وتقطع هذه الاجراف وديان عميقة شديدة الانحدار حفــرتها وديان الثور



(شكل ٤٩ ــ ناعور غرب راوة)

ارغمتنا على اتخاذ طريق بديل يتوغل مسافة بعيدة ناحية الشمال قبل ان نستطيع الوصول الى الطريق المؤدي الى الموصل . وفي ٢٥ ر ٥ خيمنا بجانب الفرات بجوار حائط عال لبستان يقع على بعد كيلو متر واحد تقريباً غربيّ راوه ، أتاح لنا حماية جيدة من عاصفة رملية انفجرت في وقت لاحق من ذلك المساء . وكان البستان والحقول المحيطة به تسقى بالنواعير (شكل ٤٩) .

راوة الى السوسة

في ١٦ أيار سنة ١٩١٥ كتبت الى قائمقام عانه ليرسل اليّ اثنين من رجال الدرك . وكان رجلا الدرك اللذان معنا قد عبرا بالعبّارة مع حصانيهما الى عانة . وقد وصل الينا بالطريقة نفسها رجلان آخران خلفـاً لهما . وكانت هذه مغامرة لاتخلو من مجازفة وخطر على السواء ، اذ لم يكن في عانة أو راوه قارب كبير يفي بالمرام . وكان الماء قد ارتفع عالياً في الفرات حينذاك ، وهبّتْ ريـح شماليـة شرقيـة طـوال اليـوم . وانهمكنا في ترتيب خرائطنـا وإكمالها ، وجمع المعلومات عن القرى الواقعة على الفرات بين راوه والخابور . وفي المساء حددنا خطّ العـرض . وقد فاجأتنا عاصفة مروعّة في منتصف الليل مصحوبة بكثير من البرق ودويّ الرعد ، ولكن لم يسقط سـوى قليل من المطر .

وفي ١٧ أيار سنة ١٩١٥ هدأت العاصفة بعد الساعة الثانية صباحاً بقليل . ولكن ظلّت السماء غائمة ، واشتد هبوب ريح باردة من الغرب ، مما زاد في ازعاجنا . وخرجنا في ٤٫٤٥ صباحاً . وفي ٥٫٠٨ كنا في حقول العماريّة في جنوبيّ خرائب كبيرة ، وبقربها مقبرة صغيرة . وفي ٥٫٣٠ شوهد ضريح المشْهَد ، وهو ضريح صغير يقع على الضفة اليمنى من النهر جنوبي جنوب حقول ابو كَوّة . ثم صعدنا الاجراف الصخرية لنهبط ثانية في ٦٫١٠ الى ضفة النهر . ومن ٦٫٥٢ الى ٧٫٣٠ ظلت جمالنا ترعى على الجانب الايمن من شعْب الجبالة . وفي ٧٫٣٠ وصلنا الى مزارع النطرية . وتراءت لنا الى الجنوب اشجار قريتيْ

الكوزيّة والكرطية . ومن ٦٫٥٢ الى ٧٫٣٠ رعت جمالنا على الجانب الأيمن من شعب الجبالة . وفي ٧٫٣٠ بلغنا حقول النطرية . واخذت الاجراف تتراجع نحو الجنوب على الضفة اليمنى في الجهة المقابلة من النهر ، ولكن السهل الفيضي هنا غير صالح للزراعة الا في اماكن قليلة فقط لكثرة النتوءات الواطئة التي تمتدّ من الاجراف الى النهر . وفي الساعة الثامنة اخترقنا حقول السمسية متجاوزين جزيرة صغيرة تدعى — حَويجة صريصر ، وكانت اشجار حور صغيرة — تغطي الجزيرة بصورة كثيفة . وتتصل النتوءات الصخرية الى حافة الماء تماماً على الضفة اليمنى مكونةً ممراً ضيقاً يسمى (المُضيق) . وترتفع الى الغرب منه شجرة توت كبيرة في حقول السُّوَيويدة . ومرة أخرى داهمنا البرق والرعد .

في الساعة ٨٫٢٠ تركنا السهل الخصب عندما كنا على مقربة من شعب صريصر وقرى البونيّة ، والجبل ، والحسنيّة ، وتقدمنا على امتداد مرتفع صخري مسطح القمة ، حيث شاهدنا في الساعة ٩٫٠٦ ربوتين هما : المزراب والعنز . ومن ٩٫٤٥ فصاعداً كان الطريق ، على اليمين واليسار معاً ، مُعَلَّماً باكوام صغيرة من الحجارة تسمى هنا رجوم الفَجير . وتمكننا ان نرى من فوق الروابي ، في الناحية الشرقية البعيدة ، الحافة الطويلة الواطئة التي كونها حدّ مرتفع قرت الغبّين . وفي ١٠٫٣٥ عبرنا شعب ابو رديّة ، الذي شقّ مجراه هنا ، بفعل عوامل التعرية ، في صخور بيضاء . واسترحنا من الساعة ١٠٫٥١ صباحاً الى ١٢٫١٤ بعد الظهر . وفي ١٢٫٢٣ تركنا وراءنا شعب الهدَيبة الصغير ، وفي ١٢٫٢٦ كانت مزرعة العَجَميّة الى يسارنا ، وعلى الضفة اليمنى ربوة خرائب الحلاوي الصغيرة . وفي الساعة ١٢٫٣٦ اجتزنا قرية الابراهيمية على الضفة اليسرى ، ثم قرية المهَيْديّة بعد ذلك بوقت قصير . ، ولاحظنا على الضفة اليمنى الى غرب هذه القرية خربة الدينيّة ، التي يبلغ قطرها نحو خمسمائة متر . وتقع قُبالةَ الدينية على الضفة اليسرى قرى الجازانية ، وفيما وراءها قرية الجصّيّة حيث يستخرج ملح صخري يستعمله الفلاحون في صنع البارود . وفي ١٫١٨ بدأت ريح قوية تهبّ من الشمال الغربي . وفي ١٫٣٨ عبرنا شعب الجصّيّة ؛ وفي

٢٫٠٥ اجتزنا قرية العامريّة . وبالقرب منها تقع خربة اصغر حجماً ومقبرة ، وفي ٢٫٥٤ شعباً عريضاً هو الحدّار . وهنا كانت صخور الضفة اليمنى تكاد تصل الى الماء . وفي ٣٫٣٨ كانت قريتا السعدية والشّعَيْثي على يسارنا ؛ والى شمال — الشمال الشرقي رأينا ثلاثة تلال مائدية الشكل : قسرت الثليثوات ، وتقع بينها بئر أبو برابج ، وكانت الى غـــرب — الجنوب الغربي قرية الزعفرانية الزعفرانة والى الغرب جزيرة عليّي . وعلى الضفة اليمنى قرية العمّاري .

من ٣٫٥٧ الى ٤٫٣٠ رعَتْ جمالنا في شعب المصايد بالقرب من حقول الدير (٨٥) وقد تركت بوراً . وأخبرنا دليلنا حمود انه استأجرها في العام الماضي لكنه تخلّى عنها يائساً حينما استولى جابي الضرائب على كل محصوله تقريباً ، ولم يترك له الا قليلاً من القوت لا يكاد يَعُوله مدة شهرين .

وبالقرب من الدير جزيرة صغيرة هي الجَـديش وتنمو فيها اشجار الحور بكثرة . وصعدنا الى الأرض المرتفعة ثانية حيث رأينا من على صخرة تطل على الفرات قلعةً من العصور الوسيطة يقال لها ارتاجة ، وهي مستطيلة الشكل يحيط بها سور متين تنتظمه ثمانية ابراج نصف دائرية . وقد عثر احد الفلاحين من اهل راوة اثناء الحفر على لَبِنَة فيهـــا بعض الكتابات (لبنـــة مكتوبة) ، وسرعان ما باعها بأربعين مجيدياً (٣٦٫٠٠ دولاراً) . وتقول احدى الاساطير المحلية المتداولة ان هناك حصاناً من ذهب مخفياً في مكان ما في أرتاجه .

---

(٨٥) ومن المحتمل أن الدير هنا هو دير لبة .

ويكتب ياقوت ، المعجم (فستنفلد) ، م ٢ ص ص ٦٩٠ وما بعدها ، وابو الفضائل ، المراصد (يوينبول) ، م ١ ص ٤٣٨ ان دير لبة (او لبنى) على مايقال كان ديرا قديما على الضفة اليمنى للفرات في اراضى بنى تغلب ، حيث نازل هؤلاء بنى شيبان . — وفي نهاية القرن السابع وبداية الثامن للميلاد ، اعتاد بنو تغلب ان يضربوا خيامهم في الجنوب الشرقى من الخابور ، بين الفرات ودجلة ، او في المنطقة التى يقع فيها الدير المذكور .

وفي ٤٠ر٦ أقمنا خيامنا في وادٍ صغير قُبالة اكواخ الرافدة ، التي امكن رؤيتها بوضوح على الضفة اليمنى . وكان ثمة مزيدٌ من البرق والرعد طوال الليل . وقد اصابت الصواعق صخور المنطقة المجاورة عدة مرات كما ، سقطت صاعقة في الفرات .

في ١٨ أيار سنة ١٩١٥ ، خرجنا في الساعة ٥٣ ر ٤ صباحاً مخترقين مرتفع الوريجة الصخري . وفي ٣٨ر٥ ظهرت العيان امامنا من ناحية اليسار بلونها الأبيض قبة سلطان عبد الله . وتقع الى الغرب منها حقول البوبية والجابرية والبيضا والامليلي . ثم اخترقنا سهل السُقّاط الصخري ، حيث كان قد وقع مطر غزير في الليلة السابقة . وفي ١٥ ر ٦ اجتزنا ضريحاً صغيراً هو ضريح سلطان عبد الله ، الذي شُيّد على نتوء صخري بارز يطل على الفرات مباشرة . والى الغرب منه يوجد كهف كبير في الاجراف العالية القريبة من النهر وكهف حُجران . وفي ٣٢ ر ٦ رأينا شِعْب ابو جروة العميق منفتحاً من جهة جنوب - الجنوب الشرقي حيث تنفرج الاجراف الصخرية المطلّة على ضفة الفرات اليمنى ؛ وفي هذا الشِعْب توجد خربة تحمل الاسم نفسه بالقرب من بضعة اشجار قديمة تبعد عن النهر نحو ستة كيلو مترات . وتسمى المزارع التي تقع شرقيّ الجروة الشّقاقيّة ، وفي غربيّ مدخله تظهر جزيرة الحزم وهي لاتزال في مرحلة تكونّها . اكتشفنا على الطريق أفعى مرقّطاً قد أنشب انيابه في سحاليّة (سليمانية) ، ولما أبى ان يهرب ، قتلناه . وفي الساعة ٥٥ ر ٦ رأينا على الضفة اليمنى خربةً كبيرة هي الشجَيْرة ، حيث نقّب الفلاحون من المنطقة المجاورة بقايا قديمة مختلفة ، اما على الضفة اليسرى فتوجد حقول البيضا . وفي الساعة السابعة تراءت الخضرة الزاهية من بستان شجر حور في (البرد) الى جنوب - الجنوب الغربي . وفي ٢٠ ر ٧ كانت سنابل الحبوب الناضجة في حقل الرومية الجميلة تتهادى كأمواج البحر . وتقع على الضفة اليمنى عند هذا الموضع مزرعتا المُرْتَضيّة ومشيعَل . وبعد ان يتجاوز الفرات الرومية يقترب كثيراً من الاجراف مكوناً بذلك مضيقاً

يلفت النظر بصفٍّ من شجر الحور . وفي ٣٥ ٧ عبرنا شعْب العرّج الذي يبدأ عند بئر ابو القايه على هضبة سُحيان . وفي الساعة التاسعة صعدنا من حقول صَمَّة الى مرتفع بَنيجه . وهبّت من جهة الغرب ريح شديدة ؛ كأنها عاصفة تقريباً . وفي ١٤ ر ٩ عبرنا شعب الدغَيمة لصغير ، ورأينا على الضفة اليمنى قرية العبيُنْدي الكبيرة . وعلى الضفة اليسرى توجد ، على مقربة من هذا المكان قرى الدغيمة ، والعيش ، والدرجة ، والحميزة ؛ وتعرف كلها مجتمعة باسم رباط كما يعرف الطريق الذي كنا نسلكه الآن بـ (دجّة الدرهم) [دكّة الدرهم] .

وشكا دليلنا مُرّ الشكوى من المحنة التي كانت تسود راوه . فقد اضطرّ ولداه الى الالتحاق بالجيش ، لهذا وجب عليه أن يعُول زوجتيهما واطفالهما التسعة ، ولا تملك يداه غير كوخ متداع ورقعة بستان صغيرة لايتجاوز طولها ثمانية امتار ، وعرضها اربعة امتار ، والى جانبها نصبنا خيامنا . وكان لابدله وللعائلة كلهـا من الاشتغـال بنسيج الصـوف ، وكان سرورهم عظيماً حينما يكسب كل منهم قرشا واحداً (١ — ٤ ستنت) في اليوم .. ومع ذلك فالحكومة قد أكرهته على ان يدفع اولاً ، منذ شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤ ، ستة مجيديات ، ثم ثلاثة ، واخيراً خمسة مجيديات أخرى (٤٠ ر ٥ ، ٧٠ ر ٢ ، ٥٠ ر ٤ دولار) . ولكي يتمكن من دفع الجباية الثانيـة والثالثة اضطر الى بيع غلاّيتين من النحاس وجزء من ملابس زوجات ابنائه .

في الساعة العاشرة ظهر لنـا الى جنـوب — الجنوب الغربي بقايا برج القايم . وكنا نسافر الآن على سهل الحصّاص الصخري ، حيث توجد كهوف وفجوات متعددة تحت الأرض تتجمع فيها مياه الامطار الآتية من الاماكن المجاورة . ومن ٠٨ ر ١١ الى ٤٥ ر ١٢ بعد الظهر تناولنا طعام الغداء في شعب صغير هو عين الوحمه الصغير . وعقب الغداء عبرنا شعب ام السبع [أمّ السباع] ، وكانت بعض اقسامه مغطاةً بطبقة من الملح ، ومن ثمّ صعدنا الى هضبة يحدها من ناحية الشمال الشرقي مدّرج الجناء . وفي ٠٥ ر ٢ كانت مزرعة البروث الى

غرب — الجنوب الغربي ، والى الجنـوب الشرقي منهـا قريتا المرضـوخة والمذنَبْ . ومن ٢٫١٦ الى ٢٫٣٠ رعت جمالنا في سهل مستوٍ يسمّى العُقلي ، وفي ٣٫٢٥ وصلنا الى شعب الحج ، الذي يبدأ عند الغياري وينتهي في طِمْيِ الشجلة . وفي الساعة ٣٫٤٣ رأينا على نتوء العرصي الصخري الواقع على يسارنا بقايا ربوات متابر وأبراج كثيـرة تسمى ابو جـلال ، حيث وجـدت بقايا عظام بشرية ، وا باريق من نحاس وحلي مختلفة واوعية طينية ، ونقودا . وحدث مرةً أنّ فلاحاً من اهل راوه ، حينما كان يحفر في بناء مهدم يعرف بقصر ابو زُبّين ، وجد خمسين قادراً طينياً تضم هياكل عظميّة . ولقد كان العرصي مقبرة مدينة كبيرة تقع اطلالهـا ، التي تسمى الان الشيخ جابر ، على الضفة اليمنى من النهر . وتوجد على الطرف الشمالي الغربي من هذه المدافن بقايا قلعة قديمة بثلاثة ابراج في حالة جيدة حتى ان سلالمها الداخلية لاتزال سليمة .

في ٤٫٢٠ خيمنا في سهل السوسه الغربي الذي يعرف باسم موزان في قسمه الشمالي . وارتفعت امامنا خربة عنتود او الطاوي . وهـذه السهول المستوية ، وأعني الشجلة ، وموزان والمسيلة عبارة عن سهول مستنقعة الى حدّ كبير ، تنمو فيها اشجار الحور والطرفاء بكثرة حتى أن السهل الأخير يبدو كأنه أجمة .

السوسـة الى الروانيـة

في ١٩ أيار سنة ١٩١٥ ، خرجنا في الساعة ٤٫٤١ صباحاً مخترقين الاقسام الخصبة من سهل الفرات الفيضي المسمى بالورديّة ، وهذه الاقسام تعرف بالشنشولة والشّعفة ، والأخير منها يمتد حتى يبلغ نتوء العرجي الصخري . ويندمج السهل من الناحية الشرقية بالتدريج في سفح معتـدل الانحدار ، تسمى اقسامه المختلفة من الجنوب الى الشمال : الغيـارى ، البيـادر . [عقعق] . وتوجد عدة آبار في القسم الجنوبي من هذا السفح . وعلى هذا فان شعب المسيلة يأتي من بئر العبّلى ؛ وفي غربها تقع بئر ابو شدَيْخة كما يوجد في شمال شعب

المسارين ، الذي لا ماء فيه ، بئر القريجيعه ، وعند ابو الظّل توجد تجاويف (ثمايل) في الارض تتجمع فيها المياه الجوفية . وأخيراً نجد [قليب] علّوني ، في شعب الحليْلة الذي ينتهي مقابل البهنسة .



شكل ٥٠ زور الكشمة

وفي الساعة ٤٠ر٥ ظهر على الضفة اليمنى من جهة غرب – الجنوب الغربي مخروط تل مدقوق المنعزل وما فوقه من خرائب ، والى شرق هذا التل رأينا خربة واسعة هي خربة الحريري ، وأبعد منها جنوباً خربة أبو سيباط . وقد لاحظنا بعد الساعة ١٠ر٦ على يميننا نهر دوْرين القديم ، وابتداء من هذا الموضع كان علينا ان نعبر جميع فروعه المتعددة التي تجري الى الغرب . ويقال ان دورين ينتهي أسفل من جرف العرصي بالقرب من خرائب ابو رق في سهل حاوي البروث . وفي ٤٧ر٦ كان الى يسارنا احد فروع الفرات المسمى سراة الكشمة . والسراة تعنى فرعاً يتجه من النهر الى سهل فيضي . ويسمى مثل هذا السهل في العادة : الحاوي ، وحينما

يكون مغطى بالدغل او الاشجار يسمى : الزُور . وظلت الجمال في مرعاها من ٧٫١٠ الى ٧٫٤٠ (شكل ٥٠) وفي ٨٫٠٥ عبرنا ، عند ركام خربة الزنقيح ، فرعاً من الفرات ممتلئاً بالرمل يكاد عرضه يبلغ خمسين متراً . وأصبح بامكاننا ان نرى من جهة جنوب – الجنوب الغربي على الضفة اليمنى من النهر خرائب ام زناد ؛ وفي غرب – الشمال الغربي منها امتدت كثبان رملية داكنة تعرف باسم طُعوس شَعبان ، وفي جنوبها ، الى الغرب من تل مدقوق يوجد تل رملي يعرف بطعوس رسول . وارتفع الى الغرب منا ، بصورة مباشرة تقريباً ، تل صغير قاتم اللون هو تل الجحش . وقد جرى في هذا التل تنقيب آثار قديمة مختلفة .

في الساعة ٨٫٥٢ اجتزنا خربة تل البَهَنَسْنة ، وتكون هذه الخربة تلاً ارتفاعه نحو عشرين متراً ويبلغ طوله من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي مائتي متر ، وعرضه مائة متر . وتتصل به من ناحية الشرق اكداس صغيرة كثيرة تجمع فيها آجرّ قديم . وثمّة نهـــر ، نصف مردوم الآن ، كان يجلب الماء من الفرات سابقاً . اما القسم الغربي من الخربة فقد جُرف وزالت آثاره (٨٦) .

وعلى الضفة المقابلة ترتفع ربوة خرائب طويلة تسمى خربة الجَحَش ، احتشدت حولها اكواخ بلدة الرمادي . وفي الساعة التاسعة ظهرت قرية الدميم على الضفة اليمنى من جهة غرب – الجنوب الغربي ؛ وعلى الضفة اليسرى : قرية المُفَتَّق . والى الشمال الشرقي لم نجد خرائب كبيرة الحجم في السهل الفيضي الخصب . وفي الساعة ٩٫٣٩ كانت على يسارنا قرية الهجين . وفي

---

(٨٦) وفي خربة البهنسة أحدد موقع نقرباني الآشورية . وفي عام ٨٧٨ق م جلب سكانها الى الملك اشور نازر بال : فضة ، ذهبا ، رصاصا ، اوعية ، ماشية وغنما (الحوليات [رولنسن ، المصدر السابق ، م ١ ، اللوحة ٢٣] ، العمود ٣ س ١٠ ، بج و كنك ، المصدر السابق ، [١٩٠٢] ، ص ٣٤٩) .

ويكتب ياقوت ، المعجم (فستنفلد) ، م ٢ ، ص ص ٦٥٥ وما بعدها ، ان دير حنظلة يقع بقرب الضفة الشرقية لنهر الفرات ، اسفل من رحبة مالك بن طوق بين الدالية والبهنسة . ولقـد تغنى بموقعها الجميـل عبدالله بن محمد الامين بن الرشيد حينما مكث فيهـا لفترة قصيرة .

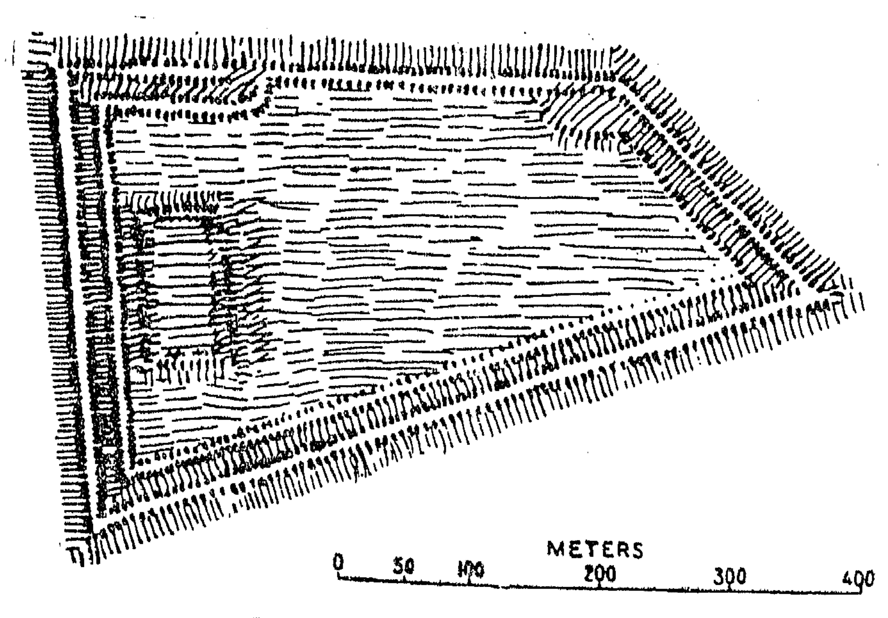
شمالها خربة معَيصرة ومقبرة . وظهرت في ٩٫٥٣ الى غرب ـ الجنوب الغربي على الضفة اليمنى قرية الخَريطة ، وامامنا ربوة خرائب الغريثي الداكنة اللون ، وتقع وراءها مزرعة الصفاء . حتى اذا ابتعدنا عنها شمالاً ظهرت قبّة وردية اللون في خرائب الجّعابي . وفي ١٠٫٣٥ امكن رؤية اشجار قرى الكشوحة في الجنوب الغربي ، والى الشمال منها مزرعة البحراء ، والى الغرب منها توجد في وسط الحقول خرائب الصفاء (٨٧) وتقع البحراء مقابل مركز الدرك بالصالحية .

من ١١٫٣٠ الى ١٢٫٤٦ بعد الظهر عملنا في خرائب الجّعابي . وكانت تقع في يوم ما مدينة واسعة يحيط بها سور من الشمال والغرب والجنوب (٨٨) .

---

(٨٧) واستنادا الى سجلات رحلة توكولتي اينورتا الثاني فان الصفاء هي صبرى القديمة (راجع فيما يلي ص ص ١٥ وما بعدها) .
وفي عام ٨٧٩٠ ق م تسلم اشور ناربال في صبرى ، مستحقاته الاتية : الفضة ، الذهب ، الرصاص ، الاواني ، الماشية والغنم .

(٨٨) وتطابق الجعابي ، وفقا لايسيدور الشراكسي ، قصور البارثيين (ملر) ، ص ٢٤٨ ، و زوسيموس (التاريخ الحديث ، ح ٣ ، ١٤ ، واميانوس مارسيلنوس ، ريرم جستارم ، ح ٢٤ ، ١ : ٥ ، ضاحية من ضواحي يوروبس ـ أو كما كانت تسمى ايضا : بلدة نيقانور (نيكانورس بوليس) او دورا ـ وقد اسسها المقدونيون .
ويروى بوليبيوس ، التاريخ ج ٥ ص ٤٨ ، ان مولون فتح في عام (٢٢١ ق م) بارا بوتاميا ، من سلوقيه على دجلة الى يوروبوس ، وميزا بوتاميا [بلاد مابين النهرين] حتى بلغ دورا .
واستنادا الى بوليبيوس ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ٥٢ ، فان بلدة دورا تقع على الضفة اليسرى لدجلة ، وقد حررها انتيوخوس (٢٢٠ق م) اثناء حملته على مولون . ولهذا لانستطيع البحث عن بارابوتيميا بمحاذاة دجلة ، بل لابد من البحث عنها بمحاذاة الفرات ، ويمكن مطابقة بلدة يوروبوس بالمستعمرة المقدونية يوروبوس أو الجعابي المعروفة لنا .
ان بوتيميا المتدة على الفرات تتاخم بلاد العرب من حدها الجنوبي (سترابون ، الجغرافية ، ج ١٦ ، ٣ : ١) .
وفي النصف الاول من القرن الرابع للميلاد هجرت بلدة دورا (هوفمان ، مقتبسات [١٨٨٠] ، ص ص ٢٨ وما بعدها) .



(شكل ٥١ -- خريطة خرائط الجعّابي)

وتقوم في غربي الجعابي ، على نتوء صخري في الجدار الغربي لوادي الفرات ،خرائب الصالحية . ووصلنا في الساعة الواحدة الى مجرى مهجور للفرات هو سراة المويه . اما مجرى النهر الحالي الذي يمر بالصالحية فانه كان في الارجح نهراً في الاصل . وفي ٢٠ر١ كانت في غربنا قرية [الغرانيق] وكثير من الجزر الصغيرة في النهر . ورعَتْ جمالنا من ٣٣ر٢ الى ٠٥ر٣ . وتركنا الحقول في ٣٨ر٣ . ودخلنا في الساعة ٥٢ر٣ طريقاً شاقاً تغطيه رمال ناعمة . وكانت الريح هنا تسفي الرمل الى السهل الفيضي المستوي فتكوّن ربوات صغيرة رمادية قاتمة اللون يجود فيها نمو الطرفاء . وقد تكوّنتْ ، بفعل سافيات الرياح هنا وهناك خلال مدة طويلة ، تجمعات رملية الحقت ضرراً كبيراً بالمزارع . وفي ٢٠ر٤ بلغنا مجرى قديماً للفرات يسمى ابو حَمَام . وفي ٣٠ر٤ أرانا الدليل خرائب مبنى صغير تقع على مقربة من دَوْرين تبعد من ناحية الشرق ثلاثة كيلومترات تقريباً . ، وقال انها دير الصويّْوينه . وفي ٥٣ر٤ كانت على يميننا خرائب تلّ المَعَادّي .

المروانية الى البسيرة على الخابور

بعد ان انعطفنا شمالاً ، وصلنا في الساعة ٠٥ر٦ الى خربة المروانية (شكل ٥٢) وهذه الخـــربة اصبحت الآن متداعية بصورة كاملة ، ويكوّن القسم الأوسط منها مستطيلاً يبلغ طوله من الشرق الى الغرب ٦٠ متراً ، وعرضه ٣٠ متراً . وتستدير الخربة عند كل ثمانية عشر متراً مما يدلّ على ان سور الحصن كان معززاً بحصون او أبراج جانبية . وهناك مستطيل مسوّر — لعله معسكر محصّن — يحيط بالقسم الاوسط ويتصل من الشرق بكومة احجار عالية شبـــه مدورة . ويجري نهر دورين مسافة كيلومتر ونصفاً تقريباً الى الشمال الشرقي ، غير أن فرعاً جانبياً منه يجلب الماء من مسافة تمتد حتى المروانية (٨٩) .

بعد ان غادرنا في الساعة ٢٠ر٦ متخذين اتجاهاً شمالي — شمالي غربي ، خيّمنا في ٤٠ر٦ عند الجيردي ، حيث قمنا بتحديد خط العرض .

وفي ٢٠ أيار سنة ١٩١٥ تركنا المخيم في الساعة ٤٥ر٤ صباحاً . وفي الساعة الخامسة كان مشهد الشيخ وخربة صغيرة الى الجنوب منا على بعد كيلومتر واحد تقريباً

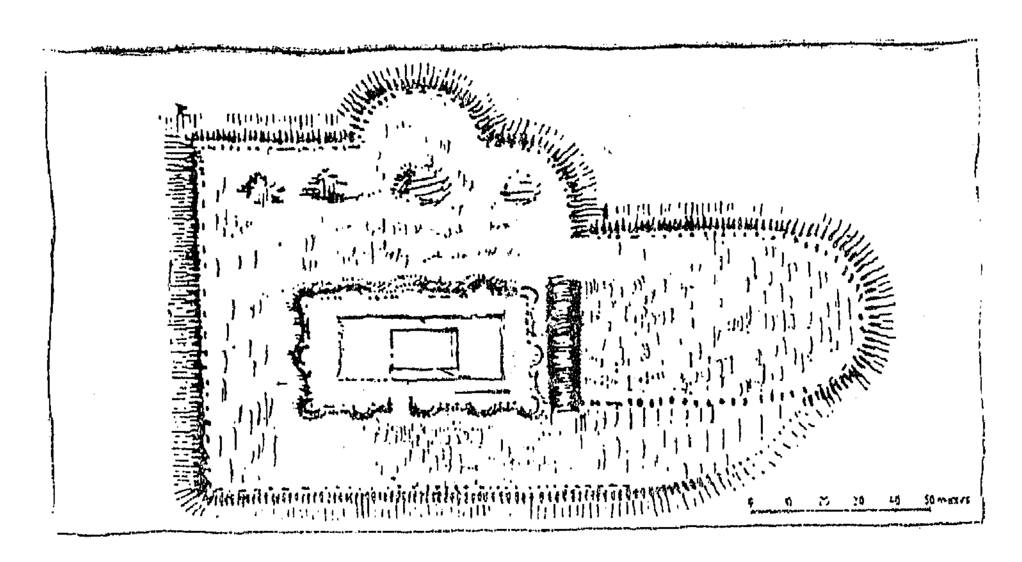
وفي ٤٥ر٥ اجتزنا خرائب المقتلة وكوّنت نقاضتها أربعة اكوام واسعة . ورأينا على الضفة اليمنى من الفرات تلاً ارتفاعه نحو عشرين متراً ، ويتكون من خرائب جرفت مياه الفرات الجزء الشرقي منها وكانت على قمته قرية العشارة ، حيث كان للحكومة ممثل فيهـــا قبل ان ترمم دير الزور . وكان الفلاحون يقضون في العشارة وما جاورها وبين جميع الخرائب الممتدة الى دير الزور ، كثيراً من الوقت في التنقيب عن الآثار القديمة ، وكان تلّ كراخ ؛ الواقع على الضفة اليسرى قُبالة المياذين ، وافر الانتاج بوجه خاص في هذا الصدد .

كنا نقطع الآن سهل سويدان الفيضي الخصب ، وتحاذى هذا السهل من الشرق حقول الحامد . وعاد الدليل الى اعلان سخطه ثانية موجهاً التّهم الى الشيخ تبّان

(٨٩) انظر فيما يلى ، الملحق الرابع عشر .

بن حفله ، من قبيلة العقيدات ، الذي أخذ الجمال والاغنام من الفلاحين في المنطقة كلها من العرصي الى الخابور ، ثم الى الصوار ، ولهذا كافأته الحكومة بوسام على حميته . وكان أبوه ، حفلة بن عبدالله ، مشهوراً بقسوته . حيث سبق ان قتل ثلاثة من ابناء أخيه وضيفاً بعد ان سابه .

في ٦٫٥٠ ظهر مشهد الشيخة عمشه الى الشمال على النتوء الشرقي لتل جمه . ومن ٧٫٠٠ الى ٧٫٣٥ بقيت الجمال ترعى مقابل قرية الجزيرة الواقعة على الضفة اليمنى . وقد ضاق السهل الفيضي الخصب الممتد على الضفة اليسرى الى حد كبير وأصبح يحده من الشرق سراة الجمة وهو فرع من الفرات كنا نسير على امتداده الآن . وارتفعت على الضفة اليمنى ربوة خرائب ارتفاعها نحو خمسة عشر متراً ، مبنية عليها قرية كبيرة تسمى القرية أو التل . وبعد الساعة الثامنة عاد الحاوي (اي السهل الفيضي) الى الاتساع ثانية . وفي ٨٫٢٠ وصلنا الى فرع آخر يترك الفرات شمالي القرية .



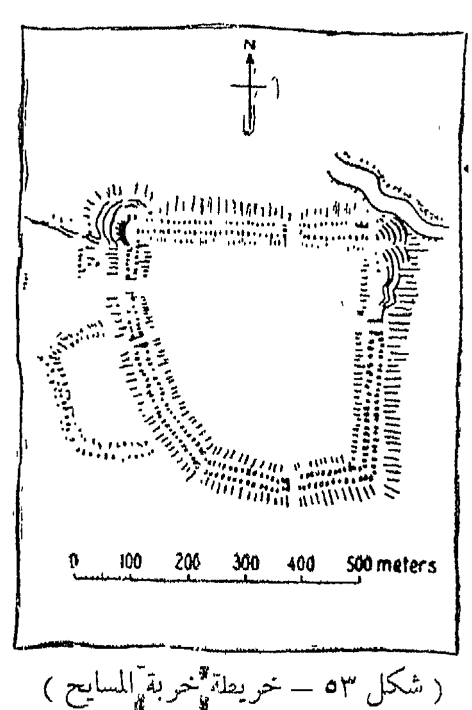
شكل ٥٢ مخطط خرائب المروانية

من الساعة ٣١ ر٨ الى ٠٤ ر٩ تفحصنّا خربة المسايح الكبيرة (شكل ٥٣) .
وهذه الخربة محاطة بجدران عالية ولكن غير منتظمة يبلغ طول جانبها الشرقي ٤٨٠ متراً ، والشمالي ٥٣٢ مترا . ويبرز الجانب الجنوبي الى الخارج ، وله باب بالقرب من وسطه ، أما الجانب الشمالي فانه يغيّر اتجاهه عدة مرّات . وجدرانها سميكة مبنية بالآجر يزيد سمكها على خمسة امتار وكانت كلها — مغطاة بطبقة سميكة من آجر مفتتّ حتى اصبح من المستحيل علينا ان نتوصل الى نتائج محددة عن بنائها . وبدت على الضفة اليمنى من الناحية الغربية خرائب المحكان الواسعة في حين برزت الى يسـارنا ، من الجهة الشمالية الغربية ، قُريّة تلّ الدمبوق وخرائبها وفيما وراء هـذه قرية الطيّانة وخرائبها ، والى شمال — الشمال الغربي ، خرائب كراج . ولم نشاهد قلعة الرحبة الا بعد الساعة ٢٢ر٠٩ فقد برزتْ بوضوح فوق الافق على الاجراف الغربية من ناحية غرب — الشمال الغربي . وتألقت القلعة نفسها بلونها الأحمر القاني — بينما كان لون التل الذي تقع عليه ورديّا في الوسط ، وبنفسجياً عند القاعدة . وتهيمن القلعة بموقعها على جميع الاراضي المجاورة ، وتشكل — ان صّح التعبير — تهديداً للمسافر من أية جهة جاء .

وفي الساعة ٠٥ر١٠ كانت الى جنوب — الجنوب الغربي حقول ذيبان ، والى شمال — الشمال الغربي خرائب كراج ، وكان نهر دورين على بعـد ثلاثة كيلو مترات تقريباً من ناحية الشمال . وفي ٣٥ ر ١٠ كانت الى الغرب منا وعلى جانب النهـر الذي كنـا فيه قرية الغرَيْب ؛ وعلى الجانب المقابل مدينة الميادين . وفي ٥٥ ر ١٠ عبرنا سـاقية واسعة تأخذ الماء من نهر دورين ؛ وفي ٤٥ ر ١١ رأينا على اليسار خرائب الطامّة وبها ضريح الشيخ محمد . والى الغرب قرية تسمى الحوايج .

ومن ٥٥ ر١١ الى ٢٠ ر١ بعد الظهر اخذنا قسطنا من الراحة قبـل اجتياز سهل الشّخيل الزراعي .

وفي ١٥ ر٢ مررنا خلال خرائب (قرية الزّهيّة) . وتمتد هذه القرية من الشرق الى الغرب : ويرتفع في قسمها الشرقي ركام كبير من انقاض البناء كأنه بقايا قلعة . وقد تركنا منظـر مابقي من حصن قرْقيسيّا القديم واكواخ قرية البسيرة



(شكل ٥٣ — خريطة خربة المسايح)

الجديدة اثراً قوياً في نفوسنا ، وتقوم بقايا هذه القلعة على حافة شديدة الانحدار الى الجنوب ، وبرزت في الناحية الشمالية الغربية ربوة خربة الرزّ الى الغرب فوق حقول الموخ ؛ وكانت الى الشمال ضفّة نهر الخابور ، وفي الشمال الشرقي أبنية ثعو القديمة .

وفي ٥٠ ر ٢ عبرنا ساقية ري قديمة تتفرع من الخابور . وامكن رؤية خربة قرية الرزّ في الغرب على الضفة اليسرى من الفرات . وفي ٥٠ ر٣ مررنا خلال بعض الخرائب القديمة ، وقد نقلت جميع مواد بنائها ولم يبق فيها سوى قطع صغيرة من الآجرّ وكسَر من الفخّار .

وفي ٤٠ ر٣ عبرنا الخابور على جسر جديد يقوم على ثمانية أعمدة حجرية ، وله سياج من الخشب . وقد دفع سكان القرى المجاورة المبلغ اللازم لبنائه . ويبلغ رسم [مكس] المرور على الجسر قرشين (٩ سنتات) لجمل واحد مع حمولته ؛ وقرشاً واحد لجمل بلا حمولة ، وللبغل

الواحد المحمّل اربعة متاليك (٦ سنّات) ، وللبغل غير المحمّل متليكان .
ثم مررنا بساحة واسعة مكشوفة تفصل بعض الخرائب التي توجد على تلّ صغير عن خرائب كثيرة أخرى تقع الى الشرق ، في أرضي مستوية تسمى المتراس ؛ وفي وفي ٥٠ ر ٣ توقفنا عند القاعدة الشمالية الشرقية للتّل السابق الذكر ، حيث كان علينا ان ننتظر حتى الساعة ٤٥ ر ٤ . وحينذاك حصلنا على رجلين جديدين من الدرك ليحلا محل رجلي الدرك اللذين صحبانا من راوه .

وعقب وصولهما سرنا خلال حقول البراحة والغليوة متجهين نحو الشمال الغربي .

البسيرة

ان قرية البسيرة (٩٠) مبنيّة على الربع الجنوبي الغربي من الخرائب الواسعة التي تغطي الحافة الجبلية المشرفة على مصبّ الخابور في الفرات . ويبلغ عدد بيوتها ١٣٠ بيتاً . تجمعت في محلّتين : الجوبة ويتولى امر ادارتها المختار شبلي الحسين . والعلّية ويديرها خلف النايف . اما الأبنية القديمة فلم يبق منها بناء سليم ؛ ولا يرى الناظر سوى اعمدة قلائل وبعض كتل حجرية منحوتة . والظاهر انهم نقلوا الانواع الصالحة من مواد البناء إما الى الرحبة او الرقّة . ومعظم الآثار القديمة يمكن الحصول عليها من الفلاحين في المحلة المسماة المتراس .

في ٣٠ ر ٥ شاهدنا الى الشرق الشمال الشرقي : عند حافة مرتفع الرقّاعة ربوة خربة تلّ الجبن . وفي ٤٠ ر ٥ خيمنا قرب مرقد الشيخ العبّوني حيث . قمنا بتحايا خطّ العرض .

(٩٠) انظر فيما يلي ، الملحق الثالث عشر .

الفصل الثاني عشر

الخابور الى بالس بطريق ديرالزور

البسيرة الى ديرالزور

في ٢١ أيار سنة ١٩١٥ خرجنا في الساعة ٠٢ر٥ صباحاً ، مخترقين سهل الفايوة المنبسط . الذي يمتد بين الفرات والخابور ورأينا في الساعة ١٥ ر ٥ بقرب الأول منهما خرائب الدواليب ، والى الشمال الغربي براكين الجحيفات .

وفي الساعة ٢٠ ر ٥ كنا على طرف سهل السبخة الفيضي ، وفي ١٢ ر ٦ مررنا خلال حقول (الجديد) واجتزنا مشهداً صغيراً للشيخ محمد الويّس (شكل ٥٤) . يرتفع على حافة مدرج يهبط مسافة خمسة امتار تقريباً الى السهل الفيضي الغريني (الحاوي) . ويظهر ان الفرات في هذا الموضع كان يجري في الاصل قريباً من السفح الشرقي من واديه ، كما هي الحال حتى الآن ، بين مشهد الشيخ محمد الويّس والسبيرة . وهذا المدرج ، الذي يعبر الطريق : عبارة عن ارض مستوية جرداء ليس فيها نباتات مستوية حتى ولا نباتات دائمية . ما عدا بقعة تظهر من حين لآخر تنبت فيها نباتات مستوية جافة قليلة تسمى الحَمْري . وفي الساعة ٤٧ ر ٦ لفت الدليل نظرنا الى تل صغير يقع على ضفة النهر اليمنى من ناحية جنوب — الجنوب الغربي يأخذ شكل السَّرْج يسمى الهرَيم يحفر فيه الفلاحون بحثاً عن الاثار القديمة . وفي ٣٣ ر ٧ ظهر للعيان تلاّن على الشمال الغربي يطلق عليهما اسم الشَّرْفيّات . ومن ٤٠ ر ٧ ٠٩ ر ٨ رعت جمالنا على ضفاف نهير يسمى سراة البوعمْر يتفرع من الفرات بقرب خرائب المجيْبرة على أطراف قرية الطابية . وفي ٢٠ ر ٨ شوهدت قرية ام حسن الى الغرب على الضفة اليمنى من النهر . وفي ٤٥ ر ٨

اجتزنا ضريح الشيخ ميشرّف الذي أُقيم على رابية وسط مقبرة ، وقد غرز الناس اغصان الطرفاء وسُوقتها عند مقدمة بعض القبور هناك (شكل ٥٥) . وفي ٥٠ر٨ مررنا بمجرى جاف قديم من مجاري الفرات . وهو فرع مسدود من فروعه يسمى سراة الخشام . وفي ١٥ ر ٩ شاهدنا الى يميننا على الضفة اليمنى من المجرى القديم خرائب كبيرة تسمى المالحة . وفي ٤٠ ر ٩ دخلنا مجرى السبّعة وهو مجرى عميق قديم وبعد اجتيازه وصلنا الى خرائب السّن ، حيث توقفنا من ٥٠ ر ١٠ صباحاً الى ٦ . ١٢ بعد الظهر .

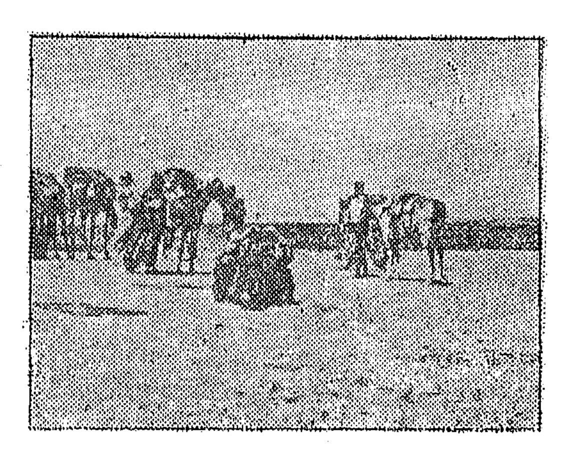
وتحيط الاسوار بخربة تلّ السنّ (شكل ٥٦) من الشرق والجنوب والغرب ، اما من الشمال فتحيط بها سواقي الري . وكانت هذه السواقي تستخدم وسيلة للدفاع ايضاً . ويقوم في الركن الشمالي الغربي منهذه الخرائب مرقد صغير وعمودان رشيقان من المرمر ، والواح من المرمر ايضاً ، وقِطَع من رؤوس الاعمدة في الداخل . وتوجد في هذه الخرائب اكثر من خمسين حفرة ، حفرها أناس يبحثون عن الآثار القديمة . ويمر الطريق من تلّ السنّ الى الدير بين حقول مروية تتوزع في قرى مرّاد ، والهطلة ، والحسينية .

وفي الساعة ١٨ر١ بلغنا الجسر الذي يربط بلدة الدير الواقعة على الجانب الغربي من النهر ، بجزيرة صغيرة وبالضفة اليسرى . ويمتد من هذه الضفة الى النهر احدّ عشرّ عموداً يستند عليها الجسر ، ولكن الباقي منه يستند على قوارب . وبعد عبورنا الجسر ذهبت مباشرة الى مبنى الحكومة لمقابلة المتصرف (مدير شؤون المنطقة) وكان نائماً . ثم ذهبت الى مركز الدرك ولكنهم كانوا جميعاً نائمين . حينذاك أيقظت الضابط الذي يتولى أمر القيادة وقدمت له رسائل التوصية التي معي وطلبت منه ان يعيّن رجلين من الدرك لمصاحبتي في سفرتي التالية . واعتذر قائلاً انه لا يستطيع عمل شيء بغير موافقة المتصرف . فأجبته باني سأنتظر الدرك حتى الساعة الثالثة خارج المدينة : فان لم يحضروا واصلت السفر بدونهم . وكان لهذا تأثيره في نفس الضابط اذ أتانا عقب الساعة الثانية بقليل فارس يعدو ، وطلب أن أقدم نفسي الى المتصرف . وكان جوابي له انني سبق ان

زرته آنفاً وقد حلّت نوبته الآن لزيارتي ، لانه كان نائماً عند زيارتي إياه .
وبعد ذلك بوقت قصير جاء سكرتير المتصرف ملتمساً مني ارسال اوراقي لفحصها على الأقل واحلته على الضابط الذي إستنسخ الفقرات المهمة منها . وفي ٥٠ ر٢ ، وكنا على وشك ان نفرغ من شرب الشاي ، ﺇذا بفارسين من الدرك يسرعان نحونا . وعندما توقفا بازائنا اعلنا انهما الحارسان اللذان طلبتهما . وقدّم ناصر لكل منهما كوباً من الشاي .

ديرالزور الى الطريفساوي

في الساعة ١٢ ر٣ غادرنا المكان الذي كنا قد استرحنا فيه وكان يبعد نحو كيلو مترين عن مبنى الحكومة ، وكيلومتراً ونصفا من المدينة . وفي ٣٠ ر٣ قطع الطريق العام الذي كنا نسير فيه شعب الجورا الصغير الى يسار قرية الصالحية . ولم نعد نرى بعدالساعة الرابعة مزارع على الضفة اليمنى ، اذ كانت الاجراف الصخرية في هذه المواضع تصل الى الماء تماماً . وعلى الضفة اليسرى تقع اكواخ الجنينة والمعيشية بين حقول زراعية . وبعد ٤٠ ر ٤ سرنا بين صخور (ا للابة) ، وفي ٠٦ ر ٥ عبرنا عند قرية البغيليّة شِعبْاً صغيراً ولكنه عميق اسمُهُ ابو طنيطيل (ذو القلنسوة المخروطية الصغيرة) وسمي بذلك لوجود كدس عال من الاحجار فوق ضفّته اليسرى يشبه القبّعة . ويتصل بهذا الشعّب على جانبه الأيسر رافد صغير يسمى شعب الأرخام (الرخام) . وفي ٤٥ ر ٥ كان على يسارنا طريق يتفرع الى واديين مزروعين همـــا : المحسن والقصيبة ؛ وفي ٥٥ ر ٥ اجتزنا على اليمين منّا : براكين الحجيفات الخامدة ، وفي ٠٥ ر٦ عبرنا شعب ابو جُمْع وتتدفق بقوة عن يمين هذا الشِعْب عين العياش ، وفي ١٠ ر٦ شاهدنا على اليسار خرائب الضابي الواقعة على جرف صخري شديد الانحدار ، ثم انحدرنا شرقاً الى سهل الخريْطة المنبسط المزروع ، حيث لاحظنا مخيماً للعقيدات ، ولم يعد لدي الدرك علف لحصانيهما . ولما كان الطريق الذي سلكناه ينعطف هنا الى الشرق والرطوبة تزداد فيه خطوة بعد خطوة ومخيّم الفلاحين على مسافة غير قليلة

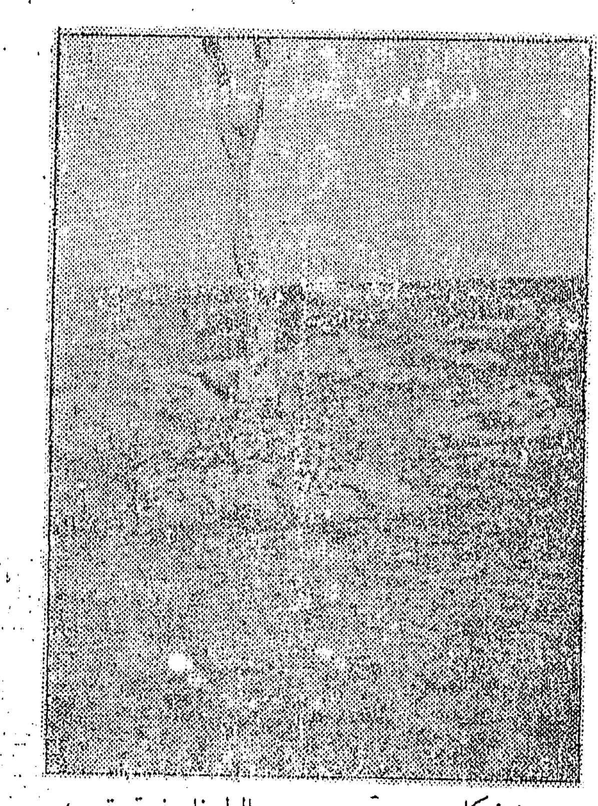


(شكل ٥٤ – من الشيخ محمد الوَيس° ناظرين غرباً)

منا لذا ارسلت الأصغر سناً من رجلي الدرك للحصول على الشعير ، بينما انطلقنا الى جهة الشمال مخترقين السهل الغربي . ولم نلبث ان وجدنا انفسنا بعد قليل على بقعة من الارض تحيط بها المستنقعات . ولـم نستطع ان نواصل سيرنا كما لم تكن لنـا رغبة في العودة ادراجنا ؛ فنزلنا هنا حيث أقمنا مخيمنا في الساعة ١٥ر٧ . ولم يكن للجمال شيء ترعاه بل اننا لم نعثر على حطب نستخدمه وقوداً لطبخ عشائنا لذا اضطررنا الى النوم دون عشاء . ولقد قاسينا نحن وحيواناتنا من البعوض الذي انقضّ علينا بألوفه المؤلفة .

وفي ٢٢ أيار سنة ١٩١٥ : في السـاعة ٤٥ ر ٤ صبـاحاً غادرنا المكان بسرور ، حيث لم نستطع ان نغمض عيناً طوال الليل . وبعودتنا الى جهة الجنوب الغربي في الساعة ٢١ ر ٥ دخلنا الطريق العام الذي تركناه مساء اليوم السابق . وتوجد في هذا المكان على الضفة اليسرى من النهر مجموعة من القرى هي : المحميدة ، ابو سفير ، الحوايج ، الزغَيّر [الصغير] وسعوه . وتوجد بعض ربوات خرائب في القرية الأخيرة . وفي ٤٥ ر٥ وصلنا الى سهـل الشميطية الغربي ، وتغطي هذا السهل أجمة كثيفة من الطرفاء . ورأينا في الفرات جزرا صغيرة تسمى حوايج الدمّ . وفي ٥١ ر٦ اجتزنا جرف طابوس وتقع عليه كومة صغيرة من انقاض بناء قديم . ومن ١٠ ر٦ الى ٣٨ ر٦ سامتْ جمـالنا في سهل

الشميطية المنبسط ، الذي يمتد مسافة خمسة عشر كيلو متراً اما عرضه فيبلغ في بعض الاماكن عشرة كيلو مترات . ولو أزيلت الطرفاء من هذا السهل ، ونُظّم الريّ في شطر منـه لكان في الامكان زراعة الرز والقطن بنجاح فيه . وفي ٤٠ ر٧ رأينا في شرق – الشمال الشرقي بيتَ (مدير) الشميطية ، كما رأينا على الضفة اليسرى ، فيما يلي حترول ، الحسَر بيتَ مدير الكسرة .



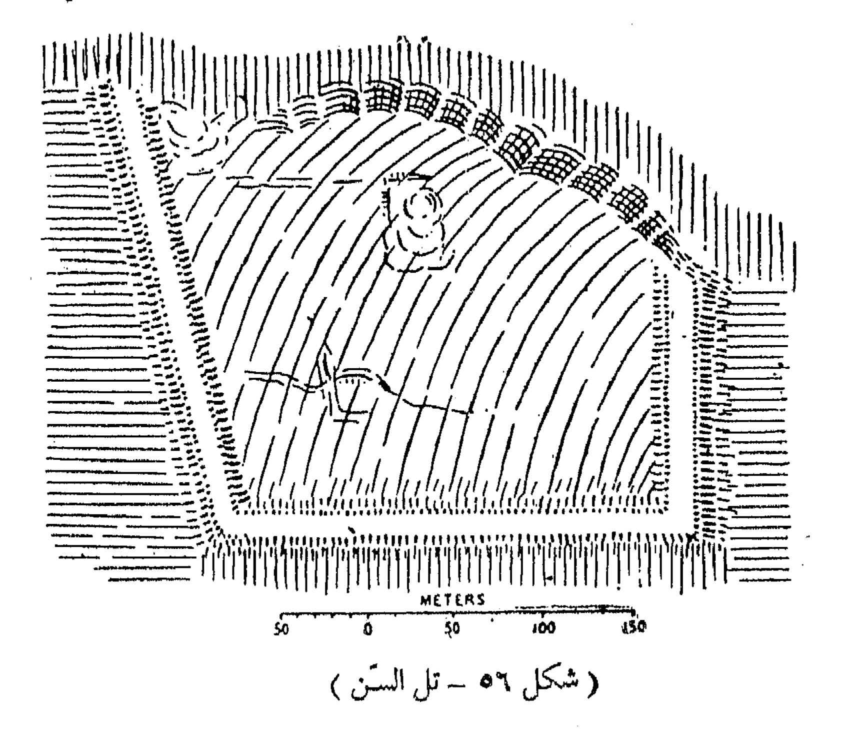
(شكل ٥٥ – عمود من الطرفاء فوق قبر)

في الساعة ٠٧ ر٨ عبرنا شعب المعموري ، ويقال أنّ بقايا قلعة قديمة توجد فوق الضفة اليسرى منه . ويمتد الطريق العـام بمحاذاة أجراف السكران ، ويبلغ ارتفاع هذه الجروف ٢٥ متراً تقريباً . وقد تكونت نتيجة تعرض الصخور الطينية لعوامل التعرية . وتنتظم هـذه الأجراف كثير من الفجوات الصغيرة

التي اصبحت مأوى لعدد لايُحصى من الحمام والسُحْم من الغربان . وفي ٢٠ر٨ غادرنا السهل الفيضي (الحاوي) ثم توقفنا من ٣٢ ر ٨ الى ٥٠ ر ٨ على الحدود الجنوبية الشرقية من اقليم القَصّايات الوعر .

الطريفاوي الى المعدان

في الساعة ٠٣ ر٩ رأينا على اليمين حقول المِصرّب والمشراقة ، ورأينا على نتوء صخري من جهة الشمال قريةً صغيرة مهجورة هي الطريفاوي أو الطرّيفْ . وكان لهذه القرية طريق يمر بها ولكن هذا الطريق انخسف في عدة أماكن واصبح الطريق الحالي يدور حولها مما اضطر النـــاس الى هجرها . وفي ٢٥ ر ٩ شاهدنا من ناحية شمال ــ الشمال الغربي خرائب الحلبية وفي شمال ــ الشمال الشرقي: مخرج نهــر ري قديم يسمى المَسْران ، كان الماء يجري فيه على امتداد لحف جرف الخرموشية ، الذي يسد سهل (الكبار) الغريني من



(شكل ٥٦ ــ تل السّن)

جهة الشرق . وفي ٤٠ ر٩ عبرنا شعب الطريف الواسع العميق ، وفي ١٨ ر١٠ إجتزنا قرية الطريفاوي ، وفي ٢٢ر١٠ شاهدنا امامنا جبل الحمّة الضخم المائدي الشكل ، الذي يشقّه النهر ، وتقع الحلبية عند لحفه الجنوبي الشرقي (٩١) . وتوجد على الضفة اليسرى جنوبي المضيق خرائب الزّلبيّة التي يتفرع من الفرات الى الجنوب منها مباشرة نهـــر المسران القديم . ومن هذا الموضع تمتد بقعة من السهل الفيضي جنوباً حتى تبلغ مخرج هذا النهر .

ومن ٤٥ ر١٠ الى ٢٠ ر١٢ بعد الظهر تركنا الجمال ترعى عند نهاية الوادي الضيق المعـــروف بـ (سحل الزّغيّر) في مرج الأُبَيْطية الكبيـــر امام مركز الدرك في التّبني . وفي ٤٠ ر١٢ عبرنا واديّ سحل القرير العميق ، وكان قد تم اذ ذاك بناء خان (نزل) على ضفته اليســـرى . ويبدأ سحل القرير عند مخروط العبيد . وتقع الى الجنوب الغربي منه بئر جرلايوك ، والى الشرق منها يجري شعب العليجي آتياً من سلسلة جتب البشري . والشعْب الأخير يتصل بالقرير قرب بئر العليجي . وفي الشمال الشرقي من نقطة الاتصال هذه يندمج شعب الحرامية مع القرير على اليسار وينحدر سحْل الحرامية(او سحَل الكبير) من تّل طرَبْ الهرميّ الشكل ويتاخم حافة السِرّة في الجنوب . وفي هذا الشعب تقع بئر الحرَامية .

ويقع مركز التّبني على جرف فيما يلي الخان(النزل) ، على ارتفاع خمسة عشر متراً تقريباً فوق الطريق العام . وفي ١٨را كانت على يسارنا خرائب الشيخات الصغيرة على مقربة من الطريق . وترتفع الى الشرق منها خرائب قبر مزار الشيخ مبارك ، وكانت تتراقص في النسيم بعض اغطية الرأس علقت على قصبات مغروزة فوق هـــذه الربوة . . وفي ٤٠ر١ شوهـــدت خـــرائب الحلبيّة الى الجنـــوب مبـــاشرة تقريباً ويسمّى السهل المنبسط الذي ينحصر بينهـــا وبين الطريق العام [الدكّة] . كما يسمى السفح الواقع الى الشمال الشرقي من الأخير الوُساع .

---

(٩١) انظر فيما يلى ، الملحق الثانى عشر .

ويربط بين الحلبيـــة والقُصْبي مسلك ضيق (دريب الـــواوي) يمـــرّ بعين [المضيق] . ويمتد هذا المسلك بمحاذاة النهر . . ويقوم في شمال الحلبية ، على الضفة اليسرى ، مرقد (ابو العتيج) [العتيق] الصغير . وبقربه يرتفع بركان القليب على الجانب الأيسر من شعب المُرّ . حتى اذا بعدنا الى الغرب من ذلك وجدنا على الضفة اليسرى كذلك،وفي شعب الحلقة الصغير ، قريتين صغيرتين هما الخانوقة(٩٢) وقرية شاطي . .

---

(٩٢) الخانوقـة كلمـة مرادفـة لـ (خنقي) الآشوريـة ، و (انوكاس) البيزنطية .

وتوغل اشور ناصربال الثالث عام ٨٧٧ ق‌م الى ممر ضيق ((خنقي) على الضفة اليسرى للفرات (الحوليات [رولنسن ، المصدر السابق ، م ١ ، اللوحة] ، العمود ٣ السطر ٣٠ ، بج وكنك ، المصدر السابق ، ص ٣٥٤) .

ويروى بروكوبيوس ، المبانى ، ج ٢ ، ٦ : ١٢ انه كانت تقع فيما وراء قرقيسيوم قلعة قديمة تسمى انوكاس ، وكانت تحصيناتها قد بلغت حدا كبيرا من التداعى . وحين سمع الامبراطور جستنيان الاول بذلك امر باعادة تعميرها الى الدرجة التى اصبحت فيها مساوية لاية بلدة اخرى .

يروى الشبيه بالواقدى ، الفتوح (ايفالد) ، ص ص ٤ وما بعدها . ان عباضا (احد قادة جيوش المسلمين الاوائل التى فتحت بلاد ما بين النهرين) فيما هو يستعد للحملة على رأس العين ، ارسل فرقتين على قلعتين ، احداهما تقع على الضفة اليمنى للفرات ، والاخرى على ضفته اليسرى . وقد غادروا معسكر عياض في بليل قبل المساء ، فوصلت الفرقتان بالقرب من الخانوقة فى الساعة الثانية قبل مطلع الفجر . ـ وقد ورد في النص الاسمان التاليان للقلعتين : «رباء» ، و «زلاء» . والصحيح ان الاسم الاول ينبغى ان يقرأ : زباء ، لانه يشير الى مسكن الملكة الزباء ، أو حلبية الحديثة . اما الاسم الثانى فينبغى ان يقرأ : زلابيه او زلبية .

وعند بليل ، الواقعة مقابل بلدة الرقة (كالينيكوس) ، كانت توجد افضل مخاضة عبر الفرات ، وعلى هذا فلابد ان يكون عياض قد خيم هناك ، وكان ينوى التقدم فيما بعد على امتداد البالخ الى الجسر عند رأس العين . ولما كانت المسافة من بليل الى الخانوقة ثمانين كيلو مترا ، فكان على الجنود ان يسيروا بمعدل ثمانية كيلو مترات تقريبا في الساعة .

ويقول ابن حوقل ، المسالك (دي‌خويه) ، ص ١٣٩ ، ان الخانوقـة

عبارة عن محطة للتوقف على منتصف الطريق تقريبا بين قرقيسيا والرقة، وبداية طريق يصل الى بلدة عرابان على الخابور ، بعد سيرة اربعة ايام .

وتكاد تكون المسافة من قرقيسيا الى الخانوقة ١٠٠ كيلو متر ، غير انها من هناك الى الرقة تبلغ ستين كيلو مترا فقط . اما الطريق من الخانوقة الى عرابان ، وطوله الاجمالى نحو ١٠٠ كيلو متر ، فكان يمر بمنهل ابى قبره وخرائب المالحة . وان مرحلة واحدة بين الخانوقة وعرابان ماكانت لتزيد على ٢٥ كيلو مترا طولا ، او مايعادل تقريبا المسافة التى يستطيع ان يقطعها جمل مثقل بالاحمال في يوم واحد .

ويكتب البكري ، المعجم (فستنفلد) ، ص ٣٢٠ ، ان الخانوقة بلدة بنتها الملكة الزباء على ضفة الفرات في بلاد مابين النهرين . وعندما انخفض مستوى الماء في النهر ، أمرت الملكة ببناء سد عليه وممر متين السقف مشيد تحته . وبعد ذلك أزيل السد بحيث ان الماء جرى فوق الممر الخفي ، وهذا مما مكن الملكة من اللجوء الى شقيقها الزبيبة في وقت الخطر . ـ

ويخلط البكري في هذه الحالة الخانوقة بقلعة الحلبسية . وكانت الزباء تقيم على الضفة اليمنى للفرات ، بينما نجد الخانوقة على اليسرى . وبالاستناد الى ما ورد في الشبيه بالراقدى ، فان مسكن الزباء ينبغى البحث عنه على الضفة اليمنى مقابل قلعة مماثلة على الضفة اليسرى . والقلعة الثانية هذه يجب ان تتطابق مع بلدة شقيقتها الزبيبة . وعليه فان الممر الخفى تحت النهر لابد إنه كان يوصل بين حلبيه ، مقر الملكة الزباء ، الى محل اقامة شقيقتها الزبيبة ، على الشاطىء المقابل .

ويسجل سبط ابن الجوزي (ابن القلانسى ، الذيل [امدروث] ص١١٦ انه في عام ١٠٦٣ ميلاديه منح ابناء محمود ابن الروقليه : الخانوقة ، قرقيسيا والدويرة ، وعلى هذا اصبحت تعود الى منطقة الرحبة الادارية

ويصف الادريسى ، النزهة (ترجمة جوبير) ، م ٢ ، ص ١٤٥ ، الخانوقة بانها بلدة صغيرة جدا ، وفيها سوق عامرة ونشاط تجارى .

ويقول ياقوت ، المعجم (فستنفلد) ، م ٢ ، ص ٣٩٤ ، م ٤ ، ص ص ٥٦٠ وما بعدها ، وابو الفضائل ، المراصد (يونيبول) ، م ٣ ، ص ١١٣ أن الخانوقة تقع على الفرات ، غير بعيد من الرقة . وان المضيق وهو الموقع المفترض لبلدة الملكة الزباء ، يبحث عنه رواة ياقوت بين منطقتى الخانوقة وقرقيسياء على الفرات ، ومن جهة اخرى يشير ابو الفضائل

وفي مقابل القصبي يبدأ السهل الفيضي على يسار الفرات بالاتساع ؛ وتقع قريتا متلولة والجزرة في هذا الجزء من السهل .

يملك الافاضلة وهم فرع من قبيلة الشعبان ، الحقول الواقعة على جانبي الفرات من التّبنى الى الكسّارة (او الكسره) . ومن عشائر هذه القبيلة ما يأتي :

الموسى ظاهر	(زعيمهم : هويدي بن شلاش)
الحـَوّاس	
شيـبَل	(زعيمهم : محمد ابو حديد)
البقّارة	
الزيارات	(زعيمهم : محمد أغا)
السبخة	

وفي الساعة ٢,١٠ عبرنا شعباً صغيراً هو السّقُورية . ومن ٢,٣٥ الى ٣,٠٤ كانت الجمال تـَرعـَى . وتكوّن منطقة القصّايات الوعرة استمراراً لسلسلة البشرى . ويقسم الأخيرة أخدود السِحْل الكبير عن حافة السِّرة . وهي عبارة عن بقعة واسعة تشقها اخاديد عميقة ، تمتد نحو الشمال الشرقي . وتنتهي في الشمال الشرقي بجبل الحـَرّة المائدي الشكل . وتغطي هذا الجبل طبقة من اللابة [الطفوح البركانية] سمكها متر ونصف . وفي ٣,٣٠ بلغنا اعلى نقاط الثغرة التي تفصل السِرّة عن الحـَمّة . ورأينا الى الجنوب الغربي سلسلة قتب البِشري . وقد برزت فوقها خمسة مخاريط واطئة . وفي ٤,٢٠ اجتزنا نهاية طبقة اللابة . وتسمى السفوح

الى المضيق على انه موضع بين بلدة الملكة الزباء ومنطقتى الخانوقـة وقرقيسيا .
المضيق هو اسم الفج الضيق الذي شقه الفرات لنفسه عند الحمة خلال النتوءات المغطاة باللابة التى تبرز من سلسلة البسيرى . وتقع الخانوقة على الضفة اليسرى في نحو منتصف الطريق من اعالي هذا الفج ، بينما كان مسكن الزباء ، الحلبية اليوم ، يقع على الضفة اليمنى عند طرف الفج الشرقي .

المتموجة الواقعة غربي سلسلة السرّة (الغَمّة) ، اما السفوح الواقعة في الشمال الغربي فتسمى الحَصّاص . وفي ١٥ر٥ رأينا تلّ الطرب ،وهو تل صغير يشبه السّرج بمظهره ،والى شماله يوجد تل الطرّيب الذي يماثله شكلاً ويقل عنه ارتفاعاً ، ويوجد في أسفل بئر الخنيْفَس . والسفوح المتموّجة هنا خالية من مجار مائية واضحة المعالم ،لان مياه الامطار تجري الى كهوف باطنية كثيرة [تحت الارض] (ـــ دَحْل،جمعها دحول) (dolines) ومن ١٤ر٦ الى ٣٩ر٦ سامتْ جمالنا على سفح المِثنة . وظهر لنا ، فيما وراء الفرات على الافق الغربي ــ الشمالي الغربي بركانا المناخر ، والى الشمال منهما حافة البيضا الطويلة . وكانت الى يسارنا على السفح الجنوبي من مرتفع الحصّاص : عَقلة الرعيّة ، ورأينا الى يميننا على مسافة بعيدة الى الاسفل منا قرية القصبي . وفي هذه النقطة تلتقي جميـــع الاخاديد التي تفصل بين نتوءات حافة الهضبة الشرقية التي كنا نخترقها . وفي غرب القصبي تجري عين المتلولة ، والى شمالها حقول الفروة . وفي الساعة الثامنة اقمنا مخيمنا بجانب مركز درك المَعْدان ؛ حيث حددنا خط العرض .

المعدان الى خرائب سوريـا

في ٢٣ أيار سنة ١٩١٥ كنا على الطريق مرة اخرى في الساعة ٤٥ر٤ صباحاً وكان دليلنا رجلا من اهل الفروة . هارباً من الجندية . والفروة من فروع عشيرة البقّارة من قبيلة الأفاضلة . وكان الدركي الذي معنا مكلفاً بحراسته حتى مركز الدرك التالي . وكنا نجتاز الآن حقول السويدة والخميسيّة مقابلَ خرائب البَقعة والدعثور على الضفة اليسرى . وفي ١٠ر٦ رأينا على الضفة اليسرى نهاية شِعْب الحَسّ . ثم اخترقنا حقول المشيرفه وزورشمّر . ومن ٥٤ ر ٦ الى ١٥ر٧ رعت جمالنا في حقول المُغلة . وتنحدر الارض المرتفعة هنا الى الجنوب باجراف شديدة الانحدار حتى تنتهي الى السهل الفيضي (الحـــاوي) وتنمو الطرفاء في هذا السهل هنا وهناك ، كما تستغلّ بعض انحائه بالزراعة . ولم نشاهد أجرافاً على الضفة اليسرى حيث يندمج حاوي الحَسّ بالتدريج في السهل المرتفع

المتموّج . وعلى الضفة اليمنى ظهر مرقد أبو سعيد وهو مرقد صغير توجد الى الغرب منه بقرب شعب الخفيّان ، قرية البريّج (البريق) حتى اذا بعدنا عن ذلك غرباً ظهرت ربوات خرائب الدوخيّة ، والهداوي وقريتا الشبغه (او الشعاولة) والجديدة ، وخرائب السلطان ، وحقلا القادسية والسميري . وفي ٣٠ ر ٨ ٣٠ ر٨ عبرنا شعب الخرّار ، الذي يشق الاجراف هنا الى عمق عظم ، ويفصل من ناحية الغرب ايضاً الجريبة عن سهل الشريدة المنبسط . وفي ٣٨ر١٠ صعدنا من سهل الشريدة الى النتوء الصخري المعروف بالمروط ، وينحدر هذا النتوء الى مستنقعات السبخة . وفي ٥٣ ر ١٠ كنا على حاوي السبخة . ويمر الطريق العام في هذه الاماكن على امتـــداد لحف من الاجـــراف الصخرية . وفي شرقيّ هذا الخط يمتد شريط من الحقول يبلغ عرضه بضع مئات من الامتار، وفيما وراء ذلك تمتد اراضي مستنقعات تغطّيها شجيرات الطرفاء . وتواصل هذه الأراضي امتدادها حتى نهر الفرات . وكانت البرك الصغيرة مغطاة باسراب من البط البرّي . وفي ٣٢ر١١ اجتزنا الطاحونة التابعة لفلاحي عشيرة السبخة . ويعمل هؤلاء بزراعة السهل الفيضي الممتد بين التبني والكسّارة . ومن ٤٥ ر١١ الى ٤٥ ر١ استرحنا عند الرحبي .

في الساعة الثانية رأينا على جـــرف يقع الى يسارنا بقايا قلعة من العصــــور الوسطى تدعى النخيلة : كما رأينا في ٣٠ ر ٢ الى اليسار منا اكداساً من آجرّ خرائب سنّان ، اما الحـــاوي فقد تركناه عنـــد لحف أجراف المَروَزة ولكننا هبطنا في الساعة ٤٧ ر ٢ الى حاوي الدّلـحة . والى جنوب المروَزة يقع حوض البيت . ثم تركنا جمالنا ترعى من ١٤ ر٣ الى ٤٤ ر ٣ .

سرنا بعد ذلك خلال ممرّ مضيق الكرشة (شكل ٥٧) . وقد شُقّ في الصخور ليكون طريقاً عاماً . وفي ١٥ ر ٤ رأينا على الاجراف الواقعة الى يسارنا قلعة صفّين . ويرجع تاريخ هذه القلعة الى القرون الوسطى ، كما رأينا في الساعة ٣٠ ر ٤ الى اليمين منّا بعض الخرائب وربوة ضريح الشيخ حديد . وفي الساعة الخـــامسة بلغنا جـــرف الحمّر ؛ وفي ٢٠ ر ٥ عبـــرنا شعب البيـــر الذي

يتجه من بئـر العدي . وفي الساعة السادسة خيمنا عند الحافة الغربية من جرف الحمّر غير بعيد من مخيم الولدة ، وهم مالكوا السهل الفيضي غربيّ الكسّاره . وكان في المخيّم نحو عشرين جندياً هارباً من الخدمة العسكرية في انتظار نقلهم الى حلب . وكانت الاغلال في ايديهم جميعاً . وتندر الدرك من ان جنوداً من هذا النوع لن يظلوا في حلب اكثر من أسبوعين حتى يفرّوا ثانية . . وندّد الفلاحون بالحكومة مرة اخرى وزعموا انها تأخذ منهم كل شيء اولاً . ثم ترغمهم على مطاردة الهاربين من الجندية واطعامهم .

وابتداء من الحشّاش شماليّ المسكنة انتشرت مخيمات قبيلة شعبان على جانبي الفرات حتى تصل التّبني في انتشارها . وتنقسم قبيلة شعبان الى الولدة والأفاضلة

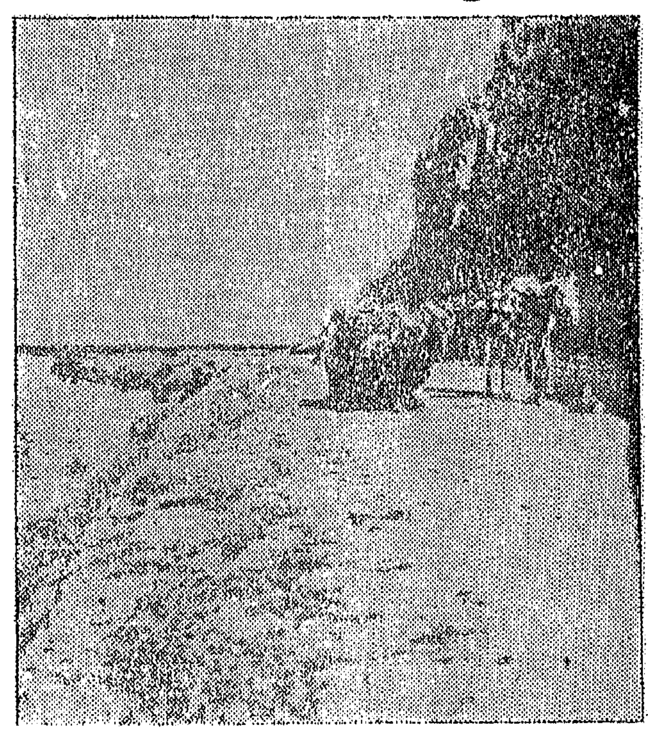
وتملك الولدة الاراضي الممتدة بين الحشاش والكسّارة . وتتكون من نحو ثلاثة آلاف خيمة . وتشتمل على العشائر الآتية :

الولدة	(رئيسهم : احمد الفرج الدندل)
البوردات	(رئيسهم : خطّاب بن عبدالله)
البو صلاتيح	
البو سرّه	
الخفاجة	(رئيسهم : حلف بن الحجّي)
سجادة	(رئيسهم : مسحي)
البو [illegible]	(رئيسهم : فريج العبد الجادر)
الحويوات	(رئيسهم : عمرو د النمّر)
الجريّان	(رئيسهم : حمود بن عبدالعال)
الشفرات	(رئيسهم : احمد البرّمان)
المرادات	(رئيسهم : كلاخ)
الوجابر	(رئيسهم : مبروك المتلّم)
العجيل	(رئيسهم : حسري بن ملاّ عيسى)
العلي	(رئيسهم : علي الناصر)

البو حميد	(رئيسهم : ابراهيم الشّلاش)
الجَعَبات	(رئيسهم : محمد بن عبدالله
البوظاهر	(رئيسهم : سليمان بن ملاّلى)
العامر	(رئيسهم : احمد العيسى)

ورئيس شيوخ عشائر الضفة اليمنى من الفرات هو احمد الفرج الدندل ، واحمد البرهان رئيس شيوخ عشائر الضفة اليسرى .

في ٢٤ أيـــار سنة ١٩١٥ خرجنـــا في الســـاعة ٣٣ ر٤ صبـــاحاً . واخذت تهب إبتداءً من الساعة ٣٠ ر ٤ ريح غربية باردة . وشـــاهدنا امامنا نتوءاً يعرف (بالضّيجة) [الضيقة] الصخـــري ، وعلى اليســـار بركانَيْ المناخَر ، وركامُ خَربة زيدان ، وابـــراجَ الاســـوار القديمـــة لمدينـــة الرّقّـــة ، وحصـــن



(شكل ٧٥ ـــ مضيق العكرشة)

هرّقله . ان الطريق العــام الذي يسلكه ركبنـا الآن قد شُقّ على امتـداد نهر هو فرع قديم من فروع الفرات . وما يسمى اليوم بسراة الصّبيجه [الضيّقة] هو بقية مجرى قديم (٩٣) . وفي ٢٨ر٥ كنا عند مرقد صغير هو : مزار الشيخ أسعد . ويتكون هذا المرقد من مبنى مستطيل صغير وبرج هرميّ الشكل وكوخ وبئر قرب كدس طويل تتراكم فيه انقاض بناء قديم يرتفع نحو عشرة امتار ، وبضعة اكداس اصغر حجماً من مواد البنـاء . وتدعى الاجراف الجنوبية القـاطر . وفي ٢١ر٦ كان على يميننا — على بعد مائتي متر تقريباً من الطريق العام — مجموعتان من الخرائب يطلق عليهما : المَغامَر ويبدو أن المجموعة الجنوبية التي تمتد من الغرب الى الشرق ترجع الى عهـد متأخر بينما نجد المجموعة الشمالية اكبر حجماً واقدم تاريخاً .

من الساعة ٥١ر٦ الى ٢٤ر٧ انتظرنا صاحبنا رجل الدرك الذي كان ينبغي استبداله في مركز (نقطة الكسّارة) او الكسرة . وتبدأ على الضفة اليسرى ، غربيّ نهر البليخ ، سلسلة من التلال الصغيرة تتميز بواجهة تنحدر انحداراً شديداً نحو الفرات ، تكثر فيها أخاديد عميقة . وفي ٣٠ر٨ كانت على يميننا جزيرة حويجة حمدان . ولقد كوّن الفرات لنفسه في هذا الموضع مجرى جديداً ، اما المجرى القديم فكان على يميننا في الساعة ٥١ر٨ ، تعلوه كومة من الخرائب وربوة رمل الى الغرب . وفي الساعة التاسعة عبرنا شعب السّحّل الصغير ، وهو اول شعب عميق نصادفه بعد مغادرتنا الخرّار . وفي ١٤ر٩ مررنا خلال شعب الفنصة ، وفي ١٨ر٩ عبرنا اخدوداً اصغر ، وفي ٢٥ر٩ شاهدنا على اليمين بعض الخرائب الكبيرة وخرائب أخرى ، وبعد ان اجتزنا شعب أبو قبيع في الساعة ١١ر١٠ وصلنا الى حافّة الهضبة في ٥٠ر٩ . . وتنتشر الهضبة جنوبيّ سهل الفرات الفيضي وتغطيها في هذا الموضع ربوات صغيرة مدورة وتقطعها اخاديد ضيقة . وأصبحت الآن رؤية المجرى القديم للنّهر واضحة تماماً من الناحية الشمالية .

---

(٩٣) على ذلك الجزء من وادى الفرات بين هذا الموضع وابو هريرة ، انظر ايضا ص ص ٨٩ ٩٢ فيما سبق .

. وتسنى لنا بعد الساعة ١٠٫٥٠ ان نشرف على الاقليم كله من جهتي الغرب أو الشمال الغربي على السواء . وبدا كأنّ الوادي الذي حفره الفرات لنفسه في الهضبة أعمق مما هو في الحقيقة ، وكونت الجزر الصغيرة بقعاً خضراء داكنة على سطح النهر العظيم بلونه الاصفر وقد اشتد اضطرابه آنذاك بسبب ريح غربية انطلقت الى الماء دون ان يصدها عائق . وسبب ذلك هو ان الفرات يجري هنا من الغرب الى الشرق . ومن ١١٫٠٠ الى ١٢٫٠٨ بعد الظهر استرحنا في شعب ابو هباطة الصغير . وفي ١٢٫٣٠ رأينا مخروطي الثديين ، وفي ١٢٫٥٥ كانت على يميننا خرائب بلدة سوريا وكانت تحيط بهذه البلدة نحو مائتي خيمة من خيام عشيرة فدعان .

خرائب سوريا الى بالس

تمتد خرائب سوريا (٩٤) من الشرق الى الغرب نحو ستمائة متر الى الغرب ، ولكنّ عرضها ليس كبيراً ونصفها الغربي أقدم عهداً وأكثر متانة . وفي ١٫١٠ رأينا على يميننا ، قرب الطريق العامّ ، جدران أساس بناء يواجه الشرق ، وشظايا تابوت حجري متناثرة على مقربة منه . وتحولت الهضبة الواقعة جنوبي الخرائب الى حقول وبساتين ، وزرعت بعض بقاعها ايضاً بعد أن رفع الناس ما كان على سطحها من أحجار تعلوها .

أما الاراضي المرتفعة الواقعة الى غرب سوريا ، التي تعلوها اكداس خرائب تمتد نحو ثلثمائة متر ، فتنحدر تدريجياً الى مجرى الفرات ذاته بطريقة اصبح بها الوصول الى النهر عند هذه النقطة أمراً سهلاً .

. وتصل الأرض الصلبة الماء على الضفة المقابلة بحيث امكن بناء جسر عائم هنا لعدم وجود مستنقع يفصل بينها وبين المجرى .

---

(٩٤) انظر فيما يلي : الملحق العاشر .

في الساعة ٥٠ر١ كان على يميننا مركز الحمّام . وهنا اختفى رجل الدرك وأخذ مكانه جندي من جنود الحدود ، من صنف المشاة مسلحاً ببندقيته واعلن انه سيصحبنا . كان من اهل بلدة كيليس شمالي حلب وكان ينوي ان يتغيب بهذه الطريقة دون ان يقدم طلباً للحصول على اجازة .

وفي ٠٦ر٢ كانت على يميننا خربة صغيرة تناثرت في أرجائها أحجار كبيرة منحوتة نحتاً دقيقاً . ومن ١٢ر٢ الى ٣٢ر٢ أوردنا جمالنا الماء. وفي ٥٤ر٣ اجتزنا الى يسارنا تلّين مخروطيّ الشكل يطلق عليها اسم الثديين . أما خربة الهنيّدة الواقعة الى الغرب منهما فهي اعظم اتساعاً من خربة سورنيا . وفي غربي الهنيده هبطنا ، من خلال شعب الحُلْمي الصغير ، الى وادي السيلة الواسع الذي يتيح منفذاً سهلاً للوصول الى مجرى الفرات . ولم نر ايّ مستنقع على الجانب الأيمن ، اما على الضفة اليسرى فان المجرى يلامس شبه جزيرة القديران . وفي الساعة الخامسة مررنا خلال أخدود صغير يسمى القبور . وفي هذه اللحظة أثارت الريح الغربية عاصفة رملية مما جعل سطح الفرات الصقيل عادة يتدافع بأمواج عظيمة . ونصبنا مخيمنا في الساعة ٠٨ر٦ جنوبيّ الطريق العام. في اخدود متحمي يتصل بشعب الشيبة الآتي من روابي طرّق (إمباج) المنخفضة .

في ٢٥ ايار سنة ١٩١٥ في الساعة ٠٣ر٤ صباحاً سرنا في الطريق العام باتجاه غربي . وكانت العاصفة الرملية قد خفّت شدّتها قليلاً ، ولكنّ الريح الباردة لم تزل تهبّ بقوة . وفي ٢٦ر٥ عبرنا شعب الشيبة الواسع (٩٥) .

وفي الساعة ١٥ر٦ رأينا الى شمال ـ الشمال الغربي ، من خلال رهج الرمل قلعة جعبر أسفلَ منا . وفي ٢٠ر٦ رأينا امامنا حوضاً عميقاً ينفتح الى الشمال هو حوض النفلة . من هذا الحوض تلال صغيرة بيضاء . ويحدّ الحوض من الشرق سفحُ مُرتفِع الهُورة ، ومن الجنوب الغربي نتوءات (طرّق العَطفة) .

(٩٥) الاخطل ، الديوان (صالحاني) ، ص ١٠٠ يذكر ذو شيبه . ـ والمنطقة المجاورة لشعب الشيبة الحالي كانت تملكها فيما سبق قبيلة تغلب ، وكان الاخطل ينتسب اليها .

ويمتد بمحاذاة هذه النتوءات شعب المنصّف . وقد واجهتنا صعوبة بالغـــة في الهبوط . فالطريقّ العام الجديد قد تفكك وانخسفت مواضـــع منه ولم يكن باستطاعتنا تدفئة اصابعنا التي خدرت من البرد مما اضطرنا الى ان نوقد ناراً في ٦٫٢٧ جلسنا حولها حتى ٧٫٥٥ . .

وفي ٨٫١٠ لاحظنا بين الخرائب على اليمين ثلاثة أضرحة اسلامية (اثنان منهما كانا في حالة جيدة ، والثالث قد انهار) تسمى بنات ابو هريرة ، وفي غربيّها مئذنة رشيقة . والى شمال أضرحة بنات ابو هريرة ترتفع قلعة جعبر على تلّ منعزل يقع على الضفة اليسرى من الفرات. والى الغرب منه يرتفع مشهد السلطان الصغير على تل آخر . وبدت على الضفة اليمنى خيام عشيرة الفدعان سوداء اللون. وبعد الساعة ٨٫٣٠ تبعنا نهراً قديماً ، وفي ٨٫٥٤ كنا نسير بين حقول مزروعة . وفي ٩٫٢٥ كانت على يميننا ثلاثة بيوت صغيرة يسكنها رجال الدرك العاملون في مخفر أبي هريرة . وفي ١٠٫٢٠ وصلنا الى نهاية المنطقة الزراعية . وكانت ترعى على يسارنا قطعان كبيرة من الجمال . ولم تكن القطعان مؤلفة من حيوانات رشيقة . متناسقة الشكل المعروفة في داخل الجزيرة العربية فحسب . بل كانت تضمّ كذلك تلك السلالة القوية البارزة العظام مما نصادفه في الاقاليم الشمالية البعيدة . وهي سلالة ملائمة لنقل الاحمال الثقيلة . وفي ١١٫٠٥ مررنا خلال نهر قديم ، ومن ١١٫٠٥ الى ١٫٠٧ بعد الظهر استرحنا عند أطراف الاراضي الزراعية . وفي الساعة الثانية اجتزنا ربوات خرائب قليلة ثم مررنا بنهـــر حيث سامت جمالنا من ٢٫١٠ الى ٢٫٢٨ . .

في الساعة ٢٫٤٠ رأينـــا على يميننا شرقيّ النهـــر خرائب مركز سكاني كبير هو بلدة الحويره ومقبرة صغيرة . وفي ٢٫٥١ بلغنا الحافة الجنوبية الشرقية من خرائب الدبسي ، التي تتكون من قسمين : احدهما يقع على تلّ صغير منبسط السطح يشرف على الاجراف القريبة من النهر . والثاني يؤلف الجـــزء الاسفل من البلدة الواقع عند حـــف تل صغير . وفي الساعة الثالثة كنا عند النهاية الجنوبية الغربية من موضع المدينة . وفي ٣٫٠٥ كنا في شعب القصير

وقد عملت عوامل التعرية على تعميق واديه في صخور كلسية بيضاء . وقام على ضفته اليمنى كوخان . ثم أخذنا نسير خلال سهل صخري متموج عبر اخاديد صغيرة كثيرة ، ووصلنا في الساعة ٤٫٠٥ الى بعض خرائب صغيرة توجد على مقربة من أرض زراعية . ورعتْ جمالنا من ٤٫٢٠ الى ٤٫٤٥ . . وفي ٥٫٠٦ رأينا على اليسار ، على مسافة اربعمائة مترتقريباً من الطريق العام ، بقايا مبنى مربّع الشكل صغير الحجم يسمى الفحَيْحة ؛ ثم هبطنا الى شعب ام خَروم العميق . وتسد هذا الشِعْب جـدران كلسية حتى اننا لم نخرج منه الى سهل الرَّدهة المنبسط الا في الساعة ٥٫٣٨ .

وشاهدنا عند وصولنا الى ضفة النهر خرائب بالس ومنارة طويلة . ويرتفع في جنوب المنارة برج عال ، والى الغرب منها تظهر بقايا برجين هرميين . وتركنا جمالنا تأخذ كفايتها من ماء الفرات من ٥٫٤٤ الى الساعة ٦ . ويبدو ان هذا النهر العظيم لم يجر البتّة بقرب بالس مباشرة . لأني لم أجـد في اي مكان أثراً يدل على مجرى قديم . وامتد نهـر للـريّ الى الشرق من الخرائب : مسافة ثلثمائة متر تقريباً ثم تابع امتداده ، الى الجنوب منها ، بمحاذاة لحف جرف صخري تقوم على قمته خرائب الدبسي ؛ ومن هناك تحول الى السهل الفيضي الذي مررنا به في الساعة الثانية . لقد اندفع الفرات في وقت ما اثناء العصور الوسطى الى وسط هذا النهر ، وجـرف الارض المنبسطة الخصبة الواقعة اسفل أجراف الدبسي . وآنذاك جفّ الجزء الاعلى والاسفل من النهـر . وكان بالامكان ريّ الحقول الواقعة شماليّ النهر مباشرة ، اما في الجنوب فالمـاء لا يمكن الحصول عليه الا بالمضخات . وخيمنا في الساعة ٦٫٣٧ بالقرب من بقايا مضخة كانت تستعمل لهذا الغرض ، وقبل ذلك قمنا بتحديد خط العرض (٩٦) .

---

(٩٦) في موضوع بالس انظر فيما يلي ، الملحق الثامن . وسيجد القارىء تكملة رواية رحلة المؤلف من بالس الى دمشق في مجلد سيظهر قريبا للمؤلف بعنوان : بالمرينا ، الذي يؤلف العدد الرابع من السلسلة الحاضرة .



الملاحق

الملحق الاول

الفرات الأوسط في العصر الآشوري

وادي الفرات الأوسط

لقد شق نهر الفرات الصحراوي وادياً له بعمق حوالي اربعين متراً في الهضبة المحيطة به . وبالرغم من ان الوادي في بعض الاماكن لايتجاوز ٢٠٠متر عرضاً إلا ّ أنه في أماكن أخرى يتسع بحيث يصل الى عشرة كيلو مترات . وهناك في مستوى النهر وعلى ضفتيه سهول فيضية متفاوتة المدى يمكن تحويلها بالري الى جنائن غناء وحقول خصبة . ويقوم الجرف العالي وجدران الوادي بحماية هذه السهول من الرياح الباردة ، إلا ان النهر نفسه يبقى عدوها اللدود ، فهو بتغيير مجراه على الدوام يجرف تربتها الخصبة ويشكل جزراً ومستنقعات مرة بعد أخرى ويحدث لنفسه مجاري جديدة . اما الأرض التي تسقط عليها امطار منتظمة وبهذا تكون منتجة وملائمة للاستيطان الدائم على نطاق واسع فتنتهي بالفرات على خط العرض ٣٦° شمالاً تقريباً وذلك بالقرب من الموضع الذي ينعطف فيه المجرى انعطافاً كبيراً من اتجاه جنوبي الى اتجاه شرقي – جنوبي شرقي ، او بالقرب من خرائب (بالس) الحالية . اما المنطقة شمال هذا الموضع وعلى جانبي النهر فقد كانت آهلة بالسكان منذ أقدم الأزمان الى الشرق والى الغرب . ومن الناحية الأخرى تمتد من هذا الموضع باتجاه الجنوب وعلى الضفة اليمنى اولاً واليسرى فيما بعد منطقة جرداء شاسعة يتخللها الآن وكما هو شأنها دائماً بضع قرى منعزلة فقط .

وتشكل السهول الفيضية القريبة من مجرى النهر ذاته وعلى ضفتيه أشرطة

من الأرض لها من العرض والطول ما يكفي للاستيطان الدائم . فاذا ما انطلقنا من المنعطف هذا فان اول مركز هام في هذه السهول الفيضية هو خرائب بالس ؛ يعقبها ابو هويرة على الضفة اليمنى والرّقّه على الضفة اليسرى . ومن محطة (المعدان) حتى (زلبيه) على الضفة اليسرى والطريف على اليمنى تنحدر سلاسل البشري الصخريه الى مجرى النهر ذاته وتختفي الاراضي الخصبة فيما عدا بعض البقع . ويتسع الوادي الى الجنوب الشرقي من زلبيه فيبلغ مابين كيلو مترين واربعة وهو عرض يستمر الى مصب نهر الخابور على مسافة ٧٨ كيلو متراً . والى الجنوب الشرقي من هذا النهر يكون الوادي لمسافة ٩٠ كيلو متراً بعرض يتراوح ما بين ستة وعشرة كيلو مترات . ومن مدينة ابو كمال الحديثة حتى صخور (العُقَبة) على الضفة اليمنى وصخور (الأسود) على الضفة اليسرى جنوب شرقي مدينة هيت تكون السهول الفيضية ضيقة وقصيرة نسبياً بينما تبرز على هيئة إسفيد اراضي بابل الغرينية جنوب شرقي الصخور .

تُسقى السهول الفيضية الواقعة على نهر الفرات الأوسط بالقنوات . ويذكر المؤلفون العرب (البلاذري، فتوح البلدان [دي جويه] الصفحة ١٥٠ والصفحة التالية لها) ان رصيف بلدة بالس يواجه القناة ثم اعيد بناء هذه القناة في العهد الاسلامي ، فمن المؤكد وجود قناة هناك من قبل . وكذلك وردت اشارة الى قنوات ري في المنطقة المجاورة لمدينة الرقة (ميخائيل السوري ، المدونة [شابو] المجلد ٤ ، ص ٤٥٧) . وقــد رأى ايسيدور الكرخي (المحطــات الفرثية [ملــر] ، ص ٢٤٧) وجود قنــاة للري احتفرتها سميراميس بالقرب من زلبية . وعلى نحــو ١٣ كيلو متراً شمال غربي قرية البسيرة الحديثة (وتعرف قديماً بقرقيسيوم) تفرع نهر سعيد من الضفة اليمنى لنهر الفرات .

ومن نهر الخابور تصرف المياه ايضاً خلال قناة لري السهل الفيضي الخصب الذي يبلغ طوله هنا تسعين كيلو متراً ويصل عرضه في بعض الاماكن قرابة ستة كيلو مترات ويقع على الضفة اليسرى من الفرات . ولقد بُنيت

هذه القناة ويطلق عليها خابور إبالبو كاش ،في بداية الالف الثاني قبل المسيح من قبل الملك البابلي حمورابي (تورو – دانجن ، عقد من خانه [١٩٠٩] ، ص ١٤٩ ومـا بعد) . ويذكر توكولتي إنورتـا (توكولتي نـنـب) الثاني ايفنا البـال – كو – شا (نار) خابور [القناة المتفرعة من الخابور] (حوليات) [شايل ، حوليات (١٩٠٩) ، لوحة ٤] ، المقابل ، سطر ١٤ ؛ شايل ، المرجع السابق ، ص ٢٢)

وكذلك تمّ ري سهول الفرات الفيضية جنوب شرقي صخور العقبة والأسود على حدود إقليم بابل الاصلي بقنوات ذُكرت إحداها وهي التي تجري بمحاذاة الضفة اليمنى من قبل الحاكم شمش – ريش – اصور في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد (الكتابة البارزة ، لوحة ٣ ، حقل ٢ ، الاسطر ٢٧ – ٤١ . فايسباخ ، متفرقات بابلية [١٩٠٣]، ص ١٠)

السجلات المبكرة

ومما لاشك فيه أنه نشأت على ضفتي الفـرات الأوسط مستوطنات في الأزمنة المتوغلة في القدم . ففي بداية الألف الثاني قبل الميلاد تأسست هناك دولة خانة (عانة) واتخذت من مدينة (ترقة) عاصمة لها . اما موقع هذه المدينة فهـو إما قرية العشـارة الحديثة على بُعد ٢١ كيلو متراً جنوب شرق مصب الخابور او مستوطنة القريّة التي تبعد حوالي خمسة كيلو مترات شمال غرب العشارة ، وقد عُثر في كلا الموقعين على الواح عليها كتابات مسمارية ويسجل أقدم هذه الألواح التي يعود تاريخها الى نهاية القرن العشرين ان ملك خانة (اشار – ليم) قدّم لشخص ما بيتا يقع بالقرب من قصره في مدينة ترقة ؛ كما نُقش على لوح آخـر شروط عقـد بيع في مدينة ترقة ؛ ونُقش على لوح آخر شروط عقد بيع من عصر الملك (كشتليا شو) يتعلق بعقار في تلك المدينة .

ويذكر حمورابي أنه افتتح قناة خابور – إبالبو كاش . واهدى الملك (أمّي – بيل) لأحد خدمه قطعة من الأرض في ترقة . وقد أمر الملك (شمشي – اداد) بناء معبد هناك تكريماً للاله داكان (تورو – دانجن ، الموضع المذكور ، المرجع نفسه ، رسائل وعقود [١٩١٠] ، الرقمان ٢٣٧ و ٢٣٨) .

كما قام حكام مملكة خانة بغزوات على الدولة البابلية السامية وعادوا منها محملين بغنائم الحرب المكونة من صور الالهين (مردخ) و (صربنت) . وفي منتصف القرن السابع عشر [قبل الميلاد] اصبحت مملكة خانة جزءاً من الدولة البابلية ، وقام الملك اكو مكاكر يمه باعادة الالهة المسروقة الى معبدها الأصلي (لوحة المتحف البريطاني رقم ١٥٢ ورقم ٩٦ [كنك ، مدونات (١٩٠٧) ص ١٢٥ ، سطر ١٠ ، كنك ، المرجع نفسه المجلد ١ ص ١٤٩ ؛ المجلد ٢ ، ص ٢٢).

وفي القرون التالية ازداد عدد الآراميين من الحضر والبدو الاخلاميين زيادة كبيرة على ضفاف الفرات الأوسط ولكنهم سرعان ما استقروا وامتزجوا بالسكان الاصليين . وفي حكم ارك – دين – ايلو (١٣٥٥ – ١٣٢٠ ق .م كان هؤلاء البدو مصدر ازعاج كبير للاشوريين الذين كانوا في صراع مع البابليين للهيمنة على الفرات الاوسط (اللوحة الجبرية الخاصة) بأداد نيراري الأول [رولنسن ، كتابات مسمارية (١٨٦١ – ١٨٨٤) ، المجلد ٤ ، لوحة ٤٤] ، المقابل ، سطر ٢٠ ؛ بج وكنك ، حوليات [١٩٠٢] ، ص ٦ مسر شمت ، نصوص مسمارية [١٩١١] ، لوحة ٣) . فقد ثاروا على شلمانصّر الأول (١٢٨٠ – ١٢٦٠) (المصدر نفسه ، اللوح ١٥) . كما قام تكلاث بيليصر الأول (١١٢٠ – ١١٠٠) بمنازلتهم في معركة . ووصل في حملته ضد الارامبين الى مدينة (دور كاتليمو ، التي يمكن ان تطابق موقع خرائب تل الفدغمي عنى الخابور (المسلة المكسورة [رولنسن ،

المرجع السابق ، المجلد ٣ . لوحة ٤ . رقم ١] حقل ٣ . سطر ٢٢ ؛ بج وكنك . المرجع السابق . ص ١٣٦) ؛ وقبل ان يمضي وقت طويل تكلاث بيليصر الأول نهر الفرات ذاته . (كتابة على اسطوانة من قلعة شرقاط [رولنسن . المرجع السابق المجلد ١ ، لوحة ١٣] عمود ٥ [مفصلة السطور ٤٤ — ٦٦ ؛ حوليات]رولنسن . المرجع السابق ، مجلد ٣ ، لوحة٥ رقم٢] ؛ المقابل . السطر ١١ وما بعده ؛ المسلة المكسورة]رولنسن . المرجع السابق . بج وكنك . المرجع السابق ، من ص ٧٢ الى ص ٧٤ ؛ ص ١١٨ . ص ١٣١) . وبالاستعانة بمولاه الاله آشور اصطحب معه عربات ومقاتلين واخترق الصحراء حتى وصل الى قلب بلاد الاخلاميين (البدو) والآراميين (الحضر) . وأغار في يوم واحد من (سوخي)الى مدينة كركميش في بلاد حاتي وفتك بكثير من جندهم وحمل معه غنائم كثيرة من الآلهة والممتلكات . وهرب بقية جيشهم عبر الفرات . ولحق بهم تكلاث بيليصر عبر النهر على القراب واستولى على ست من مدنهم عند سفوح سلسلة البشري وقام باحراقها وتدميرها .

ان هذه الرواية غير واضحة تماماً . فهي لاتبين الطريق الذي سلكه تكلاث بيليصر الأول . ومن الممكن انه سار بمحاذاة الخابور حتى نقطة التقائه بالفرات ومن ثم كان عليه عبور الفرات مرتين . الأولى في طريقه الى كركميش التي كانت تقع على الضفة اليمنى والثانية مطاردته الجيش . ولم تعد الرواية تُسمّي السهل الفيضي الفرات الأوسط باسم خانه بل تسميه سوخي . فمن حدود سوخي وصل تكلاث بيليصر في يوم واحد الى كركميش التي تقع في مستوطنة (جرابيس) الحالية على بعد حوالي ٨٠ كيلو متراً منعطف الفرات في اعلى مستوطنة بالس وفوق الخط الفاصل بين المنطقة المأهولة والصحراء فان كانت سوخي تمتد حتى هذا الخط فيكوّن اذن بمقدور الملك الآشوري الوصول الى كركميش بعرباته في يوم واحد

بسهولة . ومن المحتمل أنه كان يقوم بغارة خاطفة مكتفياً بالغنائم التي صادفها في طريقة ليعود بدون تأخير لحصار اي كان من المدن المسوّرة . كانت كركميش عاصمة لدولة كان حدها الطبيعي في اغلب الاحتمال يتكون من الصحراء التي تقع الى جنوبها . ولهذا يمكن الافتراض بان سوخي كانت تمتد مباشرة الى نقطة في أعلى المستوطنة بالس الحديثة عند منعطف الفرات . هذا ومكث تكلات بيليصر الأول بعض الوقت بالقرب من سلسلة البشري) جبل البشري الحديث) الذي يصل الى الفرات - واستولى على ست مدن في سفحها . ولا تُعرف مواقع هذه المدن واسماءها ،وتذكر الكتابة المنقوشة على المسلة المكسورة (رولنسن . المرجع السابق . المجلد ٣ . اللوحة ٤ . رقم ١) . عمود ٢ . الاسطر ١٩ - ٢٤ (بج وكنك . المرجع السابق . ص ١٣١ .) . ان تكلات بيليصر زحف من الخابور مخترقاً ارض (خاركي) الى مدينة كركميش في بلاد (خاتي) واستناداً الى هذا يبدو ان الاسم الحقيقي لذلك الجزء من سوخي الممتد شمال غرب مصب الخابور كان خاركي . ولا نعلم إن كان تكلات بيليصر الأول قد ذهب كذلك الى الجنوب الشرقي من الخابور ، فلم يرد في السجلات ذكر لمثل هذه الحملة .

طريق توكولتي انورتا الثاني

لأجل دراسة الطوبوغرافية التاريخية للفرات الأوسط يُعتبر سجل زحف الملك الآشوري توكولتي انورتا (او توكولتي نب)الثاني(٨٨٩-٨٨٤ق.م.) على جانب كبير من الأهمية . لم يكن هذا الزحف حملة عسكرية . ولم يكن ثمة عصيان على الفرات الأوسط . ولكن الملك الآشوري ذهب الى هناك ليتسلّم بنفسه الهدايا والأتاوة وليقوي نفوذه . لقد سار من آشور (قلعة شرقاط الحالية) باتجاه جنوبي الى مدينة سيبار (ابو حبّة الحالية) . ومن هناك

سار باتجاه الشمال الغربي على الضفة اليسرى من نهر الفرات الى مقربة من مصب الخابور ومن ثم سار بمحاذاة الضفة اليسرى لنهر الخابور متجهاً شمالاً . وقد مرّ بعدة مدن ، معروفة وغير معروفة ، واحتفظ لديه بسجل لمختلف اماكن المخيمات والمستوطنات ؛ وبهذا نستطيع ان نحدد بدقة بالغة أطوال مسيراته اليومية وتثبيت مواقع الاماكن على طريقه . وكانت مسيراته في العـــادة ٢٣ كيلو متراً وفي حالات مستثنـــاة فقط كانت تطول او تقصر عن ذلك .

تفاصيل طريق توكولتي انورتا

خرج توكولتي انورتا الثاني بحسب الحوليات (شايل ، حوليات [١٩٠٩] ، اللوحات ٢ــ٤) ، الوجه المقابل ، السطور ٤١ -- ٨٢ ، الوجه المعاكس ، السطور ١ ــ ٢٤ (شايل ، المرجع السابق ؛ من ص ١٤ الى ص ٢٢) من آشور في اليوم السادس والعشرين من نيســان وخيّم في السهــل الواقع شرق الثرثار . وبعد عبوره نهر الثرثار خيّم ثانية واستقى الماء طوال الليل كما يفعل البستاني . وفي اليوم التالي لم يشرب هذا الماء المر مطلقاً . ثم اخترق الصحراء ونام بجانب الثرثار . وسار اربعة أيام بحذاء هذا النهر وذبح تسعة ثيران برية . ثم خيّم عند مصب الثرثار . وبعد ان تزود بكميات من الماء انطلق يحث السير في مجاهل سهل حماته حتى وصل الى حقول المركاني حيث وجد جداول للري وطعاماً وتبراً . فخيّم هناك يوماً وليلة لان جيشه كان يستقي الماء وعند وصوله الى نهر دجلة ومستوطنات ارض (الاوتوانه) استولى على المقابر الواقعة على دجلة وقتل كثيراً من الأهلين ونقل معه بضائع متنوعة ثم عسكر في (اصوصي) . ولدى مغادرتها لم يسر على الطريق بل شق طريقه خلال الأحراش حتى وصل (دور كوركالزو) وعسكر هناك . واستمر في رحلته وعبر قــناة

(باتي بيل) حيث قضى ليلته وبعدها وصل الى (سبّورو شا شمش ومن هناك ذهب الى الفرات وخيّم في (سلاته) مقابل (دور بلاطي) على الجهة الأخرى من الفرات وكذلك في (رحيمة) مقابل (ربيقو) على الجهة الأخرى ؛ وفي حقول (كبسيته) بجانب الفرات ؛ وفي (دايا شتي ؛ وبجانب عين القير مقابل مدينة (إد) ، التي كانت على الجهة الأخرى من الفرات . وفي إد توجد حجارة (او شميتا) ، وهناك تكلم كبار الآلهة ايضاً . وبعد مغادرته اد عسكر مقابل (حربيه) ؛ ثم في مروج بجانب الفرات ، حيث استقى الماء طول الليل والنهار . ومن هناك انعطف ودخل في سلسلة مقفرة من التلال الواطئة حيث لايتوفر طعام ولا ماء بات ليلته هناك، ثم سار الى مروج حدو بيلي بجانب الفرات حيث خيّم ثانية . ونصب المخيّم التالي بين زديداني وسبريته ، وهي قرية تقع وسط الفرات . ومن هناك ذهب الى (سوري) قرب (تلبش) ، وكانت تقع ايضاً وسط الفرات . ومن سوري زحف الى (انات) في بلاد سوخي حيث سلّم له واليها ، (إيلو إبني) مدفوعات وديوناً مستحقة مختلفة . وبعد إن استمر في زحفه خيّم في (مشقيته) ، مقابل خردة في كيليتة ومقابل خنداني أو (خندانو) . فأدى له امّي – الابا حاكم المدينة المذكورة اخيراً ديوناً مختلفة . ولدى مغادرته الفرات أمر بشق طريق خلال الهضاب المؤدية الى مستعمرة نجيات التي عسكر فيها ، كما عسكر في (اقرباني) حيث سلّم له (مُدادا) من بلاد (لقي) الأتاوة المستحقة . بعدها استمر في سيره وتوقف في مستوطنة (صُبري) ليستلم الديون من حمتاي من بلاد لقي وعسكر في ارباتة ، حيث دفع له خراني من بلاد لقي الأتاوة . وفي ماوراء ارباته خيّم في كصي ومن ثمّ مقابل بلدة سرقي حيث دفع له مُدادا والي سرقي ، ما عليه من ديون ، كما دفع خراني من بلاد لقي الديون للمرة الثانية . وبعد مغادرته سرقي اجتاز مروج الفرات وعسكر بالقرب من البال – كوشا نهر خابور (او القنـاة المتفرعة من الخابور) ، قبل قرية رمو نيدو ،

وبالقرب من مستوطنة سوري الواقعة على نهر الخابور والعائدة الى (خديبي) ، حيث قدم له حمتاي من بلاد لقي الديون المطلوبة للمرة الثانية . وبعد ان سار ابعد خيم في اوسلا حيث تسلّم ديونه ؛ وفي دور كتليمتّو الواقعة في لقي الخ . . .

اعادة تحديد طريق توكولتي انورتا

وفيما يلي الاعادة المحتملة لتحديد طريق توكولتي آنورتا :

نصب أول مخيم على سفح سلسلة المكحول ، ربما بالقرب من عين المنجور .

وربما كان المخيم الثاني عند آبار الحديبة . عبر الملك مع حاشيته مجرى نهـــر الثرثار المتناقص الذي يجري في ارض يكثر فيها الجبس المتبلور والملح الصخري . ونتيجة لهذا يكون الماء في الآبـــار الضحلة المتعددة هناك ذا مذاق مالح ومج . وعلى مايبدو فان الملك شرب في الأيام الثلاثة الأولى الماء العذب الذي جلبه معه من دجلة فقط .

وربما كان المخيم الثالث في العرسة .

وربما كان المخيم الرابع في ام غروبة .

وربما كان المخيم الخامس في النخيلة .

وربما كان المخيم السادس في الفرّس .

وربما كان المخيم السابع قرب مصب نهر الثرثار في بحيرة (ام رحل) الملحية . ويوجد في هذه المنطقة عديد من الآبار الضحلة تحوي ماءً على مدار السنة . ومن المحتمل ان الملك في موضع ما قرب بئـــر (الخشيبة) ارتحل عن الثرثار وتوجه شرقا مخترقاً ارض حماتة ؛ وهذا الاسم لايزال محفوظاً في (مرقب الحما)

واحدد موضع المخيم الثامن عند بئر الخمّاش

هذا ووجد الملك في حقول المركني قنوات للري .

وبالنظر الى الطوبوغرافيا ، ينبغي الاّ نبحث عن هذه القنوات شمالاً أبعد من الارض الغرينية في غرب قرية إصطبلات الحديثة ، قرابة خمسة واربعين كيلو متراً شرق الثرثار . فاغلب الاحتمالات ان المخيم التاسع نصب هناك . وتعني كلمة مركني زهرة زكية الرائحة . ويدعى الاقليم غرب اصطبلات الآن (الشنانات) وهي كذلك تشير الى نبتة طيبة الرائحة تعرف بالشنان .

وكان المخيم العاشر في اصوصي . اقترب الملك من دجلة وانتهب قرى الاوتواتة التي تقع على جانب النهر . واحدد موضع اصوصي قرب (عزيز بلد) الحالية .

ومن اصوصي سار باتجاه الجنوب حتى وصل في ثلاثة أيام الى القلعة الحدودية دور كور يكالزو ، وهي عقرقوف اليوم؛ واغلب الاحتمال انه لتحقيق ذلك غادر دجلة وتقدم بمحاذاة سفوح هضبة (ردايف) على الحافة الغربية المنطقة الغربية . فلو انه سار بمحاذاة النهر لكان لزاماً عليه ان يشق طريقه خلال حقول وخلال قنوات يمربترع للري متعددة ، بينما لو سار بمحاذاة سفح ردايف لكان طريقه وترع للري متعددة ، بينما ميسوراً ، سوى انه كان يضطر في بعض الاماكن فقط للخروج عن مساره لتحاشي آجام الاكاسيا .

وكان المخيم الثالث عشر في دور كوريكالزو .

وكان المخيم الرابع عشر بجانب قناة باتي بيل التي عبرها وهو متجه جنوباً ، ربما بالقرب من موضع قرية (الزرجة) الحديثة . ان عبور الملك العظيم هذه القناة دليل على انها تأخذ من الفرات وليس من دجلة ، اذ ان الطريق من عقرقوف الى ابو حبّة ، وهو موقع المخيم التالي ، يقع كله على ارض أعلى من مجرى دجلة .

وكان المخيم الخامس عشر في سبّورو شاشمش ؛ وربما تتطابق هذه البلدة مع خرائب ابو حبّة . ان المسافة من عقرقوف الى ابو حبّة لاتكاد تبلغ ثلاثة وثلاثين كيلو متراً ، الاان الطريق كان يمرّ خلال اراض مفلوحة وعلى قنوات وترع كثيرة مما يجعل تغطية المسافة في يوم واحد متعذراً .

ومن سبّورو (سبّار) إتبع الملك اتجاهاً شمالياً غربياً . واستغرقت المسيرة الى إد (هيت) ستة أيام . ونعلم انه سار بمحاذاة الفرات ولم يفارق ضفافه . إن المسافة من ابو حبّة الى هيت هي ١٤٠ كيلو متراً ولتغطية هذه المسافة في ستة أيام يتطلب معدلاً قدره ثلاثة وعشرون كيلو متراً كيلو متراً لمسيرة كل يوم . ولا بد ان كانت بعض المسيرات اقصر بقليل واخرى اطول ،اذ كان من الضروري الحصول على تجهيزات كما ان الملك كان يرغب في التفاوض مع الرؤساء المحليين الذين يمر بهم في طريقه . ولسوء الحظ لم يحفظ لنا شيء من الأسماء القديمة ،(ربما باستثناء واحد وهو (كبسيته)التي أحدد موضعها في كاوشتة ؛ وكان يمكن ان تفيدنا هذه الأسماء كثيراً في تحديد ادق لأطوال المسيرات اليومية . ويؤسفني هذا خاصة بالنسبة الى بلدة (ربيقو) ، وهي قلعة ثغرية يرد اسمها كثيراً في السجلات . وحيثما لايذكر ان المخيم كان في الحقول نقوم بالبحث عن بقايا القرى القديمة او الخرائب مهما تكن صغيرة . ومما يدعو الى الأسف انه لم توضع في السجلات قناة واحدة بين سبّار والطرف الشمالي الغربي للاراضي الغرينية البابلية برغم انه كان على توكولتي انورتا الثاني عبور قنوات متنوعة ، تأخذ الماء من الفرات كما فعلت قناة باتي بيل .

ومن سبّورو شاشمش او ابو حبّة سار الملك (آنسا شاك) الى الفرات ، ربما ليس بمحاذاة ضفته اليسرى ، بل بمحاذاة الضفة اليمنى، لقناة عريضة او فرع من النهر الرئيس ، الى مخيمه السادس عشر الذي نُصب

في سلاتة ، ربما بالقرب من مجموعة الخرائب التي تُعرف الان باسم المجرم .

اما المخيم السابع عشر فقد كان مقابل قلعة (دور بلاطي) على الضفة اليمنى من الفرات . وربما تشير خرائب (أحيمر) التي تبعد مسافة اثنين وعشرين كيلو متراً عن المجدّم الى موضع المخيم المذكور .

وكان المخيم الثامن عشر في (رحيميّ) مقابل حضن ربيقو . فلو قدّرنا المسيرات اليومية بثلاثة وعشرين كيلو متراً لكل منها لومب اذن البحث عن رحيمي في خربة (ماحوز) وربيقو في خرائب (الرحاية) الواقعة قرب ضريح صغير على رابية صخرية على الضفة اليمنى للفرات . على انني افضل مطابقة ربيقو مـع البلدة الحديثة المزدهرة (الرمادي) التي تبعد سبعة عشر كيلو متراً غرب الرحاية ، ولكن هذا كـان يجعل لزاماً على الملك ان يقطع ثلاثة وثلاثين كيلو مـتراً يومياً في الاقل ليصل من ابو حبّة الى الموضع المقابل للرمادي في ثلاث مسيرات ، بينما يكون معدل المسيرات اليومية من هناك الى إد (هيت) ستة عشر كيلو متراً فقط . ومن الناحية الاخرى ، لو كان المخيم التاسع عشر بدلاً من الثامن عشر قد نصب مقابل ربيقو لتطابقت البيانات عن موضع المخيم أو الرمادي بدرجة كافية .

وكان المخيّم التاسع عشر على حقول كبسيتة ، ولعلها الحقول الخصبة شرقي خرائب كوّشته .

اما المخيم العشرون في (دياشتي) فربما كان في الموضع الذي تقع فيه خربة الأسود الآن ، على بعد اثنين وعشرين كيلو متراً من كوّشتة بين الفرات وقناة قديمة .

وكان المخيم الواحد والعشرون في إد ،او هيت الحديثة ، على بعد عشرين كيلو متراً من الأسود .

وكان المخيم الثاني والعشرون مقابل حربية ، وربما تقوم على خرائبها ضيعة القطبية الحالية . وينتهي السهل الخصب قرابة عشرة كيلو مترات الى الشمال الغربي من هناك وتقترب اجراف شديدة الانحدار من مجرى نهر الفرات ذاته قاطعة الطريق في بعض الاماكن . وبما ان النهر ينعطف عدة مرات في هذه المنطقة فان الطريق يفترق عن الفرات ويمتد خلال سهل صخري باتجاه شمالي غربي ولا يعود الى النهر حتى نصل الى السليمية على بعد اربعة وخمسين كيلو متراً من القطبية . تقدم الملك على هذا الطريق ايضاً ونصب مخيمه الثالث والعشرين في صحراء لاماء فيها ، ربما في (شعيب النهل)

وربما كان المخيم الرابع والعشرون على مروج في حدوبيلي بالقرب من موقع السليمية الحديثة . على أنني لم أعثر على خرائب هناك ، ولكن الفرات قبالة السليمية يشكل جزراً متعددة ؛ فمن الممكن ان تكون حدوبيلي قد اختفت في مجراه .

وكان المخيم الخامس والعشرون بين زديداني وجزيرة(سبيريتة) . انني اعتبر هذه الجزيرة الصغيرة هي جزيرة السوّاري الصغيرة الحالية ، في الوقت الذي قد تتطابق زديداني مع خرائب (المحدّدة) .

وكان المخيم السادس والعشرون قريبا من سوري مقابل جزيرة (تلبش) او (تلمش) . ان خرائب (سور) الحالية الواقعة بجوار جزيرة (تابس) على بعد مسافة اثنين وعشرين كيلو متراً من (السوّاري او سبيرتة القديمة ، تقع في موضع هذا المخيم .

وكان المخيم السابع والعشرون قبالة جزيرة آنات في بلاد سرخي . وآنات هي عانة ، الحديثة التي بُني حصنها ومسجدها الجامع على جزيرة تبعد مسافة ستة عشر كيلو متراً من سور .

وكان المخيم الثامن والعشرون في (مشقيته) ومن المحتمل انها قرية صريصر الحديثة .

وكان المخيم التاسع والعشرون قبالة القرية (خردة) على الضفة اليمنى . وربما تدل خرائب (الدينية) عليها .

وكان المخيم الثلاثون في كيايتة ، ربما بالقرب من (الجعبرية) الحديثة في سفوح روابي الغياري وربما تبينا في هذا صدى لاسم كليتة القديم .

وكان المخيم الحادي والثلاثون مقابل بلدة (خنداني) على الضفة اليمنى . ويستدل على هذه البلدة بما لايقبل الشك بخرائب الشيخ جابر الواسعة يومنا هذا ولم يكن في مقدور الملك السير من آنات الى (خندانو) بسرعة تزيد على ثلاثة وعشرين كيلو متراً يومياً .

وتصل الاجراف مقابل الشيخ جابر الى ضفة النهر تماماً مما يجعل السير بحذائها صعباً بل مستحيلاً تماماً في موسم الفيضان . ولهذا السبب يفضل الناس السفر على مسافة من النهر مخترقين سهلاً صخرياً وعراً . وهذا ما فعله الملك ايضاً . فقد ترك ضفة النهر وأمر ببناء طريق الى المخيم الثاني والثلاثين عند بجياتة التي يمكن القول بإنها خربة اكمة الطاوي وهي ويقع في الطرف الجنوبي الشرقي لشريط من سهل فيضي يبلغ طوله في هذا الموضع تسعين كيلو متراً ويصل عرضه في اماكن اخرى الى ستة كيلو مترات وقد انتثرت عليه بقايا قرى قديمة بين صغيرة وكبيرة .

واحدد مخيم (اقرباني) او نقرباني الثالث والثلاثين في خرائب (البهسنا) قرابة ثلاثة وعشرين كيلو متراً من الطاوي .

وفي اليوم التالي توقف الملك في بلدة (صُبري) وأمر بنصيب المخيم الرابع والثلاثين في(ارباته) . وقد تكون صبري مطابقة لخربة الصفاء وارباته مطابقة (الجعابي) وأقدر مسيرة ذلك اليوم بستة عشر كيلو متراً ، وذلك لتأخر الملك في صبري .

وكان المخيم الخامس والثلاثون في حقول كصي ، واخترق الطريقُ اراضي مزروعة ومروية فلم يتسن للملك ان يقطع اكثر من عشرين

كيلو متراً في ذلك اليوم ومن المحتمل ان مخيمه كان امام موقع خربة (المجتلة) الحالية .

وكان المخيم السادس والثلاثون مقابل بلـدة سرقي التي كانت تقـع على الضفة اليمنى . فاذا احتسبنا مسيرته اليومية المنتظمة تتراوح بين عشرين وثلاثة وعشرين كيلو متراً فسوف نصل الى موضع مقابل بلدة (الميادين) الحديثة التي يمكن ان نعدها سرقي القديمة . على ان الاسم سرقي يذكرنا بترقة وهو اسـم عاصمة دولة خـانة التي تطابق العشارة او القريّة (انظر اعلاه ، ص ٥) . وربما يمكن التثبت من الموقع الحقيقي لترقة بالتنقيبات الأثرية التي قد توضح ايضا ماذا كانت هذه البلدة سرقي ام لا .

وعند سرقي غادر الملك نهر الفرات وتقدم باتجاه شمالي بمحاذاة الضفة الغربية لنهـر الخابور حتى المخيم السابع والثلاثين قرب قـريه (رمّو نيدو) التي لا تبعد كثيراً عن الموضع الذي تتشعب منه قناة من الخابور . وتتفرع من هذا النهر قناة كبيرة واحدة تدعى (دورين)اسفل من قرية (السجر) الصغيرة قرابة واحد وعشرين كيلو متراً شمال الميادين وشمال قرير (طامة التي تقع مقابل الميادين عـلى الضفة اليمنى . فان كانت سرقي مطابقة للقريّة فتكون اقصر مسافة مـن هناك الى مدخل دورين خمسة وعشرين كيلو متراً ،لذا يمكن تحديد موضع المخيم السابع والثلاثين في رمّونيدو الى الشمال من قناة الخابور الكبيرة ، او بالقرب من خرائب (حجنا) الحالية .

واستناداً الى السجل الآشوري فان هذا المخيم كان لايزال في « مروج الفرات » ، ولعل هذه التسمية كانت تعني السهل الخصيب الممتد من الفرات الى مابعد السجر . ويحدد شـايل (المرجع نفسه ، ص ٤٨ وما بعدها) موضع رمّونيدو بالقرب من الفرات ، ويظن أنه كان على

الملك ان يصل هـذا الموضع قـبل ان يتمكن من مـن التقدم شـمالاً بيد ان هـذا كان امـرا مستحيلاً : بعضه بسبب ذكر قـناة الخابور الكبيرة ، اونقطة بـداية قـناة دورين ، وبعضـه الأخـر بسبب المسافة مـن هناك الى المخيم الثامن والثلاثين الـذي كـان فـي سوري . وكان هذا الموضع ، اي الصوار الحديثة ، قرابة اربعين كيلو متراً من الفرات ؛ فلو تأملنا حقيقة انه كان على جيش الملك عبور القناة الخارجة من الخابور والسير خلال ارض مزروعة لوجدنا ان المسافة من الفرات الى سوري لايمكن اجتيازها باي حال من الأحوال بمسيرة يوم واحد . ومن الناحية الأخرى فلو اعترفنا بتطابق رمونيدو مع حجنا لحصلنا على المعدل الاعتيادي وهو ثلاثة وعشرون كيلو متراً .

ويكتب شايل (المصدر نفسه ، ص ٤٩) ان الصوار تقع على بعد عشر ساعات ، او اربعين كيلومتراً ، من الفرات ويعتبر هذا ايضاً مجرد مسيرة يوم واحد ، كما ورد في النص . الا انه هنا لا يناقض تحديده لمواقع الاماكن المختلفة حسب بل يناقض النص نفسه ؛ لان الملك لوسار بسرعة اربعين كيلو متراً يومياً لوصل الى رمّونيدو من آنات بخمس ساعات وليس بعشر .

ومن سوري (الصوار) سار الملك شمالاً بمحاذاة الخابور عائداً الى وطنه بالطريق الاعتيادي .

ان سجل حملة توكولتي انورتا الثاني هذه لا تجعل تحديد مواقع القـرى المتعددة بصورة دقيقة الى حد ما ممكناً فحسب بل انه يكشف ايضاً عن التنظيم السياسي في منطقة الفرات الأوسط . فقد امتدت سوخي في زمن تكلات بيليصر الاول حتى وصلت الى حدود (بيت اديني) او فوق قـرية بالس الحديثة حيث تنتهي الصحراء وتبدأ الارض المزرعة . وفي ظل حكم توكولتي انورتا الثاني فان الاسم الحقيقي لذلك الجزء من سوخي شمالي نائي العرصي الصخري كان لقي (الحوليات) [شايل ، المرجع نفسه ، اللوحه ٤]

مقابل ، السطران ٣ و ٥ ؛ المرجع السابق ، ص ٢٠) . وعلى هذا النحو ترجع البلدتان سوري (الصوار) (المرجع نفسه ، السطران ١٩ و ٢٠ ؛ ص ٢٢) ودور كتليمة (تل فدغمي الحديثة على الخابور) (المرجع نفسه ، السطر ٢٢ وما بعده ؛ ص ٢٢) الى منطقة لقي . ووضع تكلاث بيليصر الأول دور كتليمة في ارمه لانه كان يجهل لقي آنذاك . (المسلة المكسورة) [رولنسن ، المرجع نفسه ، المجلد ٣ ، اللوحة ٤ ، الرقم ١] العمود ٣ ، السطر ٢٢ ؛ بج وكنك ، الحوليات [١٩٠٢] ، ص ١٣٦) .

وكان كلا البلدين ، سوخي ولقي مقسماً الى دول مدن كبيرة وصغيرة يحكمها رؤساء خاصون بهم . وكانت مراكز هذه الدول المدن الآتية :

آنات ويدعى رئيسها ايلو — ابني (الحوليات) [شايل ، المرجع السابق ، اللوحه ٣] ، المقابل ، السطران ٦٩ و ٧٠ ؛ المرجع نفسه ، ص ١٨) ،

وخندانو ويدعى رئيسها امّي — الابا (المرجع نفسه ، السطران ٧٦ و ٧٩ ؛ ص ١٨) ،

ومدينة سرقي ويدعى رئيسها مدادا (المرجع نفسه ، اللوحه ٤ ، المقابل ، السطران ٨ و ١٠ ، ص ٢٠) .

اما خراني من بلاد لقي الذي قدم مدفوعاته في سرقي فقد كان ملكا على مملكة لم يدخلها توكولتي انورتا بعد،ولهذا يجب ان تكون واقعة شمال غربي مصب الخابور (المرجع نفسه ، السطر ١١ ، ص ٢٠) . وكان حمتاى رئيس سُوري (المرجع نفسه ، السطر ٥ ، ص ٢٠ ؛ السطران ١٥ و ١٩ ؛ ص٢٢) ، اما الاقليم الذي كانت هذه المدينه عاصمتة فيدعى خدبّة او (بيت خدبّة) نسبة لسكانها (ووردت ايضاً ، خاوبة) .

كان الملك الآشوري يعيّن دائما بعض رؤساء دول المدن ليكونوا ممثلين له . وفي عهد توكولتي انورتا الثاني كان إيلو — إبني ، رئيس آنات ، في سوخي وحمتاي ، رئيس سُوري ، في لقي ممثلين من هذا النمط كل عن بلده .

كان موقف مثل هذا المندوب او والي الملك الآشوري في سوخي او لقي صعباً للغاية، اذ كان لرعاياه في الغالب ، خاصة عندما يقوم جيرانهم بتحريضهم ، مصالح سياسية مختلفة تمام الاختلاف عن مصالح سيده الآشوري .

حملات آشور ناصربال وطرقها

يروي آشور ناصربال (٨٨٤ — ٨٥٩ ق . م .) (الحوليات) [رولنسن ، المرجع السابق ، المجلد ١ ، اللوحات ١٨ وما بعدها] ، العمود ١ ، السطور ٧٤ — ١٠١ ؛ بج وكنك ، المرجع السابق ، ص ٢٧٩ — ٢٨٩) انه علم بعد ارتقائه العرش بفترة قصيرة ان الوالي حمتاى قد اغتاله أهل بلدة (سورو) في بلاد بيت خديّة وحل مكانه شخص اسمه (اخيا بابا) من بلاد بيت — اديني . لهذا زحف الملك من كوماجين ، حيث كان آنذاك بعرباته الحربية وقطعاته ضد سورو (او سوري) .

ان مملكة بيت اديني تتاخم لقي من الجهة الشمالية الغربية . وكان ملكها يحاول ان يبسط نفوذه وان يكسب حلفاء ضد ملك بلاد آشور العظيم ، ولهذا فانه تحالف مع الطرف الساخط في سوري ، وهم الذين كانوا قد قتلوا رئيسهم ، الوالي الآشوري حمتاي ، وقدموا الولاء للرئيس الجديد (واسمه اخيا بابا) المرسل اليهم من ملك بيت اديني . فانزل ملك بلاد آشور العظيم بالعصاة عقوبة فتاكة وعيّن (ازي — ايلو) والياً جديداً على لقي . ويبدو انه كان ملكا على دولة مدينة (كبينا) الواقعة على الفرات غربي مصب الخابور . وعملت العقوبة القاسية التي لحقت بمدينة سورو وعصاتها كتحذير لباقي الملوك في بلاد لقي الذين اخذوا على الفور يغمرون اشورنا صربال الثالث بالهدايا . كما ارسل خياني رئيس مدينة خنداني (الحوليات)[رولنسن ، المرجع السابق] العمود ١ ، الاسطر ٩٦ — ٩٩ ؛ بج وكنك ، المرجع السابق ، ص ٢٨٧) رسلاً محملين بالهدايا الى الملك

العظيم في سورو . الا ان السلام لم يدم طويلاً لانه بعد عودة اشورنصربال الثالث الى نينوى بقليل جاءه والي سوخي إيلو — إبني لطلب اللجوء . ويتضح من ذلك انه بقي وفياً لسيده الآشوري ولهذا طرده مواطنوه الذين فضلوا تحالفاً مع ملك بلاد بابل .

تفاصيل حملة آشور ناصربال الأولى

وتأكد هذا الافتراض بالتقرير الخاص عن حملة اشورنا صربال الجديدة الى لقي وسوخي المدون بالحوليات (رولنسن ، المصدر السابق ، اللوحة ٢٣ وما بعدها) ، العمود ٣ ، السطور ٥ — ٢٦ ؛ بج وكنك ، المرجع السابق ، الصفحات ٣٤٨ — ٣٥٣) .

سار الملك العظيم من بلدة (قتني) الى بلدة دور كتليمة ومن هناك الى البلدة التابعة الى ارض بيت خديّة ، ومن ثم الى مدن سرقي وصُبري ونقرباني وضرب مخيمه قبل مدينة خنداني (او خندانو) ، الواقعة على الضفة اليمنى من الفرات . وبعد ان استلم هدايا كثيرة توغل في تقدمه حتى خيّم في السلسة الجبلية فوق الفرات . ثم توقف في ارض (بيت كربابة) مقابل مدينة خريدو (او خريدي) على الضفة اليمنى من الفرات) . بعدئذ عجّل بالوصول الى بلدة آنات الواقعة على جزيرة وسط الفرات ووصل اخيراً امام حصن سورو (او سوري) حيث ابدى كدورو ، والي ارض سرخي ، مقاومة مع القطعات التي ارسلها لنجدته (نبو— ايال — الدين) ملك بلاد بابل . وبعدا قتحامه الحصن قام اشور ناصربال بأسر صابرانو (اخي ملك بلاد بابل) وبيل — ايال — الدين (قائد قطعات الاسناد الاجنبية) وثلاثه الاف رجل من الجيش البابلي وخمسين فارساً. اما الوالي وسبعون من رفاقه فقد نجوا بانفسهم من طريق الفرات . ثم هُدمت سوري وأقيم نصب في اطلال المدينة لتمجيد انتصار آشورناصربال .

اعادة تنظيم هيكل حملة آشور ناصربال الأولى

من المحتمل تطابق دور كتليمة مع تل فدغمي ، ومدينة بيت خدبة مع سورو ، الصوار الحديثة . وكانت المسافة بين دور كتليمة وسورو قرابة ثمانية واربعين كيلو متراً . فلو كانت سرقي تقع في موقع الميادين لكانت المسافة بينها وبين سورو خمسة واربعين كيلو متراً ؛ اما لو كانت تقع في موقع العشارة لكانت المسافة اثنين وخمسين كيلو متراً ، وهي مسافة يتعذر على جيش آشورنا صربال قطعها في يوم واحد . اما صُبري فربما كانت تقع في موضع الصفاء الحالية ، اما موقع نقر باني (او اقرباني) كما هو مدون في سجلات حملة توكولتي انورتا الثاني فمن المحتمل ان يستدل عليها بخرائب البهسنا الحالية . ان المسافة من الميادين الى الصفاء هي ٤٢ كيلو متراً ، ومن العشارة الى الصفاء ٣٧ ، الا انها من الصفاء الى البهسنا قرابة اثني عشر كيلو متراً ؛ ومن هنا الى خرائب الشيخ جابر ، اي خندانو القديمة ، ٤٢ كيلو متراً . وفي موضع أبعد الى الجنوب الغربي خيّم الملك العظيم في الجبال اولاً ومن ارض بيت كربابة ، مقابل بلدة خريدو . وبالاستعانة بالتقرير الخاص بزحف توكولتي انورتا الثاني حددنا موضع هذه البلدة في موقع خرائب الدينية الحالية على بعد ٤٦ كيلو متراً من الشيخ جابر . ولما كان الوصول الى نقطة مقابلها يتطلب مسيرتين يتبين لنا ان مسيرة آشورناصربال الثالث نفسه لم تكن إلا بمعدل يقارب ٢٣ كيلو متراً يومياً . ان هذا يقدم لنا دليلاً على موقع مخيمه بين خندانو (الشيخ جابر) وخريدو (الدينية) . وينعطف الفرات على مسافة تقارب الستة عشر كيلو متراً من خندانو ثلاث انعطافات كبرى . وفي هذا الموضع يكاد خط الاجراف الصخرية يصل الى حافة الماء بحيث ان الطريق يؤدي الى فوق الهضبة مبتعداً

عن ضفة النهر مسافة تصل الى عشرة كيلو مترات . وكان على الملك ان يسلك هذا الطريق ، وفي اغلب الاحتمال كان مخيمه قرابة ثلاثة وعشرين كيلو متراً الى الجنوب الشرقي لخندانو ، بالقرب من ضريح السلطان عبد الله الحالي . وكانت منطقة بلدة خريدو تدعى بيت كربابة ، تماماً كما كان اقليم سورو يسمى بيت خدبّة .

وتقع المدينة الجزريه انات ، اي عـانة الحديثة ، عـلى بعد اربعين كيلو متراً من خريدو . ولا يذكر السجل اين خيّم الملك العظيم قبل الوصول الى آنات . ولا يتعدى الطريق المباشر من ذلك الموضع الى حصن سورو (سور الحديثة) اكثر من ستة عشر كيلو متراً . وكانت سورو قلعة بلاد سوخي حيث احتمى بها كدورو ، الوالي الذي عيّنه البابليون ، مع الجيش الذي ارسله البابليون لاسناده . ولم تكن القلعة قادرة على المقاومه فدمرت وتّم اسر الجيش البابلي مع ضباطه ولم ينج الا الوالي كدورو ونحو سبعين من اتباعه فقط وذلك بالالتجاء الى بعض الجزر في نهر الفرات .

ومع ان الملك العظيم يؤكد تعزيزه ثانية لسلطته في ارض سوخي وتوسيع نفوذه حتى حدود بلاد بابل وادخاله الرعب في نفوس سكان المناطق الجبلية على كلا الجانبين لنهر الفرات ، فانه بالرغم من ذلك لم يتوغل في هذه المرة بعيداً باتجاه الجنوب الشرقي وانه لم يزحف بحذاء حصن (دور كوريكا لزي) في طريقه الى بلاد آشور ، بل عاد بنفس الطريق الذي جاء منه تقريباً ، اي انه سار بمحاذاة الضفة اليسرى للفرات ثم الى أعلى الخابور ومن هناك عبر الى محل سكناه في (كلخ) .

تفاصيل محلة آشور ناصربال الثانية

وقبـل ان يصل آشورناصربال الى وطنه تسلّم تقريراً مفاده ان الأهلين في بلاد لقي وسوخي قد ثاروا عليه وعبروا الفرات . وعليه ان يتحرك ينازلتهم ولعل ذلك كان في عام ٨٧٧ ق . م . (الحوليات) [رولنسن ، المرجع السابق ،

المجلد ١ ، اللوحه ٢٤] ، العمود ٣ : السطور ٢٧ — ٥٠ ؛ بج وكنلك ، المرجع السابق ، ص ص ٣٥٣ — ٣٦١) . وتقدم في بادئ الأمر الى بلدة سوري في بيت خلوبه حيث امر بصنع اكلاك من الخشب والقرب المنفوخة . وحتى قبل انجازهذه الاكلاك سار الى مضايق الفرات(خنقي) ، واستولى على بعض المدن التابعة للرئيسين(خنتي — ايلو)و(ازي — إيلو)من بلاد لقي واسر أهليها وقتل بعضاً منهم ، وحمل معه غنائم كثيرة . ثم احرق المدن وهدمها . ولدى عودته عبر الخابور عند مصبه وسار خلال بلاد سوخي حتى بلدة (صباتة) محرقاً ومدمراً المدن في اراضي لقي وسوخي . وقتل ايضاً ٤٧٠ محارباً وامر بموت عشرين على الخازوق .

ثم عبر الى الضفة اليمنى لنهر الفرات على الاكلاك المصنوعة من الخشب والقرب المنفوخة عند بلدة خريدو حيث التقى بجيوش لقي وسوخي وبلدة خندانو المتحالفة الذي بلغ تعدادهم ستة آلاف رجل بين راكب عربة وراجل . هزمهم الملك العظيم وحطم عرباتهم ؛ وذبح خمساً وستين مائة (كذا) من محاربيهم،وهلك الباقون عطشاً في صحراء الفرات . ومن بلدة خريدو في بلاد سوخي وحتى بلدة (كيبينا) استولى على البلدان الواقعة على الضفة اليمنى التابعة الى مملكة خندانو والتابعة الى سكان لقي الآخرين ، فنهب هذه المدن وهدمها واحرقها .

اما أزي — إيلو من ارض لقي ذاته تحصن في بلدة كيبينا ولكنه فرّ عندما لم يعد قادراً على حماية نفسه ؛ فقُتل الف من محاربيه وحُطم الكثير من عرباته وأسرت آلهته . والتجأ أزي — إيلو الى سلسلة (بيسورو) الجرداء على الفرات ، فحاربه الملك العظيم مدة يومين وقتل الكثير من رجاله،ومن ثم وصل في مطاردته له الى بلدتي (دمّيته) و(أسمو) التابعتين الى شعب أديني . فاستولى عليهما ايضاً وقام بنهبهما وهدمها وحرقهما . ولم يفقد أزي — إيلو ابقاره فحسب بل خسر ايضاً اغنامه التي أخذها

الملك العظيم على انها غنائم حرب .

كذلك وقع في الأسر في ذلك الوقت (ايلا) من ارض لقي مع عرباته وخمسمائة محارب .

وصل الملك العظيم الى مضايق الفرات حيث أنهى حملته . وهرب أزي — إيلو امامه . وخرصر خمتي — أيلو من أرض لقي في بلدته والتمس الرحمة . فأخذ الملك جميع ما كان في قصره من فضة وذهب ورصاص ونحاس واواني نحاسية ومنسوجات ملونة ؛ وزاد الضريبة عليه . ثم اسس بلدتين على الفرات وسمّى البلدة على الضفة اليسرى (كار — آشور ناصربال، كما سمّى تلك التي تقع على الضفة اليمنى (نيبرتي — آشور) .

اعادة هيكل حملة آشور ناصربال الثانية

من المحتمل ان القوارب التي صنعت في سوري (الصوار) كانت ارماثاً مشدودة الى جلود الماعز المنفوخة . ولعل الجلود كانت تؤخذ من الحضر والبادو على السواء . وأما الخشب فيؤخذ من اشجار الحور والطرفاء التي لاتزال تنمو بكثرة على الخابور وعلى الفرات ايضاً . ومن هذه الاشجار بُنيت قوارب ايضاً للامبراطور الروماني سبتيميوس سيفروس عام ١٩٨ م (كاسيوس ديو . التاريخ . ح ٧٥ ص٢ وما بعدها) .

لم ينتظر آشورناصربال ، في سوري حتى الانتهاء من صنع القوارب ؛ بل استمر في فتح المدن على الضفة اليسرى من الفرات العائدة الى الرئيسين خنتي — إيلو وأزي — إيلو . وربما كان إزي — إيلو هو الوالي الذي كان الملك قد عيّنه بعد ارتقائه العرش بزمن يسير . وصل الملك العظيم الى مضايق الفرات ، اي الى زلبية الحديثة حيث يترك مجرى الفرات المضايق على بعد خمسة وسبعين كيلو متراً شمال غربي مصب الخابور . ومن المحتمل ان

كانت في ذلك الموضع أقوى مدن الرئيس خنتي – إيلو ، ولم يحاول الملك العظيم حصارها في هذا الوقت .

وبعد عودة آشورناصربال من هذه الغارة الى تقاطع الخابورمع الفرات سار بحذاء الضفة اليسرى للفرات باتجاه جنوبي شرقي ، مهدماً بلدة بعد أخرى الى ان وصل أخيراً الى بلدة صباتة . وتقع هذه دون شك جنوب شرقي خريدو او حتى جنوب شرقي حصن سورو وإلا لما صح ان يكون الملك قد أخضع ارض سوخي بأكملها . ولا يُعيننا التقرير الموجز كثيراً في التحديد الدقيق لموقع صباته ، الا انني أظنه مطابقاً مع البلدة الجزرية (سَبِريتة) الوارد ذكرها في سجلات حملة الملك توكولتي انورتا الثاني . فبدلاً من (قو – را – صي – تي) الصحيحة تكتب احياناً قو – صي – تي (اسطوانة رسام) [رولنسن ، المرجع السابق ، المجلد ٥ ، الجزء ١ ، اللوحات ١ – ١٠] العمود ٨ ، السطر ١٢١ ؛ لوحة المتحف البريطاني ك ٢٨٠٢]ورلنسن ، المرجع السابق ، المجلد ٣ ، اللوحتان ٣٥ و ٣٦ ، العمود ٦ ، السطر ٤١ ؛ سترك ، آشور بانبال [١٩١٦] ، المجلد ٢٠ ، ص ٧٣ و ٢٠٦) . وعلى هـــذا القياس يمكننا الافتراض ان صباتة تمثل سبريتة الصحيحة التي طابقناها مع جزيرة السوّاري الحديثة على بعد عشرين كيلو متراً جنوب شرقي جزيرة تلبس الصغيرة . وبالطبع فان سبريته مكتوبة بحرف السين اما صباتة فبحرف الصاد . وعلى كل حال لم يفرق الآشوريون بكل وضوح بين صوت الصاد والسين في الأسماء الاجنبية ؛ فعلى سبيل المثال ان السين الآشورية كما في سوري قد تدل على كلا الحرفين الصاد العربية كما في صوار ، او السين العربية كما في سور .

ولم يستطيع آشوناصربال المضي أبعد من ذلك الى الجنوب الشرقي لأنه كان سيلتقي بالجيش البابلي بينما كان العصاة يتجمعون خلفه في خريدو . فعندما استدار لملاقاة العصاة عبر الفرات في خريدو (الدينية) ودحر القوات

المشتركة لسوخي ولقي وبلدة خندانو . ولم يُذكر عددُهم على وجه صحيح . واستناداً الى التقرير الآشوري فان الجزء الأعظم منهم سقط في ساحة المعركة وهلك الباقون عطشاً في الصحراء لان الآشوريين لم يدعوهم يقتربون من الفرات . ثم تقدم الملك العظيم بمحاذاة الضفة اليمنى الى الشمال الغربي .

ومن خريدو التي كانت لاتزال في سوخي نهب الملك اولاً البلدان المعتمدة على خندانو ومن ثم قرى سكان لقي ؛ واخيراً وصل الى بلدة كيبينا حيث التجأ أزي -- إيلو الوالي الخائن من لقي . ولا بد ان يكون أزي -- إيلو حاكماً إقطاعياً لا يقيم في حصن سوري (الصوار) المهدم في بيت خديّة بل في مملكته الخاصة التي ابحث عنها بحذاء ضفتي الفرات شمال غربي مصب الخابور . لقد انتهبت البلدان الواقعة على الضفة اليسرى للفرات اثناء الزحف من سوري (الصوار) الى مضايق الفرات . بينما قاست البلدان الواقعة على الضفة اليمنى المصير نفسه بعد الهزيمة في خريدو . ويغفل السجل الآشوري الاشارة الى ما اذا استولى الملك العظيم ايضاً على بلدة كيبينا ودمرها ، وهذه قرينة توصلنا الى الاستنتاج ان أزي -- إيلو هُزم بالقرب من هذه البلدة وليس بداخلها فعلاً وتقهقر مع ما تبقى من جيشه الى سلسلة جبال بيسورو الواقعة على الفرات . ويشهد مجرى الأحداث بكامله على ان هذه السلسلة هي سلسلة البشري التي ذكرها تكلاث بيليصر الأول (الكتابة على الاسطوانة) [رولنسن ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، اللوحة ١٣] العمود ٥ : السطر ٥٩ ؛ بج وكنك ، الحوليات : ص ٧٤) . دافع أزي -- إيلو عن نفسه في الجبال مدة يومين ولكنه بعد فقده اعداداً كبيرة من اتباعه المخلصين اضطر الى الهرب ثانية . ويبدو من هذا ان بلدة كيبينا يجب ان يُبحث عنها بالقرب من سلسلة البشري ؛ ولعلها قرب دير الزور الحالية .

وعند وصول الملك العظيم الى السفح الشمالي لسلسلة البشري قام بتعقيب الوالي أزي -- إيلو حتى قريتي دميتا وأسمو الواقعتين في ارض بيت -- اديني

ومن ثم الى ما وراء القرية بالس الحديثة . (فورر) ، (فـي تقسيمات المنطقة الادارية [١٩٢١] ؛ ص ٢٦ ، الملاحظتان ٣ و ٤) يحدد موقع دميتا في جنوب غربي دير الزور . وأسمو مقابل مصب البليخ ، الا ان هذا لا يتفق مع التقرير الآشوري . نهـب الملك العظيم كلـتا هاتين البلدتين الواقعتين على الحدود الجنوبية لبيت - اديني . بعد ذلك عبر الى الضفة اليسرى لنهر الفرات وعاد باتجاه الجنوب الشرقي ونهب في طريقه قرى (إيـلا) وملك لقي الذي ربما كانت تعـود لـه كلتا ضفتي الفرات غرب ملتقى نهر البليخ . وعلى حدود هذه المملكة عـلى الضفة اليسرى فـي ضواحي خرائب زلبيه الحالـية تقـع المملكة التابعة للملك (خمتي - إيلو التي نهب الملك العظيم قراها الشرقية في غارته من سورو ونهب قراهـا الغربية فـي عودته من بيت - اديني . ولما لم يكن خمتي - إيلو قادراً على المقاومة اضطر الى الخضوع ودفع ضريبة كبيرة .

ولايسمّى آشـورناصربال سـكان ضواحي البشري بالأخـلامة كما يدعوهم تكلات بيليصر الأول برغم انه غالبا ما يستعمل هذا التعبير عند ذكر الفلاحين الآراميين (الكتابة على المسلة) [رولنسن : المصدر السابق ، المجلد ٣ ، اللوحة ٦] الوجه المقابل ، السطر ٤ ؛ بخ وكنك : المصدر السابق ، ص ٢٤٠) . فهو غالباً ما يفاخر أنه أخضع . جميع لقي وسوخي وكذلك بلدة ربيقي (اللوحه الجيرية) [المتحف البريطاني رقم ٩٨٦ ، ٩٢] ، الوجه الأمامي ، السطران ٨ و ٨ ؛ الكتابة القياسية [لايارد ، كتابات . اللوحة ١] ، السطر ٨ ؛ الحوليات [رولنسن . المصدر السابق ، المجلد ١ ؛ اللوحات ١٧ وما بعد] ، العمود ٢ . السطر ١٢٨ ؛ بج وكنك . المصدر السابق ، ص ١٦٣ و ٢١٦ و ٣٤٤) . ولما كانت ربيقي ودور كوريكا لزي حصنين على حدود بلاد آشور فلا بد ان كانت ربيقي واقعة على الحدود

الجنوبية الشرقية لأرض سوخي التي يجب ان تكون قد امتدت آنذاك الى ما بعد بلدة الرمادي الحديثة وربما وصلت الى خرائب الرحاية جنوباً والى صخور العرصي شمالاً .

وتسلم شلمنصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤ ق . م .) ما يستحقه من مردك -- ابلو -- اوصور من اراضي سوخي من فضة وذهب وعاج ومنسوجات ملوّنة (الكتابة البارزة على المسلة [لايارد ، المصدر السابق ، اللوحة ٩٨] ، الرقم ٤ ؛ فينكلر في : شريدر ، مكتبة الكتابات المسمارية [١٨٨٩ -- ١٩٠٠] ، المجلد ١ ، ص ١٥١) . ومن المحتمل انه قام بحملة الى اراضي سوخي في عام ٨٣٨ (فورر ، المدونة [١٩١٥ ، ص ١١) .

اقليم رصبا

وفي عهد شمشي -- ادد السابع (٨٢٤ -- ٨١١ ق . م .) كانت اراضي سوخي تابعة للامبراطورية (نقش على مسلة) [رولنسن ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، اللوحة ٢٩] ، العمود ١ ، السطر ١٣ ، آبيل في : شريدر ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ١٧٩) لأنها تحولت مع لقي الى إقليم آشوري وأقام الحاكم الآشوري (شكنو بي رَصَبّا . وتخبرنا بلاطة حجرية للحاكم (اور يكالّو -- إريش) المؤرخة في ٨٠٥ كيف تمّ تقسيم هذا الاقليم والى اين امتدت حدوده (نحت بارز على بلاطة حجرية من عهد (ادد نيراري الرابع) [اونكر ، نحت بارز على بلاطة حجرية من عهد ادد نيراري الثالث ، اللوحه ٢] الاسطر ٢٣ -- ٢٥ ؛ اونكر ، المصدر السابق ، الصفحتان ١٠ و ١٢) . وتألف من المناطق الادارية الثالثة : مدن نيميت -- إشتار وابكو وماري ؛ اراضي رصابي وقتني ؛ وبلدة دور كرباتي ، مقابل بلدة كار -- اشور ناصر بال ؛ بلدة سيرقو ؛ اراضي لقي وخندانو ؛ بلدة آنات ؛ اراضي سوخي ؛ وبلدة الشور -- إصبات .

ان المقاطعات المشار اليها هنا تظهر ان مناطق الخابور الأسفل والفرات الأوسط كانت جزءاً من أقليم رَصَبّاً . وتقع قتني على الخابور بالقرب من تل جلال الحديث ، نحو مائة وخمسة كيلومترات من ملتقى النهرين . وكانت كار — اشور ناصربال التي بناها اشورناصربال في حملته لعام ٨٧٧ (انظر ماسبق ، ص ٢٢) تقع على الضفة اليسرى للفرات . وكانت تقابلها على الضفة اليمنى دور كرباتي . وبما ان كار —اشورناصربال تقع في سلسلة البشري غرب مصب الخابور ، فعليه يمكننا مطابقتها مع زلبية الحالية ، ودور كرباتي مع حلبية . ان موضعيهما على جانب كبير من الأهمية ، لأنهما لايتحكمان في الاراضي وحدها بل وبالطرق المائيـة ايضا . ومن الممكن ان دور كرباتي كان الأسم الاصلي للبلدة التي سمّاها آشورناصربال باسم نبرتي — آشور مع ان هذا غير مؤكد لأننا نتوقع من الحاكم الآشوري ان يكتب على بلاطته الحجرية الاسم الرسمي وليس الاسم الاصلي . ولعل سيرقو ، كما رأينا ، إما تطابق الميادين اوالقريّة الحديثة او العشارة . وكانت ارض لقي جوار سورو (الصوار الحالية) . وهو الحصن الرئيس في لقي سابقاً . وكانت مملكة خنداتو تشمل البلاد التي تقع حول الشيخ جابر اليوم . اما بلدة آنات فهي التي اصبحت في العصر الوسيط عانات وعانة الحديثة . وكانت اراضي سوخي جـوار سوري (سور الحديثة) ، الحصن الرئيس لسوخي القديمة . ولم يكن اسم الشور — إصبات أصلياً ؛ وكانت هذة البلدة تقع في موضع أبعد الى الجنوب الشرقي من السهل الفيضي الخصب شمال غربي زبيقي (الرحاية) ، التي أشّرت حدود اراضي سوخي .

ويمكن البحث عن تيميت — إشتار وابكو وفري في موقع بالس الحديثة وبني ذلك الموقع وسلسلة البشري ؛ وبما ان لقي القديمة امتدت على الجبهة الغربية حتى بالس فيكون من الغريب حقاً الا يكون هناك في الجزء الممتد من البشري الى بالس بكامله منطقة ادارية منظمة واحدة . فبين البشري وبالس

تمتد ثلاثة سهول فيضية كبيرة الى حد ما احدها قرب بالس والثاني قرب ابو هريرة والثالث قرب الرقة . إنني اعتبر بالس العلامة المؤشرة الى موضع نيميت-إشتار وابو هريرة العلامة المؤشرة الى ابكو والرقة الى مري . ومما لا شك فيه ان نيميت - اشتار كان يسميها السكان الاصليون تسميه مختلفة ، على ان أبكو ومري كانتا تسميتين اصليتين . ولم اجد بعد تسمية حديثة لاسم أبكو ، ولكن اسم مري بقي محفوظاً في اسم قناة مري التي كانت تُسقى منها اراضي بلدة كالينيكوس (الرّقة الحديثة) ؛ ومن ثم قد تكون مري أو هي الاسم الأصلي للمدينة التي بَنى عليها سيلوقس نيكاتور المستعمرة اليونانية نيقفوريم والتي أُطلق عليها فيما بعد كالينيكوس (انظر الملحق الحادي عشر) .

واحاطت اراضي رصبي بعاصمة إقليم رَصَبّا الذي امتد، كما رأينا آنفاً ، من نيميت - اشتار (بالس) في الشمال الغربي الى الشور - إصبات في المنطقة المجاورة للرمادي الحديثة الواقعة على الجهة الجنوبية الشرقية ؛ كما امتدت شمالاً لتشمل ارض قتني في ضواحي جلاّل الحديثة .

ويضع اميل فورر (تقسيمات الاقليم الادارية [١٩٢١] ص ١٥) رَصَبّا الآشورية على سلسلة سنجار الجبلية ويجعلها مطابقة لبلد سنجار ، اي سنجارة الرومانية . ولكن يبدو لي ان هذا يتعارض مع السجلات الموجودة كما يتعارض مع موقع بلد سنجار ذاته. فجميع المناطق الأدارية مدار البحث يمكن العثور عليها على الخابور الأسفل والفرات الأوسط ، وبقيت بلدة رَصَبّا محفوظة في اسم الرصافة ؛ وذلك بلا ريب بالنظر الى أهمية موقعها التجاري . وتقع بلد سنجار على بعد مائة كيلومتر فقط غرب العاصمة العظمى نينوى وان الآشوريين كانو يسيطرون على الطرق المؤدية اليها منذ زمن سحيق. ولذا يصعب ان نفهم كيف يستطيع حاكم آشوري مقيم في سنجاره ان يحكم ويدير اراضي تبعد اكثر من ثلثمائة وخمسين كيلومتراً من محل اقامته وتفصله عنها صحراء .

السجلات الاشورية والكلدانية المتاخره

ومن نهاية القرن الثامن لم يصل الينا إلا القليل من السجلات وهي مؤرخة بالمدة التي قضاها حاكم سوخي ومري بوظيفته . وكان اسمه شمش — ريش — اوصور (الكتابة البارزة رقم ٢) [فايسباخ ، متفرقات بابلية ، اللوحات ٢ — ٥] ، العمود (١٩٠٣) ٢ ، السطور ٢٧ —٤١ ؛ الاعمدة ٣ — ٥ ؛ فايسباخ المرجع السابق ، الصفحات ٩ — ١١ ؛ بايزر ، علم الآثار الشرقية — [١٩٠١] ، ١٤٤ وما بعدها) . ونعلم من هذه السجلات انه بعد ان انطمرت القناة القديمة في سوخي بفعل الترسبات الطينية أمر شمش — ريش — اوصور بحفر قناة جديدة عرضها اثنان وعشرون ذراعاً وطولها ألف قصبة . وكانت صالحة للملاحة وتصب ثانية في الفرات في موضع يسمّى اي — سال — آ . وبأمر الحاكم زرعت الاشجار على ضفتي القناة لتوفير الخشب اللازم لصناعة قوارب العبور . وبلغ نمو هذه الاشجار حداً عاق الوصول الى قصيرة . وكان على الناس ان يحفروا قناة من بلدة خارزة وحتى بلدة إباني . وكان لشمش — ريش — او صور قصر في بلدة ريبانيش . وكان في الامكان ارواء حدائق هذا القصر من القناة الجديدة ، واوعز الحاكم بزرع اشجار النخيل فيه تشبه تلك المزروعة في الحدائق الواسعة في القصور المشيدة في را — إيلو وكارنابو وإيادورو و او كلاى . كذلك بلدة جديدة سمّاها كبّاري — كاك وامر ببناء معبد للأله اداد و ابنه شالا فيها . وذات مرة عندما كان شمش — ريش — اوصور مقيماً في بلدة بقا قام اربعمائة محارب من قبيلة تؤمانو بمهاجمة ريبانيش وحال استلامه تقريراً عن هذا بادر بعبور الفرات ولحق بالقبيلة التي كانت قد وصلت الى حقول ارداتو فذبح ثلاثمائة وخمسين منهم وأخذ الباقين اسرى . —

وليس في الامكان تثبيت موضع القناة في سوخي ولا مواضع المدن التي احتفظت لنا السجلات باسمائها باي درجة من الدقة . فاذا كان النصف الأعلى

من سوخي القديمة يدعى لقي حتى نهاية القرن الثامن فعلينا تحديد موضع قناة سوخي الى الجنوب الشرقي من صخور العُقُبة والأسود فقط، وهو الموضع الذي يندمج فيه سهل الفرات الفيضي مع سهل بابل الغريني . ومن المحتمل ان بلاد لقي (او مري) امتدت باتجاه الجنوب الشرقي حتى صخور العرصي وبلدة ابو جمال الحديثة . وأسفل من هذا الموضع في المنطقة التي كانت ذات يوم بلاد سوخي لا يوجد امتداد لسهل فيضي فيه من الطول ما يجعل حفر قناة اروائية باهظة التكاليف عملاً مربحاً . و لا يأخذ السهل الفيضي بالأتساع عرضاً الا بعد ان نصل الى جنوب شرقي العُقُبة . ومما يلفت نظرنا ان في النصف الجنوبي من بلاد سوخي أشجار النخيل التي سبق ان زرعها شمش — ريش — اصور في اماكن متعددة . ان اقصى موضع شمالي قد تنمو فيه اشجار النخيل بصورة مربحة في وادي الفرات هو عانة . وتهب الرياح الجنوبية الشرقية الحارة دون عائق الى أعلى الوادي حتى هذه البلدة وجزيرة الكرابلة الصغيرة ؛ الا انه أبعد من هذا الموضع شمالاً يستدير الوادي فجأة الى الغرب كلما صعدنا في النهر ويقطع تسرب الهواء الأدفأ القادم من الجنوب الشرقي .

ان الاسم بقّة، وهو اسم البلدة التي كان شمش -- ريش -- او صور يقيم فيها عند قيام جنود تؤمانو بغزوة على ريبانيش، يوحي ببلدة بقّة التي يحدد الكتاب العرب موقعها جنوب غربي هيت والتي اراها تطابق قرية البق الصغيرة جنوب غربي المدينة المذكورة اخيراً . وبما ان البقة تقع على الضفة اليسرى وان الحاكم اضطر الى عبور الفرات عندما اراد ملاحقة الغزاة فيمكن الاستنتاج ان بلدة ريبانيش كانت تقع عن الضفة اليمنى ؛ وان القناة الجديدة بدأت عند صخرة العُقُبة وامتدت الى موقع الرمادي الحالية .

وبما انني احدد موقع بلدة ربيقي الواقعة على حدود بلاد سوخي إما في بلدة الرمادي الحديثة او في خرائب الرحاية التي تبعد مسافة ثمانية عشر كيلومتراً جنوب شرقي الرمادي فانه ينبغي البحث عن بلدة ريبانيش بين

الرمادي والعُقُبه .

وفي اثناء الصراعات النهائية بين الآشوريين والبابليين دخلت جيوش كلا البلدين منطقة الفرات الاوسط . ففي عام ٦١٦ ق . م احتل ملك بلاد بابل نبوبولصّر سوخي وخندانو دون بيّة مقاومة تذكر ؛ الا انه اضطر بعد ثلاثة اشهر للدفاع عن هذه المناطق ضد جيش آشوري انطلق من قاعدة في مدينة قبلينو ، فقهر الآشوريين واحتل المدينة وارسل مفرزة من جيشه ضد مدن ماني (او ماري) وساخيرو وبالنحو وعاد بغنائم جسيمة . وعندما زحف عائداً الى بابل أخذ معه كثيراً من سكان مدينة خندانو وآلهتها . وفي تلك الاثناء عقد الآشوريون حلفاً مع مصر واتخذت الجيوش المتحدة معسكراً لها في قبلينو . فهُرع نبوبولصر لملاقاتهم الا انه لم ينشب قتال بينهما ، وبذل الأهلون في سوخي جهداً لاستعادة استقلالهم . وتوقفت هذه المحاولات عام ٦١٣ عندما قام نبوبولصر بهجوم عن رخيلو وهي مدينة تقع اواسط الفرات . فسقطت المدينة في اليوم ذاته . ثم ضرب مخيماً مقابل مدينة اناتو ، وقدّم من جهة الغرب ادوات الحصار الى مقربة من سُور المدينة ، وقام بهجوم عليها الا انه لم يستول عليها اذ أقبل الملك الآشوري وأجبره على التراجع (المتحف البريطاني ، اللوحة ٢١٩٠١ ، الاسطر ١ — ١١ و ٣١ — ٣٧ ؛ منشورة ومترجمة في كاد (سقوط نينوى [١٩٢٣] ، ص‌ص ٣١ — ٣٤) .

يذكر نبوخذ نصّر (٦٠٤ — ٥٦١)انه من بين الهدايا المقدمة الى الاله مردوخ نبيذ من سلسلة جبال نخي — إل لى بو — نم وسو لى او — خا لى ام (كتابة كروتفند) [رولنسن ، المصدر السابق ، المجد ١ ، اللـوحتان ٦٥ و ٦٦] العمود ١ ، السطران ٢٣ — ٢٤ ، الكتابة من وادي بريسا [فايسباخ ، كتابات نبوخد نصر الثاني المنقوشة (١٩٠٦) ، اللوحة ١٢] ، العمود ٤ ، الاسطر ٥٠ — ٥٢ ؛ لانكدن كتابات الأبنية [١٩٠٥] ص ٨٢ و١٥٨ ؛ فايسباخ ، المصدر السابق ، ص ١٧ ؛ فينكلر في شريدر ، مكتبة الكتابات

المسمارية] ١٨٨٩ — ١٩٠٠] ، المجلد ٣ ، ص ٣٣) .

وتتطابق خي — ال — بو — نم مع الارض البركانية حول حلبان شمال شرقي حماء اما سو — او — خا — ام فهي بلاد سوخي الواقعة على الفرات الاوسط حيث يُشيد المؤلفون العرب في اغانيهم واشعارهم بالنبيذ المصنوع في ضواحي عانة .

* * *

الملحق الثاني

زنيوفون على الفرات الاوسط

ومن قدامى المؤلفين الكلاسيين يُقدم زنيوفون (زينوفون) . وايسيدور الكرخي واميانوس مارسيلينوس وزوسيموس اكثر البيانات تفصيلاً عن الضفة اليسرى للفرات الأوسط .

وصف زنيوفون لطريق العشرة آلاف

يصف زينوفون (انابسيس ، ج ١ ، ص ٤ : ٦ — ١٠ : زحف المرتزقة الاغريق بقيادة قورش ، ابن دارا الثانــي ، ضد أخيه ارتاكسيركيس الثاني مخترقاً شمال سوريا وبحذاء الضفة اليسرى للفرات الاوسط في ربيع عام ٤٠١ ق . م . فمن ميرياندروس وهي مدينة يقطنها الفنيقيون وبعد اربع مسيرات (اي عشرين فرسخاً) وصل قورش نهر خالوس . وهو نهر عرضه بلثرم (١) واحد وممتلئ بسمك كبير أليف . ومن هنـــا اندفع في خمس مسيرات (ثلاثين فرسخاً) الى منابع نهر دردس وعرضه بلثرم واحد ايضاً . وهناك وسط حديقة فسيحة رائعة ازدهرت فيها فواكه جميع الفصول قام قصر بليسيس حاكم سورية . فأمر قورش باتلاف الحديقة وحرق القصر . .

ومن دَردَس وصل في ثلاث مسيرات (خمسة عشر فرسخاً) (المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٤ : ١١) نهر الفرات الذي كان عرضه اربعة ستادات (٢) وتقع بجانبه مدينة ثبساكوس الكبيرة العامرة ، ثم عبر قورش النهر وحذا حذوه الجيش بأسره . ولم يصل منسوب المـــاء الى صدر اي منهم .

(١) بلثرم : وحدة قياس تساوي ١٠١ قدم اغريقي أي نحو ٣٠ مترا . (المترجم)
(٢) ستاد : وحدة قياس تساوى ١–٨ ميل انكليزي او ٦٠٠ قدم اغريقي . (المترجم)

واكد سكان ثبساكوس انه ما من احد قط عبرالنهر مشياً على الأقدام ، وانما كانوا يعبرونه دائماً بالقوارب وهذه كانت قد أحرقت مؤخراً بأمر من ابروكوماس . قائد ارتاكسيركيس للحيلولة دون عبور قورش عليها .

وبعد تسع مسيرات (خمسين فرسخاً) وصل الجيش الى نهر اراكسيس حيث وجدوا قرى متعددة وتجهيزات وفيرة من النبيذ والقمح (المرجع نفسه ١ ، ٤ : ١٩) .

واصل قورش تقدمه خلال بلاد العرب على الجهة اليسرى من الفرات وقطع خمسة وثلاثين فرسخاً في خمس مسيرات خلال منطقة مقفرة . وكانت المنطقة التي اخترقها مستوية كسطح البحر ومغطاة بغطاء كثيف من الاعشاب (نبات الافسنتين ، . ولم يكن ثمة اشجار في اي مكان ولكن بدلاً من ذلك كثرت فيها الحيوانات وخاصة الحمر الوحشية والنعام وكذلك الحُبارى والغزلان . وكان يمكن صيد الحُبارى بسهولة عند مطاردتها بسرعة وذلك لانها لا تستطيع الطيران بعيداً وتتعب بسرعة . وكان مذاق لحمها طيباً . وبعد اجتياز قورش هذه المنطقة وصل الى نهر مسكاس وعرضه بلثرم واحد يجري حول مدينة كورسوته المخربة من جميع اطرافها (المصادر نفسه ١ ، ٥ : ١ - ٤) .

واخترقت المسيرات الثلاث عشرة التالية (تسعون فرسخاً) مناطق موحشة على الجهة اليسرى للفرات حتى بلايه حيث هلك الكثير من الحيوانات المسخرة جوعاً ، لان الارض كلها على مسافة كبيرة كانت جرداء ليس فيها عشب ولا احراش . وفي الغالب كانت المسيرات صعبة خاصة عندما كان الجيش يريد الوصول الى ماء او مرعى . وغطست العربات مرة في مستنقع منخفض ولم تستطيع التقدم ابعد من ذلك ... وعلى الجهة الاخرى من الفرات (المصادر نفسه ١ ، ٥ : ٥ — ١٠) في اتجاه الصحراء تقع بلدة خرمنادي المزدهرة . . . وعندما تقدموا بالسير وجدوا آثار ما يقارب من الفي حصان

كان راكبوها يتقدمون الجيش يدمرون ويحرقون كل شيء في طريقهم (المصدر نفسه ، ١ ، ٦ : ١) .

ومن بلاية اندفع قورش بثلاث مسيرات (١٢ فرسخاً) داخل بلاد بابل وفتش في منتصف ليلة اليوم الثالث كلا قواته من اليونانيين ومن الأجانب غير اليونانيين في احد السهول (المصدرنفسه ، ١ ، ٧ : ١) . ثم تقدم مسيرة يوم واحد (ثلاثة فراسخ) بتشكيل قتالي ظناً منه ان الملك العظيم سيشتبك معه في في معركة في ذلك اليوم لانه وجد في منتصف مسيرته خندقاً بعمق ثلاث قامات وعرض خمس قامات حفرها الملك العظيم لتكون خطاً دفاعياً ضد الغزاة وتمتد عَبْر السهل مسافة اثني عشر فرسخاً حتى السور الميدي (ويضيف تعليق هنا انه وجد في المنطقة ذاتها اربع قنوات اخرى آخذ من نهر دجلة . وكانت هذه بعرض بلثرم واحد وبعمق يكفي لمرور سفن محملة بالقمح وكانت تصب بالفرات ، وبين الواحدة والأخرى فرسخ واحد ويمكن عبورها بجسور) . وعلى ضفة الفرات بين النهر والخندق الذي امر الملك بحفره يوجد ممر ضيق قرابة عشرين قدماً عرضاً . وقد عبر قورش خلال هذه الفتحة الضيقة وهكذا خلّف الخندق وراءه . ولما لم يواجهوا اية مقاومة ظن الملك وظن الآخرون معه انه ليس في نية الملك العظيم محاربتهم بعد وعليه تقدموا في اليوم التالي (الخامس منذ مغادرة بلايه) بحذر أقل (نفس المصدر ١ ، ٧ : ١٤ — ١٩) . .

وفي اليوم الثالث (من زحفهم في تشكيل قتالي ؛ السادس من بلايه) تقدم قورش في عربة ومعه عدد قليل من الجنود على استعداد للقتال ، بينما سار الجزء الأعظم من جيشه دون اي تشكيل منظم . . . (المصدر نفسه ١ ، ٧ : ٢٠) . وكانت الشمس قد ارتفعت في السماء ولم يكن الموضع المقصود لضرب خيامهم بعيداً عندما اعلن باتتجياس الفارسي فجأة ان الملك العظيم يقترب مع جيش كبير في تشكيل قتالي . . . فقفز قورش من العربة

وامر الجميع بالتسلح وبأخذ مواضعهم . وتمّ ذلك بسرعة كبيرة . وضع كيلرخوس جناحه الأيمن بحيث يكون الفرات في مؤخرته . . . (المصدر نفسه . ١ ، ٨ : ١–٤) . وكان النهار قد انتصف ولم يظهر العدو بعد . ولكن لاحت بعد الظهر غمامة من غبار ابيض . . . (المصدر نفسه ، ١، ٨ : ٨) وتبع ذلك معركة سقط فيها قورش قتيلاً (المصدر نفسه ١ ، ٨ : ٢٧) . . ولم يشأ كليرخوس مع جنوده الاغريق سحب الجناح الأيمن من النهر ، الا ان ارياوس مع قطعاته من البرابرة على الجناح الايسر لم يستطع مقاومة الفرس وهرب مخترقاً المخيم الى الموضع الذي كانوا قد زحفوا منه في الصباح . ويقال ان هذا كان على بعد اربعة فراسخ (المصدر نفسه . ١ . ١٠ : ١) . واثناء مطاردة ارياوس قام الملك العظيم بنهب المخيم (الموضع نفسه) ثم استدار لمحاربة جنود كليرخوس الاغريق . . .الا ان الجنود البرابرة بدأوا بالهرب. . . ولاحقهم الجنود الاغريق حتى بعض القرى . فتوقفوا هناك لانه تراءت لهم وراء البلدة آكمة تجمع فوقها ثانية فرسان ملكيون . . . (المصدر نفسه ١ . ١٠ : ٤ — ١٢) . فعندما تقدم الاغريق ترك الفرسان الآكمة . . . . تلك الآكمة التي عند أسفلها توقف كليرخوس مع رجاله قبيل غروب الشمس . بعد ذلك عاد الى المخيم المستباح حيث قضى الليلة بأكملها واليوم الذي تلاها (المصدر نفسه . ١ . ١٠ : ١٧ — ١٩ ؛ ٢ . ١ : ٢) .

وعندما اقترب المساء بدأ الاغريق بقيادة كليرخوس بالانسحاب ووصلوا في منتصف الليل الى ارض مخيمهم الأسبق حيث التقوا بأرياوس (المصدر نفسه ٢ ، ٢ : ٨) . وفي الفجر انطلقوا ثانية بحيث كانت الشمس على يمينهم ظناً منهم انه بحلول غروب الشمس سيصلون الى قرى بلاد بابل . وبعد الظهر ظن نفر قليل منهم انهم رأوا فرسان العدو في الافق البعيد . . . ، الا ان هذا لم يحمل كليرخوس على الانحراف عن طريقه . . . ؛ انه اتبع

طريقاً مستقيماً في تقدمه حتى وصل الى القرى الاولى وقت الغروب تماماً مع حرس المقدمة (المصادر نفسه ، ٢ ، ٢ : ١٣ — ١٦) . وفي الصباح المبكر من اليوم التالي امر كليرخوس جنوده الاغريق بمواصلة الزحف في تشكيل قتالي . . . (المصدر نفسه ٢ ، ٢ : ١٨ — ٢١) . وفي اليوم التالي بعد شروق الشمس أقبل رسل الملك يعرضون الهدنة . وبعد فترة اعلن كليرخوس انه يوافق على الهدنة الا انه طلب ان يُدلّ على مكان يستطيع الحصول فيه على مؤن (المصدر نفسه ٢ ، ٣ : ١ — ٥) . وعندما تم له ما اراد خرج كليرخوس لعقد الهدنة . فتقدم الجيش بتشكيل قتالي بينما تولى هو حماية حرس المؤخرة . وضع الاغريق اشجار النخيل المقطوعة سابقاً والمحفوظة هناك او التي كان لابد من قطعها عل الترع العديدة وعلى القنوات المملوءة بالماء التي كان متعذراً عبورها دون جسور . وبهذة الطريقة وصلوا الى القرى حيث قدم لهم رؤساؤها الطعام (المصدر نفسه ٢ ، ٣ : ١٠ — ١٤) وبعد توقفهم مدة ثلاثة ايام زارهم يتسّافيرنس (المرجع نفسه ٢ ، ٣ : ١٧) الذي كان الملك العظيم قد أرسله مع رجال آخرين من الفرس وهو الذي عاد الى الملك في اليوم نفسه بعد التفاوض مع كليرخوس . ولم يعد في اليوم التالي . . . الا انــه جــاء في اليــوم الثالث (المصدر نفسه ٢ ، ٣ : ٢٥) ليعقد معاهدة مــع الاغريق ثــم عــاد ثانية الى المــلك العظيم . وفي أعقاب ذلك انتظر تيسّافيرنس لاكثر من عشرين يوماً (المصدر نفسه ٢ ، ٤ : ١) ، بعدها استأنفوا مسيرتهم بارشــاده (المصــدر نفسه ٢ ، ٤ ؛ ٨ — ٩) . وبعد ثلاثة أيام وصلوا الى مايسمّى سور ميديا ثم قطعوا الرقعة المحصورة به . ان هذا السور المبني بالطابوق المثبت بالقير والذي بلغ عرضه عشرين قدماً وارتفاعه مائة قدم كان طوله قرابة عشرين فرسخاً ولم يكن بعيداً جداً عن بابل (المصدر نفسه ٢ ، ٤ : ١٢) .

ومن هنا قاموا بمسيرتين (ثمانية فراسخ) وعبروا قناتين ، احداهما على جسر دائم والأخرى على جسر مكوّن من سعبة قوارب . وتشعبت هاتان

القناتان من دجلة . . . ، وهو النهر الذي وصلوا اليه اخيراً ايضاً في موضع يبعد ١٥ ستاداً اي حوالي ثلاثة كيلو مترات من سيتاس البلدة الكبيرة المأهولة حيث ضربوا خيامهم (المصدر نفسه ٢ ،٤ : ١٣ — ١٩) .

سأل كليرخوس رسولاً قدم إليه عن سعة المنطقة المحصورة بين دجلة والقناة (ثانية) فأجابه بأنها بلاد واسعة فيها قرى كثيرة ومدن متعددة كبيرة الحجم . فخشي الجنود البرابرة (٣) ان يقوم الجنود الاغريق بتدمير جسور دجلة والبقاء في هذا البلدة الذي شكل جزيرة محصورة بين دجلة والقناة ؛ وهنا يضمنون الطعام الوفير والأيدي العاملة لزراعة الأرض (المصدر نفسه ٢ ، ٤ : ٢١ — ٢٢) .

ومع الفجر بدأ الأغريق بحذر شديد عبور الجسر المقام على دجلة واستند الى نهر فيسكوس ، وعرضه بلثرم واحد وكان عليه جسر ، حيث كانت تقع بلدة اوبيش الكبيرة (المصدر نفسه ، ٢ ، ٩ : ٢٤ — ٢٥) . ومن هنا ساروا مخترقين ميديا واخيراً وصلوابست مسيرات (٣٠ فرسخا) بعد اختراقهم مناطق مقفرة الى قرى تابعه لبريساتس والدة كل من قورش والملك العظيم . . . (المصدر نفسه ٢ ، ٤ : ٢٧) حيث وجدوا حبوباً وفاكهة وقوتاً أخرى . ومن هناك بعد ان وضعوا دجلة على يسارهم وصلوا بأربع مسيرات (٢٠ فرسخاً) مخترقين منطقة وعرة الى نهر زيتاس ، الذي عرضه ٤ بلثرمات(المصدر نفسه ٢ ، ٤ : ٢٨ ؛ ٢ ، ٥ : ١) .

اعادة هيكل طريق العشرة آلاف

ان الذي يهمنا من الطريق الذي وصفه زنيوفون هو الجزء الذي بين ميناء ميريانذروس على البحر الابيض المتوسط الى بلدة ثبساكوس

(٣) كانت كلمة البرابرة تستعمل عند الاشارة الى الجنود الاجانب غير الاغريق في الجيش الاغريقي . (المترجم) .

على الفرات بمحاذاة الضفة اليسرى لهذا النهر حتى الموضع الذي خسر فيه قورش الاصغر المعركة وفقد حياته . وعلى مسافة غير بعيدة عن هذا الموضع يفترق الطريق عن الفرات ويعبر دجلة عند سيتاس ويستمر على الضفة اليسرى للنهر الأخير حتى يصل عند بلدة اوبس الى رافده فيسكوس .

وليس من السهل ان نحدد بدقة اكبر الطريق الذي اتبعه الجيش اذا كان علينا ان نعتمد على ملاحظات زنيوفون فقط . فهو لايعطي الاتجاه الا مرة واحدة ولا يذكر الا اماكن قليلة،ويشير الى مواقعها بصورة سطحية أجد . انه يحدد المسافات بالمسيرات اليومية والفراسخ . فلو كانت المسافات محددة بدقة والسجلات محفوظة لنا لكان اتباعها امراً سليماً، الا انه يبدو ان جنود المشاة الاغريق لم يقوموا بقياس المسيرات وانما تمّ تقديرها بصورة تقريبية فقط ؛ وفضلاً عن ذلك فمن المحتمل ايضاً انه قد طرأت تغيرات كثيرة على الارقام الاصلية عند انتساخها . فيورد زنيونون خمس مسيرات يومية طول كل منا اربعة فراسخ ؛ وسبعاً طول كل منها خمسة ؛ وتسعاً طول كل منها خمسة ونصف وخمساً على ستة فراسخ ؛ وثماني عشرة على سبعة فراسخ . ومن بين المسيرات الثماني عشرة الاخيرة كانت ثلاث عشرة منها خلال منطقة وعرة يكاد يتعذر اجتيازها وحيث لم يكن في مقدور انسان ولاحيوان التقدم مدة ثلاثة عشر يوماً بمعدل سبعة فراسخ يومياً

وبما ان زنيوفون (المصدر نفسه ، ٢ ، ٢ : ٦ ؛ ٥ ، ٥ : ١) يحسب ثلاثين ستاداً للفرسخ الواحد فتكون المسافة بين ثبساكوس والقرية التي قُتل قورش بالقرب منها ٥٩٤٠ ستاداً . ويسمي بلوتاوك في كتابة ارتوكسيركين، ٨ ، هذا الموضع باسم كوناكسا ويذكر انها تقع على بعد ٥٠٠ ستاد من بابل . وهذا يجعل تباكوس تبعد ٦٤٤٠ ستاداً عن بابل . غير ان إراتوشينس يضعها على بعد ٤٨٠٠ ستاد فقط عن بابل .

ان المسيرات اليومية هي اعظم خدمة لنا من الفراسخ بكثير في تحديد مواضع

الاماكن في العشـــرة آلاف . فمـــن بلايه التي يمكن تحديـــد موقعها بدقة في ضوء المعالم الفيزيوغرافية الى نهر اراكسيس — الذي لايمكن ان يكون سوى الخابور — تكون المسافة ٣٥٥ كيلو متراً . ويثبت زنيوفون هذه المسافة بـ ١٢٨ فرسخاً ويقول ان الجيش قطعها بثماني عشرة مسيرة . فعليه يبلغ طول المسيرة الواحدة قرابة عشرين كيلو متراً ، او سبعة فراسخ ؛ وبهذا يكون الفرسخ ثلاثة كيلو مترات فقط . وهذا على كل حال غير صحيح بالنظر الى مراجع اخرى . ومن ناحية اخرى فان نفس التطابق في علاقة المسيرات اليومية بالمسافات الحقيقية ونفس التباين حول طول الفرسخ موجود ايضاً في فقرات اخرى عند زنيوفون

موقع ثپاكوس

كانت نقطة بداية طريق زنيوفون هي ميناء ميرياندروس الذي تقع اطلاله ١٣ كيلواً متراً الى الجنوب الغربي من اسكندرون ؛ وكان هدفها الأول نهر الفرات عند مدينة ثبساكوس . ان اقصر خط بين ميرياندروس والفرات يبلغ طوله ٢١٠ كيلو مترات وذلك حتى منعطف النهر حيث يغيّر مجراه الجنوبي — الجنوبي الغربي مستديراً الى الجنوب الشرقي . ومن العبث البحث عن ثبساكوس جنوب او شمال هذا المنعطف لانه كان على زنيوفون ان يسير لمسافة ما بحذاء الضفة اليمنى للنهر ، ان روايته باكملها تظهر بانه لم يصل الى الفرات قبل وصوله الى ثبساكوس . إنه لم ينحرف الى الداخل باتجاه شمالي — شرقي لانه كان عليه حينئذ ان يعود بمحاذاة الضفة اليسرى وكان من المتعذر عليه بالدرجة نفسها ان يستدير باتجاه جنوبي شرقي لان مملحة جبّول مع الأهواء المحيطة بها ، وكذلك المنطقة القاحلة المفتقرة الى الماء بين الأهوار والنهر ، تُجبر جميع القوافل القادمة من الغرب او الشمال الغربي على الذهاب الى الفرات عند المنعطف مباشرة فضلاً عن ذلك فنحن نكـــاد نضـــطرّ الى البحـــث عـــن مـــخاضة ثبساكـــوس

في المنطقة المجاورة تماماً لمنعطف الفرات عندما نقارن بين عبارتين لسترابون . اذ يكتب سترابون في (الجغرافية ١١ ، ١٢ ، ٣ : ؛ و١١ ، ١٤ : ٢) : عندما يغادر الفرات الجبال ويدخل سوريا يستدير باتجاه الجنوب الشرقي حتى بابل . . . والنص الثاني (المصدر نفسه ، ١٦ ، ١٦ ؛ ١ : ١٣) مؤداه كالآتي : ثم يخترق الفرات طوروس ويجري حتى ثبساكوس . . . ، ينحدر مشكلاً خطاً فاصلاً بين سوريا السفلى وبلاد ما بين النهرين حتى بابل ، .

لقد اوصلنا اريان الى المنعطف نفسه في كتابه (انابسيس ، ٣ ، ٧) اذ قال : عبر الاسكندر مع جيشه الى الجهة ومن هناك وضع الفرات وجبال ارمينيا على يساره وزحف في عمق البلاد مخترقاً بلاد ما بين النهرين حتى بلغ دجلة . » ان الكلمات « وضع الفرات على يساره » تكون صحيحة اذا عبر الاسكندر الفرات عند المنعطف ثم استدار الى الشمال الشرقي ، لانه بهذا يكون قد رأى الفرات على يساره لمدة ثلاثة أيام بينما يكون امتداد النهر على يمينه قد اختفى عن النظر في اليوم الأول . اما لو كان قد عبر النهر في موضع أبعد الى شمال المنعطف او جنوبه لكان رآه على هذا الجانب وذلك لنفس الوقت تقريباً .

ويمكن ان نؤكد ايضاً موقع ثبساكوس عند هذا المنعطف من سترابون حيث يقول (المصدر السابق ، ١٦ ، ١ : ٢١ والسطر الذي يليه) ان المسافة بين الفرات ودجلة تكون على أبعدها عند سفح السلسلة الجبلية وان هذه قد تكون المسافة نفسها البالغة ٢٤٠٠ ستاداً التي حددها ايراتوسثينس على انها المسافة من ثبساكوس — حيث كان في وقت من الاوقات جسر على الفرات — الى مخاضة دجلة التي عبرها الاسكندر . ان نظرة واحدة على الخريطة ترينا ان اعظم مسافة بالعرض لارض ما بين النهرين تقع بين منعطف الفرات الكبير ودجلة اسفل من جزيرة ابن عمر بحذاء قاعدة جبال طوروس . وان وحدة القياس المسماة ستاد عند ايراتوسثينس كما يمكن استنتاجه من بليني : (التاريخ الطبيعي

١٢ ، ١٤ : ٥٣) ٥ و ١٥٧ م او ما لايزيد على ٧٥ و ١٥٩ م طولاً ؛ وعليه فان ٢٤٠٠ ستاد تساوي نحو ٣٧٨ أو٣٨٣ كيلومتراً ، وهي مسافة تتفق أساساً مع المسافة بين المنعطف (ثبساكوس) الى مخاضة دجلة (حوالي ٤٠٠ كيلومتر) .

واستناداً الى سترابون (المصدر السابق ٢ ، ١ : ٢١ و ٢٦ وما بعده و ٣٦) فان ايراتوسثينس حدد المسافة بين ثبساكوس وبابل بمحاذاة الفرات بـ ٤٨٠٠ ستاداً مما يعادل ٧٥٦ أو ٨ و ٧٦٦ كيلومتراً . فلو قسنا الطريق المستخدم حتى يومنا هذا بحذاء الضفة اليسرى للفرات لوصلنا الى الكيلومتر ٧٦٥ أعلى النهر من بابل عند خربة سموما في المنعطف مدار البحث نفسه . وكان هذا الطريق مطروقاً كثيراً في زمن الاسكندر والسلوقيين الأوائل بحيث يجوز الافتراض انه قد تمّ قياسه بدقة . وعليه فان الرقم ٤٨٠٠ ستاد يمكن ان يكون قد أصبح متداولاً . ومن هنا فان هذا يبرر اشارتنا الى هذه المصادفة وفي تحديدنا لموضع مخاضة ثبساكوس عند خربة سَموما .

ويستشهد سترابون (المصدر السابق ٢ ، ١ : ٢٦) بقول ايراتوسثنيس الذي يحزاه ان المسافة المقيسة شمالاً من ثبساكوس الى البوابات الارمنية قيل انها ١١٠٠ ستاد . واذا اتبعنا خطاً مستقيماً لمسافة ١١٠٠ ستاد او ما يقارب ١٧٣ كيلومتراً شمالاً من سَموما بخط مستقيم وصلنا الى مقربة من مخاضة زوكما القديمة قرب شمشاط في كُمَّاجين ، أي ١٦٦ كيلومتراً فعلاً شمال سَموما . فيبدو إذن أن زوكما هذه لا بد أن شكلت أبعد نقطة في منبح مباشر من ثبساكوس باتجاه شمالي لان سترابون في موضع آخر يذكر ان المسافة الى هنالك بحذاء الفرات «لا تقل عن الفي ستاد (المصدر السابق ١٦ ، ١ : ٢٢) . على ان هذا الأخير ليس إلا بياناً سطحياً ومضللا تماماً كما يتضح من السياق لان المسافة الحقيقية من سَموما الى شمشاط بمحاذاة النهر ليست ٣١٥ كيلومتراً او ٢٠٠٠ ستاد بل انها ٢٤٠ كيلومتر او ١٥٠٠ ستاد . ولهذا فان كلمة لا ينبغي حذفها من النص فيصبح « اقل من الفي ستاد » .

ان البرهان على موضع ثبساكوس على منعطف الفرات الذي تكون المسافة منه الى البحر الابيض المتوسط أقصر من اية نقطة تدعمه ايضاً قصة اريستوبولوس (اريان ، اناباسيس ۷ ، ۱۹ وسترابون ، المصدر السابق ، ١٦ ، ١ : ١١) مفادها ان الاسكندر أمر ان تصنع له قوارب في فينيقية وفي جزيرة قبرص ونقلت مفككة الى ثبساكوس التي تبعد مسافة سبع راحل حيث تمّ تركيبها وعامت منحدرة في النهر الى بابل . فلو صنعت هذه القوارب في ميرياندروس التابعة للفينيقيين او في قبرص ومن هناك سُلِّمت في موقع الاسكندرون لأمكن نقلها على عربات اوحيوانات التحميل الى ثبساكوس في سبعة أيام . وإن المسافة باسرها ، اذا اتبعنا الطريق الحالي ، تبلغ ٢١٠ كيلو متر التي لو قطعت في سبعة أيام لجعلت من الضروري ان تكون السرعة ٣٠ كيلومتراً لقافلة من الحيوانات . الا ان هذه المسافة يمكن تقصيرها لو تمّ انزال هذه الحمولة من القوارب في نهر الاورنتس في موقع انطاكية المتأخرة . ان سرعة ثلاثين كيلومتراً يومياً هي السرعة القصوى لقافلة محمَّلة حمولة ثقيلة في رحلة تستغرق طويلاً .

واكد ايضاً بطليموس بصورة غير مباشرة موقع ثبساكوس عند المنعطف عندما نقارن بياناته بما ذكره المؤلفون العرب والسكان الحاليون . فاستناداً الى بطليموس (الجغرافية ٥ ، ١٥ : ٧) ، تقع ثبساكوس على حدود سوريا وبلاد العرب . واستناداً الى الكتاب العرب فان بلــدة بالس الواقعة في منعطف الفرات على بعد ستة كيلومترات من سموما تؤشر ايضاً الحدود بين بلاد العرب وسوريا .

ويحدد إرنست هرتزفلد (ساره وهرتزفلد ، رحلة آثارية ، [١٩١١] ، المجلد ١ ، ص ١٤٣ وما بعد) موقع ثبساكوس عند تل ثديين الذي يبعد ٦٦ كيلومتراً شرقي سموما وليس بعيداً عن الرقة ، على موقع نيقيفوريم القديم . ويحدد طول الطريق الحالي من الاسكندرون الى تل ثديين من طريق حلب

بـ٥ و٣٢٧ كيلومتراً ويذكر (المرجع نفسه ، ص ١٤٥) ان القافلة تكمل الرحلة في الوقت الحاضر في سبعة أيام فقط . ان هذا ، على كل حال ، غير صحيح لانه لاتستطيع اية قافلة بحمولة ثقيلة قطع المسافة المطلوبة وقدرها ٤٧ كيلومتراً يومياً وخاصة في منطقة جبلية ومتموجة كتلك التي بين الاسكندرون وحلب او بين خان الشعر وتل ثديين .

وعلاوة على هذا يناقش هرتزفلد (المصدر نفسه) انه لا بد ان تكون ثبساكوس قرب نيقفوريم على الاسس التالية : انه يرجع الى بليني (المرجع السابق ، ٦ ، ١١٦) الذي يقول ان نيقفوريم لا تقع بعيداً عن الفرات وهي التي بنيت بأمر الاسكندر لموقعها الملائم . كذلك يستشهد بايسيدور الكرخي الذي يذكر ان الاسكندر سار على طريق نيقفوريم (الرقة) . وبما ان الاسكندر عبر الفرات عند ثبساكوس فان هذا يحمل هرتزفلد على الاستنتاج ان ثبساكوس لا بد ان كانت قرب نيقفوريم لان الاسكندر لم يؤسس مدناً الا في المواقع التي زارها بنفسه . وقبل التسليم بهذا ، على كل حال ، فمن الضروري اثبات ان الاسكندر أسس فعلاً جميع المدن التي تدّعي ذلك لنفسها ، واثبات ايضاً انه زارها شخصياً . ومن المؤكد ايضاً ان حكاماً آخرين ، وليس الاسكندر وحده قد نُسب اليهم فضل تأسيس نيقفوريم . وعلى هذا فان المناقشة هذه حول موضع ثبساكوس تفقد كل اهميتها . ويلاحظ بليني نفسه (المرجع السابق ، ٣٤ ، ١٥٠) ان الاسكندر عبر نهر الفرات على الجسر الذي عند زوكما ؛ على ان هذه النقطة بعيدة جداً عن نيقفوريم وعن تل ثديني هرتزفلد موضع ثبساكوس . وعلاوة على ذلك واستناداً الى هرتزفلد (المرجع السابق ص١٥٣) الذي يتقبل تطابق ثبساكوس التي ذكرها زنيوفون مع تلك التي ذكرهــا بطليموس . ان بطليموس استخدم دائماً المادة العلمية التي تراكمت اثناء مسيرات الاسكندر ، ولهذا السبب فان تحديده لموقع ثبساكوس بالنسبة لطريق الاسكندر وبالنسبة لنيقفوريم يجب ان يكون حاسماً في تحديد الموقع الحقيقي لثبساكوس .

ومع ذلك فان بطليموس لا يضع المدينة شمال شرقي نيقفوريم بل بعيداً الى الى الجنوب الشرقي منها ، وبهذا فانه يستبعد امكانية قيام الاسكندر بالسير من ثبساكوس الى المدينة الأخيرة .

وتقع سَموما على الحدود الجنوبية الشرقية للمنطقة المأهـولة وتشكل ملتقى طرق هام تؤدي من الفرات الى سوريا وبلاد ما بين النهرين الخصبة . اذغادرت القوافل القادمة من بلاد بابل او بلاد ما بين النهرين الفرات عند ثبساكوس (سَموما وتقدمت مخترقة منطقة آهلة ومزروعة اما غرباً الى خالسيس او شمالاً غربياً الى بيرويا وشمالاً الى بمبيس (هيرابوليس) . وبما ان السهل الفيضي عند سَموما عريض الى حد ما فان الممر المؤدي الى المجرى سهل على كلا الجانبين هنا ؛ وبما ان النهر ذاته عريض جداً ايضاً فان عبوره ليس صعباً ؛ وحتى يومنا هذا تستخدم القوافل التجارية المخاضة وكذلك تستخدمها القبائل الرحل . ومقابل سموما على الضفة اليسرى لنهر الفرات ينتهي الطريق الذي يؤدي من جهة الشمال الشرقي الى حرّان (كرّهي التي من المحتمل ان يكون الاسكندر العظيم مرّ بها في تقدمه .

ازدهرت بلدة ثبساكوس ما دامت بلاد بابل وما بين النهرين وسوريا. تدين بالطاعة لملك واحد، وخربت عندما انفصلت هذه الاقطار بعضها عن بعض وكانت هذه هي النتيجة الطبيعية لموقعها على الحدود الجنوبية الشرقية لسوريا الأصلية . وحالما حصلت تدمر عـلى نوع مـن الاستقلال سـعت ونجح مجهودها في السيطرة على الطرق التجارية من بلاد بابل ومن جنوب ووسط بلاد ما بين النهرين الى البحر الابيض المتوسط . وهكذا اضمحلت اهمية مخاضة ثبساكوس بشكل لا يمكن تعويضه . ولم يساعد الحكام المحليون الصغار تدمر في سياستها هذه فحسب بل ساعدها رؤساؤهم الملوك البارثيون الكبار الذين ارادوا ، إن لم يكن لأي سبب آخر ، فلدوافع سياسية صرفة ان يروا تدمر تزداد قوة كدولة عازلة . وعندما جعل البارثيون نيقفوريم مركزهم التجاري اخذ النقل التجاري من مصر ومن جنوب ووسط سوريا يمر خلال

ويتم عبور الفرات بالقرب من نيقفوريم . ثم لو كانت ثبساكوس القديمة مطابقة لثديين ، لكونها على خط التجارة هذا ، لازدهرت في هذه الفترة ايضاً ولما كان لأهليها ما يبرر مغادرتها وبناء سورا على بعد سبعة كيلومترات الى شرقها . ان الأرض المحيطة بثديين تساوي في انتاجها المنطقة المجاورة لسوريا في الوقت الذي تكون فيه مخاضة ثديين اسهل بكثير من مثيلاتها في البلدة الأخيرة . ولكن اذا كانت ثبساكوس واقعة عند المنعطف في سَمّوما فان إنحلالها في ظل الظروف السياسية المتبدلة هو أمر يسهل فهمه . ووركزت نيقفوريم وسورا في ايديهما جميع تجارة الأمبراطورية البارثية والدول التدمرية ؛ وكان لامبراطورية السلوقيين المتداعية الى الشمال الغربي والشمال الشرقي مدينتا سلوقية وافاميا مراكز تجارية لها ؛ وهكذا حدث ان مخاضة ثبساكوس القديمة الواقعة على الحدود بين هاتين الدولتين غير الصديقتين أخذت تتحاشاها القوافل بالتدريج . ولهذا السبب لم يعطنا اي مؤلف كلاسيكي موضوع البلدة الصحيح الذي من المحتمل ان يكون آجر بنائها قد استعمل في بناء بلدة بربايسّوس التي تبعد مسافة ثلاثة كيلومترات الى الجنوب الشرقي فيها.(وللمزيد من المناقشة عن ثبساكوس ، انظر ما يلي ، الملحق ٨) .

فيريا ندروس الى ثپاكوس

اذا رجعنا الى زينوفون نلاحظ ان الجيش استغرق اثني عشر يوماً في قطع المسافة من ميرياندروس الى ثبساكوس (سَمّوما) . فبعد الايام الاربعة الاولى وصل الى نهر خالوس . ولابد ان يكون هذا نهرعفرين ؛ وربما كان خالوس ايضاً اسم البلدة الواقعة على ضفتيه . وفي غالب الاحتمال عبر الجيش هذا الجدول حيث تقع مراتا كوى الحديثة . ان المسافة من ميرياندروس ، من طريق ممر بيلان مع الانحراف الضروري خلال الوادي الذي تتخلله المستنقعات ، الى مراتا كوى هي ٦٥ كيلومتراً ، مما يتطلب من القطعات الاغريقة

سرعة ستة عشر كيلومتراً يومياً وهو إنجاز يمكن تصديقه اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار مئات الامتار التي كان عليهم صعودها ثم الهبوط منها .

ومن جالوس وصلوا بعد خمسة أيام الى منابع نهر دردس . وبما ان زنيوفون يقول ان عرض هذا النهر كان بلثرماً واحداً فمن الواضح انه يبالغ في ذلك وان الجيش لا يمكن ان يكون قد بلغ المنبع الاصلي ، بل ربما كان عند ملتقى جدولين يندمجان فيشكلان النهر . وفي هذه الحالة نستطيع البحث عن « منابع دردس في الموضع الذي يلتقي فيه رافدان فعلاً ليكونا نهر ذهب . وعلى الرافد الغربي تقع قرية يطلق عليها الآن ابو طلطل ولكنها كانت تعرف في العصور الوسطى طرطر (ياقوت ، المعجم ، [فستنفلد] مجلد ٣ ص ٥٢٩) ؛ ويمكن اعتبار هذا هو الاسم الاغريقي لدردس (او دردر حسب بعض المخطوطات) . فتكون حينئذ المسافة من خالوس (مراتا كوى) الى دردس (ذهب) حوالي تسعين كيلومتراً بضمنها مسيرة طولها ثمانية عشر كيلومتراً يومياً خلال منطقة تكثر فيها التلول ويكاد يتعذر عبورها في بعض الاماكن .

ومن دردس وصل الجيش الى الفرات عند ثبساكوس في ثلاثة أيام . ولما كانت بداية نهر ذهب لا تبعد الا ٥٥ كيلومتراً من سموما فان مسيرة اليوم الواحد هنا تبلغ تسعة عشر كيلومتراً ؛ ونستطيع ، على كل حال ، الافتراض ان آخر مسيرة كانت أقصر بكثير من الأخريات ، تماماً كما كانت عليه الحال قبل الوصول الى خالوس ودردس . ان مسيرة يوم الوصول تحتسب دائماً يوماً كاملاً .

ثبساكوس الى بلاية

وعند ثبساكوس خاض الجيش الفرات الذي يبلغ عرضه هنا اربع ستادات (اي حوالي ٦٤٠ م) وتقدم بحذاء ضفته اليسرى حتى وصل

الى نهر اراكسيس في تسعة أيام . واستناداً الى زنيوفون فان هذا النهر يمثل الحدود بين سوريا وبلاد العرب وتقع على طول ضفتيه عدة قرى غنية . ومن الواضح ان اراكسيس المذكور عند زنيوفون هو نهر خابوراس او الخابور ، الذي يشكل الخط الفاصل بين منطقتي البدو والحضر . ومن المحتمل ان الاسم « اراكسيس » ذاته قد اشتق من التسميـة العربية للقناة الفعلية التي تجلب الماء من الخابور الى بلدة كورسوته القديمة . وكانت هذه القناة ، التي كانت معروفة قبل ذلك لدى الملك الآشوري توكولتي اينورتا الثاني ، تدعى في العصر الوسيط كما تدعى اليوم دورين وكانت تصب في الفرات عند سفح صخور العَرصي او العِرصي . ان كلمة اراكسيس هي النقل الاغريقي لحروف الكلمة العربية عراصي (عَرصي في اللهجة الدارجة) ، تماماً ، كما يطابق الاسم الاغريقي لنهر اكسيوس الاسم العربي عاصي . وهكذا حوّل زنيوفون التسمية العربية للقناة المتفرعة من الخابور والتي تابعها مدة خمسة أيام حتى وصل الى نهر الخابور نفسه الذي عبره الجيش . والآن وبما ان المسافة من ثبساكوس (سموما) بمحاذاة الفرات الى اراكسيس (الخابور) هي ٢٤٠ كيلومتراً فلا بد ان الجيش كان يسير ستة وعشرين كيلومتراً يومياً ، وهو إنجاز غير اعتيادي حقاً . فليس من جيش يمكنه الاستمرار بالزحف مسافة ستة وعشرين كيلومتراً لأية فترة من الزمن .

ان كلتا ضفتي الخابور الأسفل وكذلك الضفة اليمنى لقناة دَورين مغطاة بالخرائب وخصبة الى هذا اليوم . ومن الخابور سار قورش على الضفة اليمنى للفرات مدة خمسة أيام الى خرائب بلدة كورسوتة التي يحيط بها من كل جانب نهر ما سكاس . — ان « كورسوته (كورسوته هي الشكل الارامي للكلمة العربية عراصي (اراكسيس) » وهو اسم التصق بالبلدة التي سبق ان سكنها الآراميون ، ويظهر ان سكان البلاد في زمن زنيوفون كانوا يتلفظون الكلمة الآرامية « كورسوته » بالطريقة العربية « عراصي » . ويمكن البرهنة على ذلك من استخدامهم هذه التسمية بشكل « اراكسيس » بالنسبة الى القناة .

ويظهر من السياق ان بلدة كورسوته كانت تقع عند الطرف الجنوبي الشرقي من سهل خصب ؛ ولذا يجب البحث عنها في سفح صخور العيرصي الشديدة الانحدار . ويمتد على الضفة اليسرى للفرات بين الخابور والعيرصي سهل فيضي منبسط تبرز منه اكمات خرائب وهي بقايا مدن متعددة . وخلال النصف الشرقي لهذا السهل تجري قناة دورين (اراكسيس) بصورة متعرجة. وهي الآن جافة تماماً . اما النصف الغربي فمتخدد بعدد لا يحصى من ترع اروائية قديمة وحديثة تتشعب عن الفرات ودورين (اراكسيس) ، مما يشكل عائقاً كبيراً للسير والنقل على حد سواء . ونظراً لهذا يتبع الطريق التجاري ضفة القناة اليسرى وهي التي التزم جيش قورش باتباعها ايضاً . ويمكن وصف هذا الشريط من السهل على انه مقفر حقاً خاصة اذا قام الخيالة الفرس بطمر قناة اراكسيس في بدايتها الاولى بطريقة محكمة بحيث لا يستطيع الماء الجريان فيها .

ان « نهر » ماسكاس او بالأحرى القناة الاروائية لم تتشعب من اراكسيس الذي كان فيما يظهر جافاً تشعب من الفرات واحاط ببلدة كورسوته المخرّبة . وينطبق وصف هذه البلدة على خرائب الطاوي الواقعة على سفح صخورالعيرصي التي يجري حولها من كل جانب خندق قديم يمتلىء بالماء في موسم الفيضان فقط . يفترق الطريق هنا عن السهل الفيضي مخترقاً التلال الوعرة بحذاء ضفة النهر . ان المسافة من النقطة التي وصل فيها قورش الى اراكسيس (الخابور) الى كورسوته (الطاوي) هي ٩٠ كيلومتراً ، وهذا يعني سرعة ثمانية عشر كيلومتراً لمسيرة يوم واحد ، اذا استبعدنا الامكانات المتمثلة في ان مسيرة اليوم الأخير ربما كانت اقصر من المسيرات الأخرى،وان الجيش لا بد انه كان متعباً اذ ذاك ، وان عبور الخابور استغرق بعض الوقت .

ومن كورسوتة سار الجيش الى بلاية (« البوابات ») في ثلاثة عشريوماً . وهذا يؤدي بنا الى حيث ينتهي تشكيل صخري في الدور الثالث من التكوين

ويبدأ السهل الغريني لبلاد بابل في نقطة مؤشرة على الضفة اليمنى للفرات بأنف جبل العُقة الصخري وبصخور الأسود على الضفة اليسرى ولذا يمكننا البحث عن بلاية التي اشار اليها زنيوفون عند الممر الواقع على السفح الشرقي للجرف الصخري الأخير .

ان الصورة التي رسمها زنيوفون لهذا الجزء من وادي الفرات مطابقة للطبيعة . فالضفاف بالقرب من ذلك المكان تشكلت من الاجراف الصخرية المسامية العالية التي تحتوي على كثير من الجبس المتبلور ، والمشطّرة بأخاديد عميقة وقصيرة لا تحصى . ففي بعض الاماكن وعلى مسافة كيلومترات متعددة يرتطم ماء الفرات بسفح الصخور العالية على الضفة اليسرى ولا يترك مجالاً للطريق الذي يجب ان يتبع مساراً بعيداً عن النهر على ارض صخرية وخلال أخاديد . وحيث تنحدر الاخاديد الى الفرات تتكون خلجان مستنقعية غالباً ما يتعذر عبورها . وفي ارض هذه طبيعتها لا يمكن ان تكون المسيرات اليومية بأطوال متساوية لان الجيش لابد ان يكون قد احسن التدبير للوصول ، إن لم يكن كل يوم فعلى الاقل بين يوم وآخر ، الى خليج كبير نوعاً ما حيث يستطيع الحصول على الماء والمرعى .

ويتضح من السياق ان بلدة خرمندي لابد انها كانت تقع بالقرب من بلاية . واكد هذا سوفينيتس الذي اسهم في حملة قورش ووصفها اسطيفان البيزنطي) علم الأجناس[ما ينكة [، ص ٦٨٩) . ويبدو لي ان الاسم يتألف من كرم واندي . ان كرم هي كرماء الآرامية وكرم العربية وتعني بستان العنب ؛ اما اندي فهي الاسم الأصلي للبلدة . ويسجل بطليموس (الجغرافية جـ ٥ ص ٨: : ٧) في نفس المنطقة تقريباً بلدة اسمها ادّيا وربما حلّ الحرف المشدّد محل الاصلي . وتقع جنوب غربي صخرة الاسود على الضفة اليمنى للفرات خربة عدّي الضخمة التي تطابق باسمها وكذلك بموقعها خرمندي التي يشير اليها زنيوفون . ومقابل هذه الخربة على الضفة اليسرى يمكن رؤية بقايا بناية محصنة تحصينا قوياً ؛ فهنالك على المنحدرات الصخرية شرفات واكوام حجارة من بساتين الكروم

القديمة . ومن المحتمل جداً ان كلا البناية وبساتين الكروم كانت تابعة لبلدة اندي وانه على خريطة بلاد ما بين النهرين التي نقلها بطليموس حُددت بلـــدة ادّثيا على الضفة اليسرى للفرات . ان كل بلـــدة كبيرة على الضفة اليمنى حتى يومنا هذا لها ضاحية ما على الضفة اليسرى المقابلة لها ، ولا يفرق الأهلون بين الضفة اليمنى واليسرى عند التحدث عن مثل هذه المـــدن .

ان المسافة من كورسوته (الطاوي) الى بلايه (الاسود) هي ٢٦٥ كيلومتراً ، مما استلزم ان يقوم جيش قورش بقطع مسافة تزيد بقليل على العشرين كيلومتراً يومياً برغم ان هذه المسيرات لم تكن دائماً متساوية الطول لاسباب شرحناها سابقاً .

بلاية الى كوناصا

ومن بلاية سار الجيش بحذاء الضفة اليسرى لنهر الفرات حتى وصل ساحة المعركة التي امتدت ، استناداً الى بلوتارك ، فاحاطت ببـــلدة كوناصا التي تبعد مسافة خمسمائة ستاد عن بابل . ان مسافة خمسمائة ستاد او ثمانين كيلومتراً من بابل بحذاء الضفة اليسرى للفرات توصلنا الى خربة القنيصة على بعد اربعة كيلومترات من النهر . وقُنيصا ، او قنيصة في اللغة الدارجة ، هي الاسم المصغر لقناصا ، وهذه ايضاً هي الصيغة العربية للكلمة اليونانية اذ ان حرف الصـــاد يقابل حـــرف X اليوناني . واذا تابعنا زينوفون ايضاً نصـــل الى ضواحـــي القنيصة المباشـــرة . ان المسافة مـــن الاســـود (بلاية) الى القنيصة هي تسعون كيلومتراً ، وتلك مسافة تتطلّب من الجيش ان يقطعها في ستة أيام بمعدل خمسة عشر كيلومتراً لليوم الواحد . ويجب الاّ يغيب عن البال حقيقة ان المسيرة اخترقت في شطرها الثاني سهلاً غرينياً تتخلله ترع قديمـــة وحديثة متعددة بالاضافة الى عبور اربع قنوات كبيرة . وكانت المسيرات في الأيام الثلاثة الأولى اطول منها في الأيام اللاحقة وخاصة اليوم الرابع عندما كان الجيش بكامل اهبته للقتال وكان عليه ان يخترق ممراً يكاد يصل عرضه الى عشرين

قدماً وذلك بين الفرات والخندق الذي حفره الفرس لعرقلة تقدم العدو .

وفيما وراء الاسود (بلاية) كان السهل الغريني ولا يزال متخدداً بترع متعددة الا انه لم يكن من الضروري عبورها اثناء مسيرات الأيام الثلاثةالاولى . فالطريق اتبع سفح الاجراف للدور الثالث من التكوين الصخري . فلو سلمنا بان الجيش قطع ثمانية عشر كيلومتراً يومياً في المسيرات الثلاثة الأولى من بلاية (الأسود) ومن المؤكد انهم لم يستطيعوا اكثر من ذلك اذ كان لزاماً عليهم ان يكونوا في حالة استعداد لهجوم مفاجىء فقد كانت آثار خيّالة العدو ظاهرة للعيان ، فكان لا بد من استراحتهم في نهاية المسيرة الثالثة قرب الوشّاش في منخفض الخور . وينحدر هذا المنخفض الذي يبلغ عرضه ستة كيلومترات الى الشرق ويجري خلاله الوشّاش الذي يعرُف ايضاً بالقدمة . والوشاش ليس قناة حقيقية الا انه فرع طبيعي من الفرات يستمد منه الماء بقناتين . والى الجنوب من منخفض الخور فوق الضفة اليسرى للفرات تبرز هضبة في الدور الثالث من التكوين الصخري يصعب الى حد ما ارواؤها او زراعتها . ولعل الجيش اضطر في اليوم الرابع الى العبور على جسر في موضع هو الآن المجرى الشمالي للوشاش ومن ثم عليه ان يمر خلال الفتحة الضيقة بين الفرات والترعة المحفورة حديثاً . ولما كانوا على أهبة القتال فلم يكن في امكانهم قطع مسافة كبيرة . وبما ان زينوفون نفسه يقدر ميسرة اليوم الرابع بما لا يزيد على ثلاثة فراسخ فلدينا ما يبرر الاعتقاد بان المسيرة لم تزد على عشرة كيلومترات .

ان الخندق وعمقه ثلاث قامات (٥ م) وعرضه خمس قامات (٨ م) الذي وصل اليه الجيش في نحو منتصف المسيرة الرابعة ربما كان المجرى الجنوبي الحالي للوشاش الذي ـ استناداً الى زينوفون ـــ إما كان قد حُفر حديثاً او ربما كُري قبل وصول قورش بفترة قصيرة ، ولم يكن بلا ريب مجرد خط دفاعي ضد الغزاة بل كان ايضاً لأغراض اروائية . ومهما يكن من امر فانه لم

يكن متصلاً بالفرات بعد ،ومن ثم لم يكن فيه ماء . لذا استطاع جيش قورش العبور من الشريط الارضي المتبقي بين الخندق والفرات . ويقدر زينوفون طول الخندق باثني عشر فرسخاً او حوالي ثلاث مسيرات .

وحسب تقديرنا لمعدل السير المحتمل فلا بد ان الجيش عسكر بعد اليوم الرابع من بلاية (الاسود) بالقرب من مدخل قناة الازرقية الحالية ، وبعد المسيرة الخامسة شرقي مدخل قناة دفّار (العيساوي) تماماً . لذا يمكن الافتراض ان الاغريق قطعوا ١٦ كيلومتراً في المسيرة الخامسة (ولم يحدد زينوفون طولها) و ١٤ كيلومترا في السادسة (ويؤكد زينوفون ان طولها قيل انه اربعة فراسخ ، (المصدر السابق ج ١ ص ١٠ : ١) . ان المسيرة السادسة هذه اوصلتهم تقريباً الى الموضع الذي كانوا ينوون اتخاذه معسكراً لهم (المرجع نفسه ، ج١ ص٨ : ١) الا ان المعركة بدأت في عصر ذلك اليوم . ان خطر المعركة لا بد ان كان قد حدد ليكون الى الشرق من الارض التي كانوا ينوون اتخاذها معسكراً لهم لان الجيش الفارسي في ملاحقته ارياوس اكتسح المخيم الاغريقي ونهب الأمتعة التي كانت قد تركت هناك حين خاضت قطعاتهم المعركة (المرجع نفسه ج ١ ص ١٠ : او ٥) . ويبدو ايضاً ان هذا الموضع كان المخيم الذي عن طريقه تراجع كليرخوس بعد المعركة (المرجع نفسه ، ج ١ ص ١٠ : ١٧) .

ان تقديرنا لطول المسيرات الست الاجمالي من بلاية (الأسود) الى كوناصا كما اورده زينوفون يوصلنا الى خربة القنيصة . وبما ان كليرخوس لاحق الفرس بعد المعركة حتى « قرية معينة » (كوناصا) الواقعة بجانب احد التلال (المرجع نفسه ج١ ص ١٠ : ١١ — ١٢) ، فيمكن الافتراض ان الموضع القتالي للاغريق بجناحهم الأيمن على الفرات لا بد ان كان حوالي خمسة كيلومترات جنوب شرقي كوناصا .

كونـاصا الى الزيتـاس

ومن كوناصا (القنيصة) عاد الاغريق الى موضع المخيم عند مدخل قناة الدفّار (العيساوي) ومن هناك لابد انهم بدأوا عودتهم — إما الى الشمال او الى الشمال الشرقي ، لان الشمس عند الشروق كانت على اليمين ، بحثاً عن قـرى بابلية لم تنهب بعد ، وهذه لا تكون الا في شمالي الفرات وقد وصلوا اليها قرب المسـاء .

و يتفق مع تحديدنا موقع ارض المخيم الأغريقي بالقرب من قناة الدفّار ما ورد في رواية زينوفون بشأن المسيرة ذكذلك في ما يتعلق بطوبو غرافية البلد ايضاً . فعلى مسافة اربعة كيلومترات شمالي الدفار يبدأ المرتفع الصخري القاحل الذي يرجع للدور الثالث من التكوين الصخري . وبما ان القرى الواقعة على الفرات كانت قد نهبها خيّالة الملك العظيم نهباً تاماً فلم يستطيع الاغريق العثور على أية أرزاق في الشريط الخصب الذي يبلغ عرضه قرابه اربعة كيلومترات ممتداً بمحاذاة النهر هنا ، ولا على اية قرية على المرتفع المجاور فقد كانت القرى تقع قرابة سبعة عشر كيلومترات بعيداً من هذا الموضع وذلك في منخفض الخور بجوار تل خربة الأشهابي الحالية ، ففـــي هذا المنخفض المزروع والمنتج الآن وكذلك بين موقع الأشهابي وخربة أم قتيمة عند السور الميدي كانت هناك قرى بابلية غنية حيث ادّخر الاغريق مخزوناً من الأرزاق .

وحتى هذا الموضع كان في مقدورنا تتبع المسيرة التي وصفها زينوفون بدقة ، اذ لم يكن دليلنا في ذلك ما ورد في زينوفون فحسب بل والفرات كذلك الا انه شمالي ارض المخيم في الدفّار غادر زينوفون النهر دون ان يذكر الاتجاه او المسافة التي قطعها الجيش قبل وصوله الى السور الميدي في المسيرة الرابعة من القرى البابليه .

وفي المسيرتين من السور الميدي الى جوار ستياس لم يحرز الاغريق تقدماً

كبيراً اذ كان عليهم عبور قناتين ؛ وكانت المسيرة الثانية ، استناداً الى سياق الحوادث ، قصيرة جداً . فقد كان السير آنذاك ، ولا يزال ، صعباً جداً لانه يتخلل الارض في تلك المنطقة عدد لا يحصى من الترع القديمة والحديثة المتقاطعة .

ومن الجدير بالملاحظة ان زينوفون الذي تتفق اوصافه للبلاد عموماً مع الوقائع جعل جميع القنوات البابلية آخذة من دجلة في الوقت الذي يحتمل فيه ان جميع القنوات التي اضطر الى عبورها كانت تأخذ مياهها من الفرات وتصب في دجلة كما هو شأن قناة باتي بيل (انظر ما تقدم ، ص ٩) .

ويكتب في (انابسيس ، ج ٢ ص ٤ : ١٣) ان الاغريق فيما وراء السور الميدي عبروا قناتين آخذتين من دجلة . غير ان موقع الارض يكاد يجعل من المستحيل لقناتين من هذا النوع ان تأخذا من دجلة في هذه المنطقة في الوقت الحاضر ،ويصح هذا دون ريب في عهد زينوفون . وهناك امكانية ضعيفة جداً ان تكون القناة العليا او الثانية قد أخذت من دجلة على مسافة تسعين كيلومتراً في الأقل شمالي النقطة التي من المفروض ان عبرها الاغريق بالمنطقة المجاورة لمصب نهر فيسكوس ؛ ولكن في هذه الحالة كان من الضروري تقوية ضفتها اليسرى بسد كبير ليمنع مياهها من الانضمام ثانية الى دجلة في مكان ما بالقرب من موقع بغداد الحديثة . لـذا نستطيع الافتراض ان كلا القناتين اللتين عبرهما زينوفون فيما وراء السور الميدي اخذتا فعلاً من الفرات وانه من المحتمل ان تطابق الاولى نار ملخا (النهر الملكي ، او نهر الملك الحالي) وتطابق الثانية نهر صرصر الذي ذكره الكتاب العرب الاوائل .

ولا يقل لفتاً للنظر ان يذكر ان الخندق الذي تمّ حفره بأمر من ارتاكسيركيس يخترق سهلاً لمسافة ١٢ فرسخاً حتى السور الميدي ومع ذلك لا يعود لذكره ثانية. فلو أنه وصل الى السور الميدي لكان لزاماً عليه ان يمر به مرتين ، الاولى في مسيرته من كوناصا نحو الشمال والثانية في مسيرته من السور الميدي باتجاه جنوبي

شرقي نحو ستياس . ويذكر ان طول السور الميدي عشرون فرسخاً ، وهو تقدير مبالغ فيه قليلاً . واستناداً الى ايراتوسثنيس (سترابون ، الجغرافية ، ج ٢ ص ١ : ٢٦) فقد امرت الملكة سميراميس ببناء جدار في الموضع الذي يبتعد فيه الفرات ودجلة بعضهما عن بعض ٢٠٠ ستاد . ولا يمكن ان يكون هذا الجدار سوى السور الميدي الذي تحدث عنه زينوفون . وبجوار جدار سميراميس حيث يكون النهران اقرب ما يكون بعضهما عن بعض يحدد ايراتوسثنيس موقع بلدة اوبس (المرجع نفسه) . ويضع زينوفون اوبس خطأ عند ملتقى نهر فيسكوس مع دجلة ، كما سنوضح ذلك فيما يلي .

وبغية تحديد هذا الجزء من طريق زينوفون يجب ان نثبت بالدقة الممكنة النقاط التي مرّ بها على الضفة اليسرى من دجلة . وهنا نجد ان النهرين اللذين سمّاهما زبتاس (اربع بلثرات [ما يزيد على ١٢٠ م] عرضاً) وفيسكوس او النهر الحدودي (وعرضه بلثرم واحد [٣١ م]) الذي يفصل بلاد بابل عن ميديا ، يشكلان عاملين لهذا الغرض . ويمكننا مطابقة زبتاس مع الزاب الكبير : ويدل على هذا الاسم نفسه وكذلك عرضه المنصوص عليه . ولايمكن ان يكون نهر فيسكوس قناة آخذة من دجلة اذ لم تتشعب مثل هذه القنوات قط من دجلة الاوسط لمسافة كافية لتكوّن حدوداً . لذا لا بد أن كان فيسكوس نهراً له طول معين ، ومن المحتمل أنه نهر العظيم الحالي . وفي زمان زينوفون فان ديالى الى الجنوب كان محوّلاً آنذاك الى قنوات للري لا تحصى وليس في الامكان ان يكون عرضه بلثرم واحدا .

وقسّم زينوفون الرحلة من فيسكوس الى زبتاس الى جزءين : من فيسكوس الى قرى بريساتس ، ست مسيرات ؛ ومن هناك حتى زبتاس اربع مسيرات . ان المسافة بين نهر العظيم ونهر الزاب بحذاء دجلة هي ٢٦٠ كيلومتراً . ومرّت المسيرات الست من فيسكوس (العظيم) في ارض مقفرة ولم يصل الجيش الا في المسيرة السادسة الى المنطقة الخصبة لقرى

بريساتس التي توفرت فيها حبوب وفواكه وتجهيزات اخرى . وعلى مسافة تقارب ١٦٠ كيلومتراً شمالي العظيم يمتد الحوض الخصب لنهر الزاب الصغير الذي كان في الامكان الوصول إليه بمسيرات ستة أيام بمعدل سبعة وعشرين كيلومتراً لكل مسيرة . ولهذا يمكننا تحديد موضع قرى بريساتس هناك . ان المسافة من هناك الى مصب الزاب الكبير هي ستة وتسعون كيلومتراً . وهي مسافة كان في الامكان قطعها في أربعة أيام بمعدل يقارب اربعة وعشرين كيلومتراً يومياً . ومن المحتمل ان كانت آخر مسيرة أقصر من الأخريات .

ونلاحظ ان الجيش الاغريقي ذهب من فيسكوس الى مستوطنات بريساتس بسرعة سبق ان ساروا عليها في مسيرتهم من ثبساكوس الى اراكسس . فلو سلّمنا ان الاغريق تقدموا بهذه السرعة نفسها بعد عبورهم دجلة قرب سيتاس فان الحساب التراجعي لأربع مسيرات طول الواحدة خمسة وعشرون كيلومتراً من العظيم (فيسكوس) بحذاء دجلة يؤدي بنا الى حدود بلدة ساوقية المتأخرة باعتبارها الموقع المحتمل لستياس . ان مسافة خمسة وعشرين كيلومتراً يومياً يمكن اعتبارها سرعة جديرة بالانتباه اذا اخذنا بنظر الاعتبار انه كان من الضروري عبور جميع قنوات نهر ديالى . ووفقاً لذلك فلا بد ان كان الاغريق قد عبروا دجلة قرب خرائب تل عمر الحالي الى مسافة قليلة شمالي موقع سلوقية . لذا يجب البحث عن السور الميدي على بعد اكثر من مسيرتين يوميتين نحو الشمال الغربي من هناك ، وعن القرى البابلية على بعد اكثر من ثلاث مسيرات يومية قصيرة نحو شمال الشمال الغربي من السور الميدي .

الملحق الثالث

ايسيدور الكرخي يتحدث عن الفرات الأوسط
وحدة القياس (السكونوس) عند ايسيدور

يصف ايسيدور الكرخي [من كرخ ميسان] في كتابه المحطات البارثية (مار) ص ٢٤٧–٢٤٩ الطريق البارثي الرئيس من نيقفوريوم على امتداد ضفاف الفرات الى سلوقية ويسجل اماكن التوقف التي كانت معروفة جدا في القرن الاول الميلاد . ان بياناته ذات قيمة كبيرة لانه يعطينا المسافات بين المحطات المختلفة بوحدة القياس المسماة سكونوس (٤) وكذلك مجاميع هذه السكونات من محطة فاليكا ، الواقعة على نهر ابوراس (الخابور) حتى سلوقية . ويقدم لنا مؤلفه اساساً ممتازاً لتحديد مواضع اماكن التوقفات المختلفة . إنْ كانت ارقامه الاصلية قد نقلت الينا على وجه صحيح . وترينا حتى مجرد النظرة العابرة على كتابه المحطات ان الارقام الحالية لايمكن ان تكون صحيحة . فقد ذكر ان المجموع الاجمالي للمسافة من فاليكا الى سلوقية هو ١٠٠ سكونوس ؛ ولكن اذا جمعنا المسافات بين المحطات تكون النتيجة ١١٨ سكونوس . ولما كان الاكثر احتمالاً بقاء المجموع الاجمالي المؤلف من رقم واحد سليماً من بقاء ارقام المسافات المختلفة دون تغيير النساخ فيمكن الافتراض ان الرقم ١٠٠ سكونوس صحيح ، ولكننا نرغب في اثبات ذلك .

وعند مناقشة بيانات ايسيدور الحالية والمناقشات اللاحقة لتفاصيل رحلات عربية معينة فمن المهم جداً ان نتبنى في كل حالة رقم عمل لأطوال وحدات

---

(٤) سكونوس Schoenus وحدة قياس رومانية وجمعها باللاتينية سكوني Schoeni . وقد عربناها الى سكونات بصيغة الجمع .
(المترجم) .

القياس المتنوعة . ونقصد بـ « رقم عمل » ذلك الرقم الذي يمثل النسبة بين المسافة الفعلية بين نقطتين معروفتين مقيسة بالكيلومترات وبين المسافة ذاتها كما تقدمها مراجعنا في وحدات القياس المعروفة بالاستادات والسكونات والفراسخ والاميال العربية الخ . ومن الصحيح ان رقم عمل كهذا قد لايمثل طول الاستاد او السكونس او الفرسخ او الميل كما ادركه الكتاب العرب او الاغريق ، الا انه من الناحية الاخرى ، فان لأي دراسة خاصة بالدقة النسبية للمسافات المختلفة التي قدموها وكعامل مساعد في تحديد المواقع المشكوك فيها بالنسبة لمواقع معروفة فمن الواضح ان رقم عمل يتضمن قيمة اكبر من الرقم النظري .

دعنا نحدد رقم عمل لوحدة القياس السكونوس عند ايسيدور . ولهذاالغرض اخترنا المسافات التالية كما ذكرها بين نقاط معينة معروفة المواقع :

من فاليكا الى دورا : ١٠ سكونات ؛ وهي في الواقع ٤٧ كيلومترا ؛ لذا فان السكونوس الواحد = ٧ ر ٤ كيلومترا .

من دورا الى كدّن : ١٠ سكونات ؛ وهي في الواقع ٤٧ كيلومترا ؛ لذا فان اسكونوس = ٧ ر ٤ كم .

من كدّن الى انثا : ١٧ سكونوس ؛ وهي في الواقع ٨٠ كيلومتراً ؛ لذا فان اسكونوس = ٧ ر ٤ كم .

من انثا الى ثيلابوس : ٢ سكونوس ؛ وهي في الواقع ٤١ كيلومتراً وفي الحالة الاخيرة يساوي السكونوس الواحد ٧ كيلومترات ؛ اما اذا كان الرقم ٢ قد نقل خطأ بدلاً من ٣ فتكون النتيجة اسكونوس ٧ ر ٤ كم .

ومن ثيلابوس الى إزان : ١٢ سكونوس : وهي في الواقع ٥٨ كيلومتراً ؛ لذ فان السكونوس الواحد = ٨ ر ٤ كم .

ومن إزان الى إيس : ٢٢ سكونوس ؛ وهي في الواقع ٥٧ كيلومتراً ؛ وفي هذه الحالة يكون السكونوس الواحد ٦ ر ٢ كيلومتراً فقط . اما اذا كان

الرقم ٢٢ قد نسخ خطأً بدلاً من ١٢ فنحصل على معدل مقدار ٤ر٧٥ كيلومتراً للسكونوس الواحد .

وعليه نستطيع قبول رقم عمل بطول السكونوس كما استعمله ايسيدور على انه ٧ ر ٤ كيلومتراً تقريباً . وبهذه الطريقة نحدد موقع المحطتين اللاحقتين اللتين لم نتأكد من موقعيهما تأكدنا من مواقع المحطات السابقة .

لقد أعطيت المسافة من ايس الى بسيخانه على انها ١٢ سكونوس (٥٦ر٥ كم) . وتقع على بعد خمسة وخمسين كيلومتراً من ايس ، التي تطابقت مع بلدة هيت الحديثة ، مدينة الرمادي العامرة التي في اعتقادى تحدد موقع محطة بسيخانة .

وأدى طريق من بسيخانة بحذاء الضفة اليمنى للفرات ايضاً الى محطة نيابوليس ، ومن هناك استدار عَبْرَ النهر وعبر النهر الملكي الى سلوقية . وكانت المسافة من هنا (نيابوليس) الى سلوقية ٩ سكونات ، او قرابة ٤٢ كيلومتراً ، وهي المسافة الفعلية من موقع سلوقية الى الفرات باتجاه غربي وجنوبي غربي .

فاذا جمعنا الأرقام التي حصلنا عليها حتى الان بالسكونات وصححنا كما اقترحت (أي ١٠ ، ١٠ ، ١٧ ، ٣ ، ١٢ ، ١٢ ، ١٢ ، ٩) نحصل على ٨٥ : أو ١٥ أقل من المجموع الذي أورده ايسيدور وقدره ١٠٠ . أما اذا كانت المسافة ، كما سنوضح ذلك فيما بعد ، بين بسيخانة ونيابوليس ١٥ سكونوس وليس » كما ورد في النص فيصبح المجموع ١٠٤ ، وعلى بعد ١٥ سكونوس او حوالي ٧٠ كيلومتراً من الرمادي (بسيخانة) على امتداد الضفة اليمنى للفرات نصل الى خرائب بترا ، غرب سلوقية مباشرة ، ومن ثم يمكن مطابقتها مع محطة نيابوليس القديمة .

اعادة تنظيم هيكل خط رحلة ايسيدور نيقفوريم الى فاليكا

وبعد ان كنا قد حددنا رقم عمل لطول الكونوس كما استخدمه ايسيدور واجماليات المسافات بين فاليكا وسلوقية نوجه انتباهنا الى تعريف المحطات المختلفة .

اذا جمعنا اطوال المسافات بين نيقفوريم وفاليكا نحصل على مجموع يبلغ ٣٠ سكونوس ، او ١٤١ كيلومتراً ؛ ولكن المسافة في الواقع هي ١٦٥ كيلومتراً او ٣٥ سكونوس . الا ان بيانات ايسيدور هنا لم تحفظ لنا على وجه الدقة . والوقوف على مصدر الخطأ نستطيع تقسيم المسافة الكلية الى جزءين : من نيقفوريم الى خندق سميراميس ومن هناك الى فاليكا .

نستطيع تحديد موضع « خندق سميراميس » عند خربة زلبية الحالية فقط ، وهو الموضع الذي يغادر الفرات فيه المضايق وأسفل منه منبسط سهل غريني خصب على امتداد ضفته اليسرى . وهنا فقط يمكننا حصر تيار النهر وتحويل المياه الى « خندق » او قناة . ونجد فعلاً قرب زلبية بقايا قناة اروائية قديمة تدعى الان المّصران ؛ واستناداً الى إيسيدور فان المسافة من نيقفوريم الى « خندق سميرأميس » هي ١٦ سكونوس ؛ الا ان المسافة الحقيقة من موقع نيقفوريم الى القناة التي جعلناها مطابقة للخندق هي ٩٠ كيلومترا ، وهو ما يساوي ١٩ سكونوس .

إن المسافة من زلبية إلى موقع فاليكا على الخابور هي ٧٥ كيلومترا او ١٦ سكونوس ، بينما يعطي ايسيدور المسافة من « خندق سميراميس » الى فاليكا على انها ١٤ سكونوس فقط .

المعطيات التي زودنا بها ايسيدور وذلك في ترتيب عكسي من « خندق سميرأميس » الى نيقفوريم : عند الكيلومتر ٣٣ إلى الشمال الغربي

من زلبية نصل الى مجموعة خرائب تل مطبّ [كذا] الذي نعتبره المحطة الملكية ثيّلادا مرّادا على بعد ٧ سكونات من «خندق سميراميس» . ان سبعة سكونات تساوي ٣٣ كيلومترا . ومن تل مطبّ الى الغرب ليس ثمة خرائب كبيرة باستثناء الهداوي عند الكيلومتر ١٩ ، وهو مكان نستطيع مطابقته مع قرية خنبانة ، اربعة سكونات من ثيّلادا مرّادا .

ويذكر ايسيدور ان المسافة من خنبانه الى اقرب محطة وهي قرية كلباثا المهجورة كانت سكونوس واحداً فقط . وعلى هذه المسافة من الهداوي تقع خرائب تل السلطان .

واستناداً الى ايسيدور كانت المسافة من كلباثا الى نيقفوريم ٤ سكونات ؛ ولكن في الواقع ٣٣ كيلومتراً ، او ٧ سكونات ، من تل السلطان الى موقع نيقفوريم .

فاذا جمعنا هذه المسافات الحقيقية المتعددة بين « خندق سميراميس » ونيقفوريم يكون المجموع ١٩ سكونوس وليس ١٦ كما اورده ايسيدور . ومن المحتمل ان يكمن الغلط في النقل المخطئ للمسافة من نيقفوريم الى كلباثا الذي ربما تغير عند النقل من الرقم ٧ الى ٤ .

ومن زلبية على امتداد الفرات الى الخابور نعلم بوجود خربتين اثنتين فقط لهما اهمية تذكر . تقوم الأولى سعوى على جرف يطل على السهل الفيضي بينما تشكل الثانية ، السن ، وفيها مزار مشهور في جميع ارجاء المنطقة ، هضبة صغيرة مدورة في المنطقة الغرينية . وكذلك علم ايسيدور بوجود محطتين اثنتين فقط في هذه الارض المنبسطة وهما : الان وبيونان ، ويشير الى وجود هيكل ارتميس (في الأخيرة منهما) ، ان المسافة من زلبية الى سعوى هي ٢٥ كيلومتراً ، أو ٥ سكونات ؛ ومن سعوى الى السن ٢٨ كيلومتراً او ٦ سكونات ؛ ومن السن الى الخابور ٢٥ كيلومتراً او ٥ سكونات .

ويذكر ايسيدور المسافة من « خندق سميراميس » الى الان انها ٦ سكونات ، ومن الان الى بيونان انها ٤ سكونات ، ومن بيونان الى فاليكا ايضاً ٤ سكونات . ويصبح بذلك المجموع الكلي ١٤ ، او أقل باثنتين من مجموعنا الكلي البالغ ١٦ للمسافة من زلبية الى الخابور . وعلى كل حال فان الغلط في النسخ لنص ايسيدور يسهل فهمه . ففي الامكان ان نطابق بكل امانة بلدة الان الصغيرة مع خرائب سعوى ، ونطابق بيونان وهيكل ارتميس مع خربة تل السن الكبيرة ومزارها .

فاليكا الى ايس

كانت قرى فاليكا ، التي يترجم ايسيدور اسمها بعبارة « منتصف الطريق » (المصدر السابق ، ص ٢٤٨) مطابقة لجزء من قرقيسيوم المتأخرة . وكانت تقع بالقرب منها ، وفقاً لا يسيدور ، بلدة نبكات الصغيرة على نهر ابوراس ، احد روافد الفرات . واعتادت القطعات المرسلة الى الاقاليم الروماني وراء الفرات ان تمر بهذه البلدة .

ويعطي ايسيدور المسافة من فاليكا الى قرى اسيخا على انها ٤ سكونات ، او ١٨ كيلومتراً . وتؤدي بنا هذه المسافة من الخابور الى خرائب المسايح الحالية . ويحتوي جذر كلمة «مسايح» على نفس الحروف الصحيحة الموجودة في « اسيخا » التي اوردها ايسيدور .

وكانت المحطة التالية ، دورا التي يصفها ايسيدور بأنها بلدة نيقتور القديمة التي بناها المقدونيون وسمّاها الاغريق المقدونيون وسمّاها الاغريق بـ (أويروبس) تقع على مسافة ٦ سكونات ، او حوالي ٢٨ كيلومتراً . وتقع على بعد تسعة وعشرين كيلومتراً من المسايح الخرائب الواسعة لمدينة الجعابي المحصنة ، التي في امكاننا مطابقتها مع ضاحية من بلدة

دورا المقدونية او اوروبس ، الصالحية الحديثة .

واستناداً الى ايسيدور فقد كانت المسافة من دورا الى قلعة مرّان ٥ سكونات او ٢٣٫٥ كيلومتراً . وعند الكيلومتر ٢٣٫٥ من الجعابي نصل الى مستنقعات يتغلغل فيها الفرات بعمق الآن . ولعل الفرات قد جرف ايضاً بقايا حصن مرّان ، اذ غالباً ما تختفي قـرى على كلا ضفتي الفرات ذلك لان مجراه يتبدل على الدوام . فلو لم تُفقد مرّان برمتها لكان في الامكان تحديد موضعها عند خرائب الكشمة غير بعيد عن شعيب المسارين . ان الكلمة الاصلية التي اشتقت منها مسران (مفرد مسارين) ربما تبدلت الى شكل مرّان . الا أنه اذا تطابقت الكشمة مع مسران ، وهي تقع فعلاً على بعد ٢٩ كيلومتراً او ٦ سكونات من موقع دورا وليس ٥ سكونات كما اوردها ايسيدور ، فيجب ان تكون المسافة منها الى محطة ايسيدور التالية ، بلدة كدّن ، ٤ سكونات ، وليس ٥ كما عند ايسيدور .

وتطابق كدّن خرائب الشيخ جابر الواسعة التي تمتد على ضفتي الفرات والتي تبعد مسافة ٢٣٫٥ كيلومتراً عن المستنقعات و ١٧٫٥ كيلومتراً عن الكشمه ، وهذه الارقام تتطابق مع تحديدنا للمسافتين ٥ أو ٤ سكونات من الموقعين المحتملين لمرّان.
ويذكر ايسيدور ان المسافة بين كدّن وبليسي ببلادا هي ٧ سكونات او ٣٣ كيلومتراً . وعلى تلك المسافة نفسها بالضبط على الضفة الصخرية اليسرى للفرات تقوم الخرائب التي في ضمنها قلعة ارتاجه وهما علامتان مهمتان بالنسبة لموقعهما لان الفرات يشكل خليجاً عميقاً أسفل منهما مباشرة حيث تجد زوارق النهر مرفأ آمناً .

ان المسافة مـن ارتاجه الى جزيرة سريسر الصغيرة هـي ٣١ كيلـو متراً واستناداً الى ايسيدور فان المسافة من بليسي ببلادا الى الجزيرة التي نجهل اسـمها حيـث احتفـظ المـلك البارثي فراتسـس بكنوزه

كانت ٦ سكونات . . لذا في الامكان مطابقة سريسر مع جزيرة فراتس . وعلى هذه الجزيرة الصغيرة ، استناداً الى ايسيدور (المصدر السابق ، ص ٢٤٩ ، قتل فراتس زوجاته عندما عاد تيريداتس من المنفى . كان هذا هو فراتس الرابع ، الذي ثار ضده تيريداتس الثاني عام ٣٢ ق . م . وكان تيريداتس قد عاد الى الفرات وهاجم فراتس بغتة بعد نفيه الى سوريا

ان المسافة من سريسر الى عانة تبلغ ١٨ كيلو متراً ؛ واستناداً الى ايسيدور فان المسافة من جزيرة انثا كانت ٤ سكونات وهي مطابقة تماما .

ويسمي ايسيدور المحطة التالية وراء جزيرة انثا بجزيرة ثيلابوس وهي تبعد ٢ سكونوس فقط او ٥ و ٩ كيلو متراً ، وفي الامكان مطابقة ثيلابوس مع جزيرة تلبس . الا ان هذه تقع على بعد ١٥ كيلومتراً او ٣ سكونات من عانة .

ومن جزيرة ثيلابوس الى بلدة عزول الجزرية كانت المسافة ١٢ سكونوس ؛ ومن تلبس الى جزيرة الاخزانة تكون المسافة ٥٨ كيلو متراً ، او ١٢ سكونوس بخط مباشر .

وكانت المسافة من عزون الى بلدة إيس ذات العيون النفطية حسب ايسيدور ٢٢ سكونوس او ١٠٣ كيلومتراً؛ الا أنها من الاخزانة الى هيت في الواقع مجرد ٦٠ كيلو متراً او ١٢ سكونوس . وكما اقترحنا سابقاً فمن المحتمل ان يكون الرقم ٢٢ ناشئاً عن قراءة خاطئة للرقم ١٢ .

ايس الى سلوقية

وبعد إيس (هيت) يمتد طريق رئيس بمحاذاة الضفة اليمنى للفرات ايضاً . ولا نعلم في اية نقطة تحوّل هذا الطريق من الضفة اليسرى الى اليمنى ، كما اننا لانعلم ما اذا كان ذلك في ايس أم سبعة أميال رومانية أعلى من هذه البلدة حيث عبر جيش جوليان (اميّانوس مارسلّينوس في كتابه ،، حـ ٢٤ ص ٢ : ٣) .

كانت الضفة اليمنى هي المفضلة لتجنب القنوات والترع الكثيرة ، مابين كبيرة وصغيرة ، التي تشعبت من الجانب الايسر للفرات على بعد بضعة كيلومترات اسفل من إيس لارواء الارض الغرينية الخصبة . وبرغم ان ايسيدور لا يبين بوضوح ان الطريق الذي وصفه كان يتبع الضفة اليمنى ، فقد يتضح من بيانه ان المسافرين الذين استخدموا هذا الطريق من نيابوليس كان عليهم عبور كل من الفرات نهر الملك قبل الوصول الى سلوقية .

ويذكر ايسيدور المسافة من إيس ال بسيخانا حيث يقع هيكل اتركاتس تبلغ ١٢ سكونوس او ٥٥ كيلو متراً مما توصلنا الى ضواحي الرمادي . ان الأعراف المحلية في الشرق لاتموت بسهولة ، ومن الممكن بل يكاد يكون مؤكداً ان هيكل اتركاتس العتيق ظل قائماً تحت اسم مختلف في العهدين الاسلامي والمسيحي على حد سواء . فقد عرف المؤلفون المسلمون بلدة صندَوْدا قرب الرمادي وعلى الشرق منه تخرج القناة الكبيرة الأولى من الفرات . وربما تتطابق بسيخانا التي اوردها ايسيدور ايضاً مع ماسكين التي اوردها بليني في كتابه (التاريخ الطبيعي ، ح٥ص ج٩) لان ماسكين او ماسكين هي الصيغة لبسيخانا الآرامية .

وكانت المسافة من بسخانا الى نيابوليس وفقا لايسيدور ٢٢ سكونوس ، والى سلوقية ٩ سكونات . ويبلغ مجموع المسافات بين المحطات من فاليكا (على الخابور) الى بسيخانا ، بعد استبعاد الاخطاء المحتملة في النسخ ، ٧٦ سكونوس . فاذا أضفنا الى هذا الرقم التسع سكونات وهي المسافة من نيابوليس الى سلوقية ، كما رأينا آنفاً (ص ٥٣) فسيبقى يعوزنا ١٥ سكونوس لبلوغ المجموع الذي اورده ايسيدور وقدره ١٠٠ سكونوس فاليكا الى سلوقيه . فاذاً يجب ان تمثل هذه الخمسة عشر سكونوس المسافة من بسيخانا الى نيابوليس . الا ان رواية ايسيدور الحالية تعطي هذه المسافة على انها ٢٢ سكونوس .

وتوصلنا المسافة الأخيرة من الرمادي ، موقع بسيخانا ، الى بلدة المسيب الصغيرة الحديثة الواقعة بصورة مباشرة تقريباً في جنوب ــ الجنوب الشرقي من موقع سلوقية ، ولكن ليس ثمة من سبب يدعو الى خروج المسافرين عن طريقهم الى هذا الحد . فقد نتوقع ان الطريق الرئيس استدار شرقاً في نقطة وصل عندها خط عرض سلوقية ، في مكان مابين خرائب بترا ومدخل قناة المحمودية الحالية . ووراء بلدة بثرا مباشرة (استناداً الى زوسيموس في كتابه ، التاريخ الحديث حـ٣ ص١٩) في عام ٣٦٣ م غادر الرومان بقيادة جوليان نهر الفرات وكانوا في اغلب الاحتمال يسيرون بمحاذاة الطريق الرئيس واستداروا نحو طيسفون ، التي تقع على الضفة اليسرى لدجلة مقابل سلوقية . ان مسافة ١٥ سكونوس وحوالي ٧٠ كيلو متراً من الرمادي بترا المطابقة لبلدة تفضي بنا الى خرائب بثرا التي اوردها زوسيموس . ولهذا يمكن ان نفترض ان بثرا كانت الاسم المحلي للبلدة الاغريقية نيا بوليس .

ومن نيابوليس الى سلوقية بحسب ايسيدور كانت المسافة ٩ سكونات او حوالي ٤٢ كيلو متراً ، وهي تطابق المسافة الحقيقة من خرائب بترا الى خرائب سلوقية .

ولا بد ان الطريق الرئيس كان يعبر جسراً من الضفة اليمنى للفرات الى الضفة اليسرى ويستمر بعدئذ على الضفة اليمنى لنهر الملك (نارملخا) التي عبرها قبل الوصول الى سلوقية بقليل .

وفي نيابوليس نستطيع ان نحدد موقع جسر دمّره الفرس في عام ٥٨٠ م عندما كان الجيش الروماني بقيادة موريس يصاحبه الامير الغساني المنذر بن الحارث يتقدم مع قوات عربية احتياطية . ويكتب يوحنا الافسوسي بوضوح (التاريخ الكنسي ، حـ٣ ص ٤٠ و حـ٦ ص١٦ وما بعد) ان هذا الجسر المؤلف من القوارب كان قد اقيم على الفرات في بيت ارماية قرب العاصمة الفارسية . وكانت بيت ارماية الاسم السرياني للجزء الشمالي

من بلاد بابل الاصلية . وكانت عاصمتها المدائن تقع مباشرة شرق نيابوليس او (بترا) . وكان لدى الرومان بقيادة موريس قوارب ايضاً حملوا فيها مؤنهم ومعداتهم العسكرية . وليس ثمة تقرير يوضح ما اذا كانوا قد ساروا بحذاء الضفة اليسرى ام اليمنى لنهر الفرات ام بمحاذاة كلا الضفتين . فان كانوا قد ساروا على الضفة اليسرى فلا بد انهم عبروا بقواربهم الخاصة بهم الى الضفة اليمنى أعلى من هيت الحالية ، لان المنطقة الغرينية تبدأ جنوب شرقي هيت ، ويتخللها على الجهة اليسرى للفرات قنوات وترع لاتحصى . ومما لاريب فيه ان الفرس الذين فطنوا لتقدم الجيش الروماني ، كانوا يقومون بحراسة مشددة لحدود المنطقة الغرينية لبلاد بابل . انه لمن الواضح انهم سيدمّرون الجسر عند نيابوليس ؛ لذا فمن الصعب ان نتبين سبب توجيه بعض السجلات الاغريقية اللوم للمنذرعلى ما صادفه الرومان من عقبة في هذا الموضع . لعلهم قصدوا من وراء ذلك انه كان عليه البقاء على الضفة اليسرى للفرات ثم بعد الالتفاف على الفرس مهاجمتهم في المؤخرة والضغط عليهم للتراجع عن الجسر المدمر . ولو كان فعل هذا لتمكن الرومان من بناء جسر جديد بقواربهم وعبروا عليه الى الضفة اليسرى تحت حماية عرب المنذر . ويبدو لم يستطع ان يقرر محاملة القيام بانزال مثل هذه الضربة ، ونتيجة لذلك لم يكن في مقدور موريس بناء جسر له ولجيشه .

* * *

الملحق الرابع

زحف الامبراطور جوليان في عام ٣٦٣م

وصف شهود العيان ماكنوس من كارهي ويوتيكيانوس مـن كابادوسيا واميانوس مارسلّينوس زحف الامبراطور جوليان بمحاذاة الفرات الاوسط . ان تقرير شاهد العيان الأخير وحده وصل الينا كاملاً . اما الآخران فلا نعلم عنهما سوى شذرات قليلة نشرها سي ملر في المجلد الرابع من كتابه شذرات من التاريخ الاغريقي (باريس ، ١٨٥١) ، ص ٤ ــ ٦ . على ان الكثير منه قد نقله زوسيموس ، الذي كان معاصراً للامبراطور زينو ، من ماكنوس الكارهي وهو ما يشكل جزءاً من كتاب زوسيموس الموسوم (التاريخ الروماني) الذي لا يزال باقياً .

زحف جوليان كما رواه اميانوس مار سلنيوس

استناداً الى اميانوس مارسلّينوس فقد وصل جوليان في ٢٦ آذار (مارس) عام ٣٦٣ م مع جيشه الى نهر بلياس عند المركز التجاري كالينيكوس المحصن تحصيناً قوياً . ومع فجر اليوم التالي انطلق بمحاذاة الضفة اليسرى للفرات . وفي احدى محطات التوقف قدم رؤساء عرب فروض الطاعة له وقدموا لـه تاجـاً ذهـبياً وعرضوا علـيه قطعات احتياطية فتقبلها بسرور . وبينما كان يتفاوض مـع الرؤساء وصل اسطول يتألف من الف قارب شحن وخمسين قارباً لنقل الجنود وعدد مماثل من العوامات (اميانوس مارسلّينوس ، ، حـ ٢٣ ص ٣ : ٧ ــ ٩) .

وبمصاحبة القوات البدوية الاحتياطية أسرع في السير ودخل في اليوم الاول من نيسان (ابريل) قرقيسيوم (قرقيسيا) ، وهي حصن متين البناء يحيط اسواره نهرا ابورا (الخابور) والفرات مما جعل الفسحة الداخلية تبدو كأنها جزيرة .

وكان هذا الحصن في الأصل صغيراً ولا يمنح الا حماية بسيطة الى أن أمر دقليانس عندما كان ينظم الاحوال الداخلية للامبراطور الرومانية ، باحاطتها باسوار وابراج مراقبة عالية لمنع الفرس من القيام بغارات داخل سوريا واحداث اضرار كثيرة في الأقاليم كالتي فعلوها في زمن الامبراطور كالينوس . (المصدر نفسه ، حـ ٢٣ ص ٥ : ١ — ٣ .)

لبث جوليان في قرقيسيا الى أن عبر الجيش وكل الذين رافقوه بأمان على الجسر العائم على نهر ابورا . ثم بعد أن عبر النهر بنفسه أمر بازاحة الجسر ليحول دون فرار الجند . ومن ابورا وصلوا الى مكان يسمى زيثا ، ويعني « شجرة الزيتون » حيث قام نصب تذكاري للامبراطور كورديان يمكن رؤيته من بعيد . وبعد ان قام جوليان بتكريم سالفه أسرع نحو بلدة دورا المهجورة . وفي طريقه اصطاد جنوده اسداً كبيراً . (المصدر نفسه حـ ٢٣ ص ٥ : ٤ — ٨ .)

وبعد أن ساروا بمحاذاة الفرات وصلوا دورا في يومين . وهناك شاهدوا عدة قطعان من الغزلان ، وعبر الجزء الاعظم منهم النهر سباحة وهربوا الى اعماق الجزيرة . وبعد اربع مسيرات سهلة أخرى ارسل الامبراطور في المساء قوارب عليها الف رجل مسلح بقيادة لوكيليان للاستيلاء على حصن أنثا الواقع ، شأنه شأن العديد من الآخرين ، على جزيرة بالفرات . فقامت القوارب المسلحة بهجوم ليلي ولكــن دون جدوى . وعــند الفــجر التمس الأهالــون الرحمة وكانوا يسوقون امامهم ثوراً مزيناً باكليل كان رمزاً للرغبة في السلام عند هــؤلاء النــاس . الا ان الحصن أحترق بعدئذ وعيّن لوكيليان قــائده بوسايوس مسئولاً مدافعاً عن حقوق العامة ومصالحها ، وأرسل الاهلين مع جميع ممتلكاتهم الى بلدة خالكيس السورية (المصدر نفسه ، حـ ٢٤ ص ١ : ٥ — ٩ .)

وفي اليوم التالي هبت عاصفة قوية جداً مزقت خياماً كثيرة ؛ كما هدم النهر الغاضب السد الذي كانت تحتمي به القوارب وغرق بعضها مما كان محملاً

بالحبوب (المصدر نفسه ح ٢٤ ص ١ : ١٤ — ١٦ .)

وبعد ان تزود الجيش بالطعام أمر الامبراطور باشعال النار بالحبوب الفائضة وبجميع الاكواخ ايضاً وسبّب بذلك ضرراً للعدو الذي كان يراقب افعاله من الضفة المقابلة . وعندما عبر جندي سكران الى الجانب الآخر للنهر القوا القبض عليه وقتلوه امام أعين رفاقه . (المصدر نفسه ح ٢٤ ص ١ : ١٤ — ١٦ .)

وبعد أن ساروا متابعين للنهر وصلوا الى حصن ثيلوثا الذي برز وسط النهر كتل* شامخ وقد زادت قوته قوة بفعل الطبيعة والانسان على حد سواء . وخشية من تعرضهم لسخرية الاعداء في حالة هزيمتهم ، لم يحاولوا الاستيلاء على الحصن بل اكتفوا بمجرد الطلب من الأهلين الاستسلام ؛ فكان جواب الاهلين بانهم لا ينضمون الى الرومان الا اذا انتصروا واستولوا على المملكة ، وظلوا بعدئذ يشاهدون بدون تدخل القوارب الرومانية وهي تمر امامهم . وثمة حصن جزري آخر اخياخاخالا قدم رفضاً مشابهاً الى الرومان ، وكان اجتياز هذا الحصن الجزري أمراً صعباً جداً . وفي اليوم التالي اضرم الرومان النار بحصن كانت قد هجرته حاميته بسبب تحصيناته الضعيفة . (المصدر نفسه ، ح ٢٤ ص ٢ : ١ — ٢ .)

وبعد أن أتموا زحف مائتي ستاد اثناء اليومين التاليين وصلوا الى مكان يدعى براخملخا حيث عبروا النهر وهاجموا بلدة دياكيرا ، على بعد سبعة أميال ، والتي كان أهلها قد هجروها الا انها كانت تحتوي على مخازن كبيرة للحبوب والملح النقي . وهناك رأوا هيكلاً مبنياً في حصن على تل عال . وبعد ان احرقوا المدينة وقتلوا عدداً قليلاً من النساء هناك ساروا بجانب عين نفط واحتلوا بلدة اوزوكاردانا التي هرب سكانها المذعورون ايضاً . وهناك عرضوا كرسي القضاء الخاص بالامبراطور تراجان . وبعد الاستراحة هناك مدة يومين تقدموا الى قرية ماكبراكتا حيث وجدوا بقايا تحصينات نصف مهدمة امتدت الى مسافة بعيدة . وقيل عنها انها كانت تحمي بلاد آشور من

الغزاة الأجانب في غابر الازمان . (المصادر نفسه ، حـ ٢٤ ص ٢ : ٣-٦) .

وعند هذا الموضع ينقسم الفرات : فرع من النهر يجري الى داخل بلاد بابل ويفيد الحقول والبلدان المحيطة به فائدة ليست بالقليلة ؛ واما الفرع الآخر ويدعى نارملخا والذي يعني نهر الملك يجري نحو طيسفون (كذا) . وعند مدخل الأخير يرتفع برج عال يشبه المنار فاروس (اي فنار الاسكندرية) . عبر جميع الجنود المشاة الجسور التي شيدها الرومان بعناية وسرعان ما وصلوا الى مدينة بيريسابوراس الكبيرة والمكتظة بالسكان وكانت محصنة كمدينة جزرية . طاف الامبراطور حول المدينة راكباً وفحص موقعها عن كثب بعناية بهدف ترويع الناس من حصار قادم ، كذلك حاول بالوعد والوعيد حملهم على الخضوع . ولما لم يُجده كل ذلك نفعاً احاط المدينة بثلاث حلقات من الرجال المسلحين ورماها بالقذائف ليل نهار ومن ثم قدّم في جنح الليل ادوات الحرب وأمر بدفْن الخنادق . وعندما هدم الرومان برج الزاوية ترك المدافعون الاسوار المزدوجة للمدينة وشغلوا قلعة مشيدة على تل منعزل عال داخل التحصينات . وشمخت هذه القلعة في الوسط الى ارتفاع شاهق وانحدرت من الجانب الشمالي انحداراً حاداً الى الفرات ؛ وكانت مبنية بالطابوق المفخور المثبت بالقار . واخيراً استسلم المدافعون . وكانوا في جملتهم ٢٥٠٠ شخص فقط . اما الباقون فكانوا قد هربوا بقوارب صغيرة في الوقت المناسب الى الصفة الثانية من النهر . وقد وجد الرومان في القلعة كميات كبيرة من الأسلحة والمؤن فأخذوا من كل ذلك ما احتاجوا اليه واحرقوا الباقي والمدينة ايضاً . (المصدر نفسه ، حـ ٢٩ . ص ٢ : ٧ — ٢٢ .)

وبعد ان ساروا قرابة اربعة عشر ميلاً من هناك وصلوا الى حقول ذات مستنقعات بطبيعتها سبق أن أغرقها الفرس بالمياه كلياً . وفي ذلك المكان استراحوا يومهم التالي . وفي تلك الاثناء امر الامبراطور ببناء جسور متعددة من الجاود والعوامات وكذلك سعف النخيل وعبر الجيش عليها بصعوبة بالغة . (المصدر نفسه . حـ ٢٤ ص ٣ : ١٤ .)

وهنا أحرق الجنود قسرية محاطة بأسوار واطئة نوعاً ما . وكان الاهلون يهوداً الا أنهم كانوا قد هربوا .

وبعد ان توغل الامبراطور في التقدم امر بتشييد مخيم قرب بلدة ميوزاملخا (ماحوزة الملك) الكبيرة والمحكمة التحصين وبعد ان وزع الحراس حول المخيم باكمله ترقباً لهجوم مباغت يقوم به خيالة الفرس حاصر البلدة واستولى عليها . (المصادر نفسه . ح٢٤ ص٤ : ١ — ٢٦ .)

وبعد استيلاء جوليان على ميوزاملخا بدأ هو وجيشه بالعبور على جسور عائمة شيدها جنوده على ترع كثيرة العدد للوصول الى خط مزدوج من التحصينات حيث حاول ابن الملك الفارسي مقاومتهم بجيش من طيسفون . الا ان الفرس الذين ارهبهم منظر الرومان ولوا الادبار دون قتال . (المصادر نفسه ح٤ ص٤٥ : ٣١ .)

وبعد ان واصلوا سيرهم وصلوا الى قلعة ملكية مشيدة على الطراز الروماني ومن ثم وصلوا منطقة ملكية محظورة لصيانة حيوانات الصيد وكانت على شكل دائري تغطي مساحة شاسعة مليئة بالحيوانات الوحشية : وعسكر وراءها الجيش الروماني داخل تحصينات ليست بعيدة عن كوخة وتدعى سلوقية ايضاً . ومن هنا ذهب جوليان لمشاهدة مدينة (سلوقية) التي كان الامبراطور فيدوس قد هدمها ؛ وكان بالقرب منها عين غزيرة تتدفق منها المياه التي سرعان ما تصب في دجلة . انطلق الرومان ثانية بعد يومين وكان عليهم صد هجمات مستمرة من حامية المدينة المحاصرة وكذلك صد هجمات على مؤخرتهم من الجيش الفارسي على الضفة اليسرى النهر . كل هذا ملأ جوليان بالسخط فقرر الاستيلاء على حصن منيع وعال يقع قرب طيسفون . (المصدر نفسه . ح٢٤ ص٥ : ١ — ٦ .) .

واثناء حصار هذا الحصن لم يعان الجيش من غارات المحاصرين في الحامية فحسب بل ايضاً من الهجمات المباغتة القادمة من الجانب الايسر للنهر . ومع كل ذلك تمّ الاستيلاء على الحصن وأحرق وأحكم المخيم بخنادق عميقة

وسور متين ضد الهجمات المتواصلة من طيسفون . (المصدر نفسه حـ٢٤ ص٥ : ٩ — ١٢) .

وصل الجيش الى مجرى نهر نارملخا الذي كان جافاً انذاك . كان هذا «النهر» في الاصل قناة وكانت قد عُمقت باوامر الامبراطور تراجان وفيما بعد باوامر ساوروس لجعلها صالحة لملاحة القوارب من الفرات الى دجلة . وكان الفرس قد ملؤها بالحجارة في بعض الاماكن خشية هجوم معاد . وبأمر من جوليان تمّ تطهير القناة ودخلت القوارب دجلة الذي كان يبعد ثلاثين ستاداً فقط . بعد ذلك عبر الجيش القناة على جسور عائمة واقترب من كوخه (المصدر نفسه . حـ٢٤ ص٦ : ١ — ٢) .

ان عبور الجيش الى الضفة اليسرى من دجلة كان مقدراً ان يتمّ على قوارب أمتن . وعندما أُنجز قسم من هذا العمل ونزل جزء من الجيش أتت القوارب الأخرى لمساعدتهم وذلك بصد العدو مما جعل الممر مأموناً (المصدر نفسه ، حـ٢٤ ص٦ : ٤ — ٧ .) .

تقدم الجيش الآن على الضفة اليسرى لدجلة حتى كاد يصل طيسفون ، وهو يحارب طول الطريق . (المصدر نفسه : حـ٢٤ ص٦ : ١٢) .

زحف جوليان كما يرويه زوسيموس

يروي زوسيموس عند وصفه حملة جوليان ان الامبراطور سار من كارهي الى كالينيوس ومن هناك الى قرقيسيا ؛ وانه عبر الاسبورا (الخابور) ومن ثم ابحر بالقوارب منحدراً مع الفرات . (زوسيموس ـ التاريخ الحديث ،حـ٣ ص١٣ .) وحال اختراقه الجبهة الفارسية وضع جنداً من الخيالة على الجناح الايسر ومن المشاة على الايمن على ضفة النهر مباشرة . ووراء هذه الطليعة من الحراس نُقلت الارزاق وكان الجيش جلّه يتبع على مسافة سبعين (او ثمانين . ستاداً

(يوحنا ملالاس ، المدونات [الكرونوغرافيا] ج١٣ ص١٨) . وبعد ستين ستاداً تم الوصول الى بلـدة زاوثا ومـن ثـم المدينة المهدمة دورا التي ضمت ضريح كورديان . وبعد اربع محطات من دورا جاء الجيش الى بلـدة فاثوسا . مقابل حصن عـلى جزيرة آهـلة بالسكان . وتمت محاصرتها بقوة متقدمة ابثت هناك طوال الليل دون ان يلحظها أحد . (المصدر نفسه ج٣ ص٢٩ .) .

وبعد هذا وصلوا الى حصن جزري آخر الا انه كان من الضخامة بحيث انهم اكتفوا بالمرور به فقط كما فعلوا مثل ذلك مراراً بحصون أخرى . وبعد ان تقدموا عدة محطات أخرى داهموا بلدة داكيرا الواقعة على الضفة اليمنى باكملها . وعلى الجانب الآخر للفرات من داكيرا جرت عين نفط غزيرة . ومن هنا وصل الجيش الى سيثا وميجبنا ، واخيراً الى زاراً كارديا ، حيث يمكن مشاهدة مقعـد عـال بنسبة السكان الاصليون الى زاراكارديا وانتُهبت البـلدة وأُحرقت . ارسـل جوليان مساعده هور مسداس مع عدد من جنوده طليعة للعثور على العدو الذي تخفى وراء قناة تتفرع من الفرات . فلو استطاع العدو الخوض هناك بسهولة لقام بمهاجمة هور مسداس اما الذي حدث فهو ان مسداس قام بالتفاف حولهم مما اجبرهم على الفرار (المصدر نفسه ، ج٣ ص١٥ .)

وصل جوليان بعدئذ الى قناة آخذة من الفرات وتجري خلال ارض منبسطة في اتجاه بلاد آشور ودجلة . وكانت القناة عميقة ومطمورة بالوحل مكوّنة مستنقعات متعددة ومن ثم لم تكن سهلة العبور وخاصة لان العدو احتل ضفتها اليمنى . وعلى ذلك ارسل الامبراطور ١٥٠٠ رجل عبروا القناة من مسافة معينة وهاجموا العدو . وفي الوقت ذاته عُزّزت هذه المفرزة بنجدة تحت إمرة القائد فيكتور الذي غادر الجيش الرئيس ليلا دون ان يشعر به أحد وعبر القناة وانضم الى مجموعة الالف وخمسمائة رجل وازاحوا العدو

(المصادر نفسه . حـ٣ ص١٦) . ان هذه المناورة مكنت الجنود الخيالة من العبور الى الجهة الأخرى بسفن رومانية والمشاة بقوارب مستولى عليها (المصدر نفسه . حـ٣ ص١٧) . ثم ساروا الى بيرسابورا(اي بير يسا بوراس) ؛ وهي بلدة محاطة بجدارين وقلعة مستديرة في وسطها . ولا يمكن الوصول الى القلعة من البلدة إلا بطريق شديد الانحدار يصعب ارتقاؤه .

ويمكن الدخول الى البلدة من الغرب والجنوب من خلال بوابة وممر متعرج . بينما يحيطها من الشمال فرع عريض من النهر الذي كان يزود الأهلين بالماء . وكان يحميها من الشرق خندق عميق معزّز بأجراف شاهقة شديدة الانحدار وابراج متينة.القسم السفلي منها مبني بالآجر المثبت بالقا ، والقسم العلوي بالآجر المجفف بالشمس والمثبت بالجص (المصدر نفسه حـ٣ ص ١٧ — ١٨) . لقد استولى جوليان على هذه المدينة التي تعد اعظم بلاد آشور بعد طيسفون بيومين ؛ بعد ئذ اسرع بمحاذاة الفرات الى بلدة فيسينيا المحاطة بخندق عميق ملأه الفرس بالماء من القناة القريبة المسماة بالنهر الملكي (باسيليوس بوتاموس) . اخترق جيشه هذه البلدة ثم وصل الى منطقة غمرها الفرس بالماء من القناة الملكية وكذلك بماء مباشر من الفرات . وبعد ان عبروا هذه المنطقة بصعوبة بالغة احتلوا بلدة بثرا ، حيث وجدوا قصراً ملكياً وابنية فسيحة (المصدر نفسه حـ٣ ص١٩) . وبعد ان وا صلوا سيرهم وصلوا الى بستان نخيل واسع وحصن متين قرب بلدة بيسو خيس . وكان للحصن المشيد على رابية سور مزدوج يتخلله ستة عشر برجاً ويحيط بسه خندق مُلي ُ بالماء . تمت محاصرة هذا الحصن ايضاً والاستيلاء عليه (المصادر نفسه ، حـ٣ ، ص٢٠) . ان الوقت الذي قضاه الامبراطور بفتح هذه القلعة إستغله الجيش ببناء طريق رئيسي الى طيسفون التي تبعد تسعين ستاداً (المصادر نفسه ، ص٣ ، ص٢١ . وبعد ان استمر جوليان بزحفه وصل الى المنطقة المحظورة لصيانة حيوانات

الصيد حيث احتفظ ملوك الفرس بحيوانات مختلفة ؛ ووصل ايضاً الى بناية مشيدة على الطراز الروماني ثم وصل اخيراً الى بلدة ميناس سباثا (اوميناس) ، حوالي ثلاثين ستاداً من بلـدة كانت تدعى زوخاسة الا انها عرفت على عهد جوليان بسلوقية . وتم الاستيلاء على ميناس سباثا عنوة (المصدر نفسه ، حـ٣ ، ص٢٣ .) .

وفي هذه الاثناء كان الجيش الروماني يتعرض الى مضايقات قام بها الفرس من الجانب الآخر للنهر (دجلة) . وعلى كل حال وصل الرومان أخيراً الى قناة ينسب المواطنون الأصليون حفرها الى اوامر صدرت عن تروجان التي من خلالها تصب القناة المسماة نارملخا (النهر الملكي) في دجلة . أمر جوليان بتطهير هذه القناة وبهذا هيأ ممراً لقواربه للوصول الى دجلة حيث يمكن استخدامها لبناء جسور لعبور الجيش (المصدر نفسه ، حـ ٣ ، ص ٢٤ .) هذا وامتدت المنطقة المحظورة لصيانة حيوانات الصيد الملكية حتى هذه القناة التي عن طريقها عبر الجيش دجلة (المصدر نفسه ، حـ ٣ ، ص ٢٥ .)

اعادة تركيب طريق جوليان

ان سجل اميانوس مارسلينوس وسجل زوسيموس يكمل بعضهما بعضاً ويضيفان كثيراً الى معرفتنا للطوبوغرافية المحلية لبلاد ما بين النهرين في الزمن القديم .

سار الجيش الروماني مع الامبراطور جوليان من كالينيكوس بحذاء الضفة اليسرى لنهر الفرات الى الثغر الحدودي المنيع قرقيسيا . ومن المستحيل معرفة عدد المسيرات اللازمة للوصول الى هناك لاننا لا نعلم كم استغرق الامبراطور في التفاوض مع الملوك (الرؤساء) البدو ، كما لا نعلم كم طال انتظاره للقوارب التي كان لا بد ان يصطحبها معه . ومما يدعو الى الغرابة ان السجلات لا تذكر اية بلـدة بين كالينيكوس وقرقيسيا . وبالقرب من قرقيسيا ، حيث تقع الآن قرية البسيرا الحديثة ، نُصب جسر من القوارب على نهر ابورا (الخابور) ليدخل الجيش عليه الى الامبراطورية الفارسية . وفيما وراء هذه

النقطة . كما هو الحال قبل الوصول اليها ، تشكل الجناح الايسر الحرس المتقدم من الخيالة والجناح الأيمن من مفرزة من المشاة ، وتأتي وراءها قافلة الامتعة وآخر الجميع يأتي الجيش الرئيس .

واستناداً الى زوسيموس ، يبدو وكأن غالبية الجيش تبع في اعقاب الجناحين المتقدمين على مسافة تبعد سبعين (او ثمانين) ستاداً . ولقد وقع الاختيار على الجنود الخيالة للجناح الأيسر لانه يتُوقع عموماً ان يقوم خيالة العدو بهجمات مباغتة من ذلك الجانب . ورافق الجيش دائماً خمسون قارباً نقل وعدد مماثل من العوامات . تقدم الامبراطور إما بقارب او على ظهر حصان في اماكن اخرى . وعندما قطع الجزء الرئيس من الحملة مسافة ستين ستاداً من ابورا (الخابور) وصل الى قريـــه زيثا (شجرة الزيتون) حيث كان قد شيد ضريح تكريماً للامبراطور كورديان .

ويورد يوترو بيوس في موجزه ح ٩ ، ص ٢ ان هذا الضريح كان على مسافة عشرين ميلاً من قرقيسيا – ومن الممكن مطابقة قريـــة زيثا مـــع المروانية الحديثة ، ٢٩ كيلومتراً اومـــا يقارب ميلاً رومانياً جنوب شـــرقي البسيرا (قرقيسيا) ؛ لذا لا يمكن قبول المسافة التي اوردها زوسيموس والبالغة ستين ستاداً (٦ ر٨) عـــلى انها تمثل المسافة الحقيقية بين قرقيسيا وزيثا . ويبدو كأن زوسيموس قـــد وقع فـــي خطأ فـــي النسخ وكـــان السبعون (او الثمانون) ســـتاداً التي يذكر انـــها المسافة الفاصلة بين الحرس المتقدم وبين غالبية الجيش كان يجب اضافتها في الواقع الى الستين ، لان (٦٠ – ٨٠) ١٤٠ ســـتاداً فيليتيرياً الذي يساوي ٢٩ر٤ كيلومتراً ، او قرابة عشرين ميلاً رومانياً . ويؤيد عدة كتّاب ان ضريح كورديان نُصب في زيثا وليس في دورا كما يذكر زوسيموس . ومن زيثا تقدم الجيش الى بلدة دورا المخربة ووصلوا اليها في مسيرتين من قرقيسيا .

وتدعى خرائب دورا على الضفة اليسرى للفرات الآن بالجعابي وتبعد ٥٠

كيلومتراً من البسير ا (قرقيسيا) ، أي مسيرة يومين كل منهما يبلغ ٢٥ كيلومتراً .

وقطع الجيش مسافة من دورا الى المكان الذي ارسل منه الامبراطور القوارب مع الف رجل مسلح لمداهمة حصن انثا الجزري — بأربعة أيام . فان كانوا لا يستطيعون السير أكثر من خمسة وعشرين كيلومتراً يومياً في مثل ذلك السهل الذي يمتد بين قرقيسيا ودورا فلا يمكن ان نتوقع سرعة اكبر في الروابي الوعرة شرقي دورا . ان اربع مسيرات من الجعابي (دورا) توصلنا بمسافة تسعين كيلومتراً الى خربة ارتاجة حيث تجد قوارب الفرات اسفل منها مرفأً اميناً في الأزمنة الحديثة . فلو انطلقت السفن الحربية الرومانية من هذا المرفأ بعد الثالثة عصراً — او قرب المساء كما يذكر اميانوس مارسالينوس في كتابه (ج ١٤ ص ١ : ٦) وهم يندفعون بمجاذيفهم ومحمولين مع التيار لاستطاعوا الوصول الى قلعة انثا (عانه الحالية) قبـــل الساعة الخامسة صباحاً ، اي وقت الفجـــر . ولم يكن عسيراً عليهم الانحدار مع المجرى وقطع المسافة الضرورية البالغة ٥٥ كيلومتراً في اربع عشرة ساعة مع الالتفات الى منعطفات النهر بين ارتاجة وعانة) .

يذكر زوسيموس ان الرومان أتوا بأربع مسيرات من دورا الى بـــلدة فاثوساس التي تقع مقابل حصن جزري (انثا) ، وهـــذا يدل على انه هنا قد نسخ ايضاً بصورة غير صحيحة . فالمسافة من الجعابي (دورا) الى الموضع المقابل لعانة هي ١٣٠ كيلومتراً ، ثلثاها تماماً كانت تخترق منطقة صخرية وعرة حيث ليس بمقدور اي جيش مواصلة السير بمعدل ٣٢٫٥ كيلومتراً وهي السرعة التي كان من الضروري السير بها لو قطعت هذه المسافة في اربع مسيرات ، ان تثبيت موضع فاثوماس ليس بالأمر اليسير . فلو اعتمدنا عبارة زوسيموس التي مفادها ان الجيش الروماني وصل اليها بأربع مسيرات فلا بد من البحث عنها عند ارتاجة ؛ الا اننا لو تأملنـــا في نصه العبارة التي تضع فاثوماس مقابل جزيرة عانه الصغيرة ، لوجب اذن مطابقتها مع بلـــدة راوة الحالية . ان الممر الضيق بين

الفرات والجرف الصخري شديد الانحدار ، وقد بنيت على قمته راوة الأصلية ، يدعى الآن الفتح وهو اسم يوحي بـ (فاثوساس) ، مع انه من الممكن ايضاً ان يكون هذا الاسم تحريفاً للاسم بيثونا (عانة) .

ومن الواضح ان سكان حصن انثا الجزري كانوا متواطئين مع الرومان واستسلموا دون مقاومة تذكر . وبهذا فقط نستطيع تفسير السبب الذي من أجله ، جنوب غربي حلب الحالية .

هذا وتحطمت قرب انثا بعض القوارب الرومانية المحملة بالحبوب لان النهر الهائج اطاح بالسد الذي كانوا يحتمون وراءه . وربما كان السد جداراً حجرياً متصلاً بقنطرة مثبت على نهايتها الخارجية ناعور . وكانت مثل هذه الجدران او السدود شائعة جداً لمدة طويلة في المنطقة المجاورة لعانة ، وربما تحطمت قوارب الحبوب بسهولة عند ارتطامها بواحد منها . وكانت كل من الجزر والضفتين حول انثا مزروعة زراعة جيدة ، وهكذا تمكن الجيش من التزود بكميات من الحبوب والنبيذ . اما العدو فكان يراقبهم من الضفة اليمنى فقتلوا جندياً كان قد وقع في اسرهم .

والى الجنوب الشرقي من انثا شاهد الامبراطور معقلاً جزرياً يدعى ثلوثا وكان هذا الحصن بدرجة من المناعة بحيث لم يجرؤ على محاصرته . ولا يمكن ان يكون هذا الثلوثا سوى جزيرة تلبيس الصخرية التي كانت قد تحصنت من اقدم الازمنة وتقع على بعد ١٤ كيلومتراً جنوب شرقي عانة .

ومن ثلوثا وصل الجيش الروماني الى حصن اخياخالا الذي كان محاطاً بالنهر مما جعل الاقتراب منه امراً صعباً للغاية . وفي امكاننا الافتراض ان هذه البلدة تقع على الضفة اليمنى ، ويفصلها عن اليابسة قناة ضيقة او فرع من الفرات ، لان اميانوس مارسلينوس (المصدر السابق ، حـ ١٤ ص٢ : ٢)

لا يذكر انها بُنيت وسط النهر ، كما هو معتاد عند الحديث عن الجزر . ويتفق وصفه مع موضع بلـــدة الحديثة الحالية التي تنفصل كذلك عن اليابسة بخندق اصطناعي يملأ من ماء الفرات . ان اسم الحديثة (اي الجديدة) هـــي تسمية متأخرة . ولعله من اخيا خالا (او اخا لا خالا) نشأ الاسم المحلي (العال) الذي يدل الآن على جرف عالٍ شديد الانحدار على الجانب المقابل . ان تحديدنا لموضع اخياخالا يتفق معَ البيانات التالية التي وردت في كتابات اميانوس مارسلّينوس .

ومن اخياخالا (الحديثة) وصل الجيش في اليوم التالي الى حصن صغير مهجور واحرقوه . وعلينا ان نبحث عنه على الضفة اليسرى ؛ وفي الحقيقة نجد على بعد ٢٠ كيلومتراً شرقي الجنوب الشرقي من الحديثة خربة سِفلة ، التي ربما تتطابق مع الحصن موضوع البحث ، ومن هنا زحف الجيش مائتي ستاد في يومين ووصل الى مخاضة براكسملخا التي تبعد مسافة سبعة أميال من بلدة دياكيرا . وكانت « دياكيرا » او « داكيرا » (مـــن ذو قيـــر ، وتعني « الذي يعطي قيراً » التسمية القديمة لبلدة هيت ، وعلى بعد سبعة أميال رومانية . او قرابة عشرة كيلومترات مصعداً مع النهر من هيت تقع خرائب العويرا (٥) على الضفة اليسرى ومـــنها تؤدي مخاضة ميدة بجانب جزيـــرة الفايوي الى الضفة اليمنى . ولعل هذا يبرر قيامنا بتطابق عويرة مـــع براكسملخا . ان المسافة من سِفلة الى عويرة هي ٤٣ كيلومتراً الي تكاد تساوي مائتي ستاداً فيليتيرياً .

وربما تكون « براكس » تحريفاً لجذر الكلمة العربية فرض أو (مخاضة النهر) ، ومن هنا فان « براكسملخا تعني « المخاضة الملكية » . وفي اللهجة العامية يتشابه تلفظ حرفي الضـــاد والصـــاد ؛ وغالباً ما ينقله الاغريق الى لغتهم باستعمال حرف X .

وكانت بلدة هيت « معطاءة القير » (دياقيرا) تقع على تلين ، اعلاهما

(٥) ان هذه الكلمة وردت مرة بحرف a «عويرا» في نهايتهـــا ومرارا تنتهي بحرف e « عويرى » (المترجم) .

ينحدر بشدة الى النهر . وعلى الضفة اليسرى ، مقابل البلدة الحالية ، تتدفق عيون نفط متعددة . وبجانب الطريق تماماً الى الشمال الشرقي من البـلدة تنساب عين عطعاط ، والى الجنوبي الشرقي عين النفّاطة ، ولعل العين الأخيرة هي التي اشار اليها اميانوس مارسلّنيوس .

وبعد ان دمر الجيش دياقيرا استمر في زحفه بحذاء الضفة اليسرى . واستناداً الى زوسيموس اخترق الجيش قـرى سيتًا وميجيا وزراكارديا . وليس من المؤكد ما اذا كانت سيتًا وميجيا تقعان قبل عين النفط او بعدها . ويبدو ان اميانوس مارسلينيوس يضع ازوكاردانا التي تتطابق مع زرا كارديا التي ذكرها زوسيموس بعد العين مباشرة . وفي الامكان تحديد موضع قـرية سيتًا في خرائب الاسود على حافة سهل الزوية ، وموضع ميجيا في الخرائب الصغيرة غربي عين النفاطة ، وزراكارديا في صاري الحدّ . والى الجنوب الشرقي من الخربة الأخيرة ينبسط سهل عريض فيه عدد قليل من الترع الاروائية القصيرة ، وربما اختفى وراءاحدها جنود من الفرس والعرب كما يشير الى ذلك زوسيموس .

اما قـرية ماكبراكتا فايجادها أمر سهل لانها تقع ، استناداً الى اميانوس مارسلينوس (المصدر السابق ، حـ ١٤ ص ٢ : ٦) ، بالقرب من بقايا تحصينات كانت في الأزمنة الغابرة تحمي الامبراطورية الآشورية ضد هجمات معادية ، وكذلك لانه ليس بعيداً من هناك تفرعت اول قناة عريضة من الفرات . ان السور الذي يبدأ من خرائب أُم الروس ويمتد من الضفة اليسرى للفرات شمالاً حتى دجلة يمكن اعتباره بقايا التحصينات مدار البحث . وفضلاً عن ذلك ، فان القناة الكبيرة الأولى او فرع الفرات عندما ينحدر المرء مع المجرى ـــ القرمة وهي قناة تمّ تعميقها اصطناعياً في جزئها الاول فقط وتلتوي لأكثر من اربعة أخماس طولها مخترقة منخفض الخور ايضاً تبدأ قرب ام الروس . ولذا ففي الامكان تطابق هذه القـرية المخرّبة مع ما كبراكتا . اما قناة القرمة فلم تدع سابقاً نارملخا ، كما يذكر اميانوس مارسلّينوس ، لان نارملخا ،

كما نعلم من مصادر أخرى تشعبت من الفرات في موضع ابعد الى الجنوب الشرقي بمسافة كبيرة . ان ضفتي القرمة قرب الفرات شديدتا الانحدار وان القناة نفسها مليئة بالوحل الى حد كبير مما يجعلها صعبة العبور جداً ؛ ولكن على مسافة أبعد الى الشرق ، حيث تصبح الضفتان واطئتين ، يكون العبور سهلاً . وفي هذا الموضع ، ربما قرب خرائب الاشهابي الحالية ، استطاع الجنود الذين ارسلهم جوليان الى الضفة الجنوبية الخوض دون ان ينتبه اليهم أحد ومداهمة الفرس من وراء الاكمات الواطئة . بعد هذا عبر الرومان القناة وحاصروا حصن بريسابوراس (فيروزسابور) ، الانبار في يومنا هذا ، واستولوا عليه في يومين .

ومن بريسابوراس سار جوليان (المصدر نفسه ، ج ١٤ ص ٣ : ١٠) مسافة اربعة عشر ميلاً ووصل الى موضع كان من الضروري فيه اجتياز مستنقعات طبيعية ، واخرى مغمورة اصطناعياً ؛ واين هذه كانت ، استناداً الى زوسيموس ، تقع بلدة فيسينيا ، المحاطة بخندق عميق مليء بالماء من « النهر الملكي » المجاور الذي استخدم في اغراق المستنقعات ؛ويتبين من النص ان المؤلفين كليهما يصف المستنقعات ذاتها .

ان مسافة اربعة عشر ميلاً من الانبار (بيريسابوراس) توصلنا الى مدخل قناة دفّار الحالية . وهذا السهل المنخفض الواقع الى الجنوب الشرقي لا يزال يفيض عليه نهر الفرات بين حين وآخر مكوناً بحيرة او اخدوداً موحلاً يزيد طوله على خمسة عشر كيلومتراً وعرضه كيلومتر واحد .

وربما كانت بلدة فيسينيا ، التي يقول زوسيموس ان خندقها لم يملأ من الفرات مباشرة بل من « النهر الملكي » (باسيليوس بوتاموس ، او نار ملخا) ، متطابقة مع خربة عقر النعيلي الواقعة قرابة كيلومترين من الفرات على الضفة اليسرى لقناة قديمة .

وفي امكاننا ان نستنتج من اميانوس مارسلّينوس (المصدر السابق ج ١٤ ص ٣ : ١٤) ان الجيش استمر في سيره على الضفة اليسرى للفرات . ماراً بجزر

متعددة ، حتى جاء أخيراً الى منطقة كاد النهر العظيم يختفي فيها لمله ترعاً اروائية وقنوات كثيرة . ورغم ذلك فانه لا يذكر شيئاً عن طول هذه المسيرة ولا وقت مغادرة الجيش الفرات ثانية . وهنا يقدم لنا زوسيموس (المصدر السابق ، حـ٣ص١٩) بطريقة ما ، نوعاً من المساعدة وذلك بذكره بلدة احتلها الرومان . وكانت هذه بلدة « بثرا » ، التي لا تزال باقية الى يومنا هذا في مجموعةمن الخرائب (بترا) منبسطة على مسافة ستة كيلومترات اعتباراً من الكيلومتر ٢٢ الى ٢٨ جنوب شرقي عقر النعيلي (فيسينيا) على كلتا الضفتين اليمنى واليسرى للفرات . وكانت غالبية مدن الفرات القديمة تقع على الضفتين كلتيهما ، وكانت الضواحي تسمّى باسمائها ؛ وعلى هذا يمكن تحديد موضع بلدة بثرا التي ذكرها زوسيموس بخرائب بترا الواقعة بجانب ضريح ابراهيم الخليل . وعلى الجانب الشمالي من هذه الخرائب تفرعت قناة نار ملخا القديمة والكبيرة (نهر ملكي ؛ النهر الملكي عند بليني ، التاريخ الطبيعي ، حـ ٦ ص ١٢٠ ؛ نهر الملك عند العرب) من الضفة اليسرى للفرات وكذلك تشعبت قناة العلقمي ، وهي المعروفة بمارساريس في الازمنة القديمة ، من الضفة اليمنى قرب الخرائب . وبفضل قنوات اخرى اصغر حجماً وترع في هذه المنطقة تحوّل الماء من المجرى الرئيس بطريقة بحيث أدت الى ان يزداد النهر ضيقاً باستمرار حتى كاد يختفي في بعض الأماكن.

ولا يظهر أنّ بثرا التي ذكرها زوسيموس بما فيها من قصر ملكي ومبان واسعة ، هي نفس البلدة التي هجرها اهلوها اليهود بسبب وضعها المعرض للخطر الذي يشير اليه ميانوس مارسلّينوس (لمصدر السابق ، حـ ١٤ ص ٤ : ١) . أما عن موضع الاخيرة فلا نزال في شك مما اذا كانت تقع على الفرات او الى الداخل بمسافة بعيدة .

غادر الجيش الروماني نهر الفرات بعد بثرا مباشرة . ومن المحتمل ان السفن أبحرت على نارملخا وان الجيش تقدم بحذاء ضفته اليمنى . وكانت المسافة من بثرا الى دجلة عند طيسفون ثلاثة واربعين كيلو متراً . سار الجيش

اتجاه شرقي حتى حصن مايوزاملخا . واستناداً الى زوسيموس (المصدر السابق ، حـ٣ ص.ن٢٠) الذي لايذكر اسم الحصن فانه يقع بجانب بلدة بيسوخيس على مسافة تسعين سناداً من طيسفون . وتعني مايوزاملخا « حصن الملك ، او الحصن الملكي » ولنا ان نفترض انه سمّي هكذا لانه وقع على نارملخا . وعلى مسافة تسعين ستاداً ، او قرابة ثمانية عشر كيلو متراً غربي طيسفون نجد ركام خربة عند خان الزاد الحالي ، الواقع على الضفة اليسرى من نارملخا القديم .

وبعد مغادرة الرومان مايوزاملخا واصلوا سيرهم في اتجاه طيسفون مارّين ببناية فخمة على الطراز الروماني ثم اخترقوا منطقة محضورة لصيانة وصيد الحيونات محاطة بجدار عال تعود الى ملوك فارس إمتدت حتى قناة نارملخا . ان منطقة الصيد هذه دون شك تتطابق مع المتنزه الذي ذكره زينوفون (اناباسس ، حـ٢ ص٤ : ١٤) والواقع على قناة كبيرة بالقرب من بلدة سيتاس .

وباجتياز الرومان منطقة الصيد ضربوا خيامهم قرب بلدة ذات حصن عالٍ لم يذكر اميانوس مارسلّينوس اسمه . الا انه استناداً الى زوسيموس (المصدر السابق ، حـ٣ ص٢٣) كان يدعى ميّناس سباثا (ووردت ميناس) وكان يبعد حوالي ثلاثين ستاداً ، او ستة كيلو مترات من زوخاسة ، وهي جزء من مدينة سلونية المهدمة . اما اميانوس مارسلينوس (المصدر السابق ، حـ٤ ص٥ : ٣) فيضع الحصن قرب كوخة ، وهي ايضاً جزء من سلوقية . وبعد مقاومة عنيدة تمّ الاستيلاء على على حصن سباثا وأضرمت النيران فيه ، ومن المحتمل ان القوارب الرومانية أبحرت على نارملخا الى ما وراء سباثا ، وهي خربة المنيّر الحالية . وفي هذا الموضع يستدير نارملخا باتجاه جنوبي بزاوية تكاد تكون قائمة ويجري حول خرائب سلوقية ثم يختفي في فروع لا تحصى هناك .

ولا يؤكد اميانوس مارسلّنيوس ان تراجان وسفيروس أمرا بحفر نارملخا بأكمله من الفرات الى دجلة ، كما انه لايؤكد ان الفرس أمروا بعرقلة الملاحة فيه فيه بأكمله وذلك بوضع جلاميد صخرية كبيرة . ومن المحتمل انه لايشير إلا الى فرع موصل طوله ستة كيلو مترات يؤدي من سباتا شرقاً مباشرة الى دجلة . وكان هذا هـو الفرع الذي اعطى للاسطول الروماني الصغير حرية الوصول ليس الى دجلة فحسب بل والى سلوقية وطيسفون ايضاً . وكان تراجان وسفيروس قد امرا قبل ذلك بتعميقه الا ان الفرس اغلقوه بسد عظيم . ان جوليان بتدمير هذا السد سيمكن القوارب من الوصول الى دجلة دون عائق ؛ وعلى ذلك فانّ عبور جيشه الى الضفة اليسرى لدجلة وزحفه الى طيسفون المجاورة سيصبح امراً سهلاً . وبقيام الفرس بطمر الفرع الموصل بين القناة والنهر فمن المحتمل انهم كانوا لايأملون منع قوارب العدو من دخول دجلة فحسب بل إنهم كانوا يأملون الاحتفاظ بماء نهر الملك للمنطقة المجاورة الواقعة الى الغرب من سلوقية .

وتنفيذاً لامر جوليان تمت ازاحة العائق الصخري وتدفق الماء من نهر الملك مما مكّن القوارب الرومانية من الوصول الى دجلة . ثم قام الجيش الذي اتخذ موضعه على الضفة اليمنى نهرالملك بعبوره على جسور وتقدم الى دجلة ايضاً ، الى الشمال من بلدة كوخة المجاورة . وكانت هذه البلدة التي لم يدخلها الرومان ، على الضفة اليسرى لنهر الملك مقابل طيسفون وتبعد حوالي ثلاثين ستاداً او ستة كيلو مترات من سباتا .

هذا وعرف بليني (التاريخ الطبيعي ، ج٦ ص١٣٢) بوجود بلدة سباتا وو ردت بصيغة سبداتا الا انه لم يوفق الى تحديد موقفها بالضبط .

ويذكر ابو الفضائل (في مراصد الاطلاع [يوينبول] ، مجلد ٢ ، ص١) ان بلدة ساباط قرية كانت قريباً من المدائن عندها قنطرة كانت على نهر الملك . وكأن القرية سميت بالقنطرة لانها ساباط

(عبور ، ارتباط ، حلقة وصل- ساباط) ويتفق موضع ساباط كسرى كلياً مع موقع بلدة سباثا التي نحن بصددها . وكذلك لاتقع سباثا بعيدة عن المدائن (اي سلوقية القديمة وطيسفون) الواقعة على نهر الملك (نارملخا القديم) ، وكما يبدو من عبارات زوسيموس واميانوس مارسلّينوس فانها تقع على الضفة اليمنى من هذه القناة على بعد ثلاثين ستاداً ، او ستة كيلو مترات ، من كوخة ، التي شكلت جزءاً من المدائن . واستناداً الى هو فمان ، مقتطفات(١٨٨٠) ، ص ١١٠ فقد أُرسل الشهيد كيوركيس الى ماحوزى وسجن في قلعة دعيت بـ (اكرائض خوخي وتعني ماحوزى في الارامية نفس ماتعنيه المدائن العربية ، وخوخى هي كوخه الكلاسيكية . واحدد موضع سباثا في خرائب المنيّر الحالية ، التي تبعد نحو خمسة كيلو مترات الى الشمال الغربي من تل عمر (كوخة القديمة) وعلى بعد ٥ ، ٥ كيلو مترات من دجلة .

* * *

الملحق الخامس

الطرق البريــة على الفرات الاوسط وفقاً للمراجع العربية

الطرق من بغداد الى الكوفــة

كان الطريق من بغداد الى الكوفة ذا اهمية كبيرة في العهد العربي . وبما انه يشكل جزءاً من طريق الحج الكبير الى المدينة ومكة فقد ورد وصفه كثيراً ؛ ومع ذلك فان اقوال الكتّاب المتقدمين لاتتفق بعضها مع بعض ، كما لاتتفق مع الحقائق الواقعية .

ويقدر ابن خرداذبه في المسالك (دي خويه ، ص ١٢٥) المسافة من بغداد الى الكوفة بـ ٣١ فرسخاً ؛ وبما ان المسافة الحقيقية هي ١٤٦ كيلو متراً ففي الامكان اعتبار ٧ ، ٤ كيلو مترات كمعدل (انظر ماسبق ص ٥٢) لطول الفرسخ عند ابن خراداذبة ؛ على انه في حالات أخرى نحصل من مقارنة المسافات المعلومة مع تلك التي يعطيها ابن خرداذبة على خمسة كيلو مترات في الأقل كمعدل للفرسخ الواحد (انظر مايلي ص ٨٣) . فعلى الاساس الأخير يجب الا نتوقع اكثر من ٢٨ او ٢٩ فرسخاً بين المدينتين . وفي المناقشة التالية اعتبرنا ٥ كيلو مترات معدلاً للفرسخ فيما عدا الحالات الموضح فيها خلاف ذلك.

ذكــر ابن خرداذبة المسافة من بغداد الى قصر ابن هبيرة على انها اثنا عشر فرسخاً . إنني احدد البلدة الأخيرة في الخرائب المجاورة لضريح السيد ابراهيم الصغير ، على مسافة ٦٢ كيلو متراً او ما يقارب اثني عشر فرسخاً ، جنوبي بغداد .

ويذكر اليعقوبي ، في البلدان (دي خويه) . ص ٣٠٨ والصفحة التي التي تليها) ان المسافة من بغداد الى الكوفة هي ٣٠ فرسخاً ؛ ولهذا يكون

الفرسخ استناداً اليه ٩ ، ٤ كيلو متراً ؛ ويذكر ان المسافة الى قصر ابن هبيرة هي ١٢ فرسخاً .

امـــا ابن رسته ، فيذكر في الاعـــلاق النفيسة (دي خويه) ، ص ١٧٤) ان المسافة من بغداد الى قصر ابن هبيرة هي ١٢ فرسخاً،ومن هناك الى الكوفة ٢٠ فرسخاً . ولكن في الواقع ا ن المسافة من قصر ابن هبيرة الى الكوفة لا تزيد على ١٦ فرسخاً .

وفي اماكن اخرى يذكر ابن رُسته (المصدر السابق ، ص ١٨٢) المسافات بالأميال (٣ لكل فرسخ) : من بغداد الى قصر ابن هبيرة ٣٦ ميلاً او فرسخاً ؛ ومنها الى الكوفة ٥٧ ميلاً أو ١٩ فرسخاً ، وهي اكثر مما يلزم .

ويذكر قدامة ، في الخراج (دي خويه) ، ص ١٨٥) أن المسافة من بغداد الى قصر ابن هبيرة هي ١٢ فرسخاً ، و منها الى الكوفة هي ٧١ فقط ؛ وفي الجملة ٢٩ فرسخاً ؛ وهذا اكثر اتفاقاً مع الواقع .

ويسجل الهمداني ، في صفة جزيرة العرب (ملر) ، ص ١٨٥) من بغداد الى قصر ابن هبيرة ٣٦ ميلاً ، او ١٢ فرسخاً ، ومن هناك الى الكونة ٤٦ ميلاً فقط ، او ١٥ فرسخاً زائداً ميلاً واحداً ؛ وفي الجملة ٢٧ فرسخاً وميلاً واحداً . وتبدو بيانات الهمداني أقرب الى الصواب مما ورد في الكتابات الأخرى .

ويذكر ابن خرداذبه في نفس الموضع ، ان المسافة من بغداد الى جسر كوثى (جسر قوارب كوثى) هي ٧ فراسخ ؛ ومنه الى قصر ابن هبيرة ، ٥ فراسخ ؛ ومنه الى سوق أسد ، ٧ فراسخ ؛ ومنه الى شاهي ، ٧ فراسخ ؛ ومنه الى الكوفة ، ٥ فراسخ ؛ والمجموع : ٣١ فرسخاً . احدد موضع جسر كوثى في خرائب ام سفوع ،وهي تبعد ٣٧ كيلو متراً من بغداد ، وهي مسافة تتطابق مع ٧ فراسخ اذا قسنا المسافة من البوابة الخارجية لبغداد القديمة . وفي الامكان تتبع السدود الضخمة لقناة كوثى من ام سفوع الى مسافة بعيدة . ومن هناك الى ضريح السيد ابراهيم ،

او قصر ابن هبيرة ٢٥ كيلو متراً او ٥ فراسخ . ومن هذا المكان الى الكوفة ٨٠ كيلومتراً او ١٦ فرسخاً فقط ، وليس ١٩ الذي هو المجموع الكلي الذي اورده ابن خرداذبه . وعلى كل حال ، فان بيانات ابن خرداذبه تجعل من الصعب علينا ان نقرر اي المسافات المشتركة في هذا المجموع صحيحة واي منها غير صحيحة ؛ كما انه ليس في مقدورنا التأكد من موقعي محطتي سوق أسد وشاهي . ويحدد مؤلفون عرب آخرون موضع شاهي على الضفة اليسرى للفرات بجانب المخاجفة وجسر القوارب في بلدة الكفل الحديثة ، ٢٥ كيلومتراً شمالي الكوفة .

ويقدر اليعقوبي ، في نفس الموضع ، عدد الفراسخ من بغداد الى الكوفة بثلاثين ويقسم هذا الامتداد الى ثلاث محطات . وكانت المحطة الاولى حتى بلدة قصر ابن هبيرة ١٢ فرسخاً من بغداد وقرابة الميلين فقط من الفرات الأصلي . وهنا يعبر النهر على جسر قوارب ، يدعى جسر سورا . ومن هناك تؤدي المسيرة الثانية الى بلدة تدعى سوق أسد غربي الفرات في منطقة الفلوجة الادارية . وكانت المسيرة الثالثة من سوق أسد الى الكوفة . ويعتبر اليعقوبي الفرع الذي يجري بجانب بابل والحلة على انه الفرات الأصلي وهو لا يعطينا اطوال المسيرتين الثانية والثالثة .

وفيما يلي الارقام التفصيلية التي قدمها ابن رُسته في المصدر السابق (ص١٧٤)

من بغداد الى جسر قوارب كوثى ، ٧ فراسخ ؛
ومن جسر كوثى الى قصر ابن هبيرة ، ٥ فراسخ ؛
ومن ثم الى سوق أسد ، ٦ فراسخ ؛
ومن ثم الى شاهي ، ٧ فراسخ ؛
ومن شاهي الى الكوفة ، ٧ فراسخ : —

ان مسافات ابن رسته بين المحطات جنوبي قصر ابن هبيرة تختلف عما ورد في ابن خرداذبه .

هذا وسجل ابن رسته تقاصيل اضافطية تتعلق بهذا الريق في النص الثاني الذي اشرنا اليه (المصدر نفسه ، ص ١٨٢) :

من بغداد الى جسر نهر صرصر ، ١٠ أميال ؛
ومن ذالك المكان الى نهر الملك ، ٧ أميال ؛
ومنه الى نهر كوثى ، ٤ أميال ؛
ومنه الى بز يقياء ، ٦ أميال ؛
ومنه الى قصر ابن هبيرة ، ٩ أميال ؛
ومنها الى جسر سوران ، ميلين ؛
ومنه الى ذمّاد (او ذمّار) ، ٩ أميال ؛
ومنه الى سوق أسد ، ٧ أميال ؛
ومنه الى اليعقوبية ، ٤ أميال ؛
ومنه الى القناطر ، ٧ أميال ؛
ومنه الى شاهي ، ١٠ أميال ؛
ومنه الى الكوفة ، ١٨ ميلاً .

ان المسافة من بغداد الى جسر نهر صرصر ، او جسر القوارب على قناة صرصر (تل الأبيض) ، هي ١٠ أميال ، او ما يقارب ١٧ كيلو متراً . والرقمين التاليين ، اللذين يمثلان المسافة من جسر صرصر الى نهر الملك (٧ أميال) ومن هذا المكان الى نهر كوثى (٤ أميال) ، قد تحولا من مكان الى آخر . ان المسافة من جسر صرصر (الأبيض) الى نهر الملك بجوار خرائب الدير هي حوالي ٨ كيلو مترات ، وهي توازي ٥ أميال تقريباً . ومن ذلك المكان الى نهر كوثى بالقرب من خرائب امّسفوع ١٣ كيلو متراً ، او ما يقارب ٧ أميال . ان مسافة ستة أميال ، او عشرة كيلو مترات ، من امّ سفوع توصلنا الى مزرعة الهراوي التي نطابقها مع بزيقياء ؛ ومن هنالك توصلنا ٩ أميال، او ما يقارب ١٥ كياو متراً الى الخرائب الواسعة بجوار ضريح السيد ابراهيم

الصغير ، حيث كانت تقع بلدة قصر ابن هبيرة القديمة . ويمكن البحث عن جسر قوارب سورا الذي يبعد ميلين على الجانب الأيسر بالقرب من مدخل قناة المحاويل الحديثة . ويُحدث الفرات هناك انعطافاً كبيراً برغم ان هذا المنعطف لا يبدو أنه يعود الى فترة زمنية طويلة . ان تحديد مواقع اية محطات اضافية من سجلات ابن رستة وحده غير ممكن .

من بغداد الى جسر كوثى على نهر الملك ، ٧ فراسخ ؛
ومن ذلك المكان الى قصر ابن هبيرة ، ٥ فراسخ ؛
ومنه الى سوق أسد ، ٧ فراسخ ؛
ومنه الى شاهي ، ٥ فراسخ ؛
ومنه الى الكوفة ، ٥ فراسخ . —

وغير صحيح ان جسر كوثى كان يعبر نهر الملك . فلعل الكلمات « على نهر الملك تسربت الى النص من ملاحظة هامشية ترجع الى بعض المحطات الأخرى . ان سبعة فراسخ ، او تقريباً ٣٥ كيلو متراً ، من قصر ابن هبيرة (قرية السيد ابراهيم الحديثة) تؤدي بنا الى شرق قرية غضبان الحديثة ، التي ربما كانت موقع محطة سوق أسد . ان مسافة ٥ فراسخ ، او ٢٥ كيلو متراً ، من ذلك المكان الى شاهي تجعل محتملاً ان نبحث عن شاهي بالقرب من بلدة الكفل على بعد ٢٥ كيلو متراً او ٥ فراسخ من الكوفة .

ويعطي الهمداني (الموضع نفسه) ، خط عرض بغداد على انه ٩° ٣٣° والمسافة من هناك الى قصر ابن هبيرة ، التي تقع على خط عرض ٣٠° ٣٢° ٣٦ ميلاً . ويعطي ايضاً المسافة من قصر ابن هبيرة الى القناطر (على خط عرض ١٠° ٣٢°) على انها ٢٤ ميلاً والمسافة من هناك الى الكوفة على انها ٢٢ ميلاً .—
وعند تحويل هذه المسافات الى فراسخ نحصل على :

من بغداد الى قصر ابن هبيرة ، ١٢ فرسخاً ؛

ومن هناك الى القناطر ، ٨ فراسخ ؛

ومنها الى الكوفة ٧ فراسخ زائداً ميلاً واحداً .

ان تحديد موقع القناطر عند خرائب البريس تؤكده سجلات أخرى . ان مسافات الهمداني التي تدعمها خطوط العرض المذكورة تتفق مع المجموع الكلي البالغ ٢٧ فرسخاً زائداً ميلاً واحداً ، او ٨٢ ميلاً .

وبما ان المسافة الحقيقية هي ١٤٦ كيلو متراً ، مع افتراض ان الهمداني لم يقع في خطأ في مجموعه الكلي ، ففي الامكان تبني ٧٩ . ١ كيلو متراً على انه الطول المعدل للميل الواحد عند الهمداني و ٣٧ ، ٥ كيلو متر للفرسخ عنده

ويذكر ابن حوقل ، في مسالكه (دي خويه) ، ص ١٦٦) أنه«بين بغـــداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز تخترقه انهار مما يلي الفرات فاولها مما يلي بغداد نهر صرصر ، عليه مدينة صرصر تجرى فيه السفن ، وعليه جسر من مراكب يعبر عليه ، ومدينة صرصر عامرة بالنخيل والزروع وسائر الثمار صغيرة من بغداد على ثلاثة فراسخ ثم ينتهي على فرسخين الى نهر الملك ، وهو كبير ايضاً اضعاف نهر صرصر من غزر مائه ، وعليه جسر من سفن يعبر عليه .

ثم ينتهي الى قصر ابن هبيرة . وهي بقرب نهر الفرات الذي هو العمود ، ويطلع عليها هناك عن يمين وشمال انها مفترقة ليست بكبار ، الا انها تعمهم لحاجتهم وتقوتهم ، وهي اعمر نواحي السواد ثم ينتهي الى نهرسونا وهي مدينة مقتصدة ونهر كثير الماء ، وليس للفرات شعبة اكبر منه .

ولعل بلدة صرصر ، الواقعة على بعد ثلاثة فراسخ من بغداد ، تتطابق مع خرائب الأبيض . والنقطة التي كان يُعبر منها نهر الملك على جسر القوارب وهي على مسافة لا تزيد على الفرسخين من صرصر يمكن البحث عنها عند نيشان الدير .

ويعطي المقدسي ، في (احسن التقاسيم) (دي خويه) ،ص١٣٤] هذه التفاصيل :

من بغداد الى نهر الملك ، مرحلة واحدة ؛
ومنه الى القصر ، مرحلة واحدة ؛
ومنه الى حمّام ابن عمر ، مرحلة وحدة ؛
ومنها الى الكوفة ، مرحلة واحدة :

وكانت مرحلة اليوم الأول من بغداد الى نهر الملك حوالي خمسة وعشرين كيلومتراً . اما المراحل التي تلتها ، كما سنرى فيما بعد ، فكانت حوالي اربعين كيلومتراً للمرحلة الواحدة . ان هذا السجل هام جداً لانه يجعلنا قادرين على تحديد موقع حمّام ابن عمر وفي الوقت ذاته تحديد اتجاه مجرى نهر النرس الذي يتفرع عند مدينة الحلة الحديثة . اذ تقع محطة حمّام ابن عمر على الطريق الرئيس بين القصر (وهو قصر ابن هبيرة دون ريب) والكوفة ، وهو على التحقيق طريق كان خالياً من انعطافات كبيرة . ومن المحتمل اننا لا نخطئ كثيراً في تحديد موضع حمّام ابن عمر في نحو منتصف الطريق بين قصر ابن هبيرة والكوفة الى الجنوب او الجنوب الغربي من الحلة . ودعماً للموضع الذي هو الى الجنوب الغربي من الحلة وليس جنوبها يمكننا ان نذكر مسافات مرحلة واحدة من حمّام ابن عمر الى كل من قصر ابن هبيرة والكوفة . كان جسر القوارب على نهر الملك على بعد مرحلة واحدة من القصر ، ويقع الجسر فعلاً على مسافات تقارب اربعين كيلومتراً الى الشمال من القصر . ومن القصر الى الكوفة مرحلتان ؛ وبما ان هذه المسافة كانت بالحقيقة ٨٢ كيلومتراً فان المرحلة الواحدة في هذه الحالة ايضاً تكون حوالي اربعين كيلومتراً . فاذا حسبنا مسافة اربعين كيلومتراً من القصر نأتي الى خرائب البريس جنوب غربي الحلة . وبهذا يحدد موضع حمّام ابن عمر جيداً بدرجة كافية ، ويرينا مجرى نهر النرس التي يقول عنه ابن سيرابيون ، في العجائب ، (مخطوطة المتحف البريطاني) ، ورقة ٣٤ يمين وما بعدها ، (لو سترنج) ص ١٦ وما بعدها ،) انه كان يأخذ من سورا الأسفل -- او استناداً الى آخرين ، من الفرات – عند

الجامعين القديمة ، اي الحلة الحديثة ، ماراً بحمّام ابن عمر .

ومما لا شك فيه ان محطة حمّام ابن عمر ، مطابقة لمحطة القناطر (الجسور) التي اشار اليها ابن رسته والهمداني . ومن المحتمل ان جسوراً مبنية بالآجر إمتدت فوق نهر النرس وبعض فروعها اسفل من حمّام ابن عمر .

ويكرر الادريسي (في النزهة ، حـ ٤ ص ٦) عبارات ابن حوقل مع تغييرات قليلة فقط . فيجعل المسافة من قصر ابن هبيرة الى بغداد ثلاث مراحل خفيفة ويقصد بذلك مراحل طول كل واحدة منها حوالي واحد وعشرين كيلومتراً ، او المسافة التي يستطيع جمل محمل حملاً ثقيلاً تغطيتها في يوم واحد .

غادر ابن جبير (الرحلة [دي خويه] ، ص ٢١٢ والصفحة التي بعدها) الكوفة مع قافلة الحاج في الصباح الباكر ووصل قبل الظهر بقليل الى نهر آخذ من الفرات الذي كان يجري على مسافة نصف فرسخ تقريباً شرقي الكوفة . وبعد ان واصلوا رحلتهم قضوا الليلة قرب بلدة الحلة التي دخلوها في الصباح . وكانت الحلة تقع على الضفة الغربية للفرات : فعبروا على جسر قوارب ، ثم خيّموا على مسافة تقارب فرسخاً واحداً من البلدة . وعند استئنافهم الرحلة حوالي الساعة التاسعة ساروا فوق جسر قوارب على نهر النيل الذي تفرع من الفرات ، وعند كل ميل تقريباً كانوا يصلون الى جسور من الآجر ممتدة على قنوات اروائية متنوعة . وقبل غروب الشمس ضربوا الخيام في بلدة في القنطرة ، او حصن بشير ، كما كانت تدعى ايضاً . ثم وصلوا الى بلـــدة الفراش ، وفي المساء الى بلـــدة زريران التي كان جزؤها الشرقي يرى من دجلة والغربي من الفرات . ومقابلها الى الشرقي برز ايوان كسرى :.

ولم يحقق ابن جبير في التفاصيل عن اسماء القرى والقنوات المختلفة ولهذا يصعب متابعته . فمن الصباح الباكر وحتى منتصف النهار تقريباً من اليوم الأول من المؤكد ان قافلة الحاج لا بد ان قطعت خمسة وعشرين كيلومتراً ، وهكذا وصلت الى بلـــدة الكفل . ومن المحتمل ان تتطابق القناة الآخذة من

الفرات والتي بمحاذاتها ، على ما يبدو ، تقدمت القافلة الى الحلة ، مع نهر النرس . ان ابن جبير يطلق اسم الفرات ليس فقط على الفرع الذي يجري قرب الكوفة بل ايضاً على الفرع القريب من الحلة . ومن الحلة سلك الطريق في اغلب الاحتمال مساراً مستقيماً الى ايوان كسرى ، طيسفون القديمة ، وبما ان ابن جبير لم يذكر بابل على الاطلاق ، فمن الواضح انه بقي الى الشرق منها .

ذهب ابن بطوطة ، التحفة (دفر يميري وسانكونيتي ، مجلد ٢ ص ص ٩٦ — ١٠٠)من الكوفة مخترقاً بر ملاّحة ، وهي بلدة جميلة تكادتكون مختفيةبين بساتين النخيل ، الى الحلة . وهنا كان الأهلون منقسمين الى فريقين متخاصمين ، الاكراد وأهالي الجامعيّين . وكان جسر قوارب يؤدي الى الجانب الآخر من الفرات . ومن الحلة زار ابن بطوطة كربلاء ولم يذهب الى بغداد الا فيما بعد . وكانت البلدة الصغيرة بر ملاّحة تقع على الطريق الرئيس من الكوفة الى الحلة ، الا انه من الصعب تحديد موقعها على الوجه الصحيح . ولابد ان (الجامعيّين) ، وهوالاسم الأصلي لمدينةالحلة الحديثة ، كان اسماً متداولاً حتى منتصف القرن الرابع عشر . ومما يؤسف له ان ابن بطوطة لم يصف بتفصيل اوسع رحلته من الكوفة الى الحلة ، او من هذا المكان الى كربلاء

ويذكر حاجي خليفة ، في (جهان نامة القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ ، ص ٤٧٠) ، ان الطريق من بغداد الى النجف يمر بـ (تل صرصر) وتل فراشر ، وشط النيل والكوفة . وبحاول نهاية القرن السابع عشر اخترق طريق الحاج هذه المنطقة في نفس الاتجاه الذي يتبعه الطريق الحالي تقريباً . ويمكن البحث عن تل فراشر (او بالأحرى ، النراشر) شمالي شط النيل ، الذي تفرع من الفرات ، او سُورا الأسفل ، شنا، بابل .

ويذكر نيبور ، في كتابه وصف الرحلة (كوبنهاكن ، ١٧٧٩ — ١٨٣٧ ، المجلد ٢ ص ٢٩١) ، انه في ٥ كانون الثاني (يناير) ، ١٧٦٦ م خرج راكبا من الحلة الى بغداد في اتجاه يكاد يكون شمالياً . وفي اربع ساعات وصل الى

مهافية ؛ ومنها استغرق اربع ساعات في الوصول الى سكندريه ؛ ومنها وصل بثلاث ساعات الى بير ونس ؛ ومنها بثلاث ساعات الى خان السد ومنها باربع ساعات الى بغداد . وكان في كل من هذه المدن خان كبير . وتقع الى الشرق من مهافية بادة تحمل الاسم نفسه وبين (بير و نس) وخان السد هناك قرية المحمودية التي اسستها قبل سنوات قليلة فقطعادلة خاتون ، زوجة سليمان باشا . اما بقية المنطقة فكانت مقفرة تماماً .

اما مهافية فقد نقلت محرّفة عن محاويل . وسكندريه هي خان الاسكندرية الحديث وخان السد هو خان الزاد الحديث . اما المسافات فعلى احسن تقدير صحيحة تقريباً . ويقع خان المحاويل في منتصف الطريق تقريباً بين الحلة وخان الاسكندرية ، على بعد سبعة وعشرين كيلو متراً عن كل منهما . ان المسافة من خان الزاد الى بغداد هي ثلاثة وعشرون كيلو .متراً . و (بير يونس) يمكن مطابقته فقط مع خان البيض المهجور في منتصف الطريق بين خان الاسكندرية وخان الزاد ، والمسافة عن كل منهما هي اثنا عشر كيلو متراً ، رغم ان نيبور يجعلها ثلاث ساعات باعتبار سبعة كيلو مترات في الساعة تارة واربعة كيلو مترات في الساعة تارة أخرى . وتقع محمودي (المحمودية) على القناة التي تحمل الاسم نفسه بين خان الزاد وخان البيض .

الطريق من بغداد الى الشام

يسمي الطبري ، (التاريخ (دي خويه) ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٧٥) الطريق الممتد بمحاذاة ضفتي الفرات اليمنى واليسرى من الكوفة الى الشام بطريق الفراض (طريق المخاضات) ربما لانه ربط بين المخاضات المتنوعة ونقاط العبور على الفرات . وله اسمان آخران وهما طريق الشام وطريق الفرات (المصدر نفسه ، السلسلة ٣ ، ص ص ٢٢٣٧ و ما بعدها وص ٢٢٧٨) .

بعد معركة صفين ، سنة ٦٥٧ م ، لم يزحف جيش علي (ع) (المصدر نفسه ، السلسلة ١ ، ص ٣٢٤٥) بمحاذاة الضفة اليسرى كما فعل في مجيئه ، بل اخترق الصحراء وبحذاء الضفة اليمنى الى هيت ومن هناك من الطريق صندوداء والنُخيلة الى الكوفة . -- وربما ادى هذا الطريق من صفين (ابو هريرة) من طريق الرصافة ، ابا -- ل -- جير والكوائل الى الفُرضة (الصالحية) ومن هنا بحذاء الفرات من طريق هيت وصندوداء (المشيهد او الرمادي) مباشرة خلال الصحراء الى النُخيلة (خان ابن نخيلة) ، وبعدها سرعان ما ظهرت خيام الكوفة وبيوتها .

وفي أيام العباسيين تمّ مسح الطريق الرئيس المؤدي من بغداد عن طريق هيت الى الرقة ومن ثم الى سوريا بصورة مضبوطة وجُهز باماكن للتوقف . ويسجل الجغرافي العربي ، الخوارزمي ، في أقدم عبارة محفوظة لدينا في كتابه صورة الارض (محفوظة ستراسبورك) ، ورقه ٤٢ المقابل) ، هذه المدن على الفرات : قرقيسياء ، عانات في وسط النهر ، حديثة عانات ، الناووسة وصف ابن خرداذبه الطريق من بغداد الى الرقة آلوسا ، هيت ، والانبار.

اما ابن خرداذبه ، في المسالك (دي خويه) ص ص ٧٢ وما بعدها) ، فلا يعدّد المحطات الفردية فحسب ، بل يعطي المسافات كذلك . من بغداد الى السيلحون ٤ فراسخ ؛ ومنها الى الأنبار ، ٨ فراسخ ؛ ومنها الى الربّ ، ٧ فراسخ ؛ ومنها الى هيت ، ١٢ فرسخاً ؛ ومنها الى الناووسة ، ٧ فراسخ ؛ ومنها الى آلوسا ، ٧ فراسخ ؛ ومنها الى الفحيمة ، ٦ فراسخ ؛ الى النهية ، ١٢ فرسخاً خلال الصحراء ؛ ومنها الى الدازقي ، ٦ فراسخ ؛ ومنها الى الفرضة ، ٦ فراسخ ؛ ومنها الى وادي سباع ، ٦ فراسخ ؛ ومنها الى خليج بني جُميع ، ٥ فراسخ ؛ ومنها الى النامش مقابل قرقيسياء ، ٧ فراسخ ؛ ومنها الى نهر سعيد ، ٨ فراسخ ؛ ومنها الى الجردان ، ١٤ فرساً ومنها الى المبارك ،

١١ فرسخاً ؛ ومنها الى الرقة ، التي سمّاها الاغريق قالا نيقوس، ٨ فراسخ .—

ما هو الرقم العملي الذي في امكاننا تبنيه (انظر ماسبق ص ٧٥) لتحديد طول الفرسخ عند ابن خرداذبة ، فهو يحسب المسافة من بغداد الى الأنبار اثني عشــر فرسخاً ؛ وهــي في الواقع ٦٢ كيلو متــراً ؛ فيكون ؛ الفرسخ الواحد في هذه الحالة مساوياً الى ما يزيد على الخمسة كيلو مترات بقليل . ويبدو ان هذه النسبة تنطبق جيداً على كل ارقام ابن خرداذبه كما سنرى من الفحص التفصيلي التالي للبيانات التي قدمها . وهنا يُحتسب الفرسخ خمسة كيلو مترات الا اذا جاء في النص خلاف ذلك .

انه يحسب المسافة مــن بغداد الى السيلحين (سالحين الحديثة) اربعة فراسخ ؛ اما قياسي لها فهو ٢٦ كيلو متراً او خمسة فراسخ في الأقل.

ويحسب المسافة من السيلحين الى الأنبار ٨ فراسخ ، وهي في الحقيقة ٣٦ كيلو متراً او حوالي ٧ فراسخ .

ويحسب المسافة من الأنبار الى الربّ (الشيخ حديد الحديثة مقابل الرمادي) ٧ فراسخ ؛ وانا عددتها ٣٦ كيلو متراً ؛ وهو مايتفق مع قياسه .

ويعد المسافة من الربّ الى هيت ١٢ فرسخاً ؛ وهي في الحقيقة ٥٠ كيلو متراً ، او عشرة فراسخ في الاكثر . ولا يذكر ابن خرداذبه ما اذا امتد الطريق من الربّ بمحاذاة الضفة اليمنى أم اليسرى للفرات .

ويعتبر المسافة من هيت الى الناووسة ٧ فراسخ . وتقع محطة او مكان توقف الناووسة على جزيرة في منعطف للفرات ، والمسافة من هيت بحذاء بحذاء الضفة اليمنى هي ٣٥ كيلو متراً ، او ٧ فراسخ . اما بمحاذاة الضفة اليسرى فتكون المسافة ٤٥ كيلو متراً في أقل تقدير ، وهو مالا يتفق مع المسافة التي اعطاها ابن خرداذبه . وفي رأيي عندما يسير المرء متجها نحو سوريا فان الطريق يعبر الى الضفة اليمنى في مكان ما أعلى من هيت ، عند المخاضة القديمة بالقرب من جزيرة الفليوي الصغيرة الحالية ؛ وبقي الطريق

اسفل من هيت على الضفة اليسرى تحاشياً لصعود العُقبة الوعرة .

ويحسب ابن خرداذبه المسافة من الناوسة الى آلوسا (آلوس الحديثة) ٧ فراسخ ؛ وهي في الحقيقة ٢٨ كيلو متراً فقط بمحاذاة الفرات و ٢٥ كيلو متراً بخط مستقيم ، او ٦ فراسخ في الاكثر .

ويحسب المسافة من آلوسا الى الفحيمة ٦ فراسخ ؛ وهي في الحقيقة ٣٥ كيلو متراً ، او ٧ فراسخ . وربما استبدلت هذه المسافة بالمسافة التي سبقتها . اذ ان المسافة بحذاء الضفة اليسرى من آلوس الى الفحيمي الحديثة تكون ٥٤ كيلو متراً في الأقل ، او ١١ فرسخاً — وهذا دليل آخر على ان الطريق الرئيس اتبع الضفة اليمنى .

في مخطوطة B في اوكسفورد (انظر ابن خرداذبه ، المصدر السابق ص ٧٢ ، ملاحظة K) قد اضيفت ملاحظة بين آلوسة » و « الفُحيمة » نصها « الى الداري ، ستة فراسخ » ان هذه الملاحظة لاعلاقة لها مطاقاً بالسياق المباشر وربما نشأت من تحريف كلمة « الدازقي » عند الكتابة ، او من أي اسم كان يطلق على المحطة التي تأتي بعد النهية . وهذا اول تصريح نحصل عليه بهذا الصدد يشير الى ان نص ابن خرداذبة لم يحفظ لنا بشكله الأصلي .

ويعطي ابن خرداذبه المسافة من الفحيمة خلال الصحراء الى النهية على انها ١٢ فرسخاً . ان المسافة الحقيقية الى النهية بمحاذاة الفرات بطريق عانة هي ٦٠ كيلو متراً (١٢ فرسخاً) ، بينما تبلغ المسافة بطريق مباشر خلال الصحراء ٥٠ كيلو متراً فقط ، او ١٠ فراسخ . ويظهر ، على كل حال ، ان المسافرين اعتادوا السفر بحذاء الفرات وليس من خلال الصحراء وان محطة واحدة بين الفحيمة والنهية قد حذفت . ويظهر ان الدليل على هذا الحذف قد توفر بادخال الاشارة الى الفراسخ الستة « الى الداري » في مخطوطة B ، التي ربما تمثل المسافة التي كان ينبغي ذكرها باعتبارها المسافة من الفحيمة الى بلدة عانه الحالية .

ويعطينا ابن خرداذبه المسافة من النهية الى « الدازقي » على انها ٦ فراسخ ولا نعرف الاسم الصحيح لهذه المحطة . فمخطوطة B (المصدر نفسه ، ص٧٣ ، ملاحظه C) تعطي « الداري » ؛ وقدامة ، في الخراج (دي خويه) ، ص ٢١٦) يعطي « الدواقي »او « الدوامي » ؛ والادريسي (المصدر ح٤ ، ص٦) يعطي « الدرافي » ؛ او كما ترجمها جوبير (المجلد ٢ ، ص ١٤٥) « دورقي » . ان المحطات التي عدّدناها حتى الآن توضح ان المسافرين في زمان ابن خرداذبة توقفوا على الاغلب حيث يتوقفون اليوم تماماً . ولذا يمكن تحديد موضع محطة الدازقي ، او مهما كان اسمها ، عند مكان توقف القائم الحالي ؛ ولكن هذا يبلغ ٣٥ كيلو متراً ، او ٧ (وليس ٦) فراسخ ، من النهية .

ويعطي ابن خرداذبه المسافة من الدازقي الى الفرضة على انها ٦ فراسخ . ان اسم محطة الفرضة غالباً ما يذكره المؤلفون السابقون ، ومع ذلك فلا يذكره ياقوت او ابو الفضائل . والاسم ذاته يعني « المخاضة » — على ان هناك مخاضات كثيرة على الفرات ، ولهذا نحتاج الى تعريف ادق . ويسجل بعض المؤلفين السابقين مخاضة باســـم فرضة النُعم ، ويطابقونها مع بلدة الرحبة المتأخرة . وقد يفسر هذا السبب في ان الكتاب المتأخرين كانوا يجهلون استخدام اسم الفرضة في مكان آخر . ومهما يكن فلا يمكن ان تكون الفرضة عند ابن خرداذبه فرضة النُعم والرحبة نفسها . وربما ينبغي لنا البحث عن الفرضة التي اوردها ابن خرداذبة عند بلدة « الدالية » الصغيرة ، التي تدل عليها خرائب الصالحية الحالية . وكما يفعل الجغرافيون العرب في الغالب فلعل ابن خرداذبه ارتباك هنا في ترتيب اسماء اماكن التوقف . ويبدو ان « الفرضة » كان يجب ان يحدد موضعها عند الفرسخ ٥ ما وراء بني جُميع بدلاً من الفرسخ ٦ وراء الدازقي . فيكون ترتيب المحطات والمسافات حينئذ كالآتي : الدازقي الى وادي سباع ، ٦ فراسخ ؛ ومنه الى خليج بني جُميع ، ٦ فراسخ ؛ ومنها الى الفرضة ، ٥ فراسخ .

ومع انتباهنا الى هذا التغيير ، نستطيع ان نستأنف فحصنا المفصل لبيانات ابن خرداذبه .

انه يحسب المسافة من الدازقي (القايم) الى وادي سباع ١٦ فرسخاً ، ورغم ان المسافة من القايم الى ابو كمال قرب شعيب الرزقة هي ٢٥ كيلو متراً فقط او ٥ فراسخ فمن المحتمل ان يكون من الواجب علينا أن نقرن وادي سباع بـ (ابو كمال) بدلاً من شعيب ام سباع الحالية على الضفة اليسرى للفرات شرقي ابو كمال ، نظراً لان ابن خرداذبه لايذكر عبور الطريق الرئيس الى الضفة اليسرى .

ومن المحتمل انه كان يحسب المسافة من وادي سباع الى خليج بني جُميع ٦ فراسخ وليس ٥ كما هو وارد فعلاً في النص المطبوع بسبب الخطأ في موضع الفرضة (مع ان مخطوطة B تذكر ان المسافة ٦) . وتقع على بعد ٢٠ كيلو متراً او ٤ فراسخ فقط الى الشمال الغربي من ابو كمال تلول خربة شعبان التي يمكن ربطها بخليج بني جُميع وبالقرب منها يمكن التعرف على مجرى قديم (خليج) للفرات . سجل قدامة هذا الامتداد على انه ٥ فراسخ وليس ٦ ؛ ومن الواضح ، على كل حال ، فان الأرقام لم تحفظ بصورة صحيحة في كلتا الحالتين . ومما يشك فيه ان يعمد ابن خرداذبة الى تسجيل بعد النهية ٦ فراشح لثلاث مرات متعاقبة ، اواستناداً الى مخطوطه ب (B) لأربع مرات .

ومن خليج بني جُميع الى الفرضة . ان كان تصحيحنا لموقع الأخيرة له ما يبرره ، فان ابن خرداذبه يعطي المسافة على انها ٥ فراسخ ؛ ومن شعبان الى الصالحية ٢٥ كيلو متراً ، او ٥ فراسخ ايضاً . وعليه في الامكان تحديد موقع محطة الفرضة اسفل من خرائب الصالحية الحالية ، حيث لاتزال في الحقيقة محطة حتى الآن .

ويحسب المسافة من الفرضة الى الفاشر مقابل قرقيسياء ٧ فراسخ ؛ ومن هناك الى نهر سعيد ، ٨ فراسخ . ان موقع هذه القناة معروف

لدينا . فاستناداً الى ابن سرابيون في العجائب (مخطوطة المتحف البريطاني ، ورقة ٣٣ يمين ، (لوسترنج) ، ص ١٤ إنها تصب في الفرات فوق بلدة الدالية بقليل وكان مدخلها اسفل من ضريح سُمّي باسمها (سعيد) ، فوق بلدة الرحبة بمسافة غير بعيدة . ولا يزال هذا الضريح قائماً على الضفة اليمنى قرابة ثلاثة عشر كيلو متراً في شمال غرب موقع قرقيسيا ويدعى الآن ابو نهود . وأحدد موقع بلدة الدالية الصغيرة عند خرائب الصالحية ، ولابد انمحطة الفرضة كانت تقع في نقطة في هذه الناحية . وفيزمن ابنخرداذبه يحتمل ان الطريق الرئيس كان يبدأ من هذه المحطة التي تحاذي نهر سعيد . وبما ان المحطة المسماة نسبة الى الفاش تقع فوق قرقيسياء فمن المحتمل ان لدينا ما يبرر وضعها عند مدخل القناة حيث حدّد قدامة على وجه التحقيق موقع محطة (المصدر السابق ، ص ٢١٧ . ومن ٢١٧) ومن الصالحية الى ضريح ابو نهود تبلغ المسافة بخط مستقيم ٦٠ كيلو متراً ، او ١٢ فرسخاً ، وليس ١٥ كما يتصورها ابن خرداذبه . ولهذا يمكننا مطابقة نهر سعيد بضريح ابو نهود الصغير .

وعلى بعد ٨ فراسخ ، او ٤٠ كيلو متراً ، الى الجنوب الشرقي من ابو نهود نصل الى قرية العشارة التي فيها او بالقرب منها نستطيع البحث عن محطة الفاش . وعند قدامة (المصدر السابق ، ص ٢١٧) كتبت كلمة العاسر وهي كلمة تحتوي على نفس الحروف الصحيحة كاسم العشارا حيث حيث توجد محطة حتى يومنا هذا . الا ان العشارا تقع على بعد ٢٤ كيلو متراً الى الجنوب الشرقي من قرقيسياء القديمة ، ومن ثمّ فانّ التسمية المحددة « حيال قرقيسياء » (مقابل قرقيسياء) تثبت ان النص الاصلي لايمكن ان يكون هنا محافظا عليه .

ويحسب ابن خرداذبه المسافة من خليج بني جُميع الى الفاش ٧ فراسخ ؛ وانها في الحقيقة ٢٣ كيلو متراً ، او د فراسخ ، من الصالحية الى العشارة .

وانه يحسب المسافة من نهر سعيد الى الرقة ٣٣ فرسخاً ؛ وفي الواقع هي ١٥٠ كيلو متراً وهي متوافقة تقريباً .

مـن الصعب تحديد المحطات بين نهر سعيد والرقة ، لاننا لانعلم ما اذا إمتد الطريق بمحاذاة الضفة اليمنى ام اليسرى من الفرات. وعلى الضفة اليسرى عند قـرية الخانوقة يصل شعيب الحليقة الى النهـر . وهناك في هـذا الشعيب عين الجردية ويوحي اسمها بمحطة الجرّدان . الا ان المسافة تكاد تبلغ ١٦ فرسخاً من ابو نهود الى هذا الوادي ، وليست ١٤ فرسخاً ، كما يجب ان تكون ، لتنسجم مع ابن خرداذبه وهناك على الضفة اليمنى ، خلف محطة التبني الحديثة ، الخرائب التي تحتوي على ضريح الشيخ مبارك ، الذي يشبه اسمه اسم المحطة الثانية على الطريق من نهر سعيد الى الرقة . ولا بد ان يكون الطريق الذي وصفه ابن خرداذبه قد عبر الفرات عند نقطة ما للوصول الى الرقة على الضفة اليسرى ، الا اننا لانعلم ما اذا تمّ هذا العبور عند محطة نهر سعيد ام عند الرقة ذاتها . غير اننا نعلم ان القوافل في العصر الوسيط المسافرة من بلاد مابين النهرين منحدرة مع الخابور ومنه الى دمشق كانت تعبر النهر عند محطة نهر سعيد . فلو سلّمنا ، اذن ، بانّ الطريق الرئيس امتد بمحاذاة الضفة اليمنى لكان في الامكان تحديد موضع المبارك عند محطة التبني الحالية او عند الشيخ مبارك . ان هذا ، على كل حال ، يصبح فقط على افتراض ان ابن خرداذبة كان قد بدّل ترتيب موقع محطتي الجردان والمبارك ، ويبدو ان هذا الافتراض يتأكد عندما نعتبر المبارك تقع على المسافة ١٤ فرسخاً (وهو الرقم الذي خصص في الحقيقة للجردان) من نهر سعيد . فاذا ما أدخلنا في الحساب جميع التواءات الطريق ، فان الشيخ مبارك تبعد في الحقيقة ٦٦ كيلو متراً عن ابي نهود (نهر سعيد) ، وهي مسافة توازي ١٤ فرسخاً تقريباً .

وعلى نفس الافتراض ، فان المسافة تكون ١١ فرسخاً من المبارك الى الجردان ،

وهي محطة يمكننا حينئذ اعتبارها خربة الجريبة ، وهي في الحقيقة على بعد ٥٣ كيلو متراً (١١ فرسخاً تقريباً) من التبني و ٤٠ كيلو متراً او ٨ فراسخ من الرقة ؛ والرقم الأخير يتفق مع السبعة فراسخ التي يَعُدُّها ابن خرداذبة المسافة من المبارك الى الرقة .

وصف قدامة للطريق من بغداد الى الرقه

يصف قدامة كذلك ، في الخراج (دي خوية) ، ص ٢١٦ وما بعدها) ، الطرق من بغدادالى الرقة . فيذكر ان المسافة الاجمالية بحذاء الفرات على انها ١٢٦ فرسخاً . وعلى كل حال ، إنْ جميع المسافات المنفصلة بين المحطات فانها تبلغ ١٣٢ فرسخاً ؛ بينما المسافة في الواقع هي ٦٢٠ كيلو متراً او ١٢٤ فرسخاً باعتبار ٥ كيلو مترات للفرسخ الواحد .

يدوّن قدامه نفس المحطات التي دوّنها ابن خرداذبه مع بعض الاضافات. فانه يذكر ، على سبيل المثال ، ان طريقين من الانبار يؤديان الى الربّ ، طريق مستقيم يخترق سهلاً يُسقى بالماءوطريق ثاني يخترق الصحراء. ومن المحتمل ان يكون هذا الطريق الثاني قد تشعب باتجاه شمالي شرقي تقريباً عند الانبار واتبع سفح الهضبة العائدة للدور الثالث من التكوين الصخري حتى خرائب السَحّلات التي منها وصل الى الشيخ حديد بعد اتخاذه مساراً باتجاه جنوبي غربي . ومن الواضح ان الربّ كانت تقع على الضفة اليسرى للفرات ، لان هناك طريقاً واحداً فقط امتد بحذاء الضفة اليمنى على عهد قدامة — ولا يزال .

وعلم قدامة ايضاً بوجود طريقين اثنين من الفحيمة الى النهية : اولهما ، وهو بطول ١٢ فرسخاً ، امتد خلال الصحراء ؛ والآخر ، الذي اتبع الفرات وكان يستخدم طريقاً البريد ، كان بطول ٦ فراسخ فقط . — ويخترق اقصر الطرق بين الفحيمي والنهيه الصحراء وطوله ٥٠ كيلو مترا ، او ١٠ فراسخ ؛ بينما تكون المسافة باتباع النهر العظيم ٦٠ كيلو متراً في الاقل ،

او ١٢ فرسخاً . ولا بد ان الستة فراسخ التي اوردها قدامة ترجع الى المسافة الى بلـدةعانة ، التي لا يذكر اسمها .

ويؤكد قدامة ان الطريق الرئيس يتفرع عند محطة الفرضة الى فرعين : فرع يخترق الصحراء والآخر يسير بحذاء الفرات .

انه يعطينا المسافة من الفرضة الى وادي سباع على انها ٥ فراسخ فقط .

ويسمّى المحطة التالية خليج ابن جُميع ، وليس خليج بني جُميع كما يسميها ابن خرداذبه .

ويذكر ان المسافة من هناك الى الفاش (او كما ورد في مخطوطة القسطنطينية ، العاسر المصدر نفسه ، ص ٢١٧ ، الملاحظة ل(L)٦فراسخ فقط .

انه يحسب المسافة من الفاش الى قرقيسياء ، او الى منفذ (فم) نهر سعيد ٨ فراسخ . وتقع قرقيسياء ، على كل حال ، على الضفة اليسرى ، وفم نهر سعيد على اليمنى وتفصل بينهما مسافة لاتقل عن ١٣ كيلو متراً مما يبرهن على ان الموضعين لم يشكلا محطة واحدة .

ويسجل قدامة (المصدر السابق : ص ٢١٧ وما بعدها) الطريق من محطة الفرضة مخترقاً الصحراء بطريق الرُصافة (الرصافة) الى الرقه كالآتي :

من الفرضة الى القمرطي ، ٣ فراسخ ؛

ومنها الى العوامل ٩ فراسخ زائداً ميلاً واحداً ؛

ومنها الى العصبة (او القصبة) ، ٨ فراسخ ؛

ومنها الى العَرير ، ٩ فراسخ ؛

ومنها الى الرصافة ، ٨ فراسخ ؛

ومنها الى الرقة ، ٨ فراسخ ؛

فهو يعطي المسافة من بغداد الى الرقه بطريق الصحراء على انها ٢٧ ١ فرسخاً وميلٌ واحد . --

وتبرهن التفاصيل المتعلقة بهذا الطريق ان موقع الفرضة ينبغي ان يحدد

عند الصالحية الحديثة . واستناداً الى قدامة فان المسافة من الفرضة بطريق الرصافة الى الرقة هي ٤٥ فرسخاً ؛ ومن الصالحية بطريق الرصافة الى الرقة هي ٢٢١ كيلو متراً ، وهو رقم يتفق تماماً مع الرقم بالفراسخ (٢٢٥ كيلو متراً) . وتكاد تقع على الطرق المباشر من الصالحيه الى الرصافة الاماكن التاليه : القمرطي وجواثل وابا الجبير ، التي يمكننا مطابقتها بمحطات معينة لقدامة . ويقع الى الشرق من هذا الطريق منهل القُصيبة (مصغر القصبة) التي يوحي اسمها ايحاء قوياً الى العصبة او القصبة عند قدامة ، برغم عدم وجود ما يبرر انحراف الطريق الى هذا المكان عندما يكون الماء متوفراً حتى على المسار المستقيم .

ويعطي قدامة المسافة من الفرضة (الصالحية) الى القمرطي على انها ٣ فراسخ . والقمرطي واد ذو ماء قرابة ١٦ كيلو متراً الى الشمال الغربي من الصالحية ؛ وهذه المسافة تنسجم اساساً مع ٣ فراسخ .

ويحسب المسافة من القمرطي الى العوامل ٩ فراسخ زائداً ميلاً واحداً . ولا أعلم بوجود محطة في شمال غربي الصالحية تسمّى العوامل . كما لايرد اسم كهذا في الكتابات الجغرافية العربية . على أنه غالباً ماتذكر محطة باسم الكواثل في تلك المنطقة . ويطلق خليل الظاهري ، في الزبدة (رافيس ، ص ١١٩) على هذه المحطة اسم الكوامل ، مما يوضح ان الصيغة الصحيحة العوامل ربما كانت الكواثل . ويقع مكان السقاية الذي يعرف الآن بـ (جواثل) او عقوله على بعد ٣٧ كيلو متراً شمال غربي القمراطي . ولهذا يمكننا مطابقتها بمحطة العوامل (او الأصح ، الكواثل) ؛ الا ان المسافة في هذه الحالة لا تكون ٩ فراسخ زائداً ميلاً واحداً ، بل ٧ فراسخ زائداً ميلاً واحداً فقط . وقد يكون الرقم العربي الصحيح سبعة قد تغير بسهولة الى الرقم تسعة ، خاصة اذا كان الرقم قد كتب بدون علامات مميزه .

ويحسب قدامة المسافة من الجوائل (العوامل) الى العضنبة (او القصبة) ٨ فراسخ . وتوصلنا بمسافة ٤٨ كيلو متراً بنفس الاتجاه الشمالي الغربي الى محطة وبئر القباجب الحالية ، التي ربما تتطابق مع العضبة . ولكن الأصوب ان تكون المسافة ١٠ فراسخ وليس ٨ .

ويحسب قدامة المسافة من العصبة الى العرير ٩ فراسخ ومن المحتمل انه لم يُحفظ لنا اسم هذه المحطة بشكل صحيح . ويعبر دي خويه عن شكوكه باضافة كلمة « كذا » الى ملاحظته (المصدر نفسه ، ص ٢١٧ ، الملاحظة إس (S) . وربما كانت الكلمة العربية العرير قد نشأت بسهولة من كلمة القير او الجير ، خاصة لأن ابا الجير هو اسم المنهل الواقع على بعد ٤٠ كيلو متراً ، او ٨ فراسخ ، الى الشمال الغربي على الطريق من القباجب الى الرُصافة .

ويحسب قدامة المسافة من ابا الجير (العرير) الى الرصافة ٨ فراسخ ؛ وهي في الواقع ٥٥ كيلو متراً ، مما يساوي ١١ فرسخاً .
ويحسب المسافة من الرصافة الى الرقة ٨ فراسخ ؛ وفي الحقيقة انه ٣٩ كيلو متراً .

واستناداً الى قدامة فإن المسافة الاجمالية من بغداد الى الرقة بهذا الطريق هي ١٢٧ فرسخاً زائداً ميلاً واحداً ؛ الا انه اذا ما جمعنا المسافات بين المحطات المختلفة ، تاركين الفرضة بحيث حدّد قدامة موضعها ، فنحصل على ١٢٠ فرسخاً زائداً ميلاً واحداً . ومن الناحية الأخرى ، فاذا ما طابقنا الفرضة مع الصالحية الحديثة فستكون النتيجة ١٣٠ فرسخاً زائداً ميلاً واحداً . وهنا ربما نحصل على استشهاد اضافي ان الفرضة يجب ان يتم البحث عنها في الصالحية الحالية ، لان المجموع ١٢٧ أقرب الى ١٣٠ التي هي المجموع النهائي للمسافات بين المحطات المختلفة من ١٢٠ . ان المسافة الحقيقية هي ٦٣٦ كيلو متراً وهي ما تساوي ١٢٧ فرسخاً .

الاصطخري والمقدسي : وصفهما للطرق من بغداد الى الرقة

يذكر الاصطخري في المسالك (دي خويه) ، ص٧٢) ان المسافة بين بالس والرقة هي مسيرة يومين ، وبين الرقة والانبار مسيرة عشرين يوماً ، ومن هناك الى تكريت مسيرة يومين . ان المسافة من بالس الى الرقة بحذاء الضفة اليسرى للفرات هي حوالي ٩٠ كيلو متراً ، او مسيرتان طول الواحدة منهما ٤٥ كيلو متراً في اليوم الواحد . ان المسافة من الرقة الى الانبار هي ٥٦٠ كيلو متراً ، وهذا يتضمن السير بمعدل ٢٨ كيلو متراً في اليوم الواحد فقط ، وهي سرعة بطيئة بالمقارنة بتلك السرعة الملمح اليها في العبارة التي اعقبتها ومفادها ان المسافة من الأنبار الى تكريت ليست اكثر من مسيرة يومين . وبدا ان تكريت تقع على بعد يكاد يبلغ ١٣٥ كيلو متراً في شمال الانبار ، فان الوصول اليها في يومين يتطلب مسيرة ٦٨ كيلو متراً كل يوم .

ويدون ابن حوقل في المسالك (دي خويه) . ص ١٣٩ المسافات نفسها الواردة عند الاصطخري .

ويحسب المقدسي في (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (دي خويه) ، ص ١٣٤ وما بعدها) المسافة من بغداد الى السيلحين مرحلتين للبريد ؛ ومنها الى الانبار مرحلة واحدة ؛ ومنها الىالربّ مرحلة واحدة ؛ ومنها الى هيت مرحلتان : ومنها الى الناووسة مرحلة واحدة ؛ ومنها الى عانة مرحلة واحدة ؛ ومنها الى آلوسا مرحلة واحدة ؛ ومنها الى الفحيمة مرحلة واحدة ؛ ومنها الى الحديثة مرحلة واحدة ؛ ومنها الى النهية مرحلة واحدة . وقد حذفت بقية المراحل على هذا الطريق . ولا يشير الا في صفحة ١٤٩ الى ان المسافة من الرحبة الى قرقيسياء هي مرحله واحدة ومن الرحبة الى الدالية ، او من الرحبة الى بيراء مرحلة واحدة كذلك .

ان المسافة من بغداد السيلحين هي ٢٦ كيلومتراً فقط ، فلابد اذن ان كان بين كل مرحلتين بريديتيين ما يقارب ١٣ كيلو متراً طولاً فقط .

وكانت مرحلة اليوم الواحد من سالحيين الى الأنبار ٣٦ كيلو متراً ومنها الى الربّ (الشيخ حايد) المسافة نفسها .

واستناداً الى المقدسي فقط كانت المسافة بين الربّ وهيت مرحلة واحدة ، ولهذا فهي مرحلة طولها ٢٥ كيلو متراً فقط . ويعطي المسافة بين هيت والناووسة على انها مرحلتان ، ولذا يكون طول كل منها ٣٢ كيلو متراً .

ان الترتيب الصحيح للمحطات المختلفة عند المقدسي إنها ما بعد الناووسة . فمحطتا عانة والفحيمة ليستا في موضعيهما الصحيحين ؛ وينبغي ان تندرج الاسماء على هذا الترتيب : الناؤسا . آلوسا ، الحديثة . الفحيمة ، عانة والنهيه . ونجد هنا ايضاً ان المراحل المختلفة متفاوتة الطول . فمن الناؤسا الى آلوس ٢٨ كيلو متراً ؛ ومنها الى الحديثة ١٢ كيلو متراً ؛ ومنها الى الفحيمي ، ٣٠ كيلو متراً ؛ ومنها الى النهية ، ٣٢ كيلو متراً . واستناداً الى المقدسي فان جميع هذه المحطات تفصل احداها عن الأخرى مرحلة واحدة . ويبدو وكأن محطة الحديثة كانت قد تسللت الى متن النص من ملاحظة هامشية من الناسخ ، لان الحديثة لم يرد ذكرها في اي منهج رحلة أخرى وكان يجب ان توضع حيث تقع عانة فعلاً .

واستناداً الى المقدسي فان المسافة من الرحبة الى قرقيسياء هي مرحلة واحدة ان الرحبة الى الدالية ، او بيراء مرحلة واحدة كذلك . ومن المياذين . الرحبة القديمة ، الى قرقيسياء ١٠ كيلو مترات فقط ، وليست واحدة باتجاه شمالي غربي . ولكن المسافة هي ٣٣ كيلو متراً باتجاه جنوبي شرقي من المياذين الى الصالحية التي يجب النظر اليها استناداً الى روايات أخرى على انها الدالية (انظر ماسبق ، ص ٨٦) . هذا يطابق دي خويه الاسم قرقيسياء ، المدون في مخطوطات برلين والقسطنطينية (المصدر نفسه ، ص ١٤٩ ، ملاحظه ن (N)) بدون تشكيل ، مع برثا القديمه والدير الحالية . ولكن بمـاان بـرثا كانـت تعـود الى منطقة اوسروئين فـلا يمكن ان

تكون واقعة على الضفة اليمنى (انظر ماسيأني فيما بعد ص ص ٢٠٨ — ٢١٢) ، ومن المستحيل تماماً اثبات ان الدير الحالية كانت تدعى بيراء في العصر الوسيط . والاكثر احتمالاً على مايبدو ان الدير الحديثة مطابقة لدير الرمّان في العصر الوسيط (ياقوت ، المعجم [فستنفلد] ، المجلد : ٢، ص٦٦٢) وان بيراء مطابقة لخرائب زلبيه على الضفة اليسرى (وعليه فهي في اقليم اوسروئين القديمة) على بعد مسيرتين من الرحبة — وليست واحدة ، كما يبين المقدسي .

الادريسي : يصف الطريق من بغداد الى الرقه

يذكر الادريسي ، في النزهة (ج٤ ص٦)المسافات بين المحطات المختلفة من بغداد الى الرقة حيناً بالأميال وحيناً بالمــراحل : من بغداد الى السيلحون ١٢ ميلاً ؛ ومنها الى الانبار ، ٢٤ ميلاً ؛ ومنها الى الربّ ، ٢ ميلاً ؛ ومنها الى هيت ٣٦ ميلاً ؛ ومنها الى الناووسة ٢١ ميلاً ؛ ومنها الى آلوسة ، ٢١ ميلاً ؛ ومنها الى عانات ٢١ ميلاً ؛ ومنها الى الداليا ، ٢١ ميلاً ؛ ومنها الى رحبة مالك بن طوق ، الواقعة على الفرات ايضا لكنها على ضفته اليسرى ، ٣٠ ميلاً ؛ ومن هناك الى الخابور مرحلتان ؛والى قرقيسياء مرحلتان . وتقع في شرق الفرات ويصب فيه أسفل المدينة نهر الهرماس ، الذى يدعى الخابور الأن . ومن قرقيسياء الى الخانوقة مرحلتان ؛ ومن هناك الى الرقه مرحليان .

وروي الادريسي ايضاً ان الرحلة من بغداد الى الرقة يمكن كذلك اتمامها بنحو عشر مراحل وذلك بمغادرة الفرات عند الناووسة والأستدارة الى اليدين شرقاً في الصحراء : من الناووسة الى آلوسة ٢١ ميلاً ؛ ومنها الى الزراقي (الرازقي) ١٨ ميلاً ؛ ومنها الى الفرضة ١٨ ميلاً ؛ ومنها الى العجيمة (الفحيمة) ١٨ ميلاً ؛ ومنها الى وادي سباع ١٥ ومنها الى محطة (الفاش) مقابل (حيال ؛ وليس جبال [تاول] ؛ كما هو مطبوع) قرقيسياء ٢١ ميلاً ؛ ومنها الى المبارك ٣٣ ميلاً ؛ ومنها الى الرقة ٢٤ ميلاً . ان مجموع المسافات

من بغداد الى الرقة يبلغ ٣٧٢ ميلاً .

هذا ونجد في ترجمة جوبير للادريسي (المجلد ٢ ، ص ص ١٤٤ وما بعدها الرواية نفسها ، ولكنه يضيف اليهاان الربّ بلدة مزدهرة ومحاطة بالمزارع والجنائن الواسعة وان آلوسة تقع على مسافة قصيرة من النهر (آلوس في الحقيقة جزيرة ، ولهذا بنيت المحطة على اليابسة الى الغرب ووصفت الدالية في هذه الترجمة انها بلدة صغيرة على الضفة الغربية من النهر . واحتسبته المدة اللازمة لقطع المسافة من بغداد الى الرقة بطريق الخانوقة خمسة عشر يوماً . وكتبت على الصفحة ١٤٥ « العجيمة » بدلاً من الفحيمة ؛ و دورقي » بدلاً من الدازقي ؛ وحسبت المسافة من بغداد بطريق الجردان الى الرقة ٣٧٢ ميلاً .

وعند فحص البيانات التي قدمها الادريسي بالتفصيل نجد أنه يذكر المسافة فيما يتعلق بالطريق الاول من بغداد الى الأنبار ٣٦ ميلاً ؛ وتبلغ في الحقيقة ٦٢ كيلو متراً . وعلى فرض ان المسافة بالأميال قد ذكرت بصورة دقيقة فلنا ان نعتبر ٧ ــ ١ كيلو متراً تقريباً الرقم العملي لطول الميل عند الادريسي .

انه يحسب المسافة من بغداد الى سيلحون اثني عشر ميلاً ؛ وتبلغ في الحقيقة ٢٦ كيلو متراً ، او ١٥ ميلاً تقريباً .

ويحسب المسافة من السيلحون الى الأنبار ٢٤ ميلاً ، وهي في الحقيقة ٣٦ كيلو متراً او حوالي ٢١ ميلاً .

ويحسب المسافة من الأنبار الى الربّ (الشيخ حديد) ٢١ ميلاً : وهي في الحقيقة ٣٦ كيلو متراً ويتفق ذلك مع رقم الادريسي .

ويحسب المسافة من الربّ الى هيت ٣٦ ميلاً ؛ وهي في الحقيقة ٥٢ كيلو متراً او ٢٠ ميلاً فقط .

ويحسب المسافة من هيت الى الناووسة ٢١ ميلاً ؛ والواقع انها في اقصر

الطرق ٣٥ كيلو متراً . وتكون المسافة بحذاء الضفة اليسرى ٤٥ كيلو متراً في الأقل .

ويحسب المسافة من الناووسة الى آلوسة ٢١ ميلاً ؛ وهي في الحقيقة ٢٨ كيلو متراً او حوالي ١٧ ميلاً فقط .

ويحسب المسافة من آلوسة الى عانات ٢١ ميلاً ؛ وهي في الحقيقة ٦٢ كيلو متراً ؛ او ٣٦ ميلاً .

ويحسب المسافة من عانات الى الدالية ٢١ ميلاً ؛ ومن الدالية الى رحبة مالك بن طوق ٣٠ ميلاً : المجموع ٥١ ميلاً من عانات الى الرحبة . وتبلغ في الحقيقة هذه المسافة ١٧٣ كيلو متراً الذي لايعادل ٥١ ميلاً بل ١٠٠ ميل .

ولا شك في ان بعض المحطات بين عانات والدالية كانت قد حذفت .

ولا يمكن ان تكون الدالية أسفل من الصالحية الحالية لانه استناداً الى ابن سرابيون ، العجائب ، (مخطوطة المتحف البريطاني) ، ورقة ٣٣ يمين ، (لوسترنج) ، ص ١٤ ، برغم ان نهر سعيد الرئيس كان قد يصب في الفرات في موضع ما فوق الداليه فان فروعاً متعددة منها وصلت الى الحقول المحيطة بذلك المكان . وليس في استطاعة الماء ، على كل حال ، ان ينساب من القناة الى الحقول في جنوب الصالحية ، لان هذه الحقول تقع أعلى مستوى من السهل الفيضي بين الفرات واجراف الصالحية العالية .

ان عبارة الادريسي التي يذكر فيها ان رحبة مالك بن طوق ، او الرحبة ، تقع في شرق الضفة اليسرى للفرات صحيحة بمعنى واحد وهو ان كل بلدة تقريباً كان لها ضاحية على الضفة المقابلة .

ويحدد الادريسي المسافة من الرحبة الى الخابور على انها مرحلتان ، والخابور يرجع اما الى النهر او الى بلدة قرقيسياء التي غالباً ما كانت تدعى الخابور ، وخاصة عند المؤلفين السريان . وكانت محطة الخابور في اي حال مطابقة لمحطة قرقيسياء التي ، على كل حال ، كانت على بعد عشرة كيلومترات فقط من

الباذين (الرحبة) . ومن هنا يمكننا الاستنتاج ان مسافة اليومين الى الخابور كان القصد منها من محطة وادي سباع (ابو كمال بدلاً من الرحبة)

ويحسب الادريسي المسافة من قرقيسياء الى الخانوقة على انها يومان . وهي في الواقع ٩٠ كيلومتراً ، وهذا يعني مرحلتين طول كل منهما ٤٥ كيلومتراً .

ويحسب المسافة من الخانوقة الى الرقة مرحلتين ؛ وهي في الواقع ٨٠ كيلومتراً وتشمل مرحلتين طول كل منهما ٤٠ كيلومتراً .

ويحسب الادريسي المسافة بين بغداد والرقة عشر مراحل في الاقل ؛ وبما ان المسافة هي ٦٢٠ كيلومتراً فمن الضروري ان يكون السير بمعدل ٦٢ كيلومتراً للمرحلة الواحدة . ويمكن قطع هذه المسافة بهذه السرعة بالنقل على عجلات او على ظهور الخيول او الجمال ، ولكن حينما تستبدل الحيوانات في الطريق فقط .

دعنا الآن نعود الى الطريق الثاني الذي وصفه الادريسي . تشعب هذا الطريق من الفرات عند الناووسة وسار باتجاه شرقي في الصحراء . والواقع ان هذا الطريق اخترق الصحراء ، ومع ذلك كان يعود الى الفرات من حين الى آخر .

ويحسب المسافة من الناووسة الى قرقيسياء ١١١ ميلاً ، او حوالي ١٨٩ كيلومتراً ، اذا واصلنا احتساب ٧/ ١ كيلومتر لكل ميل . اما المسافة الحقيقية فهي ٢٨٣ كيلومتر

انه يحسب المسافة من الناووسة الى آلوسة ٢١ ميلاً ؛ وهي في الحقيقة ٢٨ كيلومتراً ، او حوالي ١٧ ميلاً .

ويحسب المسافة من آلوسة الى الفحيمة (وليس العجيمة ، كما هو مطبوع) ١٨ ميلاً . وهي في الحقيقة ٣٥ كيلومتراً ، او حوالي ٢١ ميلاً .

ويحسب المسافة من الفحيمة الى الذرافي ١٨ ميلاً ، أو ٦ر٣٠ كيلومتراً .

ولا بد ان الذرافي هذه هي المحطة التي سمّاها ابن خرداذبه الدازقي ، التي نحدد موضعها عند القايم . ان المسافة من الفحيمة الى الذراقي هي في الحقيقة ٩٢ كيلومتراً ؛ ولهذا فلا بد ان الادريسي كان قد أغفل ذكر محطات متعددة . انه يحسب المسافة من الذرافي الى الفرضه ١٨ ميلاً ومنها الى وادي سباع ١٥ ميلاً .

لقد حُذفت محطتا خليج بني جُميع والفاش مقابل قرقيسياء . ويُدخل الادريسي بدلاً من الأخيرة ، شأنه في ذلك شأن ابن خرداذبه ، عبارة « من قرقيسياء » مع العلم بانه مما يؤكد معرفة الادريسي بمحطة الفاش هو المسافة الى المحطة التالية ، اي نهر سعيد ، التي يحددها ب ٢٤ ميلاً ، وهي مسافة تتفق تقريباً مع المسافة الحقيقية البالغة ٣٧ كيلومتراً من الفاش (العشارة) .

ويحدد الادريسي المسافة من نهر سعيد الى الرقة ب ٩٩ ميلاً . والمسافة الحقيقية هي ١٥٠ كيلومتراً فقط . ويحدد المسافة من نهر سعيد الى الجردان ب ٤٢ ميلاً ؛ ومنها الى المبارك ٣٣ ميلاً ؛ ومنها الى الرقة ٢٤ ميلاً . وتطابق هذه الأرقام تلك التي قدمها ابن خرداذبة للمسافات بين هذه الاماكن .

ويحدد الادريسي المسافة الأجمالية من بغداد الى الرقة بهذا الطريق على انها ٣٧٢ ميلاً ، على ان المجموع الذي يذكره للمسافات بين المحطات يبلغ ٣٤٨ ميلاً فقط ؛ اما المسافة الحقيقية فهي ٦٢٠ كيلومتراً ، التي تساوي حوالي ٣٦٤ ميلاً إن استخدام الادريسي الميل الذي يساوي ١٫٧ كيلومتراً .

بيانات اخرى عن طريق محاذية للفرات

في مطلع عام ١٣٤٨ م غادر بغداد الرحالة الذي لا يعرف الكلل ابن بطوطة (التحفة [دفريميري وسانكوينتي] ، المجلد ٤ ص ص ٣١٤ وما بعدها) ووصل الى عانة بطريق الأنبار وهيت والحديثة . ولدى مروره في منطقة مزروعة بعناية وجد نفسه باستمرار تقريباً بين بيوت مأهولة مما دفعه الى مقارنة هذا الطريق بالوادي الرئيس الخصب جداً في الصين . ومن عانة سافر الى بلدة الرحبة التي كانت تؤشر آنذاك الحدود بين العراق واول بلدة في سورية . ومن الرحبة واصل سفره بطريق السخنة وتدمر الى دمشق ، ان الطريق الذي سلكه من الرحبة الى السخنة مرّ دون شك بالجواثل والقباجب ، كما هو مدون ايضاً عند الظاهري ، في الزبدة (رافيس) ، ص ١١٩ وما بعدها) .

وكان حاجي خليفة (جهان نامه (القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ) ، ص ٤٨٣) ، يعرف ايضاً الطريق المحاذي للفرات وحدد المسافة من الحلة الى هيت بمرحلتين ؛ ومنها الى عانه بثلاث مراحل ؛ ومن هناك الى الرحبة بثلاث مراحل ؛ ومنها الى الدير بمرحلة واحدة ؛ ومنها الى بالس بخمس مراحل . ان بيانات حاجي خليفة لاتتفق مع الحقائق . فان الطريق المباشرة بين الحلة وهيت هي ٢١٠ كيلو متراً تقريباً ؛ ومن المستحيل قطعاً قطعها بيومين . ان المسافة من هيت الى عانة هي ١٣٠ كيلو متراً، ومن عانة الى الرحبة تكاد تبلغ ١٧٠ ١٧٠ كيلو متراً ؛ ومـــع ذلك فقد حدّد ثلاث مراحل لكل منهما . ان المسافة من الرحبة الى الدير هي ٥٤ كيلو متراً ؛ ومن الممكن قطعها بمرحلة واحدة . والمسافة من الدير الى بالس قرابة ٢١٠ كيلو متراً مما يتطلب خمس مراحل طول الواحدة منها ٤٦ كيلو متراً .

ويسمّي ابن خرداذبه في المسالك (دي خويه) ، ص ٧٤ على الطريق من الرقه الى حلب : محطتي دوسر وبالس ، وعلى الضفة اليمنى للفرات : خُساف والناعورة . — ومن الطريف ان نلاحظ ان ابن خرداذبه يكتب رقة مجردة من اداة التعريف . وأدى الطريق اولاً بحذاء الضفة اليسرى الى محطة دوسر التي تبعد نحو خمسين كيلو متراً . وكانت دوسر الاسم القديم لحصن دُعي فيما بعد ولا يزال يُدعى قلعة جعبر . ومن هنا أدى الطريق على بعد أربعين كيلو متراً بحذاء الضفة اليسرى للفرات الى بلدة بالس الواقعة على الضفة اليمنى ، حيث استوجب عبور الفرات على جسر القوارب . وكانت المسافة من بالس الى خُساف او تل خسا ف الحديث ٤٨ كيلو متراً ، وتقع محطة الناعورة على بعد خمسة عشر كيلو متراً الى الجنوب الشرقي من حلب .

ويشير الادريسي في (النزهة ح٤ ص٥) الى المحطات ذاتها كما فعل ابن خرداذبه الا انه يبدأ بحلب .

ويذكر الطبري في التاريخ (دي خويه) السلسلة ٣ ، ص ٢٢٠٠) أنه في

ختام عام ٩٠٠ م عاد الخليفة المعتضد من حملة ضد البيزنطيين بطريق حلب والناعورة وخساف الى صفين . ومنها تقدم بحذاء الضفة اليسرى — ماراً بقرية على بن ابي طالب (ع) على الجهة المقابلة — بطريق بالس ودوسر وبطن دامان الى بلدة الرقة — وأدى هذا الطريق ايضاً بخساف وبالس . ولم يوضح الطبري الموضع الذي عبر منه الطريق الى الضفة اليسرى ، ولعل ذلك تمّ عند بالس . وليس النص هنا دقيقاً جداً اذ ان صفين ، ابو هريرة ، الحديثة ، تقع في الحقيقة بين بالس ودوسر (قلعة جعبر) .

ويكتب ياقوت في معجمه (فاستنفلد) (المجلد ٢ ، ص ٥٣٨) ان بلدة دامان تقع على بعد خمسة فراسخ من الرافقة مقابل مدخل قناة النهية ، وان نوعاً معيناً من التفاح حمل اسمها وهو الداماني . ان اسم هذه القناة في المخطوط هو النهي (المصدر نفسه ، المجلد ٥ ، ص ١٨٤) .

* * *

الملحق السادس

انهار الفرات الاوسط

ملاحظات عامة

لقد وصلت الينا سجلات كثيرة عن انهار العصر القديم والوسيط في العراق ، الا ان تحديد مجاريها الدقيقة غير ممكن في العادة . ان السهل الغريني متخدد بصورة عميقة بترع ارواتية موجودة حالياً ومتقاطع تماماً بسدود ذات احجام مختلفة . وهناك حواجز ضخمه شبيهة بالاستحكامات كانت تحيط انهار العصر الوسيط وتمتد لمسافات بعيدة جداً في كل اتجاه بحيث ان مسالكها لايمكن تحديدها الا بالحفريات فقط رغم احتمال بقاء مخلفات الأزمنة الفارسية او حتى الأبعد قدماً منها هنا وهناك . ان انهار العراق تختنق بالغرين بسرعة نسبيا ، وإن لم يتم كَرْيُها بانتظام فان صيانتها تكلف بعد سنوات قليلة اكثر من حفر انهار جديدة . واذا كانت الحالة كذلك فانّ مجاري الانهار القديمة كانت تطمر من سدودها اوببساطة تترك السدود القديمة على ما هي عليه وتحفر قنوات جديدة على امتدادها . وعند الاضطرار الى عبور السدود القديمة فقط فانه يتم تسويتها بالمناطق المحيطة بها . فلو ان جميع الانهار التي شُقّت في الماضي بقيت دون ان تُمس لكان من المحتمل ان لا تبقى ارض صالحة للزراعة في بلاد بابل ؛ وفي الحقيقة لا يسعنا إلا الافتراض ان القنوات المهجورة في الأزمنة القديمة دُفنت كذلك وحُوّلت الى حقول خصبة . ان بقايا مثل هذه الانهار المهجورة في الريف ليست بالغة الأهمية ابداً ، وان المراقب العابر يلاقي صعوبة في تمييزها عن انهار العصر الوسيط .

ومن المهم مسألة ما اذا كان الفرات، في الأزمنة القديمة يجري في مجراه الحالي مخترقاً بلاد بابل العليا ام أنه قد غيّر مجراه منذ ذلك العهد . والرأي الذي يكاد يتم الاجماع عليه هو انه في وقت ما كان النهر يجري بمحاذاة بلدة سبار (ابو حبّة الآن) ، على بعد عشرة كيلو مترات من مجراه الحالي . ولكن حتى لو كان الأمر كذلك فما كان في الامكان انحرافه عن مجراه الحالي الا حوالي خمسة كيلو مترات جنوبي مدينة الفلوجة لانه لاتتحول الهضبة من الدور الثالث للتكوين الصخري الى السهل الغريني البابلي قبل تلك النقطة ، وليس ثمة دليل قاطع على ان الفرات شق له مجرى خلال الهضبة الصخرية شرقي الفلوجة . وعلى نحو عشرة كيلو مترات جنوب غربي موقع سبار تمتد هضبة المجصة المنعزلة ، مشكلة الحد الأبعد للهضبة ، لمسافة عشرين كيلو متراً من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ؛ وهذه المنطقة لم يخترقها الفرات قط الذي يتلاطم مع منحدرها الغربي . على ان النهر إن كان قد جرى بجانب سبار في وقت ما فانّه إما ان يكون قد استدار الى الجنوب الغربي ثانية بعد البلدة مباشرة ، مستديراً حول الطرف الشمالي لهضبة المجصّة ، او أنه جرى في اتجاه الجنوب ماراً بالطرف الجنوبي الشرقي للهضبة الى مدينة بابل . انه كان يجري دائماً بمحاذاة الموضع الأخير . إنني لم اجد آثاراً ملموسة لأي من هذين المجريين المحتملين وانني ارى ان مجرى الفرات من أقدم الازمنة قد كان حيث هو اليوم ، ولكن قناة ضخمة تشعبت منه باتجاه سبّار لعله مرّ خلالها من المياه ما يزيد على ما كان يمر بمجرى النهر الأصلي ، ولعلها حملت اسم الفرات لبعض الوقت في الأقل .

يذكر الملك حمورابي في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد أنه أمر بحفر قناة من الفرات الى سبار (الكتابة باخترن [كنك ، حمورابي (١٨٩٨ — ١٩٠٠) ، المجلد ١ ، الأرقام ٥٧ وما بعدها] ، العمود : ١ ، السطور ١٠ —

٢٤ ؛ كنك ، المصدر السابق ، المجلد ٣ ، ص‌ص ١٧٧ وما بعدها) .
واستناداً لهذا ، فلا بد ان كان المجرى الرئيس للفرات آنذاك على مسافة كبيرة من سبار .

كذلك أمر نبوبولصرّ (المتحف البريطاني ، ٧٢ ، ٧ — ١٤٠ ، العمود ١ ، السطور ١٠ — ١٥ ؛ العمود ٢ ، السطور ١ — ١٢ ؛ لانكدن ، كتابات منقوشة في الأبنية [١٩٠٥] ، ص ٥٤) بربط سبار بان قد انحسر بعض الشيء عن البلدة . أمر الملك حفر مجرى جديد واحاطته بجدار من الآجر المفخور . ويظهر من هذه العبارة ايضاً ان مجرى الفرات الرئيس كان على مسافة ما من سبار . وربما يتطابق المجرى الذي امر نبوبولصّر بحفره مع مع القناة الملكية المتأخرة ، او نارمخا .

سد نبوخذنصر وخزانة الماء

رغب نبوخذ نصر ، الذي اعقب نبوبولصر ، في تقوية تحصينات بابل ضد الهجمات الميدية (الكتابة ب من وادي بريسا [فايزباخ ، كتابات نبوخذ نصر الثاني (١٩٠٦) ، اللوحه ٣٣] ، العمود ٦ ، السطور ٦٧ — ٧٦ ، فايزباخ ، المصدر السابق ، ص ٢٧ ؛ لانكدن ، المصدر السابق ، ص ١٦٦) . ولهذا أمر باقامة سد ضخم من التراب طوله خمسة أميال ، بابلية ، ممتداً من اوبس حتى جوار سبار ، بين ضفتي دجلة والفرات ؛ كذلك أمر بأن تحاط مدينة (بابل او باباون) « بكتلة من الماء كالبحر العميق » لمسافة عشرين ميلاً . وبغية حماية السد الترابي من الأمواج أمر بتبطينه بالآجر المغلف بالقير .

واستناداً الى هذه الرواية فقد بُني السد بين بلدتي اوبس وسبار . ونحن نعلم موقع هذه الأخيرة الا اننا لا نعرف موقع البلدة السابقة . وعندما نقرأ بان السد ربط دجلة بالفرات وكان الغرض منه حماية بابل من الميديين ،

نستنتج أنه لابد أن أدى الى الشرق مباشرة (او قليلاً الى الشمال او جنوب الشرق) من سبار . وعليه يجب البحث عن اوبس في ذلك الاتجاه ، على الضفة اليمنى من دجلة ، اذ ان سبار لم تكن واقعة بعيداً عن الضفة اليسرى للفرات . ان هذا الموقع يدل عليه ايضاً طول السد الذي ذكر أنه خمسة أميال ، او حوالي ستين كيلو متراً . إن أقصر مسافة من سبار الى دجلة في اتجاه شرقي هي ثلاثون كيلو متراً . ان الرقم الذي اعطاه نبوخذنصر ، على كل حال ، يتطابق مع هذا الرقم — كما سنوضح لاحقاً — لاننا نفسره بانه لايمثل مجرد حاجز (سد) مفرد بل أنه يمثل الطول الاجمالي لخطين من الحواجز المحيطة بالخزان .

ان الماء الذي يحتويه مثل هذا الخزان كان يمكن أخذه من الفرات فقط ، إما من مجراه الرئيس او من القناة الكبيرة المؤديه الى سبار . وتقول الكتابة ، على كل حال ، ان نبوخذنصر أمر ان تحاط المدينه (بابل) بـ «كتلة من الماء كالبحر العميق» على مسافة عشرين ميلاً . ان هذا غير واضح تمام الوضوح . فمن المؤكد ان العشرين ميلاً لا يمكن ان تمثل طول البحيرة الاصطناعية او ضفافها (سدادها) . ان بحيرة بمثل هذا الطول يمكن فقط ان تكون على شكل حرف (U) المفتوح بذراعين يمتدان من بابل حتى واديي دجلة والفرات . ولأجل تكوين بحيرة كهذه كان يقتضي حواجز (ضفاف) ضخمة على امتداد دجلة والفرات كليهما لمنع الماء من الهرب باتجاه الشرق او باتجاه الجنوب الغربي على التوالي .

ولأجل تفسير عبارات نبوخذنصر فان سجلات هيرودوتس وابيدنيوس وديو دورس ذات عون كبير . انها أُخذت إما عن المؤلفين البابليين او عن شهود عيان .

يذكر هيرودوتس(التاريخ ، ص ١٨٤) أن سميرأميس أمرت بناء سدود كبيرة بشكل ملحوظ عبر السهل لمنعه من التعرض للفيضان .

ومن المؤكد ، على كل حال ، ان السدود لم تبن عبر السهل ، وانما فقط على امتداد ضفة النهر او كلتا ضفتيه بنفس الطريقة التي يبنى بها سكان تلك المناطق حتى في يومنا هذا عندما يرغبون في حماية حقولهم التي تقع على مستوى اوطأ من مجرى الفرات من الغرق . ويجب ان نضيف ان هذا المجرى كان يرتفع على الدوام بفعل الغرين الذي كان يجرفه الجدول .

ويذكر هيرودوتس في تاريخه (ح١ ص ١٨٥) ان الملكة نيتوكريس هي التي أحدثت تعرجاً في الفرات وذلك ببناء قنوات جديدة . وقد تمّ بأمرها حفر حوض ليحتضن بحيرة أعلى من بابل بكثير وعلى بعد بعد قليل من الجدول . وكانت البحيرة اعمق من النهر وكان محيطها ٤٢٠ ستاداً . ومن التراب الذي نتج عن اعمال الحفر تمّ بناء سدود على امتداد ضفاف النهر ارتفاعها وقوتها مثار الاعجاب .

وكانت نيتوكريس زوجة نبوخذنصر ؛ ويعزو اليها هيرودوتس الأعمال التي انجزها زوجها ، غير إنه لايذكر موقع الخزان ، ولكنه لما كان ينسبه الى زوجة نبوخذنصر فلنا ان نفترض انه يتطابق مع « الكتلة المائية » الواردة في كتابات نبو خذنصر المنقوشة . واستناداً الى هيرودوتس فانّ محيط هذا الخزان نبوخذنصر بان طول السد ــ اي محيط الخزان ــ كان خمسة أميال . ونستنتج من هذا ان البحيرة لابد ان كان طولها حوالي ٣٠ كيلو متراً وعرضها واكثر من كيلومترين . ان السد الطويل على الجانب الجنوبي وكذلك السد على امتداد امتداد الضفة اليمنى لدجلة كان قوياً بوجه خاص .

فلو ربطنا رواية هيرودتس مع سجل نبوخذنصر لأمكن الحصول على صورة للبحيرة بالقرب من بلدتي سبار واوبس . ولعل هذه البحيرة كانت محصورة من الجنوب بين الفرات ودجلة بسد عظيم ، وهو الذي تمّت تقويته من الشمال ببطانة من الآجر المغلف بالقير . وبما ان السد الجنوبي ، وفقاً لتفسيرنا لنصوص نبوخذنصر وهيرودوتس ، كان طوله ثلاثين كيلو متراً فقط ، فمن

الواضح انه لابد ان ادى من الفرات قرب سبار باتجاه شرقي الى نقطة على دجلة كانت تبعد ثلاثين كيلو متراً . وعلى هذا لابد من تحديد موقع اوبس على نقطة كهذه على الضفة اليمنى لدجلة جنوبي السد .

وقد وصلت الينا رواية ابيدينوس كما حفظها لنا مؤلفان للمؤرخ يوسيبيوس ، التاريخ (شونه) ، المجلد ١ ، الأعمدة ٣٨ وما بعد ، والتهذيب الانجيلي حـ ٩ ، ص ٤١ : ٧) ووفقاً لأبيدنيوس فان نبوخذنصر بعد ارتقائه العرش أمر بان تحاط مدينة بابل بسور من التحصينات وثلاثة حواجز واقية . وأمر بحفر قناتي ارما كالن واكرا كانون على ان تأخذا من الفرات ، وأمر بحفر بحيرة فوق بلدة سبريانس وعمقها عشرون قامة ومحيطها اربعون فرسخاً . ويمكن ارواء السهل بفتح بوابات معدة لذلك .

ان تحديد ابيدينوس لموقع الخزان العظيم الذي بناه نبوخذنصر يظهر مطابقته مع جزء من الأعمال الدفاعية المشار اليها في كتابة نبوخذنصر في وادي بريساء . ان المحيط المستطيل البالغ اربعين فرسخاً يساوي تقريباً العشرين ميلاً التي ذكرها نبوخذ نصر وان العمق البالغ عشرين قامة هو رقم مبالغ فيه دون ريب . ومما لايخلو من الاثارة ان ابيدنيوس ، ويحتمل انه اخذ روايته عن الكاتب البابلي بيروسوس (شنابل ، بيروسوس [١٩٢٣] ، ص ٢٧١) ، بربط « نهر الملك » ، (نارملخا) ذلك الاسم الذي إما كان قد حرّفه هو اونسّاخه الى « ارماكالن » — بهذا الخزان العظيم الضخم . لذا فان الماء الذي جرى الى الخزان وفقاً لابيدينوس لم يأت من الفرات مباشرة بل من نهر الملك الذي انحرف عن الفرات الى الغرب او الشمال الغربي من سبار لأرواء الارض حول هذه البلدة . ولا اجد اية اشارة عند الكتاب الكلاسيين الى القناة الثانية اكر كانون التي ذكرها ابيدينوس ، الا ان اسمها يوحي ببلدة اكرانيس حيث يتشعب نهر الملك (نارملخا) استناداً الى بليني ،

التاريخ الطبيعي . ج٦ ص ١٢٠) . ولعل ابيدنيوس وجد عبارة كهذه عند بيروسوس وحضر من بلدة اكرانيس قناة سمّاها اكرا كانون ،

ووفقاً لأبيدنيوس فقد بنيت البحيرة الكبيرة لارواء السهل المجاور الذي لابد انه حاذاها من الجانب الجنوبي فقط لان الماء كان يمكن ان يخرج من بوابات او أقفال او خنادق في ذلك الاتجاه ليس غير . ولا بد ان الخزان كان يملأ في شهر أيار (مايو) عندما يكون مستوى الفرات في اعلاه ، ولا بد انه كان يجري تصريفه الى السهل من شهر أيلول (سبتمبر) الى كانون الأول (ديسمبر) ولا بد ان السدود وخاصة في الجانبين الجنوبي والشرقي كانت مبنية بناءً محكما للغاية ؛ وان السد الجنوبي لابد ان إمتد من الى الشرق مباشرة . وبتقوية النصف الشرقي للسد الرئيس وتقوية كامل السد المحاذي الضفة اليمنى لدجلة فقط كان يمكن حدوث ثغرة فيه .

ويظهر ان ديودورس قد تأثر باكاثارخيدس الذي اتبع في معظم الامر تيساس وكليثارخوس ، وهما مؤلفان كان قد زارابلاد بابل ؛ وعلى هذا كانا على دراية بالسجلات المحلية . ووفقا لديودورس (المكتبة التاريخية ، ج٢ ص٩) فان سميرأميس كانت قد أمرت بحفر بحيرة مربّعة واختارت لهذا الغرض اوطأ بقعة في جميع بلاد بابل . وكانت البحيرة محاطة بجدران مبنية بالآجر المغلف بالقير . وكان طول كل جدار ٣٠٠ ستاداً وارتفاعه ٣٥ قدماً .

ويتحدث ديودورس دون شك عن الخزان ذاته الذي تناوله بالبحث ابيدينوس وهيرودوتس ، الا انه لايعزوه الى نبوخذنصر ولا الى زوجته نيتوكريس ، بل الى الملكة الأشورية الأسبق سميرأميس ، ولا يدون شيئاً قد يفيدنا بالتوصل الى تفسير لذلك . كذلك فانه يغفل ذكر موقع البحيرة . ان قوله ان الموضع الذي حفرت فيه البحيرة كان في اوطأ بقعة في جميع بلاد بابل لايتفق مع الحقائق ، ويتعارض كذلك مع القول بان البحيرة قد أحيطت بأربعة جدران

مبنية بالآجر والقير ، لان بحيرة محفورة في اوطأ بقعة لاتتطلب جدران تحيط بها . وقيل ان طول كل جدار كان ٣٠٠ ستاداً وبأرتفاع ٣٥ قدماً ان ٣٠٠ ستاداً (ابراتوشينياً (١) تساوي ٤٧ كيلومتراً)؟. ان هذا الطول مضروباً في اربعة يوحي بالأميال العشرين التي رويت عن نبوخذنصر والفراسخ الاربعين عند ابيدينوس . ولا يمكن تفسير الفقرة بأي حال من الاحوال ، لانه ، في الوقت الذي تكون فيه المسافة المتوسطة بين الفرات ودجلة فوق سبار حوالي اربعين كيلو متراً ، فان ٣٠٠ ستاداً (٤٧ كيلو متراً) جنوباً من سبار لاتصل حتى الى بابل ، التي تبلغ المسافة منها الى دجلة اكثر بكثير من ٤٧ كيلو متراً .

ان المرتزقة الاغريق الذين رافقوا في عام ٤٠١ قورش الاصغر في حملته ضد الملك الفارسي العظيم ارتاكسيركيس اخترقوا المنطقة الشاسعة حول بعد هزيمتهم في كوناصا . وقد أحسن زينوفون ، الذي كان احد المشاركين في هذه الحملة ، في وصف ما آل إليه مصير الاغريق . وعلى هذا ينبغي ان نتوقع في مؤلفه تفصيلات قد تعيننا على حل الغاز كثيرة . ولكن زينوفون في فقرة واحدة فقط من كتابه انابسيس يذكر بقايا آثار قديمة يمكن مطابقتها مع سد نبوخذنصر . ففي الانابسيس (ج٢ ص٤ : ١٢ ومابعد) يذكر ان اليونانيين وصلوا الى السور الميدي . وقيل ان هذا كان قد بُني ، غير بعيد عن بابل ، بالآجر المغلف بطبقة من القير ، بسمك ٢٠ قدماً وبارتفاع ١٠٠ قدم وبطول عشرين فرسخاً وفقاً للاشاعات . وبعد ان عبروه وصلوا بعد مرحلتين (تساويان ٨ فراسخ) الى جسر القوارب المنصوب على دجلة الذي يبعد ١٥ ستاداً عن بلدة سيتاس .

وكلا الارتفاع والعرض على ماذكر لايمكن ان تمثل سوى المعدلين واما الطول فانه مأخوذ من الاشاعات فقط . ويبدو ، على كل حال ، ان

دراسة دقيقة لكتاب زينوفون تظهر ان ما عبره الجيش الاغريقي كان سد نبوخذنصر ولذلك فان السور الميدي الذي ذكره زينوفون يمكن ، بل يجب ، ان يتطابق مع البقايا التي ذكرها هيرودوتس وابيدينوس وديودورس . وصل الاغريق الى السور من الشمال الغربي ؛ ولم يجدوا بحيرة على ذلك الجانب منه ، وانما وجدوا سهلاً منخفضاً فقط متقاطعاً بقنوات وترع متعددة وكانت صعبة العبور جداً . ولا نعلم من زينوفون الطريقة التي عبر بها الجيش الاغريقي السور ولا الغرض من بنائه . والقول بانه لم يمتد بعيداً عن بابل ينبغي الايؤخذ حرفيا ، اذ ان زينوفون لم يعلم اين كانت تقع بابل ، والسبب الوحيد الذي حمله على الاعتقاد بان الجيش كان يقترب من المدينة العظيمة لا يتعدى حقيقة ان الجيش كان يسير في اتجاه جنوبي شرقي .

وفيما بعد السور الميدي اخترق الاغريق متنزها فسيحاً ، ومن الممكن ان السور يشكل حاجزاً للمتنزه في جزء منه في الأقل . ان احتمال بناء السور فوق سد نبوخذنصر قد يكون سبباً جيداً في انه بدا في نظر زينوفون عالياً وسميكاً جداً . اما الطول البالغ عشرين فرسخاً فانه عالم به عن إشاعات كما يذكر هو نفسه . وربما مثّل هذا الرقم محيط خزان نبوخذنصر ؛ اما السد الشمالي فلا يذكره زينوفون على الاطلاق ، وربما لتوهمه انه أحد الاجراف المتشابهة المتعددة التي احاطت بالقنوات القديمة ؛ كما انه لايعير انتباهاً الى الخزان اذ لم يعد فيه اي ماء آنذاك .

وفضلاً عن زينوفون ، فانّ منطقة سد نبوخذنصر زارها كذلك اميانوس مارسلّينوس الذي رافق عام ٣٦٣ م الامبراطور جوليان في حملته ضد الفرس . ففي كتابه (ح ٢٤ ص ٣) يصف اميانوس مستنقعاً وصل اليه الجيش الروماني بعد مسيرة اربعة عشر ميلاً من بيريسابورا ، ان زرسيموس ، الذي استقى معلوماته من ماكناس الكرهي بصورة رئيسة ، وكان مشاركا آخر في الحملة ، يذكر في تاريخه الحديث

ح٣ ، ص ١٩) ان هذا المستنقع كان يُغمر من الفرات ومن نارملخا وتطابق بيريسابورا الأنبار الحديثة . ان اربعة عشر ميلاً رومانيا من هنا على امتداد الفرات توصلنا الى حوالي مدخل قناة دفّار الحالية ، الذي يمتد منه في اتجاه شرقي الى جنوبي شرقي سهل منخفض يغمر بالماء كلما فاض الفرات . ويربط زوسيموس مستنقعه بـ (نارملخا) تماماً كما يربط به ابيدنيوس خزان نبوخذنصر .

واورد اميانوس مارسلّينوس ايضاً (المصدر نفسه ح٢٤ ص٥ : ١ وما بعد) ان الرومان وصلوا الى بساتين وحقول خصبة ؛ حيث وجدوا سكناً ملكياً مبنياً على الطراز الروماني ، ووجدوا ايضاً حظيرة للصيد محاطة باسوار عالية ومليئة بانواع الحيوانات المفترسة . ولم تكن المسافة بعيدة من هناك الى كوخة ، التي دعيت فيما بعد بسلوقية .

ومن الواضح ان المتنزه العظيم عند زينوفون (الانبسيس ، ح٢ ، ص ٤ : ١٤) كان مطابقاً لحظيرة الصيد التي ذكرها اميانوس مارسلّينوس . وعلى هذا يمكن الافتراض ان السور المحيط بحظيرة الصيد كان يؤلف ايضاً جزءاً من السور الميدي عند زينوفون . وفي الحقيقة يمكن ان نتوقع من زينوفون ، الذي اتصفت بياناته دائماً بالمبالغة فيما يتعلق بعرض الانهر المختلفة ، ان يصف لنا هذا السور بانه اكبر وأعلى مما هو عليه .

موقع اوبيس وعلاقته بخزان نبوخذنصر

ولأجل معرفة مجرى سد نبوخذنصر فمن المهم جداً ان نعرف اين كانت تقع اوبيس بالضبط . ومن الروايات المتنوعة الخاصة بالأول بيّنا ان الأخيرة يجب ان يُبحث عنها على الضفة اليمنى لدجلة .

وكانت اوبيس ، التي تطابق اكشاك البابلية القديمة) تورو — دانجن ، التاريخ [١٩١٨] ، ص ٦١) ، تدعى ايضاً او — بسي — يه ،

وهو الاسم الذي اشتقت منه « اوبس » الكلاسيكية . وكانت مركزاً لمملكة لها أسرة حاكمة خاصة بها واحتفظت باستقلالها لزمن طويل .

ولا يذكر مؤلفوا العهد الآشوري هذه البلدة مطلقاً ، بينما ملوك العهد البابلي الجديد يأتون بها من جديد ، ليس بالاسم المألوف آنذاك او — بي — يه بل بالاسم القديم اكشك . ولم يعرف الكتاب الكلاسيون الأقدم عهداً بلدة ما عند اواسط دجلة اعظم اهمية من اوبيس .

ويذكر هيرودتس (التاريخ ، ج١ ص ١٨٩) كيف وصل قورش في حملته ضد بابل الى نهر جنديس ، الذي يتصل بنهر آخر يدعى دجلة الذي يجري ماراً بازاء بلدة اوبيس ويصب في البحر الارثري [كذا] .

وبالطبع لايذكر هيرودوتس ما اذا كانت اوبيس هذه تقع فوق فم جنديس او اسفل منه، الا ان السياق يؤدي بنا الى الافتراض بان جنديس يصب في دجلة فوق بلدة اوبيس ، وبالتالي الى الشمال منها . فاذا كان جنديس مطابقاً لنهر ديالى الحالي فينبغي البحث عن اوبيس الى الجنوب من فوهته . ومثل هذا الموضع يكاد يضع اوبيس الى الشرق من (ابو حبّة) الحالية (سبار القديمة) او في نفس المنطقة التي تشير اليها جميع سجلات خزان نبوخذنصر .

ان تحديد موقع اوبيس اشير اليه في الانابسيس (ج٢ ، ص٤ : ٢٥) . يدون زينوفون انه من جسر القوارب على دجلة في سيتاس قام الاغريق بأربع مراحل (٢٠ فرسخاً) ووصلوا الى نهر فيسكوس ، الذي عرضه بلثرم واحد وعليه جسر ، وعلى هذا النهر كانت تقع مدينة اوبيس العظيمة .

وبما ان موضع سيتاس غير معروف لدينا فلانستطيع ان نذكر على وجه الدقة في اية نقطة شيد الجسر الذي عبره الأغريق من الضفة اليمنى الى اليسرى لدجلة ؛ وهكذا تنقصنا نقطة البداية للمراحل الأربع منها الى اوبيس .

واستناداً الى الانابسيس (حـ٢ ، ٤ : ٢٧) تقدم الاغريق من نهر فيسكوس في ست مراحل (٣٠ فرسخاً) الى مدن بريساتس المصدر نفسه ، (حـ ٢ ص ٥ : ١) وعلى امتداد دجلة بأربع مراحل (٢٠ فرسخاً) الى نهر زبتاس وعرضه اربع بلثرمات .

واذا كان نهر زبتاس مطابقاً ، كما هو محتمل جداً ، للزاب الكبير الحالي فينبغي البحث عن اوبيس على بعد عشر مراحل (٥٠ فرسخاً) جنوباً على امتداد دجلة من فم زبتاس . وبهذه الطريقة نصل الى نهر العظيم الحالي الذي ينطبق عادة على فيسكوس ، واذ ذاك تقع اوبيس في مكان ما بالقرب من تقاطعه مع دجلة ، ولا يذكر زينوفون ما اذا كانت على الجانب الايمن ام الأيسر من النهر الأخير . ومع ذلك فان موقع اوبيس هذا ، على بعد اكثر من تسعين كيلو متراً بصورة مباشرة تقريباً الى الشمال من ابوحبّه ، سبار القديمة ، يعارض كل ما قدمناه حتى الآن لتفسير سجلات خزان نبوخذنصر والسور الميدي . ان هذه التفسيرات لابد ان يستعاض عنها بغيرها إن كان لابد من الاعتماد على زينوفون وحده .

على ان دراستنا لمؤلف زينوفون تبرهن انه ، في الأقل في وصفه للفرات الاوسط ، لا يُعتمد عليه تمام الاعتماد . وعلى سبيل المثال ، كما اوضحنا لايُعتمدعليه تمام الاعتماد . وعلى سبيل المثال ، كما اوضحنا آنفاً ، انه يلتبس ؟ عنده نهر خابوراس بقناة اراكسيس انه اهمل ذكر اكثر من نقطة عبور لخندق ارتاكسير كيس برغم ان الجيش لابد أن عبره مرتين بعد كوناحسا فيما لو وصل هذا الخندق الى السور الميدي ؛ وانه يؤكد ان الاغريق فيما وراء السور الميدي عبروا قناتين تأخذان من دجلة ، برغم ان هاتين القناتين لابد ان كانتا تأخذان من الفرات .

ولعل زينوفون وقع في خطأ آخر من النوع نفسه في الفقرة (المصدر نفسه ، حـ١ ، ص٤ : ١٠) التي فيها يحدد موضع سكن المرْزُبان ببليسيس

بجانب نهر درداس بدلاً من جعله بجانب قناة آخذة من الفرات غير بعيدة عن بلدة ثيساكوس ، حيث كانت بلدة بربليسوس (ابن بليسوس او بيليسيس) معروف ، للمؤلفين الكلاسيين وكذلك للمؤلفين السريان والعرب .

وبالنظر الى الميل لعدم دقة الملاحظة عند زينوفون فمن المحتمل جداً انه توهم بموقع سيتاس على انه موقع اوبيس ، وعلى هذا فان اوبيس ينبغي البحث عنها بالاستناد الى زينوفون ، في جنوب السور الميدي ، على مسافة خمسة عشر ستاداً جنوب جسر القوارب الذي عبر عليه الاغريق الى الضفة اليسرى لدجلة . ولا يذكر زينوفون انه شاهد اوبيس ، وانما يذكر ان الاغريق التقوا هناك بالقطعات الفارسية من سوسة واكبتانا (همدان) لنجدة الملك العظيم . ومن السهل ان يكون هذا اللقاء في موقع عند نهر فيسكوس اذ كانت هذه القطعات في اغلب الاحتمال زاحفة على الطريق المار بمحاذاة هذا النهر من بلاد فارس . وبما ان جلّ انتباه الاغريق كان منصباً على الجيش الاضافي هذا ، فمن المحتمل ان يكون زينوفون قد استدل خطأً اسم سيتاس باوبيس . ومن الصحيح ان هيرودوتس يذكر اوبيس ، ولكن مما يُشك فيه كثيراً ان يكون زينوفون قد قرأ هيرودوتس في وقت ما قبل الحملة ، ذلك لان عباراته الخاصة ببلاد بابل كانت تكون أوفى بكثير لو كان درس كتاب مواطنه او لو كان أخذه معه في هذه الرحلة .

فلو كانت اوبيس حقاً تقع عند مصب نهر فيسكوس (العظيم الحالي) ، كما يقول زينوفون ، اذن لكان من الصعب ان نفهم لماذا أمر الملك نبوخذنصر ببناء سور واق او سد طوله تسعون كيلو متراً لحماية بابل ، من سبار في اتجاه الشمال الى اوبيس . ان هذا السور الواقي او السد كان ينبغي ان يكون

موازيا تقريباً لضفة دجلة اليمنى ، والى الغرب منه كان يمتد سهل فسيح وطويل يمكن ان تغمره مياه الفيضان ، كما لايزال يحدث في كل فيضان كبير لنهر الفرات . بيد ان هذه البحيرة نصف الطبيعية ونصف الاصطناعية على بعد ستين كيلومتراً شمالي بابل لايمكن لها باي حال ان نقوم بالدفاع عن المدينة ، وان قورش الأول كان في امكانه تجنبها بصورة كاملة .

واستناداً الى فقرة في كتاب هيردوتس (التاريخ حـ١ ، ص ١٨٩) والذي أشرنا اليه ، فان قورش وصل في زحفه الى بابل عام ٥٣٩ ق . م الى نهر جنديس الذي يطابق كما قلنا آنفاً نهر ديالى ليومنا هذا ؛ ثم ، استناداً الى نيونيدس (تاريخ نبونيديس]سمث ، نصوص تاريية بابلية (١٩٢٤) ، اللوحة ١٣ ، الوجه المعاكش ، العمود ٣ ، الاسطر ١٢ — ١٦ ، سمث ، المصدر السابق ، ص ١١٣) ، فانه دحر الجيش البابلي عند اوبيس فان كانت اوبيس تقع عند فم نهر فيسكوس ، او العظيم ، لكان عل قورش ان يعود من نهر ديالى شمالاً ، برغم ان هذا كان نفس الاتجاه الذي قدم منه ، اما اذا كانت ، من الناحية الثانية ، اوبيس واقعة اسفل من فم جنديس عند النقطة المؤشرة بالمجرى المحتمل لسد نبوخذنصر فما كان عليه الا الاستمرار بزحفه وشق طريقه عَبْر دجلة واخترق الخط الدفاعي للبابليين عند اوبيس ، واحتلال سبار والزحف دون قتال الى بابل .

ويذكر اريان (انابسيس ، حـ٧ ص٧) انه في عام ٣٢٤ ق . م دمر الاسكندر العظيم جميع الحواجز الخاصة برفع مستوى الماء او تحويل مجراه المنصوبة على دجلة ، وبذا جعل الملاحة حرة على هذا النهر من الخليج العربي حتي اوبيس ، التي كانت واقعة على ضفته . وقد ظل هناك (المصادر نفسه ، حـ٢ ص٨) طوال الصيف وارسل المحاربن القدامى المقدونيين الى الوطن من هناك ، وشرع (المصدر نفسه حـ٧ ص١٣) في حملة من اوبيس الى اكبتانا (همدان) .

ويظهر من رواية انه بالنظر لموقع اوبيس فلا بد انها كانت مدينة بالغة الأهمية ومفترق طرق مؤدية من بابل الى بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين الشمالية . ولكـــان مـــن المستغرب لو ان اتبـــاع الاسكندر الذين أعقبوه لم ينشئوا مستعمرة هامة في مكان له مثل هذه الأهمية وكاد يكون مقدساً نتيجة سكوته فيه ، ولم يرد ذكر مستعمرة اغريقية في اي مكان عند مصب فيسكوس ، وكانت أشهر مستعمرة إغريقية في المنطقة هذه هي سلوقية أسفل من مصب نهر ديالى وكادت تكون شرقي ابو حبّة مباشرة ، او في نقطة حيث ينبغي البحث عن اوبيس طبقاً لتقارير خزان نبوخذنصر وسدها . لذا فمن المحتمل جداً ان المستعمرة الاغريقية سلوقية شيدت في أقرب مكان لمدينة اوبيس القديمه وبذا اصبحت حليفاً لها . ويبدو ان هذا الافتراض قد اكده سترابون (الجغرافية ، حـ ١٦ ، ص١ : ٩) حيث يذكر ان دجلة صالح للملاحة حتى اوبيس ، وهي مدينة وسوق للمنطقة المحيطة بها ، وكذلك لسلوقية الحالية . وهكذا يربط ستراوبون بسلوقية القديمة ، التي شكلت ، ان صح التعبير ، ضاحية من البلدة الأحدث عهداً . ان لكل بلدة كبيرة في الشرق الحديث ضاحية من هذا النوع تقوم بمثابة سوق للمواطنين المحليين من المناطق المجاورة باسرها ، الذين يتجنبون المخازن الكبيرة في الشوارع الرئيسة ، اذ كانوا يهتمون بالشراء اكثر من اهتمامهم ببيع منتجاتهم نوعا ما .

واستناداً الى ايراتو سثينس (سترابون ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١ : ٢٦) فان اقصر مقترب من الفرات الى دجلة مئتا ستاد ، وكان ذلك عند سور سمير اميس وبلدة اوبيس ؛ وفي موضع آخر (المصدر نفسه ، جـ ١١ ، ص ١٤ : ٨) يذكر ان دجلة يجري بجانب اوبيس وما كان يدعى بسور سميرأميس .

ان كلتا الروايتين وكذلك سجلات نبوخذنصر وابيدنيوس تربط اوبيس بسدود الخزان العظيم الذي عزاه ايراتو سثينس ، طبعاً ، وكذلك ديودورس الى سمير

اميس . ونتيجة لذلك فان اراتو ستينس يضع اوبيس شرقي ابو حبّه الحديثة (سبّار) .

وتؤكد هذا الموقع ايضاً عبارة ايراتو سثينس ان سور سميراميس شُيد عند اوبيس في الموضع الذي تكون فيه المسافة بين النهرين العظيمين أقصر ما يكون ، اي بين سبارالقديمة وبينالمستعمرة الاغريقية سلوقية . وبين الموضعين المذكورين اخيراً ليس ثمة اكثر من مئتَيْ ستاد ايراتو سثيني ، او حوالي ٣١ كيلومتراً ، بين النهرين . ولا بد ان نستنتج من الدليل الجيولوجي ان المجرى الرئيس للفرات انساب على بعد حوالي عشرة كيلومترات غربي سبار في زمان نبوخذنصر وكذلك في زمان ايراتو سثينس . ويبدو ان اقصر المسافات هذه بين سلوقية والفرات الأصلي مسجلة لدى سترابون في فقرتين : ففي الأولى (المصدر السابق ، ح١٦ ص١ : ٥) لايقدرها بدقة كبيره اذ يقوم انها ثلاثمائة ستار ؛ وفي الفقرة الأخرى (المصدر نفسه ، ح١٦ ص١ : ٢١) نقرأ انها « اكثر من مئتي ستاد . » وفي كلتا هاتين الفقرتين يتضح من السياق انه بدلاً من « بابل » ينبغي ان نقرأ « الفرات » . فلو كانت اوبيس في حقيقة الأمر واقعة عند فم نهر فيسكوس فلا يمكن بأي حال من الأحوال ان يكون الفرات على أقرب ما يكون من دجلة عند اوبيس ، اذ ان أقصر مسافة بين النهرين عند فم فيسكوس هي حوالي ثمانين كيلومتراً في خط عرض سلوقية .

ويبدو مما سبق أنه ، فيما عدا بيانات زينوفون ، ليس ثمة حجة في الأدب القديم تحول دون تحديد موضع اوبيس بجوار سلوقية مباشرة على الضفة اليمنى لدجلة . وان سد خزان نبوخذنصر آنذاك يطابق السور الميدي عند زينوفون ويمتد شمال سبار باتجاه شرقي الى دجلة ، الذي يبلغه شمالي اوبيس .

ان امكانية التباس اوبيس مع ستياس يؤكدها سترابون (المصدر السابق ، ح١١ ص ص١٣ : ٦) حيث يقول ان منطقة ابولونياتس كانت في الأصل

تدعى سيتاسين . وتقع هذه المنطقة على الضفة اليسرى لدجلة حيث تنضم اليها سوسيمس (المصدر نفسه ، ١٥ ، ٣ : ١٢) . ولان اسمها مشتق من اسم سيتاس فعلينا البحث عن الموضع الاخير على الضفة اليسرى لدجلة ايضاً ، وليس على الضفة اليمنى حيث حدد زينوفون موقعها .

واستناداً الى بطليموس (الجغرافية ، ٦ ، ١ : ٦) ايضاً ، كانت تقع على الضفة اليسرى لدجلة في بلاد آشور وليس في بلاد بابل ، ولكانت تتبع الاخيرة لو انها كانت واقعة على الضفة اليمنى أسفل من السور الميدي .

قنوات الفرات الاوسط

وبالاضافة الى خزان نبوخذنصر فان قنوات كثيرة في جزئنا من بلاد بابل قد ذكرت في السجلات البابلية والآشورية والكلاسية ، ولكن نادراً ما تكون بدقة كافية تجعل تحديد موقعها ممكناً .

عبر توكولتي اينورتا (نينب) الثاني (الحوليات [شايل ، الحوليات (١٩٠٩) ، لوحة ٢] ، الوجه الأمامي ، السطر ٥٢ وما بعده ، شايل ، المصدر السابق ، ص ١٦) قناة باتي بيل في مسيرته الرابعة عشرة ، بينما كان يتقدم من دور كوريكالزي (عقرقوف) الى سبار (ابو حبّه) . وبما انه كان يزحف في مسار مستقيم واخذ قسطاً من الراحة عند القناة ، فلا بد من البحث عنها في مكان ما قرب قرية الجرية الحالية ، على فرع من قناة العيساوي . إذن لا بد ان كانت باتي بيل آخذة من الفرات اسفل من بلدة الفلوجة الحديثة تقريباً عند النقطة التي كان نهر صرصر في ازمنة لاحقة يأخذ منها . ومن المؤكد ان توكولتي اينورتا عبر قنوات كثيرة في طريقه من سبار الى الشمال الغربي على امتداد الضفة اليسرى للفرات ، ومع ذلك فانه لا يذكر اسم أي منها ، بل يكتفي بمجرد ذكر اسماء المدن التي عسكر بالقرب منها .

نظام القنوات الكبير في اقص الشمال

المراجع الكلاسيكية تتحدث عن النظام في اقص الشمال

يشير تعليق لزينوفون (انا بسيس ، ط ص ٧ : ١٥) ، بعد ذكر الترعة التي صادفها الاغريق عند اقترابهم من ميدان المعركة في كوناصا بعد مغادرتهم بيلايه ، انهم وصلوا الى اربع ترع أخرى آخذة من دجلة ، عرض كل واحدة منها بلثرم واحد (٣١ متراً) وعمقها كافٍ للملاحة فيها . وكانت جميعها تصب في الفرات وبين الواحدة والأخرى مسافة فرسخ واحد .

ولا يذكر زينوفون ما اذا عبر الاغرق اياً من هذه القنوات في زحفهم الى ميدان المعركة ، ومع ذلك فانهم لا بد ان عبروا جميعها لانه يصف في فقرة تالية (٢ ، ٣ : ١٠ — ١٣) الصعوبات التي واجهت الاغرق في طريقهم عودتهم الى السور الميدي عندما كانوا يعبرون القنوات والترع الاروائية المختلفة .

ان زينوفون في الانابيس (حا ص ٧ : ١٤ — ١٦) عند وصفه الترعة « التي حفرها الملك العظيم على انها للدفاع ضد الغازي » والتي صادفها الاغريق عند اقترابهم الى كوناصا ، يذكر بدقة موقع القناة البابلية الأولى بالنسبة الى القادم من الشمال الغربي . وصل الاغريق مـــن بلايه في اربع مراحل (١٥ فرسخاً) الى ترعة عرضها خمس قامات ، وعمقها ثلاث قامات وطولها ١٢ فرسخاً ، التي امتدت حتى السور الميدي .

اعتقد زينوفون ان هذا « الخندق » حُفر بأمر من الملك العظيم لمنع قورش من دخول بلاد بابل ، وقد أخطأ في ذلك . فلو انه كان خندقاً دفاعياً لكان ولاشك ممتلئاً بالماء . والواقع انه كان لا يزال بينه وبين الفرات حاجز من الارض عرضه عشرون قدماً ، وهو الذي منع اولاً دخول الماء الى القناة ، وثانياً سمح للاغريق بالعبور من دون عائق . فلا بد ان كان « الخندق » قناة في طور التنظيف

فقط ، ومن المحتمل ان يكون مدخلها قد طُمر بالتراب لتسهيل العمل في داخلها . ويمكن تحديد موقعها بدقة نسبية من كلمات زينوفون . ويمكن مطابقة بلاية بآخر نتوء للارض المرتفعة من الدور الثالث للتكوين الصخري الذي يأخذ بالانحدار حتى الفرات نفسه ويحيط بالمنطقة الغرينية الاصلية لبلاد بابل من الشمال الغربي ، أي نتوء جبل الأسود الحالي الذي تقع عليه الخربة التي تحمل الاسم نفسه . والى شرق ـــ الجنوب الشرقي من سهل اسود الفيضي تعترض المنطقة الغرينية على الضفة اليسرى للفرات بين النهر والارض المرتفعة وهنا تبدأ بلاد بابل الأصلية . وبعد اربع مراحل (حوالي ٦٠ كيلومتراً) من الأسود نصل الى قناة الكرمه او الصقلاوية التي تأخذ من الفرات عند الأنبار . ان رواية زينوفون صائبة حين ذكر ان طول « الخندق » اثنا عشر فرسخاً (حوالي ٦٠ كيلومتراً) ، اذ ان هذه هي المسافة من الفرات الى دجلة الذي كانت تصب فيه هذه القناة التي كانت نصف طبيعية ونصف اصطناعية . ولا يمكن للقناة الرئيسة ، بل يمكن لاحد فروعها ، ان يمتد حتى السور الميدي . وبما ان زينوفون لا يقول ما اذا عبر الاغريق القناة الرئيسة اثناء تراجعهم من ميدان المعركة الى الشمال الشرقي ، فلنا ان نستنتج إما انه نسي ذكرها او أنهم لم يتوغلوا هذه المسافة شمالاً ؛ وعلى أي حال فان الترعة الرئيسة لم تكن تمتد الى السور الميدي .

ومن المحتمل جداً ان هذه القناة هي التي كانت على بال بليني (التاريخ الطبيعي ، جـ ٥ ص ٩٠) عندما كتب ان الفرات يتفرع عند بلدة مسيكن ، على بعد ٥٩٤ ميلاً من زوكما . ويضيف ان الجدول الايسر بعد ان يأخذ طريقه الى بلاد ما بين النهرين وبعد ان يجري مخترقاً سلوقية يصب في دجلة ، بينما يجري الجدول الأيمن في مجراه الى بابل .

ان بليني إما ان يكون قد نسخ ارقامه بشكل مغلوط او ان النسّاخ اللاحقين نقلوها خطأ ، ذلك ان ٥٩٤ ميلاً من زوكما ما كانت توصلنا حتى الى

اناثا ، عانة الحديثة ؛ وان الفرات لاينقسم إلا اسفل من ذلك المكان بمسافة غير قليلة ، وذلك عند النقطة التي يدخل النهـــر فيها الارض الغرينية لبلاد بابل . وبين هذه الاخيرة وهضبة بلاد ما بين النهرين من الدور الثالث التكوين الصخري منخفض يدعى الآن الخور ، كانت تجـــري فيـــه مياه الفرات في عهد بليني ، ولا تزال تجري خلال ما يدعى الآن قناة القرمة او الصقلاوية ، وهي اول قناة تتشعب مـــن النهر ، ومنها يمكن توجيهها بقنوات اصطناعية او طبيعية حتى ساوقية القديمة . وعلى هذا يمكن البحث عن مسيكن التي اوردها بليني عند مدخل القرمة ؛ وربما كانت البلـــدة مطابقة مع بسيخانة التي ذكرها ايسيدور الكرخي او مع الرمادي الحديثة .

ويورد اميانوس ، في كتابه (٢٤ ، ٢ : ٧) كما لاحظنا اعلاه (ص ٦٤ و ٧١) ان الفرات ينقسم عند مسابراكتا . فيجري فرع في مجرى عريض الى بلاد بابل الداخلية مما يأتي بخير عظيم لحقول القرى المجاورة ؛ اما الفرع الذي يدعى نارملخا ، ويعني نهـــر الملك او النهر الملكي ، فيجري نحو طيسفون . وفي بداية هذا الفرع ، قيل ان برجاً يشبه الفنار قائم هناك . وبعد اجتياز الرومان له وصلوا الى حصن بيريسابوراس .

وفي هذا الصدد يتحدث زوسيموس ، في التاريخ الحديث (٣ ، ١٦) عن قناة نقط ، دون ذكر اسمها ؛ ويقول انها تمتد نحو بلاد آشور ودجلة .

ويذكرنا سجل اميانوس مارسلينوس كثيراً بسجل بليني ، الا ان اسم البلـــدة عند الاول هو مسابراكتا وليس مسيكن . ولعل نارملخا ، الواقع في الحقيقة على مسافة غير بعيدة الى الجنوب ، تسرب الى سجل اميانوس

مارسلّينوس في هذا الموضع نتيجة لعدم الانتباه ، وربما من بليني او من مصدره . ولم يعرف ماكنوس الكرخي ، الذي غالبا ما استعان به زوسيموس ، اسم هذه القناة ، برغم انه يذكر اماكن اكثر من اميانوس مارسلّينوس . ومثل اميانوس مارسلّينوس (المصدر السابق ، ٢٤ ، ٣ : ١٠) ، يتحدث زوسيموس ايضاً (المصدر السابق ، ٣ ، ١٩) عن المستنقعات الطبيعية والاصطناعية التي وصل اليها الرومان بعد سيرهم اربعة عشر ميلاً ما وراء حصن بيريسابوراس والتي بينها تقع مدينة فيسينيا . .

واستناداً الى زوسيموس ، فان خنادق هذه البلدة كان يملأ من نار ملخا ومنه كانت تُغمر المستنقعات ايضاً . على ان القناة المشار اليها في هذه الحالة لا يمكن ان تكون القناة التي يدعوها اميانوس خطأً بنهر ملخا ، لان الأخيرة (الكرمة الآن) كان مدخلها اميالاً كثيرة شمال غربي فيسينيا (عقر النعيلي) والأكثر من ذلك ، فبين مستنقعات فيسينيا وحصن بيريسابوراس (الأنبار) تمتد بقعة منعزلة من نجد يعود الى الدور الثالث من التكوين الصخري لمسافة عشرين كيلومتراً تقريباً من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي . ولعل بلدة مسابراكتا تطابق خرائب إم الروس التي يقع بجوارها مدخل مجرى الوشاش الذي ينضم الى مجرى الصقلاوية مكوناً قناة الكرمة .

نظام اقصى الشمال في المراجع العربية

يسمى الكتاب العرب اول قناة كبيرة في بلاد بابل تتفرع من الضفة اليسرى الفرات الدقيل او الرفيل او الدجيل ، وغالبا ما يخلطون بينها وبين قناة نهر عيسى ، التي لم تحفر الا في زمن الحكم الاسلامي .

ويكتب قدامة ، في الخراج (دي خويه) ، ص٢٣٤) أنه عند نقطة أسفل من الأنبار يأخذ نهر يسمى الدقيل الماء من الفرات . ومنه يفصل نهر عيسى ، الذي يجري نحو بغداد حيث يصب في دجلة . ان هذا لا يتفق مع الحقائق : لا يمكن لنهر عيسى ان يكون قد تفرع من نهر الدقيل ، اذ ان كليهما يأخذ من الفرات .

لقد قام ابن سيرابيون في العجائب [مخطوطة المتحف البريطاني] ، ورقه ٣٣ الوجه المعاكس [لوسترنج] ، ص ١٤) بتمييز صائب بين قناة الدقيل ونهر عيسى عندما يقول ان قناة تدعى عموماً باسم الدجيل ، تأخذ من الفرات على بعد فرسخ ، او اكثر بقليل ، من قرية الربّ ومنها تجري شرقاً . وتتفرع هذه القناة الى فروع كثيرة وتروي مزارع طسوجي مسكن وقُطْربُّل حتى مصبها في دجلة ، بين عكبرا ومدينة بغداد .

لقد كانت قرية الربّ معروفة جيداً عند المؤلفين العرب . انني اطابقها مع تل الخربة عند ضريح الشيخ حديد . ولا بد ان قناة الدجيل في هذه الحالة كانت تأخذ من الفرات قرب نفس النقطة التي تأخذ منها قناة عزّار الحديثة ، ولا بد انها امتدت من هنا بمحاذاة الحافة الشمالية الشرقية للسهل الغريني وعرضه هنا قرابة خمسة كيلومترات — الى الأنبار ؛ ولا بد انها الى الشمال من هذه النقطة دخلت منخفض الخور ومن هناك تعرجت في طريقها بين خربة الأشهابي على اليمين وخربة المقيّر على اليسار ، حتى صبت اخيراً في دجلة ، قرب سرّاحه في يومنا هذا . فكانت لذلك سلفاً لنهر الكرمة الحالي .

ويذكر ياقوت ، في المعجم (فستنفلد) ، المجلد ٤ ، ص ٨٣٩) ، الرفيل نهر يصب في دجلة عند بغداد مأخذه من نهر عيسى ، وهو الذي عليه قنطرة الشوك ، ويصب في دجلة عند الجسر .

اما ابو الفضائل ، في المراصد (جوينبول ، المجلد ٣ ، ص ص ٢٤٧ — ٢٥٠) ، فيصحح ياقوت ويكمله . انه يذكرنا ان الرفيل ، بالأصل ، هو اسم لاعلى النهر الكبير المعروف بنهر عيسى .وكان يرمي فاضله الى الصراة فاستخرج عيسى بن علي هذا البحر الذي يرمى الى دجلة عند قصره ، ليكون جارياً عنده فسمى بنهر عيسى لذلك .

ويتضح من رواية ابي الفضائل ان نهر عيسى الأصلي (قرب بغداد) كان متصلاً في الشمال بنهر الرفيل ، وان الاسم « نهر عيسى » بدأ اطلاقه على الأخير ايضاً . ان نهر الرفيل الحقيقي يُعَدُّ العضو الشمالي لنظام قناة له مدخلان من الفرات ، الفرع من الشمال يحمل اسم « الرفيل » والذي من الجنوب يحمل اسم «عيسى» . ان تسمية « الرفيل» نشأت ولاشك عن نقل محرّف «الدقيل » . ففي هذه الكلمة غالباً ما يكون للحرف (ق) صوت حلقي (اي من أعلى باطن الفم) وربما كان من السهل استبداله بحرف (ج) ويسهل بعد ذلك تحريف «رفيل» الى « دجيل » .

ويميز ابن سيرابيون (المصدر السابق) بين نهر عيسى ونهر الدجيل . فيزعم ان نهر عيسى يأخذ من الفرات عند قرية دمما حيث اقيم عليه جسر متين دُعي قنطرة دمما ، وانه يروي منطقة فيروز سابور . وعلى ضفتيه تقع قرى ومزارع متنوعة ، وينشطر عند المحوّل الى بضعة فروع تجري فيما بعد خلال بغداد .

ان الطبري ، في كتابه التاريخ (دي خويه) ، السلسلة ٣ ، ص ص١٢ وما بعدها) يعاوننا كثيراً في تحديد موقع قرية دمما . فقد وصل قحطبة بن شبيب في عام ٧٤٩ م الى عُكبرا ، وعبر دجلة ، ووصل الى اوانا . ولكنه قبل هذا ارسل مؤتمنه حازم من خانقين ومعه اوامر بعبور دجلة والاسراع من هناك الى الدجيل والانتظار في كوثي ربّا . ثم ارسل اليه في ذلك المكان كتاباً بالتوجه الى الانبار ومصادرة جميع القوارب التي يجدها هناك والانحدار بها الى اسفل المجرى (يُحدر في الاصل) الى دمما ، حيث كان عليه انتظاره . وتمّ تنفيذ هذا كله وعند دمما عبر قحطبة نفسه الفرات في القوارب .

ان هذا يوضح لنا ان قرية دمما كانت تقع اسفل من الانبار وانه لهذا السبب لا يمكن ان يكون نهر عيسى مطابقاً لنهر الدجيل الذي أخذ من الفرات فوق الانبار .

والاصطخري ، في مسالكه (دي خويه) ، ص ٨٤ كان ايضاً على دراية بمدخل نهر عيسى عند جسر دمما الحجري . فعلى هذه النهر تجرى السفن من الفرات مخترقة بغداد الى دجلة .

وابن حوقل ، في مسالكه (دي خويه) ، ص ١٨٥) عند كلامه على الجزء الغربي لبغداد ، يذكر ايضاً ، نهر عيسى ، يتفرع من الفرات في مكان غير بعيد عن الانبار ، تحت جسر دمما الحجري .

اما ابوالفداء ، في التقويم (رينو وديسلان) ، ص ٥٢) فيثبت مدخل نهر عيسى عند خط الطول ٦٨° شرقاً ، وخط العرض ٣٢° شمالاً ، مقابل الكوفة عند قريه تدعى دمما ؛ ويضيف ان نهر عيسى يخرج من قرب الأنبار تحت جسر دمما المتين . ويستشهد بسليمان بن مهنا الذي يؤكد على ان نهر عيسى كان اسفل من الأنبار وليس بعيداً عن ذلك المكان ؛ اي بجانب مزرعة الفلوجة . ويفترض ان الاسم عيسى كان قد أطلق على النهر نسبة الى عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس ، عم الخليفة المنصور .

وهكذا يقدم ابو الفداء ثلاث روايات عن موقع مدخل نهر عيسى . ان كلتا الروايتين الاولى والثانية تسمّى القرية دمما . ووفقاً للاولى فان القرية كانت تقع قرب الكوفة ، الا ان هذا لا يتفق مع الحقائق ، اذ لا يقول اي مؤلف عربي آخر ان نهر عيسى يأخذ من قرب الكوفة. اما الرواية الثانية فاكثر احتمالاً ، لانه ينبغي ان نفهم ان « دمما » هي تحريف لكلمة « دميما » . ونحن نعلم ان دمما تقع أسفل من الأنبار ونعلم من ابي الفداء انها لم تكن على مسافة بعيدة من هذا المكان . ولكن اوثق الروايات هي الثالثة ، التي استبدل فيها لأول مرة اسم دمما بالفلوجة ، حيث يعبر طريق بغداد في يومنا هذا الفرات على جسر القوارب .

ويذكرنا ابوالفضائل (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٤٢٢) ان قطيعة عيسى دعيت هكذا نسبة الى عيسى بن علي ، عم الخليفة المنصور . وانها بنيت عند مصب نهر الرفيل في دجلة . ويؤكد انه في زمانه (النصف الاول من القرن الرابع عشر) لم يرد ذكر هذه الضيعة .

ويصحح ابو الفضائل (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٢٦٧) عبارة ياقوت التي مفادها ان عقرقوف هي قرية في ضواحي دجيل ، قائلاً انها أحرى ان تكون قرية قرب نهر عيسى ، على مسافة اربعة فراسخ من بغداد .

على ان ياقوت وابو الفضائل كلاهما على صواب . فعقرقوف تقع على الجهة الشمالية من قناة الدقيل القديمة ، او كما كانت تدعى في اللغة الدارجة ، الدجيل ، الذي يتصل به ، في الجزء الشمالي ، نهر عيسى والذي كان يطلق عليه الاسم الاخير احياناً ، كما رأينا آنفاً .

واستناداً الى ابي الفضائل (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ١٥١) فان نهر الصراة تفرع من نهر بلدة المحوّل ، على بعد فرسخ واحد من بغداد ، وروى مزارع بادوريا ، وانقسم الى فروع متعددة تجري خلال بغداد .

ويقول حاجي خليفة ، جهان نما (القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ) ، ص ٤٦١) ان بلدة المحوّل الصغيرة تقع على بعد فرسخين غربي بغداد ، بجانب نهر عيسى وفي اوقات سالفة قام هناك قصر رائع للخليفة المعتصم بالله ، الا أنه لم يكن لهذا القصر أثر عندما زاره حاجي خليفه (النصف الأول من القرن السابع عشر) .

واستناداً الى هذه الروايات فان المدخل الى نهر عيسى يجب البحث عنه في منطقة ليست بعيدة عن بلدة الفلوجة الحديثة . اذ يقع على بعد حوالي كيلو مترين الى الجنوب الشرقي من هذا المكان اكمة خرائب كبيرة بجانب الفرات ، تعرف باسم الخراب ، والى الجنوب منها بقايا قناة قديمة تدعى العيساوي حتى يومنا هذا . وعليه فلنا ما يبرر مطابقة خرائب الخراب مع دمما ومطابقة هذه القناة مع نهر عيسى القديم . فالعيساوي يحيط بالهضبة العائدة للدور الثالث من التكوين الصخري ، ويستدير الى شرق — الشمال الشرقي ، وتنضم بعض فروعه الى فروع لقناة القرمة ، الدقيل القديمة ، حوالى ٢٥ كيلومتراً غربي بغداد .

نهـــر صرصر

يسجل ابن سيرابيون (العجائب ، [مخطوطة المتحف البريطاني] ، ورقة ٣٣ الوجه المعاكس [لوسترنج] ، ص ١٥) . ان نهر صرصر اوله اسفل من دمما يأخذ من الفرات على بعد ثلاثة فراسخ اسفل من قرية دمما . وكان نهراً كبيراً عليه جسر قوارب ومحاط بمزارع وقرى كثيرة ؛ ويخترق مجراه منطقة بادوريا ليصب في النهاية بدجلة بين بغداد والمدائن على مسافة اربعة فراسخ شمالي المكان الأخير.

وتفضي بنا ثلاثة فراسخ (١٥ كيلومتراً) من الخراب ، وهي دمما القديمة ، بامتداد الضفة اليسرى للفرات الى تل السلطان ، حيث تأخذ الآن قناة الرضوانية . ويمكن ايضاً مشاهدة سداد نهر صرصر القديمة هناك حتى الآن .

ويذكر ابن حوقل (المصدر السابق ص ١٦٦) بين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز تخترق اليه أنهار من الفرات ، فاولها مما يلي بغداد نهر صرصر عليه مدينة صرصر ، تجري فيه السفن ، وعليه جسر من مراكب يعبر عليه ؛ ومدينة صرصر عامرة بالنخيل والزرع وسائر الثمار ، صغيرة ، من بغداد على ستة فراسخ ، ثم تنتهي على فرسخين الى نهر الملك وهـــو كبير ايضاً اضعاف نهـــر صرصر في غزر مائه وعليه جسر من سفن يعبر عليه .

ويذكر ابو الفداء (المصدر السابق ص ٥٢) ان نهر صرصر ،، مخرجه من الفرات تحت مخرج نهر عيسى ، ويسير في سواد العراق الذي بين بغداد والكوفة حتى يصل الى (مدينة) صرصر ، ويسقى ما عليه من البلاد ،،

ويذكر ابو الفضائل (المصدر السابق : المجلد ٢، ص ١٥٣) ، صرصر موضعان من نواحي بغداد العليا من قرى نهر الملك ، على جانب السيب الجنوبي ، والسفلى بليدة على جانبه الشمالي ، وهي في طريق الحاج ، وكان عندها جسر السفن على المسيب ، كان الناس يلقون فيه شدة ، فبنى موضعه ابو المحاسن رحمه الله قنطرة من آجر ذات خمسة ابوب كبار وصغار ، وغرم عليها مالاً طائلاً ، وهذه تعرف بصرصر الدير ، لان ديراً كان فيها يعرف اثره الى اليوم (النصف الاول من القرن الرابع عشر) ،،.

ولا يذكر ابو الفضائل إنْ كانت قنـاة صرصر ماتزال قائمة فـي زمانه لا يذكر من اين أتى الماء الذي يجرى تحت الجسر عند صرصر الدير (خرائب الدير الحديثة) . ويمكن التسليم بانـه ليست المناطق المجاورة لمدينة صرصر الأعلى فحسب ، بل ايضا تلك المجاورة لصرصر الأسفل كانت تروى مـن من نهر الملك ، او القناة الملكية ، وان نهر صرصر كان انذاك مسدوداً بالطمى في زمان ابي الفضائل ، عند مدخله في الاقل.

ويكرر حاجي خليفه (المصدر السابق) ، ص ٤٦١ ، كلام ابي الفضائل ، ما عدا انه يحدد موقع صرصر الاعلى في بغداد بالقرب من قناة عيسى ، بينما يضع صرصر الاسفل على طريق الحاج الى مكة على بعد ثلاثة فراسخ مـن بغداد وفرسخين من نهر الملك .

ويبدو ان عبارة حاجي خليفه أصح من تلك التي اوردها ابو الفضائل ، الذي نتوقع منه ان يكون عارفاً بضواحي بغداد معرفة كافية لاتسمح له ان يسمّي مدينة صرصر الى الشمال من قناة نهـر الملك « الاسفل » ، بينما يجري كل من دجلة والفرات في اتجاه جنوبي شرقي . ولا يذكر حاجي خليفه نهر صرصر .

النهر الملكي

ان النهر المهم التالي في جنوب صرصر هوالذي كان يعرف في التاريخ القديم والعصور الوسيطة باسم « النهر الملكي » او « القناة الملكية (نارملخا ، نهر الملك) . وبرغم اننا غالبا ما أتيحت لنا فرصة الاشارة الى هذا في مناسبات اخرى ، فاننا نقترح ان نقدم هنا خلاصة موجزة لما ورد من اشارات في الكتابات الجغرافية والتاريخية .

فلنا ان نفترض ان قناة ارمكالن التي اوردها ابيدينوس يوسيبيوس (التاريخ [شونه المجلد ١ ، العمود ٣٨ ؛ ايضاً ، التهذيب الانجيلي ، ج٩ ، ص ٩١ : ٧) كانت هي القناة الملكية ، ومن المحتمل ان الكلمة « ارمكالن » كانت تمثل تحريفا خطياً لكلمة « نارملخا» (انظر ما سبق ص ص ٧١ وما بعدها ، ١٠٢ ومـــا بعدها) . ويبدو محتملاً ايضاً ان النهرين اللذين يقول زينوفون (انابسيسس ج٢ ، ص ٤ : ١٣) بانهما يأخذان من دجلة كانا في الحقيقة يأخذان من الفرات ، وفي الامكان مطابقتهما مع القناة الملكية ونهر صرصر (انظر ماسبق ، ص ١٠٧) .

واستناداً الى بوليبيوس (التاريخ ج ٥ ص٥١ : ٦) فقد حذّر زيوكسيس (في ربيع ٢٢٠ ق . م) انتيوخس الثالث بان لايذهب مـــن ليبا بمحاذاة الضفة اليمنى لدجله ، لأ نه بعد ستمراحل يصل الى «الترعة الملكية ، ويكون لزاماً عليه ان يعود فيما اذا كان مولون مسيطراً عليها ولم يكن في مقدوره العبور عنوة .

ولابد ان تكون « الترعة الملكية » مطابقة لنهر الملك ويمكن ان تطابق ايضاً سد نبوخذنصر والسور الميدي الذي اورده زينوفون . وتروي القصة ان هـــذه الترعة الملكية تجرى بين الفرات ودجله ؛ ولا بـــد انها وصلت الى الضفة اليمنى مـــن النهر الأخير في شمال بابل وشمال سلوقية عند النقطة التي حددنا فيها السد الجنوبي لخزان نبوخذنصر العظيم .
وعرف سترابون (الجغرافية ، ١٦ ، ١ : ٢٧)نهراً بين الفرات ودجلة كان يدعى بـ « الملكي » : اي نارملخا .

ونعلم من ايسيدور الكرخي ، قصور البارثيين(ملر) ، ص ص ٢٤٧ — ٢٤٩) ان طريق النقل الكبير مـــن سوريا الى سلوقية كان يتبـــع الضفة

اليمنى القناة الملكية في اتجاه شرقي من نيابوليس (خرائب بترا الآن) ، عابراً الى الضفة اليسرى قبل الوصول الى سارقية مباشرة (انظر ماسبق ، ص ص ٥٧ ومابعدها) .

ويسجل بليني (المصدر السابق جـ ٦ ص ١٢٠) ان الحاكم الروماني كوباريس أمر بأن يُحوّل جزء من ماء الفرات لحماية بابل من خطر تياره البالغ القوة . ان هذا الفرع تفرع من الفرات عند بلدة اكرانيس وهو معروف عند الأشوريين جميعاً باسم نارملخا ، وتعني النهر الملكي .

ولعل الاسم «اكرانيس» الذي اورده بليني له صلة بقناة اكراكانون التي اقترنت عند ابيدنيوس (يوسيبيوس ، المصدر السابق) بقناة ارماكن (انظر ماسبق ، ص ١٠٢) .

ووفقاً لبطليموس (الجغرافية جـ٥ ص ١٨ : ٨) فان النهر الملكي شكل خط الحدود الفاصل بين بلاد ما بين النهرين وبلاد بابل . انه تفرع من الفرات على نفس خط عرض سلوقية ، او مباشرة في غرب ذلك المكان .

ولا بد ان يؤدي هذا بنا الى البحث عن أصل نهر الملك ، اونارملخا ، حيث تأخذ قناة المحمودية من الفرات في الوقت الحاضر ، اي عند اكمة الخرائب بالقرب من ضريح الشيخ ابراهيم .

ان عبارة بطليموس هذه تضع مدخل القناة الملكية مباشرة في غرب سلوقية في الموضع الذي يبدو انّ ابيدينوس وايسيدور الكرخي يضعانه ، إنْ كان تفسيرنا لنصوصهما صحيحاً (انظر ما سبق ، ص ٥٧ وما بعدها و ١٠٢ ومـا بعدها) . اما من الناحية الأخرى فان اميانوس مارسلّينوس ، (جـ ٢٤ ص ٢ و ٧) عندما يصف حملة جوليان يخلط بين القناة الملكية واول قناة كبيرة آخذة من الضفة الشرقية للفرات ، وهي القناة التي تدخل الآن في نظام القرمـه (انظر اعـلاه ، ١١١ — ١١٧) . امـا زوسيموس ، في

(التاريخ الحديث ، حـ ٣ ص ١٩) فعند مناقشته نفس الأحداث يضع القناة الملكية أبعد الى الجنوب ، قرب بلدة فيسينيا (عقر النعيلي) . ان الشهادة اللاحقة التي يدلي بها كل من اميانوس مارسلّينوس (المصدر السابق ، ٢٤ ، ٦ : ١) وزوسيموس (المصدر السابق ٣ ، ٢٤) تحملنا على الاعتقاد بان جوليان ، بعد ان ازاح العوائق التي كان الفرس قد سدوا فيها فرعاً يوصل القناة الملكية بدجلة ، استخدم القناة الملكية والفرع [المذكور] لتعويم قواربه ونقلها من الفرات الى دجلة

ولنا ان نستنتج من البيانات التي بين ايدينا المتعلقة بزحف الامبراطور جوليان انه في نهاية القرن الرابع تفرعت القـناة الملكية مـن الفرات غربي سبار مباشرة تقريباً (ابو حبّة في يومنا هذا) ، بجوار بشرا ، التي بقي اسمها الى هذا اليوم في الخرائب الواقعة على كلتا ضفتي الفرات اليمنى واليسرى غربي ابو حبّه ، وان هذه القناة لم تصب في دجلة في شمال كوخة ، التي هي احدى ضواحي سلوقية ، بل امتدت بمحاذاتها اما الى الجنوب او الى الجنوب الشرقي .

ان الكتابات التي تركها المؤلفون العرب عن القناة الملكية نادرة . انهم يذكرونها في معرض وصفهم (لطريق الحاج) من بغداد الى الكوفة ، الا أنهم باستثناء واحد يغفلون تحديد موقع مدخلها .

ان ابن سيرابيون وحده (في العجائب ، (مخطوطة المتحف البريطاني) ، الورقة ٣٤ يمين (لوسترنج) ، ص ١٥) يقول ان نهر الملك اوله اسفل من فوهة نهر صرصر خمسة فراسخ ؛ وهو نهر كثير الضياع خصب وعليه جسر وقرى كثيرة وعمارات ويتفرع منه انهار ، وهو طسوج من السواد ومصبه في دجله أسفل من المدائن بثلاثة فراسخ اسفل من الجانب الغربي .

ان خمسة فراسخ من مدخل نهر صرصر ، الذي حددنا موضعه عند تل الساطان ، تفضي بنا الى مدخل نهر المحمودية الحالي ، مباشرة الى الغرب من ابي حبّة تقريباً ؛ او بعبارة أخرى : الى النقطة التي بحثنا فيها عـن مدخل

القناة الملكية لدى متابعتنا زوسيموس . ان (طريق الحاج) من بغداد بطريق قصر ابن هبيرة الى الكوفة يعبرها عـلى جسر قوارب قـرب خرائب الدير الحالية ، عـلى بعد ٢٥ كيلو متراً فقط مـن بغداد . ان المدائن هي الاسم العربي لكلمة ماحوزه الارامية ، كما كانت آثار سلوقية القديمة تدعى .

يقول الاصطخري في المسالك ردي خويه ، ص ٨٥)ان نهر الملك ينتهى الى قصر عمر بن هبيرة الغزاري باحدى شعبيته ، والاخرى ترمى في دجلة عند كوثى ، نحو ضيعة تعرف بالكيل »

ويذكر ابن حوقل في المسالك(دي خويه ، ص ١٦٦) ان نهر الملك اضعاف نهر صرصر في غزر مائه

ويذكر ياقوت في المعجم(فستنفلد ـ المجلد ٣ ص ٥٢) » نهر الملك كورة واسعة تحت نهر عيسى ،يقال انه يشتمل على ثلاثمائة وستين قريه . . ثم يصب الى دجلة »

اما اليوم فليس لنهر الملك وجود ، الا أن سداده ظاهرة للعيان لأميال كثيرة .

نهر كوثى وسورا

استناداً الى ابن سيرابيون (المصدر السابق) ، فان نهر كوثى يأخذ من الفرات : اول اسفل من نهر الملك بثلاثة فراسخ . وهو نهر كثير الضياع والقرى ، وعليه جسر ، ويتفرع منه انهار تسقى طسوج كوثى من كورة اردشير بابكان وبعض طسوج نهر جوبر ، ويمر بكوثى ربا ، ويصب في دجلة اسفل المدائن بعشرة فراسخ في الجانب الغربي

انني احدد فم نهر كوثى عند القاعدة الجنوبية لهضبة المجصة المنعزلة

قرابة النقطة التي يترك فيها نهـــر الاسكندرية الحديث نهـــر الفرات . وقد شكل جسر القوارب حلقة وصل في (طريق الحاج) من بغـــداد الى الكوفة . وفي وصف هذا الطريق الرئيس ، غالباً ما يرد ذكر نهر كوثى وبلدة قصر ابن هبيرة .

ويصف اليعقوبي ، فـــي البلدان (دي خويه) ، ص ٣٠٨ وما بعدها) مدينة قصر ابن هبيرة «مدينة عامرة جليلة ، ينزلها العمال والولاة ، واهلها اخلاط من الناس ، وهي على نهر يأخذ من الفرات يقال لها الصراة ، وبين قصر ابن هبيرة وبين معظم الفرات مقدار ميلين (ما يوازي اقل من اربعة كيلومترات) الى جسر على معظم الفرات يقال له جسر سورا » .

واستناداً الى ابن سيرابيون ، (المصدر السابق) ، (مخطوطة المتحف البريطاني) ، الاوراق ٣٤ يمين وما بعدها (لو سترنج) ، ص ١٦ وما بعدها) ، فان الفرات يتفـــرع بعد ستة فراسخ الى الجنوب الشرقي من فم نهـــر كوثى الى فرعين . اولهما ، وكان محتفظاً باسم الفرات «فاذا جاوز الفرات نهر كوثى لستة فراسخ انقسم قسمين ، فيمر الفرات الى قنطرة الكوفة ويمر مدينة الكوفة وعليه جسر هنالك ، ويمر الى البطائح ويمد القسم الآخر نهراً عظيماً ، اعظم من الفرات واعرض وهو النهر الذي يقال له سورا الاعلى يمر بقرى وضياع ، ويتفرع منه انهار كثيرة تسقى طسوج سورا وبربسما وباروسما ، ويمر بازاء مدينة قصر ابن هبيرة ، بينهما اقل من ميل ، وهنالك على النهر جسر وهو جسر سورا . ويحمل منه نهر ابي رحا اوله فوق القصر بفرسخ ، ويمر هـــذا النهر مـــع مدينة القصر ، ويصب الى سورا اســـفل مـــن القصـــر بفرسخ ويمر نهـــر سورا بين القصر مـــاداً الى ســـتة فراسخ ، فيحمل مـــنه هنـــالك نهـــر يقـــال لـــه ســـورا الاســـفل . وعـــلى فوهة هذا النهر قنطرة عظيمة يقال لها قنطرة القامغان ، والماء فيها منصب عظيم ، يمر هذا النهر بقرى وعمارات ويتفرع منه انهار كثيرة تسقى طسوج

بابل وخطرنية والجامعين والفلوجة العليا والسفلى ، ويمر هذا النهر فيما بين مدينة بابل ، ويمر بالجامعين المحدث والقديم ، ويمر الى احمد اباد وخطرنية ، ويمر الى قسمين ، ويتفرع منه هنالك انهار تسقى طسوج جنبلاء وما والاها ويصب في النهر الذي يأخذ من الفرات ، وهو البداة ، اسفل من الكوفة في سوادها .

ويحمل من نهر سورا الاسفل نهر يقال له النرس اوله مع الجامع القديم ، يمر بقرى وضياع ويتفرع منـــه انهار تسقى سواد الكوفة او بعضه ، ويمر بالحارثية وبحمام اعين .

ومن قنطرة القامغان الى فم النرس ستة فراسخ ، ومن فم النرس الى حمام عمر ستة فراسخ ، فيصب في البداة التي في سواد الكوفة الذي من شرقي الفرات . فاذا جاوز سورا الاعلى قنطرة القامغان سمى هنالك الصراة الكبيرة ، يمر بالصقر وبقرى وضياع ، ثم يمر الى صابرنيثا ، ويتفرع منه هنالك تسقى الضياع التى فى غربيه

ويحمل منه نهر يقال له صراة جاماس ، اوله عند النواعير ، ويمر فيسقى الضياع هناك ، ويصب في النهر الكبير اسفل مدينة النيل بثلاثة فراسخ .

وتمر الصراة الكبيرة الى مدينة النيل وعليها هناك قنطرة يقال لها الماس فاذا جاوز النهر القنطرة سمى النيل ، فيمر بقرى وعمارات الى موضع يقال لـــه الهول بينه وبين النعمانية التي على شاطىء دجلة اقل من فرسخ ، ومنه يحول الى دجلة . »»

وكانت هذه الانهار تجري خلال مناطق تقع على اطراف منطقة بحوثنا وما وراءها . لذلك فالتفسيرات التالية يمكن ان نعدها تخمينية فقط اذ ان مطابقات محددة للقنوات المتفرعة والمزارع المذكورة يجب ان تنتظر مزيداً من البحث .

ان ستة فراسخ (٣٠ كيلو متراً) من فم نهر كوثى (الاسكندرية) تكاد تؤدي بنا بالضبط الى النقطة التي يفترق فيها شط الحلة وشط الهندية . ومن المحتمل ان شط الحلة كان هو نهر الفرات الاصلي الذي كان يجري حول مدينة بابل . فبينما يطلق ابن سيرابيون اسم الفرات على الهندية الحديث ، فان ابن حوقل ، (المصدر السابق ، ص ١٦٨) يذكر ان الحلة تقع غربي

الفرات ، ومن ثم لايعتبر فرع الهندية الذي يجري محاذياً الكوفة هو الفرات الاصلي . ان نهر سورا ، الذي كان استناداً الى ابن سيرابيون اكبر من الفرات الرئيس ، كان يجرى حذاء بابل والجامعين ، كما كانت مدينة الحلة تدعى في الاصل . وعند الجامع القديم تفرع نهـــر النرس من نهر سورا . وبما ان مدخل نهر النرس معروف بانه كان حيث تقع الآن مدينة الحلة الحديثة ، فانه يزودنا بنقطة البدء لمزيد من التعريف بالانهار التي وصفها ابن سيرابيون . ان المسافة من الجامع القديم صعوداً مع النهر الى جسر قنطرة القامخان ذكرت انها ستة فراسخ . وهذه تشير (اذا اخذنا في الاعتبار تعرجات النهر) الى المنطقة المجاورة الى قريـــة البطة الحالية ، قرابة ستة كيلو مترات جنوب غربي خان المحاويل . وحتى الى هذا الجسر فالنهر الآخـــذ من الفرات كان يسمى سورا الأعلى ، ومن هنا الى الجنوب الشرقي بسورا الأسفل .

ويقع سورا الأعلى على نحو كيلو متر ونصف جنوبي مدينة قصر ابن هبيرة . ان جسر القوارب الذي يعبر هذا النهر قرب هذه المدينة كان يدعى بجسر سورا . وكانت مدينة قصر ابن هبيرة تستمد الماء مـــن نهر ابى رحا ؛ الذى يأخذ من سورا الأعلى ، على بعد فرسخ واحد غربي المدينة ويصب ثانية فيها على بعد فرسخ واحد الى الجنوب الشرقي من المدينة . ولايمكن وضع مصدر سورا الأعلى الى الشمال اكثر بكثير من النقطة التي ينقسم عندها الفرات الآن الى شط الحلة وشـــط الهندية . ويتفق هـــذا الموضع إتفاقاً كاملا مع ما ورد في بيانات ابن سيرابيون المتعلقة بفروع جميع الانهـــار المختلفة من الدقيل الى الجنوب الغربي .

ويشير اتجاه طريق الحاج من بغداد الى الكوفة الى السدّ الحديث ، شمال غربي قريـــة البطة ، على انها الموضع الذي عبر فيه الطريق المذكور سورا الأعلى . عبر هذا الطريق جسر سورا ، ومنه أدى الى جسر قوارب الكوفة ؛ وعلى هذا فلا بد أنه اتبع الجانب الشرقي ، وليس

الغربي ، لفرع الهندية الرئيس من الفرات وكان يتجه مباشرة تقريباً الى الشمال والجنوب .

اننا نرى ان رواية ابن سيرابيون تظهر ان مدينة قصر ابن هبيرة تقع عند ضريح الشيخ ابراهيم الحالية بجوار خرائب نينوى . فمن المحتمل ان نهر ابى رحا كان يأخذ من سورا الأعلى قرب الموضع الذي انفصل فيه الاخير عن الفرات ثم يعود الى الاتصال بسورا الأعلى فوق جسر قنطرة القامغان . ان هذا الجسر لم يشيد على سورا الأعلى ، بل على سورا الأسفل ، وبهذا جعل الممر من الغرب الى الشرق ممكناً . فالى الشمال منه انحرف امتداد نهر سورا الأعلى الى الشرق تحت اسم الصراة الكبيرة ، وهو الاسم الذي كان يطلقه في الحقيقة اليعقوبي ، في البلدان ، (دي خويه) ، ص ٣٠٨ وما بعدها) على سورا الأعلى كله ابتداء من مأخذه من الفرات وعلى مسافة ستة فراسخ شرقي قصر ابن هبيرة ، قرب قرية النواعير (ماوراء قصر المحاويل الحديثة) ، كان يأخذ الصراة جاماسب من صراء الكبيرة ، بعدها استدار النهر الأخير جنوباً الى بلدة النيل ، حيث شيد عليه جسر متين يسمى جسر الماسي ،ومن هذه البلدة اتخذ النهر اسم النيل ، وعلى مسافة ثلاثة فراسخ الى الشرق صب في نهر الصراة الكبيرة هذه (او النيل) صب صراة جاماسب.انني احدد موضع بلدة النيل عند خرائب العسيبة على قناة شط النيل القديمة حوالي عشرين كيلو متراً شرقي كويريش (بابل) .

ان نهر سورا الأعلى مع فرعيه الصراة الكبيرة وصراة جاماسب ، كان يروي الأرض المحيطة بقصر ابن هبيرة ومناطق سورا وبربسما وباروسما . اما الماء من سورا الأسفل فقد جرى فوق مناطق بابل وخطرنية والجامعين والفلوجة الأعلى والأسفل ، ويمكن التحري عن المنطقتين الأخيرتين الى الجنوب الشرقي من الجامعين ، حيث كان نهر النرس يأخذ هناك من سورا الاسفل . ثم يجري النرس جنوباً — جنوباً غربياً لمسافة ستة فراسخ الى محطة حمام عمر التي تقع ، وفقاً

للمقدسي ، (احسن التقاسيم) . (دي خويه) ، ص ١٣٤) على الطريق الرئيس من قصر ابن هبيرة الى الكوفة ، في مكان ما الى الجنوب الشرقي من خرائب البرس . واستناداً الى ابن سيرابيون فقد كان نهر النرس يصب في قناة البداة ، الذي يروى الارض المحيطة بالكوفة . وعلى هذا فمن المحتمل ان نهر البداة كان يأخذ من فرع الهندية الفرات الذي جرى مساراً بالكوفة بين الكوفة والبرس .

ان موضعاً كهذا يؤدي بنا الى بلدة الكفل في يومنا هذا ، ومن ثم تخرج ترع اروائية كثيرة جداً من الفرات باتجاه الجنوب الشرقي . فان تفرعت قناة البداة ، كما يذكر ابن سيرابيون ، من الفرات الأصلي (اي فرع الهندية) في نقطة لا يمكن ان تكون في تقديري الا قرب بلدة الكفل الحالية ، فان الكفل نفسها (حيث كان قبر النبي حسقيل) او احدى ضواحيها ، كانت تستحق ان تدعى بـ « فم البداة » او فم بديثا ذلك الاسم الذي كثيراً ما يرد في التلمود .

وينقل ياقوت ، (في المعجم) (فستنفلد) ، المجلد ٤ ، ص ٧٩٨) عبارة الخطيب مفادها ان نُفَّر هي بلدة بازاء نهر النرس في أقليم فَرْس (بلاد فارس) . ولم يعرف اي من ياقوت او ابي الفضائل موقع نُفَّر ، ولكن كان كلاهما على علم بان قناة النرس لا تخترق بلاد فارس ، وقد قاما بتصحيح هذا الخطأ . ولعل نهر النرس انما ذكر في تحديد موضع نفّر إما لان الكلمة تنتهي بقافية مماثلة لفَرْس ، او لان « النرس » محرّفة من كلمة « النيل » . وكانت نفّر تقع عند فرع من النيل .

ذكر الاصطخري ايضاً (في المسالك (دي خويه) ، ص ٨٥) ان سورا وهو نهر كثير الماء ليس يخرج من الفرات شعبة اكبر منه حتى ينتهى الى سورا ثم الى سائر سواد الكوفة ويقع الفاضل في البطائح بينما يروي الفرات الاراضي حول الكوفة ثم يغمر مستنقعات البطائح .

ويصف ابن حوقل ، (في المسالك) (دي خويه) ، ص ١٦٦ نهر سورا وليس للفرات شعبة اكبر منه ؛ ويشير اليه ايضاً ، على كل حال ، كما لو كان الفرات الأصلي حيث يؤكد (المصدر نفسه ، ص ١٦٨ ، ملاحظة أ) ان مدينة الحلة تقع غربي الفرات .

انهار على الضفة اليمنى من الفرات

انهار المحدود والمارسارس والعلقمي

تشير المراجع الى انهار كثيرة في ارض بابل على الضفة اليمنى من الفرات . فالى أقصى الشمال كان يجري نهر يدعى بالمحدود . اذ يكتب ياقوت (المصدر نفسه ، المجلد ٤ ، ص ٤٢٤) «المحدود اسم نهر بارض العراق قرب الانبار في جانب الديار الغربي منها امرت بحفره الخيزران ام الخلفاء وسمته المربان ، وكان وكيلها قد جعله اقساماً وحد كل قسم ، وكل بحفرة قوماً فسمي المحدود » عاشت الخيزران في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي . وقد أخذ قناة المحدود من الفرات أسفل من نتوء العقبة الصخري الذي كان يبرز في النهر العظيم على بعد ستة عشر كيلومتراً جنوب شرقي هيت .

اما بطليموس ، (في جغرافيته) ج ٥ ص ٢٠ : ٣) فكان يعلم كذلك ، علاوة على النهر الملكي والنهر الذي يجري بجانب بابل ، بـ « نهر » في بلاد بابـل يدعـى بـ (مارسارس) (وورد كذلك مرسارس وبارسارس ونارس ونارسالك [المصدر نفسه ج ٥ ص ١٩ ؛ طبعة ملر ، ص ١٠١٨ ، ملاحظه]) . وقد تفرع من الفرات على خط عرض ٤٠ ٣٥° شمالاً ، وبالتالي عند ٤٠ في شمال بابل . اما المدن الواقعة على امتداده (المصدر نفسه ج ٥ ص ٢٠ : ٦) فكانت فولكيسيا على خط عرض ٣٠ ٣٤° شمالاً وخط طول ٢٠ ٧٨° شرقاً ، وبارسيبا على خط عرض ٢٠ ٣٤° شمالاً وخط طول ٤٥ ٧٨° شرقاً . فاذا اخذنا

بهذه الارقام فينبغي تحديد موضع فولكيسيا الى الشمال الغربي من بارسيبا وبعيداً الى الجنوب من فم قناه مارسارس . ان جدول بويتنكر (فينّا ، ١٨٨٨ ، المقطع ١٠) يجعل المسافة من بابل الى فولوكيسيا(فولكيسيا) ثمانية عشر ميلاً ، التي توصلنا الى جوار خرائب الحوطة في جنوب المسيب .

وكما نعلم من نقوش تدمر (دي فوكه ، سوريا ، [١٨٦٨] ، نقوش تدمر رقم ٤ ؛ مجموعة الكتابات الاغريقية [١٨٢٨ — ١٨٧٧] ، رقم ٤٤٨٩) ان تجار تدمر اعتادوا استيراد سلعهم من « اولوكيسياس » ، فنحن نميل الى البحث عن هذا المكان غربي سلوقية — طيسفون وغربي الفرات ، اي في المنطقة المجاورة لنيابوليس . وبمجيئهم الى هنا تكون قوافل الجمال المحملة من تدمر قد تفادت الحر المهلك وبعوض بلاد بابل الاصلية . وكان يمكن ان تجلب السلع الى فولكيسيا — نيابوليس إما على الطريق الرئيس او على النهر الملكي . ولعل الاسم المحلي للمكان كان بتراء ، ومن المحتمل ان الاغريق دعوه بـ (نيابوليس) ، والبارثيين اطلقوا عليه اسم فولكيسيا ؛ على ان الاسمين الأجنبيين اختفيا وبقي الاسم المحلي بتراء فقط .

تفرعت قناة مارسارس من الضفة اليمنى للفرات ؛ ولكن تفرعت من الضفة ذاتها ايضاً ، وفقاً لبطليموس ، القناة الملكية ، برغم اننا نعلم من كتّاب آخرين ان الاخيرة أخذت من الضفة اليسرى . ولهذا السبب لا يمكن الوثوق بعبارة بطليموس . ان نصه يعني ضمناً ان كلتا القناتين ، الملكية ومارساوس ، تفرعت عند خط العرض نفسه وان كلتيهما جرت جنوباً ، وهذا لا يمكن ان يكون صحيحاً .

ان المساعدة الوحيدة الممكنة التي يقدمها بطليموس الينا بصدد تحديد مجرى مارسارس هي وضعه فولكيسيا وبارسيبا على ضفافه ؛ وذلك لاننا سبق ان عرفنا مصادفة مرقع بارسيبا . انها البرس في يومنا هذا ، على بعد ٢١ كيلومتراً الى

الجنوب الغربي من بابل. ومعروف من السجلات البابلية ان بلدة بارسيبا كانت تقع على قناة أخذت من الفرات عند مدينة بابل بالضبط . ومن المحتمل — بل يكاد يكون مرجحاً حقاً — ان فرعاً ، طبيعياً في جزء منه ، واصطناعياً في جزء آخر ، تشعب من الضفة اليمنى للفرات فوق مدينة بابل بمسافة ملحوظة ، وان مياهه روت المستوطنات حول موقع الهندية الحديثة . ولعل هذا الفرع جرى الى القرب من بارسيبا ، ومن المحتمل ان انضمت اليه هناك قناة اخترقت هذه البلدة ، قادمة من جهة بابل . ويمكن مشاهدة بقايا قناة قديمة ضخمة على بعد احد عشر كيلومتراً غربي المسيب . أخذت هذه القناة من الفرات عند حقول بترا ، وكانت قد احتفرت في منخفض طبيعي في هضبة من الدور الثالث التكوين الصخري ، وامتدت الى جنوب — الجنوب الشرقي من بلدة بارسيبا القديمة ، او البرس الحديثة . ان نصفها الأعلى مطمور الآن ، على ان النصف الجنوبي لا يزال باقياً ، لانه يستمد الماء من الفرات بوساطة فرع الهندية ، الذي يستدير غرباً عند السد الحديثة ويجري بجانب الكوفة .

ويسجل اميانوس مارسلّينوس (٢٣ ، ٦ : ٢٥) ، ان في بلاد بابل نهر المارس (مارسارس) ، والنهر الملكي ، والفرات الذي يعتبر اعظمها . فيذكر (المصدر نفسه ، ٢٤ ، ٣ : ١٩) كما يفعل زوسيموس (التاريخ الحديث ، ٣ ، ١٩) انه عند بترا يختفي الفرات تقريباً ، بعد ان يكون قد ملأ انهاراً كثيرة في طريقه .

اما اميانوس مارسلّنيوس ، الذي رافق الجيش الروماني متوغلاً في بلاد بابل ، فانه في وصفه لهذه الرحلة لا يشير ابداً الى المارسارس ؛ ولنا ان نستخلص من هذا انه بما ان الرومان لم يعبروا القناة على الاطلاق ، فاما ان تكون قد أخذت عند نقطة ادنى من النقطة التي وصل اليها الرومان على الضفة اليسرى من الفرات ، او انها تفرعت من الضفة اليمنى . ولعل الافتراض الأخير صحيح ، لانه ، وفقاً لبطليموس ، كانت فوهة نهر الملك أسفل من المارسارس ، الذي لا يمكن ان

يكون صحيحاً فيما لو تفرع الأخير من الفرات من ناحية اليسار . ولما كان اميانوس مارسلّينوس يلوذ بالصمت عن هذه النقطة ، فليس لنا الا ان نفترض ان المارسارس تفرع من الضفة اليمنى .

ولا يذكر اي مؤلف عربي نهر المارسارس ، فاذا كان ينبغي البحث عن مجراه وفقاً لبطليموس فانهم يشيرون الى نهر يدعى بالعلقمي .

يقول قدامة ، في الخراج (دي خويه) ، ص ص ٢٣٣ وما بعدها) . ان الفرات ، يمر بهيت والانبار فيجاوزهما فينقسم قسمين ، منه قسم يأخذ نحو المغرب قليلاً المسمى بالعلقمى الى ان يعبر الكوفة ، وقسم مستقيم ويسمى سورا حتى يمر بمدينة سورا الى النيل وما يتصل بها فيسقي كثيراً من اعمال السواد ويخرج منه اسفل من الانبار ، نهر يعرف بالدقيل ، يحمل منه نهر عيسى ، الذي يأخذ الى بغداد ويصب في دجلة .

كان نهر العلقمي يترك الفرات على مسافة ١٤ كيلومتراً جنوبي حقول بترا ، ويجري جنوباً ــ جنوباً غربياً عبر المجرى الجاف لقناة مارسارس القديمة ، وبالقرب من الزبيلية ، ١٣ كيلومتراً جنوب شرقي كربلاء ، انضم الى فرع الفرات الذي يروي اليوم مزارع الكوفة .

وفي عام ١٠٨٥ م تمّ تطهير نهر العقلمي وكان يجري متعرجاً قرب المشهدين (البنداري أ التواريخ [هوتسما] ، ، ص ٧٧) .

والمشهدان هما مدينتا كربلاء والنجف ويسميان احياناً : بمشهد الحسين ومشهد علي (ع) . وكلاهما يأخذ ماءه من العلقمي ، الذي كان فـي نصفه الأسفل يطابق مارسارس الأقدم عهداً .

قناة البلكوناس او الفاوجة

تشير السجلات البابلية الى نهر اسمه نار بلّوكات وهو پلكوتاس عند الكتاب الكلاسيين والفلوجة في المراجع العربية .

ويقدم اريان ، في اناباسيس، ٧ ، ٢١ أفضل وصف لهذا النهر حيث يقول : أبحر الاسكندر من بابل منحدراً مع الفرات حتى «نهر» بالكوتاس (ووردت بلكوباس) . تفرع هذا النهر من الفرات قرابة ثمانمائة ستاد اسفل من بابل وكان في وقت الفيضان يُصرِّف الماء الزائد الى البرك والبحيرات التي تمتد من النهر الكبير حتى تبلغ حدود بلاد العرب وتشكل حزاماً طويلاً من المستنقعات التي يجري الماء منها الى البحر بطريق قنوات كثيرة غير ذات بال . وكان النهر قرب فمه من السعة والعمق بحيث انه حتى في فصل الصيهود كان الماء من الفرات يجري فيه ويبقى قليل منه لارواء بلاد آشور . وكان فم نهر البلكوتاس يصعب إحكام اغلاقه لامتلائه بالوحل؛ وكانت المنطقة المجاورة باكملها بلا استثناء تقريباً متكونة من الطين . وبرغم هذا صمم الاسكندر على سد الفم . وعندما وجد تربة صخرية على حوالي ثلاثين ستاداً أسفل من هناك ، اصدر اوامره بان تحتفر ، وهكذا يكون قد استحدث فماً جديداً لنهر البلكوتاس . فكان في رأيه انه اذا دعت الحاجة ، فسيكون من الأسهل سد فم في تربة صخرية منه في الطين ، بعد ذلك أبحر في البلكوتاس وعلى امتداده حتى البحيرات ، وحتى الى بلاد العرب ، حيث وجد بلداً جميلاً وبنى مدينة رائعة وضع فيها حامية من الجنود الاغريق .

وكذلك يذكر ابيان ، في (الحرب الأهلية ، ج ٢ ص ١٥٣) ، ان الاسكندر أبحر من بابل على الفرات منحدراً الى نهر البلكوتاس ، الذي جرى فيه الماء من النهر الكبير الى البحيرات والمستنقعات ، بحيث لم يعد في الامكان ارواء الاراضي الآشورية من الفرات ، كما لم تتمكن القوارب من الابحار عليه . وكان الهدف من رحلة الاسكندر اقامة سد على هذا النهر .

ويكتب بليني ، في التاريخ الطبيعي (ج ٦ ص ١١٨) ان بلدة بورا تقع على نهر البلكوتاس .

ويتضح من كلا اريان وابيان ان نهر البلكوتاس تفرع من الضفة اليمنى للفرات اسفل من بابل . ويقدر اريان المسافة بنحو ثمانمائة ستاد . فلو كانت الاستادات هي ايراتوسثينية فتكون المسافة ١٢٥ كيلومتراً . واذا سلمنا ان الفرات الحقيقي اسفل من بابل كان يجري بالاتجاه نفسه تقريباً الذي هو عليه اليوم ، فان مسافة ١٢٥ كيلومتراً تؤدي بنا الى نقطة قرب الديوانية . وحينئذ يكون الفرات القديم مطابقاً لشــط الحار ، ونهر البلكوتاس مــع شط الفرات . ان هذا التطابق لا يمكن ان يكون موغلاً في الخطأ ، اذ لا يفترض ان يكون الفرات قد وصل الى اي نقطة أقرب الى دجلة من شط الحار في يومنا هذا .

ويحدد كيبرت) طبيعة العالم القديم (١٩٠٥) ، خارطة ٥) فــم نهر البلكوتاس الى الشمال الغربي من فم نارملخا ، (نهر الملك) وهذا يناقض البيانات الكلاسية المقتبسة اعلاه .

وكان يهودي من بيت ارمايا من قرية باوكتا ، وهي المكان الذي تنفصل فيه ميه الفرات لارواء الاراضي المجاورة ، قد ذكر في مواعظه عام ٦٤٠ م ان المسيح قد جاء . فجمع حوله قرابة اربعمائة رجل ، من حاكة وصناع سجاد وقصّاري اقمشة الكتان ، واحرقوا ثلاث كنائس وقتلوا المسؤول عن المنطقة . فارسل لقمعهم جنود مــن عاقولا قاموا بقتلهم جميعاً مــع نسائهم واطفالهم وصلبوا زعيمهم فيقريته (نولدكه ، تاريخ السرياني [١٨٩٣] ، ص ٣٦ ؛ كويلدي ، نص جديد [١٨٩١] ، ص‌ص ٢٨ وما بعدها) .

ويطابق نولدكه (ملاحظه ٤) هذه القرية مع قلعة فلوجة (الفلوجة) ، الا ان هذا لا يكاد يصح ، اذ ان فلوجة هذه لم يرد ذكرها قبل القرن الثالث عشر قط . ويبدو ، الارجح ، ان قرية بلوكتا(١) تقع شرقي عاقولا (الكوفة) او جنوب شرقيها ، حيث عرف المؤلفون العرب قرية تحمل الاسم نفسه .

(١) (او كما وردت هنا بلوغتا . المترجم) .

ولنا بعد هذا ان نفترض ان البيشون تفرع من الضفة اليمنى للفرات وجرى جنوباً والى جنوب — الجنوب الشرقي . وكان هذا مجرى المارسارس عند القدماء ونهـــر العلقمي في المصادر العربية ، التي نعلم انها شكلت الحدود الغربية لسهل بلاد بابل الخصب . وعلى بعد عشرين كيلومتراً الى الشمال الغربي من فم قناه مارسارس ، يذكر زوسيموس ، في التاريخ الحديث ، ٣ ، ١٩ ، أنه بالقرب من الفرات تقع بلدة فيسينيا (خرائب عقر النعيلي) ، التي توحي باسمها وبموقعها على السواء الى بيشون التوراتية . تقع فيسينيا على الضفة اليسرى للفرات ، بينما تفرع البيشون من الضفة اليمنى ؛ ولكننا نجد في بلاد بابل في اماكن اخرى ايضاً قـــرى وقنوات تنسب الى اسماء القرى الواقعة عـــلى الضفاف المقابلة .

وعلى هذا فاني أقدر بان البيشون تفرع مـــن الضفة اليمنى للفرات قرب خرائب عقر النعيلي الحديثة ، وجرى جنوباً شرقياً ، ثم استدار جنوباً ، وبعدئذ جنوباً شرقياً ثانية ، وسقى الاراضي حيث تقع الآن مستوطنات وخرائب الكوفة والشنافية والمقير . وقد شكل هذا الحدود الشماليه الشرقية لأرض حويله ، او بلاد العرب السعيدة .

اما الفرع الثاني ، او القناة المسماة جيحون ، فقد جرت حول ارض كوش ويمكن التأكد من موقع هذه الارض بالرجوع الى سفر التكوين ، ١٠ : ٨—١٠ ، حيث نقرأ ان كوش كان سيد بابل وايرح واكّد وكلنه في ارض سنيار (شنعار) . وبما ان اكد كانت الجزء الشمالي لبلاد بابل فلن نخطيء اذا بحثنا عن جيحون في قناة كبيرة كانت تجري خلال بلاد بابل الشمالية . وكانت نار ملخا الكلاسيه ، او نهر الملك في المصار العربية ، مثل هذه القناة الكبيرة ، التي تفرعت من الفرات مقابل مارسارس تقريباً ثم جرت الى شرق — الجنوب الشرقي ساقية السهل الواقع الى الشمال والى الشرق من بابل . ولعلها في السابق استدارت الى الجنوب الشرقي فيما وراء بابل مباشرة وروت المنطقة المجاورة لبلدة كلنه (نيفّر الحديثه) ، وكذلك منطقة إيرح (الورقاء الحديثه) ، ثم انضمت الى الفرات .

امـــا الفرع الثالث ، او القـــناة ، فكانت الحدّقل التي جرت باتجاه بـــلاد آشـــور . وحسب تفسيرنا فـــلا يمكن ان تمثـــل الحـــدّقل ســـوى قناة القرمه الحالية ، التي اتبعت في عهد التورات ، كما هو الحال في الوقت الحاضر ، الحدود الشمالية للسهل الغريني الحقيقي لبلاد بابل . فإلى الشمال منها امتدت الهضبة من الدور الثالث للتكوين الصخري ، التي إعتبرت دائماً تقريباً تابعة للبلاد الآشورية . ومقابل فم هذه القناة على الضفة اليمنى للفرات كانت تقع ربيقو ، التي غالباً ما ذكرت على انها مدينة ثغرية آشوريه . وسمّى المؤلفان العرب هذه القناة الدقيل او الدجيل (اسم التصغير لدقل او دجل) ، وكلا الاسمين يذكرنا بحدقل التوراتيه ، خاصة منذ تحولت « حدقل » (حد — قل ، تعني دقل السريع الخاطف) في العربية الفصحى الى «دجله» ويقول زوسيموس ايضاً ، في التاريخ الحديث ، ٣ ، ١٦ في حديثه عن قناة الدقيل انها جرت نحو بلاد آشور .

اما الفرع الرابع فكان الفرات نفسه . إنه النهر الأصلي الذي كان يمر بالعاصمة البابلية بعد ان نَفِد ماؤه الى حد كبير .

* * *

الملحق السابع

معارك خالد بن الوليد على امتداد الفرات

تقدم خالد الى الحيرة

وردت اخبار كثيرة ، في بعضها كثير من التضارب عن حركات المسلمين الاولى لفتح بلاد فارس . ان الصعوبات الطوبوغرافية بوجه خاص كثيرة وتتعلق بتفسير الاخبار عن أعمال المسلمين بقيادة خالد بن الوليد والمعلومات المتعلقة باعمال قبيلة بكر بن وائل تحت قيادة رئيسها المثنى بن حارثة .

زحف خالد على الحيرة

سنُعنى في الملحق الحالي بحركات خالد والمثنى في العراق وعلى امتداد الفرات في المدة من نهاية ربيع عام ٦٣٣ م الى ربيع عام ٦٣٤ م . ان غارة خالد الشهيرة التي تلت مهاجمته واحة دومة الجندل وزحفه الذي اخترق فيه الصحراء الى بلاد الشام قد عالجتها بالتفصيل الى حد ما في كتابي (بادية الشام ، ص ٥٣٩ — ٥٥٢ و ٥٥٣ — ٥٧٣) . ان خالداً كاد يصل ، في النصف الثاني من عام ٦٣٢ م والنصف الاول من ٦٣٣ م بعد قضائه على ردة اليمامة ، الى حدود قبيلة بكر بن وائل التي كانت تقاوم الفرس لبعض الوقت وتقوم بغارات في داخل الاراضي الفارسية . وسرعان ما فطن المثنى الى اهمية ارتباطه بالمسلمين للقيام بهجوم مشترك ضد الفرس . فعندما كان خالد في اليمامة اتصل المثنى بالخليفة ابي بكر وانضم الى خالد الذي بدأ زحفه على العراق تنفيذاً لأمر الخليفة .

اما فيما يتعلق بالهدف من مسيرة خالد فثمة اختلاف في الرأي بين روايات المدينة والكوفة . كما اننا لا نجد حتى بين ممثلي كل مدرسة على حدة اتفاقاً في الرأي . فاستناداً الى بعضهم يبدو كأنه كان من المقرر على خالد ان يفتح الضفة اليمنى للفرات من الخليج العربي باتجاه الشمال الغربي ، وبهذا يحقق التقدم الأبعد للمسلمين ، بينما يقتصر اخرون على وصف عمليات خالد في المنطقة المجاورة للحيرة ، وكأنها هي الغرض الوحيد من تقدمه الى العراق وهنا سوف اوضح واعيد صياغة بعض الفقرات من الاخبار التي تتعلق بزحف خالد على منطقة الحيرة ومن هناك الى الشمال الغربي ، موجهاً اهتمامي اولاً بكتاب مدرسة المدينة (البلاذري والواقدي والمدائني وابن نبيشه وابن اسحاق وابو يوسف وهشام ابن الكلبي) وبعدئذ برواية سيف بن عمر ، الممثل الرئيس لجماعة الكوفة .

روايات مدرسة المدينة

حديث البلاذري عن خفان والحلف مع قبيلة بكر

ينقل البلاذري ، في كتابه « فتوح البلدان » ، (دي خويه) ، ص ٢٤١) ، عن هشام ابن الكلبي وابي مخنف . واستناداً اليهما فقد كان المثنى بن حارثة ، رئيس قبيلة بكر بن وائل ، «يغير على السواد في رجال من قومه ، فبلغ ابا بكر الصديق رض خبره» ثم ان المثنى قدم على ابي بكر الصديق فقال له يا خليفة رسول الله استعملني على من أسلم من قومي اقاتل هذه الاعاجم من اهل فارس ، فكتب له ابو بكر في ذلك عهداً فسار حتى نزل خفان ودعا قومه الى الاسلام فاسلموا .

وكانت خفان تقع على بعد اربعة فراسخ (٢٠ كيلومتراً) الى الجنوب الشرقي من القادسية في طرف الصحراء وكانت مضرب الخيام المفضل لدى العشائر البدوية الأقل عدداً . وهي مطابقة لقصر القايم الحالي .

يقول كايتاني ، في الحوليات (١٩٠٥) ، المجلد ٢ ، ص ٩١٧) أن المثنى جمع قبيلته باكملها عند خفان وانهم اسلموا

.نميعاً . وهذا لايتفق مع النص وهو غير محتمل جداً ، اذ لايمكن ان تجد القبيلة باكمها مرعى لقطعانها حول خفّان التي كان يحدها الى الشمال ارض محروثه والى الجنوب صحراء رميلة .

ويزعم كايتاني ايضاً (المصدر نفسه ، المجلد ٢ ص ٩٢١ ، الملاحظات ٦ ج ، د) ان خفّان تقع ما وراء بادية الشام في المنطقة الغرينية (السواد) ؛ وانها لم تكن تعود الى بكر بن وائل ولذلك لا يمكن ان تكون مضرباً لخيامهم ، كما كتب البلاذري ، ولكنها كانت اول محطة تفتتح في ارض العدو حيث اقام المسلمون معسكرهم الاول وراء حدود الجزيرة العربية ، وبهذا الصدد يشير كايتاني الى بيت شعر يفخرون فيه بهذا النصر الذي احرزوه بجوار النمارق .

غلبنا على خفان بيداً وشيخة   الى النخلات السمر فوق النمارق
وانا لنرجو ان تجول خيولنا   بشاطي الفرات بالسيوف البوارق

ويقال ان بيت الشعر هذا للمثنى وان ياقوت اورده في المعجم (فستنفلد) ، المجلد ٤ ، ص ٨١٢ ، السطران ٢١ — ٢٢). يفسر كايتاني هذه الفقرة بانها تبين ان المسلمين حينما تقدموا على بلاد فارس وذلك بعد مغادرتهم الصحراء ، تحركوا من خفّان ، اي من المنطقة المجاورة للحيرة مباشرة . الا انه لم تذكر واحدة من كافة المصادر التاريخية الكثيرة العدد جداً ان المسلمين تجاوزوا الصحراء عند خفّان عند تقدمهم الى الحيرة . فيكتفي البلاذري بالقول ان المثنى بعد ان كتب له ابو بكر عهداً سار الى خفان . وتجري عين خفّان بالقرب من حدود الصحراء ، والواقع انها تجري في الصحراء ذاتها وليس في المنطقة الغرينية . ويدعي البدو والحضر على السواء انهم المالكون لامثال هذه الينابيع او الواحات ، وفي الواقع ان السيطرة على هذه الواحات تكون للأقوى فقط . وفي اثناء خلافة ابي بكر كانت الحكومة الفارسية من الضعف بحيث انها لم تقو حتى على الدفاع عن حدودها وكانت مكرهة على التخلي عن محطات متعددة . وتبعاً لذلك اضطر سكان المناطق الحدودية الى حماية انفسهم بقدر المستطاع . ونص

البلاذري ان المثنى كان يغير على اطراف بلاد الدولة الفارسية حتى قبل تحالفه مع المسلمين ؛ لذلك كان في استطاعته الاستيلاء بسهولة على عين خفّان . فان كان المثنى حقاً قائل الشعر الذي رواه ياقوت (المصدر نفسه ، المجلد ٤ ، ص ص ٨١٢ وما بعدها) ، فلا بد انه قد قاله قبل تحالفه مع المسلمين ، لانه لم يذكرهم على الأطلاق . وعندما يشرح ياقوت الشعر ، قائلاً ان النمارق هي موضع قرب الكوفة في العراق حيث عسكر جيش المسلمين اثناء غزوهم الأول ، فانه لا يشير الى خفان ولا تؤيده اية رواية اصلية ، وانما يكشف فقط عن معرفته المبتورة بطوبوغرافية المنطقة المجاورة للكوفة .

ان الطريق من خفّان على عهد خالد كان ولايزال ، يؤدي على امتداد حافة الصحراء باتجاه الجنوب الشرقي الى البصرة ، ومنها يتفرع طريق آخر باتجاه الجنوب الغربي الى النباج التي تقابل المثنى وخالد فيها . وعُهد الى خالد بالتقدم الى العراق ومحاربة الفرس بالتعاون مع قبيلة بكر بن وائل. وتُجمع المصادر كلها على ذكر ان خالداً كان قد تسلم اوامر بالزحف على العراق ، ولكن لا يقول اي منها بان هدفه كان الحيرة . ولا بد ان نأخذ في الاعتبار ان الحيرة تقع على الحدود بين قبائل بكر وتغلب المتعاديتين ، وان قبيلة بكر استطاعت بسهولة فائقة غزو المستوطنات الفارسية المحاذية لمنطقتهم التي امتدت من القادسية وحتى الخليج العربي . ويحدد كايتاني ، في المصدر نفسه (المجلد ٢ ، ص ٩٢٠ ، ملاحظه ٣) الحد الشمالي لقبيلة بكر بأنه يتجاوز هيت ويشير الى الهمداني ، في صفة [جزيرة العرب] (ملر) ، المجلد ١ ، ص ١٦٩ ، السطر ٢٥) كمرجع لما ذهب اليه . والهمداني خبير رائع فيما يتعلق بجنوب شبه الجزيرة العربية ، ولكنه لا يعتمد عليه عندما يتعلق الامر بشمالها . وفضلاً عن ذلك ، فان مخبريه يعالجون امور عصرهم ، وهو القرن العاشر ، بشؤون النصف الأول من القرن السابع . اذ تثبت جميع المصادر انه في زمان خالد لم تمتد منطقة قبيلة بكر الى شمال الحيرة .

فالبدو لايحتاجون الى أدلاء اجانب في مناطقهم ، ومع ذلك بحث المقاتلون المتحالفون من قبيلة بكر ومن المسلمين عن أدلاء اجانب في جميع حملاتهم شمالي الحيرة . ففي شمالي الحيرة كما ، على سبيل المثال ، في عين التمر ، كانت هناك ثكنات لتغلب ، التي من المؤكد لم يكن في الأمكان الحفاظ عليها في منطقة تعود لقبيلة بكر . وفي مواضع أخرى ايضاً غالباً ما نجد بيانات مفادها ان منطقة تغلب امتدت حتى الحيرة جنوباً ؛ ولهذا يذكر البكري ، في المعجم (فستنفلد) ص ٩٧ ، ان (نجد إلاهه) ، الواقع غربي الحيرة ، كان يعود في وقت ما الى تغلب .

ولم يكن في نية قبيلة تغلب مهاجمة الحيرة ذاتها ، بل كانت مكتفية بمهاجمة مستوطنات فارسية منفردة غير بعيدة عن منطقتها الخاصة . وقامت بعض العشائر بمهاجمة الأُبُلة ، وهي نقطة البداية الهامة للقوافل التجارية ،وتقع حوالي عشرين كيلومتراً الى شرق مدينة البصرة الحديثة . وعلى هذا فمن المحتمل جداً ان خالداً اختار أقصر واسهل طريق من النباج شمالاً — شمالاً شرقياً الى الأبلة في العراق ، واسهم في القتال هناك ، ومن ثم تقدم شمالا — غربياً ، مهاجماً المستوطنات الفارسية على الضفة اليمنى للفرات تارة وعلى اليسرى تارة أخرى . وبما ان المنطقة الى الجنوب الشرقي من خفان غير معروفة لديّ شخصياً فلن أحاول معالجة حملته هناك بالتفصيل . ويكفي ان نلاحظ انه في عام ٦٣٣ م كانت الحدود الغربية للعراق خالية خلواً يكاد يكون تاماً من الحاميات الفارسية مما يسرّ مهمة خالد في هجماته دون ان يبدي الفرس اية مقاومة قبل نهاية عام ٦٣٤ م ؛ثم في عام ٦٣٥ م قام الفرس بهجوم ، الزم المسلمين على القتال من اجل المستوطنات التي كان خالد قد هاجمها من قبل .

يذكر الواقدي (البلاذري ، الفتوح ، [دي خويه] ، ص ٢٤٢) « ان خالداً بعد أن اخضع اليمامة ، قادم المدينة ثم خرج منها الى العراق (بطريق) فيد والثعلبية ثم اتى الحيرة » . ــ اما العودة الى المدينة فغير محتمله جداً . لماذا كان على خالد ان يقوم بتحويلة استغرقت اكثر من ثمانمائة كيلو متر ؟ اما اذا كان خالد قد عاد الى المدينة فعلا فلا يمكنه حينئذ ان يكون قد ذهب من هناك الى الحيرة الا بطريق النقل الكبير ماراً بـ (فيد) والثعلبيه ، وهذه المحطة الأخيرة كانت على بعد ما يقارب الثلاثمائة كيلومتر شمالي النباج . ولكن ، في كل الأحوال ، لا يبدو ان الواقدي قد حصل على معلومات صحيحة في هذا الشأن . اما فيما يتعلق بالتقدم الموحد مع الرئيس المثنى فلا يذكر شيئاً على الأطلاق .

ويزعم كايتاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٢١ ، ملاحظه ٩ب) ان خالداً ذهب من النباج الى الحيرة بطريق فيد والثعلبية ، « كما كان قد أكده سابقاً أفضل مراجعنا التاريخية ، الواقدي » (البلاذري ، في المصدر السابق) .

والواقدي ، على كل حال ، لا يتطرق الى ذكر النباج على الاطلاق . وحتى لو كان الواقدي حقاً افضل مراجعنا التاريخية ، وكان مخبروه اشخاصاً على دراية جيدة بموقعي النباج ومحطة فيد لما كان يكتب ان خالداً زحف من النباج بطريق فيد . وبما ان النباج تقع قرابة مئتي كيلومتر الى الجنوب الشرقي من فيد ، فقد كانت المسافة من فيد الى الابلة بطريق النباج اقرب من النباج بطريق فيد الى الحيرة (انظر ايضاً عريب ، في الصلة [دي خويه] ، ص ١٧) .

ويكتب كايتاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٢٢ ، ملاحظه ١٢) ان العرب زحفوا مباشرة على الحيرة . التي ها جموها من الصحراء دون ان يقابلوا

اي عدو في طريقهم . ويؤكد ان ابن اسحاق يتفق مع الواقدي بهذا الصدد . ويضيف كايتاني (في ص ٩٢١، ملاحظة ٦ د) ، ان مقاومة الحيرة الضعيفه ، تقريباً بدون ابداء اية مقاومة ، تبرهن على انهم فوجئوا وان العرب لذلك لا بد ان هاجموا المدينة وغنموا منها في اول يـــوم مـــن وصولهم . واستناداً الى كايتاني فان حججاً نفسانية وعسكرية لا تسمح بامكان قيام خالد بالاقتراب من الحيرة اثناء حملته مـــن البصرة (الابـــلة) الى الشمال الغربي . ومهما يكن مـــن شيء فانني اؤكد انه لا يذكر ايُ مصدرٍ على الاطلاق ان ابا بكر أمر خالداً بالزحف على الحيرة مباشرة . ان كلمات ابن اسحاق تتعارض هي ايضاً مع استنتاج كايتاني هذا رغم رأي الأخير المناقض، لانه استناداً الى ابن اسحاق فان خالداً استولى على عـــدة قـــرى في المنطقة المحيطة بالحيرة قبل ان يأتي الى المدينة نفسها . فيذكر ابن اسحاق ان خالداً اجتاز المدينة مـــن الجنوب والغـــرب والشمال ولم يعد إلا من الشمال باتجاه الجنوب ثانية لمهاجمة المدينة . لذلك كان الهجوم المفاجئ غير وارد .

ويروي المدائني (الطبري ، في تاريخه [دي خويه] ، السلسلة ١ ، ص ٢٠١٦) ان ابا بكر وجـــه خالداً الى ارض الكوفة ، وفيها المثنى بن حارثة الشيباني « فجعل طريقـــه البصرة ، وفيها قطبـــة بـــن قتاده السدوسي » . ولا يقصد بارض مدينة الكوفة المنطقة المجاورة لهذه المدينة بالتحديد ، وهي المدينة التي أسست بعد عام ٦٣٧ م ، بل يقصد بها جميع المنطقة التي حـــول موقع الكوفة في القرن الاول الهجري — اي العراق باكمله . وهذا يدل ايضاً على اعتقاد المدائني ان خالداً لا بد ان زحف من اليمامة مباشرة الى العراق بطريق النقل المؤدي الى الابلة .

وينكر كايتاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص‌ص ٩٢٣ وما بعدها ، ملاحظه ٢) ان المدائني قصد ان خالداً ذهب الى البصرة ، ويعتبر ان هذا يناقض بداية الجملة مناقضة مباشرة حيث ورد ان خالداً كان قد تقدم بـــ

« الطريق الذي دُعي عادة بطريق البصرة » . وبما ان هذا الطريق انقسم في نقطة معينة الى فرعين : فرع يؤدي الى البصرة ،وآخر الى الكوفة (الحيرة) فقد افترض كايتاني ان خالداً اتبع الطريق الأخير.على ان هذا التفسير متكلف جداً ويناقض النص . وفضلاً عن ذلك فإن المدائني لا يقول ان خالداً اتبع « الطريق الذي دُعي عادة بطريق البصرة ، » بل انه تقدم بطريق البصرة . ان عبارة «ذهب بالطريق المؤدي الى الكوفة » لا يمكن ان تستبدل بـ « ذهب عن طريق البصرة ، » كما يبدو ان كايتاني ، في الحوليات (١٩٠٥) ، المجلد ٢ ، ص ٩٢٥ ، ملاحظه ٣) يعتقد ان ذلك جائز . فالأولى لا تذكر ما اذا تمّ الوصول الى الكوفة ، بينما يتضح من العبارة الثانية ان البصرة تمّ اجتيازها قبل وصول خالد الى المحطة الأخيرة .

ويذكر هشام بن الكلبي (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص٢٠١٨) «لما كتب ابوبكر الى خالد ابن الوليد وهو باليمامه ان يسير الى الشام امره ان يبدأ بالعراق فيمر بها ، فاقبل خالد منها يسير حتى نزل النباج » اى ان خالداً لم يذهب الى المدينة .

ويروي يزيد بن نبيشه (البلاذري ، المصدر السابق ، ص ص ٢٤٣ وما بعدها)«قدمنا العراق مع خالد بن الوليد فانتهينا الى مسلحة العذيب ثم أتينا الحيرة ، وقد تحصن اهلها في القصر الأبيض ، وقصر ابن بقيله ، وقصر العدسيين ، فاجلنا الخيل من عرصاتهم. ثم صالحونا » ولم يذكر يزيد بن نبيشه من اين وبأي طريق جاءوا مع خالد الى العراق . فهو لا يبدأ روايته إلا عند محطة العذيب ، الواقعة على بعد ٣٢ كيلو متراً مباشرة تقريباً الى الجنوب من الحيرة وعلى مفترق طريقين . احدهما يأتي من الجنوب من طريق فيد ، والآخر من البصرة بطريق خفّان . ان موقع العذيب عند ماتقى طريقين يجعل من

المتعذر علينا ان نحدد الاتجاه الذي وصل خالد منه الى هناك . ولما كان ابن نبيشه لا يذكر التحويله في الطريق ولا الاستيلاء على حصن العذيب فلنا ان نفترض ان الاخير كان الفرس قد هجروه .

الحيرة

وصل المسلمون الى الحيرة من الجنوب . وكانت هذه المدينة المشيدة على حافة الصحراء تماماً تتكون من بضع مجموعات من ابنية محصنة تتخللها بساتين وحقول .ومثل هذه المجموعات من الأبنية التي كانت تسمى قصوراً تكون على شكل مستطيل يتكون مركزه من فناء محاط بأبنية منفصلة إحاطة تامة . وكانت الجدران الخارجية ، وهي أعلى من الجدران الداخلية ، مبنية باحكام ومزودة بفتحات للرماة في اقسامها العليا ،وبأبراج في زواياها ، مما يعطي المجموعة باكملها هيئة الحصن .وفي الجدار الخارجي بوابة محصنة واحدة تؤدي الى الفناء ، ومنه تنفتح ابواب الى الأبنية المنفصلة ، التي ليس لها أي مخرج آخر . وهذه القصور تكون إما ضيقة او عريضة ، حسب عدد افراد العشائر كل على حدة التي تعيش فيها سوية .

وعند اقتراب عدو ما يسوق سكنة القصر افضل حيواناتهم ، وخاصة الخيل ، الى داخل الفناء ويقفلون البوابة ويحكمونها بالمزلاج ويصعدون الى السطح المستوي ويصدون الهجوم من خلال ثغرات الرماة . فان كان العدو من الحضر ايضاً ، فانهم يجلبون معهم معاولهم وسلالمهم ويخترقون جدار الحديقة ، وبعد ان يحتموا وراء اشجار النخيل يقتربون من القصر . وعند وصولهم الى الجدران يرفعون السلالم اولا ، محاولين بذلك الصعود الى السطح . فان صدوا ، فانهم يتجمعون في نقاط مختلفة قريبة من الجدار لكي يحدثوا ثغرة فيه . أما إن قام البدو بالهجوم للغلبة

دون أن يهدفوا الى اخضاع الحضر، فانهم يستولون قبل كل شيء على القطعان التي لم تكن قد سيقت الى داخل الفناء ويستولون بعدئذ على اكداس سنابل الحنطة المكوّمة على ارضيات البيدر ؛ ويقطفون الثمار الناضجة ، ويتركون حيواناتهم ترعى سنابل القمح القائمة ، ثم يختفون بالسرعة التي قدموا بها . أما إن اراد البدو الرحل ان يحملوا الحضر على دفع جزية منتظمة لهم ، فانهم يخيمون امام القصر ويسوقون الحيوانات التي جلبوها معهم الى الحقول والبساتين ويوقدون ناراً تحت احدى اشجار الفاكهة الكبيرة ويمنعون الحضر من الوصول الى الآبار ويهددون بحرق و تكسير جميع اشجارهم وأحراشهم ، وبهذه الطريقة يجبرونهم على الاستسلام . لقد حدث هذا كله ، استناداً الى يزيد بن نبيشه ، في القصور المختلفة في الحيرة ويقال ان الأهلين كانوا قد انقذوا انفسهم من جيش المسلمين في ابنيتهم المحكمة ، مما يبرهن على ان المدينة لم تكن محاطة بسور مشترك . خيّم المسلمون أمام القصور المختلفة وساقوا حيواناتهم في البساتين والحقول ، واجبروا الاهلين على التفاوض والاستسلام اخيراً .

رواية ابن اسحاق

روى ابن اسحاق عن صالح بن كيسان (الطبري ، المرجع السابق السلسله ١ ، ص ص ٢٠١٦ ومابعدها) «ان ابا بكر رحمه الله كتب الى خالد بن الوليد يأمره ان يسير الى العراق . فمضى خالد يريد العراق ، فنزل بقريات من السواد يقال لها بانقيا وباروسما وأُلّيس ، فصالحه أهلها » . ــ ووفقاً لهذا النص فانّ خالداً لم يرجع الى المدينة قبل تقدمه الى العراق . كما لم يرد ذكر الطريق الذي سلكه ؛ الا ان من الواضح انه لم يتقدم مباشرة الى الحيرة ، لانه لو كان قد زحف مباشرة باتجاه شمالي على ما أصبح فيما بعد طريق الحاج او سار اولاً نحو البصرة باتجاه شمالي شرقي ، فانه

في اي من الحالتين توقف قبل وصوله الى الحيرة عند قرى بانقيا وباروسما وأليس . وكانت القرية الاخيرة هذه معقلاً هاماً العجم عند مفترق طرق النقل الى الجنوب الشرقي من الحيرة ؛ وكان الرئيس هناك وفي الاراضي المحيطة بها المالك الثري ، ابن صلوبا . وتسمّي مصادر أخرى شخصاً يدعى جابان على أنه رئيس أليّس ، وتنسب لأبن صلوبا قريتا بانقيا وباروسما فقط ؛ وفي معاهدة الصلح يشير ابن اسحاق نفسه الى ابن صلوبا على انه صاحب القريتين المذكورتين اخيراً ، وبذلك يناقض نفسه . ويحدد موقع بانقيا على انها تمتد على كلتا ضفتي الفرات في ضواحي محطة أليّس . وكان نصف بانقيا والجزء المأهول من باروسما باكمله مع افضل حقوله يقع على الضفة اليسرى الفرع الغربي من الفرات . وبالنظر لهذا الموقع فلم يكونوا مهددين مباشرة من المسلمين ، ولذلك فانه من اللافت للنظر ان ابن صلوبا بدأ مباشرة بالتفاوض من أجل السلام دون إعارة أي اهتمام للحكومة الفارسية ، كما انه لم يحاول طلب المساعدة من الحيرة ، برغم ان هذه المدينة لم يكن قد تمّ الاستيلاء عليها بعد من جانب المسلمين .

ويستمر ابن اسحاق في روايته قائلاً" ثم اقبل خالد بن الوليد بمن معه حتى نزل الحيرة » واستسلم اهلوها اليه دون اية محاولة للمقاومة . — وهكذا استولى خالد ، كما يروي ابن اسحاق ، على أهم جزء من الحدود الفارسية دون قتال واراقة دماء ، وبالمسلمين الذين معه فقط ، اذ لم يرد ذكر الرئيس الكبير المثنى وقبيلته . ولا يوضح ابن اسحاق استسلام الحيرة دون قتال ، وهي مركز منطقة الحدود باكملها ، بينما نجد حتى الموضع العسكري البسيط في عين التمر يبدي مقاومة شديدة . ولا تفيد الدعوى القائلة بانّ اهل الحيرة أُخذوا على حين غرّة ، اذ كان في امكانهم مراقبة جيش المسلمين لوقت طويل قبل اقترابه من الجنوب ، وعلاوة على ذلك فلا بد أنهم تلقوا الأخبار عن الغزو الذي يتهددهم من قرى ابن صلوبا ، التي كانت آنذاك قد غنم المسلمون جزءاً منها في الأقل .

ويقول كايتاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٣١ ، ملاحظة ٨) أنه في ضواحي الحيرة وبين القلاع ، او الثكنات الموجودة على خط الحدود المحصن الروماني القديم والتي كانت تدعى برايسيديا ، قامت هناك اديرة مسيحية غنية . وفي حقيقة الأمر فان خط الحدود المحصن كان على بعد اربعمائة كيلو متر من الحيرة .

رواية ابو يوسف

روى ابو يوسف في كتابه « الخراج (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ص ٨٢ وما بعد) عن ابن اسحاق

لما قدم خالد بن الوليد من اليمامه دخل على ابي بكر الصديق — (رض) وخرج فا قام اياماً ، ثم قال له ابو بكر : تهيأ حتى تخرج الى العراق ، فوجهه ابو بكر الصديق الى العراق ، فخرج في الفين ومعه من الاتباع مثلهم ، فمر بفيد ، فخرج معه خمسمائة من طى ، ومعهم مثلهم ، فانتهى الى شراف ومعه خمسة الاف او اقل او اكثر ، فتعجب اهل شراف من خالد ومن معه ودخولهم في ارض العجم ، فانتهوا الى المغيثة ، فاذا طلائع خيل العجم ، فنظروا اليهم ورجعوا فانتهوا الى حصنهم ودخلوه ، فاقبل خالد ومن معه الى الحصن فحاصرهم وفتح الحصن وقتل من فيه من المقاتله ، وسبى النساء والذرارى ، واخذ جميع ما كان فيه من السلاح والمتاع والدواب وهدم الحصن

ثم مضى حتى انتهى الى العذيب وفيه حصن فيه مسلحة لكسرى فواقعهم خالد فقتلهم واخذ ما كان في الحصن من متاع وسلاح ودواب وهدم الحصن وضرب اعناق الرجال وسبى النساء والذرارى ،وعزل الخُمس مما افاء الله عليه وقسم الاربعة أخماس بين اصحابه الذين افتتحوه ، فلما رأى ذلك اهل القادسية طلبوا الصلح واعطوه الجزيه

فمضى خالد من القادسية حتى نزل النجف وبه حصن حصين لكسرى فيه رجال من اهل فارس مقاتلة ، فحاصرهم وافتتح الحصن واستنزلهم . . واخذ ما في الحصن من المتاع والسلاح والدواب ، ولم يكن في هذه الحصون التي افتتح أحصن منه ولا اكثر مقاتلة ولا سلاحاً ولا متاعاً ولا رجالاً اشد من رجال كانوا في حصن النجف ، فاخرب الحصن واحرقه ، فلما رأى اهل اليّس ذلك وما صنع خالد باهل الحصن طلبوا منه الصلح على اداء الجزية فاعطاهم فأدوا اليه الجزية

ثم مضى الى الحيرة فتحصن منه اهلها في قصورهم الثلاثة : قصر الابيض وقصر العديس ، وقصر ابن بقيلة ، فأجال اصحاب خالد الخيل في ذلك الظاهر ، وتعرضوا لهم لئلا يقاتلهم احد اويخرج اليهم ، فلم يروا احداً يخرج اليهم ولا يريد قتالهم ، فاشرف ولدان من فوق القصر ، فارسل خالد رجلاً من كبار اصحابه الى القصر الابيض . . فقال له اياس بن قبيصة مالنا في حربك من حاجة وما نريد بان ندخل معك في دينك نقيم على ديننا ونعطيك الجزيه فصالحه على ستين الفاً ورجل . . .

ثم ان خالداً مضى الى قرية اسفل الفرات يقال لها بانقيا وفيها مسلحة لكسرى في حصن لهم فحاصرهم ، فافتتح الحصن وقتل من فيه من الرجال وسبى نساءهم وذراريهم واخذ ما كان فيه من المتاع والسلاح ، واحرق الحصن وهدمه ، فلما رأى ذلك اهل القرية طلبوا الصلح منه على اداء الجزية ، فكان ولي الصلح عنهم هانئ بن جابر الطائي فصالحه عنهم على ثمانين الف درهم

ثم سار حتى نزل بانقيا على شط الفرات ، فقاتلوه ليلة الى الصباح وحاصرهم واشتد قتالهم ، فافتتحها بقوة الله تعالى وعونه ، وفيها اساورة كان كسرى صيرهم فيها ، فقتلهم وسبى ذراريهم ونساءهم واحرق الحصن وهدمه ، فلما رأى اهل بانقيا ذلك طلبوا الصلح منه فاعطاهم .

ثم بعث جرير بن عبد الله الى قرية بالسواد ، فلما اقحم جرير الفرات ليعبر الى اهل القرية ناداه دهقانها صلوبا : لاتعبر انا اعبر اليك ، فعبر اليه فصالحه على مثل ما صالحه عليه اهل الحيره

ثم ان خالداً رجع الى النجف فاستبطن بطن النجف ، واخذ الادلاء من اهل الحيره حتى انتهى الى عين التمر ، فنزل بعين التمر .. »

يحتوي هذا الوصف لحملة خالد على تناقضات كثيرة وامور مستحيلة ، ولذلك لا نستطيع ان نثق بأبي يوسف برغم إشارته الى ابن اسحاق . فالأخير لا يذكر عودة خالد من اليمامة الى المدينة . اما ابو يوسف فيروي ان خالداً ذهب من اليمامة الى المدينة ومن هناك سلك الطريق — طريق الحاج فيما بعد — الى الكوفة . وابو يوسف هو الكاتب العربي الوحيد الذي أجده يصف النجف بأنها اكبر وأقوى ثغر على الحدود . وبالرغم من ان خالداً استولى عليها عنوة ، فان اهل الحيرة لم يتخوفوا برغم قربهم من النجف . ومن المنطقة المجاورة القريبة للحيرة تحرك خالد جنوباً شرقياً الى أليس ومن هناك فقط شمالاً شرقياً الى الحيرة . وبعد استحواذه على هذه المدينة ، عاد ثانية جنوباً شرقياً الى قرية بانقيا التي فتح خالد حصنها مرتين وأحرقه وهدمه مرتين — وهذا خبر آخر إنفرد ابو يوسف بتدوينه . ولم يشكل عبور الفرات اية مشكلات لجرير . ومن بانقيا عاد خالد ، ليس الى الحيرة بـــل الى النجف المحترقة والمهدمة — برغم انه لم يكن باستطاعته ايجاد اي مخزن للطعام او مأوى هناك — ومن ذلك المكان بدأ زحفه على عين التمر .

واستناداً الى ابي يوسف فان كل الاراضي التي يحكمها الفرس المتغلغلة بعيداً في الصحراء (حتى المغيثة) كانت مشغولة بالجند ؛ وهذا يتعارض تماما مع ما هو معروف عن الأحوال الادارية في ذلك الزمان في دولة فارس . ان الحاميات الفارسية النظامية لحصني المغيثة والعذيب الحدوديتين لا تستطيع الصمود ضد هجوم خالد المؤلف من ٢٥٠٠ من الفرسان والجمالة ، الا ان الفرس كانوا

مزودين جيداً بالطعام والماء وهما ما كان المهاجمون المسلمون يعانون من نقصهما . ان المصير المظلم لهاتين الحاميتين كان ينبغي ان يحفز جنود الفرس على الدفاع بمقاومة يائسة عن حصن النجف الحدودي الذي كان أمنع حصون الحدود . ومن المؤكد ان المسلمين لم يجلبوا معهم سلالم او معاول ثقيلة ولذلك لم يكن بمقدورهم هدم التحصينات الفارسية المبنية بالحجارة ، ومع ذلك فانهم فتحوا هذا الحصن المنيع الجبار كما لو كان قلعة من الرمال ، برغم عدم تعوّدهم محاصرة الحصون ، كما يتبين من حصارهم للحيرة . اذ لازم اهل المدينة المذكورة اخيراً قصورهم ولم يجرؤ المسلمون ، الذين لم يستطع حتى أقوى الحصون مقاومتهم حتى ذلك الحين ، على مهاجمة هذه الابنية المحصنة فقط . وبالاجمال فإن غياب ذكر للمساعدة التي قدمتها للمسلمين قبيلة بكر بقيادة رئيسها المثنى ، انما هو من السمات المميزة لجماعة المدينة . فأبو يوسف لم يعرف أحداً في العراق سوى المسلمين الذين هم مع خالد . اما عشائر بكر ورئيسها الحكيم ، المثنى ، فلا ذكر لهم ابداً ؛ برغم انه كان مستحيلاً على المسلمين دخول العراق او العودة منه محملين بالغنائم دون معاونتهم .

إنني لا أتفق مع كايتاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ٩٣٢) ، الذي يقبل بيانات ابي يوسف الغريبة هذه على اساس انها تأتي من مصدر جيد وقديم . ولعل عدد المقاتلين في جيش خالد الذي اورده ابو يوسف وحده هو الصحيح . ولكن حتى هذه الجملة تصبح غير محتملة نظراً للملاحظة التي مفادها ان الألفي مقاتل كان يرافقهم عدد مماثل من غير المحاربين . ففي غارة للغزو ، ويعتبرها كايتاني كذلك ، فإن عدداً كبيراً من التابعين غير وارد ، اذ ان ذلك كان يحرم المحاربين الحقيقيين من حرية الحركة ، كما انه يستنفد ما لديهم من طعام وماء . ان وجودهم لا يمكن فهمه الا اذا كان القصد قيامهم بتقديم المساعدة اثناء اعمال الحصار او للاستيطان . ان جميع البيانات الاخرى التي اوردها ابو يوسف تعود الى تلك الروايات المنمقة بصورة رومانسية والهزيلة وغير الواضحة عن حملة خالد ، وهي روايات كانت متداولة في المدينة وكانت تهدف الى تمجيد خالد ورفاقه اكثر مما كانت وصفاً حقيقياً لحدث تاريخي .

رواية هشام بن الكلبي

روى هشام بن الكلبي عن رجل من قبيلة بكر بن وائل (الطبري : التاريخ دى خويه السلسلة ١ ص٢٠١٨ فما بعدها) ان المثنى بن حارثة الشيباني سار حتى قدم على ابي بكر رحمه الله، فقال امرّني على من قبلي من قومي اقاتل من يليني من اهل فارس واكفيك ناحيتي ففعل ذلك ، فاقبل فجمع قومه واخذ يغير بناحية كسكر مرة وفي اسفل الفرات مرة . ونزل خالد بن الوليد النباج والمثنى بن حارثه بخفان معسكر ، فكتب اليه خالد بن الوليد ليأتيه وبعث اليه بكتاب من ابي بكر يأمره فيه بطاعته ، فانقض اليه جواد حتى لحق به . . .

واقبل خالد بن الوليد يسير ، فعرض له جابان صاحب الّيس ، فبعث اليه المثنى بن حارثة فقاتله فهزمه وقتل جل اصحابه الى جانب نهر ثم يدعى نهر دم لتلك الوقعة ، وصالح اهل أُلّيس ، واقبل حتى دنا من الحيرة ، فخرجت اليه خيول ازاديه صاحب خيل كسرى التي كانت في مسالح مابينه وبين العرب ، فلقوهم بمجتمع الانهار فتوجه اليهم المثنى بن حارثة فهزمهم الله . فلما رأى ذلك اهل الحيرة خرجوا يستقبلونه . . فصالحهم على تسعين ومائة الف درهم فكانت اول جزية حملت من العراق .

ثم نزل على بانقيا فصالحه بصبهرى بن صلوبا على الف درهم وطيلسان وكتب لهم كتاباً .

وكان صالح خالد اهل الحيرة على ان يكونوا له عيوناً ففعلوا .

ولعل البدوي لم يسرد كل هذا بالدقة التي عرضها النص ، مع انه كان على صواب عموماً . فمن المحتمل جداً ان المثنى وهو الرجل الفطن الواعي ، عند ادراكه ما نزل بالمرتدين ، سارع الى المدينة حيث طلب موافقة ابي بكر على اعماله . وبهذه الخطوة فإنه قام بتقوية مركزه الخاص ، اذ لا يمكن للرؤساء الآخرين مهاجمته بسهولة ؛ وفضلاً عن ذلك ، فإنه كان قد

ضمن قبيلته مـن غارات المسلمين او القبائل الغربية المتصلة بهم عندما يكون مشغولاً بالغارة على القرى الفارسية . اما ابو بكر فاراد ان يكسب المثنى كلياً لجانبه ويفتح اطراف الدولة الفارسية ، فارسل ابو بكر الى العراق فيما بعد خالداً الذي يعرف كيف يتعامل مع العشائر العربية . ولدى وصول خالد الى النباج طلب من المثنى ، الذي كان مقيماً في خفّان آنذاك ، ان ينضم اليه هو ومقاتلوه ؛ ويبدو ان هذا يؤيد عزمه على اتباع طريق بعيد عن خفّان ، والا لكان التقى بالمثنى في خفّان . ولـم يكن خالد حتى حسب هذه الرواية ميالاً للذهاب الى الحيرة مباشرة ، لانه بدلاً من ذلك ، هاجم بلدة أليس الفارسية الواقعة على « نهر الدم » ، الى الجنوب الشرقي من الحيرة . ولعل هزيمة الفرس امام المثنى في كل من هذا النهر و « مجتمع الانهار » هو السبب في عدم ذكر الواقدي او ابن اسحاق ، الذي لم يكن يعرف شيئاً عن الرئيس المثنى ، هذه الانتصارات . ووفقاً لهشام بن الكلبي فان خالداً لم يعقد صلحاً مع رئيس قرية بانقيا الا بعد ان استسلمت الحيرة ؛ ومـع ذلك فلا بد انه اجتاز هذه القرية وبالتالي هددها اثناء زحفه على ألّيس وكذلك عندما كان يقوم بالتفاف للوصول الى الحيرة .

اما بصدد المعركة عند « مجتمع الأنهار » فلقد احتُفظ لنا بالقول المأثور المسجع التالي (الطبري . المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٢٦) : « صفر الاصفار فيه يقتـل كـل جبار على مجتمع الانهـار » . ان هـذا القول ذو اهميته كبيرة لانه حفظ لنا التاريخ الاصلي اي الصحيح للمعركة . ان الجنود المسلمين الأوائل لم يراعوا التواريخ المضبوطة وكان اهتمامهم بها قليلاً ، كما يفعل الاعراب في يومنا هذا . ولكن حتى او تمّ الاحتفاظ بالتاريخ الاصلي بوجه صحيح ، فان العُرف لايستطيع الاحتفاظ به إن لم يكن مدعوماً بقول مأثور او اغنية او حدث معاصر مشهور . وبغية التحديد الدقيق للتسلسل الزمني لهـذه الأحداث ، فان تواريخ معاهدات الصلح المختلفة كان يمكن ان تفيدنا لو انها وجدت . وعلى كـل حال علينا التأكد من ان هذه الوثائق كما نقلها المدونون

المتأخرون ، كانت حقيقية وتتفق مع المعاهدات الأصلية . ومع ذلك ، فليست لدينا هذه التواريخ ، كما انه لم تكن بحوزة جامعي الروايات المختلفة . وعلى هذا فلا عجب ان ينشأ صـــراع بشأن التسلسل الزمني للأحداث موضوع البحث . ويُستدل على ان القول المأثور يحدد المعركة عند « مجتمع الأنهار » في فصل الخريف ، بل وفي شهر تشرين الأول (اكتوبر) بالذات ، من حقيقة ان صفر الاصفاريعني بالنسبة لبعض الاعراب المحدثين منتصف صفر (ويشمل فصل صفر السنوي أشهر أيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني) ، اي ، تشـــرين الأول (موسيل ، بلاد العرب الصخرية المجلد ٣ ، ص ٧) . وقد سبق ان اقترح هذا فلهاوزن في كتابه تخطيطات وأعمال تمهيديه (المجلد ٦ ،ص ٤٠ ، ملاحظه١) ويشك كايتاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٦٠ ، ملاحظه ٢)فـــي احتمال رأي فلهاوزن هذا لانه ، من بين اسباب أخرى ، فـــي فترة الفتح الاسلامي كانت اسماء الأشهر العربية قد فقدت آنذاك المعنى القديم للفصول السنوية ودلت على اشهر قمرية متحركة .

ان كايتاني يهمل حقيقة انه علينا التعامل مع قول مأثور نابع من الشعب وان اسماء الأشهر بالنسبة لقبائل عربية كثيرة حتى في يومنا هذا لم تفقد معناهـــا الاصلي للفصول السنوية . ويكاد جميع السكان الحاليين لمؤاب وادوم يسمّون الخريف بـ (صفريات ثلاثه) . امـــا الأشهر القمرية المتحركة فيكادون يجهلونها تاماً .

الخلاصـــة

وللحصول على رأي صائب عن هذه الأحداث من بين جميع الأدلة المتضاربة التي قدمها كتاب جماعة المدينة ، فلا بد لنا ان نقرر اولاً ما اذا كان المثنى وقبيلة بكر قد أسهما في حملة خالد على الفرس ام لا . ان الحجج التي قدمناها آنفاً ، والتي ستلاقي دعماً إضافياً تحملنا على القول ان خالداً ما كان

ليستطيع المجازفة بغارة واحدة فضلاً عن حملة على الفرس بدون رضى البكريين ومعاونتهم . فإذا اعترفنا ان اعراب هذه القبيلة قدموا له الاسناد ، حينئذ يكون الاحتمال الأقوى انهم هاجموا المدينة التي كانت تنطلق منها القوافل التجارية التي تمـر خلال اراضي البكريين متجهة الى الجنوب او الجنوب الغربي او الغرب او الشمال الغربي . وكانت نقطة الانطلاق هذه ، هـى الأبُلّة ، متصلة بالجزء الشرقي من اراضي البكريين . ومما لا ريب فيه ان خالداً كان يعرف كل شيءٍ عن القوافل التجارية التي تغادر الأبُلّة ، لأنها كانت تحمل منتجات متنوعة الى كل من مكة والمدينة . ولا بد انه عرف المزيد عنهم في اليمامة ، وعند النباج وجـد نفسه أخيراً على الطريق الذي يسلكونه عادة . وبما انه لم يكن قد تلقى تعليمات دقيقة من ابي بكر عن الطريق الذي عليه ان يسلكه ، فقد كانت له حريـة التقدم من النباج عن طريق القوافل الى الأُبُله ومن هناك يقوم بمساعدة البكريين في غاراتهـم على القرى الفارسية . إنه بتقدمه سوية مع المثنى لـم يتمكن ضمان حصة اكبر من الغنائم فحسب ، بل التأكد من وصولها دون عائق الى المدينة . ومـن المحتمل ان الـرواة البارزين الذين يمثلون المدينة لا يذكرون الرئيس الأعلى المثنى ، لانه لم يكن مـن مصلحة اهـل المدينة ان رئيساً اعرابياً لا ينتسب الى اهـل مكـة او المدينة حديث عهد بالاسلام ، يعطى شرف نشره فـي العـراق وشرف فتـح بـلاد فارس . وقـام آخرون مـن هولاء الرواة بذكر المثنى ، الا أنهم حاولوا التقليل قدر المستطاع من اهمية إسهامه في انتصارات خالد .

رواية اهل الكوفـة

رواية سـيف بن عمر

ان سيف بن عمر هو الممثل الرئيس لروايات اهل الكوفه (الطبري : المصدر السابق ، السلسلة ١ ص ص ٢٠٢١ وما بعدها) وهو ينقل عن عدد من الرواة « كتب ابو بكر الى خالـد بن الوليد اذ أمّـره عـلى حرب العـراق ان يدخلها مـن اسفلها ، والى عياض اذ امّـره عـلى حـرب العـراق ان يدخلها مـن اعـلاها ، ثـم يستبقا الى الحيرة ، فايهما سـبق

الى الحيرة فهو امير على صاحبه ، وقال اذا اجتمعتما بالحيرة وقد فضضتما مسالح فارس وامنتما ان يؤتى المسلمون من خلفهم فليكن احدكما رداً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة ، وليقتحم الاخر على عدو الله وعدوكم من اهل فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن » وبموجب هذا فان الحمله انتهت بالحيرة ، ولكنها لم تبدأ منها .

ويؤكد سيف (المصدر نفسه ، ص، ص ٢٠٣٢ — ٢٠٣٥) ان خالداً زحف شمالاً غربياً من ضواحي المدينة التي عرفت فيما بعد بالبصرة . وبعد لقاء مع الفرس عند الولجة قام بمباغتة القائد الفارسي ، جابان ، قرب محطة ألّيس على الفرات ، وهزمه وأمر بقتل جميع السجناء . وقد تفرع نهـر من هناك ، وكـان المسلمون قـد سكروه ثـم فتحوه بعد قليل عـلى جثث السجناء المقتولين الملقاة في المجرى . فصبغ دمهم الماء في النهر بحيث اصبح فيما بعد يدعى دائماً بـ « نهر الدم » . — وكانت محطة أُلّيس ، وقد كتبت في المخطوط (المصدر نفسه ، ص ٢٠٣١ ، ملاحظة هـ) بلام مشددة ، على منعطف للفرات ولا تزال على الضفة اليمنى . ويستدل من السهولة التي اوقف فيها المسلمون الماء في النهر هناك انه لم يكن فيه ماء كثير آنذاك ومـن ثم فلا بد ان المعركة حدثت في الخريف . انني أحدد موقع الولجه بجوار عين ضاحج ، نحو خمسين كيلومتراً جنوب شرقي الحيرة ، وأُلّيس عند قرية الشاطئ في الشمال الغربي من عين ضاحج .

وبعد استيلاء خالد على أُلّيس زحف (المصدر نفسه ، ص ٢٠٣٦) على بـلدة امغيشيا ، التي استولى عليها ثـم هدمها . وكانت هـذه « مصـراً كاالحـيرة ، وكـانت الّيس حصنها وكـان نهـربادقلى ينتهى اليها .

ويظن كايتاني ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ص ٩٢٩ وما بعدها ، ملاحظة ٣ ب) ان اليس وامغيشيا هما اسمان مختلفان للموضع نفسه وان الاسم امغيشيا محرّف عن الجيشية ، وهو الاسم القديم لفولوجيسياس ، التي جعلها العرب فيما بعد اليس . انه يحدد موقع امغيشيا عند قرية أمّيشكيديه (كيبرت ، في خارطة الأقاليم الاسيوية [١٨٨٤]) على الضفة الغربية لنهر الهندية مقابل برس نمرود .

انني لا أرى في امغيشيا تحريفاً عن الجيشية وفولوجيسياس . فالحرف العربي الغين (غ) صوت واضح جداً يتعذر استبداله بحرف الجيم (ج) وكذلك من الصعب ان نفهم السبب في ان العرب عبّروا عن الحرف الصحيح السين الوارد في الاسم فولوجيسياس بحرف الشين في امغيشيا ، وبالسين في أُلّيس . اما سيف فيفرّق بوضوح بين أُلّيس وامغيشيا ، ولذلك لا يجوز المطابقة بينهما بدون دليل قاطع . ان مقارنة امغيشيا بأمّيشيكيدية غير ممكن من ناحية فقه اللغة ، ومستبعدة طوبوغرافياً كليا . وبجانب ذلك فانها على خارطة كيبرت لم تكتب اميّشيكيدية وانما كتبت ام ايشيّديه ، وهو اسم ليس فيه اي تشابه مع امغيشيا وتقع أُلّيس نحو خمسة وثلاثين كيلومتراً جنوب شرقي الحيرة ، وشكلت (وفقاً لسيف) الحصن المنيع لقرية امغيشيا . وهذا سبب اضافي آخر يفسر لماذا لا ينبغي مطابقتها مع قرية ام ايشيّديه ، التي جاء في الروايات انها تقع في موضع ابعد شمالاً من الحيرة . وبالطبع فإنّ كايتاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٣٦ ، ملاحظة ٢) مقتنع اقتناعاً راسخاً ان خالداً هاجم الحيرة من الشمال ، الا ان هذا الرأي لا يتعارض مع جميع المصادر العربية فحسب بل ايضاً مع الاسباب النفسية الصرفة والعسكرية التي يسعى بها لدعم نظريته .

والجغرافيون العرب اما انهم لايذكرون امغيشيا اطلاقاً او يذكرون نسخة حرفية لرواية سيف ، التي إقتُبست عن المغيرة (الطبري ، الموضع نفسه) . وهذايوضح

ان هذه البلدة اندثرت في القرن الأول للاسلام ، وان اسمها اختفى بعد ذلك .

ولما بلغ القائد الفارسي في الحيرة خبر سقوط امغيشيا ، أخذ يستعد لمقاومة زحف خالد (المصدر نفسه ، ص ٢٠٣٧) ، الذي كان قد حمّل امتعته كلها على قوارب والتي استقلها ايضاً جنوده المشاة . أبحرت القوارب على فرع الفرات الغربي ، بينما قام خالد وفرسانه بمرافقتهم بحذاء ضفة النهر . وبغية عرقلة تقدم خالد أرسل القائد الفارسي ابنه مع مفرزة ضد خالد ، وخيّم هو نفسه خلف الحيرة . أمر الابن بفتح بعض القنوات ، فملأها ماء مما ادى الى هبوط منسوب الماء في فرع الفرات هبوطاً كبيراً بحيث ان قوارب خالد جنحت ولم تستطع حراكا . وعندما أخبر رجال القوارب المحليين خالداً بسبب هذه العرقلة ، سارع مع فرسانه ضد الفرس ، والتقى بطلائع جنادهم عند مصب نهر العتيق ، ولاحقهم وابادهم قرب المُقر . ثـم فاجأ خالد ابـن القائد الفارسي عنـد فم فرات بادقلي وقتله . وسدّ القنوات ثانية واصبح فـرع الفرات بذلك صالحاً للملاحه ، وتمكنت السفن من التقدم .

يرينا هذا النص بوضوح ان خالداً زحف مُصعداً من أُلّيس ؛ وعـلى هذا لا يمكن ان تكون الّيس واقعة الى الشمال بل لا بد انها كانت الى الجنوب الشرقي من الحيرة . ولم يكن في امكان خالد ابداً مرافقة قواربه المبحرة سريعاً مع المجرى ، فإنه لو فعل ذلك لكان من الضروري الركوب على جمل حول مستنقعات وقنوات وترع كثيرة . ولكان عليه العودة ثانية لفتح الماء الى فرع الفرات ، وتلك حركة كان يمكن ان تؤدي به وبقواربه الى وسط الجيش الفارسي . ان نصيحة الملاحين المحليين له بسد القنوات وبالتالي جعل الابحار في الفرات ممكناً يشهد انه لم يكن هناك ماء كثير في النهر في ذلك الوقت . وبما ان النهر يبدأ بالارتفاع بعد الامطار الغزيرة الاولى التي تبدأ بانتظام في نهاية تشرين الثاني (نوفمبر) ، وتستمر بالازدياد حتى منتصف أيار (مايو) او نهايته ،

فإننا نرى من هذا الظرف ان خالداً لا بد ان كان قد استولى على الّيس في فترة صفر الأصفار ، في وقت ما في شهر تشرين الاول (اكتوبر) .

وحدث آخر في نفس الموضع تقريباً ، يسجله لنا الطبري (المصادر السابق ، السلسلة ٢ ، ص ٧٢٥) المقتبس عن ابي مخنف . ففي اثناء الحرب بين ابن الزبير والخليفة عبدالملك (٦٨٥ — ٧٠٥ م) تقدم مصعب بن الزبير من البصرة براً ونهراً لقتال المختار الذي كان مسيطراً على الكوفة .

« ولما بلغ المختار انهم قد اقبلوا اليه من البحر وعلى الظهر سار حتى نـزل بهم السيلحين ، ونظر الى مجتمع الانهار : نهر الحيرة ونهر السيلحين ونهر القادسية ونهر برسف ، فسكر الفرات على مجتمع الانهار ، فذهب ماء الفرات كله من هذه الانهار ، وبقيت سفن اهل البصرة في الطين ، فلما رأوا ذلك خرجوا من السفن يمشون ، واقبلت خيلهم تركض حتى اتوا ذلك السكر فكسروه وصمدوا صمد الكوفة ، فلما رأى ذلك المختار اقبل اليهم حتى نزل حروراء » .

تقع السيلحين على مسافة خمسة عشر كيلومتر جنوب شرقي الحيرة أسفل من بلـدة ابي صخير الحديثة ، ولا بد من البحث عن مجتمع الانهار ، وبتعبير اصح نقطة ابتداء هذه الانهار من الفرات ، الى الجنوب الشرقي من الحيرة عند ابي صخير في بساتين الجعارة ، حيث يأخذ الفرات العتيق الذي يجري الى القادسية ، وكذلك نهر بادقلى الذي يجري الى جنوب — الجنوب الشرقي . كان نهر الحيرة وبرسف ينتهيان هناك . ومن « مجتمع الانهار » هذا زحف خالد على الحيرة (المصدر نفسه ، السلسلة ١ ، ص ص ٢٠٣٨ وما بعدها) ، وخيّم بين الخورنق والنجف ، وانتظر في الخورنق وصول بقية جنوده . وفي هذه الاثناء كان القائد الفارسي في الحيرة قد هرب وعبر الفرات . تحرك خالد وقد اكتمل جيشه الآن من الخورنق واتخذ موضعاً بين الغريين والقصر الأبيض الذي كان جنود الفرس قد أخلوه قبل ذلك بقليل . اما أهل الحيرة فقد احتموا وراء المتاريس في قصورهم المختلفة ،

مما حمل خالد ، الذي لم يستطع أخذهم عنوة ، على تدمير المنطقة المجاورة وهكذا اضطر المحاصرون الى الاستسلام .

ويقع الخورنق ، حيث انتظر خالد السفن التي تحمل جنده ، على نحو ستة كيلومترات شمال غربي « مجتمع الانهار » وعلى نفس المسافة تقريباً جنوبي الحيرة . والنجف ، الواقعة على حافة الهضبة التي تقع الحيرة عليها ، وهي تقع ايضاً الى الغرب من الحيرة .

الخلاصة

وعند تلخيصنا النتائج التي توصلنا اليها بصدد الأحداث التي ادت الى الاستيلاء على الحيرة ، نلاحظ ان الممثلين الرئيسيين لكلتا الجماعتين ، جماعة المدينة وجماعة الكوفة ، يقرون بالتعاون بين خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة ، وان خالداً حاول بكل الوسائل الاستيلاء على جميع القرى الواقعة على الضفة اليمنى للفرات من الخليج العربي وحتى الحيرة . اما على الضفة اليسرى فقد وطئت اقدام جنوده الأرض فقط في اماكن قليلة ، ولم يكن ذلك الا عندما تعرضوا للخطر من ذلك الجانب او توقعوا ان يجدوا غنائم كثيرة هناك ؛ وهذا النهج سار عليه خالد ايضاً بعد ان أتمّ الاستيلاء على الحيرة .

خالد في الانبار

يروي المدائني (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ص ٢٠٧٦ وما بعد)

«ان خالداً بن الوليد اتى الانبار فصالحوه على الجلاء ، ثم اعطوه شيئاً رضي به ، وأنه اغار على سوق بغداد من رستاق العال ، وانه وجه المثنى فأغار على سوق فيها جمع لقضاعة وبكر ، فاصاب ما في السوق ، ثم سار الى عين التمر ففتحها عنوة ، فقتل وسبى وبعث السبي الى ابي بكر ، فكان اول سبي قدم المدينة من العجم ، وسار الى دومة الجندل ، فقتل اكيدر ، وسبى ابنة الجودي ، ورجع فاقام بالحيرة»

سمح خالد للحامية الفارسية في الأنبار بمغادرتها ، وعقد معاهدة صلح مع الأهلين . ان الغارة على المركز التسويقي قرب الموقع الذي شيدت عليه بغداد بعد ذلك دليل على شجاعة خالد الفائقة ، اذ كان عليه عبور قنوات اروائية كثيرة للوصول الى مشارف طيسفون [المدائن] ، العاصمة الفارسية .

يعطي كايتاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٤٠ ، ملاحظة ٣) ، على العموم رواية المدائني اهمية كبيرة باعتبارها تقدم لنا معياراً لتقدير قيمة رواية سيف ؛ انه يرفض قبول اخبار المعارك غير التي دونها المدائني . ومع ذلك فإنني اشك فيما اذا كان من الاسلم ان نعتمد على صمت المدائني فيما يتعلق بالأحداث المختلفة التي ذكرها سيف. ومن الناحية الأخرى ، فإن كايتاني لا يعترف بالأحداث التي دونها المدائني بهـذا الخصوص ، رافضاً جميع الانتصارات على الضفـة اليسرى للفرات ، وتبعا لذلك الاستيلاء على الانبار والسوق القريب من بغـداد وكذلك الغارة على دومة الجندل . ويكتب كايتاني (المصدر نفسه ، ص ص ٩٤٢ وما بعدها ، ملاحظة ١) ان رواة المدينة الذين كان يمثلهم المدائني لم يكونوا على علم بالاستيلاء على الانبار ، برغم ان المدائني يروي ذلك بتوثيق من عمر بن شبّة.

ويطابق كايتاني (المصدر السابق ، ص ٩٣٩ ، ملاحظة ١) الأنبار مع خرائب الصفيرة ، الان خرائب الأنبار الواسعة حافظت على اسمها الى يومنا هذا ، وهي تقع عـلى مسافة عشرة كيلومترات جنوب غربي الصفيرة .

ومهما يكن فان رواية المدائني موضع تساؤل وغير مترابطة بحيث لا نستطيع الاعتماد اعتماداً تاماً على بيانه من ان الاسرى من عين التمر كانوا اول وجبة أرسلت من بلاد فارس الى المدينة .

ويورد البلاذري في كتابه «فتوح البلدان» (دي خويه ٢٤٥)« واتى خالد الفلاليج منصرفه من بانقيا ، وبها جمع للعجم ، فتفرقوا ولم يلق كيداً ، فرجع الى الحيرة ، فبلغه ان جابان في جمع عظيم بتستر ، فوجه اليه المثنى بن حارثة الشيباني وحنظلة بن الربيع الاسيدي فلما انتهيا اليه هرب » .

وسار خالد الى الانبار فتحصن اهلها ، ثم اتاه من دلّه على سوق بغداد ، وهي السوق العتيق الذي كان عند قرن الصراة ، فبعث خالد المثنى بن حارثة فاغار عليه ، فملأ المسلمون ايديهم من الصفراء والبيضاء وما خف حمله من المتاع ، ثم باتوا بالسيلحين . أتوا الانبار وخالد بها ، فحصروا اهلها ، وحرقوا في نواحيها. فلما رأى اهل الانبار ما نزل بهم صالحوا خالداً على شيء رضى به ناقرّهم .

ويقال ان خالداً قدّم المثنى الى بغداد ، ثم سار بعده فتولى الغارة عليها ثم رجع الى الانبار ، وليس ذلك بثبت »

ويشير كايتاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ص ٩٤٢ وما بعدها) ملاحظة ١) انه في هذه الرواية ذُكرت الفلاليج للدلالة على موضع معين ، بينما هي ليست في الواقع إلا الاسم الشائع لقرى في المنطقة الرسوبية من ارض السواد ، ويذكرنا ايضاً ان الاسم ذكر فقط في الروايات الأولى عن الحملة الى العراق ، ولم يذكر مرة أخرى البتة . ومن المحقق انه لم يُصب بصدد النقطة الأخيرة . فالفلاليج لم تذكر في الروايات عن الحملة الاولى فحسب بل كذلك في تلك الروايات عن السنتين ١٣ هـ (٦٣٤ — ٦٣٥ م) و ٧٢ هـ (٦٩١ — ٦٩٢ م) (الطبري المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٢٠٢ ؛ السلسلة ٢ ، ص ١٠٧٢) . كما ذكرت ايضاً كثيراً في كتب البلدان والجغرافية العربية . وتقع عدة قرى تدعى الفلاليج جنوب شرقي الحيرة بجانب قناة الفلوجة الكبيرة ، وهي بلكوتاس القديمة ، كما تقع قرى من هذا القبيل الى الجنوب الشرقي من الانبار . حيث تقع الفلوجتان العليا والسفلى .

ويذكر كايتاني (في المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٤٣ ملاحظة ٢) الاستيلاء على الأنبار ، لانه لم يرد ذكره في اوثق المصادر : ابن اسحاق ، وابو يوسف ، والواقدي . على ان ابا يوسف الذي تناقض روايته الروايات الأخرى عن هذه الأحداث نفسها ، لا يمكن

بالتأكيد ان نحتسبه من بين افضل المصادر . اما ابن اسحاق والواقدي فهما موجزان جداً ، بل وسطحيان . وعن مايناني استيلاء خالد على الانبار يمكننا الاستشهاد بالعُرف المحلي الذي كان يسود الانبار والذي بموجبه تم عقد معاهدة صلح بين اهل الانبار والمسلمين اثناء حكم الخليفة عمر ، وقام جرير بن عبدالله بدور الوساطة في ذلك . اما اذا كان هذا لا يشير صراحة الى معاهدة الصلح هذه ، وربما بعد هزيمة المسلمين عند الجسر ، فحينئذ ينبغي وضع تأكيد مناسب على رواية فتح الانبار الواردة عند البلاذري في المصدر السابق (ص ٢٤٦)، ويرى كايتاني ان المسلمين ما كانوا ليستطيعوا العبور من الضفة اليمنى الى اليسرى ، حيث كانت تقع الانبار ، دون مساعدة اهل تلك البلدة ؛ ومع ذلك فإنه يذكر في موضع آخر (المصدر نفسه ، المجلد ٢ ، ص ١٢٣٦) ، عند التعليق على الاحداث التي وقعت بعد مغادرة خالد ، ان المسلمين خاضوا الفرات القيام بغارات في المنطقة الواقعة بين الفرات ودجلة بأكملها . وهكذا كان بامكانهم عبور الفرات بسهولة ، بعد مغادرة خالد وليس قبلها ، برغم وجود ماء في النهر بعد مغادرته ، في الربيع والصيف اكثر مما كان في الخريف والشتاء السابقين .

ان عبور الفرات لم يكن يشكل عقبة كبيرة للمسلمين لو حاصروا الأنبار ، في بداية تشرين الثاني فيما نعتقد ، ففي ذلك الوقت من السنة يكون من السهل خوض النهر العظيم إما فوق الأنبار او اسفل منها . وفضلاً عن ذلك كان في استطاعة المسلمين ايجاد عدد كبير من القوارب بمختلف الحجوم على الضفة اليمنى ، ومن ثم كان يتسنى لهم عبور النهر ليس بجميع تجهيزاتهم فحسب بل ومع خيولهم وجمالهم كذلك ، تماماً كما فعل القرامطة في وقت لاحق وكما يفعل الآن البدو في غزوهم حيث يتجنبون جسر القوارب في الفلوجة والمسيب . وثمة حجة ثانية تناقض حصار الأنبار وهي تأكيد كايتاني ان خالداً غزا العراق من أجل الغنائم وحدها ، فلو صح ذلك لكان من الحماقة ان يهدر وقته

وقوته امام تحصينات قلعة ما . على ان كايتاني لا يثبت بالبرهان ان خالداً ذهب الى العراق من اجل الغنائم وحدها وليس في حملة عسكرية . فلو كانت حملة خالد مجرد غارة لما توقف لحصار الحيرة او عين التمر التي استولى عليها ووضع حامية فيها . ففي الأنبار مخازن قمح عظيمة كان خالد والمثنى يحتاجان اليها لرجالهما ولخيولهما ، اذ كانت التجهيزات على الضفة اليمنى شحيحة . وعلى اي حال فإن خالداً ، وفقا للبلاذري ، حاصر الانبار كما فعل بالحيرة تماماً . إنه قام بمحاصرة البلدة وإتلاف البساتين ، وبذلك أجبر الأهلين على الاستسلام . وبسبب موقعها على حدود الصحراء فقد كان اهل الأنبار معتادين على مثل هذا الحصار . ولكي ينقذوا بساتينهم ، وافقوا على دفع الجزية للمغيرين ، وهذا الالتزام ، بطبيعة الحال ، كان نافذا فقط عندما تكون الحكومة الفارسية أضعف من أن تقوم بحمايتهم .

خالد عند عين التمر وصندودا

يروي البلاذري (المصدر السابق ص ٢٤٦ ومابعدها) ، دون ان يسمي مصدره انه بعد فتح الانبار «ثم اتى خالد عين التمر فالصق بحصنها ، وكان فيها مسلحة للاعاجم عظيمة ، فخرج اهل الحصن فقاتلوا ، ثم لزموا حصنهم فحاصرهم خالد والمسلمون حتى سألوا الامان ، فأبى ان يؤمنهم وافتتح الحصن عنوة وقتل وسبى ، ، ووجد في كنيسة هنالك جماعة سباهم »

غير ان البلاذري يذكر ايضاً «وقد قيل ان خالداً صالح اهل حصن عين التمر وان هذا السبي وجد في كنيسة ببعض الطسوج »

ويكتب كايتاني في المصدر السابق (المجلد ٢ ، ص ٩٤٤) أن خالداً بعد أخذ الأنبار تقدم الى مسافة أبعد شمالاً الى عين التمر . وفي النص الذي اورده البلاذري لا نجد ذكراً لزحف في اتجاه الشمال ، وعلاوة على ذلك فان هذا الاتجاه غير وارد على الاطلاق ، اذ ان عين التمر تكاد تقع مباشرة جنوب الأنبار .

وعلى العموم ، تتفق رواية البلاذري مع تلك التي جاء بها سيف . ويدوّن البلاذري ايضاً (المصدر نفسه ، ص ٢٤٨) ان هلالاً بن عقّة قاد قطعات الاسناد العربية التي كانت تقاتل مع خالد . وفيما يتعلق بواحـــة عين التمر لا بد من التمييز بين الحصن الذي فيه حامية من جنود وبين القـــرية الحقيقية نفسها . اما جنود الحامية فقتلوا الا أن صلحاً عُقد مع السكان الاصليين . وهذا يفسر أيضاً التباين الواضح بين الروايات المختلفة . وفي الحـــيرة ايضاً استسلم الأهلون بعد ان هربت الحامية الفارسية . على انه كما اريقت الدماء امام الحيرة ، كذلك اريقت الدماء امام عين التمر . والرواية تعطي اسماء الأنصار (وهم اوائل المؤمنين الذين ناصروا النبي (ص)) الذين استشهدوا أمام عين التمر (البلاذري في الموضع نفسه) . ولهذا السبب يناقض كايتاني (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٤٠ ، ملاحظة ٣ب ؛ ص ٩٤٥ ، ملاحظة ٢ ؛ وفي اماكن أخرى) المصادر عندما يذكران الحملة الأولى ضد بلاد فارس كادت، تتم دون اراقة الدماء .

ويذكر البلاذري ، في المصدر السابق ، (ص ٢٤٩ وما بعدها) ان خالداً ، وفقاً لبعض الروايات ، سار من عين التمر متوجهاً الى الشام ، الا انه وفقاً لآخرين ، أتى دومة من عين التمر ففتحها ثم اقبل الى الشام ، وأصبح ذلك مضيه من دومه وبعد استيلائه على هذه الواحة ، عاد الى عين التمر وســـار الى الشام منها وليس من الحيرة . اما تاريخ الحملة فكان في شهر ربيع الأول وفقاً لبعضهم ، وربيع الثاني وفقاً لآخرين .

ويضيف كايتاني على هذا (في المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٤٧ ، ملاحظة ١) ان البلاذري أبى تصديق رواية حملة خالد على دومة الجندل على الاطلاق . الا أن هذه الملاحظة ليس لها ما يبررها . فالبلاذري لا يغامر برأي عن الحملة على دومة الجندل ، برغم انه يتابع شهوداً ثقات ، فيذكرها مرتين بدون تعليق . وكلما يفعله انه يحدّد نقطة بداية حملة خالد على الشام .

ويناقش كايتاني (في المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ص ١١٩٣ وما بعدها ، ملاحظة ١) أن البلاذري لا يُلزم نفسه بصراحة بشأن الموضع الذي

بدأ خالد منه . ويصحح كلاً من البلاذري والمدائني بالاصرار على ان الرواية تعطي التاريخ الدقيق لمغادرة خالد من اليمامة (وليس من العراق) على انه عام ١٢ هـ (١٨ آذار (مارس) ، ٦٣٣ م حتى ٦ آذار ٦٣٤ م) . ومع ذلك فان محتويات الرواية بأكملها تبين انها تتعلق بالحملة من العراق الى الشام وليس بتلك الحملة من اليمامة الى العراق . ثم اننا اذا أخذنا برواية البلاذري واعترفنا بانه يحدد مغادرة خالد الى الشام ، فإننا نجد ثانية انه في الرواية الأصلية لا بد ان كان المقصود بها الفترات السنوية الثابتة للربيع وليست شهور الربيع المتحركة . وقد عرف الاعراب الشهر الاول والثاني ، وحتى الثالث ، من فترة الربيع وهي فترة سنوية من النماء الغزير تمتد من حوالي ٢٠ شباط (فبراير) الى ٢٠ ايار (مايو) ؛ وهكذا يتوافق شهرهم الاول والثاني من الربيع مع الجزء المتأخر من شباط وآذار والنصف الأول من نيسان (ابريل) عندنا .

روى ابو يوسف في « الخراج » (القاهرة ١٣٠٢ ص ٨٥ — ٨٧) عن ابن اسحاق وآخرين ان خالداً بعد استيلائه على الحيرة مضى الى بانقيا على شط الفرات « ثم ان خالداً رجع الى النجف ، فاستبطن بطن النجف واخذ الادلاء من اهل الحيرة حتى انتهى الى عين التمر ، فنزل بعين التمر وبها رابطة في حصن ، فحاصرهم حتى استنزفهم فقتلهم وسبى نساءهم وذراريهم واخذ ما كان في الحصن من المتاع والسلاح والدواب ، واحرق الحصن وخربه ، وقتل دهقان عين التمر . وكان رجلاً من العرب ، وسبى نساءه وذراريه واهل بيته ، واعطاه اهل عين التمر الجزية كما اعطاه اهل الحيرة وغيرهم من اهل القرى ، وكتب لهم كتاباً على ما كتب لأهل الحيرة وكذلك لاهل أليس فهو عندهم .

ثم بعث سعد بن عمرو الانصاري في جمع من المسلمين حتى انتهى الى صندودا وفيها قوم من كندة ومن اياد نصارى فحاصرهم اشد الحصار ثم صالحهم على جزية يؤدونها وأسلم من اسلم .

وكان خالد اراد ان يتخذ الحيرة داراً يقيم بها فاتاه كتاب من ابي بكر

(رض) ان الحق بابي عبيدة حين اتاه كتاب ابي عبيدة يستمده ، فتوجه من من الحيرة مع الادلاء منها ومن عين التمر حتى قطع المفازة ، فلما قطعها وقع في بلاد بني تغلب فقتل منهم قوماً كثيراً وسبى ،

ثم مضى من بلاد تغلب ومضى معه ادلاء من اهلها حتى اتى النقيب والكواثل فلقى جمعاً كثيراً لم ير مثله إلا في اهل اليمامة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل خالد عدة بيده ، واغار على ما حولها من القرى فاخذ اموالهم وما كان لهم وحاصرهم ، فلما اشتد الحصار عليهم طلبوا الصلح على مثل ما صالح عليه اهل عانات ، وقد كان مر ببلاد عانات فخرج اليه بطريقها فطلب الصلح فصالحه واعطاه ما اراد . .

وخرج منهم عدة ادلاء فاخذوا على النقب والكواثل فصالحوه على مثل ما صالحه عليه اهل عانات ، وجرى الصلح بينهم وكتب بينه وبينهم الكتاب على ذلك

ثم مضى حتى اتى الى بلاد قرقيسيا فأغار على ما حولها فاخذ الاموال وسبى النساء والصبيان وقتل الرجال وحاصر اهلها اياماً ، ثم انهم بعثوا يطلبون الصلح فاجابهم الى ذلك واعطاهم مثل الذي اعطى اهل عانات .

ويرى كايتاني ، في المصدر السابق (المجلد ٢ ، ص ١١٩٩ ، ملاحظة ٢أ) ان رواية ابي يوسف هذه قيّمة بوجه خاص لأنها لا تذكر الاستيلاء على الانبار مما قد يحملنا على اعتبارها بسبب ذلك حكاية من نسيج خيال أجيال لاحقـة . ويبدو لي ان كايتاني يعلق اهمية كبيرة جداً على صمت هذه الرواية لان ابا يوسف لا يشير الى قراقر ولا الى سُواء برغم ان خالداً زار الموضعين كليهما . وبرغم ذلك يبدو ان ابا يوسف يؤكد رواية الاستيلاء على الانبار بذكر صندودا . ووفقاً لابن المنقـذ ، في الاعتبار (ديرنبورك ، ص ١٢٧ وما بعدها) فقد كانت صندودا ، الواقعة بقرب الرمادي الآن ، تعتبر ضاحية من ضواحي الأنبار .

وفي روايـة ابي يوسف الكثير مما هـو مفقود في رواية ابن اسحاق ،

التي يشير اليها ، الا انها تتفق اجمالاً مع الرواية التي قدمها لنا سيف ، لان ابا يوسف ، مثله كمثل سيف ، كان يعلم بأخبار الحملة الى الشمال الغربي من عين التمر . فهو يتحدث اولاً عن هذه الحملة في سياق حملة خالد الى الشام ، الا انه بعد وصفه الاستيلاء على قرقيسيا يقطع الرواية دون ذكر ما اذا عاد خالد من هناك الى الحيرة ام توجه مباشرة الى الشام . فهو يذكر عين التمر ايضاً على انه تمّ الاستيلاء عليها قبل مغادرته الى الشام : ومن الطريف ذكره ان خالداً بحث عن ادلاء في الحيرة لايصاله الى عين التمر ، وهو أمر ما كان ليفعله لو كانت الأرض بين الحيرة وعين التمر تعود الى حلفائه ورفاقه من قبيلة بكر بن وائل . وفي عين التمر يميّز ابو يوسف بين السكان الاصليين الذين لم يُبدوا مقاومة لخالد ، وبين الحامية الفارسية مـــع اعوانها العرب ممن كان على خالد ان يخضعهم . ان الدهقان العربي الذي أُعدم بأمر من خالد كان دون شك قائد هؤلاء الأعوان الذين سبق ان اعترفت بهم الحكومة الفارسية .

ويذكر ابو يوسف بعد روايته الخاصة بالاستيلاء على عين التمر ، رواية مـــن المحتمل انها نشأت في العراق وترسخت في قرية صندودا . فبالاستناد الى ابي الفضائل (المراصد [جوينبول] المجلد ٢ ، ص ١٦٨) ، الذي توفي في عام ١٣٣٨ م ، ان صندوداء قرية كانت في غربي الفرت خربت وبها مشهد لعلي بن ابى طالب . وفي زمان إبن الكلبي (تُوفي عام ٨١٩) كانت صندودا ملكاً لعائلة ابن حرام الأنصاري التي عاشت هناك . ومن المحتمل ان هـــذه العائلة هي التي خلقت الاسطورة التي دونها ابـــو يوســـف عـــن سلفها ســـعد بن عَمْرو وبن حرام ، الذي ارسله خالد الى صندودا . نقل ابن الكلبي هذه الرواية من العراق الى المدينة حيث قوبلت بالتصديق ، لأنها كانت تتعلق بأنصاري . ومن الغريب ان سيفاً لم يذكر شيئاً عن هذه الحملة الى صندودا . وان سعد بن عَمْرو لم يرد ذكره في اي موضع آخر ماعدا كتاب ابي يوسف . حقاً إنه ليس من المحتمل جـــداً ان يكون سعد قادراً على الاقامه في قرية صندودا على

أثر وفاة ابي بكر ، عندما أُخرج جميع المسلمين تقريباً من العراق . ومع كل ذلك ، فإن نص ابي يوسف التالي ، « أقام سعد بن عَمْرو في صندودا في خلافة ابي بكر وعمر وعثمان حتى مات ، وولده هناك الى اليوم » ، مما يبرهن على أنه حتى جماعة المدينة اعتبرت ان حملة خالد ليست مجرد غارة بل حملة عسكرية منتظمة ، هدفها فتح قطر والتمسك به بعد فتحه .

واستناداً الى ابي يوسف فمن المحتمل أنه كانت نيّة خالد جعل الحيرة محل اقامته والبقاء في العراق بصورة دائمة . ومن المؤكد ان هذه الفكرة ما كانت لتخطر بباله لو كانت مجرد غارة بحسب تفكيره . ان نيّة خالد المفترضة هذه او خطته تفضي بنا الى الاعتقاد انه في ذلك الوقت كان مستولياً على منطقة اوسع من مجرد المنطقة المجاورة للحيرة . انه ما كان في مقدوره الاقامة في الحيرة والقيام منها بغارات متكررة لازعاج الفرس إلا بعد تأكده من طاعة جميع الاعراب أو تعاطفهم ، وهم الاعراب المقيمون الى الشمال الغربي والجنوب الغربي من البلدة . ولو كان الامر بخلاف ذلك لكانت اصبحت اتصالاته بالمدينة معرضة للاضطراب بسهولة . إنّ ضرورة ضمان هذه البقعة من القطر تجعل مساعي خالد الحربية السابقة بين الخليج العربي والحيرة تبدو محتملة جداً . كما توضح سبب عدم توفر اي بديل لخالد سوى كسب قبيلة تغلب الى جانبه ، وهي التي كانت تتنقل من الحيرة الى الشمال الغربي حتى الرصافة .

حملة خالد على قبيلة تغلب

وفي بحثنا حملة خالد على قبيلة تغلب ، كما في معالجتنا لتقدمه على الحيرة ، دعنا اولاً نناقش الأخبار التي وصلت الينا في كتابات ممثلي جماعة رواة المدينة ، ومن ثم نتطرق بعد ذلك الى الرواية الاكثر تفصيلاً وهي تلك التي قدمها سيف ابن عمر من جماعة الكوفة .

رواية جماعة اهل المدينة
رواية ابي يوسف

استناداً إلى ابي يوسف (انظر ماسبق ص ٤٧١) ومابعدها فان ابا بكر طلب من خالد الذهاب لنجدة ابي عبيدة في الشام . ان هذا الأمر يحملنا على الاعتقاد ان جيش ابي عبيدة لا بد انه كان قد مضى عليه بعض الوقت في الشام . ولا يصف ابو يوسف تقدم خالد الى الشام ، وانما يصف الغارات على اراضي تغلب فقط . تقدم خالد من الحيرة الى عين التمر ومن هنا ، بارشاد ادلاء من أهل مابين المدينتين تقدم الى الشمال الغربي . ولا يحدد ابو يوسف الطريق الذي سلكه خالد الا انه يتحدث عن المفاوز التي كان عليه اجتيازها فقط للوصول الى مضارب تغلب . ولنا ان نستنبط من هذا انه تقدم من عين التمر باتجاه الشمال عن طريق عقاة حوران الى اراضي قبيلة تغلب . اما بصدد الأحداث اللاحقة فيبدو انّ ابا يوسف قد دمج روايتين . فاستناداً الى الأولى يبدو انّ خالداً كان قد تقدم الى الشمال من البشري ، ومن هنالك ، وبعد ان شتت التغلبيين ، عاد عبْر شُعيب النُقَيب وعن طريق الكواثل الى عانات ؛ واستناداً الى الرواية الأخرى فإنه ، على كل حال ، زحف عن طريق عانات والنُقيب والكواثل الى قرقيسياء وأجبر هذه البلدة على الاستسلام . وتتضمن الرواية الاولى ان خالداً إخترق النُقيب والكواثل في عودته من الشمال الى الجنوب ؛ اما الثانية فإنه اجتازهما في طريقه من الجنوب الى الشمال .

ان موقع عانات معروف . فهي عانة الحديثة ، على الضفة اليمنى للفرات . وكانت تدعى سابقاً عانات (جمع عانة) لأنها كانت في الحقيقة تتألف من أربع قرى ، اثنتان منهن تقعان على الضفة اليسرى ، وواحدة على اليمنى ، وواحدة على الجزر . ثم صارت القرية الغربية على الضفة اليسرى تدعى بـ (راوة) ؛ ولما هجرت القرية الشرقية والقرية التي على الجزيرة ، بقيت عانة التي تقع على الضفة اليمنى . ان الكواثل (او الكواثل) محطة هامة ، ومعروفة لدى المؤلفين العرب ، على الطريق من القباجب الى الرحبة وهي تقع غرب بلدة الميادين الحديثة وتحمل اسم الجواثل (او عقولا) .

ويود كايتاني ، في المصادر السابق (المجلد ٢ ، ص ١٢٠٣ ، ملاحظة ١ ب) ان يطابق الكواتل بكرابلة الحالية الواقعة على الضفة اليمنى للفرات ، فوق بلدة عانة . الا انه يستحيل ذلك ، لانه يناقض ما يؤكده الجغرافيون العرب . وانها لحقيقة ثابتة ان الكرابلة ليست على الضفة اليمنى ، وانما هي جزيرة سكنها مهاجرون من كربلا ، والذين يدعون بكرابله .

فالنُقيب (شُعيب صغير) هو اسم الشعيب عبر سلسلة جبل البشري الجبلية على الطريق من محطة القصيبة الى الدركليه . وتقع قرقيسيا ، وهي قرقيسيوم القديمة ، على الضفة اليسرى للفرات، عند فم الخابور . وعلى عهد خالد كانت قرقيسياء حصناً ثغرياً منيعاً للامبراطورية البيزنطية ضد الفرس ، وكانت فيها حامية رومية كبيرة . فلو كان خالد قد استولى على هذه البلدة لتناقلت الرواية الحدث تخليداً له ، لانه كان سيعتبر اول لقاء مع الروم (البيزنطيين) ولما كان بامكان سيف اغفال ذكره . وعلى هذا ففي الامكان استبعاد الرواية الثانية لعدم كفاية الأدلة في قصة ابي يوسف التي اشرنا اليها والتي وردت فيها الاشارة الى الاستيلاء على قرقيسياء . وبما ان الرواية الاولى تتضمن ان خالداً عاد من البشري حتى عانات في الأقل ، فلنا ان نفترض مطمئنين انه استمر في عودته باتجاه جنوبي الى الحيرة ، وان الحملة على التغلبيين كانت مستقلة تماماً عن زحفه التالي على الشام .

وباختصار فان تفسيرنا لهذه الحملة هو كما يلي : سلك خالد في حملته الخارجية الطريق المار بمحاذاة حوران خترقاً الصحراء ووصل الى مخيم تغلب قرب الرُصافة ؛ ومنها استدار الى الجنوب . وفي عودته تقدم بحذاء الفرات . وبعد ان اجتاز جبل البشري من خلال مضيق النُقيب خيّم في الكواتل . ومنها قامت قطعاته بالاغارة على القرى الواقعة على الضفة اليمنى للفرات مقابل قرقيسياء . وبما ان كثيراً من هذه القرى كانت تعود الى أهل هذه البلدة ، نشأت عن ذلك فيما بعد رواية مفادها انه أجبر البلدة على الاستسلام ايضاً . ومن ثم سار بحذاء الفرات حتى بلغ بلدة عانات الكبيرة ، التي وافق أهلوها ايضاً على دفع جزية سنوية ، ومن هناك عاد الى الحيرة .

روايتا اليعقوبي والدينوري

يذكر اليعقوبي في تاريخه (هوتسما ، المجلد٢ ص ١٥٠ ومابعدها « ثم كتب ابو بكر الى خالد بن الوليد ان يسير الى الشام ويخلف المثنى بن حارثه بالعراق، فنفذ خالد في اهل القوة ممن كان معه وخلف المثنى بن حارثه الشيباني مع بقية الجيش بالعراق ، وسار خالد الى الشام فلما صار الى عين التمر لقى رابطة لكسرى عليهم عقه بن ابي هلال النمري فتحصنوا منه ، ثم نزلوا على حكمه فضرب عنق النمري

ثم سار حتى لقى جمعاً لبنى تغلب عليهم الهذيل بن عمران فقدمه فضرب عنقه وسبى منهم سبايا كثيرة بعث بهم الى المدينة ، وبعث الى كنيسة اليهود فاخذ منهم عشرين غلاماً

وصار الى الانبار فاخذ دليلاً يدله على طريق المفازة ؛ فمر بتدمر فتحصن اهلها فاحاط بهم ففتحوا له وصالحهم ، ثم مضى الى حوران فقاتلهم قتالاً شديداً فقيل ان خالداً سار في البرية والمفازة ثمانية ايام حتى وافاهم »

يفترض اليعقوبي في روايته مقدماً ، شأنه كشأن رواية ابي يوسف ، ان خالداً أُرسل لنجدة جيوش المسلمين لاحراز نصر في الشام . ولا يحدّد اليعقوبي المكان الذي انطلق منه خالد متوجهاً الى الشام ، الا ان السياق يشير الى الحيرة ومن هناك زحف الى عين التمر .

ويذكر كايتاني ، في المصدر السابق(المجلد ٢ ، ص ٩٤٩ ، ملاحظة ١) ان عين التمر تقع شمال غربي الأنبار ؛ وعلى اي حال فان ذلك غير صحيح. اذ ان هذه القرية الهامة كانت ولا تزال تقع على بعد تسعين [كيلومتراً] تقريباً جنوبي الانبار . ويستبدل كايتاني (الموضع نفسه) ، بالأنبار — خطأ كذلك — منهل قُراقر . ويتجاهل كايتاني ماثبت من أن مراجع أخرى تذكر ان المناوشة التي قتل فيها الرئيس الهذيل بن عمران وتمت عند المصيّخ. ويفترض انه لو كانت الانبار صحيحة لكان لزاماً على خالد ان يعود ادراجه من عين التمر

الى الأنبار . ولما كانت مثل هذه العودة تبدو مستحيلة فقد تجاوز كاتياني هذه الصعوبة بوضعه قراقر مكان الأنبار ، التي لا يضعها اي جغرافي او مؤرخ عربي في منطقة الفرات.

ويظن كايتاني ان خالداً ما كان ليستطيع ايجاد دليل في مدينة الانبار الثغرية ، ولكن اليعقوبي لا يقول بوضوح ان الدليل كان فعلاً من اهل هذا المكان . فالأنبار كانت نقطة بداية خطوط النقل المؤدية عبر الصحراء؛ وتبعاً لذلك يمكن بالتأكيد ايجاد عدد كبير من الأدلاء العارفين بطرق الصحراء هناك . ففي مراكز تجارية من هذا النوع من الطبيعي العثور على أدلاء أفضل من أولئك الذين تجدهم في الصحراء ذاتها . فلو كان خالد ، على اي حال ، قد تقدم شمالاً غربياً بمحاذاة الفرات ، كما يتصور كايتاني ، الذي يبحث عن قراقر في تلك المنطقة ، لما احتاج الى دليل على الاطلاق .

ويقول اليعقوبي ان خالداً اثناء ذهابه من الحيرة الى الشام وصل الى عين التمر وقام بغارة على التغلبيين بزعامة الهذيل بن عمران . وكما نعلم من مصادر أخرى ، فان الهذيل خيّم عند المصيّخ . ففي هذه الحالة كان ينبغي لخالد قطع ٢٧٠ كيلومتراً من الحيرة الى المصيّخ (عين الارنب) باتجاه شمالي غربي ثم العودة باتجاه جنوبي شرقي مسافة ١١٥ كيلومتراً الى الانبار . وهناك ، بعد حصوله على دليل متمرس ، كان ينبغي عليه التقدم خلال منطقة موحشة الى الشمال الغربي حتى يبلغ تدمر ، ومن هناك كان يمكنه الوصول الى حـــوران . ولاسباب طوبوغرافية ، فان مثل هذا الزحف غير محتمل اطلاقاً . فليس من السهل أن نفهم لماذا لم يقم خالد ، وهو الذاهب لنجدة جيوش المسلمين في الشام ، بالذهاب مع صفوة محاربيه من أقصر الطرق واسهلها عن طريق قراقر ، او لماذا كان عليه الدخول الى اراضٍ غريبة لم تفتح بعد ، وبما ان التغلبيين لا بد ان كانوا ساخطين لذبح اقربائهم في عين التمر والمصيّخ ، فانهم ولا شك كانوا سيهاجمون خالداً او في الاقل يعرقلون تقدمه اثناء زحفه من الانبار الى تدمر خلال ما يقارب خمسمائة كيلومتر في اراضيهم . وعندما عاد خالد

الى الانبار بعد مصرع الهذيل ليستعد هناك للزحف على تدمر خلال الصحراء فان التغلبيين اوعلموا بهـذه الخطة لكان لهم متسع من الوقت للجمع وخلق متاعب له . وكل ما كان ينبغي لهم فعله هو القيام بتسميم منهلين في الصحراء بالقار أو الجراد او الحيوانات النافقة ، وحينذاك ما كان خالد ليستطيع انقاذ جنده من الموت عطشاً . اما إن كان قد تقدم بحذاء الفرات لكان عليه التغلب ليس على مقاومة القـرى الكبيرة المتعددة فحسب بـل والتغلب ايضاً على هجمات التغلبيين الموتورين من أمامهم ومن خلفهم . إنني اشك إن كان في استطاعته التغلب على كل هذه الصعاب بجيشه المنتقى ، والصغير مع ذلك ، في مسيرة تتجاوز ثمانمائة كيلومتر .

وفي ظل الحكم الزركي ، الذي من المحقق لم يكن أقوى من الفرس والبيزنطيين في تلك العهود ، ما كان لأي رئيس حاز واحتي دومة الجندل ومنخفض السرحان ان يسير بمحاذاة الفرات الى الشام بجيش لايفوق جيش خالد قوة ، بل كان سيختار الطريق المار بقراقر (قراجر) الأسهل والأكثر اماناً . ومن المناسب ان نضيف ان خالداً في زحفه على الشام لا بد أنه لم يكن مجهزاً تجهيزاً كافياً لحصار حصن ثغري في منعة عين التمر . ويمكن ان يقال مثل ذلك بالنسبة للانبـار . وهـكذا يمكن ان نفترض ان اليعقوبي يربط بزحف خالد على الشام احداثاً سبقت بالضرورة ذلك الزحف . وفضلاً عن ذلك ، لا يقدم اليعقوبي اية تفاصيل تتعلق بزحف خالد عبر الصحراء . واستناداً الى رواية واحدة ذكرها اليعقوبي (نفس الموضع) ، فان خالداً لبث في الصحراء وفي منطقة تفتقر الى الماء مدة ثمانية أيام . ولم يظهر لنا من أين والى أين يجب احتساب هذه المسيرات الثماني . وفي رأيي فان المسيرات الثمان يجب ربطها بالليالي الخمس (اي ست مسيرات) بين قراقر وسُوَاء ، مما يرد عنها الشيء الكثير في الروايات الاسلامية ، كما نربط بالمسيرتين من سُوَاء الى مرج راهط بالقرب من دمشق في الشام (انظر كتابي « بادية الشام » . ص ص ٥٥٣ — ٥٧٣)

فلو حكمنا على رواية اليعقوبي في ضوء هذا لوجدنا انها تتألف من شذرات كثيرة غير مترابطة لا يمكن تفسيرها الا بمعونة مصادر أفضل فقط.

ويدون الدينوري ، في اخباره ، (كويركاس) ، ص ص ١١٧ وما بعدها) ان خالداً تسلم من ابي بكر اوامر بالاسراع بجنوده المسلمين لنصرة ابي عبيدة في الشام ، وتلبية لهذه الاوامر زحف خالد بطريق الانبار الى عين التمر وضرب حصاراً حول البلدة ، وقتل الحامية الفارسية هناك. وبعد ذلك هاجم بعض التغلبيين والنمريين وفي الاخير وصل الى الشام .

وتقول هذه الرواية ان خالداً في زحفه على الشام انعطف اولاً شمالاً الى الأنبار ، ١٧٠ كيلو متراً من الحيرة ، ثم عاد تسعين كيلو متراً جنوباً الى عين التمر ، ومن هناك واصل سيره شمالاً شرقياً الى المصيّخ ، لان الهجوم على التغلبيين مرتبط ولاريب بالمصيّخ . ان مثل هذا الزحف الى غير محتمل الى درجة بحيث أننا لا نطلع من الدينوري على خبر ذي قيمة فيما يتعلق بالطريق الحقيقي الذي اتبعه خالد الى الشام . فاذا ما قارنا بين بيانات اليعقوبي والدينوري فسنجد انها لا تعالج الا بعض وقائع حرب خالد في العراق وعلى امتداد الفرات قبل غزوه للشام .

رواية البلاذري

يقول البلاذري (فتوح ص ١١٠ فما بعد)

قالوا : لما أتى خالد بن الوليد كتابُ أبي بكر وهو بالحيرة خلّف المثنى بن حارثة الشيباني على ناحية الكوفة وسار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمان مئة ويقال في ست مئة ويقال في خمس مئة . فأتى عين التمر ، ففتحها عنوة . ويقال إنّ كتاب أبي بكر وافاه وهو بعين التمر وقد فتحها ، فسار خالد من عين التمر فأتى صَنْدَوْدَاء ، وبها قوم كندة واياد والعجم ، فقاتله أهلها فظفر ، وخلّف بها سعدَ بن حَرَام الأنصاري ، فولده اليوم بها ، وبلغ خالداً أن جمعاً لبني تغلب بن وائل بالمصيخ والحُصَيْد مرتدين ، عليهم ربيعة بن بُجَير .

فأتاهـم ، فقاتلوه فهزمهم وسبى وغنـم ، وبعث بالسبى الى أبي بكـر . فكانت منهم أم حبيب الصهباء بنت حبيب بن بُجَيْر ، وهي أم عمر بن أبي طالب . ثم أغار خالد على قُراقِر ، وهو ماء لكلب ، ثم فوّز منه إلى سُوَى ، وهو ماء لكلب أيضاً ، ومعهم فيه قوم من بَهْرَاء . فقتل حُرْقُوص بن النعمان البَهْراني من قُضاعة واكتسح أموالهم . وكان خالد لما ركب المفازة عمد إلى الرواحل فأرواها من الماء، ثـم قطـع مشافرها وأجرّها لئلا تجتر فتعطش ، ثم استكثر من الماء وحمله معه ، فنفد في طريقه ، فجعل ينحر تلك الرواحل راحلةً راحلة ويشرب وأصحابه الماء من أكراشها . وكان له دليل يقال له رافع بن عُمَيْر الطائي ففيه يقول الشاعر :

لله دَرُّ نافعٍ أنـىّ اهتـدى فَوّز من قُراقرٍ إلى سُوى
ماءً إذا ما رامه الجيشُ انثنى ماجازها قبلك من إنسٍ يُرى

وكان المسلمون لما انتهوا إلى سُوَى وجدوا حُرْقُوصاً وجماعةً معه يشربون ويتغنّون ، وحُرْقوص يقول :

ألا عَلّلاني قبلَ جيشِ أبي بكر لعلّ منايانا قريبٌ ولا ندرى

فلما قتله المسلمون جعل دمه يسيلُ في الجفنة التي كان فيها شرابه . ويقال إن رأسه سقط فيها أيضاً . وقال بعض الرواة : إن المغنّي بهذا البيت رجل ممن كان أغار خالد عليه من بنى تغلب مع ربيعة بن بُجَيْر .

ومن الجدير بالذكر ان بعضاً من رواة البلاذري يصفون الاستيلاء على عين التمر قبل ابتداء حملة خالد على الشام، الا أنه وفقاً لآخرين ذهب خالد حال استلامه امر أبي بكر من الحيرة الى عين التمر واستولى عليها ؛ ثم زحف على صندودا وهزم التغلبيين على المصيّخ والحُصيد ، ثم بعد أن اخترق الصحراء وصل الى قراقر . ومن الصعب ان نفهم سبب اضطرار خالد الى التحول من المصيّخ الى الحصيد التي يحتمل انها كانت تقع الى الجنوب الشرقي . وحتى

الزحف بذاته من المصيّخ مباشرة الى قراقر كان يتطلب التفافاً كبيراً ، وفي اثناء هذا الالتفاف والى مسافة بضعة مئات من الكيلومترات ما كان خالد يستطيع العثور على عين ماء . فلو أخذنا بهـذه الرواية كان علينا ايضاً الاعتراف انه زحف ما يقارب ستمائة كيلومتر قبل ان يبدأ حملته على الشام بصورة جادة . الا ان هذا بعيد الاحتمال بحيث اننا نفضل الاتفاق مـع المجموعة الثانية من رواة البلاذري ومع ثقات آخرين ، اي مع اولئك الذين اعتقدوا ان الاستيلاء على عين التمر والغارة على المصيّخ كليهما حدثا قبل ابتداء الحملة على الشام . ولا يذكر غير البلاذري قتالاً مع الكلبيين عند قراقر .

ان معاملة الجمال التي ذكرها البلاذري فقد تمّت مناقشتها في كتاب المؤلف (بادية الشام) ، ص‌ص ٥٧٠ وما بعدها .

ويكتب البلاذري ان بعض المراجع تحدد موقع حكاية المغنّي اوالشاعر في مخيم حرقوص ، بينما يحدد آخرون موقعها في مخيم ربيعة بن بُجير . وتفترض الحكاية ان المغني او الشاعر كان على علم بتقدم المسلمين . ولا يكاد يمكن ان يكون الأمر كذلك عند سُواء حيث لم يكن في استطاعتهم توقع المسلمين ، الا أنه من الممكن جداً ان تكون الحالة كذلك في المصيّخ او الحصيد او البشر حيث كان التغلبيون يتجهزون بالسلاح لمقاومتهم . فضلاً عن ذلك ، يبدو من غير المحتمل ان يحتفل المسيحيون العرب بالقرب من سُواء بالشرب والغناء في الاسبوع المقدس (انظر كتابي « بادية الشام » ، ص‌ص ٥٦١ — ٥٦٣) ، وهو الوقت الذي قدم فيه المسلمون ، وفقاً للمدائني (الطبري ، في تاريخه [دي خويه] ، السلسلة ١ ، ص‌ص ٢١٠٨ وما بعدها) .

رواية الواقدي

يروي الواقدي (البلاذري ، المصدر السابق ، ص ١١١) « خرج خالد من سُوى الى الكواثل ثم الى قرقيسيا فخرج اليه صاحبها في خلق فتركه وانحاز الى البر ومضى لوجهه »

ان هذه الرواية التي اوردها أفضل ممثل لجماعة المدينة هي دليل على قلة ما كان معروفاً في المدينة عن الأحداث المختلفة لحملات خالد، وعلى عدم قدرة مؤرخي المدينة على ترتيب هذه الأحداث بتسلسلها الصحيح من حيث الزمان والمكان .

ويعتقد كايتاني ، في حولياته (١٩٠٥) ، المجلد ٢ ، ص ١٢٢٨) وهو الذي يود إدخال المعارك عند المصيّخ والحصيد في الحملة على الشام ، ان خالداً بعد مغادرته سُواء قام بالتفاف حتى قرقيسياء ، مدعياً ان أفضل مصدرين يدعمان هذا الرأي هما الواقدي والبلاذري . إلا ان كايتاني عندما اقترح هذه النظرية لم يضع في حسابه موقع كل من سُواء او قرقيسياء . ومن المعروف ان سُواء كانت تقع على حدود الشام . ولهذا فان خالداً ، وفقاً لنظرية كايتاني ، برغم أنه كان قد طُلب منه تقديم العون بسرعة الى الشام ، لم يعجّل بالتحرك من سُواء الى الغرب مباشرة الى دمشق ، بل استدار شرقا ، وسار ثلاثمائة كيلومتر عبر صحراء مقفرة حتى الكواثل قرب الفرات ، ثم استدار شمالاً شرقياً الى قرقيسياء ، ومن هناك ذهب الى الصحراء ، ومن خلالها عاد ثانية الى الشام . أظن اننا على حق في افتراض ان رواية الواقدي عن مسيرة خالد من سُواء الى الكوثل وقرقيسياء لا علاقة لها بالحملة على الشام وانها ليست في موضعها الصحيح . ان ذكر الواقدي للكواثل وقرقيسياء ، مع هذا ، مهم جداً ، اذ انه يبرهن على ان جماعة المدينة ربطوا هذه الاماكن بحملة خالد في العراق، وعلى هذا فان غارته على التغلبيين لها اساس تاريخي . ان معاهدة الصلح التي اوردها ابو يوسف ، في خراجه ، (القاهرة ، ١٣٠٢ هـ) ، ص ٨٧ (انظر ما سبق ، ص ٤٧٢) لا يمكن تصورها ، لان الواقدي يؤكد ان خالداً انما نجا بنفسه من هزيمة تامه بفراره الى الصحراء فقط . ولا يُسعفنا الواقدي بالقول الى اين ذهب بعد هذه الانتكاسة واي اتجاه سلك . واغلب الاحتمال ان عودته بمحاذاة الفرات الى الحيرة تتضح من إغفاله ذكر ذلك .

رواية جماعة الكوفة
رواية سيف بن عمر
من الحيرة الى عين التمر

قدمت لنا جماعة الكوفة رواية اكثر تفصيلاً عما حدث بعد سقوط الحيرة ، وكان سيف بن عمر ممثلها الرئيس (الطبري ، في تاويخه [دي خويه] ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٤٩) . فيروى سيف :

« ولمّا صالح اهل الحيرة خالدا خرج صَلُوبا بن نسطوناه صاحب قُسّ الناطف حتى دخل على خالد عسكره فصالحه على بانقيا وبسما وضمن له ماعليهما وعلى ارضيهما من شاطئ الفرات جميعا ، واعتقد لنفسه واهله وقومه على عشرة آلاف دينار سوى الخرزة خرزة كسرى ، وكانت على كلّ رأس اربعة دراهم وكتب لهم كتابا فتمّوا وتمّ ولم يتعلّق عليه في حال غلبه » . وقد روى سيف ان الاتفاق بين خالد وصلوبا تمّ في شهر صفر ؛ وهذا من المحقق لا يعني شهر صفر المتحرك ، بل الفصل السنوي الثابت صفر ، اي الخريف .

ويظن كايتاني (، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٩٦٦ ، ملاحظه ١) أن موقع قسياثا (او قسياثها ، كما ينقل حروفها كيتاني) غير معروف وان هذا الموضع غير مذكور في اي مكان آخر . ولذا فهو يصنفها مع الاسماء غير المألوفة المتعددة الأخرى التي حافظ عليها سيف وحده . ومع ذلك فإن كايتاني نفسه يعرف ويحدد موقع هذا المكان حينمايكتب في موضع آخر (المصدر نفسه ، ص ص ٩٢٩ وما بعدها ، ملاحظة ٣ د) أنه غير بعيد عن باروسماء تقع «باقسياثها» حيث هزم ابو عبيدة الفرس عام ١٣ للهجرة . ان قسياثا تطابق « قسياثها » عند كايتاني (الطبري ، المصدر السابق ، سلسلة ١ ، ص ٢٠٣٢) وتطابق باقسياثاء(با [بيت] قسياثاء) عند الطبري (المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢١٧٢) وهو مكان معروف ايضاً عند الجغرافيين العرب باسم قُسّ الناطف .

ويذكر ياقوت، في معجمه (ڤستنفلد)، المجلد ٤ ، ص ص ٩٧ وما بعدها) ان « قُس الناطف موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي ، والمروحة موضع على شاطئ الفرات الغربي كانت بسه وقعه بين المسلمين والفرس في سنة ١٣ للهجرة . . »

ويستمر سيف قائلاً « اقام خالد بن الوليد فيما بين فتح الحيرة الى خروجه من الشام اكثر من سنة يعالج عمل عياض الذي سمى له (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٥٦) في منطقة كان إخضاعها موكولاً الى عياض بن غَنْم . الا ان عياضاً كان تحت ضغط شديد في دومة، وان جنود الفرس كانوا يقومون بحماية العين والأنبار والفراض .

وحسب السياق فان دومة هذه لا بد أن كانت دومة الجندل ، تماماً كما كانت العين ولا شك عين التمر الشهيرة . وعين التمر والفراض تقعان غربي الفرات والأنبار الى شرقه، وكانت جميع المواقع الثلاثة مراكز نقل هامة للغاية . فكل من يسيطر عليها وكذلك على واحة دومة الجندل الواسعة يعتبر السيد الحقيقي لبلاد العرب الشمالية . والآن ، إن كانت نيّة ابى بكر فتح بلاد العرب بأكملها ، كما يزعم سيف ، متابعاً ما ادعته عدة مراجع ، في اربعة اماكن مختلفة ، فان ارسال عياض بن غَنْم الى الشمال الشرقي لبلاد العرب كان عملاً يدل على حنكة فائقة . وكان واجب عياض تمهيد الطريق لخالد ومن ثم بصورة غير مباشرة حماية المسلمين الذين كانوا يتقدمون في الشام من التعرض للالتفاف عليهم . ولما لم يكن عياض قادراً على انجاز هذه المهمة ، وكان القصد منها اولاً احتلال واحة دومة ، فلم يكن لخالد من خيار سوى الذهاب لمساعدته (المصدر نفسه ، ص ص ٢٠٥٧ وما بعدها) . وفي ذلك الوقت كانت المنطقة غربي الفرات بأكملها من الفلاليج والحيرة الى الخليج العربي قد دخلت تحت سيطرة خالد . وكان حلفاؤه الاعراب بقيادة الرئيس المثنى يراقبون تحركات الفرس شرقي الفرات، بينما انطلق خالد الى الشمال الغربي من الحيرة متجهاً الى كربلاء .

ويزعم كايتاني في المصدر السابق (المجلد ٢ ، ص ص ١١٩٣ ومابعدها ،

ملاحظه ١ أ) استناداً الى رواية جماعة المدينة ، ان منجزات خالد العسكرية في العراق كانت غير ذات شأن بحيث ان مدتها المزعومة البالغة سنة واحدة غير ممكنة ابداً ، ان أفضل الرواة يؤكدون ان جميع اعماله شمالي الحيرة وقعت اثناء حملته على الشام . — وانما يقول كايتاني كل هذا لانه يتعرف في جميع هـذه التواريخ تلك الاشهر الخاصة بازمنة لاحقة ، وليس الفصول السنوية الثابتة التي وردت في الرواية الأصلية . انه يحاول التخلص من الصعوبات المتراكمة دون ان يعتبر انه ماكان من طبيعة خالد القيام بمغامرات متنوعة تتطلب رجالاً كثيرين ووقتاً طويلاً بعد تسلمه الاوامر من ابي بكر ، الذي تمنى له التوفيق ، يحثه فيها على الاسراع لنصرة المسلمين في الشام .

ويخبرنا سيف ان خالداً إنطلق مـن كربلاء الى الأنبار (الطبري ، المصـدر السابق ، السلسة ١ ، ص ص ٢٠٥٩ ومـا بعـدها) .

« قالوا خرج خالد بن الوليـد في تعبئته التي خـرج فيها مـن الحيرة وعلى مقدّمته الأقرع بن حابس فلمّا نزل الأقرع المنزل الذي يُسلمه الى الأنبار انتج قوم من المسلمين ابلهم فلم يستطيعوا العُرجة ولم يجدوا بدّاً من من الاقدام ومعهم بنات مخاض تتبعهم فلمّا نودى بالرحيل صرّوا الأمّهات واحتقبوا المنتوجات لانّها لم تطق السير فانتهوا ركبانا الى الأنبار وقد تحصّن اهل الأنبار وخندقوا عليهم واشرفوا من حصنهم وعلى تلك الجنود شيرزاذ صاحب ساباط وكان اعقل اعجمي يومئذ واسودّه واقنعه في الناس العرب والعجم فتصايح عرب الأنبار يومئذ من السور فبيناهم كذلك قدم خالـد على المقدّمة فاطاف بالخندق وأنشب القتال وكان قليل الصبر عنـه اذا رآه او سـمع بـه وتقـدّم الى رُماتـه فأوصاهم وقـال إنّى ارى اقـواما لاعلم لهم بالحرب فأرموا عيونهم ولا تَوَخّوْا غيرها ، فرموا رشقا واحدا ، ثـم تابعـوا ففقئ الف عين يؤمئذ فسُمّيت تلك الوقعة ذات العيون ، وتصايح القوم ذهبت عيون اهل الأنبار فقال شيرزاذ مايقولون ففُسّر له فقال « آباذ.

فراسل خالدا في الصلح على أمر لم يرضه خالد فرَدّ رسله ، وأتى خالد اضيق مكان في الخندق بزذايا الجيش فنحرها ثم رمى بها فيه فافعمة ثم اقتحم الخندق والرذايا جسورهم فاجتمع المسلمون والمشركون في الخندق وأرز القوم الى حصنهم وراسل شيرزاذ خالدا في الصلح على ما اراد فقبل منه على ان يخلّيه ويُلحقه بمأمنه في جريدة خيل ليس معهم من المتاع والاموال شيء فخرج شيرزاذ .

والأنبار الواقعة كما هي الآن على النتوء الشمالي الغربي من السهل الرسوبي للعراق ، سيطرت في الأزمنه القديمة على معبر هام على الفرات. وحالما اصبحت هذه البلدة الثغرية بيد خالد لم يبق ما يستوجب التوجس من هجوم فارسي مفاجيء على الحيرة من الشمال الغربي . وكان أهل الانبار عرباً يعرفون سبل التعامل مع الاعراب ، لما تركوا امر الدفاع عن البلدة الى الحامية الفارسية في الحصن وقاموا هم انفسهم بعقد ميثاق مع جيش المسلمين المتفوق عليهم .

وبعد استيلاء خالد على الانبار ، يستمر سيف قائلاً (المصدر نفسه ، السلسلة ١ ، ص ص ٢٠٦٢ وما بعدها) ، « ولمّا فرغ خالد من الأنبار واستحكمت له استخلف على الأنبار الزّبْرِقان بن بَدْر وقصد لعين التمر وبها يومئذ مِهْران بن بَهْرام جُوبين في جمع عظيم من العجم ، وعَقّة ابن ابي عَقّة في جمع عظيم من العرب من النمر وتغلب واياد ومن لافّهم .. ، ونزل عَقّة لخالد على الطريق وعلى ميمنته بُجير بن فلان احد بني عبيد بن سعد بن زهير ، وعلى ميسرته الهذيل ابن عمران وبين عقّة وبين مهران رَوحة او غَدوة ، ومهران في الحصن في رابطة فارس ، وعقّة على طريق الكرخ كالخفير ، فقدم عليه خالد وهو في تعبية جنده ، فعبّى خالد جنده وقال لمجنّبتيه اكفونا ما عنده فانّي حامل ووكّل بنفسه حوامي ثم حمل

وعقّة يقيم صفوفه، فأحتضنه فأخذه اسيراً وانهزم صفّه من غير قتال فأكثروا فيهم الأسر: وهرب بُجَير والهُذيل، واتّبعهم المسلمون. ولمّا جاء الخبر مهران هرب في جنده وتركوا الحصن؛ ولمّا انتهت فُلاّل عقّة من العرب والعجم الى الحصن اقتحموه واعتصموا به، واقبل خالد في الناس حتّى نزل على الحصن ومعه عقّة أسير وعمرو بن الصَّعق وهم يرجون ان يكون خالد كمَنْ كان يُغير من العرب فلمّا رأوه يحاولهم سألوه الأمان فأبى الا على حكمه، فسلسوا له به، فلمّا نتحوا دفعهم الى المسلمين فصاروا مساكاً، وأمر خالد بعقّة وكان خفير القوم فضُربت عنقه ليوئس الأسراء من الحياة ولمّا رآه الأسراء مطروحا على الجسر يئسوا من الحياة، ثم دعا بعمرو بن الصَّعق فضرب عنقه وضرب اعناق اهل الحصن اجمعين وسبى كلّ من حوى حصنهم وغنم مافيه، ووجد في بيعتهم اربعين غلاما يتعلّمون الانجيل عليهم باب مُغلَق فكسره عنهم وقال ما انتم؟ قالوا رُهُن، فقسمهم في اهل البلاء.

وبعض اجزاء هذه الرواية لايخلو من فائدة كبيرة، فنرى ان الواحة العظيمة التي تقع عين التمر فيها لم تعد ملكا لقبيلة بكر بن وائل، بل ان قبائل أخرى وخاصة تغلب إدعت ملكيتها. ومما لاريب فيه ان الشبان المحتجزين هناك بصفة رهائن كانوا ابناء مختلف الرؤساء أتى بهم اقرباؤهم الى مدرسة الدير في الحصن تعبيراً عن حسن النية من ناحية وبالاكراه من ناحية أخرى، تماماً كما أعطى رؤساء مختلفون في العصور اللاحقة ابناءهم او ابناء اقربائهم الى السلطات العثمانية، التي قامت هي كذلك بارسالهم الى القسطنطينية بغية ضمان اخلاصهم وغرس احترام السلطة والحكومة فيهم. ان الكلمات التي استعملها سيف في وصف المسافة بين الموضع الذي احتله عقّة وعين التمر تشبه الى حد كبير عبارات يستعملها البدو الآن. « روحه » وتعني مسيرة يوم، او المسافة التي يمكن قطعها قبل استراحة الليل، «يراوح». وتعني « غدوة » كذلك نهاراً بأكمله زائداً فترة كبيرة قبل شروق شمس النهار التالي.

ولا يترجم كايتاني في المصدر السابق (المجلد ٢ ، ص ٩٧٨) الجملة التي ترد فيها هذه الكلمات ولا يشرحها؛ اذ أنه لا يحدد موقع طريق الكرخ حيث كان عقّه يكمن لخالد . وفي اعتقادي ان الاخير كان الطريق المباشر المؤدي من الأنبار الى عين التمر ويمتد بين مستنقعات الحبانية والبحيرة (التي اشتق منها اسم الكرخ) ؛ اما المكان الذي كمن فيه عقّه فمن المحتمل انه كان على مسافة خمسة وخمسين كيلو متراً شمالي عين التمر ، حيث المستنقعات الواقعة شمالاً وجنوباً على السواء ما كانت لتسمح لخالد بالانحراف عن الطريق .

عين التمر الى المصيخ

وبعد ان تمّ لخالد الاستيلاء على الانبار وعين التمر فذهب وجماعته الى واحة دومة الجندل استجابة الى طلب النجدة المستعجل عياض . وعندما كان خالد مقيماً بدومة (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٦٧ ؛ انظر ايضاً كتابي : بادية الشام (ص ص ٥٥٠—٥٥٢) قام الفرس بمحاولة لاستعادة الانبار «قالوا وقد كان خالد اقام بدومة ، فظن الاعاجم به ، وكاتبهم عرب الجزيرة غضباً لعقّة ، فخرج زَرْمِهْر من بغداد ومعه رُوزبه ، يريدان الانبار ، واتّعدا حُصَيْداً والخنافس فكتب الزِبْرقان وهو على الانبار الى القعقاع بن عمرو وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة فبعث القعقاع أعْبَدَ بن فَدَكيّ السَّعْديّ وأمره بالحُصيد ، وبعث عُرْوة بن الجَعْد البارقيّ وأمره بالخنافس ، وقال لهما ان رأيتما مُقدَماً فأقدما ، فخرجا فحالا بينهما وبين الريف واغلقاهما ، وانتظر روزبه وزرمهر اجتماع مَن كاتبهما من ربيعة ، وقد كانوا تكاتبوا واتّعدوا . فلمّا رجع خالد من دومة الى الحيرة على الظَّهْر وبلغه ذلك وقد عزم على مصادمة اهل المدائن كره خلاف ابي بكر وأن يتعلّق عليه بشيء ، فعجّل القعقاع بن عمرو وابا لَيْلى بن فَدَكيّ الى رُوزبه وزرمهر فسبقاه الى عين التمر ، وقدم على خالد كتاب امرىء القيس الكلبيّ انّ الهُذَيْل بن عِمْران قد عسكر بالمُصَيَّخ ونزل ربيعة بن بُجير بالثّنيّ وبالبِشْر في عسكر غضباً لعقّة يريدان زرمهر وروزبه ، فخرج خالد وعلى مقدّمتها لأقرع بن حابس

واستخلف على الحيرة عياض بن غنم وأخذ طريق القعقاع وأبى ليلى الى الخنافس حتى قدم عليهما بالعين ؛ فبعث القعقاع الى حصيد وامره على الناس ، وبعث ابا ليلى الى الخنافس وقال ليجتمعوا ومن استثأرهم والا فواقعاهم فأبيا الا المقام.

خبر حصيد

فلما رأى القعقاع ان زرمهر وروزبه لايتحر كان سار نحو حصيد وعلى من مر به من العرب والعجم وروزبه ولما راى روزبه ان القعقاع قد قصد له استمد زرمهر ، فامده بنفسه واستخلف على عسكره المهبوذان فالتقوا بحصيد ، فاقتتلوا فقتل الله العجم مقتلة عظيمة ، وقتل القعقاع زرمهر ، وقتل روزبه قتله عصمة بن عبدالله احد بني الحارث بن طريف من بني ضبة ، وكان عصمة من البررة ، وكل فخذ هاجرت بأسرها تدعى البررة ، وكل قوم هاجروا من بطن يدعون الخيرة فكان المسلمون خيرة وبررة . وغنم المسلمون يوم حصيد غنائم كثيرة ، وأرز فلال حصيد الى الخنافس فاجتمعوا بها .

الخنافس

وسار ابوليلى بن فدكي بمن معه ومن قدم عليه نحو الخنافس ، وقد ارزت فلال حصيد الى المهبوذان ، فلما احس المهبوذان هرب ومن معه وأرزوا الى المصيخ وبه الهذيل بن عمران ولم يلق بالخنافس كيدا وبعثوا الى خالد بالخبر جميعا.

ويقول ياقوت ، في معجمه (فستنفلد) ، المجلد ٢ ، ص ٢٨٠ (الحصيد موضع في اطراف العراق من جهة الجزيرة . اي على الضفة اليمنى من الفرات ؛ قال نصر حصيد واد بين الكوفة والشام اوقع به القعقاع بن عمرو سنة ١٣ بالعجم ومن تجمع اليها من تغلب وربيعة وقعة منكرة .

ويكتب كايتاني في المصدر السابق (، المجلد ٢ ، ص ٩٨١ ، ملاحظة ٢ أ ، ان ياقوت « ٢ و ١٠ ومابعده » (والأصح ، المجلد ٢ ، ص ٢٨٠ ، الاسطر ١٠ وما بعد) ، يؤكد ان المعركة وقعت في عام ١٣ هـ ، اي بعد مغادرة خالد الى الشام ، وبمساعدة القائد المثنى بن حارثه فقط . اما ياقوت فيذكر القعقاع بن عمرو فقط ولا يذكر المثنى . والسنة ١٢ المكتوبه بالعربية كان يمكن بسهولة على ياقوت نقلها ١٣ خطأ .

ويتابع سيف كلامه فيقول : « قالوا ولمّا انتهى الخبر الى خالد بمُصاب اهل الحصيد وهرب اهل الخنافس كتب اليهم ووعد القعقاع وابا ليلى وأعبد وعُروة ليلة وساعة يجتمعون فيها الى المصيّخ وهو بين حَوْران والقَلْت وخرج خالد من العين قاصداً للمصيّخ على الإبل يجنّب الخيل فنزل الجَناب فالبَرَدان فالحِنْي ، واستقّل مــن الحنْي فلمّا كان تلك الساعة من ليلة الموعــد اتّفقوا جميعا بالمصيّخ فأغاروا على الهُذيْل ومن معه ومن اوى اليــه وهــم نائمون من ثلثة اوجه فقتلوهم وأفلت الهذيل في اناس قليل وامتلأ الفضاء قتلى » .

ان هذا التقرير يُظهر ان الرواة الذين استقى سيف معلوماته منهم كانوا على دراية جيدة بجميع الظروف وبالترتيب الطوبوغرافي لتلك المنطقة ايضاً . وما دام العدو محتلاً للحصيدوالخنافس ، فما كان في استطاعة خالد مغادرة عين التمر ، لانه في تلك الحالة كان يمكن ان تنقطع بسهولة اتصالاته مع الحيرة . اذ لم يعد يخوض حرباً في اراضي قبيلة بكر بن وائل ، وهم الذين تحالفوا معه ضد الفرس ، بل في اراضي اعوان الفرس ، قبيلتي تغلب وربيعة ، الذين كانوا انذاك يتجمعون في نقاط مختلفة ليخرجوه مــن ديارهم بمساعدة الفرس . إلا أنه لكي يتجمع الاعراب على هذه الشاكلة فانهم على العموم يحتاجون الى وقت طويل ، فالعشائر المتعددة غالباً ما تخيّم على بعد مسيرة أيام كثيرة بعضها عن بعض ، خاصة في موسم الأمطار ، وحتى عندما يصل الخبر الى مقاتليهم ، لا يستطيعون دائماً ترك قطعاتهم فوراً والاسراع الى مضارب خيامهم المشتركه . فلا بد ان تُتخذ التدابير اولاً لحماية عوائلهم وقطعانهم. وعليهم ان يجدوا لنصب خيامهم اماكن قريبة من آبار غزيرة الماء ووسط مرعى جيد مما يمكن الدفاع عنه بسهولة . وربما تمضي عدة اسابيع احياناً قبل ان يحصلوا على كل هذا ويجلبوا عوائلهم وماشيتهم الى هناك . وبعد اكمال كل هذه التدابير فقط يستطيع المقاتلون التوجه الى موقع التجمع المحدد ، حيث يتداولون في جميع الأخبار التي يجلبها جواسيسهم مما يقوم به العدومن تحركات جديدة .

ولاريب انــه كان من الضروري التداول في قضايا كثيرة في المصيّخ اذ ان الهاربين من الحصيد والخنافس لم يكونوا من عوامل اشاعة الانسجام . إلا ان خالداً ، كعادته في التكتيك الحربي المداهم ، فاجأ العرب قبل ان يتمكنوا من اتخاذ قرار . فبعد أن تخلّص من العدو على جناحيه في الحصيد والخنافس تمكن من التقدم بجرأة ضد قبائل الشمال الشرقي وأخمد تحمسهم للقتال . وكان يعرف جيداً أنه إن استطاع مفاجأتهم وسحقهم في خيامهم فإن شمال بلاد العرب بأسره سيخضع للمسلمين ؛ وان خطته معقود لها النجاح اذا إنطلق حال تسلمه خبر الهزيمة عند الحصيد والفرار من الخنافس . ففي حالة وصول الخبر الى خالد في الصباح في عين التمر فإن الجيش الموجه على الخنافس كان يمكن ان يتلقى الأمر الجديد بالزحف في تلك الليلة والتقدم على المصيّخ ، بينما يستطيع خالد ــ وجيشه على اهبةالاستعداد ــ الشروع من عين التمر قبل ظهر اليوم التالي . ويقع هدفه : المصيخ ، بين حوران والقلت ، وكلا الموضعين باق حتى الآن .

ويزعم كايتاني في المصدر السابق (مجلد ٢ ، ص ص ٩٨٧ وما بعدها ، ملاحظة ١) ان حوران هذه لا بد ان تكون غلطة أخرى وقع بها سيف او أحد نساخه ، او ان سيفاً يشير الى اسماء خيالية ؛ انه يعتقد ان هذا ايضاً ينطبق على القلت . فيذكر في الملاحظة ٢ د ، ان البكري والهمداني ، وهما اثنان من أقدم وافضل مصادرنا الجغرافية عن الجزيرة العربية ، لا يعلمان شيئاً البتة عن هذين الموضعين اللذين ، وفقا لسيف ، يقعان في السماوة . ولذا فإن كايتاني صنفهما مع المواضع الجغرافية الكثيرة التي انفرد سيف بذكرها ، وهذا مما يجعل وجودهما عند كايتاني موضع شك كبير . ومع ذلك فإن حوران التي ذكرها سيف كانت معروفــة لــدى الجغــرافي بطليمــوس بـ (اورانيــس) (الجغرافية ، ٥ ، ٢٠ : ٣) ، وانه واد طويل ينتهي عند الفرات نحو ١٦٠ كيلومتراً شمال غربي عين التمر . كما تقع ايضاً القلت وبردان والحني في المنطقة التي يحدد سيف مواقعهم فيها . ولذا من غير المقبول واتهام التشكك بوجودهم سيف بالاختلاق . اما ان الهمداني الذي يشير اليه كايتاني قلما يعلم عــن

طوبوغرافية شمال بلاد العرب فهي حقيقة معروفة عموماً . كما ان اطلاع البكري المحدود على المنطقة نفسها يظهر في حالات كثيرة . وفيما يتعلق بالقلت فاني اوجه النظر الى بئر ابي جلته نحو خمسة وسبعين كيلومتراً في جنوب — الجنوب الشرقي من عقلة حوران . ان مضرب خيام المصيّخ ، الذي يمكن البحث عنه في مكان ما بينهما ، كان له ولا ريب منهل جيد . ولم اعثر على اسمه ، الا ان موقعه كما يتطلبه السياق بكاد يكون مؤكداً ، اذ ان اسماء المواضع التي مرّ بها خالد تؤيدنا في الموضع الذي حددناه لها . فمن عين التمر ركب خالد عن طريق الجناب وبردان والحني الى المصيّخ . انني احدّد موضع الجناب عند عين العصيبة الدافقة ، على بعد ٢٧ كيلومتراً في شمال — الشمال الغربي لعين التمر . وتتطابق بَرَدان مع منهل بردان ، على مسافة عشرة كيلومترات أبعد الى الشـمال الغربي ، بينما تكون الحني على بعـد ٦٠ كيلومتراً من بردان ، الى الشمال الغربي ايضاً . ان هـذه المواقع تُظهر جلياً الاتجاه الذي سار فيه خالد . ولا يمكن ان نأخذ (الجناب) التي اوردها سيف على انها الموضع الذي حدده ياقوت في المصدر السابق (المجلد ٢ ، ص ١١٩ وما بعدها) في منطقة الكلبيين ، كما فعل كايتاني في المصدر السابق ، (المجلد ٢ ، ص ٩٨٣ ، ملاحظة ٣ أ) لان جميع الاماكن التي ذكرت سوية مع الجناب هذه في الاشعار التي اقتطفها ياقوت تقع في النصف الغربي من بلاد العرب الشمالية . فهنا ، شرقي منطقة مآب وشرقي المشتّى ، يوجد مخيم الجناب الربيعي المعروف الذي كان وقتاً ما مُلكا لقبيلة كلب التي لـم يكن موطنها بجوار عين التمر قط .

وقد استشهد الطبري برواية شاعر شاهد عيان (المصدر السابق السلسلة ١ ص ٢١١٤) « قال ذاغار بناخالد من سُوَى على مُصَيَّخ بَهْراء بالقُصْواني ، ماء من المياه فصبّح المُصَيَّخ والنَّمِر وانّهم لغارون وانّ رفقة لتشرب في وجه الصبح وساقيهم يغنّيهم بقول

ألا صَبِّحاني قَبْلَ جَيْشِ ابي بكر

فضُربت عنقُه فاختلط دمه بخمره »

وبرغم الاستشهاد بشاهد عيان فان هذا السجل يحتوي الكثير مما يستحيل تعيين موضعه بعد وصول خالد الى سُواء ، أما ان يكون خالد قـد هاجـم مخيم بهراء بعـد وصوله الى سُواء فيؤيده تقريباً جميع رواة هـذه الأحداث . فاستناداً الى بعضهم فانّ احد المغنين لقي حتفه في الفوضى التي صاحبت الهجوم ، واستناداً الى آخرين فان مغنياً يدعـى حـرقوص سقط قتيلاً إما في البشر او في المصيّخ . والمصيّخ وفقاً لهذا التقرير هو منهل يقع في القصواني . وقد رأينا ان رواة سيف ، على اي حال ، لايحددون موضع المصيّخ قرب سُواء وانما يقولون انه بين شعيب ابو جلته (القلت) ووادي حوران . وتدعى المنطقة المتاخمة لوادي حوران في الجنوب بالقاصي .

ويظهر ان هذه تناظر القصواني ، وبهذا تقدم حجة جديدة على صحة بيانات سيف الطوبوغرافية . وعلى هذا قد يكون المصيّخ هو منهل عين الارنب في يومنا هذا ، وفضلاً عن ذلك ، فان هذا الموقع تؤيده الحقيقة بان هذه المنطقة المجاورة كانت في العادة مضرب خيام قبيله النمير ، التي تعزو اليها بعض الروايات ملكية الاراضي شمال غربي عين التمر (ابو الفرج ، الاغاني [القاهرة ، ١٢٨٥ هـ] ، المجلد ٢٠ ، ص ص ١٢٧ وما بعدها و ١٣٤) .

الى البشر والعودة الى الحيرة

يخبرنا سيف (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ص ٢٠٧٢ وما بعدها) ان خالداً زحف من المصيّخ مسافة ابعد الى الشمال الغربي لمباغتة التغلبيين ايضاً في ساحات تجمعهم الأخرى فيذكر « وزحف القعقاع وقد نزل ربيعة بن بُجَيرْ التغلبي الثَنْيِّ والبِشْرَ غضباً لعَقّة وواعد رُوزبه وزَرْمهر والهُذيل ، فلمّا اصاب خالد أهل المصيَّخ بما اصابهم به تقدّم الى القعقاع والى ابي ليلى بأن يرتحلا امامه وواعدهما الليلة ليفترقوا فيها للغارة عليهم من ثلاثة اوجه كما فعل بأهل المصيَّخ . ثم خرج خالد من المصيّخ فنزل حوْران ثم الرنق ثـم الحماة ، وهـي اليـوم لبنى جُنادة بي زهـير مـن كلب ثـم الزُّميْل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهو البِشر والثَّنِيّ معه، وهما اليوم شرقيّ الرُّصافة ؛فبدأ بالثّنى واجتمع هو واصحابه فبيّته من ثلاثة اوجه بياتاً ومن اجتمع له واليه ومن تأشّب لذلك من الشأن فجرّدوا فيهم السيوف فلم يُفلت من ذلك الجيش مُخبر،واستبى الشرخ . ثم عطف خالد من البشر الى الرُّضاب وبها هلال بن عقّة وقد ارفضّ عنه اصحابه حين سمعوا بدنّو خالد وانقشع عنها هلال فلم يلق كيداً بها . »

ووفقاً لهذا الجزء من الرواية فان خالداً زحف من المصيّخ الى البشر .

والبشر (او كما تدعى اليوم ، البشري) هـو أقصى الطرف الشرقي ، نحو مئة كيلومتر طولاً ، من السلسلة الجبلية الممتدة بأسماء مختلفة من سلسلة جبال لبنان شمالاً شرقياً والمنتهية عند الفرات .

ويحدد كايتاني في المصدر السابق (المجلد ٢ ، ص ١٢٢٩) موقع البشر الى يسار الفرات شمالي تدمر ، برغم ان جميع الكتّاب من الألف الثاني قبل المسيح كانوا يعرفون البشر على انه يقع على يمين النهر . وكانت تدمر بعيدة الى الجنوب الغربي من البشر بمسافة بعيدة . »

وحتى اليوم فان قبائل ضنا البشر ، وهم من مجموعة عنيزة ، الذين يتجولون بين النجف وحلب ، تعتبر البشري مركزاً لمخيماتها ، اذ انهم دائماً يجدون ماءاً هناك وفي استطاعتهم الدفاع عن انفسهم بسهولة حتى ضد عدو يفوقهم قوة . ومن هذه المنطقة كان خالد مهدداً بخطر كان يرغب في تفاديه بسرعة . فقد اجتمع التغلبيون عند الثني والزُميل . وتقع الثني عند السفح الجنوبي لجبيل البشر . انه واطئ نسبياً ومنعزل ويمكن رؤيته من بعيد ويدعى الآن جبيلة الثني او الجبيلة (التل الصغير) اختصاراً .

ومن على قمته يمتد منظر رائع بعيداً الى الشرق والجنوب والغرب ، والى الجنوب الشرقي منه توجد عدة اماكن للسقاية . وتشكل الاراضي المجاورة موقعاً جيداً يصلح لاقامة الخيام . ويمكن قول الشيء نفسه عن مرتفع الزَميلي (الزُميل في رواية سيف) في الارض المستوية شمالي البشري .

ولأجل الوصول الى مضربي الخيام هذين أسرع خالد الآن بأقصى سرعة ممكنة . ان الامر الذي اصدره للقائدين القعقاع وابي ليلى بالسير قبله كان حكيماً جداً ، فبهذه الطريقة خفّف شعورهم بالحاجة الشديدة الى المراعي وأمكن تجنب الازدحام عندأماكن السقاية بسهولة اكثر . اما خالد نفسه فسلك الطريق المؤدي من المصيّخ الى الشمال الغربي . ولعل مضرب خيام حوران الذي اورده سيف يتطابق مع مكان سقاية عقلة حوران في وادي حوران . ويطابق مضرب الخيام التالي ، «الرزق» ، مع الرثقه . والكلمة الاخيرة في العربية يمكن بسهولة تهجئتها خطأ وكتابتها « الرزق » . وبرغم ان اسم « الرزق » غير معروف شمالي عقلة حوران ، فإن الرثقه منهل مشهور يبعد نحو ١٤٠ كيلو متراً شمال غربي عقلة حوران . ولا اعرف المحطة التالية ، حمه .

وبرغم المنظر الواسع الذي يتجلى من قمم تل الثني ، فإن مجيء قوة خالد لم يلاحظها الحراس التغلبيون المعينون هناك . فمن المحتمل انه اخترق الاراضي المنخفضة بين المرتفعات المجاورة المختلفة واقترب من المخيم ليلاً . وحدث الشيء نفسه قرب الزميل حيث كان البدو يعتقدون انهم يخيمون في مأمن تام من الاخطار ، اذ علموا ان مواطنيهم كانوا يقومون بحراسة الطرق المخترقة للجبيل من الجنوب الى الشمال . واستناداً الى سيف فقد كان مضرب خيام الرضاب خارج حدود البشري ، واعتماداً على السياق يجب البحث عنها شمالي الزميلي .

ويطلق ياقوت في المصدر السابق (المجلد ٢ ، ٧٨٩) اسم الرضاب على المكان الذي بنى فيه الخليفة هشام فيما بعد مسكنه ، الرصافة . ولكن بما ان الرُصافة كانت قد بنيت قبل عهد هشام وخالد بوقت طويل فالاستنتاج الوحيد من قول ياقوت هو ان رواته وضعوا الرضاب قرب المنطقة المجاورة للرصافة . فإن كانت هذه هي الحالة فنستطيع بسهولة ان نفهم كيف استطاع التغلبيون المخيمون عند الرضاب ، الهرب . فعندما علموا في الوقت المناسب بالغارة على الزُميل فروا وزوجاتهم واطفالهم ومواشيهم الى بلدة الرُصافة المجاورة التي حذرت

جدرانها البيضاء خالداً من بعيد . فهو يستطيع ترك هذا المكان وشأنه ، فإن المهمة التي وضعها نصب عينيه قد انجزها على النحو الذي اراد تماماً . فكان النصف الشرقي لشمال بلاد العرب يرتجف امام المسلمين .

وبعد دحر التغلبيين دحراً مفاجئاً وكاملاً (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٠٧٤ وما بعدها) يمضي سيف ليروي ان خالداً استدار نحـو الفـراض ، وهـي تخـوم الشـام والعـراق والجزيـرة . ان السياق باكمله يبرر الاعتقاد ان خالداً لم يذهب من الرضاب ابعد الى الشمال او الشمال الغربي ، بل انه عاد الى الجنوب الشرقي بعد ان تطهرت اماكن تجمع التغلبيين . على ان قلاع البيزنطيين لم تكن بعيدة عنه. ومن المؤكد ان خالداً لم ينو محاربة البيزنطيين ايضاً . ولهذا قفل عائداً . وفي زحفه الى البشري اتبع طريق النقل خلال الصحراء بعيداً عن الفرات. ومن المحتمل انه وفي اثناء رجوعه ، اقترب من النهـر العظيم ليتموّن من القرى في تلك المنطقة . ان التقرير الذي استشهدنا به يذكـر بالاسـم قريـة الفـراض . وهـي جمع الفُرضة ، وهي اسم محطة معروفة لدى جميع الجغرافيين العرب على الضفة اليمنى للفرات فيها يفرع طريق الى البشري . انها تطابق خرائب الصالحية الحالية .

وفي تلك الاثناء اخذ البيزنطيون وحاميات الحدود الفارسية وكذلك القبائل البدوية المختلفة يتجمعون مقابل الفراض على الضفة اليسرى للفرات. ثم عبروا منطقة اسفل من الفراض الى الضفة اليمنى وهاجمـوا خالـداً ، الا انهـم (المصدر نفسه) اصيبوا بهزيمة تامة . ويروى ان مئة الف رجل سقطوا قتلى . وبقي خالـد عشـرة أيام أخـرى عنـد الفراض حيث عاد منـه الى الحيرة . ـــ والأرقام تكاد تكون دائماً مبالغاً فيها ، الا ان القتال نفسه ربما كان حقيقياً . فقد كان من بين أسرى خالـد بـدو وفرس مـن رعايا الروم والساسانيين . ومما لا شك فيه ان التغلبيين الذين كانوا قد هربوا من البشري الى

الضفة اليسرى ، قد اخبروا الحراس الروم والفرس هناك بما حدث ، وان الأخيرين معززون بالبدو المقيمين على الضفة اليسرى ، قاموا بمحاولة لقطع الطريق الذي كان المسلمون عائدين منه ولاطلاق سراح الأسرى . وعند عبورهم الفرات جنوب شرقي الفراض قاموا بمهاجمة المسلمين ، فكان نصيبهم الاندحار .

واستناداً الى الطبري (المصدر السابق ، المجلد ١ ؛ ص ص ٢٠٧٥ وما بعدها) ، الذي لم يذكر مصادره ، فإن خالداً اثناء عودته من الفراض خرج « مكتتماً بحجة ، ومعه عدة من اصحابه ، يعتسف البلاد حتى اتى قلة بالسمت ، فتأتى له من ذلك مالم يتأت لدليل ولا رئبال . . فكانت غيبته عن الجند يسرة ، فما توافى الى الحيرة آخرهم حتى وافاهم .. وكان مسير خالد من الفراض ان استعرض البلاد ، متعسفاً متسمتاً ، فقطع طريق الفراض ماء العنبري ثم مثقبا ثم انتهى الى ذات عرق فشرق منها ، فاسلمه الى عرفات من الفراض .

ان المسافة من مكة الى الفراض بخط مستقيم هي اكثر من ٨٠٠ كيلومتر والى الحيرة من مكة ما يزيد على ٧٠٠ ، ولهذا فقد كان خالد يتطلب لرحلته وحدها خمسة وعشرين يوماً في الأقل ، حتى لو كانت معه عدة جمال جيدة ؛ لانه لم يكن في امكانه إجهاد قواه الجسمانية لمدة غير محدودة . ومن الناحية الأخرى ، فلو كان جنده المقاتلون قد واصلوا سيرهم على مقربة من الفرات ، آخذين قسطهم من الراحة مع حيواناتهم بجانب الطريق وكانوا مضطرين للحصول على تموينهم من القرى التي مرّوا بها ، فانهم ما كانوا يقدرون على قطع المسافة من الفراض الى الحيرة في ثلاثين يوماً . وعليه فليس من المستحيل تماماً ان يكون خالد قد عاد من مكة الى الحيرة في الوقت الذي عاد فيه مقاتلوه . ومع ذلك لا استطيع فهم سبب اضطرار خالد ترك جيشه والسفر متنكراً الى مكة . إن الاماكن التي كان عليه اجتيازها في هذه الرحلة وهي : العنبري ومثقب وذات عرق يمكن ، بالطبع ، التعرف بها في شمال بلاد العرب ، ولكن من الصعب حقاً معرفة سبب عدم قيام خالد عندما كان قريباً جداً من المدينة بزيارة ابي بكر المتمني له الخير والتفاخر بانتصاراته .

الملحق الثـامن

برباليسوس وبالس وثبساكوس للمؤلف زينوفون وأبانيس

برباليسوس وبالس

بالس هي برباليسوس القديمة ، بيت بلش ، او باختصار بلش .

واستناداً الى بطليموس ، في جغرافيته (٥ ، ١٥ : ١٧) فقد كانت بلدة برباليسوس تقع في خاليبونيتس على الفرات .

فعلى جدول بويتنكر (فينا ، ١٨٨٨ ، الجزء ١٠) تظهر برباليسوس كمحطة على الطريق الروماني الممتد بمحاذاة الضفة اليمنى للفرات .

وبعد عام ٢٩٣ م كانت برباليسوس تعود الى اقليم اوغسطا الواقعة على الفرات وكانت حاميتها مكوّنة من فرسان دالماتيا الأليريين (أخبار المشاهير ، المشرق ٣٣ ، العدد ٢٥) .

وفي نهاية القرن الثالث او بداية الرابع للميلاد اصدر القائد انتيوخوس اوامره بأن يُعذّب باخوس ، نائب قائد حرس فلسطين الاجنبي حتى الموت ، ورفض ان يسمح بدفن جثته . حدث هذا في حصن برباريسوس الواقع في ابرشية اوغسطا عند الفرات على الحدود بالقرب من السراقنة . الا انه في المساء جاءبعض الاخوان المتنسكين ، وكانوا يسكنون في الكهوف القريبة ، ودفنواالجثة في أحد كهوفهم . و بعد هذا بفترة قصيرة اخذوا جثمان باخوس من الكهف واعادوا دفنه بجانب القديس سيرجيوس في الرُصافة (بولاند الوثائق الكنسية ، المثمن ، المجلد ٣ ، [١٧٧٠] ص ص ٨٣٥ وما بعدها ، [شذرات بولانديه ، المجلد ١٤] ، ص ص ٣٨٤ وما بعدها) .

ان قائمة للتواقيع العربية للمجلس الكنسي في نكائيه لعام ٣٢٥ م

[تتضمن توقيع المطران انطونيوس البربانيسي . ويفسر جلازر في مؤلفه (اسماء مشاهير الآباء من نكائية (١٨٩٨) ، ص ١٧١) بربانيس بأنها هيرابوليس ، الا ان القائمة نفسها (المصدر نفسه ، ص ص ١٤٧ و ١٦٥) تتضمن ايضاً توقيع المطران فيلوكسينوس من منبج التي تتطابق مع هيرابوليس . ولا يرد ذكر المطران انطونيوس من بربانيسوس في النصوص الاخرى .

وفي اثناء الانشقاقات بين الاسكندر مطران هيرابوليس ، ويوحنا بطريرك انطاكية ، بعد مجلس افسوس في عام ٤٣١ قام البطريرك يوحنا بطرد المطران اسيلينوس البربانيسي من الحصن (منسي ، في المجمع الكنسي [١٧٥٩ — ١٧٩٨] ، المجلد ٥ ، العمود ٩٦٦) وعيّن في منصب مطران بدله بصورة غير مشروعة شخص يدعى مارينيانوس (المصدر نفسه ، العمودان ٩٠٨ و٩١٣) .

ويكتب اسطيفان البيزنطي في كتابه الأجناس (مانيكه) ، ص ١٥٨) ان بربانيسوس هي بلدة محصنة .

ويذكر ليودوسيوس ، في كتابه موقع الارض المقدسة (جاير ص ١٥٠)ان المسافة من كوبرو الى برباريسو ، حيث قُتل القديسان سيرجيوس وباكّو ، ستون ميلاً . ومن برباريسو وحتى اينيابولي ... في كالونيكو ثمانون ميلاً . ومن كالونيكو الى قسطنطينة ، ستون ميلاً . ومن المحتمل ان اينيابولي محرفة عن ليونتوبولي ، كما كانت تدعى كالينيكوس احياناً . والمسافة هي ليست ثمانين بل ماتقارب سبعين ميلاً فقط (اي ٩٨ كيلو متراً) .

وفي ربيع عام ٥٤٠ م سار كسرى الأول بطريق زنوبيا (حلبية) وسورا (سوريا) على بلدة هيرابوليس (منبج) ، التي افتدت نفسها ، ثم تقدم على بيروئيا وانطاكيه ، فاستولى عليهما وهدمهما .

وبعد مغادرته انطاكية ، هاجم ميناء سلوقية اخامية وخالكيس ، وكانت البلدة الاخيرة على بعد ٨٤ ستاد من بيروئيا . ولماعزم كسرى على ايصال

غنائمه الى بلاد فارس بأمان لم يعد من الطريق الذي أتى منه بمحاذاة الضفة اليسرى للفرات ، انما أمر بنصب جسر قوارب على النهر عند بلدة أبّانيس التي تبعد اربعين ستاداً من حصن برباليسوس ، وهناك عبر الى الضفة اليسرى ووصل الى إديسا من طريق بلدة بتنا الصغيرة (بروكوبيوس في كتابه الحرب الفارسيه ، ٢ ، ١٢) . فان كان كسرى قد استطاع الانطلاق من أبّانيس الى بلاد مابين النهرين مع هذا العدد من آلاف الأسرى والغنائم الكثيرة جداً ، فلا بد أن كان هناك طريق جيد من ذلك المكان . ويمكن البحث عن مخاضة أبّانيس في حقول الاسحاقية بجوار خرائب سموما .

ويروي ميخائيل السوري في مدونته التاريخية (شابو) ، المجلد ٤ ، ص ٣٤٨) انه في العام التاسع من حكم الامبراطور جستنيان خرج القائد اذرمون ، بأوامر من كسرى ونهب بيت بلش وقصرين (قاصرين) وبيت داما وضواحي بلدة كبّول وقنيسرين وعاد بأسرى كثيرين (بيجان في سجل الشهداء والقديسين ، مجلد ٣ ، ص ٣٩٩) .

وفي العام الخامس عشر من حكم الامبراطور جستنيان نهب الفالفرس كالينيكوس وبيت بلش واخذوا معهم مخلفات الشهيد باخوس وكذلك الزينات الذهبية من التابوت الحجري للقديس سيرجيوس (ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٢٩٦) .

وقد اولى جستنيان انتباهاً كبيراً لجميع المدن والقرى المحصنة على حدود إقليم الفرات مثل برباليسوس ونيوقيساريه وكابولون (كابولا) الخ . (بروكوبيوس ، المباني ، ٢ ، ٩ : ١٠) .

ويقول انتونين من بياجنزا ، في رحلته (جابر ، ص ١٩١) انه قام برحلة من كرّان (كارهي) مسقط رأس ابراهيم ، الى بلدة برباريسو حيث استراح القديس باخوس ، اخو القديس سرجيوس . وكذلك

يبرهن هـذا السجل ، وكان القصد منه ان يكون دليلا للحجاج ؛ ان طريقاً للنقل، امتد من كارهي (حرّان) الى برباليسوس ؛ وان مخاضة الفرات كانت في جوار بالس في يومنا هذا .

في السهل الممتد بين بالس والرقة يقع ديـر مار حنانيا (ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ص ٣٧٩) . ـ ولعل مارحنانيا يتطابق مع خربة مدينة الفار .

وعندما تقدم ابو عبيدة بالجيش الاسلامي الى هذه المنطقة « قدم مقدمته الى بالس ، وبعث جيشاً عليه حبيب بن مسلمة الى قاصرين ، وكانت بالس وقاصرين لاخوين من اشراف الروم . .

فلما نزل المسلمون بها صالحهم على الجزيرة والجلاء ، فجلا اكثرهم الى بلاد الروم وارض الجزيرة وقرية جسر منبج .. ورتب ابو عبيدة ببالس جماعة من المقاتلة واسكنها قوماً من العرب الذين كانوا بالشام فاسلموا بعد قدوم المسلمين الشام وقوماً لم يكونوا من البعوث نزعوا من البوادى من قيس ، واسكن قاصرين قوماً ثم رفضوها واعقابهم بها .. وكانت بالس والقرى المنسوبة اليها في حدها الاعلى والاوسط والاسفل اعذاء عشرية فلما كان مسلمة بن عبدالملك بن مروان توجه غازياً للروم من نحو الثغور الجزرية عسكر ببالس فأتاه اهلها واهل بويلس وقاصرين وعابرين وصفين ، وهي قرى منسوبة اليها ، فأتاه اهل الحد الاعلى فسألوه جميعاً ان يحفر لهم نهراً من الفرات يسقي على ان يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان الذي كان يأخذه ، ففعل ، فحفر النهر المعروف بنهر مسلمه ، ووفوا له بالشروط ، ورم سور المدينة وأحكمه . فلما مات مسلمة صارت بالس وقراها لورثته فلم تزل في ايديهم الى أن جاءت الدولة المباركة (العباسية) فقبض عبدالله بن علي اموال بني امية قد دخلت فيها (البلاذري ، الفتوح [دي خويه] ، صص ١٥٠ ومابعدها ، الشبيه بذيو نيسيوس التلمحري ، المدونة [شابو] ، صص ٢٦ ومـا بعدها) .

ويذكر البلاذري قرى أعلى من بالس دون تسمياتها وتلك التي ذكر انها واقعة أسفل من بالس يجب البحث عنها بين هذه القرية وصفين . وربما أمكن الاهتداء الى بويلس في ركام الخرائب عند الطرف الشرقي لشعيب أم خروم ، وقاصرين في خرائب الحويره شرقي قصير الابسي ، وعابدين في ركام الخرائب على الجانب الايمن لقناة ري قديمة أبعد الى الشرق بمسافة اكبر . وعليه فلا بد ان صفين كانت ، استناداً الى هذه الرواية ، مطابقة مع ابي هريرة الحالية ، لان القناة التي تروي بالس والقرى الاخرى كان يمكن ان تمتد الى هذا الحد فقط . ومما لاريب فيه انّ هذه القناة تفرعت من الفرات أسفل من بلدة الطنوزه عند الموضع الذي ينحرف النهر فيه من اتجاه جنوبي الى شرقي . إن بقايا مثل هذه القناة القديمة ، وهي دون شك نهر مسلمة ، ظاهرة للعيان من حقول الملاح حتى ابو هريرة . وما بين طرف شعيب ام خروم وخربة الدبس وكذلك بالقرب من ابو هريره غيّر الفرات مجراه واخذ هذه القناة . ومن غير المؤكد ما اذا كان مسلمة قد أمر بحفر نهر جديد ؛ والاكثر احتمالاً أنه أمر بتطهير نهر قديم . ويمكن الاستدلال على هذا ايضاً من واقع ان المؤلفين العرب اللاحقين لايذكرون نهر مسلمة على الاطلاق . فلا بد اذن انها انطمرت ثانية .

ويربط ميخائيل السوري ايضاً قاصرين بصفين (المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٣٤٨) ، وكذلك يفعل ثيوفانيس ، في كتابه كرونوغرافيا (دي بور) ، ص ص ٣٤٦ وما بعدها) ويقولان انه في عام ٦٥٧ م عسكر معاوية ما وراء برباليسوس قرب قيسريون (قيساريوم) وعسكر جيش علي (ع) عند سابفين . — وتتطابق قيسرون مع قاصرين التي نعرفها ، وسابفين مع صفين .

ويذكر الشاعر عمْرو [بن كلثوم] (المعلقات [نولدكه] ، ص ٢٤) قاصرين ، على انها المكان الذي شرب فيه نبيذاً جيداً .

ذكر ياقوت في معجمه (فستنفلد) ، المجلد ٤ ، ص ١٦) أن « قاصرين بلد قرب بالس التي تقع على الفرات .

عاش أحفاد مسلمة عند بالس في الحصن الذي بناه هناك . وفي عام ٧٥٠م اغار مئة وخمسون من فرسان الجيش العباسي على بالس ، واساؤا وقائدهم معاملة اولاد مسلمة وزوجاتهم ثم وصل انصارهم لنجدتهم وقتلوا المعذبين جميعاً (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ص ٥٢) .

وفي عام ٨٢٠م تشاور البطريرك ديونيسيوس من تل محرى مع بضعة مطارنة في حصن بيت بلش وميخائيل السوري ، المصدر المجلد ٤ ، ص ٥٠٤).

وفي عام ٨٢١ م قام نصر بن شبث ، زعيم المناوئين للنفوذ الفارسي المتزايد ، بشراء حصن بيت بلش ، ووضع فيه حامية من أنصاره ، ثم تقدم الى قناةالهني الذي يجري حول كالينيكوس (المصدرنفسه، ص ٥٠٥).

وقد هزم عبدالله بن طاهر اتباع نصر ؛ وفي عام ٨٢٥ م استولى على حصن بيت بلش ، وكان يسكنه فيه كثيرمن المسيحيين الذين عانوا كثيراً اثناء الحصار (المصدر نفسه ، ص ٥١٠) .

وفي عام ٨٥٩ م أحدث زلزال ضرراً جسيماً في بالس والرقه وبعض المدن الاخرى (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ، ص ١٤٤٠) .

ويصف الاصطخري ، في مسالكه (دي خويه) ، ص ٦٢ بالس بأنها « مدينةعلي شط الفرات صغيرة ، وهي اول مدن الشام من العراق ،والطريق اليها عامر ، فهي فرضة الفرات لاهل الشام وهذا يدل على انه من مخاضة بالس كان طريق نقل هام يؤدي الى المناطق الداخلية لبلاد الجزيرة .

ويذكر ابن حوقل في المسالك (دي خويه) ، ص ١١٩ ، ان بلدة بالس المسوّرة عانت كثيراً بعد موت سيف الدولة (٩٤٤ — ٩٦٧ م) ، الامير

القوى المنطقة حلب . وكانت النتيجة ان القوافل التجارية توقفت عن المجيء الى هناك واقتصرت صادراتها على القمح والشعير فقط . وكانت بين البلدة والفرات مزارع واسعة.

وفي آذار ، ١٠٦٠ م ، كانت بالس يحكمها عطية ، أخو عامل حلب (ابن تغري بردي ، النجوم [الزاهره] [بوبر] المجلد ٢ ، الجزء ٢ ص ٢٢٧) .

ويذكر سبط ابن الجوزي (المرآة (دي مينار ، ص ٥٥٤) (مشيراً الى عام ١١١٥ م) ان الطريق من حلب الى الرقه كان يعبر الفرات عند بالس ، اما الطريق من الرقه الى دمشق فكان يعبره عند الرمر (وهذه الكلمة نُقلت محرّفة في الترجمة الفرنسية على انها « الزور ») .

وفي عام ١١١٧ م حاصر الصليبيون حصن بالس ، ولكن دون جدوى ، فقد اضطروا الى الانسحاب امام الامدادات القادمة من ماردين (كمال الدين ، في تاريخه[دي مينار] ، ص ٦١٣) .

وفي عام ١١٨٢ — ١١٨٣ م ، في الحرب من أجل تركة نور الدين ، هُدم حصن بالس ، وفي عام ١٢٠٠ — ١٢٠١ م ، اثناء النزاع بين ورثة صلاح الدين انتهبت بلدة بالس (كمال الدين ، التاريخ[ترجمه بلوشيه]، مجلة الشرق باللاتينية ، المجلد ٤ ، ص ص ١٦٢ و ٢٢٣) .

ويصحح ابو الفضائل (المراصد [يوينبول] ، المجلد ١، ص ١٢٢) ما اورده ياقوت ويذكر انها على الفرات من الجانب الغربي بينها وبين شاطئ الفرات يسير وهي تحت صفين .

ان عبارة ياقوت لا تتفق مع رواية البلاذري ولا مع الحقائق . فعلى مسافة غير بعيده الى الشرق من بلدة بالس يمكن رؤية قناة قديمة ، الا انه ليس ثمة اي اثر لمجرى قديم لنهر الفرات . والمسافة من خرائب بالس الى الفرات

تبلغ كيلو مترين تماماً ، ولا تقع بالس أسفل من صفين بل أعلى منها .

وفي عام ١٢٤٠ م عبر الخوارزميون على الفرات جسر القوارب عند الرقه وانتهبوا بالس وفتكوا بجميع سكانها الذين لم يستطيعوا الهرب اما الى حلب او الى منبج . ثم عبروا ثانية الفرات على الجسر ذاته في بداية عام ١٢٤١ م ووصلوا الى الفاياء وديسر حافسر وجبّول وحتى تل عرّن . وفي اثناء عودتهم نهبوا سلمية والرصافة (٨) ، حيث هزمهم العرب بقيادة علي بن حديثة ، وأُخذت منهم غنائمهم. واثناء هروبهم متجهين صوب الفرات عسكروا في ١٩ شباط (فبراير) مقابل الرقة والى الغرب والشمال من باليل. فاسرع الجنود الحلبيون من طريق صفين لمنعهم من عبور النهر إلا أنهم وصلوا متأخرين بساعة واحدة . فخندق الخوارزميون عند بستان باليل وراء استحكام وخندق وصدوا جميع هجمات الحلبيين حتى غروب الشمس . وبعد ساعة من غروب الشمس عاد الجنود الحلبيون الى صفين ولم يتركوا وراءهم الا عدداً قليلاً من السرايا ، فقام الخوارزميون بقتلهم ومن ثم عبروا الى الرقة (كمال الدين ، المصدر السابق ، المجلد ٦ ، ص ٣ ، المقريزي ، السلوك [ترجمة بلوشية] ، ص ص ٤٦٨ وما بعدها) . ان دير حافر ، وجبّول ، وتل عرّن هي قرى تقع في غرب ـ الشمال الغربي من بالس .

وفي عام ١٢٥٧ م قام المافريان (المطران) صليبة التكريتي برحلة من طريق بلش الى حلب » (ابن العبري ، التاريخ الكنسي [ابيلوس ولامي] المجلد ١ ، العمود ٧٢٣) .

وفي عام ١٢٦٠ م استولى المغول على حصن بلش ، وقتلوا جميع أهله ، وتركوا حاميتهم الخاصة بهم هنالك (المؤلف السابق ، التاريخ السوري [ببجان] ، ص ٥٣٢) .

---

(٨) وردت هذه الكلمة عند المؤلف بفتح الراء والصحيح الرصافة بضم الراء (المترجم) .

وينقل القزويني في عجائبه (فستنفلد) ، المجلد ٢ ، ص ٢٠٣ ماورد في ياقوت ويذكر ان « بالس بلــدة على ضفة للفرات الجانب الغربي ، فلم تزل الفرات تشرق عنها قليلا حتى صار بينهما في ايامنا هذه اربعة أميال .

ويقــول الدمشقي في النخبــة (ميرين) ، ص ٢٠٥ » ان بالس كانت مهجــورة آنذاك ويقول انها بلدة قديمة بجانب الفــرات غير بعيدة عن صفين والرصافة ، والأخيرة بناها هشام بن عبدالملك على انقاض ابنية اغريقية قديمة .

ويذكر حاجي خليفة ، في جهان نامه (٩) (القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ، ص ٥٩٣) الذي استخدم مصادر قديمة ، ان ناحيتي بالس والرصافة تعودان الى ولاية قنسرين التي عاصمتها حلب ، وانها ، مثل بالس وقلعة جعبر مأهولة بالتركمان ايضاً .

ويقــول اوليــا جلبي فــي تاريخه (ترجمة فــون هامر) ، المجلد ١ ، ص ٩٤) ان بالس سنجق تابــع لولاية حلب وانها تدفع لها سنوياً ٢٠٠٠٠ قطعة من النقود .

ثپساكوس عند زينوفون

الى الشمال من بالس أحـــد موقع مخاضة تِفسح (ثپساكوس) القديمة وذكر في ســفر الملــوك ، ٥ : ٤ ، أن سليمان حكــم جميــع البلاد التي على الجانب الآخر من النهر (الفرات) من تفسح حتى غزّة .

وتنص فقرة (٢) في سفر التواريخ ، ٨ : ٤ ، ان سليمان قام ايضاً بتحصين تدمر في الصحراء . وحتى بلدة رصف ، الرصافة الآن ، ورد ذكرها

---

(٩) وردت جهان نومه عند مؤلفنا والصحيح جهان نامه وتعني سجل العالم (المترجم) .

عند الحديث عن سليمان ، وهذا ما يوضح ، وفقاً لروايات التوراة ، انه سيطر على طرق نقل هامة .اما فيما يتعلق بتدمر فليس لدينا حتى الان سجلات أقدم عهداً ، الا أنه لا ينكر ان هذه الواحة كانت ذات اهمية كبيرة وذلك منذ وقت مبكر يرجع الى حكم الأخمينيين . ففي المشرق تعتبر اخبار النشاط العمراني للحكام الأوائل مصادر تاريخية على جانب كبير من الأهمية .

عبر زينوفون (انابسيس، ١ ، ٤ : ١١) الفرات من مخاضة ثپاكوس في ربيع عام ٤٠١ ق . م مع جيش قورش الأصغر .

ويروي اريان (انابسيس ، ٣ ، ٧) الخبر نفسه عن الاسكندر الكبير ، الذي وجد في نهاية حزيران ، ٣٣١ ق . م ، عند ثپساكوس جسري قوارب .

ويذكر سترابون (الجغرافيه ، ١٦ ، ١ : ١١) أنه وفقاً لارستوبولوس فقد امر الاسكندر ببناء زوارق في فينيقيا وفي جزيرة قبرص حملها مفككة ، وأتى بها بمسيرة سبعة أيام الى ثپساكوس حيث تمّ تجميع الاجزاء وابحرت الزوارق منحدرة الى بابل (اريان ، المصدر السابق ، ٨ ، ١٩ ؛ بلوتارك ، الأسكندر [سنتنيس] ، ص ٣٥٤) .

واستناداً الى ارستوبولوس نفسه (سترابون ، المصدر السابق ، ١٦ ، ٣ : ٣) فإن شعب كرها حملوا بضائعهم على سُفُن خفيفة الى بابل ومن هناك على الفرات حتى ثبساكوس ، ومنها وزعت في انحاء القطر .

ويكتب كاسيوس ديو (التاريخ ، ٤٠ ، ١٧)أن كراسوس (في عام ٥٣ ق . م) عبرالفرات عند زوكما ، وأطلق اسم زوكما على هذا المكان منذ حملة الاسكندر ، الذي خاض النهر هناك .

ويذكر بليني (التاريخ الطبيعي ، ٣٤ ، ١٥٠) سلسلة حديدية بجانب الفرات في بلدة تدعى زوكما استخدمها الاسكندر الكبير في تثبيت الجسر هناك .

ولا تتطابق زوكما التي اوردها كاسيوس ديو ولا تلك التي ذكرها بليني مع ثبساكوس القديمة ، بل مع مخاضة زوكما المتأخرة ، حيث كان الفرات يُعبر في الفترة السلوقية . والمنطقة حول زوكما هذه كانت مليئة بالروابـــي (انظر الى كاسيوس ديو ، المصدر السابق ، ٤٩ ، ١٩) .

ويذكر بليني (المصدر السابق ، ٥ ، ٨٧) في سوريا مدن : اوروبوس وثبساكوس السابقة ، التي كانت تدعى في زمانه امفيبوليس ، وكذلك عرب الاسكنيون . ويصل الفرات الى سورا حيث يستدير الى الشرق ويغـــادر صحارى تدمـــر السورية التـــي كانت تمتد حتى بترا [البتراء] واراضي بلاد العـــرب السعيدة .

ان بيانات بليني ، شأنها شأن كثير غيرها ، شاهد على إهماله في ترتيب مقتبساتـــه ، واستناداً الى اسطيفان البيزنطي الاجباس (ما ينكـــه) ، ص ٩٠ و ٧١١) فإن امفيبوليس تقـــع بجانب بـــلدة اوروبوس وكان ، اسمها الاصلي تلميسوس (كركميش) ، بينما كان السوريون يطلقون عـــلى امفيبوليس اسم ترميدا . وكانوا يطلقون على اوروبوس اســـم اغريبوس الذي حولوه فيما بعد الـــى جرابيش العربية .

ويدون اسطيفان البيزنطي (المصادر السابق ، ص ٣٠٧) عن ثبساكوس انها بجانب الفرات ، وكان ثيوبمبس المصدر الذي اعتمد عليـــه .

وفيما يتعلق بثبساكوس انظر ايضاً ما سبق ، ص ص ٣٢١ — ٣٢٨

ابانسبيس وســـوهـــا

على مسافة غير بعيدة من ثبساكوس يحدد اسطيفان البيزنطي موضع بلدة اينوس (المصدر نفسه ، ص ٥٢) . ونقارن بلدة « اينوس » اســـم بـــلدة أبّانيس ، حيث عبر الفرس الفرات عام ٥٤٠ م ، (بروكوبيوس ، الحـــرب الفارسية ، ج ٢ ، ١٢ : ٤) . وتعني عبّا فـــي اللغة السريانية

خليج او انعطاف نهر او ذراع مـن البحر ، او منخفض في سهل ، تماماً كما تعني الكلمة العربية عُب . ولذا يمكننا تقسيم الاسم أبانيس الى عب وانيس . والكلمة الاخيرة هذه تشبه كثيراً اينوس ؛ وربما يسهل ان تكون قد نشأت عنها إما نتيجة لخطأ في السماع او عـن خطأ فـي الاملاء . وكانت البلـدة تدعى « اينوس » ، والخليج المجاور ـ حيث كانت تقع المخاضة او محل العبور ـ ربما كـان يدعى عب اينيس نسبة للبـلدة ، وهكذا ربما سميت البلـدة نفسها فيما بعد بهذا الاسم .

وتقع مخاضة أبّانيس على مسافة اربعين ستاداً ، او نحو ستة كيلومترات أعلى من برباليسوس (بالس) . فإن صح ما نراه فيما يتعلق بهوية ابانيس واينوس ، فلا بد من البحث عن ثبساكوس في المنطقة المجاورة لاينوس ، ومن ثم بالقرب من برباليسوس . ونستمد تأييد ذلك من زينوفون (انابسيس ، جـ ١ ، ٤ : ١٠ وما بعد) الذي يتحدث عن ثبساكوس مباشرة بعد ذكر عزبة بليسيس ، والمرزيان السوري . ومن المؤكد ان العزبة لم تكن قائمة على انفراد فهي ، شأنها شأن البـلدة ـ وليس المرزبان الذي كان يقيم هنالك ـ ، من المحتمل انها كانت تدعى بليسس . ويتطابق هذا الاسم مع بليسوس وبلش وبالس ، لان المقطع بر في الكلمة برباليسوس انما يعني ابن. وبالطبع يحدد زينوفون موقع عزبة بليسيس على نهر درداس ، وليس على الفـرات ، الا ان هـذه ليست سـوى غلطة مـن اغلاطـه المتعددة .

وكان من السهل الوقوع في هذا الخطأ لانه حتى بليسيس (بالس) التي نحن بصددها لم تكن واقعة على الفرات مباشرة ، بل على قناة آخذة منه .

وللوصول الى هدف معين ، لا تزال تستعمل في المشرق نفس الوسائط وغالباً نفس الطرق ايضاً كما كان الحال في الأزمنة الغابرة . ففي عام ١٩٠٦ م ارادت الحكومه العثمانية ان تقوي نفوذها السياسي في العـراق وعلى الساحل الشمالي الغربي من الخليج العربي . فتم شحن المعدات العسكرية المؤلفة من

مدافع وعتاد وخيام ومؤن ضرورية جداً في نهاية العام تقريباً بسفينة بخارية الى بيروت ومن هناك بالقطار الى حلب . حيث تمّ تحميل السلاح الذي يزن ٤١٠٠ قنطاراً باكمله على شاحنات ، ونُقل الى المسكنة الواقعة على الفرات ، على مسافة اربعة كيلومترات من خرائب بالس . وكان سبب اختيار هذا المكان قربه من كل من حلب والبحر الابيض المتوسط . وفي المسكنة (قرب سموما وضعت كل هذه الأشياء في ستة وسبعين زورقاً ثقيلاً مسطح القعر ، يدعى شاختوره ، وتمّ تعويمها في ثلاثة اقسام الى الفلوجة ، ووصلت اليها في ثمانية أيام (ريبل ، مدونة الأخبار[١٩١٣] ، ص ص ١٧٧ وما بعدها).

ومما لا شك فيه ان الرجال الذين نفذوا اوامر الاسكندر الكبير كانوا يعرفون شمال سوريا معرفة تامه كما عرفها الجنرال التركي برتو باشا . فهم كذلك نقلوا الزواق محمولة الى الفرات بأقصر الطرق ، وبما ان اريستوبوس يذكر (سترابون ، المكان نفسه) بأن القوارب بعد انزالها تم تعويمها على الفرات عند ثبساكوس ، فلنا ما يبرر البحث عن ثبساكوس التي اقترنت بحملة الاسكندر عند سموما بالقرب من بالس .

ويقول اميانوس مارسلّينوس (ج ٢١ ، ٧ : ٧) أنه في عام ٣٦١ أمر الامبرطور كونستانتيوس ببناء جسر على الفرات عند كبرسنام ، ، وزار اديسا ، ثم عاد الى هيرابوليس .

ويكتب ثيودوزيتوس (التاريخ الديني ، (ميني ، العمود ١٤٢٧ ، ان الراهب سلمانيس رحب بهم من قرية كبرسنا على الضفة اليمنى للفرات .

ويوحي اسم خرائب سموما بقرية كفر (قرية) سنام ، إن جاز لنا قراءة سنام بدلاً من سمام (سموما) .

الملحق التاسع

سبي وصفين وابو هريرة

انابو هريرة هي مسبي القديمة وصفين في المراجع العربية . ولا يمكن مشاهدة اية مادة من مواد البناء القديمة في اي مكان حولها . وفي اغلب الاحتمالات انها نُقلت الى حصن جعبر المجاور لهـا .

ويسميها جغرافيٌ رفينّا المجهول في كتابه ، الكوزموغرافيا (ج ٢ ، ٥ (بنـدر وبارثي ، ص ٥٤) ، سبي ، وايضاً ستبهي . وتومي سبهي الى الصافية ، وهـو الاسم الذي تُعرف به مصادر شعيب سلماس المنتهية عند ابو هريرة . ويذكر سقراط في التاريخ الكنسي (ج ٣ ،) ٢٥ ستّبا .

ويقول حمزة الاصفهاني ، التاريخ (كوتفلت ، ص ١١٩) ان جبله بن النعمان وهـو صاحب عين اباغ وقاتل المنذر بن مـاء السماء كان منزله في صفين . وفي عام ٦٣٤ — ٦٣٥ م « لما رجع المثنى الى الانبار سرح فرات بن حيان وعتبة بن النهاس وامرهما بالغارة على احياء من تغلب والنمر بصفين ثم أتبعهما . . فلما دنوا من صفين افترق المثنى وفرات وعتبة . وفر اهل صفين وعبروا الفرات الى الجزيرة وتحصنوا . وارمل المثنى واصحابه من الزاد حتى اقبلوا على رواحلهم الا مالابد منه فاكلوها حتى اخفافها وعظامها وجلودها ، ثم ادركوا عيراً من دباب وحوران فقتلوا العلوج واصابوا ثلاثة نفر من بني تغلب » (الطبري ، التاريخ (دي خويه) ، السلسلة ، ص ص ٢٢٠٦ وما بعدها ، ابن الاثير ، الكامل [تورنبرگ] المجلد ٢ ص ٣٤٢) .

تقع صفين على الضفة اليمنى للفرات ، وعليه فلا بد ان المثنى زحف بمحاذاة هذه الضفة . وعلى الضفة اليمنى من الفرات على مسافة ١٣٥ كيلومتراً الى شرقي

الجنوب الشرقي من صفين كانت تقع بلـدة الزباء المحصنة ؛ لذا فالقراءة الصحيحة يجب ان تكون زباء ، وليس « دباء » كما هو مطبوع في طبعات كتب كل من الطبري وابن الأثير . وعلى الضفة اليمنى للفرات ، على مسافة ٣٤٠ كيلومترا من زباء ؛ وليس بعيداً عن بلدة جُبّه ينتهي وادي حوران العريض . ومن المحتمل ان مقيمين او بدواً كانوا يخيمون هناك في ذلك الوقت ، واستولى المثنى على ما يملكون ايضاً .

وفي نحو نهاية ربيع عام ٦٥٧ م حدثت معركة عند صفين بين الخليفة علي (ع) وخصمه معاوية . « فنزل معاوية ، واهل الشام منزلاً اختاروه مستوياً مبسوطاً واسعاً ، اخذوا الشريعة فهي في ايديهم وبذلك حالوا بين جيش علي والماء فهدد علي باستعمال القوة والقتال مما حمل معاوية على الاذعان » (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٣٢٦٨) .

ويكتب ثيوفانيس (الكرونوغرافيا (دي بور) ، ص ص ٣٤٦ وما بعدها) أنه في عام ٦٥٧ تقاتل معاوية وعلي بجانب الفرات . وخيّم معاوية فيما وراء بلدة برباليسوس قرب قيصريوم ، بينما خيم عليّ في سيفين .

ويقول الدينوري ، الأخبار (كويركاس) ، ص ص ١٧٨ وما بعدها ، ان علياً بعد ان مكث ثلاثة أيام قرب البليخ ، امر ببناء جسر قوارب عليه عبر الفرات . وقابل رجلان ارسلهما لاستطلاع جيش العدو في سور الروم ، واثناء الليل عسكر معاوية مع فرسانه عند صفين ، وهي بلدة مهدمة بناها الاغريق اصلاً على مرمى سهم من الفرات . وتمتد بينها وبين النهر احراش على مدى فرسخين ينتشر خلالها نزيز الماء من الارض . ويُفضي طريق واحد فقط ، الا أنه مرصوف بالحجارة ، الى الفرات . ومعظم منطقة الأدغال ليست سوى اوحال او ارض سبخة ولما كانت الاجراف الشديدة الانحدار تشكل عائقاً آخر للسفر ، فيبقى الطريق الوسيلة الوحيدة الذي به يمكن الوصول الى النهر بسهولة. ومن نهاية

شعيب الشعبة الى بنات ابو هريرة يكون السهل الفيضي محاطاً من الجنوب بأجراف صخرية لا تتيح مجالاً للنزول الى النهر الا من خلال فجوات قليلة. والسهل الفيضي ذاته عبارة عن مستنقع مغطى بالطرفاء واحراش أخرى التي تجعل الاقتراب من النهر امراً صعباً.

ويكتب الاصطخري، في مسالكه (دي خويه)، ص ص ٧٥ وما بعدها) انه في غربي الفرات، بين الرقة وبالس، تقع ارض صفين وبها قبر لعمار بن ياسر.

ويقول البكري، في معجمه (فستنفلد)، ص ٦١٠) ان صفين موضع في العراق كانت فيه الحرب بين امير المؤمنين علي بن ابي طالب ومعاوية، وفي هذا الموضع هزم سيف الدولة الحمداني الاخشيد محمد بن طغج وتملك الشام. ويحدد البكري موقع منطقة صفين في العراق، وهي في الحقيقة لم تكن من العراق مطلقاً. وقد استولى سيف الدولة على بلاد الشام عام ٩٤٤ م واختار حلب لاقامته.

وفي عام ١١٠٨ – ١١٠٩ م هاجم رجال من قبيلة نمير علي بن سالم، صاحب الرقة وطردوه وملكوا البلدة، فبلغ ذلك الملك رضوان فسار من حلب الى صفين وصادف تسعين رجلاً من الفرنج، معهم مال من فدية النمص صاحب الرها قد سيره الى جاولي (والى الرها) فاخذه واسر عدداً منهم وأتى الرقة، فصالحه بنو نمير على مال، فرحل عنهم الى حلب (ابن الاثير، الكامل [تورنبرك]، المجلد ١٠، ص ٣٢٤).

وفي مستهل عام ١١٢١ م اغار جوسيلين، حاكم تل باشر مع جماعته الصليبيين على العرب والتركمان المقاتلين بصفين، وغنم منهم ومن مواشيهم بشاطئ الفرات (ابن القلانسي، السذيل [امدروز]، ص ٢٠٣).

وفي عام ١١٣٩ م دفن القاضي بهاءالدين بن الشهرزوري في جامع في صفين (المصدر نفسه، ص ٢٦٦).

وفي ١٤ أيلول (سبتمبر) ١١٤٦ م قُتِـل السلطان عمـاد الدين الزنكي عندما كان يحاصر قلعة جعبر التي كانت ملكا لعائلة الاميرسالم بن مالك العقيلي ، فتك به جنوده انفسهم ودفن في صفين (ابن الأثير ، التاريخ [دي سـلان] ، ص ص ١٣٢ - ١٣٥) ، واستناداً الى كتابـه الكامـل [القاهرة ، ١٨٨٤] ، المجلد ١١ ، ص ٥٠) ، فإنّ زنكي دفن في الرقة) .

وفي اول ايار (مايو) ١١٩٥ عُقد اجتماع في صفين بين الملك الأفضل وعمه الملك العادل. فأعطى الأخير ابن أخيه حصن جعبر لسكناه . (المقريزي ، المواعظ [ترجمة بلوشية] ص ص ٢٢٩ وما بعدها) .

ويقول ياقوت ، في معجمه (فستنفلد) ، المجلد ٣ ، ص ص ٤٠٢ وما بعدها) « صفين موضع بالقرب من الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس ، وكانت وقعة صفين بين علي ومعاوية في غرة صفر سنة ٣٧ » وفي خلال مئة وعشرة أيام وقعت بينهما تسعون مناوشة .

ويذكر القزويني ، في العجائب (فستنفلد) ، مجلد ٢ ، ص ١٤٢) « ان صفين قرية قديمة البوار من بناء الروم بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي ، وما يليها غيضة ملتفة ذات بزور طولها نحو فرسخين وليس في ذينك الفرسخين طريق الى الماء الا طريق واحد مفروش بالحجارة ، وسائر ذلك غرب وخلاف ملتفة » .

والمسافة من قلعة جعبر الى الرقة سبعة فراسخ . والسهل الفيضي المغمور بالمستنقعات مدار الحديث لا يزال باقيـاً ويمتد مقابل قلعة جعبر حتى بنابلة ابو هريرة .

ويقول ابو الفداء في تقويمه (رينو ودي سلان) ص ٢٦٩) « ان بالس منها الى قلعة دوسر ، المعروفة الآن بقلعة جعبر في شرقي الفـرات خمسة فراسخ . وفي غربي من الفـرات ، مقابل قلعـة جعبر ، ارض صفين التي كانت بها الواقعة بين علي (ع) ومعاوية » .

ويصحح ابو الفضائل، في مراصده (يوينبول) ، المجلد ٢ ، ص ١٦٢)

ياقـوت وذلك بملاحظة إن صفين منطقـة أعلى مـن بالس وتقـع على نصف مرحلة منها على الضفة اليمنى لالفـرات ، بينما تقـع الرقـه شرقي النهر العظيم أسفل من بالس . ويحدد ابو الفضائل في مكان آخر (المصادر نفسه ، المجلد ٢ ، ص ٤٤٢) موضع حصن جعبر عندما يذكر ان المسافة منه الى الفرات ميل واحد تقريباً ، بينما تبعد صفين اكثر من عشرة أميـال صعوداً في النهر من هذا الحصن . ان بيانات ابي الفضائل هذه لم تحفظ بصورة صحيحة . فمن قلعة جعبر الى بالس اربعون كيلومتراً . فإن كانت صفيـن تقع أعلى من هذه البلـدة ، فإنها لا يمكن ان تكون على بعد عشرة أميال من قلعة جعبر . ومن بالس الى ابو هريره سبعة وعشرون كيلومتراً ، أو قرابة نصف مرحلة ، ليس صعوداً بل منحدراً مع النهر . ومن ابو هريرة الى قلعة جعبر اربعة عشر كيلومتراً ، او عشرة أميال بخط مستقيم . وهكذا يؤدي بنا ابو الفضائل ايضاً الى ابو هريرة .

الملحق العاشر

ســـورا أو ســـوريا

وفي اثناء تدهور السلوقيين تغيُّر مسار طرق النقل الكبرى ، فاخذت تدمر تزداد أهمية ، واصبحت تعبر الفرات عنـــد سوريا ، لذلك فقد تمَّ الحفاظ على سجلات كثيرة عن هذه البلدة .

ويذكر بليني ، (التاريخ الطبيعي ، جـ ٥ ، ٨٧) ان الفرات عند سورا يتقرب شرقاً ، تاركاً وراءه صحراء تدمر ؛ ونهر الفـــرات لا يستدير شرقاً عند بلـــدة سورا المسورة بالضبط ، بل على بعد خمسةوسبعين كيلومتراً الى الغرب .

ويذكر بطليموس (الجغرافية ، جـ ٥ ، ١٥ : ٢٥) سورا من بين المدن التدمرية الواقعة على الفرات .

ومن المحتمل ان يكون افيديوس كاسيوس في عام ١٦٥ م قد هزم البارثيين عـــند سورا واستولى عـــلى بلدتي نيقفوريم ودوسرا (سويداس ، المعجـــم ، تحت مـــادة زوكما [بكـــر ، ص ٤٥٩ ، لوميان ، تدوين التاريخ ، ٢٩ ، فرونتو ، رسالة حول الحقيقة ، جـ ٢ ، ١) .

ويسجل جدول بويتنكر (فينَّا ، ١٨٨٨) ، الجزء ١١)ســـوره [كذا] على انها المحطة الاخيرة للطريق الروماني الرئيس مـــن دمشق مـــن طريق تدمر واوروبا (الطيّبة) الى الفرات . وعنـــد سوره تنتهي حدود الامبراطورية الرومانية وتبدأ حدود بلاد البرابرة .

وبعد عام ٢٩٣ م كانت سورا تعود الى إقليم اغسطا الواقعةعلى الفرات وكانت استناداً الى أخبار المشاهير (المشرق ٣٣ ، العدد ٢٨) محـــل إقامة قائد جيش الأسناد الامبراطوري السادس عشـــر .

وفي نهاية القرن الثالث او بداية الرابع للميلاد أخذ قائـــد الحـــرس البلاطيني الاجنبي ، سيرجيوس ، من حصن برباريسوس (بالسن الحالية) الى حصن تترابيرجيوم (قُصير السيله في يومنا هذا) على مسافة تسعة اميال

رومانيه (بولان ، الوثائق الكنسية ، القطع المثمن ، المجلد ٣ ، ص ٨٣٥) .
وكانت قرارات المجمع المسكوني لعام ٤٥١ م قد وقعها المطران اسطيفان من هيرابوليس (منبج) نيابة عن اسقفه المساعد ، شخص اسمه اورانيوس بوليوس سورون (اورانيوس من بلدة سورا) (هاردان : مجموعة القرارات [باريس ، ١٧١٥] ، المجلد ٢ ، ٤٨٥) .
وفي حزيران (يونيو) من عام ٥٠٤ م ، عاد قسطنطين البيزنطي الذي كان قد انضم الى الفرس مخترقاً الصحراء الى سوريا . وعلى مدى اسبوعين سافر مع زوجتيه نهاراً وليلاً دون ان يصادف احداً . ولم يقابل احداً من العرب الا بعد وصوله الى شيلا (ووردت ، شينا) . وقام هؤلاء العرب بمرافقته الى حصن شورا ، ومن هناك الى بلدة اديسا (يشوع العمودي ، المدونه [مارتن] ، ص ٧٥) . وربما تكون شيلا خربة السيلة ، على بعد اثني عشر كيلومتراً جنوب - الجنوب الغربي من شوراء ، وهو الاسم الذي يطلقه السوريون على سورا .
وفي عام ٥١٢م أسهم ماريون ، مطران بلدة شوراء الرومية في مراسيم تكريس المطران سيفيروس في منصب البطريركية (ملاحظات تتعلق بسيفيروس [كوجنر] ، ص ص ٣١٩ و ٣٢١ ، المدونة الصغرى [كويدي] ، ص ٢٢١ ، حياة مشاهير الرجال المونوفيست [بروكس] ص ٤١) .
وكان ماريون مطراناً حتى عام ٥٢١ م ، وقد نُفي في هذا العام (ميخائيل السوري ، المدونة التاريخية [شابو] المجلد ٤ ، ص ٢٦٧) .
ونطالع في حوليات جون ملالاس (منيه ج١٨ ، ١٧٥) أن الامبراطور جستنيان ارسل الى المشرق عدة شخصيات بارزة لادارة امر الدفاع عن بعض المدن ضد الملك الفارسي قباذ الأول (٤٩٦ - ٥٣١) .
ومن بين مدن أخرى أعدت مدن برويه (بروئيا او حلب) وسورون (سورا او سوريا) وكونستانتينا . (قسطنطين) العدة للدفاع عن نفسها .
وفي عام ٥٣١ م طارد بليساريوس مع جيشه الفرس العائدين مع غنائمهم من سوريا . وذهب حتى بلدة سورون (سورا) ، حيث نشبت معركة بين

الطرفين (بروكوبيوس ، الحرب الفارسيه ، ج ١ ، ١٨ : ١٤) .

وفي ربيع عام ٥٤٠م زحف خسرو بن قباذ (المصدر نفسه ، ج ٢ ، ٥ ، كويلدي ، نص جديد [١٨٩١] ، ص ١٣ ؛ حوليات اديسا [هالير] ص ص ١٥٦ وما بعدها ؛ اسيمانوس ، المكتبة الشرقية [روما ، ١٧١٩ — ١٧٢٨] ، المجلد ١ ، ص ٤١٦ ؛ جيمس من اديسا ، القانون [بروكس] ، ص ٣٠٠ ؛ ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٢٨٧) على امتداد الضفة اليمنى للفرات ووصل الى نقطة مقابل حصن قرقيسيا الروماني ، الا انه لم يقم بالهجوم عليه ، كما انه لم يعبر الفرات . وزحف بعد ذلك ثانية الى الحد الذي يستطيع رجل قوي الذهاب اليه في ثلاثة أيام ، ووصل الى امام بلدة زنوبيا على الضفة اليمنى . عندما لاحظ ان المنطقة غير آهلة بالسكان ، وكانت مجدبة ولا اهمية لها البته ، قام بمحاولة اقناع اهل البلدة على الاستسلام . وعندما أخفق في مسعاه هذا واصل سيره . وبعد قطع ما يماثل المسافة بين قرقيسيا وزنوبيا ، وصل الى بلدة سورون (سورا) على الفرات وأمر بالاستيلاء عليها عنوة . فصد القائد ارساكيس الهجمة الاولى ، ولما قتل تمكن الفرس من دخول المدينة التي انتهبوها وأخذوا جميع اهليها اسرى .

ويقول بروكوبيوس (المباني ، ج ٢ ، ٩ : ١ وما بعد) ان تحصينات سورون بوليسما (بلدة سورا الصغيرة) كانت ضعيفة جداً بحيث انها لم تقاوم خسرو اكثر من نصف ساعة. لذا امر الامبراطور جستنيان باعادة تعمير البلدة واحاطتها بسور قوي وتجهيزها بمختلف المتطلبات الدفاعية الأخرى.

وفي عام ٥٤٣م كان شخص يدعى سيرجيوس مطراناً لشوراء (ابن العبري ، المدونة الكنسية [ابيلوس ولامي] ، المجلد ١ ، العمود ٢١٥) .

ويدون انطونين من بياجنزا ، في رحلته (كير) ، ص ١٩١) كيف انه (انطونين) قدم من برباريسو (برباليسوس ، بالس الحديثة) الى بلدة سراس (سرا) التي يخترقها نهر الفرات ، وعبره هناك فوق جسر

وفي هذه البلدة تم تعذيب القديسين سيرجيوس وباخوس حتى الموت ويرقد القديس سيرجيوس على مسافة اثني عشر ميلاً أبعد في صحراء السراقنة

عند بلدة تترابيرجيو . وقد عُذّب باخوس في برباريسو (بالس)، وسيرجيوس في الرصافة حيث دفن هناك ايضاً . وفي تترابيرجيو ، التي تدعى الآن بقُصير السيلة ، قضى الأخير الليلة فقط .

وورد ذكر بلدة سرا الصغيرة في نهاية القرن السادس في كتاب نيقفورس الموسوم بـ (حياة القديس سيمانوس الأصغر (منيه) ، العمود ٣١٨٤) .

وفي عام ٦٥٧ م قطع الخليفة علي الفرات ثم دعا زياد بن النضر وشريح بن هانيء فسرحهما امامه نحو معاوية على حالهما التي كانا خرجا عليها من الكوفة ، قال وقد كانا حيث سرحهما من الكوفة اخذا على شاطيء الفرات من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات ، فبلغهما اخذ علي طريق الجزيرة ، وبلغهما ان معاوية قد اقبل من دمشق في جنود اهل الشام لاستقبال علي ، فقالا لا والله ما هذا لنا برأي ان نسير وبيننا وبين المسلمين وامير المؤمنين هـذا البحر ، ومالنا خير في ان نلقى جنـود اهل الشام بقلة من معنا منقطعين من العـدد والمدد ، فذهبوا ليعبروا من عانات ، فمنعهم اهل عانات وحبسوا عنهم السفن ، فاقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت ، ثم لحقوا علياً بقرية دون قرقيسيا ، وقـد ارادوا اهل عانات فتحصنوا وفروا ، ولما لحقت المقدمة علياً قال ، مقدمتي تأتيني مـن ورائي ، فتقدم اليه زياد بين النضر الحارثي وشريح بين هانيء فاخبراه بالذي رأيا حين بلغهما من الامر ما بلغهما ، فقال سددتما ، ثم مضى علي ، فلما عبر الفرات قدمهما امامه نحو معاوية ، فلما انتهيا الى سور الروم لقيهما ابو الاعور السلمي عمرو بن سفيان في جند من اهل الشام » (الطبري ، التاريخ [دي خويـه] ، السلسـلة ١ ، ص ص ٣٣٦٠ ومـا بعـدها) .

وسور الروم هي الترجمة العربية الصحيحة للاسم السوري شوراء الرومانية . ولم يكن ياقوت ، في معجمه (فستنفلد) ، المجلد ٣ ، ص ١٨٤) على علم ببلـدة شوراء ويذكر فقط انها ، استنادا الى ابي الحسن الادريسي ، موضع بالجزيرة ، وتلفظ سوراء .

واوردها البتّاني (الزيج (نلّينو) ، الجـزء ٣ ، ص ٢٤٠) بصيغة سوراء ، محدداً موقعها الجغرافي على خط العرض ٣٦° وخط الطول ٣٠َ ٨٠° .

ويذكر ابن العبري (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، الاعمدة ٥٤٥ وما بعدها) حتى وقت متأخر ، اي عام ١٤٧١ م ، دير مار ابي عند شوراء .

الملحق الحادي عشر

نيقفوريم ، كالينيكوس ، والرقــة

كان سترابون (الجغرافية ، حـ ١٦ ، ١ : ٢٧) على علم بنهر يسمى باسيليوس بين الفرات ودجلة . وفي اقليم انثيموسيا كان يعرف نهــراً اســمه ابوراس . وفـي باسيليوس يختــفي الاســم بليخــوس .

امــا راويــة ســترابون ، الــذي كــان يعــرف الارامــية ، فقرأ الاســم مليخوس (ملك) وترجمه عــلى انــه باسيليوس . وتقــع بــلدة انثيموسيا . (ايسيدور الكرخــي : المحطات البارثية [ملــر] ، ص ص ٢٤٤ وما بعدها) على الطريق من زوكما ـ افاميا الى اديسا ، على مسافة ثماني سكونات شرقي افاميا ، ومن ثم فهي بعيدة عن حوض نهــر ابوراس ، او الخابور لقد حافظ نهر بليخوس على اسمه الى هذا اليوم ، اذ يدعى الآن البليخ .

ويمكن ارواء السهل الفيضي على الضفة اليسرى للفرات من البليخ ومــن قنوات آخذة من الفرات نفسه. ويمكن البرهنة على ان هذا السهل كان في زمن ما اكبر بمرتين مما هو عليه اليوم ، منذ غيّر الفرات مجراه ، وذلك بنظرة على ارض المستنقعات الواسعة التي على الضفة اليمنى للنهر في هذه المنطقة . ومن بين الانهار على الضفة اليسرى يعتبر نهــر الهني والمري من اكثرهما اهمية . وظل الاسم الأخير باقياً حتى العصور الوسطى في اســم البلدة التي كانت المنطقة

المحيطة تعود اليها في وقت ما . ويمكن تحديد موضع مدينة مري هذه بين الضفة اليسرى لنهر المري والبليخ. ومنذ ان امتد خط تجاري مهم بمحاذاة الأخير من بلاد ما الجزيرة العليا الى الفرات ومنذ ان عبر خط آخر عند مري متابعاً الضفة اليسرى للفرات ، فإن أهل المري وقد كانت تدعمهم ارض خصبة يسيطرون عليها ، كان في امكانهم الهيمنة بسهولة على القوافل التجارية وكذلك على القرى الاخرى الأقل ثراء على امتداد الفرات . فلا عجب اذن ان تكون مدينة مري قد سيطرت منذ وقت مبكر يناهز ختام الألف الثالث قبل الميلاد على النصف الأعلى للفرات الاوسط كله كما سيطرت خانه (ريماعانه) على النصف الأسفل (هرتزفلد ، خانه ومري [١٩١٤] ، ص ١٣٦) . وعلى موقع مرى القديم او بجانبه عند مصب البليخ في الفرات كانت تقع المدينة المشهورة نيقفوريم (ايسيدور الكرخي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧) .

ويروي ابيان (تاريخ سوريا ، ٥٧) ان سلوقس نيقاتور (٣٠١ — ٢٨١ ق.م) اسس عدة مدن في سوريا ومنحها اسماء اغريقية او مقدونيه ، ومنها نيقفوريم في بلاد الجزيرة . ومن المؤكد ان بلدة كانت قد وجدت عند هذا المكان من قبل . وكانت تدعى ماري (اونكر ، نقوش بارزة على مسلة اداد نيراري [١٩١٦] ، لوحه ٢ ، السطر ٢٣ ، ص ١٠) ، وبقي الاسم متداولاً باسم قناة مري (ميخائيل السوري في مدونته [شابو] ، المجلد ٤ ، ص ٤٥٧ ، البلاذري في فتوحه [دي خويه] ، ص ١٨٠) . اما ان الأغريق كانوا يفضلون تغيير الأسماء المحلية فكانت حقيقة معروفة اذ ذاك لدى بوسيدونيوس (سترابون ، المصدر السابق ، ح ١٦ ، ٤ :٢٧) ، إلا ان اميانوس مارسيلينوس (المصدر السابق ، ح ١٤ ، ٨ : ٦) وجد في مصادره ملاحظة مفادها ان سلوقس نيقاتور والذين جاووا من بعده ، مع انهم كانوا يغيّرون اعتباطاً اسماء مواقع كثيرة ، فانهم لم يمحوا الاسماء الأصلية التي ظلت مستعملة .

ويعزو ايسيدور الكرخي (المصدر السابق) تأسيس نيقفوريم الى الاسكندر الكبير ، كما فعل بليني ايضاً الذي ذكر في تاريخه الطبيعي (حـ ٦ ، ١١٩) انه بالقرب من الفرات تقع نيقفوريم التي بناها الاسكندر بعد ان تبين له أهمية الموقع . ولا نملك اي دليل قاطع على ان الاسكندر قد وصل في وقت ما الى فم نهر البليخوس ، ولذا لا يتسنى لنا الحكم بأنه هو الذي أمر ببناء مدينة نيقفوريم . ان رواية مماثلة نشأت عن مدن أخرى على امتداد الفرات ، وكل منها ينسب تأسيسها الى الاسكندر ، برغم اننا نعرف دون شك ان الأمر لم يكن كذلك .

وعند مصب البليخوس في الفرات ، اي قرب الموضع الذي كانت نيقفوريم تقع فيه ، نشأت فيما بعد كالينيكوس (اميانوس مارسلينوس ، المصدر السابق ، حـ ٢٣ ، ٣ : ٧) .

وتعزو حوليات باسكاله (منيه) ، العمود ٤٢٩ ، وميخائيل السوري ، في مدونته (شابو) ، المجلد ٤ . ص ٧٨) تأسيس هذه المدينة الى سلوقس الثاني كالينيكوس (٢٤٧ — ٢٢٦ ق . م)وذلك اما في عام ٢٤٤ أو ٢٤٢ ق . م .

ويقول ليبانيوس ، في رسائله (حـ ١ ، ٢٠) ان مدينة كالينيكوس الواقعة على الفرات سميت نسبة الى استاذ البلاغة كالينيكوس الذي أقام هناك . — عاش استاذ البلاغة هذا ، وهو من أهل (بطرا) ، في زمن حكم كاليينوس ، حوالي ٢٦٩ م . ومما يُشك فيه كثيراً ان يكون المسيحيون (وكان عدد كبير منهم في المدينة في وقت مبكر يرجع الى القرن الثالث والذين احكموا السيطرة عليها في القرن الرابع) قد وافقوا واحتفظوا للمدينة بالاسم الجديد المعطى لها نسبة الى استاذ البلاغة الوثني . ويبدو انه وجدت بلدتان عند مصب نهر البليخوس في الفرات منذ زمن سحيق : اولاهما وهي التي اعاد بناءها سلوقس نيقاتور ، سميت نيقفوريم ؛ والثانية ، وهي التي اعاد تعميرها

سلوقس الثاني (كالينيكوس) سميت كالينيكوس . وكانت نيقفوريم لعدة قرون اكثر اهمية من كالينيكوس ، الا ان الامر انعكس فيما بعد لصالح المدينة الثانية التي بدأت بالانتعاش الى حد كبير . واخيراً ، في القرن الثالث للميلاد اضمحلت نيقفوريم بوصفها مدينة ، وبقيت مجرد ضاحية من ضواحي كالينيكوس . ان هذا الامر يؤيده الكتاب العرب ، وبوجه خاص شعراء ذلك العهد قبل زمن العباسيين ، الذين يطلقون على المدينتين اسم الرقتين ، ويدعون واحدة بالرقة «السوداء» ، او «المحترقة» ، والأخرى الرقة «البيضاء» . ويدعون الرقة البيضاء ايضاً بالاسم القديم كالينيكوس . ومن هـذا استنتج ان المدينة « السوداء » او « المحترقة » كانت نيقفوريم القديمة .

ويحدد درويسن ، في تاريخه (١٨٧٨ المجلد ٣ ، حـ ٢ ، ص ٣١٠) موقع كالينيكوس في خرائب هرقلة ، الا ان هرقلة كانت قصراً بناه الخليفة هارون الرشيد لحسناء بيزنطية رفيعة الأصل ، كان قد اخذها أسيرة (ياقوت ، المعجم [فستنفلد] ، المجلد ٤ ، ص ٩٦٢ ؛ الطبري : التاريخ [دي خويه] ، السلسلة ٣ ، ص ٧١٠) .

وكان كراسوس في عام ٥٤ ق . م يستولي بسهولة على مدن تسكنها غالبية اغريقية ، كما كانت الحالة مع نيقفوريم (كاسيوس ديو ، التاريخ ، حـ ٤٠ ، ١٣) .

ويروي فلورس في الخلاصة (، حـ ٣ ، ١١) أنه حينما خيم كراسوس عند نيقفوريم زاره هناك مبعوثو روديس .

واستناداً الى سترابون (المصدر السابق ، حـ ١٦ ، ١ : ٢٣) فقد عاش في المنطقة الخصبة جداً الواقعة بين زوكما في كوماجين وزوكما القديمة بالقرب من ثبساكوس شعب سماه المقدونيون باسم مكدونيس . وكانت في منطقتهم مدن نسيبيس وتكرانوسيرتا وكارهي ونيقفوريم : الخ .

وكان بليني (المصدر السابق ، حـ ٥ ، ٨٦) ايضاً يعلم بمدينة اسمها نيقفوريم في ولاية الجزيرة .

واستناداً الى بطليموس (الجغرافية ، حـ ٥ ، ١٧ : ٥) فإنّ نيقفوريسم كانت تقع على الفرات في بلاد الجزيرة .

ويدون كل من يوتروبيوس في موجزه (حـ ٩ ، ، ٢٤) وثيوفانيس في الكرونوغرافيا (منيه) ، العمود ٦٩ (أن كاليريوس ماكسيميانوس هُزم هزيمة تامة في عام ٢٩٧ بين مدينتي كالينيكس وكارهي .

ويدونّ ليبانيوس (المصدر السابق ، حـ ١ ، ٢٠) أنّ حامية كالينيكوس لم تستطع تموين نفسها ، فكان على حاكم اقليم الفرات ان يمونها .

وفي عام ٣٦٣ قام اميانوس مارسلّينوس بزيارة كالينيكوس ووصفها بأنها حصن ضخم وانها هامة باعتبارها مركزاً تجاريا (المصدر السابق ، حـ٢٣ ، ٣ : ٧) .

ويذكر يورانيوس ، في الشذرات (ملّر) ، ص ٥٢٩) الاسم القديم نيقفوريم ويضيف الى ذلك ان المدينة تدعى ايضاً (قسطنطينة) وانها تقع قرب اديسّا .

وفي عام٣٩٣ أشعل المسيحيون النار في الكنيس اليهودي في كاستروم كالينيكوم . فأمر الامبراطور ثيودوسيوس مطران تلك البلدة ان يعيد بناء الكنيس . واستجابة لهذا قام المطران امبروز من ميلان بالكتابة الى الامبراطور مشتكياً ان اليهود سبق لهم أن أحرقوا كنائس متعددة دون ان يدفعوا شيئاً لاعادة بنائها (امبروز ، رسالة الى ثيودوسيوس [منيه] ، الاعمدة ١١٠٥ وما بعد) .

وقد حضر داميانوس مطران كالينيكوس المجمع المسكوني(٥٤١ م) ووقع على رسالة مطارنة إقليم اوسروئين الى الامبراطور ليو (منسي ، المجمع [١٧٥٩ ــ١٧٩٨] ، المجلد ٦ ، العمود ٥٧١ ؛ المجلد ٧ ، العمود ٥٥٣) .

وفي عام ٤٦٥ــ٤٦٦ م قام الامبراطور ليو باعادة بناء مدينة كالينيكوس

في اقليم اوسروئين ، واطلق عليها اسم ليونتوبوليس ، ونصّب مطراناً فيها (ابن العبرى التاريخ السوري [بيجان] ، ص٧٧ ؛ اسيمانوس ، المكتبة الشرقية [روما ، ١٧١٩ — ١٧٢٨] ، المجلد ١ ، ص ص ٢٥٨ و ٤٠٥ ؛ تاريخ اديسّا [هالير] ، ص ١٥٢) .

وفي اواخر عام ٥٠٣ م كن الملك الفارسي قباذ الأول عائداً بحذاء الفرات من اراضي بلدة سروج . وعندما وصل الى كالينيكوس أمر أحد قادته بمهاجمة البلدة . فنفذ القائد ما أمر به ، الا أنه فوجيء بالقائد الروماني تيموستراتس الذي اخذه اسيراً . ثم هدد قباذ بمحاصرة كالينيكوس وتدميرها تدميراً تاماً إن لم يطلق تيموستراتس الاسير . فقام تيموستراتس بتنفيذ ذلك . (يشوع العمودي ، المدونة [مارتن] ، ح ٥٥ ؛ اسيمانوس ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٢٧٦) .

وفي بداية القرن السادس للميلاد ورد ذكر الديرين مار زكاي وقدر او عمود ، بالقرب من كالينيكوس (حياة مشاهير الرجال المنوفيست [بروكس] ، ص ٣٨ ؛ ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد٤ ، ص ص ٤١٤ وما بعدها) .

وفي عام ٥٢٩ م اصدر جستنيان امراً ان تنحصر اعتباراً من ذلك التاريخ فصاعداً جميع الأعمال التجارية بين البيزنطيين والفرس في المدن الثغرية نصيبين وكالينيكوس وارتاكساتا فقط ، وذلك لمنع التجار البيزنطيين من التجسس في الامبراطورية الفارسية ، والتجار الفرس من القيام بنفس العمل في الامبراطورية الرومانية (. مجموعة قوانين جستنيان ح ٤ ، ٦٣ : ٤ ؛ [كروكر] : ص ١٨٨) . ومن الطريف ان نلاحظ ان جستنيان لا يعترف باسم ليونتوبوليس الذي اطلقه سلفه على كالينيكوس .

ويحسب ثيودوسيوس ، في كتابه موقع الارض المقدسة (كيتر ، ص ١٥٠) المسافة من كالونيكو (كالينيكوس) الى قسطنطينية ستين ميلاً

ومن قسطنطينبه الى اديسا ثمانين ميلاً . وفي المدينة الأخيرة عاش الملك ابجر الذي كتب الى اليسوع المسيح .

ويذكر هيروقليس (في حوالي ٥٣٥ م) ان من بين مدن ابرشية اوسروئين مدينة ليونتوبوليس او كالينيكيه [بركهارد] ، ص ٣٩) .

ويروي بروكوبيوس ، في كتابه الحروب الفارسية (حـ ٢ ، ٢١) ، ان كسرى استولى في عام ٥٤٢ م على كالينيكوس بسهولة كبيرة . ولما كانت التحصينات متداعية في بعض الاماكن ، فان جستنيان كان قد أمر باعادة بنائها (المؤلف السابق ، المباني ، حـ ٢ ، ٧) . وكانت الخطة أن يتم ذلك بهدمها جزءاً فجزءاً واعادة بنائها في الحال . وعندما لم يتمكن كسرى من الاستيلاء على سيرجيوبوليس ، فإنه أمر بمد جسر قوارب على الفرات ، وبهذا اقترب من كالينيكوس ، ودخل المدينة من موضع كان الجدار فيه قد هُدم آنذاك تماماً . فإلتجأ الجنود والأهلون الاكثر ثراءً الى محل آخر ، الا أن المدينة كانت مكتظة بالفلاحين من المنطقة المجاورة . الذين اتخذوا اسرى وهدمت المدينة ، ولكن جستنيان سرعان ما قام بتحصينها ثانية (جيمس الرهاوى ، القانون التاريخي [بروكس] ، ص ٣٠٠ ؛ ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٢٨٧) .

وكان المطران العلامة كيرياك الآمدي (٥٧٨ — ٦٢٣) يأتي من دير مار زكاي في كالينيكوس (المصدر نفسه ، ص ٣٩٩) .

وفي المجمع الكنسي الذي عقد في دير مار حنانيه : الواقع في الصحراء بين بربالسيوس وكالينيكوس تمّ انتخاب القس الشاب بطرس ، ابن بولص من كالينيكوس ، بطريركاً لانطاكية (المصدر نفسه ، ص ص ٣٧٠ و ٣٧٩ ؛ ابن العبرى ، المدونة الكنسية [ابيلوس ولامى] ، المجلد ١ ، العمود ٢٥٠ ؛ يوحنا من افيسوس ، التاريخ الكنسي ، حـ ٤ ، ٢٢) .

وبعد ارتقاء الامبراطور جستين الثاني العرش قام بارسال الشريف الروماني يوحنا من كالينيكوس مع هدايا الى كسرى : وعند عودته عُقد مجمع كنسي في دير مار زكاي . وفي هذه الفترة ورد ذكر مار قيروس في كالينيكوس . (ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ص ٣٣١ و ٣٣٤) .

وفي بداية القرن السابع (٦٠٢ م) يستخدم جورجيوس قبريوس (الوصف [جلتسر] ، ص ٤٥) في قائمة مدن ابرشية اسروئين الاسم الاقدم كالينيكوس ولكن يضيف انها تسمى ايضاً ليونتوبوليس .

ويذكر دنحا (تاريخ مروثا [ناو] ، ص ٧٠) قبل عام ٦٢٩ بقليل دير زكاي في كالينيكوس .

وفي عام ٦٣٩ م استولى المسلمون على كالينيكوس او الرقه ، كما كان الكتاب السريان يدعونها ايضاً . فقد ارسل قائدهم ، «عياض طليعة الى الرقة ، فاغاروا على حاضر كان حولها العرب وعلى قوم من الفلاحين فأصابوا مغنماً ، وهرب من نجا من اولئك فدخلوا مدينة الرقة . واقبل عياض من عسكره حتى نزل باب الرها .. فلما مضت خمسة ايام اوستة وهم على ذلك ارسل بطريق المدينة الى عياض يطلب التعاون ، فصالحه عياض على ان أمّن جميع اهلها على أنفسهم وذراريهم واموالهم ومدينتهم » ، (ايليا النصيبي : المدونة التاريخية الكبرى [بروكس] ، ص ١٣٣ ؛ البلاذري ، الفتوح ، [دي خويه] ، ص ص ١٧٢ وما بعدها وص ١٧٥)

وفي حملة علي بن ابي طالب على معاوية في عام ٦٥٦ م « خرج علي من النخيلة بمن معه ، فلما دخل المدائن ... فلما انتهى علي الى الرقة قال لاهل الرقة اجسروا لي جسراً حتى اعبر من هذا المكان الى الشام . فبعثوا اليه انا ناصبون لكم جسراً فأقبلوا ، وجاء علي فنصبوا له الجسر ، فعبر عليه بالاثقال والرجال » (الطبري ، التاريخ [دي خويه] السلسلة ١ ، ص ٣٢٥٩ ؛ ابن مسكويه ،

التجارب [كايتاني] ، ص ٥٧١ .) وتنطبق النخيلة على خان ابن نخيلة الذي يبعد مسافة ستين كيلو متراً شمال — الشمال الغربي للكوفة . والمدائن هي التسمية العربية لطيسفون والمدن المجاورة ، وهي ضواحي ساوقية السابقة .

ويذكر ابن قيس الرقيات ، في ديوانه (رودوكناكيس) ص ٢٢٢ ، انه حوالي عام ٦٩٠ كانت بلدتا الرقة والتلّس — مهجورتين ، كأن لم يسكن بهما أحد ، وحتى الدير بالقرب من بليخ كان خالياً وارتفعت جدرانه العالية كنصب تذكاري لشعب بائد . ويقول في موضع آخر (ص ٢٨٥) انه ، اثناء رحلته من الجنوب الغربي او الجنوب لاح له جبيل البشر بالتدريج ثم الرقة السوداء اخيراً .

أما ان هذه القرى المتعددة حول الرقة كانت مهجورة وأنه لذلك اضطر أناس كثيرون الى مغادرة بلد الرقة ، فذلك مما نقف عليه من مصادر عربية أخرى . واما القول بأنه لم يكن فيها سكان على الاطلاق فانه ولاريب من قبيل مبالغات الشعراء . ومن المحتمل ان تكون التلّس اسماً محرفه الشعراء كالينيكوس . ومما لاريب فيه ان الدير القائم بالقرب من البليخ مطابق لايسر استونا او الدير (ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٤١٤) ، الا انه حتى هذا لم يكن مهجوراً آنذاك . ويضع رودوكناكيس (المكان نفسه ، ملاحظة ٣) دير الجاثليق (كاليكوس ، على دجلة ، وهو امر مستحيل على الاطلاق ؛ والبشر هو جبيل البشري الحالي ؛ والرقة السوداء كانت إحدى المدينتين السابقتين ، ولعلها نيقفوريوم . وكانت المدينة الثانية تسمى الرقة البيضاء ، وقد ورد ذكرها على ان الشاعر الأخطل . في ديوانه (الصالحاني ص ٣٠٤) الذي يصف بريق ابراجها .

وقد أمر الخليفة هشام الذي آلت اليه المنطقة المجاورة للرقة على

شكل اقطاعية بتطهير نهري المني والمري وذلك في بداية القرن الثامن الميلادي ، كما تأسست عدة مدن على ضفافهما ، وشيد جسر على الفرات (ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٤٥٧ ؛ المنسوب لديونيسيوس من التل محرى ؛ المدونه [شابو] ، ص ص ٢٦ و ٣١ ؛ ابن الطبري ، التاريخ السرياني [بيجان] ، ص ١٥٦) .

وفي عهد مروان الثاني (٧٤٤ — ٧٥٠ م) ورد ذكر اسم يوحنا مطران كالينيكوس ، الذي انتخب بطريركاً في عام ٧٦٠ م (ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، ص ٤٦٨ ؛ المنسوب لديونيسيوس التل محري ، المصدر السابق ، ص ٧٠ ؛ ابن الطبري ، التاريخ الكنسي [ابيلوس ولامي] ، المجلد ١ ، العمودان ٣٢١ و ٣٢٣ ؛ ايليا النصيبي ، المصدر السابق ، ص ١٧٦) .

وفي عام ٧٧٢ م شيد الخليفة المنصور مدينة الرافقة بالقرب من كالينيكوس . وأمر هارون الرشيد باحاطتها بسور آخر (ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ص ٤٧٦ و٤٨٣ ؛ المنسوب لديونيسوس من تل محري [لطلها تل محرق] ، المصدر السابق ، ص ص ١٢٠ وما بعدها ؛ اليعقوبي ، التاريخ [هوتسما] ، المجلد ٢ ص ٤٣٠) .

وفي عام ٧٩٣ م أنتخب كيرياك بطريركاً ، وهو راهب من دير بيزونا ، او استونا ، (عمود) في كالينكوس ابن الطبري : التاريخ الكنسي (ابيلوس ولامي) ، المجلد ١ ، العمود (٣٢٩) .

ويذكر ابن الطبري المصدر السابق ، المجلد ٢ ، العمود ٢٠٥) انه في سنة ٨٧٢ كانت كنيسة القديس توماس تعود الى اهالي تكريت المقيمين بالرقة . وفي عام ٨٧٣ دفن البطريرك يوحنا في دير مار زكاي ، حيث كان زاهداً فيما سبق (المصدر نفسه ، المجلد ١ ، العمودان ٣٨٥ و٣٨٧) .

ويذكر ابن الفقيه ، في البلدان (دي خويه) ، ص ١٣٢) ان الرقة في ديار مضر . .

ولم يكن للرافقة اثر ، وانما بناها المنصور على بناء مدينة بغداد ، ورتب فيها جنداً من اهل خراسان

ويقول ابن سيرابيون ، في العجائب (اوسترنج) ص ١٢) ان نهر البليخ اوله من ارض حران من عين يقال لها الذهبانية يدر فيسقي ضياعاً ورساتيق ويمر في ظهر مدينة الرقة ويصب في الفرات اسفل من الرقة السوداء في الجانب الشرقي»

ويذكر الاصطخري في مالكه (دي خويه) ص ٧٥ فيما يعد ، ديار مضر فان الرقة اكبر ما فيها من المدن ، والرقة والرافقة مدينتان متلاصقتان ، وفي كل واحدة منهما مسجد جامع ، وهما على شرقي الفرات كثيرتا الاشجار والمياه في مستوى ، وفي غربي الفرات بين الرقة وبالس ارض صفين وبالرقة موضع يقال كان بيت علي ايام صفين .

وبالاضافة الى الرقة ، مركز ديار مضر ، يذكر المقدسي ، في احسن التقاسيم (دي خويه) ص ص ١٣٧ و ١٤١) ايضاً المدن المحترقة : الرفقه (الرافقه) وخانوقة الحريش وتل محرى (١٢) . والرقة حصن عريض يسير على متنه فارسان ، غير كبيرة ، ولها بابان ، غير انها طيبة نزهة، قديمة الخطة ، حسنة الاسواق ، كثيرة القرى والبساتين والخيرات ، ومعدن الصابون الجيد والزيتون ، ولها جامع عجيب ، وحمامات طيبة . قد خلت اسواقها وبرقعت قصورها ، وانتشر في الاقليمين ذكرها ، فالشام على تخمها والفرات الى جنبها ، والعلم كثير بها ، الا ان الاعراب بها . والنسر ... اليها ... والرقة المحترقة قريبة منها قد خفت وخربت.

والرافقة في ربض الرقة : الجامع في الصاغة ، وجامع الرقة في البزازين ، فيه شجرتا عناب وشجرة توت ، وبالقرب مسجد معلق على عمود »

ويكتب الشابشتي الديارات (مخطوطة برلين) ، ورقة ٩٥ الوجه المقابل) ان «دير زكاي يقع في الرقة على الفرات ومن جنبيه نهر البليخ

وهو من احسن الديارات موقعاً وانزهها موضعاً ، وكانت الملوك اذا اجتازت به نزلته واقامت به ، لانه يجتمع به كل ما يريدونه من عمارته ونفاسة ابنيته وطيب المواضع التي به ، ونزهة ظاهرة ، لان له بقايا عجيبة ، وبناحيته من الغزلان والارانب وما شاكل ذلك مما يصطاد بالجارح من طير الماء والحبارى واصناف الطير ، وفي الفسرات بين يديه مطارح الشباك للسمك .

وفي شباط (فبراير) ، ١١٣٥ م ، ذهب زنكي الاتابكي من الرقة بطريق العبيدية الى حماة (كمال الدين ، التاريخ [دو مينار] ، ص ٦٦٩) .

وكان ياقوت ، في معجمه (فستنفلد) ، المجلد ٤ ، ص ٩٩٤ ، على دراية بنهري الهني والمري عند الرقه والرافقه . فقد ذكر الهنى والمرى نهران بازاء الرقة والرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك واحدث فيهما واسط الرقة ، ثم ان تلك الضيعه ، اعني الهنى والمرى قبضت في اول ايام الدولة العباسية ، وانتقلت الى ام جعفر وزادت في عماراتها ، قال ذلك البلاذري ، .

وفي نحو ١١٦٧ م كان حنا دنبا مطراناً في كالينيكوس (ابن العبرى ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، العمود ٥٦٥) .

ويذكر الدمشقي (النخبة (ميرن) ، ص ١٩١) ان الرقه هي المركز الرئيس لبلاد مضر . ويفترض ان تكون الرقة البيضاء مدينة رومانية موغلة في القدم . وقام الخليفة المنصور في عام ٧٧٢ ببناء مدينة جديدة بجانبها واطلق عليها الرافقه . ويقال ان المدينة الاولى (اي الرقه البيضاء) كانت قد هدمت ، الا ان اسمها ظل باقياً ولا يزال يستعمل فيما يتصل بمدينه الرافقة . ويجري نهرا الهني والمري بجانب المدينة وعلى ضفافهما قرى . وتعتبر هذه المنطقة المجاورة من اجمل بقاع العالم . واصبحت مدينة حران عاصمة بلاد مضر .

ويروي ابو الفداء ، التقويم (رينو وديسلان) ، ص ٢٧٧) ان الرقة في زمانه (في بداية القرن الرابع عشر) كانت مهدمة ومهجورة تماماً .

ويذكر أوليا جلبي ، التاريخ (ترجمة فون همر) ، المجلد ١ ، خ ١ ، ص ٩٥ سناجق : جماسا وخاربود ودير رحبة وبني ربيعة وسروج وحران ورقه وورها (اواورفه) حيث يقيم الباشا .

الملحق الثاني عشر

برثا وزنوبيا وحلبية

وفي حلبية أحدد موقع مدينة دور كرباتي ، او نيبرتي اشور التي بنيت في عام ٨٧٧ ق . م بأوامر من اشور ناصربال الثالث (الحوليات [رولنسن ، كتابات مسمارية (١٨٦١ — ١٨٨٤) ، المجلد ١ ، اللوحة ٢٤] ، العمود ٣ ، الأسطر ٤٩ وما بعدها ؛ بج وكنكك ، الحوليات [١٩٠٢] ، صص ٣٦٠ وما بعدها ؛ انظر ما سبق ، ص ٢٠١) .

وسمّيت حلبيه فيما بعد زنوبيا ومن ثم الزباء .

ذكر بروكوبيوس في كتابه الموسوم بالمباني (ج ٢ ، ٨ : ٤ — ٨ ،) انه بين إقليم كوماجين الحدودي ، وهو الاسم الذي كان يطلق على اقليم الفرات سابقاً ، والامبراطورية الفارسية تمتد منطقة شاسعة متفرة لا تحتوي على شيء يستحق القتال من اجله وقد بنى كل من الفرس والرومان على حدود هذه الصحراء حصوناً من الآجر التي لم تهاجم قط لانها لم تكن تحمي شيئاً يستثير الطمع في الغنائم . وفي هذه الصحراء امر الامبراطور دقلبانس بناء ثلاثة حصون من الآجر ؛ ومن بين هذه الحصون الثلاثة أمر الامبراطور جستنيان إعادة بناء حصن ممبري (وورد ايضاً مبسري) المنهدم الذي يقع على بعد خمسة أميال رومانية تقريباً من زنوبيا) . ويمكن البحث عن ممبري او مبري ، في خرائب الشيخ مبارك عند محطة التبني الحالية ، على مسافة سبعة كيلومترات من حلبية .

ويدون بروكو بيوس (الحرب الفارسية ، ج ٢ ، ٥ : ٤ — ٧ ، المؤلف نفسه ، المباني ، ج ٢ ، ٨ : ٨ — ٢٥) ان مدينة زنوبيا تقع على مسيرة ثلاثة أيام كاملة من قرقيسيوم . وقد اسسها زنوبيا وسميت نسبة اليها . وزنوبيا هي

زوجة اوديـنوس [اي اذينه] ، ملك سراقنة تلك المنطقة الذين كانوا متحالفين مع الرومان . وبمرور الزمن عندما تحولت التحصينات الى خرائب غادر الأهلون المدينة ، مما اتاح للفرس دخول الاراضي الرومانية متى شاؤوا دون ان يعلم الرومان بذلك إلا بعد وقت طويل . ثم أمر جستنيان بإعادة بناء هذه المدينة واسكان الناس فيها ووضعت حامية قوية هناك وعلى رأسها قائد . ولم تقتصر التحصينات على المدينة القديمة فحسب بل على الروابي المحيطة بها كذلك لكي لا يتعرض الأهلون للرمي من القمم الأعلى منها .

ويجري الفرات بين الاجراف الصخرية العالية القريبة من المدينة . وعندما يفيض النهر يصل الى اسوار المدينة وينخرها . ولهذا السبب امر جستنيان ان يبنى هذا الجزء من الاستحكام بجلاميد حجرية كبيرة وقرّاها اضافة الى ذلك بسد واق من الجلاميد البازلت الضخمة حتى لا يتمكن الماء من الوصول الى الجلاميد الحجرية . وامتدت المدينة شمالاً ، كما تحصن التل العالي الى الغرب منها ، وبنيت كنيسة وحمامات ومبان ذات اروقة . والمسافة من قرقيسياء الى حابية مئة كيلومتر ؛ اذن يحسب بروكوبيوس ثلاثة وثلاثين كيلومتراً للمسيرة الواحدة .

واستناداً الى تاريخ الخلفاء (لاند) ، ص ١٠٦) ففي ٦٠٩ — ٦١٠ م قام الفرس باحتلال ماردين ، ديسا وحران وكالينيكوس وقرقيسيا وكذلك جميع المدن شرقي الفرات التي كانت تشكل خطاً حدودياً . وفي ٦ آب (اغسطس) ، ٦١٠ م عبر شهر براز النهر واستولى على مدينة زنوبيا على الضفة الغربية من الفرات .

ويروي ابن قتيبة (المعارف (فستنفلد) ، ص ٣١٧) ان جذيمة (الاسطوري) خطب الزباء وكانت بنت ملك الجزيرة وملكت بعد زوجها فاجابته فاقبل اليها ، فلما دخل عليها قتلته ، فطلب عمرو ابن اخته وقصير غلامه بثأره فقتلاها وخلفا في بلدها رجلاً ورحبا بالغنائم

فطلب عمرو وابن اخته وقصير غلامه بثأره فقتلاها وخلفا في بلدها رجالاً وجعلا بالغنائم. »
ويروي اليعقوبي (التاريخ (هوتسما) ، المجلد ١ ، ص ٢٣٨) ان المنتقمين لجذيمه استخدموا مكيدة للدخول الى مدينة الملكة الزباء ، اذ قاموا بحمل اربعة آلاف رجل على الفي جمل بهم السيوف ثم ادخلوهم مدينتها وفيهم عمرو وفرق الصناديق في منازل اصحابها وادخل عدة منها دارها ، فلما كان الليل خرجوا وقتلوا الزباء » .
ذكر ياقوت في معجمه (فستنفلد) ، المجلد ٢) ص ٩١٢) وابو الفضائل في مراصده (يوينبول) ، المجلد ١ ، ص ٥٠٤ ، أنّ الزباء مدينة على شاطىء الفرات سميت بالزباء صاحبة جذيمة الابرش » .
وفي حوالي نهاية القرن الثاني عشر هدمت مدينة الزبّاء القديمة ، الا ان عدداً كبيراً من النصب التذكاريه الجميلة ظلت قائمة تثير الاعجاب .
والى الجنوب الشرقي من حلبية عند النقطة التي تأخذ فيها قناة المصران من الفرات تمتد خرائب زلبيه . ان موقعها ذو اهمية كبيرة . وزلبيه تقـع على الحد الغربي لسهل فيضي طويل كان يجهزها بجميع احتياجاتها ،وكانت تسيطر على كل الطرق البرية والمائية للمنطقة ولهذا السبب كان لسكانها الاصليين منـذ بدايـة الألف الأول قبـل المسيح حصنهم الخـاص بهـم وهو الحصن الذي اضدر اشور ناصربال اثناء حملته في ٨٧٧ ق . م (الحوليات [رولنسن ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، اللوحة ٢٤] ، العمود ٣ ، السطور ٢٧ ــ ٥٠ ؛ بج وكنك ، المصدر السابق ، ص ٣٥٣ ــ ٣٦١) امره بتقويته ، وسماه اياه كار ــ آشـور ناصربال . ولنا ان نفترض ان السكان الاصليين اطلقوا على مركزهم الاداري بيرتو (حصن) وان الاسم الرسمي كار ــ اشور ناصر بال كان قد اختفى ، الا ان الاسـم المحلي بيرتو الذي كان يطلق على الحصن الرئيس للمنطقة ظل باقياً (فورر ، تقسيمات ادارية ، ص ١٠٥) .
ونعلم من ايسيدور الكرخي (المحطات الفرثية (ملّر) ، ص ٢٤٧) انه كان يوجد في زلبيه فيما مضى محلة ملكية فيها هياكل لأرتميس

وان الملك دارا بنى قصراً ملكياً ، سميز وحفرت عنده اميس قناة لاري . ولكي يجري الماء من النهر الى القناة ، تم تضييق الفرات بسد مبني بالحجارة . وفي فصل الخريف عندما يقل الماء في النهر ، كانت قوارب كثيرة تتحطم على هذا السد ويحتمل ان الملك دارا طلب بناء قصره الملكي في مركز المنطقة الاداريه ، وان هذا المركز كان بيرثا اي بيرتو الآشورية .

وفي زمن السلوقيين اسس المقدونيون عدداً من القرى على الضفة اليسرى للفرات الأوسط . ويدعو المؤلفون المتأخرون مدينة بيرثا ايضاً باسم مقدونوبوليس ، مما يحملنا على الزعم بان المقدونيين ايضاً توطنوا في بيرثا ؛ ولعل هيكل ارتميس كان نصبا تذكاريا لذلك . ومن الواضح ان الاسم الرسمي الجديد لم يصبح شائعاً عند المواطنين الاصليين قط ، وانه اختفى بزوال الحكم السلوقي ؛ ولم يظهر ثانية حتى العهد المسيحي عندما انعشت الكنيسة استعمال اللغة الاغريقية في منطقة الفرات الاوسط . وهذا يفسر لماذا أغفل ايسيدور الكرخي اسم المحطة الملكية التي يقع هيكل ارتميس فيها .

ويدون بطليموس (الجغرافية ؛ ح ٥ ، ١٩ : ٣) قرية باسم بيرثا إلا انه يضعها على الضفة اليمنى للفرات في بادية الشام جنوب شرقي مصب نهر ابوراس (الخابور) ، وهكذا تكون في منطقة خندانو السياسية القديمة . وبما ان كلمة بيرثا هي تسمية شائعة لحصن وانه كانت عدة اماكن في الاراضي التابعة للفرات الاوسط ودجلة تحمل هذا الاسم ، فلعل بطليموس كان يقصد حصناً آخر .

وكانت مقررات مجلس نيقية في عام ٣٢٥ م قد وقعها شخص يدعى مارياس من مدينة مقدونوبوليس باعتباره أحد مطارنة اقليم الجزيرة . وفي النص السرياني يقرأ اسمه مارا من بيرثا (كلتسر ، اسماء مشاهير الآباء من نيكائيه [١٨٩٨] ، ص ص ٢٢ و ٦٤ و ١٠٢) . ولم يصل إقليم الجزيرة الى الضفة اليمنى للفرات في اي موضع كان ؛ فلا بد اذن

من البحث عــن اسقفية بيرثا ، او فقد و نوبوليس ، على الضفة اليسرى .

وشارك مطران اسمه دانيال من بيرثا (مقدونوبوليتانوس ، باللاتينيه) من ابرشية اسروئين في المجمع المسكوني (٤٥١ م) (ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ١٩٦) . ان اسروئين لـم تصل الى ضفة الفرات اليمنى قط .

وبعد هذا المجمع فُصل يوحنا ، وهو كاهن محلي يلي الاسقف في المرتبة ، ولقد ورد ذكر اسم الكاهن الذي يلي الاسقف بالمرتبة قسطنطين من دير من كفرا بيرثا (المصدر نفسه ص ٢٦٦) . كفرا بيرثا في وثائق ... مونوفيستيه .

(شابو) ، ص ص ١٦٣ و ١٧٣ و ١٨١ و ١٨٤ .

وتسلم المطران سيرجيوس ، من حصن بيرثا الواقع عــلى ضفة الفرات اليسرى ، نحو نهاية عام ٥٠٥ م إعانة مالية من الامبراطور انستاسيوس (٤٩١-٥٠٢-٥١٨) تمكن بها من ترميم اسوار محل اقامته (يشوع العمودي ، المدونة [مارتن] ٩٣) .

ويذكر هيروقليس في كتابه : السينود (بركهارت) ، ص ٣٩ (وجورجيوس كبريوس ، في كتابه اسوسوم بـ) الوصف» (كلتسر) ، ص ٤٥) الاسم بيرثا على انه احد مدن ابرشية روسروانيس (اسروئين) .

الملحق الثالث عشر

فاليكا وقرقيسيوم وقرقيسياء

ان مستوطنة البسيرة الحديثة هي قرقيسيوم القديمة .

يروي ميخائيل السوري في مدونته (شابو) ، المجلد ٤ ، ص ٧٨) ان الملك السوري سلوس ، ويدعى كالينيكوس ، بنى مدينتين على نهر خابورا (او الخابور) سمى احداهما كالينيكوس نسبة له ، والثانية قرقيس .

ويكتب ، ابن العبري (التاريخ السوري [بيجان] ، ٣٨) قرقيسيون بدلاً من قرقيس .

ولا يذكر احد من المؤلفين القدامى الذين نعرفهم بلدة باسم قرقيس ، بناها سلوقس كالينيكوس (سلوقس الثاني ، ٢٤٧ — ٢٢٦ ق . م) . على ان السلوقيين كانوا من اعاظم البناة ولذا فمن الممكن ان يكونوا قد اسسوا بلدة قرقيس اليونانية عند ملتقى الخابور بالفرات ، وهي نقطة تجارية هامة ؛ ومن المحتمل ان كان هناك بلدة محلية قبل ذلك . والاسم اليوناني قرقيس اعاده الى الوجود فيما بعد ديوقليانس بصيغة قرقيسيوم .

ويشير ايسيدور الكرخي ، في المحطات الفرثية (ملر) ، ص ٢٤٨) الى بلدة فاليكا عند مصب خابوراس في الفرات ، ويذكر ان الاسم فاليكا يعني منتصف الطريق ، ويذكر ايضاً بلدة صغيرة محصنة باسم نبكش متصلة بفاليكا .

وفي وصف اريان ، في شذراته ، ح ١٠ (ملر ، ص ٥٨٨) ، ابحار اسطول تراجان على الفرات ، مكاناً كان يطلق عليه فلكا (انظر روس ، دراسات اريانية [١٩١٢] ، ص ص ٥٠ وما بعدها) .

وقد اصاب اسطيفان البيزنطي في قوله (في كتابه الاجناس (ماينكه) ص ٦٥٦) عندما وضح ان فالكا مكان يقع في منتصف الطريق بين ساوقية بياريا وساوقيه في بلاد ما بين النهرين . والمسافة من فلكا الى سلوقيه بياريا بحذاء الفرات تبلغ ٨٤٠ كيلومتراً . ومن هناك الى سلوقيه في بلاد ما بين النهرين ٨٥٠ كيلو متراً . ويحتمل ان يكون اسم فلكا قد اطلقتها القوافل التجارية على البلدة بينما كان الاسم الأصلي : ولاريب ؛ يلفظ بصورة مختلفة تماماً . واری ان فلكا مطابقة لقرقيس اليونانية ، بُنيت للتجار بالقرب من بلدة نبكاث المحلية ؛ وحتى الخرائب الحالية تبدو مقسمة الى نصفين غير متكافئين . ففي النصف الجنوبي او البسيرة الحالية احدد موقع بلدة نبكاث المحصنة ؛ وفي النصف الشمالي ، او المتراص الحالية ، احدد موقع المركز التجاري لقرقيس او فالكا .

ولا بد ان بليني كان يفكر في المركز التجاري لفاليكا حينما ذكر (التاريخ الطبيعي جـ ٥ ، ٨٩) ، ان بلدة فيليسكوم الفرثية تقع قريباً جداً من مدينة سورا الرومانية ، على بعد حوالي عشرة أيام بطريق النهر من سلوقية وعلى نفس البعد من مدينة بابل تقريباً .

ويروي اميانوس مارسلينوس ، جـ ٢٣ ، ٥ : ٢ ، ان الامبراطور دوقليانس أمر باحاطة بلدة قرقيسيوم (قرقوسيوم الصغيرة البائسة بجدار ان عالية مع ابراج وذلك لمنع الفرس من نهب سوريا بسهولة كما كانوا يفعلون حتى سنوات قليلة سابقة . ويستنتج من هذا ان ديو كليشيان لم يبن بلدة جديدة ، بل انه قام بتحصين قرقيسيوم القديمة (اوقرقيس [فاليكا]) فقط ، جاعلاً منها حصناً حدودياً منيعاً . وتمّ وصل بلدة نبكاث ببلدة قرقيش اليونانية وبذلك انتعشت التسمية اليونانية .

وفي عام ٣٦٣ م ، بينما كان الامبراطور جوليان يزحف ضد الفرس ، وصل الى قرقيسيوم ، وهي معسكر روماني على حدود بلاد آشور محاطة

بنهري ابورا (الخابور) والفرات (اميانوس مارسلينوس ، المصدر السابق ج ٢٣ ، ٥ : ٢ ؛ ماكنوس كارهينوس ، الشذرات [ملر] ، ص ص ٤ وما بعدها ؛ زوسميوس ، التاريخ الحديث ، ج ٣ ، ١٣) .

وكان ابراهام ، مطران قرقيسيوم ، من بين من وقعوا على مقررات المجمع المسكوني في عام ٤٥١ م (ميخائيل السوري ، التاريخ [شابو] ، المجلد ٤ ، ص ١٩٩ ؛ هاردوين في مجموعة القرارات [باريس ، ١٧١٥] ، المجلد ٢ ، العمود ٤٧٣ ؛ مانسي ، [١٧٥٩ — ١٧٩٨] ، المجلد ٧ ، العمود ٤٣٢) .

وفي عام ٥٠٢ م ظهر فجأة المناذرة المنحازون للفرس قرب حصن قرقيسيوم الواقعة على الخابور ، الا ان القائد تيمو ستراتيس من مدينة كالينيكوس لحق بهم وأبادهم (يشوع العمودي ، التاريخ [مارتن] ، ص ٥٨) .

وفي مطلع القرن السادس ورد ذكر اسم شخص يدعى نونا من قرقيسيوم باعتباره مطراناً (الحياة الحقيقية لمشاهير المونوفيسيت [بروكس] ، ص ٦١) .

وفي عام ٥٣٦ م وقع داود مطران قرقيسيوم على اعلان المطارنة الشرقيين ضد الاكفاليين (هاردوين ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، العمود ١٢٢٢) .

وفي ظل حكم جستنيان قام المنذر ملك المناذرة الموالين للفرس ، بنهب المناطق الحدودية على امتداد الخابور والبليخ وكذلك استولوا على مدينة حصن (ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ص ٢٧٠ وما بعدها) .

ويقع حصن قرقيسيوم الثغري الروماني على الضفة اليمنى لنهر ابوراس (الخابور) حيث يصب في الفرات ، وكان يشكل بجدرانه المحصنة مثلثاً بين هذين النهرين (بروكوبيوس ، الحرب الفارسية ، ج ٢ ، ٥ : ٢ — ٤) .

ولم يقم دو قليانس بتسوير الحصن بأكمله بل اكتفى بمجرد اقامة

استحكامات خارج المدينة من ابوراس الى الفرات ، مقوّياً إياها ، بالاضافة الى ذلك ، ببرج يطل على كلا النهرين . اما الجهتان الملاصقتان للنهرين فقد بقيتا بدون استحكامات ، لان النهرين وحدهما كانا يشكلان في نظره حماية كافية . وعندما تداعى اساس البرج الجنوبي بجانب ابوراس الى الى الحد الذي اصبح فيه معرضاً للانهيار ، أمر جستنيان باعادة بنائه بحجر البازلت ، وكذلك تمّ تزويد الجانبين المحاذيين للنهرين باسوار وافية ، ورُفعت البلدة الى مرتبة مدينة ، ومُنحت حامية بامرة قائد ؛ وفضلا عن ذلك فقد تمّ بناء حمامات فيها . (بروكوبيوس ، المباني ، ح٢ ، ٦ : ٢ — ١٢ ؛ ايفاكريوس ، التاريخ الكنسي ، ح ٥ ، ٩) .

وفي عام ٥٨٠ م زحف جيش روماني بقيادة موريس ماراً بمدينة قرقيسيوم الرومانية . وكان ينوي قطع بقية بادية الشام ومن تم مباغتة بلاد بابل . الا انه يقال ان الامير الامُندار (المنذر) أخبر الفرس بذلك ، فقاموا بتدمير الجسر على الفرات في اقليم بيت ارمايا . وفي الوقت ذاته ظهر جيش فارسي كان يقوده ادورمسان (وورد ايضا ذرماهان) امام مدينة كالينيكوس . وقام موريس بتدابير مضادة ، فأمر باحراق قوارب التموين التي على الفرات . ثم أسرع مع صفوة من جنده لنجدة المدينة المهددة حتى تمكن من إجبار الفرس على التراجع . (يوحنا الافسوس ، التاريخ الكنسي ، ح ٣ ، ٤٠ ؛ ح ٦ ، ١٦ وما بعدها ؛ ثيوفيلاكتوس سيموكاتا . التواريخ ، ح ٣ ، ١٧ : ٥—١١ ؛ ايفاكريوس ، المصدر السابق ، ح٥ ، ٢٠ .) .

وفي عام ٥٩٠ م كان كسرى الثاني يفر أمام خصمه الأقوى منه (ورهان) على امتداد الفرات بين حصون تابعة للفرس من امثال بيروز شابور (الانبار) وهيت وعانه ، باتجاه قرقيسيوم . وعندما وصل الى قرابة عشرة أميال من هذا المعقل الثغري بعث برسل الى حاكمها برويوس . وبعد مسيرة ثلاثة ليال وصلوا الى امام البوابات سمح لهم الحاكم بالدخول فوراً ، وفي الصباح

التالي دخل كسرى نفسه المدينة مع نسائه واطفاله الرضّع . (نولدكه ، التاريخ السوري [١٨٩٣]، ص ص ٥ وما بعدها ؛ كويدى ، نص جديد [١٨٩٣] ، ص ٧ ؛ ثيوفيلكتوس سيموكاتّا ، التواريخ ، حـ ٤ ، ١٠ : ٤ — ١١ .) .

ويذكـر جورجيوس كبريوس ، الوصف (كيلزر) ، ص ٤٦) من بين مـدن ابرشية اسروئين مدينة قرقيسيا (قرقيسيوم) الواقعة عـلى حدود الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية . »

وفي عام ٦٣٧ م وصل المسلمون من مدينة هيت الى قرقيسياء (قرقيسيوم) وافتتحوا عنوة (الطبري ، التاريخ [دي خويه] ، السلسلة ١ ، ص ٢٤٧٩) .
يذكر البلاذري ، في فتوحه (دي خويه) ، ص ١٧٥ ، ان المسلمين في ٦٣٩ — ٦٤٠ م «فتحوا قرقيسيا صلحاً مثل الرقة » .

وفي عام ٦٨٤ م ورد ذكر يوحنا ، مطران قرقيسيوم او خابورا (الخابور) (ميخائيل السوري ، التاريخ [شابو] ، المجلد ٤ ، ص ص ٤٣٨ و ٤٤٠) . ولذا لم يدع المؤلفون العرب والسريان المدينة بقرقيسياء فحسب بل انهم اطلقوا عليها اسماً مشتقاً من اسم نهر الخابور .

وفي نحو عام ٧٠٠ م فـي زمن الخليفة عبد الملك ، عسكر عمير بن الحُباب مع رجاله القيسيّين بجوار نهر البليخ بين حرّان والرقة ، ومـن هناك قام بغارات عـلى قبائل كلب واليمانية . ، ثم تحوّل بمعسكره الى الخابور . وكانت قبيلة تغلب تعسكر في ذلك الوقت بين أنهار الخابور والفرات ودجلة . هاجم عمير قـرية تغلب عند ماكسين بالقرب مـن نهـر الخابور وعـلى مسيرة يوم مـن قرقيسياء . وبغية الأخذ بالثأر قـام مقاتلو قبيلة تغلب بانتهاب ديـار قبيلة قيس بجوار قرقيسياء . (ابو الفرج ، الاغاني ، بولاق ، ١٢٨٥ هـ] ، المجلد ٢٠ ، ص ١٢٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل [تورنبرك] ، المجلد ٤ ، ص ص ٢٥٤ وما بعدها) .

ويذكر ابن رُسته ، في الاعلاق (دي خويه) ، ص ١٠٦) ،من كــور الجزيرة منها : رأس العين وقرقيسياء والرقـــه .»

ويقول ابن سيرابيون ، العجائب (مخطوطة المتحف البريطاني) الاوراق ٣٢ الوجه الصحيح وما بعدها ، (لوسترنج) ، ص ١٢) ، ان نهري الخابور والهرماس « يجتمعان في البرية والهرماس منصب فيه فيصيران نهراً واحداً . والغالب عليه الى مصبه الخابر ، فيسير فيسقي الضياع التي في شمال قرقيسيا ويصب في الفرات بقرقيسيا في الجانب الشرقي» .

ويقول ابن حوقل في مسالكه (دي خويه) ص ١٣٩) وما بعدها ، و١٥٥) «وعلى ظهر الخابور وبنواحي عرابان وبالبعد من الخابور عن مرحلة مدن كثيره قد غلبت عليها البادية فحكمهم دون اهلها فيها امضى : وامرهم في غلاتهم واموالهم انفذ واعلى كالمجدلية وتنينير والجحشية وطلبان ، وهذه مدن عليها اسوار لا تحصنها ، وقد لجأ الى الخفائر والاذمة اهلها ، فكل من ساقهم تبعوه وكل من خافوه اطاعوه ، فاذا ملك الفرات سلطان قادر امنوا ، واذا ضعف السلطان بنواحيهم هلكوا وغفوا . واما قرقيسيا فمدينة عــلى الخابور ، وبــها بساتين واشجار كثيرة وفواكه ، هي في نفسها نزهة ويجلب من فواكهها وفواكه الخابور الى العراق في الشتاء وان كــان الاحتــلال قد شابها وبينها وبين مدينة الخانوقه يومان » .

ويقول الاصطخري ، في مسالكه (دي خويه) ، ص ٧٤) ان « نهر الخابور الذي يقع الى قرقيسيا ومسافة هذا النهر نحو عشرين فرسخاً قرى ومزارع »

ويدون الادريسي ، في نزهته (ترجمة جوبير) ، المجلد ٢ ، ص ١٤٥ . ان الخابور بلدة على الفرات ، ليست كبيرة ولكنها جميلة المنظر . وهي محاطة باشجار وبساتين فيها فاكهة وخضروات كثيرة .

وفي عام ١٢٢٠ م أصر الملك الأشرف بالقاء القبض على ابن عماد الدين ، حاكم مدينة قرقيسياء ، ومن ثم استولى على بلدة عانة واماكن اخرى تعــود

اليه (كمال الدين التاريخ [ترجمة بلوشي] ، مجلة المشرق باللاتينية ، المجلد ٥ ، ص ٦٣) .

وفي عام ١٢٦٠ م تم تشييد جسر عائم عند قرقيسياء للمغول (ابن العبري ، التاريخ السرياني [بيجان] ، ص ٥٥٤) .

ذكر ابو الفداء في تقويمه (رينو ودي سلان) ، ص ٢٨١) ، ان « قرقيسياء مدينة الزبّاء صاحبة جذيمة الابرش وبها عمارة »

ويذكر الدمشقي في نخبته (ميرن) ، ص ١٩٢) ان نهر الخابور ينبع عند رأس العين وطوله سبعة فراسخ ، وتحاذيه مناطق الصوّار وماكسين وشمسانيه وعرابان وطابان والمجدل وساعا ، وهو يحاذي قرقيسياء ؛ الا ان الاخيرة كانت قد تهدمت قبل عصر الدمشقي (اي بداية القرن الرابع عشر) .

ويذكر حاجي خليفة ، في جيهان نامه (القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ) ، ص ١٤٤) ان مدينة قرقيسياء تقع في ديار مضر على الضفة اليمنى للخابور عند مصبه في الفرات . وقد توفي فيها جرير بن عبد الله البجلي .

* * *

الملحق الرابع عشر

زيثا و دورا و ساوكوراس

كانت المروانية محلة زيثا وهي المحل الذي دفن فيه الامبراطور كورديان .

ويروي يوتروبيوس في الموجز (ج ٩ ، ص ٢) ان كورديان اغتيل غير بعيد عن الحدود الرومانيه بتحريض من فيليب الذي أصبح امبراطوراً بعده . وعند علامة الميل العشرين من قرقيسيوم شيد الجنود ضريحاً تكريماً له ، الا انهم نقلوا جثمانه الى روما .

ويضيف جوليوس كابيتولينوس (في كورديان الثالث ، ٣٤) الى هذا بقوله ان الجنود بنوا الضريح لكورديان عند قرقيوم (ووردت قرقيسيوم) على الحدود الفارسية ونقشوا عليه كتابات اغريقيه ولاتينية وفارسية وعبرية ومصرية . ويقال ان هذا الضريح دمره ليكينيوس فيما بعد .

وفي النصف الاول من القرن الرابع للميلاد كان الراهب الناسك بنيامين يعيش في مدينة دورا المهجورة التي سميت كل الصحراء المحيطة بها نسبة اليها . وأمره ملاك الله (رسول الرب) بان يذهب من هناك الى جبل سنجار الواقعة الى الشرق . (هو فمان ، مقتطفات [١٨٨٠] ، ص ص ٢٨ وما بعدها) و مدينة دورا هي الصالحية والجلابي في وقتنا هذا .

ويدون اميانوس مارسلينوس ، (م ١٣ ، ٥ : ٤ — ٨ ؛ م ١٤ ، ١ : ٥) أنه في عام ٣٦٣ م وصل الجيش الروماني من ابورا (الخابور) الى مكان كان يدعى زيثا ؛ ويعني هذا الاسم « شجرة الزيتون » حيث اقيم نصب للامبراطور كورديان يمكن رؤيته من بعيد . وبعد أن كرّم جوليان سلفه اسرع نحو مدينة دورا المهجورة . وفي الطريق اقتنص الجنود اسداً كبيراً . وتقع دورا على مسافة مرحلتين من قرقرسيوم

(قرقيسيوم) على ضفة النهر . وكانت بضعة قطعان من الغزلان ترعى في المنطقة المجاورة .

ذكر زوسيموس (التاريخ الحديث ، ج ٣ ، ١٤) أن جيش جوليان بعد زحفه مسافة ستين ستاداً (من قرقيسيوم) وصل الى محطة زاوثا ومن هناك وصل الى بلدة دورا القديمة حيث اقيم مشهد لكورديان .

لم ينقل لنا زوسيموس المسافة من بلدة زَيْثا الى قرقيسيوم على وجه صحيح ، كما انه لم يسجل موقع الرابية التي شيد عليها ضريح كورديان على وجه صحيح ، اذ لم يكن الضريح في دورا بل في زيثا . وزوسيموس هو اول من يقرن بلدة زيثا ببلدة دورا : ويعزو للأخيرة احداثاً وقعت في حقيقة الأمر في الاولى . وتقع بلدة زيثا في منطقة دورا التي سمّيت بهذا الاسم نسبة الى بلدة دورا القديمة ، او نيقانوروبوليس ، التي بناها المقدونيون والتي منحها الاغريق اسم اوروبوس (ايسيدور الكرخي . المصدر السابق ص ٢٤٧) .

ويروي الطبري في تاريخه (دي خويه) السلسلة ٢ ، ص ١٧٣٥) ان الخليفة هشاماً «اقطع ارضاً يقال لها دورين ، فارسل في قبضها فاذا هي خراب» ومنطقة دورين هذه مطابقة لصحراء او منطقة دورا .

ويذكر الكتاب المنسوب لديونيسيوس التلمحري : التاريخ (شابو) ص٢٢٦ أنه في عام ٧١٧ — ٧١٨ م أمر هشام بحفر قناة اروائية ، وباعادة تعمير مدن متعددة وحصون وقرى متعددة ، وبزرع اشجار ايضاً كل هذا في منطقة الزيتون . ومنطقة «الزيترن» التي سمّيت نسبة الى بلدة زيثا ما هي الا اسم آخر لصحراء دورين او دورا .

ويذكر البلاذري في فتوحه (دي خويه) ، ص ١٧٩) «اما رصافة هشام فان هشام بن عبدالملك احدثها وكان ينزل قبلها الزيتونة ، وحفر الهني والمرى ، واستخرج القرية التي تعرف بالهني والمرى ، واحدث واسط الرقة »

وبالاستناد الى هذه الرواية فـ ان هشاماً أقام في الزيتونه (شجرة الزيتون) ، بلدة زيثاالرومانية القديمة ، في اقطاعيته دورين او الزيتون . وعندما أصبح خليفة وبنى لنفسه سكناً رائعاً في الرُصافه امر بحفر نهرين المني والمري بالقرب مـن الرقة التي لم تكن بعيدة عن محل سكناه ؛ وهذان النهران يرويان ضواحي الرقة على الضفة اليمنى للبليخ .

تلقى هشام نبأ اختياره خليفة في عام ٧٢٤ــ٧٢٥ م وهو في بيت متواضع في الزيتونه (الطبري المصدر السابق ، السلسلة ٢ ص ص ١٤٦٧ وما بعدها) ــ أي في بلـدة زيثـا .

وفي عام ٧٤٤ ــ ٧٤٥ م (المصدر نفسه ، السلسلة ٢ ؛ ص ص ١٨٩٥ و ١٩٠٧ و١٩٠٨ وما بعدها و١٩١٣) أرسل الخليفة مروان بن محمد قائده ابن هبيرة ، مع عشرين الف جندي اضافي لازحف نحو العراق ، ولكنه أمره بان يعسكر عند دورين وينتظره هناك . ثم زحف مروان من الرُصافه بطريــق الرقة باتجاه قرقيسياء ، وكرر أمره لا بن هبيرة بالبقاء في معسكره قرب دورين . وتقول رواية أخرى أن ابن هبيرة عسكر بجانب نهر سعيد بن عبدالملك . وكلتـا هاتين الروايتين ، برغم اختلافهما في الظاهر ، متفقتان وتؤيدان مـا يـلي من توضيح للظروف . فلا بد أن مروان زحف من الرصافة بطريق الرقة نحو قرقيسياء متبعاً قائده ابن هبيرة . ووفقاً لذلك فانه يجب تحديد موقع الأخيرة الى الجنوب الغربي من قرقيسيا حيث تمتد منطقة دورين بين الضفة اليسرى للخابور الاسفل والفرات . وكان نهر سعيد ـــ اي القناة المنسوبة الى سعيد بن عبدالملك ـــ يتشعب من الفرات على مسافة نحو ثلاثة عشر كيلومتراً الى الشمال الغربي من قرقيسيا لارواء السهل الفيضي على امتداد الضفة اليمنى للنهر نازلاً حتى الطرف الجنوبي لمنطقة دورين . ولا ريب في ان الجيش الذي بقيادة ابن هبيرة عسكر على الضفتين الى الجنوب الغربي من قرقيسياء ، وبهذا جعل جزءاً من معسكره في دورين وجزءاً آخر في منطقة نهر سعيد .

ويذكر ابن خرداذبه في مسالكه (دي خويه ٦ ، ص ٧٤) الزيتونة من بين المناطق الادارية الاكثر اهمية في تلك الفترة . ومن الواضح ان الزيتونة هذه كانت تشير الى المنطقة المجاورة لبلدة زيتا القديمة ومن ثم الى منطقة دورين باكملها . وفضلاً عن ذلك فلما كان هشام الذي ينتسب الى بني مروان قد أقطع منطقة الزيتون (او دورين) اقطاعية ، وأعاد تعمير القنوات مما جعل المساحات الزراعية والمدن والقرى على السواء تزدهر هناك من جديد ، فليس من الغريب ان تبقى ذكرى بني مروان ، السادة السابقين ، حية في نفوس الأهلين ، وأن يُطلق اسم المروانية على مساكن هؤلاء السادة ، أي بلدة زيتا ، تكريماً لهم .

اصدر الخليفة مروان الثاني (٧٤٤ — ٧٥٠ م) امراً بهدم قرى هشام الواقعة على الفرات وفي اماكن أخرى ؛ الا ان الموالين لهشام تراجعوا الى حصنه على الفرات مقابل الرحبة ، ومن هناك تحدوا مروان بطريقة مهينة فجمع مروان بعض الجند على عجل وزحف على حصنهم واستولى عليه وأمر باعدام اربعمائة منهم (اغابيوس : العنوان [فاسيلييف] ، المجموعة الشرقية ٨ ، ص ص ٥١٧ وما بعدها) . ولا نكون موغلين في الخطأ في تحديد موضع حصن هشام في معسكر زيتا الروماني ، زيتونة هشام ، المروانية في يومنا هذا . وتقع الرحبة وهي الميادين الحالية ، قرابة عشرين كيلومتراً الى الشمال الغربي على الضفة اليمنى للفرات .

واستنادا الى العماد (ابو شامة : الروضتين [القاهرة ، ١٢٧٧ — ١٢٧٨ هـ] المجلد ٢ ، ص ٣٢) ، فإن صلاح الدين في اواخر عام ١١٨٢ م استولى على رأس العين ودورين وماكسين والشمسانية والفدين والمجدل والحصين — وجميعها كانت تقع على نهر الخابور الذي عبره ما وراء قنطرة التنينير على الطريق الى نصيبين . ولم تذكر اسماء الاماكن بحسب ترتيبها الجغرافي ، ومن المحتمل ان دورين تمثل المنطقة باكملها ، ومع هذا فليس من غير المحتمل

ان العماد أطلق هذا الاسم على بلدة السُكير التي عندها تتفرع قناة دورين من نهر الخابور .

وتأخذ قناة دورين من الخابور أسفل من بلدة السجر ، السُكير القديمة ، واستناداً الى ابن سيرابيون (العجائب (مخطوطة المتحف البريطاني ، الورقات ٣٢الوجه الصحيح وما بعدها ، (اوسترنج) ، ص ١٢) فان نهر الخابور «يجتمع هو والهرماس في البرية والهرماس منصب فيه فيصيران نهراً واحداً والغالب عليه الى مصبه الخابور ، فيمر فيسقى الضياع التي في شمال قرقيسيا ، ويصب في الفرات بقرقيسيا في الجانب الشرقي . ويخرج من الهرماس ايضاً نهر يقال له الثرثار اوله عند سكير العباس ، ويمر في وسط البريه ويصب في دجلة اسفل من تكريت بعد ان يمر بالحضر ويقطع جبل بارما» . ويقدم لنا ابن سيرابيون حلاً للغز نهر ساوكوراس ؛ فان هذا النهر وفقاً لبطليموس (الجغرافية ، ح ٥ ، ١٨ : ٣) ينبع الى الشرق من خابوراس (الخابور) ويصب الى الجنوب الشرقي منه في الفرات . ان المجرى العلوي لنهر ساوكوراس الذي اورده بطليموس يطابق الهرماس عند الكتاب العرب ، وهو يجري من الشمال الشرقي منضماً الى الخابور الاصلي . وينبع الأخير الى الشمال الغربي . وعند بلدة السُكير على مسافة خمسة عشر كيلومتراً من قرقيسيا يأخذ نهر دورين من الخابور والهرماس المتحدين ، ويجري الى مسافة ١١٢ كيلومتراً الى الجنوب الشرقي حيث يصب في الفرات . ومن الواضح ان بطليموس اعتقد ان هذا النهر كان المجرى الاسفل لساوكوراس ، مشتقاً الاسم من بلدة سُكير ، حيث يتفرع النهر من الخابور . إنه سجل بصورة صحيحة المجزيين الأعلى والاسفل لنهر ساوكوراس ، الا أنه لم يذكر ان النهر في جزئه الاوسط شكل مع الخابور جدولاً واحداً . وكان بطليموس ، مصدر كثير من معلومات البلدانيين العرب والذين ادركوا ادراكاً كافياً ان نهر ساوكوراس عند منبعه كان مطابقاً للهرماس ، وكانوا يعرفون ايضاً أنه لم يجر الى الفرات بصورة مستقلة ، لذلك ربطوا مجراه الاعلى والاوسط بالثرثار الغامض» .

الملحق الخامس عشر

ثيساكوس عند بطليموس والرحبة عند العرب

انني اعتبر الميادين مخاضة ثبساكوس التي حدد مكانها بطليموس في جغرافيته (ج٥، ١٩ : ٣) على ضفة الفرات اليمنى أسفل من فوهة نهر خابوراس (الخابور) (انظر كتابي بادية الشام ، ص ص ٥٠٢ ومابعدها) . وهذا ما تؤكده الرواية الاسلامية التي تذكر ان هذه البلدة كانت تسمى قبل الاسلام فرضة نُعْم . ويقول الطبري في تاريخه (دي غويه) ، السلسلة ١ ، ص ٩١٧) انّ فرضة نُعْم هي رحبة مالك بن طوق .

ويذكر ابن مسكويه في تجاربه (كايتاني) ، ص ٨٧)أنّ رحبة مالك بن طوق كان اسمها قديماً الفرضة .

ويؤكد ياقوت (المصدر السابق : المجلد ٤ ، ص ٧٩٧) انّ نُعْم تقع عند رحبة مالك بن طوق على الفرات وكان بقربها دير نُعْم (المصدر نفسه ، المجلد ٢ ، ص ٧٠٤) . ويقول في موضع آخر ان وادي نعمان في سوريا يلتوي قرب الرحبة (المصدر نفسه : المجلد ٤ ص ٧٩٦) .

والاسم ثبساكوس (بمخاضة) يعني ماتعنيه الكلمة العربية الفرضة ، وكانت الفرضة اول بلدة رومانية صعوداً في الفرات ، بينما كانت القايم اول حصن ثغري فارسي (منحدرين مع الفرات) (الطبري : المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٨٦٠ ؛ ابو الفرج : الاغاني [بولاق ، ١٢٨٥ هـ] ، المجلد ٥ ، ص ص ١٢٣ وما بعدها ؛ البكري : المعجم [فستنفلد] ، ص ٣٥٩ ؛ ابو الفضائل ، المراصد [يوينبول] ، المجلد ١ ، ص ٤٣٧) . —

ويطابق حصن القايم للفارسي محطة القايم الحـاليه عـلى بعد ١٠٦ كيلو مترات الى شرق – الجنوب الشرقي من البادين ، ثبساكوس الرومانية والرحبة عند المسلمين الأوائل .

ويروي البلاذري (الفتوح (دي خويه) ، ص ١٨٠) انه «لم يكن للرحبة التي في اسفل قرقيسيا أثر قديم ، انما بناها واحدثها مالك بن طوق بن عتاب التغلبي في خلافة المأمون» (٨١٣–٨٣٣ م) .

ويقول ابن الاثير ايضاً (الكامل (تورنبرك) ، المجلد ٧ ، ص ١٨٨) ان مالكاً بن طوق التغلبي بنى مدينة الرحبه . وتوفي في عـام ٨٧٣–٨٧٤ م وقد خلفه ابنه أحمد عـلى البـلدة ، ولكنه في عام ٨٨٣ م طرده منها ابن ابي الساج الذي آلت اليه الانبار وطريق الفرات ورحبة طوق (الطبري : المصدر السابق ، السلسلة ٣ ، ص ٢٠٣٩) .

وفي اليوم الثالث من شهر آذار (مارس) عام ٩٢٨ م هاجمت القرامطة مدينة الرحبه ونهبوها واخذوا منها ومما حولها خمسة آلاف اسير (ابن مسكويه ، التجارب [آمدروز] ، المجلد ١ ، ص ص ١٨٢ ومابعدها ؛ عريب ، الصلة [دي خويه] ، ص ١٣٤ ؛ المسعودي ، التنبيه [دي خويه] ، ص ص ٣٨٤ وما بعدها ؛ ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ٨ ، ص ١٣٢) .

وكانت الأعوام التالية حافلة بالقتال المتواصل للاستيلاء على المدينة التي عانت كثيراً نتيجة لذلك . ففي عام ٩٣٨ – ٩٣٩ م وصل جنود كان قـد ارسلهم بجكم حاكم بغداد الى الرحبة في خمسة أيام وقاموا بأسـر الحاكم غيـر الموثوق به وجلبوه عـلى جمل الى بغداد (ابن الاثير : المصدر السابق ، المجلد ٨ ، ص ص ٢٦٦ ومابعدها) .

وفي عـام ٩٤١ – ٩٤٢ م استولى احد رجـال بجكم واسمه عادل ، على الرحبة وعلى جميع منطقة طريق الفرات وكذلك على جزء من الخابور (المصدر نفسه ، ص ٢٩٥) .

وفي عام ٩٤٧ – ٩٤٨ م أصبح جمان التغلبي وهو موظف غير جدير بالثقة عند ناصر الدولة حاكماً على الرحبة . وكان جمان قد تمرد على رئيسه وحاصر مدينة الرحبة ، ولكنه صُد . ثم قام اهالي الرحبة بالهجوم على اتباعه وقتلوا كثيراً منهم انتقاماً لظلمهم . لذلك فقد نكل جمان بأهالي الرحبة عند عودته ؛ ثم طرده بعد ذلك احد رجال ناصر الدولة ومات غرقاً في الفرات وهو يحاول الهرب (المصدر نفسه ، ص ص ٣٥٧ ومابعدها) .

وكان ابناء ناصر الدولة يحسد بعضهم بعضاً على ميراث أبيهم وتحولوا من المشاحنات الى التضارب بالأيدي حوله . وكانت الرحبة من نصيب ابن ناصر الدوله ، حمدان ، الا أنه طرد في ربيع عام ٩٦٩ م وهرب الى العراق . وعندما تصالح مع اخوته عاد الى الرحبة في ربيع عام ٩٧٠ م ، ولكنه اضطر بعد ذلك بوقت غير طويل الى التنازل عن مركزه لأخيه ابي البركات واللجوء الى بادية تدمر فلما زحف ابو البركات على الرقة اقترب حمدان وصحبه من المدينة ليلاً ؛ وتسلق بعض جنده الاسوار وفتحوا البوابة لحمدان ، فدخلوا المدينة ثانية دون ان يعلم بذلك الحاكم الذي كان ابو البركات قد عينه . ثم امر حمدان باستنفار المدينة وذلك بالنفخ بالقرون وقرع الطبول فهرع المدافعون الى الأسوار لأنهم اعتقدوا ان العدو يطلق النار خارج السور . فقُتل بعضهم وأُسر آخرون ، واصبح حمدان حاكماً على الرحبة للمرة الثانية . وبعد ان ترك قائده هناك عبر الفرات وزحف على مدينة عربان . الا ان قائده ، بعد ان سرق جميع ممتلكات سيده ، هرب بها الى اخي حمدان ، ابي تغلب . وحمل هذا حمدان على العودة بسرعة الى الرحبة ، الا انه سرعان ما حاصره جيش ابي تغلب فاضطر الى الهرب . وهكذا اصبح ابو تغلب حاكماً على الرحبة وأمر باعادة بناء أسوارها .

ويقول ابن حوقل ، في مسالكه ، (دي خويه) ، ص ١٥٥) ان رحبة

مالك بن طوق اوسع من الخانوقة ، « وهي كثيرة الشجر والماء في شرقي الفرات وقد عرادها الاختلال . وهي ذات سور وصالح ولها نخيل وتمر وسقي كثير من جميع الغلات » .

ان رواية ابن حوقل ليست واضحة بصورة كافية ، اذ يبدو ان الرحبة تقع على الجانب الشرقي للفرات ، بينما هي في الحقيقة بُنيت على الضفة اليمنى . ومن المحتمل ان كان على الضفة اليسرى ضاحية وبقاع مروية يملكها اهل المدينة وتبدو فيها اشجار النخيل ، الا ان ثمارها لاتنضج . ويقول السكان الحاليون ان التمر ينضج نادراً فقط في ضواحي ابو جمال وذلك عندما عندما يكون الصيف حاراً جداً وعندما يتأخر حلول الشتاء كثيراً عن موعده المعتاد . ان حدود حزام التمر تتمثل بجزيرة الكرابل الصغيرة قرب عانة ، التي تشق الرياح الجنوبية الشرقية الحارة طريقها اليها صُعداً في وادي الفرات .

ويكتب الاصطخري ، في مسالكه ، (دي خويه) ، ص ٧٧)أن «رحبة مالك بن طوق هي اكبر من قرقيسياء وهي كثيرة الاشجار و المياه على غربي الفرات».

وفي عام ٩٧٨ — ٩٧٩ م فقد ابو تغلب الرحبة فاصبحت مع الرقة تحت سيطرة عضد الدولة (ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ٨ ، ص ص ٥١١ ومابعدها) .

ويذكر المقدسي في احسن [التقاسيم] (دي خويه) ، ص ١٤٢ ، «ناحية الفرات ، اجلها الرحبة : مدينة كبيرة من نحو البادية طيلسان ، ولها حصن وربض ، وبقية المدن من جانب البادية عامرات ».

وفي عام ٩٩١ — ٩٩٢ م إلتمس أهل الرحبة بهاء الدولة ليرسل اليهم والياً ، فلبى طلبهم (ابن الأثير ، المصدر السابق ، المجلد ٩ ، ص ٦٤) .

وبعد ذلك بقليل آلت الرحبة الى ابي علي بن ثمال الخفاجي الذي قتله عيسى بن خلاط العقيلي في عام ١٠٠٨ — ١٠٠٩ م ، الا ان الجيش الذي

ارسله ضده السلطان المصري الحاكم بأمر الله ، هزمه وقتله مقابل ذلك . وقد طرد هذا الجيش من قبل بدران بن المقلد ، وهو عقيلي ايضاً . اذ ان لؤلؤاً قائد السلطان المصري في دمشق استولى بعدئذ على الرقة والرحبة كليتهما واعادهما مرة أخرى للحكم المصري . وعلى كل حال قام مواطن من الرحبة يدعى ابن مُحكان (او مجلكان) بالاستيلاء على المدينة . ولأجل الحصول على تأييد ودعم تحالف في آخر الامر مع صالح بن مرداس الكلابي الذي كانت الحلة في حيازته . كما استولى ابن محكان على مستوطنة عانة ، الا ان حليفه إغتاله واصبح بعدئذ مالكاً للرحبة (المصدر نفسه ، ص ١٤٨ ، ابن خلدون : العبَر [بولاق ، ١٢٨٤ هـ] ، المجلد ٤ ، ص ٢٧١ .)

وخلف ابو علوان ثمال ابن صالح اباه في السيطرة على الرحبة ، كما انه استولى على حصن مدينة حلب . في خريف عام ١٠٤٢ م (ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ٩ ، ص ١٦٢) .

وفي هذا الزمن كان في الرحبة كثير من المسيحيين ، وكان لهم مطرانهم ايضاً (اسيمانوس ، المكتبة الشرقية ، المجلد ٣ ، ص ٢٦٣) .

وكان المؤلفون السريان يسمّون هذه المدينة رحبوت (ابن العبرى ، التاريخ السرياني [بيجان] ص ص ٢٩١ و ٣٠٥) .

وفي ربيع عام ١٠٦٠ م إستولى على المدينة عطية وهو احد ابناء صالح (ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ١٠ ، ص ٨) .

وفي عام ١٠٨٦ — ١٠٨٧ م أقطع السلطان ملكشاه محمداً ابن شرف الدولة الرحبة مع جميع ضواحيها ، وكذلك حرّان وسروج والرقة والخابور (المصدر نفسه ، ص ١٠٥ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، المجلد ٥ ، ص ٩) .

وفي عام ١٠٩٦ سار شخص يدعى كربوقا من الحلة على مدينة الرحبة ففتحها ونهبها (ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ١٠ ، ص ١٧٧) .

وبعد وفاة كربوقا في عـام ١١٠٢ م ولي الحكم في الرحبة شخص اسمه قايماز ، احد قادة السلطان الب ارسلان سابقاً ، فقـام سـلطان دمشق بمحاصرته بدون جـدوى . ثم توفي قايماز في نهـاية ربيع عـام ١١٠٣ م واعقبه قائد تركي يدعى حسن . لذلك ارسل سلطان دمشق حملة جديدة على الرحبة التي استسلمت له على يد أهليها . دافع حسن عن نفسه في الحصن بعض الوقت ، الا انه في الأخير قَبِلَ عفواً وكوفئ على ذلك باقطاعية تتألف من بضعة قرى في بلاد الشام وقام سلطان دمشق باعادة النظام في المدينة وعامل الأهلين بالحسنى وترك حامية هناك ، وفي الوقت ذاته عين عليها والياً محمد بن السبّاق من قبيلة بني شـيبان الذي أخذ ابنه الصغير معه الى دمشق رهينة . (ابن الأثير : المصدر السابق ، المجلد ١٠ ، ص ٢٤٩)

وفي مستهل عام ١١٠٧ م انطلق جاولي من الموصل بطريق سنجار الى الرحبة ، التي حاصرها من ٢٦ شباط (فبراير) الى ١٩ أيار (مايو) . واظهر الأهلون مقاومة باسلة ، الا انه عندما بلغ الكَرْبُ حداً لايطاق في المدينة ، وعد مدافعو أحد الأبراج قائد العدو ان يسمحوا له بالدخول إنْ ضمن لهم حياتهم وممتلكاتهم فارسل القائد بعدئذ رجاله بزوارق على النهر الفائض حتى الاسوار ، ومن هناك في منتصف الليل رُفعوا بالحبال الى أحد الأبراج . وما ان وطأوا ارض المدينة حتى اخذوا ينفخون الابواق ويقرعون الطبول ، فادخلوا الرعب في بقية المدافعين فتمكن جاولي من دخول المدينة في الصباح التالي . وسمح لجيشه بالسلب حتى ظهر ذلك اليوم ؛ ثم تصالح محمد الشيباني معه وقبل الخدمة تحت إمرته (ابن القلانسي : الذيل [امدروز] ، ص ص ١٥٥ ومابعدها ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، المجلد ١٠ ، ص ٢٩٧ .)

وسرعان ما اصبحت الرحبة بعد هذا في قبضة عائلة البرسقي (المصدر نفسه ، ص ص ٣٦٠ وما بعدها) . وفي عام ١١٢٧ م توفي عز الدين مسعود

بن البرسقي الذي حاول فتح سوريا هناك . وقد بـدأ حملته عند الرحبة ، التي كان قد ضرب حصاراً حولها . ودافع الاهلون عن انفسهم دفاعاً شديداً . ومرض عز الدين ، الا انه شعر بالأرتياح الكبير عندما علم ان حامية الحصن الرئيس قد استسلمت . ولما توفي بعد ذلك بساعة ندم الاهلون لسماحهم لجنده دخول الحصن . وتفرق اصحابه بعد موته وطارد وقتل بعضهم بعضاً غير مبالين بجثمان قائدهم المتوفى الذي لم يدفن الا بعد مضي بعض الوقت . واعقبه في الحكم اخوه الاصغر وهو المملوك جاولي الذي كان يدير شؤونه ، وقد اقطعه السلطان عماد الدين زنكي الرحبة (المصدر نفسه ، ص ص ٤٥٣ ومابعدها) .

وفي عام ١١٤٩ – ١١٥٠ م كان قطب الدين ، ابن زنكي ، والياً على الرحبة . (المصدر نفسه ، المجلد ١١ ، ص ٩٣) . وكانت المدينة الواقعة على ضفاف النهر والى الشرق مـن الفرات عامرة آنـذاك . ويذكر الادريسي ، في نزهته (ترجمة جوبير) ، المجلد ٢ ، ص ١٤٥) ، انها كانت محاطة بأسوار من الآجر الطيني ومزينة بعمارات واسواق متنوعة .

ويسجل ابن القلانسي (المصدر السابق ، ص ٣٤٤) انه في ١٢ آب [اغسطس] ، ١١٥٧ تهدمت السلامية والرحبة كلتاهما بهزة ارضية .

وفي نهاية عام ١١٦١ م كان رجال قبيلة خفاجة يسلبون الريف حول الحلة والكوفة ، وعندما تحرك الجند عليهم تراجعوا حتى رحبة الشام حيث استمر الجند في ملاحقتهم . ولما كانت اعداد من بدو آخرين قد انضموا الى قبيلة خفاجة فانهم هاجموا معسكر الجند واستولوا على تجهيزاتهم وبغالهم ؛ واذ ذاك لاذ الجند بالفرار وهلك كثير منهم . ولجأ احد قادتهم الى ما وراء اسوار الرحبة ومنها أرسل الى بغداد . (المصدر نفسه ، ص ص ١٨٢ ومابعدها) . ومما تجدر ملاحظته هنا ان هذه الرواية تذكر اولاً رحبة الشام وبعد ذلك الرحبة . وعلى ما يبدو من السياق فان الاسمين لايشيران الى المدينة نفسها .

أقطع صلاح الدين الرحبة وحمص الى ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ، وكان مدمناً وتُوفي بين اقداحه . الا ان الرحبة بقيت بأيدي عائلته حتى عام ١٢٦٤ م عندما عيّن السلطان بيبرس المصري حاكمه الخاص هناك . (ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ١١ ، ص ٣٤١ ؛ المجلد ١٢ ، ص ١٨٩ ؛ ابو الفداء ، المختصر [ادلر] ، المجلد ٤ ، ص ١٤٢ ؛ المجلد ٥ ، ص ١٦ .)

ويكتب ياقوت الذي زار المدينة انذاك (المعجم [فستنفلد] ، المجلد ٢ ، ص ٧٦٤) ان من رحبة مالك بن طوق الى دمشق ثمانية أيام ، والى حلب خمسة أيام ، والى بغداد مئة فرسخ ، بينما تزيد المسافة الى الرقة على عشرين فرسخاً بقليل . وتقع الرحبة بين الرقة وبغداد على ضفة الفرات أسفل من قرقيسياء ، ويذكر بعضهم انها كانت قد بنيت على عهد الخليفة المأمون ؛ وعلى عهد هارون الرشيد في قول آخرين . وهي على خط عرض ٣٣° وخط طول ٥١ ٦٠° .

اما ابو الفضائل في مراصده (بوينبول) ، المجلد ١ ، ص ص ٤٦٤ وما بعدها ، فانه كرر عبارة عبارة ياقوت ، ولكن يذكر انه عرضاً عن بغداد ، ويذكر ان الرحبة تقع على الفرات بين الرقة وعانة .

ويذكر الدمشقي في النخبة (ميرن) ، ص ٢٠٢ ان الرحبة الفراتيه بين المدن السورية الشرقية وانها تقع على حدود العدو وتهيمن على اراض واسعة .

وفي عام ١٣١٣ م قام خربنده مع جماعته المغول بمحاصرة الرحبة وبغارات داخل سوريا . فتجمع ولاة المدن السورية المختلفة مع جيوشهم في ضواحي حماة وتغلغل جواسيسهم حتى عُرض والسُخنه . وحينما تفشى الجوع والطاعون في معسكر خربنده تراجع تاركاً وراءه آلات الحصار . فقام المدافعون بنقلها الى حصن الرحبة . (ابو الفداء ، المصدر السابق ، المجلد ٥ ، ص ص ٢٦٨ وما بعدها) .

وفي عام ١٣١٥ – ١٣١٦ م توفي في دمشق ابن الاركشي حاكم الرحبة في الوقت الذي كان خربنده يحاصرها ، (المصدر نفسه ، المجلد ٥ ، ص ٣٠٠) .

ويكتب خليل الظاهري في الزبدة (رافيس) ، ص ٥٠) في النصف الثاني من القرن الخامس عشر « ان الرحبه مدينة لطيفة ولها قلعة واقاليم به عدة قرى وهي ايضاً من معاملة حلب » .

ولايقوم حاجي خليفة (جيهان نامه (القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ) ، ص ٤٤٤) الا بتكرار الروايات القديمة عن الرحبة . فيقول ان مالكا بن طوق بناها على تل بجانب الفرات بين عانة والرقة . وبعد مدة من الزمن تهدمت ، الا انه في عام ١٣٢١ أمر شيركوه بن محمد والي حمص باعادة بنائها وكانت على عهده مركزاً هاماً للقوافل بين سوريا والعراق . ومما لاشك فيه فان حاجي خليفة كان يفكر في حصن الرحبة الواقع قرب بلدة الميادين ، لانه في زمانه كانت جميع القوافل الذاهبة من بغداد الى سوريا تبتعد عند هذا الحصن عن الفرات ، كما يخبرنا المؤلفون الأوربيون . وبهذا الصدد يكتب تافرنيه (الرحلات الست (باريس ، ١٦٧٦) ، المجلد ١ ، ص ٢٨٥) ان مشيد – رابا حصن غير بعيد عن الفرات يقع على تل في أسفله عين غزيرة تملأ بركة ماء ، وكان هناك سور عال يتخلله عدة ابراج مستطيلة الشكل يحيط اكواخاً بيضاء ، حيث احتفظ الأهلون بماشيتهم . ومشيد – رابا هذه هي التحريف الفرنسي لكلمة مشهد الرحبة وتشير الى مستوطنة المشهد المحصنة ، او مشهد علي ، الواقعة على مسافة تسعة كيلو مترات جنوب غربي حصن الرحبة ، قرب الميادين .

الملحق السادس عشر

انشا أو عـانة

يقع مركز بلدة عانة أصلاً على الجزر التي كانت دوما خصبة جداً . ومن المؤكد انها لم تكن متآكلة في ازمان غابرة الى الحد الذي هي عليه في يومنا هذا . ولم يكن الأهلون في أمن من الأعراب فحسب بل انهم كانوا فضلاً عن ذلك قادرين على اخضاع المستوطنات المحيطة بهم . ولهذا السبب اعتاد الآشوريون تكليف حكام عانة بادارة منطقة سوخي السياسية .

تسلم توكولتي اينورتا الثاني (٨٨٩ — ٨٨٤ ق . م) على شكل جزية مستحقة له من ايلو ابني حاكم سوخي الذي كان يسكن في مدينة انات الواقعة وسط الفرات المواد التالية : ثلاثة تالنتات من الفضة ، وعشرين مناً من الذهب ، وكرسياً مطعماً بالعاج ، وثلاثة بدنوات من العاج ، وثماني عشرة قطعة من الرصاص ، وثلاثة واربعين صندوقاً من خشب المشكاني ، واريكة من خشب المشكاني ، وست مناضد من خشب المشكاني ، وابريقاً من البرنز ، وثياباً متنوعة ومطرزات ومنسوجات مرقشة وماشية واغناماً وخبزاً وشراباً (الحوليات [شايل ، الحوليات (١٩٠٩م) اللوحة ٣] ، المقابل ، الأسطر ٦٩ — ٧٢ ؛ شايل ، المصدر السابق ، ص ١٨) .

ويدعو اريان عندما كان يتحدث في كتابه العاشر بحار اسطول تراجان الى كوخه ، هذه المستوطنة بـ (أنا) و بـ (تيروس) ايضاً (اسطيفان البيزنطي الأجناس [ماينكه] : ص ٦٤٢ ؛ روس ، دراسات اريانيه [١٩١٢ م] ، ص ص ٥٠ ومابعدها) .

وبعد ان تنصّر محسن الذي كان قائداً تحت امرة الملك

الساساني شابور الثاني (٣٠٩ ـ ٣٧٩) ، قام ببناء ستة وتسعين ديراً وكنيسة ومعابد أخرى، وكرّس القسس وكهنة آخرين في شيكار (سنجار) . ثم ذهب الى عانات حيث بنى لنفسه قلى ضفاف الفرات على بعد ميلين من عانات معتكفاً عاش فيه سبع سنين . وكان يشفي المرضى بنجاح كبير بحيث انتشرت شهرته في جميع ارجاء البلاد (هوفمان ، مقتطفات [١٨٨٠] ، ص ٣٠ ؛ رايت ، الفهرس [١٨٧٠ ـ ١٨٧٢] ، ص ١١٣٥ ، العمود ١)

وكان حصن انثا يقع على جزيرة . وفي عام ٣٦٣م أحاط الاسطول الروماني بها قبل مطلع الفجر . وعندما انتبه الأهلون للبلاء عند شروق الشمس وضع الرومان آلات الحصار في حالة تأهب ودعوا الاهلين الى الاستسلام . وبعد قيام الأهلين بالتشاور فيما بينهم لبّوا طلبهم وساقوا امامهم ثوراً مكللاً بالنار علامة على رغبتهم في السلام . ثم أضرمت النار في الحصن وانتقل الأهلون مع ممتلكاتهم الى مدينة خالكيس السورية . وفي اليوم التالي غرقت عدة بواخر بفعل الرياح والمياه المتزايدة وتهشمت على الجدران المبنية في النهر لغرض الارواء (اميانوس مارسلينوس ، ج ٢٤ ، ١ : ٦ ـ ٩) .

وكان مبارك ، وهو معاصر لمار بار عدتاء في منتصف القرن السادس للميلاد ، من اهل عانة وهي بلدة بإزاء نهر الفرات (بج ، التواريخ [١٩٠٢] ، المجلد ١ ، ص ١٢٧) .

وفي بداية عام ٥٩١ م ارسل فراموس عدداً كبيراً من الجند الى حصن عانة الواقعة على الفرات قرب قرقيسيوم للحيلولة دون عودة كسرى الى بلاد فارس . الا ان الجند قتلوا قائدهم واعلنوا ولاءهم الى كسرى . (ثيوفيلاكتوس سيموكتا ، التاريخ ، ج ٥ ، ١ : ٢ ؛ ج ٥ ، ٢ : ٣) .

وفي بداية القرن السابع للميلاد كان مطران اعراب الثعلبية يقيم في عانة (اسيمانوس ، المكتبة الشرقية [روما ، ١٧١٩ — ١٧٢٨] ، المجلد ٣ ، القسم ٢ ، ص ٦٠٧) .

ويذكر امرؤ القيس (الديوان [ديسلان] ، ص ٣٦) ، والأخطل (الديوان [صالحاني] ، ص ١١٧) وعلقمة (الديوان [سوسين)) ص ٧) نبيذ عانة .

ويسمّي ابن خرداذبه في مسالكه (دي خويه) ، ص ٧٤ ، من بين مدن منطقة الفرات الادارية : قرقيسياء ، الرحبه ، الداليه ، ، عانات ، هيت ، حديثه ، والربّ . ويسمي ابن خرداذبه المدن المفصلة بحسب مواقعها من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي .

ويكتب قدامة في الخراج (دي خويه) ، ص ٢٣٣ ، ان الفرات «يمر با رحبه حتى يلتحف على عانة لانهامي وسطه ، ثم يمتد على سمته ويمر بهيت والأنبار » .

وكذلك يشير الهمداني : الصفة (ملر) ، ص ١٢٩) الى عانات انها من بين المدن المشهورة ببلدها .

ويصف الاصطخري في المسالك (دي خويه) ، ص ٧٨) عانة بانها مدينة صغيرة في وسط الفرات .

ويقول المقدسي في احسن التقاسيم (دي خويه) ، ص ١٣٨) ان المدن الفراتية اكبر هن رحبة ابن طوق وقرقيسياء وعانه والداليا والحديثه . ويشير الشابشتي ، في الديارات (مخطوطة برلين) ، الاوراق ١٠٠ للوجه المقابل ومابعدها) الى دير مارسرجيس ويقول ان« عانة مدينة على الفرات عامرة وبها هذا الدير وهو كبير حسن كثير الرهبان، والناس يقصدونه من (هيت غيرها للتنزه فيه وهناك كروم وعاصر وبساتين وشجر والموضع في نهاية الحسن جامع لما يحتاجه اهل التطرب والتفرج .

وبهذا الموضع قبر ام الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك ، وكان الرشيد لما شخص من الرقة الى بغداد يريد الحج شخص معه البرامكة : فتوفيت ام الفضل ، وكانت ارضعت الرشيد بلبن الفضل ، وكان يحبها ويجعلها . فامر الرشيد فاشتريت له عشرة اجربه من بستان عند وادي القناطر على شاطئ الفرات فدفنت هناك ، وبنيت عليها قبة فهي تعرف بقبة البرامكة (ياقوت ، المعجم [فستنفلد] ، المجلد ٢ ، ص ص ٦٩٣ وما بعدها ؛ ابو الفرج ، الأغاني] (بولاق) ، ١٢٨٥ هـ] ، المجلد ١٧ ، ص ١٢٩) .

وفي عام ١٠٠٨ ــ ١٠٠٩ م تقبل اهالي بلدة عانة الصغيرة ابن محكان والياً عليهم ، فأرسل اليهم عدداً من اتباعه وعهد اليهم بممتلكاته ، لكنه أخذ رهائن منهم .. الا انهم بعد ذلك بوقت قصير ثاروا عليه واستبدلوا اطفاله الأسرى برهائنهم واحتفظوا بممتلكاته . ووجد ابن محكان حليفاً له في شخص صالح بن مرداس امير قبيلة كلاب ، وبمساعدته استعاد عانة الا ان صالحاً سرعان ما اغتاله واصبح الأمير الوحيد لعانة والرحبة . (ابن الاثير : الكامل [تورنبرك] ، المجلد ٩ ، ص ١٨٤ .)

وفي عام ١٠٢٣ ــ ١٠٢٤ م شكّل حسّان امير قبيلة طي ، وصالح بن مرداس امير قبيلة كلاب ، وسنان بن عليان عُصبة ضد حاكم سوريا المصري واتفقوا فيما بينهم على ان يمنح صالح المنطقة الواقعة بين حلب وعانه وحسّان المنطقة من ارملة وحتى مصر ، بينما تكون دمشق من حصة سنان . وبالفعل نجح صالح في الاستيلاء على جميع الاراضي من بعلبك الى عانة ، وأقام في حلب لمدة ست سنوات (المصدر نفسه ، المجلد ٩ ، ص ١٦٢ .)

ويقول البكري : المعجم (فستنفلد) ، ص ٦٤١) " كانت عانة وهيت مضافتين الى طساسيج الانبار ، وكانت الخمر العلية تنسب اليها ، فلما حفر انوشروان الخندق من هيت حتى ياتي كاظمة مما يلي البصرة

وينفذ الى البحر ، وجعل المناظر لبيت العرب في اطراف السواد وما يليه خربت عانات وهيت بذلك السبب .

، لقد قمت بفحص المنطقة جنوب شرقي هيت لمسافة تقارب ٢٥٠ كيلومتراً دون العثور على أثر لخندق للتحصين ، بالرغم من انني بذلت جهداً كبيراً في البحث عنه . ومن المحتمل ان القصة نشأت بسبب التكوين الطبيعي للارض . فعلى مسافة خمسة وخمسين كيلومتراً الى الجنوب الشرقي من هيت تبدأ هضاب طار الهيان وطار الصيهد وغيرهما ، التي تنحدر انحداراً خفيفاً الى الشرق ، ولكن غربيهما يتسلل الى منخفض البحيرة وجفر المالح ذي الجرف الشديد الانحدار نوعاً ما . ويمكن متابعة هذا الجرف الذي تتخلله فجوات تتفاوت عرضاً في بعض الاماكن ، بعيداً الى الجنوب الشرقي . وعلى بعد كيلو مترات قلائل أسفل من مستوطنة هيت لا تزال ترى بقايا قناة إروائية ضخمة . امتدت هذه القناة حتى بداية جرف طار الهيان الطبيعي . وكانت جميع المحطات الحدودية الفارسية قد بنيت الى شرق الجرف الذي شكل بالنسبة اليهم خطاً طبيعياً للدفاع ، اذ كان لايمكن صعود الجمال العربية مع راكبيها وحمولتها الافي الاماكن التي يسهل اجتيازها اكثر من غيرها.

واتخذ اهالي عانة مذهب الباطنية . ولم ينظر هذا المذهب بالاهتمام لمدة طويلة ، حيث انهم في اثناء خلافة الخليفة المقتدي وُشي بهم اليه . فامتحن الوزير ابي شجاع (١٠٨٣ — ١٠٩١ م) شيوخهم في بغداد ؛ ولما انكروا مانُسب اليهم لم يتخذ اي اجراء بشأنهم . ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ١٠ ، ص ص ٢٢١ .) .

وفي تشرين الاول (اكتوبر) ، عام ١١٠٣ م ، استولى التركمان على بلدتي عانة والحديثة اللتين كانتا حتى ذلك الوقت تحت نفوذ عشيرة بني يعيش وعندما أقبل سيف الدولة صدقة بن مَزْيَد لمساعدة العشيرة هرب

التركمان . ولكن ما ان عاد الى مدينة الحلة حتى استولى التركمان على المدينتين ثانية وانتهبوها واسروا جميع النساء ، ثم تقدموا على هيت بحذاء الضفة اليمنى . وعلى مسافة ليست بعيدة من هيت قفلوا عائدين غير راغبين في مجابهة الجيش الذي ارسله سيف الدوله ضدهم . (المصدر نفسه ، المجلد ١٠ ، ص ٢٥٢ .)

وفي عام ١١٤٣ – ١١٤٤ م إحتل اتابك زنكي عانة (المصدر نفسه ، المجلد ١١ ، ص ٦٤)

ويكتب الادريسي (النزهه (ترجمة جوبير) ، المجلد ٢ ، ص ص ١٤٤ وما بعدها) ان عانات بلدة صغيرة على جزيرة في الفرات . وفيها اسواق ومصانع

ويذكر ياقوت (المصدر السابق المجلد ٣ ص ٥٩٤ وما بعدها) « عانة بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد من اعمال الجزيرة . وهي مشرفة على الفرات قرب حديثة النورة وبها قلعة حصينة ، فلما ملك انوشروان بلغه ان اوائل من الاعراب يغيرون على ما قرب من السواد الى البادية فامر بتجديد سور لمدينة تعرف بالوس كان سابور ذو الاكتاف بناها وجعلها مسلحة لحفظ ما قرب من البادية ، وامر بحفر خندق من هيت ، يشق طف البادية الى كاظمة مما يلي البصره وينفذ الى البحر ، وبنى عليه المناظر والجواسق ونظمه بالمسالح ليكون ذلك مانعاً لاهل البادية عن السواد وسبب ذلك السور هي طسوج شاذ فيروز لان عانات كانت قرى مضمومة الى هيت» وكانت هذه التحصينات السبب في دمار هيت وعانات .

وكان انوشروان الذي ذكره البكري وياقوت هو كسرى الأول (٥٣١ – ٥٧٨ م) ، والوس هي محطة الوسة الواقعة قرابة ستين كيلو متراً الى الشمال الغربي من هيت : اما الملك شابور فهو شابور الثاني (٣٠٩ – ٣٧٩ م) . واستناداً الى هذه الرواية فقد سقطت هيت وعانات لوقوعها الى الشمال الغربي من الحصون الحدودية ولم تستطيع حامية حصن الوس الدفاع عنهما .

وفي عام ١٢٣٨ م أخضعت عانة وكذلك الرحبة والخابور الى حاكم حمص (المقريزي ، السلوك [ترجمة باوشـي] ص ٤٢٧) .

وفي نهاية كانون الثاني (يناير) ، عام ١٢٣٩م سلّم نجم الدين ايوب مدن سنجار والرقة وعانة الى الأمير يونس الملك الجواد الذي باع عانـة الى الخليفة المستنصر . وبالعوائد الناجمة عن البيع عبر الأمير يونس الصحراء الى غزّة وانضم الى حصن عكا . (ابو الفداء المختصر [ادلر] ، المجلد ٤ ، ص ص ٤٣٨ و ٤٦٠ ومابعدها) .

وفي ربيع عام ١٢٤١ م كانت عانة ملكاً للخليفة . وقد طلب اللجوء اليها الخوارزميون الهاربون من ملاحقة الملك المنصور الذي كان انذاك قد قد فتح تل خابور وقرقيسياء . (كمال الدين ، التاريخ [ترجمة بلوشي] ، مجلة الشرق باللاتينيه ، المجلد ٦ ، ص ص ١٢ ومابعدها) .

وفي حوالي نهاية عام ١٢٤٩ م تحرك السلطان الملك المعظم طورانشاه من عانه مع مايقارب خمسين مرافقاً في رحلة خلال صحراء السماوة ووصل مـن غيـر حادث الى منسة وطنـة التصيـر شـرقـي دمشـق (المقريزي ، المصدر السابق ، ص ٥٢٨) .

وفي عام ١٢٥٣ ـ ١٢٥٤ م أطلق سراح الملك الناصر داود اميـر الكرك السابق الـذي كان قد سجن في حمص ، بشفاعة الخليفة . ثـم عبر الملك الناصر الصحراء الى بغداد طلباً للجواهر التي كان قد اودعها هناك ، الا انه لم يسمح له بالدخول الى المدينة . ولذلك مكث بجـوار عانـة والحديثة ، وكان في حالة من الضنك والعوز بحيث ان أمير مدن تل باشر وتدمر والرحبة انذاك ارسل اليه بالطحين والشعير . ثم سُمـح لـه بالاقامـة في مدينة الانبار على مسافة ثلاثة أيام من بغداد . (ابو الفداء ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ص ٥٢٠ ومابعدها) .

ويكتب القزويني في عجائبه (فستنفلد) ، المجلد ٢ ، ص ٢٨٠ ، ان عانـة الواقعـة بين هيـت والرقة ، يحيط بها الفرات من جميع الجوانب . وفيها اشجار وفاكهة ؛ وكذلك بساتين كروم لتنتج نبيذاً مشهوراً .

وفيها حصن قوي . وحينما يمر أهل بغداد بأوقات عصيبة يقولون ان الخليفة في عانة . ويعود تاريخ هذا القول المأثور الى عام ١٠٥٩ م عندما كان خليفة تلك الفترة ، القائم بأمر الله ، سجيناً في عانة ، والتي لم يعد منها حتى ربيع ١٠٦٠ م .

وفي نهاية شهر آب (اغسطس) ، ١٣١٦م ، خيّم مهنا بن عيسى الذي كان قد قام بزيارة القائد المغولي خربنده بالقرب من مكان تسميته «قنفرلان » ، في المنطقة المجاورة لعانة (ابو الفداء ، المصدر السابق ، المجلد ٥ ، ص ٣٠٨) .

ويسجل ابو الفداء في التقويم (رينو وديسلان) ، ص ٢٨٧) ان عانة مستوطنة صغيرة نوعاً ما تقع على جزيرة في وسط الفرات .

ويكتب حاجي خليفة ، في فذلكة التواريخ (مخطوطات فينا ، عدد ١٠٦٤ ، ورقة ١٦٢ الوجه الصحيح ، عدد ١٠٦٥ ، ورقة ١٤٠ الوجه الصحيح) ، انه في عام ١٦١٦ م كان احمد ابوريش اميراً على عانة وحديثة .

وفي عام ١٦٢٩ م جاء فيليب الكرملي (وصف الرحلة الشرقية — [فرانكفورت ، ١٦٧١] ، ص ٧٨) بعد مرحلتين من ثيباس الى مستوطنة ريبه (الرحبة) ، الواقعة على رابية غير بعيدة عن الفرات . وبعد ان سار مسافة أبعد وجد جزراً صغيرة فقط بالقرب من بلدة أنّا . وقيل ان هذه البلدة كانت اكبر البلدان في ذلك الجزء من الصحراء وانها كانت مشهورة جداً الى ان قام الفرس بهدمها قبل ذلك بسنوات قليلة وانها امتدت على جانبي الفرات قرابة ميل عند سفح جبل كانت مفصولة عنه بحاجز . وعلى الجزيرة الصغيرة في النهر بُنيت قلعة يمكن ان تكون على مرمى النار من جميع التلال المحيطة بها . وكانت البلدة انذاك تصف مخربة وكان يسكنها عرب ويهود فقط .

ويروي تافيرنيه (الرحلات الست (باريس ، ١٦٧٦) ، المجلد ١ ، ص ص ٢٨٥ ـ ٢٨٧) انه بينما كان ذاهباً من بغداد مخترقا الصحراء الى بلدة عانةوهو يكتبها (انا) الصغيرة رأى على مسافةخمسمائة خطوة اسداً ونويزاوج لبوة . ووصف بلدة عانة بأنها ليست كبيرة وقال انها كانت وتعود الى أمير عربي . وكانت الارض مزروعة زراعة جيدة حولها على مسافة نصف ميل . وكانت فيها جنائن واماكن للتنزه . ويذكر المرء موقعها بباريس لأنها كانت مبنية على جانبي النهر مقابل جزيرة صغيرة حيث كان يقوم جامع فخم .

ويذكر ديلا فالليه (الرحلة (البندقيه ، ١٦٦٤ ، المجلد ١ ، ص ٥٠٥) ان بلدة عانة تقع على كلتا ضفتي الفرات الذي كان يعبر بالقوارب ؛ وكان الأهلون يمتلكون عدداً كبيراً منها . وعلى كل من الضفتين كانت البلدة تتألف من شارع واحد يبلغ طوله أكثر من خمسة اميال . وكانت معظم الاكواخ مبنية بالطين ، الا انها كانت محكمة وجميلة المنظر . وكان لكل منها حديقة فيها اشجار متنوعة كالنخيل والبرتقال والليمون والتين والزيتون والرمان وما شابه ذلك . وكانت في النهر جزر صغيرة كثيرة مغطاة ايضاً بأشجار الفاكهة . وكان على الجزيرة الوسطى حصن . ولم تكن البلدة مسورة ، الا ان الأجراف الشديدة الانحدار كانت تحجز الحدائق من الخلف تاركة على كلا الطرفين ممراً ضيقاً فقط على امتداد النهر . وكانت الاجراف شديدة الانحدار جداً بحيث كان من المستحيل حتى دخول البلدة منها . وكان سيد البلدة والصحراء بأكملها هو الامير فياض وكان يمتلك بيتاً فاخراً هناك . وكان اسم عائلته القديم ابو رزك (« ابو الريشه ») . وكان الأهلون مسلمين ، الا ان عدداً منهم كانوا يتبعون بعض المذاهب السرية .

وكان الامير فياض ابو ريش ينتمي الى قبيلة الموالي التي كانت تسيطر على الضفة اليمنى للفرات من تدمر الى الكوفه .

وفي منتصف القرن السابع عشر شكلت عانة وبيره جك جزءاً من عمالة رقة ، الا ان بالس كانت ضمن عمالة حلب (ريكوت ، الامبراطورية العثمانيه [١٦٧٠] ، ص ١٧٨ .

ويكتب حاجي خليفه (جيهان نامه : القسطنطينيه ، ١١٤٥ هـ ، ص ٤٦٥) ان بلدة عانه الجزريه تقع أعلى من مستوطنة هيت والحديثه على حدود منطقة بغداد ، وقيل انها كانت المستوطنة الوحيدة في هذه البقاع التي يذكر فيها نمو الزيتون ، وكانت لها سمعة عظيمة باعتبارها موطن كثير من العلماء والاولياء والموسيقيين وعلماء الفيزياء . وكان في المنطقة في الازمنة الغابرة كثير من النصيريين ولكن لم يبق منهم في القرن السابع عشر غير عدد قليل .

ويقول اوليا جلبي في التاريخ (ترجمة فون همر) : المجلد ١ ، القسم ١ ، ص ١٠١) ان عانة كانت تتبع اقليم الرقة .

وفي عام ١٨٠٧ م قام سعود بن عبد العزيز مع جماعته الوهابيين بنهب عانة ودير الزور (روسو : باشوية بغداد : ١٨٠٩ ص ص ١٨٠ وما بعدها) .

الملحق السابع عشر

اد أو هيت

خيّم توكولتي اينورتا الثاني في عام ٨٨٥ ق. م مقابل مستوطنة إد بالقرب من عيون القار (إدّو) حيث يتوفر حجر الأشميتا وحيث يتكلم كبار الآلهة (الحوليات[شايل ، الحوليات (١٩٠٩) اللوحتان ٢ وما بعدها] ، السطر ٥٩ ، شايل، المصدر السابق ، ص ١٦) . وتقع اكثر عيون القار على الضفة اليمنى بينما يخرج النفط مصحوباً بفقاعات خاصة على الضفة اليسرى . وهناك الى الغرب والجنوب الغربي من هيت مقالع قديمة للحجارة تجلب منها مواد البناء للسدود المشيدة على الفرات . ولعل حجارة الكلس المائلة الى الاصفرار كانت تؤخذ من هناك لتشييد الابنية البابلية . وبالامكان مطابقة هذه الحجارة مع حجر الأشميتا . ومع ذلك فلعل اشميتا تعني القار المتصلب الذي ينبع من عيون متعددة في تلك النواحي محدثاً صوتاً غريباً. وللأسم « إد » او «إت» بعض الصلة بكلمة إدّو ، كما كان يدعى القار البابلي (المصدر نفسه ، ص ٣٨) .

ويشير هيرودوتس (التاريخ ، حـ ١ ، ١٧٩) الى بلدة إس على مسافة ثمانية أيام من بابل . يمر بهذه البلدة يجري نهر صغير ، يدعى إس ايضاً ، ويصب في الفرات . وتحمل مياهه قاراً كالذي كان يستعمل في بناء تحصينات بابل .

ويذكر ايسيدور الكرخي في المحطات الفرثية (ملر) ص ٢٤٩) محطة إسبوليس ، وهي الاملاء الصحيح للكلمة وليس ايبوليس كما ورد في المطبوع .

اما بطليموس (الجغرافية ، حـ ٥ ، ١٩ : ٤) ، فيذكر على الضفة اليمنى

للفرات بلدة اديكارا . ونستطيع تشطير هـذا الاسم الى إد وكارا . وإد هي الكلمة البابليه وقار هي الكلمة الارامية ــ العربية للقار .

وفي الادب التلمودي ورد ذكر بلدة إهي (بدلاً من ادي) أوإهيداكيرا (برلينر ، مقالات [١٨٨٢ ـــ ١٨٨٣] ، ص ٦٢) .

ويروي اميانـوس مارسلّينوس (حـ ٢٤ ، ٢ : ٣) وزوسيموس (التاريـخ الحـديث ، حـ ٣ ، ١٥) أنـه في عـام ٣٦٣ م دخل الجيش الروماني بلدة دياكيرا ، وكانت ترتفع فوقها كنيسةشيدت في حصن يقع على تل عال . وكانت المدينة مهجـورة ولم يبق فيها سوى عدد قليل من النساء اللواتي فتكوا بهن . ووجد الرومان فيها قمحاً وفيراً وملحاً ابيض . ويدعو زوسيموس البلدة داكيرا ويضيف قائلا انها كانت مهدمة تهديما كاملا بحيث انها تبدو من الضفة اليسرى وكأنه لم يكن هناك بلدة قط . وداكيرا هي الكلمة السريانية دا قيرا والعربية ذو قير ، وتعني الموضع الذي يخرج فيه القار من الارض .

وفي عـام ٥٢٥ م قابـل الملك الفارسي قبـاذ الاول (٤٨٨ ـــ ٥٣١) ، ابن فيروز ، عند قنطرة الفيّوم الملك الحارث بن عـمْرو الكندي (الطبري ، التاريخ [دي خويه] ، السلسلة ١ ، ص ٨٨٨) . والفيوم يُفترض انها كانت مستوطنة غير بعيـدة عن بلـدة هيت (ياقـوت ، المعجم [فستنفلد] ، المجلد ٣ ، ص ٩٣٣) .

ويروي ابن قتيبة انه بعد هذا اللقاء بفترة غير طويلة طَرد الملك المنذر الحارثَ وأُغتيل ابنه مـالك في هيـت . ولجأ الحارث الى مُسحلان حيث قتلته قبيلة كلب (ابو الفرج . الاغاني [بولاق ، ١٢٨٥ هـ] ، المجلد ٨ ، ص ٦٥) .

وفي عـام ٦٣٧ م تخندق أهـل هيت في خنـدق عميق اعتصموا بـه فحاصـرهـم المسـلمـون ، ومنعـوا الخـروج والدخـول

منها . ثم زحف نصفهم يعارضون الفرات يغنمون في طريقهم حتى باتوا قرقيسياء في غرة واخذوها عنوة . ولما رأى اهل هيت ان المسلمين كانوا يعدون العدة لتطويق البلدة بخندق آخر وبسدة ترابية استسلموا . ثم انسحب المسلمون باتجاه شمالي غربي (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ٢٤٧٩ .)

وفي عام ٦٥٩ م «وجه معاوية سفيان بن عوف في ستة الاف رجل وامره ان ياتي هيت فيقطعها فسار حتى اتى هيت فلم يجد بها احداً ، ثم اتى الأنبار وبها مسلحة لعلى . » (المصدر نفسه ، السلسلة ١ ، ص ٣٤٤٥ .)

وفي عام ٦٨٥ م سار التوابون من موضع قبر الحسين وتقدموا بطريق الحصاصة والأنبار والصدود والقيارة الى هيت ، ومن هناك الى قرقيسياء (المصدر نفسه ، السلسلة ١ ، ص ص ٥٤٨ — ٥٥١) .

وقبر الحسين في كربلاء الحاليه . والحصاصة يمكن البحث عنها شمالي كربلاء بجوار المسيب في يومنا هذا ، وكان يخترقها سابقاً طريق يؤدي الى الأنبار (ابن الاثير ، الكامل [تورنبرك] ، المجلد ٤ ، ص ٣٢٨) والى الصّدود الواقعة الى الشمام الغربي من الانبار . اما القيارة فهي ولاريب تطابق عين النفاطه ، على مسافة اثنين وثلاثين كيلومتراً الى الجنوب الشرقي من هيت . وقد سار التوابون من الأنبار الى قرقيسياء بحذاء الضفة اليسرى للفرات .

ويذكر ابن الفقيه في البلدان (دي خويه) ، ص ١٨٧) « على فراسخ من هيت عيون العرْق » . ويكرر ياقوت هذا (المصدر السابق ، المجلد ٣ ، ص ٦٥٢) . وتقع عيون ابو عرجايه على مسافة خمسة وثلاثين كيلومتراً الى شرق — الشمال الشرقي من هيت .

ويذكر ابن رستة في الاعلاق (دي خويه : ص ١٠٧) «وقد كانت هيت وعانات ايام الفرس داخلة حد السواد ، تعد من طسوج الانبار الى ان بلغ انوشروان ان طائفة من الاعراب اغارت على ما قرب من حد السواد الى البادية ، فامر بتجديد سور مدينة تعرف بآلس كان بناها سابور ذي الاكتاف وجعلها مسلحة لحراسة ما قرب من البادية ، وامر بحفر خندق من هيت يشق طف

البادية حتى ياتي كاظمة مما يلي البصرة وينفذ الى البحر ، وجعل عليه المناظر والمسالح ليكون مانعا لمن اراد الـمراد من اهل البادية »

وفي عام ٩٠٦ م قام القرامطة من مخيمهم قرب الدمعانه والحاله ، بغارات على هيت ، « وصبحوها واهلها غارون .. مع طلوع الشمس ، فنهب ربضها وقتل من قدر عليه مـن اهلها واحـرق المنازل ، وانتهب السفن التي في فرضها .. واخذا ما قدر عليه من الاموال والمتاع .. ثم رحل عنها بعد المغرب الى البرية ، وانما اصاب ذلك من ربضها ، وتحصن منه اهل المدينة بسورها » (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ٣ ، ص ٢٢٥٨) . انني احدد موقع مخيمهم بجوار القمارة على طريق درب الساعي من دمشق الى هيت (انظر كتابي بادية الشام ، ص ٦٣ ، ملاحظة ١٥) .

ويذكر علي بن عيسى (كريمر : تقديـرات الجبايـة [١٨٨٧] ، ص ٢٧) الطريقة التي كانت تجمع فيها الرسوم في هيت في عام ٩١٨ — ٩١٩ م . وكانت هيت تشكل منطقة ادارية وفقاً للمؤلف نفسه استثنيت منـها مزارع السـكر ، (المصدر نفسه ، ص ٣١) .

هكذا يكتب كـريمر مشيراً في هامش رقـم ١٠ الى المقدسي في احسن التقاسيم (دي خويه) ، ص ص ٥٣ و ١١٤) حيث يرد ذكر مستوطنة السكر كذلك . على ان هذه المستوطنة تقع في منطقة واسط الادارية وعلى هذا لا يمكن ان تُلحق بمنطقة هيت . ويرد في المخطوطات اسم — السكن إما بنقطة فوق حرف النون او بدونها ، او يرد « السكر » . ولا ريب في ان حرف الراء هـو تحريف لحرف النون وينبغي ان نقرأ « مسكن » . ان حـرف الميم بارتباطه بحـرف الـلام يمكن ان يغفـل عنه الناسخ بسهولة . وكانت بـلدة المسكن الواقعة عـلى مسافة ١٣٣ كيلو متراً الى الشرق — الشمال الشرقي من هيت تؤلف مركز منطقة أخرى .

وفي عام ٩٢٨ م وصل ابو طاهر ، وهو زعيم القرامطة في البحرين ، الى خارج هيت حيث كان اهلوها معززين بحامية الخلافة . وبعد ان قام قسم من

اتباع ابي طاهر بنهب ضواحي الأنبار ، عبروا من الضفة اليسرى الى اليمنى بقوارب كانوا قد استولوا عليها في مكان يدعى فم بقّه أسفل من هيت . ثم انضموا الى ابي طاهر وقاموا بهجومهم الأول في يوم الأحد ،(المصادف ٣ شباط [فبراير] . وأحرق المدافعون كثيراً من آلات الحصار القرمطية . وبعد ان أجبر ابو طاهر على العودة الى معسكره دون تحقيق نجاح ، انسحب صباح يوم الاثنين وتوجه الى منطقة رحبة مالك بن طوق حيث استولى على تلك البلدة عنوة وكذلك على قرقيسياء . وبعد مرور سبعة أشهر حاول ثانية الاستيلاء على هيت ، الا ان أهليها كانوا في هذه الفترة قد رمموا تحصيناتهم وعززوها فصدوا هجومه. ثم ذهب بعد ذلك الى الكوفه . (ابن مسكويه ، التجارب [امدروز] ، المجلد ١ ، ص ص ١٨٠ — ١٨٣ ؛ المسعودي ، التنبيه [دي خويه] ، ص ٣٨٣ ، ابن الأثير ، الكامل [تورنبرك] المجلد ٨ ، ص ص ١٢٦ وما بعدها) .

ويدلنا الاسم فم بقّة (مدخل بقّة) انه تفرعت عند مستوطنة بقّه قناة من الفرات . وتقع هذه المستوطنة اسفل من هيت على الضفة اليسرى ، اي الى الجنوب الشرقي.ولايمكن ان تكون على مسافة بعيدة ،اذ ان المدافعين عن هيت كانوا قد أخفوا قواربهم هناك . انني أحدد موقعها بحوالي كيلومترين الى الجنوب الشرقي من هيت في بساتين البق ، حيث يمكن رؤية بقايا قناة في الوقت الحاضر .

ويكتب الاصطخري في مسالكه (دي خويه : ص ٧٧) وابن حوقل في مسالكه (دي خويه) ، ص ١٥٥) ،« هيت مدينة وسطة على غربي الفرات وعليها حصن ، وهي عامرة آهلة . وهي بحذاء تكريت ، وبها قبر عبدالله بن المبارك » .

ويقول المقدسي : احسن التقاسيم (دي خويه) ص ١٢٣) هيت « كبيرة عليها سور على الفرات بقرب البادية » .

وفي ١٠٣٨ — ١٠٣٩ م توفي في هيت الوزير المخلوع ابو القاسم الذي كان مسجوناً فيها لمدة سنتين وخمسة اشهر (ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ٩ ، ص ٣١٧) .

ويذكر البكري : المعجم (فستنفلد) ، ص ٨٣٤) ان «هيت مدينة مذكورة في تحديد العراق وهي على شاطىء الفرات ، والهيت الهوة ، وسميت هيت لانها في هوة ، وقال ابن دريد الهيت الموضع الغامض المنخفض .وقال الراجز : يارب هيت نجنا من هيت وقال آخر والحوت في هيت رداها هيت ،فان الحوت هناك التقم يونس عليه السلام ، فقال بغير علم »

وفي١٠٥٦—١٠٥٧ م كان قريش بن بدران أميراً على المناطق الآتية : نهر الملك وبادوريا وهيت ودجيل ونهر بيطر وعكبرا واوانا وتكريت والموصل ونصيبين (ابن الاثير ، المصدر السابق ، المجلد ٩ ، ص ٤٣٣) .

وفي عام ١٠٦٥ — ١٠٦٦ م اقطع شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران ، أمير الموصل ،الأنبار وهيت . (المصدر نفسه ، المجلد ١٠ ، ص ٣٥ .) .

وفي عام ١٠٨٧ . ١٠٨٨ م أخضع اهل هيت انفسهم طواعية الى حاكم العراق الذي كان آنذاك كمال الملك ابو الفتح الدمستاني . (المصدر نفسه ، المجلد ١٠ ، ص ١٠٧) .

وفي عام ١٠٩٢ م قام تتش بن ألب ارسلان امير دمشق برحلة الى اخيه السلطان ملك شاه في بغداد ، وعند وصوله الى هيت بلغه نبأ وفاة اخيه ، فاستولى على هذه البلدة وعلى الرحبة ايضاً (المصدر نفسه المجلد ١٠ ، ص ١٤٩)

ولم يظل تتش اميراً على هيت لمدة طويلة لان السلطان بركيارق أقطعها لبهاء الدولة ثروان بن وهيب من قبيلة بني عقيل ، وكانت له صلة قربى قوية بسيف الدولة صدقة . وكان الأخير يريد الاستيلاء على هيت .

غيران محاولته الأولى فشلت لان (ابنه دُبيس ، الذي كان قد ارسل الى هناك ، عاد دون ان يحقق شيئاً . ثم استولى صدقة على بلدة واسط ، ثم عاد يزحف على هيت ثانية حيث وجد ابن اخي ثوران يعارضه هناك . إلا ان بعض رجال قبيلة ربيعه فتحوا البوابات ، فدخل صدقة البلدة واستولى عليها ، وفي عام ١١٠٢ — ١١٠٣ م عيّن أحد اقاربه حاكما عليها . (المصدر نفسه ، المجلد ١٠ ، ص ٢٤٧ ؛ ابن خلدون ، العبر [بولاق ، ١٢٨٤ هـ] ، المجلد ٤ ، ص ٢٨١) .

وقد عيّن الجاثليق النسطوري ايليا الثاني (١١١١ — ١١٣٢ م) الراهب زخرياس مطراناً على الانبار وهيت (اسيمانوس ، المكتبة الشرقية ، المجلد ٢ ، ص ٤٤٩) .

ويقول الادريسي في نزهته (ترجمة جوبير) ، المجلد ٢ ، ص ١٤٤) ان بلدة هيت المسوّرة كان فيها من السكان ما يفوق جميع المدن على الفرات قاطبة ، وانها تقع غربي الفرات مقابل تكريت التي تؤلف حد العراق الشمالي على الضفة اليمنى من دجلة .

ويذكر ياقوت (المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٩٩٧) أن « هيت بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار ذات نخيل كثير وخيرات واسعة . »

ويقول القزويني في عجائبه (فستنفلد : المجلد ٢ ، ص ١٨٦) « ان هيت بلدة طيبة على الفرات ذات أشجار ونخيل وخيرات كثيرة وطيب الهواء وعذوبة الماء ورياض مؤنقة » .

ويذكر ابو الفداء في تقويمه (رينو و دي سلان ص ص ٢٧٥ و ٢٩٩ ، (نقلاً عن ابن حوقل) ان في هيت . اثار ابنية امير المؤمنين ابي العباس القائم وكانت داره التي يسكنها وهي ذات نخل وزروع شرقي الفرات .. وهي على غربي الفرات فرضة من فرض الفرات ، وبها عيون القار والنفط ، وبينها وبين القادسية ثمانية فراسخ ، وبينها ايضاً وبين الانبار واحد وعشرون فرسخاً » وترى هنا ان المسافة من هيت

الى القادسية تـ.ـا، التبست بالمسافة الى الانبار . وتكون المسافة مـن هيت الى الانبـار خمسة وثمانين كيلو مـتراً ، او ما يقارب اربعـة عشر فرسخاً ، بينما هي الى القادسية مئتان وخمسة واربعون كيلو متراً ، او ما يقارب اربعين فرسخاً . وينسب ابو الفداء الى هيت ما كتبه ابن حوقل عن الأنبار. فالأخيرة تقع شرقي الفرات وبها بنى ابو العباس سكناً له .

وقال حاجي خليفه (جيهان نامه (القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ ، ص ٤٦٥) ان هيت تابعة الى عانـة وانها تبعـد ثمانية فـراسخ عن الأنبار وانهـا مشهورة لابالمشهد الذي يضـم رفاة عبد الله بن المبارك فحسب ، وانما بسبب ما فيها من عيون القاز والنفط ايضاً .

❁

الملحق الثامن عشر

بيريسابوراس او الأنبار

يذكر الطبري ، في تاريخه (دي خويه) ، السلسلة ١ ، ص ٧٤٨) . «وانما سميت الانبار انبار لانها كانت تكون فيها انابير الطعام وكانت تسمى « الاهراء » لان كسرى كان يرزق اصحابه رزقهم منها » .
ويذكر ايضاً (المصدر نفسه ، السلسلة ١ ، ص ٨٣٩) ان سابور الأول (٢٤١ — ٢٧٢ م) ، « امر فبنيت بارض السواد مدينة وسماها يزرج سابور — وهي الانبار — » .

ويذكر اميانوس مارسلينوس (، ج ٢٤ ، ٢ : ٩ — ٢٢) ان مدينة بيريسابوراس الواسعة والمكتظة بالسكان تقع في منطقة اشبه بالجزيرة وكانت محاطة باسوار دفاعية مضاعفة بالغة المتانه . وفي احدى الليالي من عام ٣٦٣ م نجح الرومان بقيادة الامبراطور جوليان في تدمير برج قوي عند احد الأركان مما حمل الاهلين على ترك المدينة والهرب طلباً للنجاة الى قلعة بُنيت على تل منعزل شديد الانحدار ترتطم به مياه الفرات . وكانت اسوار القلعة هذه مبنية بالأجر والقار ، فدافع المحاصرون عن انفسهم ببسالة ، الا انهم استسلموا عندما حصلوا على وعد بأن يسمح لهم بالمغادرة بحرّية . غادر القلعة نحو ٢٥٠٠ رجل ، أما الباقون فنجوا بانفسهم في قوارب صغيرة حملتهم الى الضفة الأخرى من النهر ؛ وكانت المخازن في القلعة مملؤة بالطعام والسلاح ، فأخذ الرومان ما ارادوا واحرقوا الباقي والمدينة ايضاً .

وفي نهاية القرن الرابع للميلاد إتخذ الناسك ماريونان سكناً له في ضواحي الأنبار التي كانت مهجوره آنذاك . وبعد موته دفن في ضاحية الانبار وبُنيت

فوق قبره كنيسة وعدد قليل من الحجرات للدلالة على البقعة. وفي احد الأيام تجلى المسيح على القس مار عبده وأمره بان يتلو الصلوات عند قبر مار يونان ومن ثم ان ينقل رفاته الى الكنيسة في الأنبار وقد نفذ ماطلب اليه ، فدفن ماريونان على يمين مذبح الكنيسة غير بعيد عن جُرن المعموديه . (تاريخ سعرت [شير] ، آثار الآباء الشرقيين ، المجلد ٥ ، ص ٢٤٨ .)

ويقول ياقوت في معجمه (فستنفلد : المجلد ٢ ، ص ٧٠١) ان دير مار يونان كان يدعى ايضاً (عُمْر مار يونان) . وكان كبيراً ومحصناً تحصيناً قوياً ومجاوراً للجامع الكبير .

ويضيف ابو الفضائل في مراصده (يوينبول : المجلد ١ ، ص ٤٤١) ان هذا « هو الدير المعروف بدير الغراب تحت الانبار ، وكان للنصارى به موسم يخرجون اليه كل سنة . وهذا الغراب كان من نزهات النصارى »

ويكتب اسيمانوس (المكتبة الشرقية : روما ، ١٧١٩ — ١٧٢٨م ، المجلد ٣ ، ص ص ١٩٨ و٥١١) ، نقلاً عن عمرو ، انه حوالي ٥٤٠ م كان عبد المسيح من اهل الحيرة قد طلب بناء دير للقديس يونس قرب الانبار ؛ وقد هدم هذا الدير وكذلك دير القديس كيرياك عام ٨١٥ م ابان خلافة الخليفة المتوكل .

اقام الحارث بن عمرو في الانبار . وعندما قام المنذر بمهاجمته هرب منه الى الثوية حيث فوجئ بجيش من فرسان تغلب وبهراء وإياد . ولذلك طلب اللجوء الى ديار قبيلة كلب . (امرؤ القيس ، الديوان [ديسلان] ، ص ٤)

وفي عام ٥٣١ م انطلق كسرى الاكبر من بلاد بابل (طيسفون) الى الصحراء قرب مستوطنة اباورن (الانبار) على مسافة خمس مراحل من حصن كركينسيون (كركيسيوم) الثغري الروماني ،

حيث قسّم جيشه ، فارسل القسم الاول بقيادة ادرومانيس بمحاذاة الفرات الى الاراضي الرومانيه ،وقام هو بقيادة القسم الآخر الى نهر ابوراس (الخابور) حيث فاجأ الرومان الذين كانــوا يحاصرون داراس . عبر ادورمانيس الفرات ثم التف حول كركيسيوم وذهب سوريا (ثيو فيلكتوس سيموكتّا ، التاريخ ، جـ٣ ، ١٠ : ٦ — ٨ .)

ويقول يوحنا الابيفاني : الشذرات (ملر) ، ص ٢٧٥) ، ان ادارمانيس عبر الفرات قرب كركيسيوم .

وفي نهاية عام ٥٩٠م فرّ كسرى الثاني بطريق المتوطنتين المحصنتين انّاريون (الأنبار) واناثون (عانة) الى حصن كركيسيون (كركيسيوم) . وعند توقفه عند علامة الميل العاشر من ذلك المكان ارسل التماساً الى القائد (ثيو فيلكتوس سيموكتّا ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ١٠ : ٤ وما بعد) .

وقد فرّ كسرى بطريق بيروز شابور عانات الى كركيسيوم ومنها طلب حماية الامبراطور موريس (التاريخ المختصر [كويدي] ، ص ١٥ ؛ نولدكه ، التاريخ السوري [١٨٩٣] ، ص ٦) .

وفي عام ٧٥٢ م انتقل الخليفة ابو العباس من الكوفه الى الانبار حيث أمر ان يُبنى لـه مسكن هناك (ايليـا النصيبـي ، التاريـخ الرئيسي ، [بروكس] ، القسم ١ ، ص ١٧٣) .

وفي عام ٧٥٤ م توفي ابو العباس السفاح ودفن في قصره عند الأنبار (اليعقوبي ، التاريخ [هوتسما] ، المجلد ٢ ، ص ٤١٢) .

وفي عام ٧٩٧ م قام هارون الرشيد بزيارة الى الانبار واتخذ مقاماً له في بلدة ابي العباس الواقعة على مسافة نصف فرسخ من الانبار . وفي هـذه البلـدة ظل يقيم كثير مـن الناس الذين جُلبوا مـن خراسان (الدينوري : الاخبار [كويركاس] ، ص ٣٨٦ .)

وعندما عاد هارون الرشيد من الحج عام ٨٠٣ م «نزل الحيرة فأقام اياماً ثم مضى على طريق البرية فنزل بموضع من الانبار يقال له الحُرف بدير يقال له

دير العُمْر ، حيث أمر بقتل وزيره جعفر بن يحي (اليعقوبي ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٥١٠) .

ويذكر الطبري (المصدر السابق ، السلسلة ٣ ، ص ٦٧٨) ان هارون الرشيد شخص من الحيرة في السفن حتى نزل العُمْر الذي بناحية الأنبار. والعُمْر هو دير مار يونان .

ويصف الاصطخري في مسالكه (دي خويه) ، ص ٧٧ ، « الانبار مدينة واسعة ، وبها اثار ابنية ابي العباس السفاح اول خلفاء بني العباس ، وكانت داره التي يسكنها ، وهي مدينة عامرة آهلة ، ذات نخل وزرع وشجر ، وهي شرقي الفرات » وكان مما يزرعه الاهاون القوغ والصفصاف التي كانوا يستعملون اخشابها في بناء القوارب والبيوت وادوات متنوعة . والقوغ والصفصاف كلاهما ينمو ان نمواً حسناً بوجه خاص الى الشمال الغربي من الامبار » .

اما المقدسي في احسن التقاسيم (دي خويه) ، ص ١٢٣) فيصف الانبار «مدينة كبيرة اول ما نزل المنصور بها ، وثم داره ، وقد خفت »

ويكتب الادريسي ، في تقويمه (ترجمة جوبير) ، المجلد ٢ ، ص ١٤٤ ، ان الانبار بلدة صغيرة مزدحمه ولها سوق ومعامل متنوعه . وبساتين واسعة للخضروات . وعندها يتفرع من الفرات نهر عيسى الذي حفره المسلمون للوصول الى بغداد بالقوارب من الفرات .

وفي ١٣ كانون الثاني (يناير) ، ١٢٥٨ م عبر القائدان المغوليان بايجو و نويان سنجق دجلة وبعد زحفهما بجانب طريق الدجيل وصلوا الى نهر عيسى حيث عسكروا ، ومن هنا تقدم سنجق حتى وصل الى جوار الحربية . وعند ذلك قام قادة الخليفة ، وكان معسكرهم يقع بين بعقوبة وباجسرا . بعبور دجلة ايضاً وهاجموا سنجق على مسافة تسعة فراسخ من بغداد في المنطقة المجاورة للانبار ، غير بعيد من قصر المنصور الواقع فوق المزرفة . ثم عاد سنجق بعدئذ الى البشريه الواقعة على الدجيل . وفي ١٧ كانون الثاني (يناير) داهم الجيش المغولي فجأة جيش الخليفة ، الذي دُمر وسُحق سحقاً كاملاً بحيث لم يهرب الى مدينتي الحلة والكوفة سوى القليل من الجنود

رشيد الدين في جامع التواريخ [كاترمير] ص ص ٢٧٨ و ٢٨٠) .

وفي عام ١٢٦٢ م قام القائد التتري كربوقا بنهب الانبار والفتك بكثير من اهليها (المقريزي السلوك [كاترمير : المجلد ١ ، القسم ١ ، ص ١٧١) .

وكانت بيروز شابور ، اي الانبار ، مقراً للمطران . ويسجل شابو في المجمع الكنسي (١٩٠٢) ، ص ٥٣) انه في عام ٤٨٦ م شارك المطران موشى من بيروز شابور في المجمع الكنسي النسطوري . وفي عام ٤٩٧ م كان المطران هناك اما موشي ، أو شمع (المصدر نفسه ص ص ٦٢ و ٦٧) .

وفي عام ٥٤٤ م كان شخص يسمّى شمعون مطراناً في بيروز شابور ، وهي بلدة الطيّاية (المصدر نفسه ، ص ص ٧٠ و ٧٣ ، اسيمانوس ، المكتبة الشرقية [روما ، ١٧١٩ — ١٧٢٨] ، المجلد ٢ ، ص ٤١٣) . وطيّايه هي الاسم الذي اطلقه المؤلفون السريان على العرب الأوائل .

وفي عام ٥٧٦ م ورد ذكر اسم المطران مرائي هناك (شابو ، المصدر السابق ، ص ١١٠) .

وفي ٦٠٥ م ورد ذكر اسم المطران شمعون فيها (المصدر نفسه ، ص ٢١٤) .

وفي عام ٧١٩ م ورد ذكر اسم المطران يوحنان فيها (المصدر نفسه ، ص ٦٠٣) .

وكان لليعاقبة ايضاً مطران في الانبار . ويذكر ميخائيل السوري في تاريخه (شابو : المجلد ٤ ، ص ٤١٣) انه في عام ٦٢٩ م كان المطران اليعقوبي احا مطراناً في بيروز شابور وفي الاراضي التي كان يخيّم فيها عرب (طيّايه) من قبيلة النمر .

واستناداً الى المطران الياس الدمشقي الذي نُقل في العقد الأخير من القرن التاسع من القدس الى دمشق فانّ الجاثليق النسطوري كان رئيساً لمطارنة كشكر والطيرهان ودير هرقل والحيرة والانبار والسن وعكبرا (اسيمانوس ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٤٥٨) .

وفي عام ٩٠٠م كان رجل يسمّى الياس مطراناً في الانبار (ايليا النصيبي المصدر السابق ، القسم ١ ، ص ١٩٦) . اما اسيمانوس ، المصدر السابق ، المجلد ٣ ، ص ٢٥٨ ، فيذكر ان المطران في عام ٩٨٧ م كان المطران النسطوري الياس .

وفي عام ١٠٢٨ م كان المطران رجلاً اسمه المنذر (المصدر نفسه ، ص ٢٦٤) .

وتقع الانبار على الخط الحدودي الفاصل بين بلاد الجزيرة وبلاد بابل .

ذكر ابن حوقل (المسالك (دي خويه) ص ١٣٨ ، ١٥٥ ، ١٥٨) «الجزيرة التي بين دجلة والفرات » وينقطع الحد عن الفرات مما يلي الجزيرة بالانبار ، ثم يعود حد الجزيرة في سمت الشمال فيكون الى تكريت الحد العراق وتكريت على دجله ، وينتهي الحد منها مصاعداً على دجلة الى آمد . ، ثم يعود ذلك مغرباً على البر الى سميساط ، ثم ينثنى الى مخرج ماء الفرات على حد الاسلام من حيث ابتدائه . وعلى شرقي دجلة وغربي الفرات مدن وقرى تنسب الى الجزيرة وهي خارجة عنها ونائية منها .

وبالجزيرة براري ومفاوز وسباخ بعيدة الاقطار تنتجع لامتيار الملح والاشنان والقلي . وكان يسكنها قبائل من ربيعة ، اهل خيل وغنم وابل قليلة ، واكثرهم متصلون بالقرى وباهلها : فهم بادية حاضرة ، فدخل عليهم في هذا الوقت من بطون قيس عيلان الكثير من بني قشير وعقيل وبني نمير وبنى كلاب ، فازاحوهم عن بعض ديارهم بل جلها ، وملكوا غير بلد واقليم كحران وجسر منبج والخابور والخانوقة وعرابان وقرقيسيا والرحبة في ايديهم يتحكمون في خفائرها ومرافقها . »

ويحدد الاصطخري في مسالكه (دي خويه) ، ص ص ٧١ ومابعدها و(٧٧ و ٨٧) بلاد الجزيرة ما بين دجلة والفرات . ومخرج الفرات من داخل بلد الروم

ويمر على بالس والرقة وقرقيسيا والرحبة والانبار ، وقد انقطع حد الفرات مما يلي الجزيرة . . ثم يعدل حد الجزيرة من سمت الشمال الى تكريت وهي على دجلة ، ومنها يتبع هذا النهر نحو الشمال . والى الغرب من تكريت عن غربها الى الانبار بين دجلة والفرات قليل العمارة ، وانما العمارة منه ما يحاذي الشاطئ أميالاً يسيرة والباقي بادية » .

ويسجل القزويني في عجائبه (فستنفلد) ، المجلد ٢ ، ص ٢٨٠) ان العراق من الموصل الى عبادان طولاً ومن القادسيه الى حلوان عرضاً ، فالحدود الشرقية لبلاد الجزيرة ، وفقاً للقزويني ، من خط يمتد من الموصل الى القادسية .

وكان مفهوماً عند ابي الفداء في تقويمه (رينو دي سلان ، ص ٢٧٣) ان بلاد الجزيرة هي الاراضي بين دجله والفرات ومعهما المناطق الشاسعة الى الغرب من الفرات مثل الرحبه الخ . . . التي تعود أصلاً الى سوريا . ويضيف الى ذلك ، على كل حال ، بان الحد المعترف به عموماً يتكون من مجرى الفرات حيث يمر في بالسس والى الرقه والى قرقيسياء والى الرحبه والى هيت والى الانبار . ثم يعطف من الانبار الى تكريت وهي على دجله الى السن والى الحديثه على دجلة والى الموصل .

ويجعل كايتاني ، في حولياته (ميلانو ، ١٩٠٧) ، المجلد ٢ ، ص ١٩١٩ ، الملاحظه ١) حدود العراق الشماليه خطا مستقيماً من هيت على الفرات الى تكريت على دجلة . وبالرغم من ان هذا يتفق مع بيانات بعض الجغرافيين العرب ، فانه مناقض لبيانات المؤلفين الكلاسيكيين ، كما انه لايمت بصلة الى الشكل الفيزيوغرافي [الجغرافي الطبيعي] للارض .

الملحق التاسع عشر

خفان او القايم

ان القايم الحالية الواقعة على الطريق المسلوكة من الكوفة الى البصرة هي على موقع خفّان القديمة .

يقول ياقوت في المعجم (فستنفلد) ، المجلد ٢ ، ص ٤٥٦)

« خفان موضع قرب الكوفه يسلكه الحاج احياناً وهومأسدة ، قيل هو فوق القادسيه وقال ابو عبيد السكوني خفان من وراء النسوخ على ميلين او ثلاثة عين عليها قرية لولد عيسى بن موسى الهاشمي تعرف بخفان وهما قريتان من قرى السواد من طف الحجاز ، فمن خرج منها يريد واسطاً في الطف خرج الى نجران ثم الى عبد ينيا وجنبلاء ثم قناطر بنى دارا وتل فخاراثم الى واسط وقال السكرى خفان وخفية اجمتان قريبتان من مسجد سعد بن ابي وقاص بالكوفة» .

ويصف ابو الفضائل ، كما يفعل ياقوت (المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٣٥٩) ، موقع خفان وصفاً غير دقيق ، ممايوضح ان هذا المكان على عهد هذين المرجعين إما كان قد اكتسب آنذاك اسماً مختلفاً او انهما لم يعرفاه شخصياً . ويرينا السكري ايضاً مجرد المام سطحي بالمنطقة عندما يربط خفّان بخفية محدداً موقعهما قرب مسجد سعد بن ابي وقاص الذي كان يقع في الحقيقة على طريق الحاج جنوبي المغيثه في صحراء محرقه لا تنبت فيها الادغال . والواضح ان خفيه التبست على ياقوت بخفّان ، لان خفيه وليس خفّان هي التي كان يجب على الحجاج اجتيازها كلما غمرت مياه الفيضان الطريق شمالي القادسية .

ان بيانات السكوني على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لنا خاصة حينما يحدد موقع مستوطنة النسوخ بانه قرابة عشرة أميال شرقي القادسية على

طريق يؤدي الى خفّان (ياقوت ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٧٨٢) . (وأرى ان ضيعة النسوخ تدابق خرائب ام العصافير على مسافة خمسة عشر كيلو متراً الى الجنوب الشرقي مـــن القادسيه) لذلك فالمسافة مـــن القادسية الى خفان ، وفقاً للسكوني ، كانت اثنى عشر او ثلاثه عشر ميلاً . ومهما يكن فان الشرق في هذه الحاله يعني الجنوب الشرقي . ويتفق الموقع والمسافة كليهما بهذا الصدد مع بيان يحي بن ميمون ، وهو مواطن من اهل القادسية (الطبري : التاريخ[دي خويه]، السلسلة ٣ ، ص٢٩٥) . فهو يقول ان ابن معقل في عام ٧٦٢ م « ولى القادسية ليمنع اهل الكوفه اتيان ابراهيم «في البصرة » . وكان الناس قد رصدوا طريق البصرة فكانوا ياتون القادسية ثم العذيب ثم وادي السباع . ثم يعدلون ذات اليسار من البر حتى يقدموا البصرة . فخرج نفرمن الكوفة اثنا عشر رجلاً حتى اذا كانوا بوادي السباع لقيهم رجل . . من اهل شراف دون واقصة بميلين . . فاتى ابن معقل فاخبره ، فاتبعهم فادركهم بخفّان ، وهو على اربعة فراسخ من القادسية . »

على ان هنالك ايضاً اخباراً اخرى تدعونا الى البحث عـــن خفّان الى الجنوب الشرقي مـــن القادسية وعلى حـــدود الصحراء . فيذكر المسعودي (التنبيـــه (دي خويـــه) ، ص ٣٩٠) ان المسافة مـــن القادســـية الى خفّان هي ستة أميال ، الا انه بعمله هـــذا يخلط بين هـــذه المسافة والمسافة من القادسية الى العذيب . ويتبين لنا ايضاً ان خفان تقع الى الجنوب الشرقي من القادسية على الطريق الى البصرة وذلك من قيام القائد القرمطي ابو طاهر بالزحف باتجاه شمالي غربي الى القادسية ، حيث طلب من جنوده الاستدارة ليقطع طريق الحجاج الهاربين شمالاً . وقد ادركهم عند العذيب على مسافة ستة أميال (المصدر السابق ، ص ص ٣٨٩ وما بعد) .

ويكتب كايتاني في حولياته(١٩٠٧) ، المجلد٢ ، ص٩٢١ ، الملاحظة ٦ب) ،

اذا لمسعودي يذكر ان الطريق من جزيرة العرب الى الكوفه يمر بخفّان ، وبجوارها كانت لأمراء لخم قصور تعرف بالخورنق (وبهذا الصدد يشير كايتاني ايضاً الى الطبري (المصدر السابق : السلسلة ١ص ٢٨٥١)ولاتدعم نصوص المسعودي ولاالطبري ماذهب اليه كايتاني في هذ االشأن

وفي عام ٩٠٦ ـ ٩٠٧ م اجتازت خفان (عريب ، الصلة [دي خويه] ، قطعات من جيش الخليفة عند زحفها لمعاقبة زعيم القرامطة زكرويه الذي كان يحاول الهرب بالحجاج الاسرى والمنهوبين من محطة فيد بطريق النباج وحُفير ابي موسى الاشعري الى البصرة . ص ١٧)

ويروي ابن الأثير في الكامل (تورنبرك) ، المجلد ٩ ، ص ص ٤١١ وما بعدها) ان بني خفاجه في عام ١٠٢٦ م قاموا بنهب الجامعين والمنطقة المجاورة لها ، فلحق بهم والى المنطقة ابن مزيد ، وادركهم عند حصن خفّان الصحراوي ، وبعد ان فرّق شملهم واخذ مقادير كبيرة من ممتلكاتهم حاصر الحصن ،ثم استولى عليه وهدمه . وكان يريد هدم البرج (قايم) المشيد بالآجر والكلس ، الا انه عدل عن ذلك عندما قدم لهصاحب البرج ربيعة بن مطاع هدايا كبيرة . ويقال ان هذا البرج (القايم)كان مناراً للسفن عندما كان البحر يصل حتى النجف .
وتظهر جميع البيانات ان خفّان القديمه يمكن البحث عنها عند قرية القايم الحالية .

زار ابن بطوطه (التحفه (دفريميري وسانكونيتي) ، المجلد ٢ ، ص ٢) هذا المكان في رحلته من النجف بطريق الخورنق الى البصرة وسماه (قايم الواثق) . ويبدو ان الخليفة الواثق (٨٤٢ـ٨٤٧) كان قد أمر بتشييد مسجد هناك لم يبق قائماً منه على عهد ابن بطوطه أثر الاصومعته . ويؤكد هذا ابو الفضائل (المصادر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٣٨٢) الذي يقول ان القايم «بناء قديم بخفّان في بر الكوفة يعرف به» . ومن الممكن ايضاً

ان الخليفة الواثق بنى المسجد على موقع دير قديم ، وان القايم لم يكن سوى بقايا كنيسة مسيحية او برج مراقبة فارسي .

ذكر ابو الفضائل (المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٤٢٨) ان دير حنا هو دير قديم بالحيرة مقابل منارة عالية كالمرقب يقال لها القايم ، واظنه الذي يقال له خفان .

وينقل ياقوت (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٦٨٤) عن ابي الفرج الاصفهاني « إصبع خفّان بجوار الكوفه وعنده دير هو الآن خراباً » ويقو ايضاً ان «اصبع خفان بناء عظيم قرب الكوفه من ابنية الفرس واظنهم بنوه هناك ليكون منظرة ، ياقوت . المصدر نفسه ، المجلد ١ ، ص ٢٩١) . وهذا ما كرّره ابو الفضائل (المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٧١) .

ويصف البكري في معجمه (فستنفلد) ، ص ٣٢٣) خفّان بانها «موضع قبل اليمامه اشب الغياض ، كثير الاسد ، ومنازل تغلب بين خفان» والعذيب . قال عمرو بن كلثوم :

فيهنّ تراثي تغلب بنة وائل   اذا نزلوا بين العذيب وخفان

وكان الشاعر الاخطل ، وهو من بني تغلب ، معتاداً ان يخيم في خفّان . (الديوان : [صالحاني] ص ٢٩٤) .

ويقع القايم على الحدود الجنوبية الغربية لمستنقعات واسعة حيث كان من السهل ان تختفي فيها حيوانات وحشية من انواع مختلفة . وفضلاً عن ذلك فالى مسافة خمسين كيلو متراً غربي الفرات يتوفر ماء كثير وإنْ كان مذاقه يميل الى الملوحة قليلاً . وفي السهول والوديان المتعددة لهذا المنخفض تشكل الطرفاء مجموعات من الشجيرات تشمخ

فوقها اشجار نخيل برية كثيرة السعف تكاد تكون سوداء او جافة ورمادية قاتمة . وبسبب لونها يدعوها اهل البلد بالسُمْر (اي السود) . وكان في امكان الاحراش السفلى والبرك الضحلة ان تقدم للحيوانات الوحشية الملجأ والماء .

وينقل ياقوت (المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٣٥٩) عن راويته العُرَني « من البصرة الى عين جمل ثلاثون ميلاً ، والى عين صيد ثلاثون ميلاً ، والى الاخادير ثلاثون ميلاً والى أقُر ٣٠ ميلاً ، منها الى سلمان ٢٠ ميلاً ، ومنها الى لعلع ٢٠ ميلاً ، والى بارق ٢٠ ميلاً ، والى مسجد سعد ٤٠ ميلاً ، والى المغيثه ٣٠ ميلاً ، والى العذيب ٢٤ ميلاً ، والى القادسية ٦ أميال ، و الى الكوفة ٤٥ ميلاً . » فالمسافة من سلمان الى الكوفه اذن ، وفقاً للعُرَني ، هي ١٨٥ ميلاً ، او ٣١٤ كيلو متراً ؛ وفي الواقع انها قرابة ١٦٠ كيلو متراً . ولذا فانّ المسافات المختلفة المذكورة غير جديرة بالاعتبار .

اما من القادسية الى الكوفة فان المسافة ، وفقاً للعُرَني ، هي ٤٥ ميلاً او ٧٦ كيلو متراً . وهي في الحقيقة ٣٠ كيلو متراً فقط ، او ١٧ ميلاً .

والمسافة من القادسية الى العذيب هي ثمانية كيلو مترات ، وهي وفقاً للعرني ٦ أميال التي قد تتفق بما فيه الكفاية لو احتسبنا ان كيلو متراً ونصف تساوي ميلاً واحداً .

والمسافة من العذيب (عين السيّد) الى المغيثة هي ٣٦ كيلو متراً ؛ وهي وفقاً للعُرَني ٢٤ ميلاً ؛ وهذه تتفق ايضاً ، عند احتساب كيلو متر ونصف للميل الواحد .

والمسافة من المغيثه الى مسجد سعد وفقا للعرني هي اربعون ميلاً ، مع ان المسافة من هنالك الى المسجد ، كما يدعى المكان الاخير الآن ، لاتمثل في الواقع الا ٢٣ ميلاً .

ان موقع محطة بارق غير معروف . ويجعل ياقوت (المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٤٦٣) بارقاً حداً فاصلاً بين القادسيه والبصرة . وعلى كل حال فانني اظن ان جُدْ (بئر) هي الكتابة الصحيحة ، وليس حد (اي النقطة الفاصلة) ، لان القادسيه لم تكن قط مركزاً لادارة سياسية ولهذا لايمكن ان تفصل بارق بين منطقتين اداريتين . ومن ناحية اخرى فقد كان هناك طريق من البصرة الى القادسية يمر بمحطة بارق ، ولما كان لكل محطة صحراوية منهل ماء فمن الجائز ان نفترض ان هذا المنهل في بارق كان يتمثل في البئر المذكور (جد) .

والمسافة من المسجد الى سلمان هي ستون كيلو متراً .

ولقد قام ابن بطوطة (المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ص ١ وما بعدها) برحلة من مشهد علي (ع) بأزاء الخورنق الى محطة قائم الواثق فقال « وبه اثر قرية خربة ومسجد خرب لم يبق منه سوى صومعته ، ثم رحلنا عنه آخذين مع جانب الفرات بالموضع المعروف بالعذار وهو غابة قصب في وسط الماء يسكنها اعراب يعرفون بالمعادي وهم قطاع الطريق » . ثم استأنف رحلته الى البصرة . وتُعرف ارض المستنقعات المسماة العِذار حالياً ، بالغذاري ؛ فبدلاً عن عذار كان ينبغي ان يكتب غِذار .

ان اسم عشيرة المعادي مطابق لاسم عشيرة المَعدان ، التي استوطنت على كلتا الضفتين اليمنى واليسرى للفرات .

*

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الملحق العشرون

أهاوا ، مسكنه ، مسجين

ان موقع مسجين ذو أهمية كبيرة ويفسر لماذا ظهرت فيما بعد مستوطنة كالسميجه وازدهرت هنا في المنطقة المجاورة للخرائب . ففي هذه النقطة في الازمان الغابرة ، كما هو الحال اليوم ، تفرع طريقان : احدهما يتجه غرباً ، والآخر في أتجاه شمالي غربي من طريق النقل الذي يتابع الضفة اليمنى لدجلة . وكان موقع مسجين ولا يزال ملتقى طرق مهمة ، وهي تذكرنا بأهاوا العبرية وسكنائي القديمة او مسكنه .

ويكتب اسدراس (٨ : ١٥ ، ٢١ ، ٣١) انه جمع اليهود ، الذين كان عليهم العودة معه من بلاد بابل الى فلسطين ، بجوار نهر يجري باتجاه اهاوا ؛ وهناك مكثوا ثلاثة ايام وهم صائمون . ويظهر ان هذا النهر او القناة التي تجري باتجاه اهاوا يجب البحث عنها على حدود بلاد بابل الاصلية ، لان المنطقة التي كان على اليهود اجتيازها فيما وراء تلك النقطة كانت محفوفة بالأخطار . وتعني كلمة اهاوا مستوطنة تتألف من خيام ، وهي شبيهة بـ (سكينائي) او مسكنه . وكان في مقدور اليهود العودة إما بمحاذاة الفرات او باختراق المنطقة الوسطى من بلاد ما بين النهرين . وكان الطريق الأول هو الأقصر ، الا أنه اصعب واخطر بكثير من الثاني . فلم يكن على الفرات في بداية نيسان (ابريل) قمح ناضج ، وعلى هذا ما كان في وسع العائدين ايجاد طعام لأنفسهم ولا مرعى لحيواناتهم . وبالاضافة الى ذلك ، فان رؤساء المدن المختلفة على امتداد الفرات ، وهم دائماً مستقاون الى حد ما ، كانوا ولا ريب سيثقلون عليهم بمطالبهم . فرؤساء من المنطقة المحيطة لم يكونوا ليترددوا في الهجوم على جماعة من الغرباء ليسوا في حماية جنود من الفرس ،

وكانوا يعلمون او يتصورون في الاقل ، انه كان لديهم كثير من المال والتجهيزات.

ويشير إسدراس نفسه (٨ : ٣١) الى الخطار المحدق به وبشعبه في الطريق الى ديارهم ، ولما كان لا يرغب مطالبة الفرس بحماية عسكرية ، فانه وضع ثقته بالله وحده واختار في اغلب الاحتمال الطريق الأطول ، وهو الأسهل والاكثر أمناً ، مخترقاً وسط بلاد ما بين النهرين .. وادى هذا الطريق أولاً بمحاذاة الضفة اليمنى لدجلة باتجاه الشمال حتى الموصل في يومنا هذا تقريباً ؛ ثم انعطف غرباً بحذاء سفح السلسلة الجبلية الشمالية مخترقاً المنطقة بين البادية والمنطقة الحضرية حتى الفرات الذي وصل اليه عند مخاضة ثبساكوس في المنطقة المجاورة لخرائب بالس الحاليه . فاذا كان إسدراس قد اختار هذا الطريق فلا بد ان تكون مسجين هي الموضع الذي انطلق منه (اي سكينائي الكلاسية واهاوا العبريه) .

ويقودنا سترابو (الجغرافيه ، ح ١٦ ، ١ : ٨ ، و٢٦ ومابعد) الى النقطة نفسها . فهو يرى ان جيران بلاد بابل ، على جانب اديابيني و كوردياني ، هم عرب مسكنه (الا سكنيون) ، ومخيماتهم تقع جنوبي السلسلة الجبلية في ذلك الجزء من بلاد الجزيرة الذي يفتقر الى الماء ولهذا كان مجدباً . و بين الفرات ودجلة يجري مايسمى بالنهر الملكي ثم الاوراس الذي يقطع اراضي انثموسيا ومنطقة سكنيتائي المسماة آنذاك (اي في زمان سترابو) مالي. وخلال الجزء السوري من الصحراء يؤدي طريق تجاري من سوريا الى سلوقية وبابل ، اذ يعبر التجار الفرات عند انثموسيا : وهي مكان في بلاد الجزيرة . وفيما وراء النهر ، على مسافة اربع سكونات ، تقع بامبيكه ، ودعيت ايضاً اديسا وهيرابوليس ، وهي محل عبادة الإلهة السورية اتركاتيس . ويخترق طريق من المخاضة الصحراء حتى سكنائي ، وهي بلدة كبيرة الحجم على حدود بلاد بابل مشيدة قرب قناة للري . والرحلة من مخاضة الفرات الى سكنائي تستغرق خمسة وعشرين يوماً . ويسافر التجار على ظهور

الجمال ، وكانت خاناتهم على عارضة الطريق تجهز بالماء الذي يحفظ عادة في صهاريج ، الا انه يُجلب من مكان آخر . والاسكنيون أناس طيبون يكتفون بمبالغ زهيدة ، ولهذا السبب بالتحديد يتفادى التجار ضفاف الأنهار ، ويفضلون اختراق الصحراء ، وبذلك يتركون النهر على يمينهم على مسافة ثلاث مراحل تقريباً ، وذلك لأن الرؤساء على امتداد كلتا ضفتي النهر في منطقة قليلة الخصوبة مع انها مزروعة ، مستقل احدهم عن الآخر ، ويتقاضى كل منهم مبلغاً — من النادر ان يكون معتدلاً — عند المرور باراضيه . ومن الصعب جداً بالنظر الى هذا الحشد من الناس المفرطين في الجشع ادخال نظام مشترك من الرسوم يلائم التجار . والمسافة من سلوقية الى سكيناثي هي ثمانية عشر سكونرساً .

ان بيانات سترابو غير واضحة وضوحاً كافياً . فهو يرى ان العرب الاسكنيون خيموا جنوبي السلسلة الجبلية في القسم الجنوبي من بلاد الجزيرة بين الفرات ودجلة ، وتتاخمهم بلاد بابل من الجنوب الشرقي . اما النهر الملكي عنده فهو باليخ عند العرب ، او باليخوس في المكتبات الكلاسيكية . وقد اورد راويته كلمة مليخوسس وترجمها بالملكي . اما الآبوراسس فهو الخابور . ولم تكن انثموسيا تقع اعلى من مخاضة الفرات بل بعيداً الى الشرق منها . كما ان بامبيكه ليست مطابقة لاديسا . فلو سارت القوافل من المخاضة الى سكنائي بخط مستقيم لكانت تبعد مسافة ثلاث مراحل من الفرات عند ثلاثة اماكن فقط . ولو ارادوا ان يسيروا المدة اطول كثيراً ، لكان عليهم اثناء سفرهم أن يقتربوا من النهر مسافة تزيد كثيراً على ذلك ولا تزيد احياناً ليس اكثر من ثلاثين كيلومتراً . وفي مثل هذه الاماكن كان يمكن طبعاً ان يتعرضوا الى مضايقات من رؤساء القرى على امتداد مجرى النهر و يحرموا من مزايا السير خلال الصحراء . ولم يصل الينا اي ذكر لطريق تدل على مسافة ثلاث مراحل الى الشمال الشرقي من الفرات الاوسط ، الا اننا نعرف خط طريق النقل القديم الى الشمال الشرقي من الفرات بمحاذاة السفح الجنوبي للسلسلة الجبلية وبمحاذاة الخط الفاصل بين البادية

والمنطقة الحضرية . وفي قسمه الشرقي يستدير هذا الطريق نحو نهر الثرثار ويصل اليه قرب موقع خرائب مدينة الحضر ، ومن هنا يتجه فرع شرقا نحو مدينة آشور القديمه ، وهي قلعة شرقاط الحالية ،وفرع آخر يخترق وادي الثرثار باتجاه جنوب — الجنوب الشرقي ، ويستدير الاخير بعد مغادرة الوادي اسفل من خرائب الجلمه متجنبا جميع الشعبان الوعرة الى شرق — الجنوبي الشرقي ، مؤدياً في النهاية الى مـا يعرف الآن بخرائب مسجين . وفي رأيي ان الطريق التجاري الذي ذكره سترابو ربما يتطابق مع هذا الطريق ، وبهذه الطريقة فقط يمكن تفسير منشأ مدينة الحضر وإزدهارها . ان المحطات المختلفة مـن الحضر الى جنوب — الجنوب الشرقي لاتزال ظاهرة للعيان ، وتدعى الخرائب الباقية بنيّه (اي البناء) . والمسافة من سلوقيه الى مسجين هي خمسة وثمانون كيلو متراً أي اربعة عشر سكونوساً وليس ثمانية عشر .

ويذكر اسينيوس كوادراتوس (اسطيفان البيزنطي ، الأجناس [ماينكه] ص ٤٣٧) في معرض حديثه عـن الحرب بين الامبراطور سبتميوس سفيروس والفرث ، بلدة مسكنه الواقعة قُبالة منطقة عرب الاسكنيين . ويتفق هذا مع موضع مسجين الذي نحن بصدده ،لان الامبراطور سبتميوس سفيروس الذي حاصر مدينة الحضر مرتين ، استطاع التقدم من مسجين بمحاذاة الثرثار إليها .

وكان بيت مشكنه في تاريخ مبكر اي منذ عام ٢٢٤ م ،مقراً لمطران مسيحي (تاريخ اربيل [ترجمة سخاو] ، ص ٦٢) .

وفي وقت ما بعد عام ٤٢٢ م سرق الملك الفارسي فرهـان من كنيسـة قارفان في مشلك جواهرها الرائعة التي كان الملك الروماني قد ارسلها بوساطة المطـران اكاسيوس تكريما لوالد فرهـان ، الملك يزدجرد (هوفمان ، مقتبسات [١٨٨٠] ، ص ص ٤٠ وما بعدها ؛ براون : الشهداء الفرس [١٩١٥] ، ص ١٦٥) .—

ويظهر من السياق ان مشك تطابق بيت مشكنه الأقدام ومسكن العربية او مسجين . وربما شُيدت كنيسه قافان مـــن قبل التجار الذين كانوا يستوردون ويصدرون بضائع الى هناك براً ونهراً .

ويشير الأخطل ، في ديوانه (صالحاني) ، ص ٧٩ الى مسكن .

ويذكر ياقوت ، في معجمه (فستنفلد) ، المجلد ٤ ، ص ٥٢٩) ان ان مسكن موضع قـــرب اواناء عـــلى نهـــر الدجـــيل عند ديـــر الجاثليق .

ويضيف ابو الفضائل ، في مراصده (يوينبول) ، المجلد ٣ ، ص ٩٨) ان مسكن «اسم للطسوج الذي منه اوانا من اعمال دجيل ، والموضع الذي فيه عبر مصعب على جانب به الآن ، وجبل به الآن قرية ، ودير الجاثليق قريب منه» .

ان اكمات خرائب اوانا وصريفين او إصريفين ظاهرة للعيان الى الشرق من مسجين .

ويقول ياقـــوت « المصدر السابق : المجلد ٣ ص ٣٨٤ « صريفون في سواد العراق في موضعين احداها قرية كبيرة غناء شجراء قرب عكبرا واوانا على ضفة نهر دجيل اذا أُذن بها سمعوه في اوانا وعكبرا ، وبينهما وبين مسكن وقعت عندها الحرب بين عبد الملك ومصعب ساعة من نهار» وقد صحح هذا الكلام ابو الفضائل (المصدر السابق : المجلد ٢ ص ص ١٥٤ فما بعدها) فقال «انما هي بقرب دجلة القديمة التي تسمى الشطيطة فوق اوانا ، تتصل بضياعها ، عكبرا تقابل اوانا من جانب الشطيطة الآخـــر ، ونهـــر دجيل بعيد منـــها » .

٭

الملحق الحادي والعشرون

برتو و تكريت

يظهر اسم تكريت في التاريخ البابلي في لوحة المتحف البريطاني التي تحمل رقم ٢١٩٠١ ، الاسطر ١٦ – ٢٢ (كاد ، سقوط نينوى [١٩٢٣] ، ص ٣٨) . ففي عام ٦١٥ ق . م هاجم نبوبولصر ، ملك بلاد بابل ، مدينة آشور (قلعة شرقاط) الا انه أجبر على الهرب متبعاً الضفة اليمنى لدجلة حتى مدينة تكريتين . وحمل جيشه على الصعود الى قلعة (برتو) تكريتين ، حيث تمت محاصرته . وعلى مدى عشرة أيام قام ملك بلاد آشور بهجمات عليهم ؛ الا انه لم يستول على المدينة فعاد الى بلاده . وبما ان القلعة ، (برتو) كانت الجزء الاكثر منعة والاكثر اهمية في مدينة تكريت الواقعة على تلين (ولهذا استعملت صيغة المثنى تكريتين) ، فقد اطلق الآشوريون اسم برتو على المدينة نفسها (اللوحة الجيزية : رولنسن ، كتابات مسمارية (١٨٦١ – ١٨٨٤ م) ، المجلد ٢ ، اللوحة ٩٧] ، الوجه المقابل ، الاسطر ٨ وما بعدها ؛ روست ، نصوص مسمارية [١٨٩٣] ، المجلد ١ ، ص ٥٦ ؛ شريدر ، المكتبة المسمارية [١٨٨٩ – ١٩٠٠] ، المجلد ٢ ، ص ص ٥ و ١١ و ٢٦) .

ويتبع بطليموس (الجغرافية ، ج ٥ ، ١٨ : ٩) – وزنو الذي عرف ايضاً بلدة برتا حوالي النقطة التي تقع عندها تكريت في يومنا هذا – الاستعمال الآشوري .

ويروي اميانوس مارسلينوس ، ج ٢٠ ، ٧ : ١٧) عن سابور الثاني (٣٠٩ – ٣٧٩ م) انه بدلا ان استولى على بضعة حصون صغيرة حاصر حصن فيرتا القديم . وقد راج الاعتقاد بان الاسكندر

المقدوني هو الذي شيد هذا الحصن على أبعد حد لبلاد الجزيرة . وكان محاطاً بأسوار ضخمة مزودة بابراج ، وكان يصعب جداً الاقتراب منه . وبالنظر لعدم استطاعة سابور الثاني الاستيلاء على البلدة بالقوة او بالترغيب كما انه تعرض لخسائر اعظم مما انزل بعدوه ، انسحب اخيراً من فيرتا بدون نجاح .

ذكر اليعقوبي ، في تاريخه (هوتسما) ، المجلد ١ ، ص ٢٥٨) « كانت ديار اياد بعد اليمامة الحيرة ، ومنازلهم الخورنق والسدير وبارق ، ثم اجلاهم كسرى من ديارهم فانزلهم تكريت ، مدينة قديمة على شط دجلة ، ثم اخرجهم عن تكريت الى بلاد الروم » وسرعان ما استعرب اهل تكريت (تكارته) . وهذا مما يسهل فهمه ، اذ ان البلدة اصبحت مركز تسويق للبدو بين الفرات الاوسط ودجلة بعد اضمحلال دولة الحضر .

وانضم اهل تكريت الى اليعاقبة . فيروي ابن العبري في تاريخه الكنسي (ابيلوس ولامي) ، المجلد ٢ ، العمود ان ٦٧ و ٨٥) ان برصوما بعد طرده من نصيبين (٤٤٩ م) ، سعى لادخالهم في المذهب النسطوري ، ولكن محاولته باءت بالفشل .

واصبحت تكريت مقراً للمافريان [المطران] ، او ممثل بطريرك انطاكيه اليعقوبي ، وكان تحت ادارته الشرق اليعقوبي بأسره .

وبنى المطران احوديمه (٥٥٩ — ٥٧٥ م) دير كحتاني على مسافة غير بعيدة عن تكريت ، عند طريق تقل ليس فيه ماء (المصادر نفسه ، العمودان ٩٩ و ١٠١ ، احوديمه ، التاريخ [ناو] ، ص ٣٢) . اما اسيمانوس ، المكتبة الشرقية (روما ، ١٧١٩ — ١٧٢٨) ، المجلد ٢ ، ص ٤١٤) فيتحدث عن ديرين بناهما المطران اوديمه عند جويكا وعين قيناء .

وكان اول مافريان [مطران] في تكريت هو مروتا (٦٢٩ م) . وكانت تتبعه في البداية عشرة اسقفيات فقط ، ولكن سرعان ما اصبحت اثنتي عشرة اسقفية (ميخائيل السوري ، المدونه [شابو] ، المجلد

٤ ، ص ٤١٣ ؛ ابن العبرى المصدر السابق ، المجلد ٢ ، العمود ١٢٣ ؛ ايليا النصيبي : التاريخ العام [بروكس] ، القسم ١ ، ص ١٢٧ ؛ دنحا ، تاريخ مروتاء [ناو] ، ص ٧٩) .

استولى المسلمون على تكريت، عام ٦٣٧ م . فيروي البلاذري ، (المصدر السابق ، ص ٣٣٣) «أن عتبة بن فرقد افتتح الطيرهان وتكريت وامن اهل حصن تكريت على انفسهم واموالهم ، وحدثني شيخ من اهل تكريت انه كان معهم كتاب امان وشرط لهم ، فخرقه الخرشي حين اخرب قرى الموصل نرساباد وهاعله وذواتها وذلك عند هجوم معاد بعد ذلك بوقت قصير» . (الطبري ، المصدر السابق ، السلسلة ١ ، ص ص ٢٤٧٤ — ٢٤٧٧ .)

اما ابن العبري في المصدر السابق (المجلد ٢ ، الاعمدة ١٢٣ و١٢٥ و ١٣١) فيقول ان المطران مروتا (٦٢٩ — ٦٤٩) سلّم قلعة تكريت الى المسلمين . وبنى هذا المطران في قلعة تكريت كتدرائية دفن فيها .

وبنى باريسو (٦٦٩ — ٦٨٣) في تكريت كنيسة الشهيدين المقدسين سيرجيوس وباخوس ، واصبحت فيما بعد الكتدرائيه الثانية . وعلاوة على ذلك، فإنه اسس قرب تكريت دير بيت عرباى (اسيمانوس : المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ص ٤٢٢ و ٩٢٩ ؛ ابن العبرى : المصدر السابق ، المجلد ٢ ، الاعمدة ١٣٣ و ١٤٣ و١٤٥) . ولعل بيت عُرباى تطابق الاربعين الحالية .

ولرغبة المافريان [المطران] دنحا (بعد عام ٦٨٤ م) في الاستقلال ، فإنه عين مطارنة بدون موافقة البطريرك . ولهذا السبب فإنه عُزل واحتجز في احد الاديرة ، ولم يتسن اعادته الى مركزه ثانية الا بعد وفاة البطريرك جوليان . (ميخائيل السوري ، المصدر السابق ، المجلد ٤ ، ص ٤٤٨ .) فبنى كنيسة جديدة للقديس احوديمه ، التي اصبحت الكتدرائية الثالثة (اسيمانوس : المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ٤٣٠ ؛ ابن العبرى ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، العمود ١٤٧) .

وفي عام ٧٦٧ م بنى النساطرة لانفسهم كنيسة صغيرة خارج الاسوار الا انها قريبة من تكريت وبقوا فيها حتى نهاية القرن الثالث عشر (المصدر نفسه ، ص ١٥٧ ؛ اسيمانوس ، المصدر السابق ، ص ٤٣٢) . وفي عام ٨١٧ م توفي البطريرك اليعقوبي ، كيرياك ، في الموصل . وحُمل جثمانه في قارب الى تكريت ودفن هناك في كنيسة الحصن الكبرى (التاريخ السرياني [بروكس] ، ص‌ص ٥٧٨ وما بعدها) .

ويقول ابن رسته في الاعلاق (دي خويه) ، ص ١٠٦) أن تكريت من كور الموصل .

وفي عام ٩٣٩ م خرج الخليفة الراضي والقائد التركي بجكم من بغداد لملاقاة ناصر الدولة الذي كان يقترب من الموصل . وبقي الخليفة في تكريت ، بينما لاقى جيشه ناصر الدولة قرب مستوطنه الكحيل . (ايليا النصيبي ، المصدر السابق ، القسم ١ ، ص ٢١٠ .)

ويروى المسعودي في التنبيه (دي خويه) ، ص ١٥٥) « ابو زكريا دنخا النصراني وكان متفلسفاً جدلاً نظاراً جرت بيني وبينه مناظرات كثيرة ببغداد في الجانب الغربي بقطيعة ام جعفر وبمدينة تكريت في الكنيسة المعروفة بالخضراء في الثالوث وغيره» وكان ابو زكريا ، تحت اسم دنحا ، مطراناً من عام ٩١٢ الى ٩٣٢ .

ويذكر المسعودي (المروج (دي مينار ودى كورتي) ، المجلد ٢ ، ص ٣٢٩) ان معظم اليعاقبه يقطنون في العراق في المنطقة المجاورة لتكريت ، وان هذه البلدة هي ايضاً مقر مطارنهم .

ويقول الاصطخري (المسالك (دي خويه) ، ص ٧٧) ان « تكريت بلد على غربي دجله اكثر اهلها نصارى » .

ويذكر ابن حوقل (المسالك : دى خوية ص ص ١٥٦ ، ١٦٨) ان «تكريت على غربي دجلة ، واكثر اهلها نصارى ، مطلة على جبل عظيم شاهق ، وعلى ظهر هذا الجبل منها الموضع المعروف بالقلعة ، وكانت حصناً ذا

مساكن ومحـال يشملها سـور ، وهـي قديمة أزلية وتجـمع سـائر فرق النصارى ، وبها من البيع والاديرة القديمة التي تقارب عهد عيسى عليه السلام والحواريين ، لم تتغير ابنيتها وثاقة وجلداً ، ومن أعظم بيعة بها محلاً واقدمها بيعة الخضراء . وابنيتهم بالجص والحجر والآجر والحصى . »

وفي عام ٩٣٢م شاهد ابن حوقل أسفل من تكريت بقايا جسر قديم مبني بالآجر .

ويسمّي المقدسي في أحسن التقاسيم (دي خويه) ، ص ص ١١٥ و ١٢٣) من بين المدن التابعة الى منطقة سامراء الادارية المدن التالية : عكبراء واوانا ودمما والانبار وهيت وتكريت . ويقول عن تكريت انها « كبيرة معـدن السمسم وصنّاع الصـوف ، وللنصارى بـها بيت يُقصد . »

ويصف الشابشتي (الديارات (مخطوطه برلين) ، الورقة ٧٣ الوجه المعاكس) دير مريوحنا «انه الى جانب تكريت على دجلة ، وهو كبير عامر ، كثير القلايات والرهبان ، مطروق مقصود لايخلو من المتطربين والمتنزهين ، ولا من مسافر ينزل ، ولكل من طرقه من الناس ضيافة قائمة على قدر المضاف لايخلون بها ، وله مزارع وغلات كثيرة وبساتين وكروم وهو للنسطورية ، وعـلى بابه صومعة عبدون الراهب ، رجل من الملكية بنى الصومعة ونزلها فصارت تعرف به وهو الان المستولى على الدير والقيم به ويمن فيه ، وقد بنى الى جانبه بناء ينزله المجتازون ، فيقيم لهم الضيافة ويحسن لهم القرى . »

وليس للشابشتي ما يبرر وصـفه لعبدون بالملكاني ولا في نسبته الديـر الى النساطرة .

ويقع دير آخر يدعى العجّاج ، وفقاً للشابشتي في المصدر السابق ، الاوراق ١٣٣ الوجه الصحيح وما بعدها) بين تكريت وهيت « عامر كثير الرهبان ، وخارجه عين ماء تصب الى بركة هناك ، وفي البركة سمك اسود ، وهو طيب عذب الطعم وحوله مزارع وخضر تسقى من تلك العين » ولعل للخرائب قرب قويرات عمّر وبئر الفوارة ، على بعد ٣٥ كيلو متراً

الى الشمال الشرقي من هيت الى الطريق المؤدي الى تكريت ، هي بقايا هذا الدير .

وعندما يتحدث ياقوت عن العجّاج في معجمه (فستنفلد) ، المجلد ٢ ، ص ، ٦٧٨) فانهاورد كلمة حصن بدلاً من خضر (بساتين الخضروات) . وبذلك جعل من بساتين الخضروات حصناً ، بينما حوّله ابو الفضائل في مراصده (يوينبول) ، المجلد ١ ، ص ٤٣٥) الى دير محصن .

وفي عام ١٠١٧ م هرب المطران اغناطيوس وأخذ معه اواني الكنيسة وزيناتها الى بغداد حيث أشهر اسلامه (ايليا النصيبي المصدر السابق ، القسم ١ ، ص ص ٢٢٦ وما بعدها ؛ ابن العبري ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، العمودان ٨٧ و ٢٨٩) .

وفي عام ١٠٨٩ م في زمن المطران يوحنا (١٠٧٥ — ١١٠٦) ، أمر والي تكريت بهدم كنيسة القديس سيرجيوس وباخوس الواقعة على التل الأعلى . كما انتهبت كنيسة القديس احوديمه وشُرد المسيحيون وهرب المطران الى الموصل . (ابن العبري ، المصدر السابق ، العمودان ٣٠٥ و ٣٠٩ ؛ اسيمانوس ، المصدر السابق ، ص ٤٤٨ .)

عاد المطران ديونيسيوس (١١١٢ — ١١٤٢) الى تكريت وجمع شمل النصارى ورمم الكنائس . ودُفن في كنيسة القديس جورج تحت مذبح برصوما . الذي كان هو قد بناه (ابن العبري ، المصدر السابق ، العمودان ٣١٧ و ٣٣١ ؛ اسيمانوس ، المصدر السابق ، ص ٤٤٩ .)

وبعد عام ١١٥٣ م لم يعد المطران يقيم في تكريت . وتناقص عدد المسيحيين بينما ازداد عدد المسلمين (ابن العبري : المصدر السابق ، العمود ٣٣٧ .)

ويسجل الادريسي في نزهته (ترجمة جوبير) ، المجلد ٢ ، ص ص

١٤٧ وما بعدها) ان تكريت تابعة في ادارتها للموصل ، وانها تقع غربي دجله مقابل مدينة الحضر وانه كان قسم كبير من اهل تكريت مسيحيين ، وبيوتها مبنية بالجص والآجر .

وفي اول حزيران (يونيو) عام ١١٨٢ م زار تكريت الرحالة ابن جبير . وقال (في رحلته [دي خويه] ، ص ٢٣٢) انها « مدينة كبيرة واسعة الارجاء ، فسيحه الساحة ، حفيلة الأسواق كثيرة المساجد ، غاصة بالخلق ، اهلها احسن اخلاقاً وقسطاً في الموازين من اهل بغداد ، ودجلة منها في جوفيها ، ولها قلعة حصينة على الشط هي قصبتها المنيعة ، ويطيف بالبلد سور قد اثر الوهن فيه ، وهي من المدن العتيقة المذكورة » .

وفي عام ١٢١٨ م زار المطران اغناطيوس تكريت وهي مقام أسلافه ، وذلك لكي يرى المدينة التي سبق أن كانت عاصمة المشرق . فخرج الأهلون فيها للقائه بابتهاج عظيم وهم يحملون الاناجيل والصلبان على رماحهم ، وينشدون التراتيل السريانية والعربية . فاغاظ هـذا الترحيب المسلمين إغاظة شديدة فالقوا المطران في السجن ، وفرضوا غرامة على اهل تكريت مقدارها عشرون الف قطعة من الذهب . فهرب المطران من تكريت الى الخابور (قرقيسياء) وانتخب فيما بعد بطريركاً لليعاقبة . (ابن العبري : المصدر السابق ، العمود ٣٨٩ ، اسيمانوس في المصدر السابق ، ص ص ٤٥٠ وما بعدها) .

ويروي المطران ابن العبري (المصدر السابق ، العمود ٤٤٧) انـه زار تكريت بنفسه في عام ١٢٧٧ م . وحوالي سنة ١٣٦٥ م اقترب المطران اثناس ، اثناء سفره الى بغداد من تكريت . فخرج المسيحيون لملاقاته بابتهاج عظيم وحملوه الى المدينة عـلى كرسي المطـران القديـم . (المصدر نفسه ، العمود ٥٢٧) .

ويكتب ابن بطوطة ، في التحفه (ديفر يميري وسنكوينتي) ، المجلد ٢ ، ص ١٣٣) ان مدينة تكريت « هي مدينة كبيرة فسيحة الارجاء ، مليحة الاسواق ، كثيرة المساجد ، واهلها موصوفون بحسن الاخلاق ، والدجلة

في الجهة الشمالية منها ، ولها قلعة حصينة على شط الدجلة ، والمدينة عتيقة البناء ، عليها سور يطيف بها ».

ويلاحظ الدمشقي في نخبته (ميرن) ، ص ١٩٠ أن تكريت تقع على تل مرتفع غربي الفرات . اما نهر الثرثار الذي ياخذ من نهر الهرماس ويصب في دجلة فيجري في طرف المدينة . ولا تقع تكريت غربي الفرات ، بل على الضفة اليمنى لدجلة . ويجري نهر الثرثار على بعد خمسين كيلومتراً غربي تكريت ولا يصب في دجلة مطلقاً .

ويذكر ابو الفداء في تقويمه (رينو وديسلان) ، ص ٢٨٩ —) « تكريت اخر مدن الجزيرة مما يلي العراق . وهي على غربي دجلة في الموصل . وبينهما ستة أيام » .

يذكر ابو الفضائل في مراصده (يوينبول) المجلد ١ ص ٢٠٩ ،) ان الأسم الصحيح للمدينة هو تكريت « وانها بلد مشهور بين بغداد والموصل ، وبينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً في غربي دجلة ، ولها قلعة حصينة احد جوانبها الى دجلة »

، وجاء ثيفنو (الرحلات (امستردام ، ١٧٢٧ م) ، المجلد ٢ ، ص ص ٢٠٢ وما بعدها) الى تكريت وهي المحطة السادسة للقوافل القادمة من الموصل ، وقد حاول مرتين الدخول الى المدينة ، الا انه لم يستطع تسلق الصخور الشديدة الانحدار المؤدية الى السور . لذلك فإنه دقق النظر في البيوت الواقعة على جبهة النهر فقط ورءاها جليلة الى حد كبير اذ كانت جميعها مبنية بالحجارة . وجل ما علمه انها كانت فيما مضى مدينة عظيمة ، لم يبق منها الآن سوى الخرائب ، وضيعة غير ذات اهمية . وتقع المدينة على جرف عالٍ ، ومما لا ريب فيه ان القصد من ذلك هو حمايتها من فيضان دجلة في مواسم الربيع .

ووصف تافرنيه (الرحلات الست (باريس ، ١٦٧٩) ،

المجلد ١ ، ص ٢٠٦) مدينة تكريت في الجزيرة . فرأى هناك حصناً متهدماً ليس فيه سوى غرف قليلة بحالة سليمة . ويشكل نهر دجلة خندقاً مائياً لهذه المدينة من جهتي الشمال والشرق على السواء . اما من الغرب والجنوب فإن الانحدار الشديد تحت الحصن مغطى بصخور منحوته . روى العرب ان الحصن كان في سالف الأزمان اعظم الحصون في بلاد ما بين النهرين ، بالرغم من ان هناك تلين متجاورين يرتفعان الى مستوى أعلى . وكان المسيحيون يعيشون على قرابة ربع ميل عن المدينة ، حيث لا يزال يمكن مشاهدة خرائب كنيسة وبرج تدل سعتها على انها كانت بلا ريب بناية كبيرة الحجم .

ويكتب حاجي خليفه ، جهيان نامه (القسطنطينية ، ١١٤٥ هـ) ، ص٤٣٤) ان منطقة تكريت الادارية ، كانت لواء (قسم من ولاية) ، يشكل اقصى حدود بلاد الجزيرة . وتقسم مدينة تكريت ، وهي على مسيرة ستة أيام من الموصل ، على الضفة اليمنى لدجلة . وكان حصن هذه المدينة الذي بناه شابور بن اردشير بابك في حالة خراب . وتتدفق عين نفط بالقرب منها .

ويذكر اوليا جلبي في تاريخه (ترجمة فون همر) ، المجلد ١ ، القسم ١ ، ص ٩٧) ان تكريت كانت من إقاليم الموصل .

لوحات الصور والاشكال

مراجع المؤلف

تشمل القائمة التالية ما تمت الاشارة اليه من المؤلفات في هذا الكتاب ، ودونت التواريخ بالتقويم الميلادي . وقد حافظنا على ما اورده المؤلف ، غير اننا افردنا المراجع العربية والتركية وجعلناها قائمة خاصة ، ووضعنا عناوينها واسماء مؤلفيها بالعربية ، وذكرنا الطبعات التي اعتمدها المؤلف دون ان نشير الى الطبعات المتعددة الاخرى التي ظهرت لكل من هذه الكتب ولكتب اخرى استجد طبعها بعد صدور الكتاب ، رغم مافيها من معلومات تؤيد او تعدل او تضيف الى المادة التي ذكرها المؤلف .

(١) المراجع العربية والتركية والفارسية

ابن الأثير : علي بن محمد ، عز الدين (١١٦٠ — ١٢٣٤م)

(١)الكامل في التاريخ . طبعة س . ج تورنبرج . ليبزج ١٨٨٠
وطبع في القاهرة ١٢ جزءا سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ — ١٨٨٤)

(٢) تاريخ الدولة الاتابكية ملوك الموصل . طبعه وترجمه الى الفرنسية : و . ماك جكين دي سلان في باريس ١٨٧٦ .

ابن بطوطة : محمد بن عبدالله (١٣٠٤ — ١٣٧٧ م)

تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار . طبعه ك . ديفريمري و ب . — . سانكوينيتي في باريس (١٨٥٣ — ١٨٥٨م)

ابن تغري بردي : ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ١٤٦٩م) .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . طبعه ت . ج . ح جوينبول و ب . ف ماثيس في ليدن (١٨٥١ — ١٨٦٧م) ، وطبعه وليم بوبر في بيركلي (١٩٠٩ — ١٩٢٣م) .

ابن جبير : ابو الحسين محمد بن احمد (١١٤٥ — ١٢١٧م)

الرحلة : طبعها و. رايت في ليدن ١٨٥٢ ؛ وطبعها مصححة م. ج. خويه في ليدن ١٩٠٧ ضمن سلسلة ذكرى ١. ج. و. جب (ج ٥)

الاخطل : ابو مالك غياث بن غوث (ت حوالى ٧١٠م)
الديوان : طبعه أ. صالحاني بعنوان : ديوان الاخطل : نص عربي طبعه لاول مرة من مخطوطة سان بطرسبورغ مع تعليقات . بيروت ١٨٩١ — ١٨٩٢م

الادريسي : ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الشريف (١١٠٠ — ١١٦٦م)
كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق
ترجمه الى الفرنسية ب. أ. جوبرت ونشره في الجمعية الجغرافية الفرنسية م ٥، ٦ باريس ١٨٣٦ — ١٨٤٠
كتاب نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمدائن والافاق . روما ١٥٩٢

الاصطخري : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (حوالي سنة ١٩٥١م)
كتاب مسالك الممالك : طبعه م. ج. دي خويه في سلسلته « المكتبة الجغرافية العربية (م ١) ليدن ١٨٧٠م »

اغابيوس المنبجي (حوالى القرن العاشر الميلادي)
كتاب العنوان . طبعه وترجمه الى الفرنسية الكسندر فازلييف

امرؤ القيس بن حجر (حوالي ٥٣٠ م)
الديوان . طبعة و. ماجوكين دي سلان باريس ١٨٣٧

ابن الفقيه : ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني (الف حوالي سنة ٩٠٢ م)
كتاب البلدان : طبعه م. ج. دي خويه من سلسلته المكتبة الجغرافية

العربية (م ٥) ليدن ١٨٨٥ •
ابن قتيبة : ابو محمد عبدالله بن مسلم (توفى حوالي سنة ٩٨٩م) •
المعارف : طبعه ف• وستنفلد في جوتنجن ١٨٥٠ م •
ابن القلانسي : ابو يعلى حمزة (ت ١١٦٠ م) •
ذيل تاريخ دمشق : طبعه ١ • ف • امدروز في ليدن ١٩٠٨ •
ابن كثير : ابو الفدا : اسماعيل بن عمر (ت ١٣٧٢ م) •
البداية والنهاية : مخطوط رقم ٨١٣ (١٨٧) سبعة مجلدات المكتبة الوطنية في فينا •
ابن مسكويه : ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت ١٠٣٠ م) •
كتاب تجارب الامم : طبعه كايتاني (امير تيانو) مستنسخا عن مخطوطة القسطنطينية مع مقدمة وتلخيص ونشره في سلسلة ١ • ج• ب جب التذكارية (م ٧ جزءا ليدن ١٩٠٩ م) •
القسم الاخير من كتاب تجارب الامم طبعه هـ • ف • امدروز في مجلدين • اكسفورد (١٩٢٠ — ١٩٢١م) •
ابن منقذ : ابو المظفر اسامة بن مرشد • مجد الدين مؤيد الدولة اسامة (ت ١١٨٨ م) •
كتاب الاعتبار : طبعه وترجمه هـ• ديرنبورج من مطبوعات مدرسة اللغات الشرقية الحية (السلسلة الثانية) م ١٢ باريس ١٨٨٦ •
ابن الوردي : الشيخ زين الدين عمر (ت ١٣٤٩ م) •
التاريخ : بولاق ١٢٨٥هـ (١٨٦٨ — ١٨٦٩ م) •
ابن حوقل : ابو القاسم (الف سنة ٩٧٧ م) •
كتاب المسالك والممالك • طبعة م• ج• دي‌خويه في سلسلته المكتبة الجغرافية العربية (م ٢) ليدن ١٨٧٣ •
ابن خلدون • ابو زيد عبد الرحمن بن محمد (١٣٣٢ — ١٤٠٦ م) •
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر من ايام العرب والعجم والبربر •

سبعة مجلدات . بولاق ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ — ١٨٦٨ م) .

ابن خرداذبه : ابو القاسم عبيدالله بن عبدالله (الفه ٩٧٧ م) .

كتاب المسالك والممالك . طبعه وترجمه الى الفرنسية م. ج دي‌خويه سلسلته : المكتبة الجغرافية العربية (م ٦) ليدن ١٨٨٩ .

ابن رسته : ابو علي بن عمر (زار المدينة سنة ٩٠٣ م) .

كتاب الاعلاق النفيسة . طبعه م . ج . دي خويه من سلسلته المكتبة الجغرافية العربية . (م ٧) ليدن ١٨٩٢

ابن سيرابيون (حوالي سنة ٩٠٠م)

كتاب عجائب الاقاليم السبع . مخطوطة المتحف البريطاني (رقم ٣٧٩ ، ٢٣) طبعها وترجمها جى ليسترانج ونشرها في مجلة الجمعية الملكية الاسيوية : لندن ١٨٩٥ ص ١ — ٧٦ ، ٢٢٥ — ٣١٥

ابو الفرج الاصفهاني (ت ٩٦٧م)

(١) كتاب الاغاني . عشرون جزءاً . بولاق ١٢٨٥هـ (١٨٦٨ — ١٨٦٩م)

وطبعه ر. أ. برونو في ليدن (١٨٨٨م) .

وطبع أ. جويدى في ليدن (١٨٩٥ — ١٩٠٠) فهرساً الفبائياً

ابو الفضائل : صفي‌الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت ١٣٨٨ م)

مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع . طبعه ت. ج. ج. جوينبول . ٦ اجزاء . ليدن ١٨٥٠ — ١٨٦٤م

ابو شامة : شهاب الدين ابو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل (١٢٠٣ — ١٢٦٨م)

كتاب الروضتين في اخبار الدولتين . القاهرة ١٢٨٧ — ١٢٨٨هـ

ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الكوفي الانصارى (ت ٧٩٥م)

كتاب الخراج . القاهرة ١٣٠٢هـ (١٨٨٤ — ١٨٨٥م)

ابو الفدا : اسماعيل بن على بن محمد بن شهانشاه بن ايوب . عماد الدين

الايوبي (١٢٧٣ — ١٣٣١م)
(١) المختصر في تاريخ البشر ، طبعه ج ، لك ، ادلر في كوبنهاجن (١٧٨٩ — ١٧٩٤)
طبعة اخرى : اربعة مجلدات ، القاهرة ١٩٠٥م
(٢) تقويم البلدان ، طبعه ج ، ت ، رينو و ماكجوكين دي سلان باريس ١٨٣٠ ،
البتانى : ابو عبدالله محمد بن سنان بن جابر الحرانى (ت ٩٢٩م)
كتاب الزيج الصابي ، طبعة مع ترجمة لاتينية لك ، أ نالالينو
البكرى : ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت ١٠٩٤)
معجم ما استعجم ، طبعة فرديناند وستنفلد
البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت ٨٩٢)
كتاب فتوح البلدان ، طبعه م ، ج دي‌خويه ، ليدن ١٨٦٦
البندارى الاصفهاني : الفتح بن على بن محمد (الفه سنة ١٢٢٦م)
تواريخ ال سلجوق وهذا الجزء مشتمل على كتاب زبدة النصرة من انشاء الامام عماد الدين محمد بن محمد حامد الاصفهاني ، طبعة م ، ت ، هو تسما ، مجلدين ، ليدن ١٨٨٩ ،
حاجي خليفة : مصطفى بن عبدالله ، كاتب جلبى (ت ١٦٥٨م)
(١) جيهان نامه ، القسطنطينية ١١٤٥هـ (١٧٣٢ — ١٧٣٣م)
(٢) فذلكة التواريخ : مخطوطة المكتبة الوطنية ، فينا رقم ١٠٦٤ (٦٤) ، ١٠٦٥
حمزة بن الحسن الاصفهاني (حوالى ٩١٣م)
كتاب تاريخ سنى ملوك الارض والانبياء ، طبعه ج ، م ، ى جوتولد ، بطرسبورج ١٨٤٤ ،
الخوارزمى : محمد بن موسى (الفه سنة ١٠٣٦م)
كتاب صورة الارض ، مخطوط مكتبة جامعة ستراسبورغ رقم

(عرب • ملحق ١٨)

الدمشقي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابى طالب الانصارى الصوفي (ت ١٣٢٧م)

نزهة الدهر في عجائب البر والبحر • طبعه ا• ف• مهرن في سنت بطرسبورغ ١٨٦٦ م (واعيد طبعه في ليبزج ١٩٢٣ م) •

رشيد الدين (ت ١٣١٨ م) •

جامع التواريخ • طبعه ١ • م • كاترمير في باريس ١٨٣٦ م •

الرقيات : عبيدالله بن قيس (ت حوالي ٦٩٠ م) •

الديوان • طبعه رودوكاناكس في مطبوعات اكاديمية العلوم والفلسفة والتاريخ م ١٤٤ رقم ١٠ فيننا ١٩٠٢ •

سبط ابن الجوزي • شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلو بن عبدالله (ت ١٢٥٧ م) •

كتاب مرآة الزمان في تاريخ الاعيان : انتخبها وطبعها وترجمها س • ا• ك• باربيه ديمنيارد في باريس ١٨٨٤م ص ١١١ه — ١٧٥٠ في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية : المؤرخون المشارقة ، ثلاثة مجلدات • باريس ١٨٨ م ص ٥١١ — ٥٧٠ •

تاريخ سعرت طبعه وترجمه أدي شير ونشر نصه العربي • م ج بريه من المجموعة الشرقية م ٤ رقم ٣ باريس ١٩٠٧ ص ٢١١ ٣١٣ •

سعد الدين (ت ٩٩٩ه — ١٦٠٠ م) •

التواريخ • النص التركي نشره مع ترجمة لاتينية ١ • ف كولار في فينا ١٧٥٥ •

الشابشتي : ابو الحسن علي بن محمد (ت ١٠٠٠ م) •

كتاب الديارات مخطوطة وتزستين ١١٠٠ م مخطوطات عربية رقم ٨٣٢١ مكتبة الدولة الروسية • برلين •

الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٩٢٣ م) •

تاريخ الرسل والملوك • طبعه م• ج• دي‌خويه وآخرين ونشره في ثلاث سلاسل (١٥ مجلد) بليدن ١٨٧٩ — ١٩٠٣ م) بليدن •
الظاهري : رشيد الدين خليل بن شاهين (م ١٤٦٨ م) •
زبدة كشف الممالك ، طبعه بول رافييه ونشره في باريس ١٨٩ م •
عريب بن سعيد الكاتب القرطبي (الفه ٩٧٦ — ٩٧٧ م) •
صلة تاريخ الطبري • طبعه م• ج• دي‌خويه في ليدن ١٨٦٧ •
علقمة بن عبده الفحل (أوائل القرن التاسع الميلادي) •
الديوان • طبعه البرت سوكيه في ليبزج ١٨٦٧م •
قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي : ابو الفرج (ت ٩٢٢ م) •
نبذ من كتاب الخراج • طبعه م• ج• دي‌خويه في مكتبته الجغرافية العربية م ٦ ، ليدن ١٩٨٩ ص ١٨٤ — ٢٦٦ •
القزويني : زكريا بن محمد بن محمد (ت ١٢٨٣)
(١) كتاب عجائب المخلوقات
(٢) كتاب آثار البلدان
طبعها فرديناند وستنفلد في مجلدين • جوتنجن ١٨٤٨ — ١٨٤٩م •
وطبع كتاب عجائب المخلوقات في القاهرة ١٣٢١هـ (١٩٠٣ — ١٩٠٤)
القطامي : عمير بن سحيم التغلبي (ت ٧٢٨ م)
الديوان • طبعه ج • بارث • ليدن ١٩٠٢
كمال الدين : ابو القاسم عمر بن احمد بن النديم العقيلي الحلبي (ت١٢٦٢م)
تاريخ حلب • طبعة وترجمة الى الفرنسية ج • ١ • ك • باربيه دي‌مينارد ضمن سلسلة مجموعات مؤرخي الحروب الصليبية • المؤرخون المشارقة م ٣ باريس ١٨٨٤ ص ٥٧١ — ٥٧٥ وترجمة ١ • بلوشيه الى الفرنسية ونشر الترجمة في مجلة الشرق اللاتيني• باريس ج ٣ (١٨٩٥) ص ٥٠٩ — ٥٦٥ • ج ٤ (١٨٩٦) ص ١٤٥ — ٢٢٥م٥ (١٨٩٧) ص ٣٧ — ١٠٧ ، م٦ (١٨٦٨) ص ١ — ٤٩)

لغة العرب : مجلة شهرية ، ادبية ، علميـة ، تاريخية بيد الاباء الكرمليـة
المرسلين ، صاحب امتيازها الاب انستاس ماري الكرملي ، مديرها
المسؤول : كاظم الدجيلي ، بغداد ، السنة ١ ــ ٤ ١٣٢٩ ــ ١٣٣٢ هـ
(١٩١١ ــ ١٩١٤م)
المتلمس : جرير بن عبد المسيح الضبيعة (ت ٥٨٠م)
الديوان ، طبع فوللر طبعه وترجمه الى الالمانية في مقتطفات من علوم
اللغة السامية م٥ ، ليبزج ١٩٠٣ ص ١٤٩ ــ ٢٣١
المتنبي : ابو الطيب احمد بن الحسين (ت ٩٦٥ م)
الديوان : طبعه ف ، ديتريشي في برلين (١٨٦١ م)
المسعودي : ابو الحسن على بن الحسين (ت ٩٥٦م)
(١) كتاب التنبيه والاشراف ، طبعة م ، ج ، دي‌خوية في مكتبتـه
الجغرافية العربية ، م ٨ ليدن ١٨٩٤
(٢) مروج الذهب ومعادن الجواهر ، طبعه وترجمه الى الفرنسـية
ك باربيه دى‌مينارد وبافيه دي‌كورتيل ٩ مجلدات في‌باريس ١٨٦١ ــ
١٨٧٧ ،
المعلقات : طبعها ث ، نولده‌كـه في محاضر الاكاديمية القيصرية للمعرفـة
واصناف الفلسفة والتاريخ م ١٤٠ قسم ٧ ، م ١٤٢ قسم ٥ ، م ١٤٤ قسم ١
فينا ١٨٩٩ ــ ١٩٠١ ،
المقدسي : ابو عبدالله محمد بن احمد (كتب سنة ١٩٨٥م)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، طبعه م ، ج ، دي‌خويه في مكتبته
الجغرافية العربية م ٣ الطبعة الثانية ، ليدن ١٩٠٦
المقريزي : ابو العباس احمد بن على بن عبد القادر بن محمد الحسيني ،
تقى الدين (ت ١٤٤٢م)
(١) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار ، مخطوطة رقم ٩٠٨
(٦٦) المكتبة الوطنية في فيينا ، طبعة جاستون فييت

مجلدين • القاهرة ١٩١١ — ١٩١٣

(٢) السلوك لمعرفة دول الملـوك • ترجم قسم منه ي• م• كاترمير في مجلدين • باريس ١٨٣٧ — ١٨٤٥ وترجم القسم الثاني ا• بلوشيه

الهمداني : ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب (٩٤٥م)

صفة جزيرة العرب• طبعه د• هـ• موللر .• مجلدين • ليدن ١٨٨٤ — ١٨٩١ •

الواقدي : (منسوب له)

فتوح الجزيرة • طبعه ج• هـ• ا• ايولـد في جوتنجـن ١٨٢٧م •

ياقوت بن عبدالله الرومي (١٢٢٤ م)

كتاب معجم البلدان • طبعه فرديناند وستنفلد ونشره بستة مجلدان في ليبزج ١٨٦٦ — ١٨٧٣

اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب (حوالى ٨٩١م)

(١) التاريخ • طبعه م• ث• هوتسما في ليدن ١٨٨٣ م •

(٢) كتاب البلدان • طبعه م • ج دیغويه • الطبعة الثانية في ليـدن ١٨٩٢م ص ٢٣١ — ٣٧٣ من مكتبته الجغرافية العربية (ص ٢٣١ — ٣٧٣)

(٢) المراجع الاجنبية

Ahûdemmeh (6th — 7th c.). History : edition and French translation by F. Nau entitled Histoire de Mar Ahoudemmeh, in Patrologia orientalis, Vol. 3, No. 1, Paris, 1906, pp. 7 — 51.

Ambrose (bishop of Milan) (d. 397). Epistolae in duas classes ditsributae : in J. P. Migne, Patrologiae cursus completus..., series latina, Vol. 16, Paris, 1845, cols. 914 — 1346.

Ammianus Marcellinus (d. c. 391). Rerum gestarum libri [qui supersunt] : edited by V. Gardthausen, 2 vols., Leipzig, 1874 — 1875.

Analecta bollandiana ediderunt Carolus de Smedt et alii, Paris and Brussels, 1882 ff. (33 vols. have appeared, 1926).

Antonine of Piacenza (6th c.). Itinerarium . edited by Paul Geyer in his Itinera hierosolymitana, constituting Corpus scriptorum ecclesiasticorum, Vol. 39, Vienna, 1898 (also 1913), pp. 157—191 (another version of same, ibid., pp. 193 — 218).

Appian (c. 160). I. Historia romana : Vol. 1 edited by Ludwig Mendelssohn ; Vol. 2, second edition, edited by Paul Viereck, Leipzig, 1878, 1905. II. Historia syriaca : edited by Ludwig Mendelssohn, op. cit., Vol. 1, pp. 371 — 441. III. Bella civilia : edited by Paul Viereck, op. cit., Vol. 2, pp. 565 — 1189.

Arrian (Flavius Arrianus) (d. c. 175). I. Anabasis : edited by A. G. Roos, Leipzig, 1907. II. Fragments : edited by Carl Müller in his Fragmenta historicorum graecorum, Vol. 3, Paris, 1849, pp. 586 — 601.

Asinius Quadratus (2nd c.). Fragments : edited by Carl Müller in his Fragmenta historicorum graecorum, Vol. 3, Paris, 1849, pp. 659 — 662.

Assemanus, J. S. Bibliothea orientalis, 4 vols., Rome, 1719 — 1728.

Assurbanipal. See Streck, Assurbanipal.

Barhebraeus, Gregorius (d. 1286). I. Chronicon ecclesiasticum : edited by J. B. Abbeloos and T. J. Lamy, 3 vols., Louvain,

1872 — 1877. II. Chronicon syriacum : edited by Paul Bedjan, Paris, 1890.

Bedjan, Paul. Acta martyrum et sanctorum, 7 vols., Paris and Leipzig, 1890 — 1897.

Berliner, A. Beiträge zur Geographie und Ethnographie Babyloniens im Talmud und Midrasch, in Jahresberichte des Rabbiner-Seminar zu Berlin pro 5643, Vol. 3, Berlin, 1882 — 1883.

Biblia hebraica, edited by Rudolf Kittel, 2nd edition, 2 vols., Leipzig, 1913.

Bolland, Johann (and others). Acta sanctorum, quotquot toto orbe coluntur, vel à catholicis scriptoribus celebrantur, quae ex Latinis & Graecis aliarumque gentium antiquis monumentis collegit, digessit, notis illustravit Joannes Bollandus ..., October, Vol. 3. Antwerp, 1770.

Braun, Oskar. Ausgewählte Akten persischer Märtyrer, in Bibliothek der Kirchenväter, Vol. 22, Kempten, 1915.

Budge, E. A. Wallis. The Histories of Rabban Hôrmîzd the Persian and Rabban Bar'Idtâ, constituting Syriac Texts, Vol. 1, in Luzac's Semitic Text and Translation Series (Vol. 9 of the series), London, 1902.

Budge, E. A. W., and L. W. King. editors. Annals of the Kings of Assyria. The Cuneiform Texts with Translations, Transliterations, etc., from the Original Documents in the British Museum, Vol. 1, London 1902.

Caetani, Leone (Principe di Teano). Annali dell'Islám, 8 vols., Milan, 1905 — 1918.

Cassius Dio Cocceianus (c. 235). Historiae-romanae: edited by U. P. Boissevain, 3 vols., Berlin, 1895 — 1901.

Chabot, J. B. Synodicon orientale, ou Recueil des synodes nestoriens, publié, traduit et annoté par, constituting Notices et extraits

des manuscrits de la Bibliothèque nationale et autres bibliothèques, Vol. 37, Paris, 1902.

Chiha, Habib K. La province de Bagdad, Cairo, 1908.

Chronica minora: edition by Ign. Guidi, E. W. Brooks, and J. B. Chabot, constituting Corpus scriptorum christianorum orientalium, Ser. 3, (Scriptores Syri), Vol. 4, 3 parts, Paris, 1905.

Chronicle of Arbela: translation by Eduard Sachau entitled Die Chronik von Arbela. Ein Beitrag zur Kenntnis des ältesten Christentums im Orient, constituting Abhandlungen der Königl. Preussischen Akademie der Wissenschaften, Philosophisch-historische Klasse, No. 6, Berlin, 1915.

Chronicle of Edessa : edition and translation by Ludwig Hallier entitled Untersuchungen über die edessenische Chronik mit dem syrischen Text und einer Uebersetzung, in Texts und Untersuchungen zur Geschichte der altchristichen Literatur herausgegeben von Oscar von Gebhardt und Adolf Harnack, Vol. 9, No. 1, Leipzig, 1893, pp. 1 — 170.

Chronicon paschale: in J. P. Migne, Patrologiae cursus completus..., series graeca, Vol. 92, Paris, 1860, cols. 1 — 1146.

Codex Justinianus : edition by Paul Krüger (constituting: T. Mommsen, P. Krüger, R. Schoell, and W. Kroll, editors, Corpus iuris civilis, Vol. 2), Berlin, 1906.

Corpus inscriptionum graecarum, auctoritate et impensis Academiae Litterarum Regiae Borussicae, edited by August Boeckh, 4 vols. in 8, Berlin, 1828 — 1877.

Corpus inscriptionum semiticarum ab Academial Inscriptionum et Litterarum Humaniorum conditum atque digestum, 4 parts, Paris 1881 — 1911.

De Vogüé, Melchior. Syrie centrale, inscriptions sémitiques, Paris, 1868.

Delaporte, L. Dignitaires de l'Eglise Nestorienne, in Zeitsch-

rift für Assyriologie, Vol. 23, Strassburg, 1909, pp. 378 — 390.

Denha (d. 660). History of Marûta' (d. 649): edition and translation by F. Nau entitled Histoire de Marouta, in Patrologia orientalis, Vol. 3, Paris, 1906, pp. 52 — 96.

Dio, Cassius. See Cassius Dio.

Diodorus Siculus (c. 20 C.). Biblitheca historica: Vols. 1 — 3 edited by Friedrich Vogel, Vols. 4, 5 by C. T. Fischer, Leipzig, 1888 — 1906.
.rpg,-

Dionysius of Tell Mahre'. See Pseudo-Dionysius of Tell Mahre'.

Documenta ad origenes monophysitarum illustrandas: edition by Friedrich Vogel, Vols. 4, 5 by C. Γ. Fischer, Leipzig, 1888—1906.

Dionysius of Tell Mahre'. See Pseudo-Dionysius of Tell Mahre'.

Documenta ad origenes monophysitarum illustrandas: edition by J. B. Chabot, constituting Corpus scriptorum christianorum orientalium, Ser. 2, Vol. 37, Paris, 1908.

Droysen, J. G. Geschichte des Hellenismus, 3 vols., 2nd edition, Gotha, 1877 — 1878.

Edessa, Chronicle of See Chronicle of Edessa.

Elijah (or Elias) of Nisibis (1008). Opus chronologicum: edited and translated by E. W. Brooks (Part 1) and J. B. Chabot (Part 2), constituting Corpus scriptorum christianorum orientalium, Ser. 3, Vols. 7 and 8, Paris, 1909 — 1911.

Eusebius of Caesarea (d. 337 or 340). I. Chronicorum libri duo: edited by Alfred Schoene, 2 vols., Berlin, 1866 — 1875. II. Preparationis evangelicae libri I-XV: edited by Wilhelm Dindorf in his Eusebii Caesariensis opera, Vol. 1 and 2, Leipzig, 1867.

Eutropius (mid-4th c.). Breviarium ab urbe condita : edited by F. Ruehl, Leipzig, 1887.

Evagrius Scholasticus (c. 600). Ecclesiasticae historiae libri sex: in

J. P. Migne, Patrologiae cursus completus..., series graeca, Vol. 86, Part 2, Paris, 1865, cols. 2405 — 2906.

Evlija Celebi (d. c. 1679). Ta'rîh-i sejjâh: translation by Joseph von Hammer entitled Narrative of Travels in Europe, Asia, and Africa in the Seventeenth Century, 2 vols., London, 1834—1850.

Florus, L. Annaeus (2nd c.). Epitomae libri duo : edition by O. Rossbach in his L. Annaei Flori epitomae libri duo et P. Annii Flori fragmentum de Vergilio oratore an poeta, Leipzig, 1896, pp. 1 — 182.

Forrer, Emil. Die Provinzeinteilung des assyrischen Reiches, Leipzig, 1921.

Forrer, Emil. Zur Chronologie der neuassyrischen Zeit, constituting Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, 1915, Part 3, Leipzig, 1916.

Fronto, M. Cornelius (2nd c.). Epistula ad Verum : edited by S. A. Naber in his Epistulae M. Cornelii Frontonis et M.Aurelii Imperatoris, Leipzig, 1867, pp. 113 — 138.

Gadd, C. J. The Fall of Nineveh, London, 1923.

Georgius Cyprius (c. 610). Descriptio orbis romani: edited by H. Gelzer, Leipzig, 1890.

Glaucus (date unknown). Fragments: edited by Carl Müller in his Fragmenta historicorum graecorum, Vol. 4, p. 409.

Guidi, Ignazio. Un nuovo testo siriaco sulla storia degli niCMF VB GVB GXZ½ VBG VBG 789 ultimi Sassanidi, in Actes du huitième Congrès International des Orientalistes, tenu en 1889 à Stockholm et à Christiania. Section I : Sémitique (B), Leiden, 1893, pp. 1 — 36.

Hagen, O. E. Keilinschrifturkunden zur Geschichte des Königs Cyrus, in Beiträge zur Assyriologie, Vol. 2, Part 1, Leipzig, 1891, pp. 205 — 248.

Hammer-Purgstall, Joseph von. Geschichte des osmanischen Reiches, 10 vols., Pest, 1827 — 1835.

Hammurabi. See King, Hammurabi.

Herodianus (c. 240). Ab excessu Divi Marci libri octo: edited by L. Mendelssohn, Leipzig, 1883.

Herodotus (d. c. 430 B. C.). Historiarum libri IX: edited by H. R. Dietsch. 2nd edition by H. Kallenberg, 2 vols, Leipzig, 1884 — 1885.

Herzfeld, Ernst. Hana et Mari, in Revue d'Assyriologie et d'Archéologie orientale publiée sons la direction de V. Scheil et F. Thureau-Dangin, Vol. 11, Paris 1914, pp. 131 — 139.

Herzfeld, Ernst. See Sarre and Herzfeld.

Hierocles (c. 535). Synecdemus: edited by A. Burckhardt, Leipzig, 1893; also an edition by Gustavus Parthey entitled Hieroclis Synecdemus et Notitiae graecae episcopatuum, Berlin, 1866.

Historiae augustae, Scriptores: edited by H. Peter, 2 vols., Leipzig, 1884.

Hoffmann, Georg. Auszüge aus syrischen Akten persischer Märtyrer, übersetzt und durch Untersuchungen zur historischen Topographie erläutert von, constituting Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes, Vol. 7, No. 3, Leipzig, 1880.

Isidore of Charax (date uncertain). Mansiones parthicae: edited by Carl Müller in his Geographi graeci minores, Vol. 1, Paris, 1882, pp. 244 — 254.

Itinera hierosolymitana et descriptiones terrae sanctae bellis sacris anteriora et latina lingua exarata: Vol. 1 edited by T. Tobler and A. Molinier, constituting Publications de la Société de l' Orient Latn, No. 1, Geneva, 1879; Vol. 2 edited by A. Molinier and C. Kohler, constituting op. cit., No. 4, Geneva, 1885.

Itinera hierosolymitana saeculi IIII-VIII: edited by Paul Geyer in

Corpus scriptorum ecclesiasticorum latinorum, Vol. 39, Vienna, 1913.

James of Edessa (d. 708). Chronological Canon: edition by E. W. Brooks entitled The Chronological Canon of James of Edessa, in Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Vol. 53, Leipzig, 1889, pp. 261 — 327.

John of Aphtonia (d. 538). Life of Severus: edition and French translation by M. A. Kugener entitled Jean, supérieur du monastère de Beith-Aphtonia. Vie de Sévère, suivie d'une recueil de fragments historiques syriaques, grecs, latins, et arabes relatifs à Sévère (Notices relatives à Sévère), in Patrologia orientalis, Vol. 2, No. 3, Paris, 1905, pp. 205 — 400.

John of Ephesus (d. c. 585). Ecclesiastical History: Part 3 edited by William Cureton, Oxford, 1853.

John of Epiphania (c. end of 6th c.) Fragments, edited by C. Müller in his Fragmenta historicorum graecorum, Vol. 4, Paris, 1851, pp. 272 — 276.

John Malalas (after 573). Chronographia: in J. P. Migne, Patrologiae cursus completus..., series graeca, Vol. 97, Paris, 1865, cols. 65 — 716; also edited by L. Dindorf, Bonn, 1831.

Joshua the Stylite (c. 515). Chronicle: edited and translated into French by Paulin Martin, in Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes, Vol. 6, No. 1, Leipzig, 1876.

Julius Capitolinus (beginning of the 4th c.). Gordiani tres: edition by H. Peter in his Scriptores historiae augustae, XX, Vol. 2, Leipzig, 1884, pp. 30 — 56.

Kiepert, Heinrich. Formae orbis antiqui, edited by Richard Kiepert, Map 5, Mesopotamia, Syria, Armenia, Berlin, 1909.

Kiepert, Heinrich. Nouvelle carte générale des provinces asiatiques de l'Empire Ottoman, Berlin, 1884.

King, L. W. Chronicles Concerning Early Babylonian Kings,

Including Records of the Early History of the Kassites and the Country of the Sea, 2 vols., London, 1907.

King, L. W. The Letters and Inscriptions of Hammurabi, King of Babylon, About B. C. 2200, to Which are Added a Series of Letters of Other Kings of the First Dynasty of Babylon, Vol. 1, Introduction and Babylonian Texts; Vol. 2, Babylonian Texts (continued); Vol. 3, Transliterations, English Translations, Vocabularies, Indices, etc.; in Luzac's Semitic Text and Translation Series, Vols. 2, 3, 8, London, 1898 — 1900.

Kremer, A. von. Ueber das Einnahmebudget des Abbassiden-Reiches vom Jahre 306 Ḣ. (918 — 919), Vienna, 1887.

Langdon, Stephen. Building Inscriptions of the Neo-Babylonian Empire, Paris, 1905.

Layard, A. H. Inscriptions in the Cuneiform Character from Assyrian Monuments, London, 1851.

Libanius the Sophist (d. 393). Epistolae: edited and translated into Latin by J. Ch. Wolf, Amsterdam, 1738.

Liber chalipharum: edited by J. P. N. Land in his Anecdota syriaca, Vol. 1, Leiden, 1862, pp. 1 — 22.

Lucian (168). De historia conscribenda: edited by Carl Jacobitz in his Luciani Samosatensis opera, Vol. 2, Leipzig, 1887, pp. 1 — 30.

Lyon, D. G. Keilschrifttexte Sargon's, Königs von Assyrien (722 — 705 v. Chr.). Nach den Originalen neu herausgegeben, umschrieben, übersetzt und erklärt von Dr. , constituting Assyriologische Bibliothek herausgegeben von Friedrich Delitzsch und Paul Haupt, Vol. 5, Leipzig, 1883.

Magnus Carrhenus. Eutychianus Cappadox (4th c.). Fragments : edited by Carl Müller in his Fragmenta historicorum graecorum, Vol. 4, Paris, 1851, pp. 4 — 6.

alalas, John. See John Malalas.

ansi, Joannes Dominicus. Sacrorum conciliorum nova, et amplis-

sima collectio, 31 vols., Florence and Venice, 1759 — 1798. (Continuation, Vols. 31b — 53, Paris, Arnheim, and Leipzig, 1901 — 1927).

Marûta'. See Denha.

Messerschmidt, L. Keilschrifttexte aus Assur historischen Inhalts, Part 1, Autographien, constituting Wissenschaftliche Veröffentlichungen der Deutschen Orient-Gesellschaft, No. 16, Leipzig, 1911.

Michael the Syrian. Chronicle: edition and French transl. by J. B. Chabot entitled Chronique de Michel le Syrien, patriarche jacobite d'Antioche (1166 — 1199), 4 vols., Paris, 1899 — 1906.

Moritz, Bernhard. Zur antiken Topographie der Palmyrene, in Abhandlungen der Königlichen Preussischen Akademie der Wissenschaften, Berlin, 1889.

Nicephorus Uranus. Vita sancti Symeonis Junioris (d. c. 596): in J. P. Migne, Patrologiae cursus completus..., series graeca, Vol. 86, Part 2, Paris, 1865, cols. 2987 — 3216.

Niebuhr, C. Reiseschreibung nach Arabien und anderen umliegenden Ländern, 3 vols., Copenhagen and Hamburg, 1774 — 1837.

Nöldeke, Th. Die von Guidi herausgegebene syrische Chronik, in Sitzungsberichte der kaiserlichen Akademie der Wissenschaften, philosophischhistorische Klasse, Vol. 128, Vienna, 1893.

Notitia Antiochiae ac Ierosolimae patriarchatuum: in Itinera hierosolymitana, Vol. 1, Geneva, 1879, pp. 331 — 343.

Notitia dignitatum: accedunt notitia urbis constantinopolitanae et laterculi provinciarum: edited by Otto Seeck, Berlin, 1876.

Notitiae graecae episcopatuum. See Hierocles.

Oppenheim, V. Vom Mittelmeer zum Persischen Golfe, 2 vols., Berlin, 1899 — 1900.

Passio antiquior SS. Sergii et Bacchi : Greek text in Analecta bollandiana, Vol. 14, Brussels 1895, pp. 373 — 395.

Patrum nicaenorum nomina : edition by H. Gelzer, H. Hilgenfeld, and Otto Cuntz, constituting Scriptores sacri et profani, No. 2, Leipzig, 1898.

Peiser, F. E. Studien zur orientalischen Alterluhskunde, No. 4, constituting Mitteilungen der vorderasiatischen Gesellschaft, Vol. 6, Leipzig, 1901.

Peutinger Table. See Tabula peutingeriana.

Philip the Carmelite : Orientalische Räisebeschreibung, Frankfurt, 1671.

Pliny (C. Plinius Secundus) (d. 79). Naturalis historia : edited by C. Mayhoff, 2nd edition, 6 vols., Leipzig, 1892 — 1909; see also: D. Detlefsen, editor, Die geographischen Bücher (II, 242-VI Schluss) der Naturalis historia des C. Plinius Secundus mit vollständigem kritischen Apparat, constituting Quellen und Forschungen zur alten Geschichte und Geographie herausgegeben von W. Sieglin, Vol. 9, Berlin, 1904.

Plutarch (c. 46 — 120). I. Alexander : edited by C. Sintenis in his Plutarchi vitae parallelae, Vol. 3, Leipzig, 1891, pp. 279 — 364. II. Artoxerxes : edited by Cl. Lindskog and K. Ziegler in their Plutarchi vitae parallelae, Vol. 3, Part 1, Leipzig, 1915, pp. 365 — 404.

Polybius of Megalopolis (d. 120 B. C.). Historiae: edited by Ludwig Dindorf, revised by Theodore Büttner-Wobst, 4 vols., Leipzig, Vol. 1, 2nd edition, 1905, Vol. 2, 1889; Vol. 3, 1893; Vol. 4, 1904.

Procopius of Caesarea (c. 560). I. De bello persico, edition by J. Haury, constituting his Procopii Caesariensis opera omnia, Vol. 1, Leipzig, 1905. II. De aedificiis : edited by J. Haury, op. cit., Vol. 3, Leipzig, 1913.

Pseudo-Dionysius of Tell Mahre'. Chronicle : edition and French translation by J. B. Chabot entitled Chronique de Denys de Tell-Mahré, constituting Bibliothèque de l'Ecole des Hautes Etudes, No. 112, Paris, 1895.

Ptolemy (Claudius Ptolemaeus) (c. 150). Geographia: edited by C. F. A. Nobbe, 3 vols., Leipzig, 1843 — 1845; bks. i — v edited with Latin translation and atlas, Vol. 1, Part 1, by Carl Müller, Paris, 1884; Vol. 1, Part 2, by C. Th. Fischer, Paris, 1901.

Ravenna Geographer, The Anonymous (7th cent.). Cosmographia : edited by M. Pinder and G. Parthey in their Ravennatis anonumi cosmographia et Guidonis Geographica, Berlin, 1860, pp. 1 — 445.

Rawlinson, H. C. Cuneiform Inscriptions of Western Asia, 5 vols., London, 1861 — 1884.

Riepl, Wolfgang. Das Nachrichtenwesen des Altertums mit besonderer Rücksicht auf die Römer, Leipzig, 1912.

Roos, A. G. Studia arrianea, Leipzig, 1913.

Rost, Paul. Die Keilschrifttexte Tiglat Pileser III, 2 vols., Leipzig, 1893.

[Rousseau, Jean Baptiste Louis Jacques.] Description du Pachalik de Bagdad suivie d'une notice historique sur les Wahabis et de quelques autres pièces relative à l'histoire et à la littérature de l'orient, Paris, 1809.

Rycaut, Paul. The Present State of the Ottoman Empire..., 3rd edition, London, 1670.

Sargon. See Lyon.

Sarre, Friedrich, and Ernst Herzfeld. Archäologische Reise im Euphratund Tigris-Gebiet, 4 vols., Berlin, 1911 — 1920.

Sayce, A. H. An Early Babylonian Document Relating to the Shuhites, in Proceedings of the Society of Biblical Archaelogy, London, 1899, pp. 24 f.

Scheil, V., and J.-Et. Gautier. Annales de Tukulti Ninip II, roi d' Assyrie 889 — 884, constituting Bibliothèque de l' Ecole des Hautes Etudes, No. 178, Paris, 1909.

Schnabel, Paul. Berossos und die babylonisch-hellenistische Litteratur, Leipzig, 1923.

Schraeder, Eberhard, editor. Keilinschriftliche Bibliothek: Sammlung von assyrischen und babylonischen Texten in Umschrift und Uebersetzung..., 6 vols., Berlin, 1889 — 1900.

Smith, Sidney. Babylonian Historical Texts Relating to the Capture and Downfall of Babylon, London, 1924.

Socrates (d. 439). Historia ecclesiastica: in J. P. Migne, Patrologiae cursus completus..., series graeca, Vol. 67, Paris, 1859, cols. 30 — 842.

Stephen of Byzantium (c. 600). Ethnica : edition by August Meineke, Ethnicorum quae supersunt, Vol. 1 (only volume published), Berlin, 1879.

Strabo (c. 63 B. C. — c. 19 A. D.). Geographia: edited by August Meineke, 3 vols., Leipzig, 1907 — 1913.

Streck, Maximilian. Assurbanipal und die letzten assyrischen Könige, constituting Vorderasiatische Bibliothek, No. 7, 3 vols., Leipzig, 1916.

Streck, Maximilian. Keilinschriftliche Beiträge zur Geographie Vorderasiens. Die nomadischen Völkerschaften Babyloniens und des angrenzenden Elams, constituting Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, Vol. 11, No. 3, Leipzig, 1906.

Suidas (10th c.) Lexicon: edited by Imm. Bekker, Berlin, 1854.

Syriac Chronicle of the Year 846, A : edited by E. W. Brooks, in Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Vol. 51, Leipzig, 1897, pp. 569 — 588.

Tabula peutingeriana (12th century MS copy of Roman map of time of the Empire) : photographic edition in 11 sheets entitled Peutingeriana tabula itineraria... nunc primum arte photographica expressa, Vienna, 1888.

Tavernier, J. B. Les six voyages... en Turquie, en Perse et aux Indes, 2 parts, Paris, 1676.

Teixeira, Pedro (c. 1600). The Travels : translated by William Sinclair in publications of The Hakluyt Society, Ser. 2, No. 9, London, 1902.

Theodoretus of Cyrrhus (wrote 450). Religiosa historia : in J. P. Migne, Patrologiae cursus completus..., series graeca, Vol. 82, Paris, 1864, cols. 1283 — 1496.

Theodosius (c. 530). De situ terrae sanctae : edited by Paul Geyer in Itinera hierosolymitana, Vienna, 1913, pp. 135 — 150.

Theophanes the Confessor (c. 758 — 818). Chronographia : in J. P. Migne, Patrologiae cursus completus..., series graeca, Vol. 108, Paris, 1863, cols. 1 — 1010; also edited by C. de Boor, Leipzig, 1883.

Theophylactus Simocatta (c. 610 — 640). Historiae : edited by C. de Boor, Leipzig, 1887.

Thevenot, Jean de. Voyages en Europe, Asie, et Afrique, 5 vols., Amsterdam, 1727.

Thureau-Dangin, Fr. La chronologie des dynasties de Sumer et d'Accad, Paris, 1918.

Thureau-Dangin, Fr. Lettres et contrats de l' époque de première dynastie babylonienne, Paris, 1910.

Thureau-Dangin, Fr. Un contrat de Hana, in Journal asiatique, Ser. 10, Vol. 14, Paris, 1909, pp. 149 — 155.

Unger, Eckhard. Reliefstele Adadnirari's III aus Saba'a, constituting Publicationen der Kaiserlich Osmanischen Museen, Vol. 2, Constantinople, 1916.

Uranius (date unknown). Fragments : edited by Carl Müller in his Fragmenta historicorum graecorum, Vol. 4, p. 529.

Valle, Pietro della. Viaggi, 4 vols., Venice, 1664.

Velenovsky, J. Arabské rostliny z posledni cesty Musilovy r. 1915. Plantae arabicae ex ultimo itinere A. Musili a. 1915: constituting

Vestnik kral. ceské spolecnosti nauk. Trida II. na rok 1921 — Société Royale des Sciences de Boheme, 1922 (Mémoires de la Classe des Sciences, 1921 — 1922), No. 6, Prague, 1923.

Velenovsky, J. Plantae arabicae musilianae : constituting Vestnik kral. ceské spolecnosti nauk. Trida mathematicko-prirodovede-cka (Sitzungsberichte der königl. böhm. Gesellschaft der Wissenschaften, Mathnaturwiss. Classe), 1911, No. 11, Prague, 1912.

Vitae virorum apud monophysitas celeberrimorum: edited and translated by E. W. Brooks, in Corpus scriptorum christianorum orientalium, Ser. 3, Vol. 25, Paris, 1907.

Weissbach, F. H. Babylonische Miscellen, constituting Wissenschaftliche Veröffentlichungen der Deutschen Orient-Gesellschaft, No. 4, Leipzig, 1903.

Weissbach, F. H. Die Inschriften Nebukadnezars II im Wadi Brisa und am Nahr el-Kelb, constituting Wissenschaftliche Veröffentlichungen der Deutschen Orient-Gesellschaft, No. 5, Leipzig, 1906.

Wellhausen, G. Skizzen und Vorarbeiten, 6 vols., Berlin, 1884 — 1899.

William of Tyre (d. c. 1148). Historia rerum in partibus transmarinis gestarum, edition by A. Beugnot and A. Langlois, constituting Recueil des historiens des croisades, Historiens occidentaux, Vol. 1, Part 1, Paris, 1844.

Wright, W. Catalogue of the Syriac Manuscripts in the British Museum, 3 vols., London, 1870 — 1872.

Xenophon (d. c. 345). Anabasis : edition by W. Gemoll entitled Xenophontis expeditio Cyri, 2nd edition, Leipzig, 1909.

Zosimus (491 — 518). Historia nova : edited by L. Mendelssohn, Leipzig, 1887.

ثبت المحتويات

الملاحق التاريخية(1)

الملحق الاول : الفرات الاوسط في العصر الاشوري ٢٨١ ــ ٣١٣ •

الملحق الثاني : زينوفون على الفرات الاوسط ٣١٤ ــ ٣٣٨ •

الملحق الثالث : ايسيدور الكرخي يتحدث عن الفرات الاوسط ٣٣٩ ــ ٣٤٩•

---

(1) قام بترجمة الملاحق التاريخية بأكملها (ص ص ٢٨١ ــ ٦٠٥) الاستاذ عبدالمطلب عبدالرحمن داود وراجعها الاستاذ الدكتور صالح احمد العلي، رئيس المجمع العلمي العراقي •

* * *



رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغــداد ١٩٠٧ لسنة ١٩٩٠

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧	(١٣)	كان له	كان لهما
١٧	(١٦)	دينار تركي	ليرة تركية
١٧	(٢٣) ٢٣ (٥)	المياذين	الميادين
٣٦	(١٨)	ابو الجروة	ابو القروة
٣٦	(٢٣)	شعيبان الصخرة	شعب الصخرة
٤٥	(١٣)	القلانس	القلانسي
٤٥	(٢٧)	بين الانبار وعانة	تحت عانة وفوق الانبار
٥٠	(٢٣)	المقابلة لشعيب	المقابلة لشعب
٦٥	(١٣)	طويريج	طويريق
٨٩ ٩٢	(١٤)	شعيب شيشين	شعب شيشين
١٠٧	(٣١) ، (١٨)/١٠٨ (١)	قرت السناجرة	قارة السناجرة*
١٠٧	(١٨)	قرت السناجرة	قارة السناجرة
١٠٧	(١٩)	بقرت ابو القروة	قارة الغبين
١٠٧	(٢٠)	قرت الغبين	قارة ابو القروو
١٠٨	(١٢)	قرت ابو بطيحة	قارة ابو بطيحة
١٠٨	(١٩)	قرت العناب	قارة العناب
١٠٨	(٢١)	قرت الصوفي	قارة الصوفي
١١٢	(١)	سهل أراقرته	سهل الاقرقة (العنوان)
١١٦	(١٢)	قرت السكة	قارة السكة
١١٦	(٢٠)	قرت أم عذير	قارة أم غدير
١٣٢	(٣)	م	مع
١٣٢	(٤)	وتق	وتقع

* جاء في المنجد « قارة » والقارة : ج قار وقارات وقور وقيران : الجبل الصغير المنقطع عن الجبال ، وذكر ياقوت في المعجم (ج ٤/٢٩٥) قال ابن شميل : القارة جبل مستدق ململوم في السماء لايقود في الأرض كأنه جثوة وهو عظيم مستدير ، وقال الاصمعي : القارة أصغر من الجبل. المراجع

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٢	(٤)	فدمها	قممها
١٢٤	(١٠)	يشهر	تنتهي . . . .
١٢٦	(٤)	اجرداً	اجرد
١٢٨	(٩)	وكان اقرود	كان المرود
١٤٥	(١٤)	كل احد	كل
١٦٢		(يحذف السطر الاول من الهامش)	
٢٨٢	٣	ابو هريره	ابو هريرة
٢٨٥	٣	طويل	طويل وحل
	٢١	كيلومترا	كيلومترا شمال
٢٨٦	٢	طريقة	طريقه
٢٨٨	٩	ماء بات	ماء . بات
٢٩٠	١٤	كور يكالزو	كوريكالزو
	١٥	يمر بترع	وترع
	١٦	وترع للري متعددة	(تحذف)
	٢١	الزوجه	العربية
٢٩١	١٧	الخرائد	الخرائب
٢٩٢	٢	المجرم	المجدم
٢٩٣	٢١	عانه . الحديثة	عانة الحديثة
٢٩٤	١٣	بجبانه	نجياته
	١٤	ويتمع	تمتع
	١٩	بنصيب	بنصب
٢٩٥	٩	ص ٥	ص ٢٨٣
	١٥	قرياطامة	قرية (طامة)
٢٩٩	١	اشور نصربال	اشور ناصربال
	١١	خاديه	خربة
	١٩	وبعدا قتحامه	وبعد اقتحامه
٣٠٠	(١٤)/٣٠١ (٤)	كربابة	كربانه
	٢١	محالة	حملة
٣٠٣	٥	وحرصر	وحوصر
٣٠٥	٦	قرى سكان	سكان قرى
٣٠٦	١	القرية	قرية
٣٠٧	٨	ان	انه
	٢١	الثالثة	التالية

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٠٨	٢٠	وفزى	ومرى
٣٠٩	٧	او	و
	٢٤	تبعدا كثر	تبعد اكثر
٣١٠	١٢	قصيرة	قصره
	١٦	كذلك بلدة	كذلك اسس بلدة
	١٨	نومانو	تومانو
٣١٢	٧	وبالنحو	وبالبحو
	١٢	عن	على
٣١٤	هامش ١	بلزم	بلشرم
٣١٧	٢	كيلرخوس	كاليرخوس
٣١٨	١٣	يتسافيرنس	تيسافيرنس
٣١٩	١١	فيسكوس وعرضه	فيسكوس على سبعة وثلاثين ثارباً وجاوزه بعد مسيرات عشرين فرسخا
	١٩	بين	يؤدى
٣٢٠	٧	اجد	جدا
	١٣	اتصير	اقصر
٣٢٤	٥	راحل	مراحل
٣٢٥	١٩	ثدبين	ثدبين حيث يصاد
٣٢٧	١٢	موضوع	موضع
	١٤	فيها	منها
	١٦	فيرنادروس	ميرناذوروس
	٢٣	الاغريقة	الاغريقية
٣٢٨	٣	جالوس	خالوس
٣٢٩	٢١	كوروستنه كوروستنه	كوروستنه
٣٣٠	١٣	جافا تشعب	جافا بل تشعب
٣٣١	٢	العقه	العقبة
٣٣٣	١٢	بالقدمه	بالقرمة
	١٨	ميسرة	مسيرة
٣٣٤	١١	خطر	خط
٣٣٥	٥	الماء	السماء
٣٤٠	١٨	٤١	١٤
	٢٠	اسكونس	اسكوتوس يسارى

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٤٢	١	الكونوبس	السكونوس
٣٤٣	٢٢	ارتمبس (في الإخيرة منهما	ارتميس في الاخيرة منهما
٣٤٤	١٣	قرى	قريـة
	١٨	وسماها الإغريق	(تحذف)
٣٤٥	١	توروبس	يوروبوس
٣٤٧	٦	الفرات نهر	الفرات ونهر
	١٢	منـه	منها
	١٥	ماسكين	ماسيكن
	١٥	الصيغة لبسيخانا	الصيغة العربية لبسيخانا
	٢٠	٥٣	٣٤١
	٢١	سكونوس خاليكا	سكونوس من خاليكا
٣٤٨	١١	بتر المطابقة لبلدة	المطابقة لخرائب بشرا
٣٤٩	١٦	ويبدو لم	ويبدوان المنذر لم
٣٥٢	١٦	محاملة	محاولة
	١٢	اخياخاخالا	اخياخالا
٣٥٣	١٨	الصفة	الضفة
٣٥٤	١٧	فيدوس	فيدروس
٣٥٥	١٧	كالينيوس	كالينيكوس
٣٥٦	١٥/١٣	هورمسداس	هرمزداس
٣٥٩	٧	نقل	للنقل
	١٥	مايقارب ميلا	مايقارب عشرين ميلا
	١٧	٨/٦	٨٠٦ ميلا
	٢٠	لان ٦٠ـ٨٠	لان ٦٠ + ٨٠
٣٦٠	٥	« بعدها سطر ناقص	تسلم قائده مكافاة وتفهم سبب نقل السكان الى بلدة خالكيس (قنسرين)
٣٦٦	١	مايوزا ملخا	مايوزا ملخا (الماحوزة الملكية)
	١٦	مياس	ميناس
٣٦٧	٧	ان	ان قيام
٣٦٨	١٢	٥ ، ٥	٥ و ٥
٣٦٩	٧	٥٢	٣٤٠
	١٠	٨٣	٣٧٩
٣٧٠		٩ ، ٤	٤٩

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٧١	٧	المخاجضة	المخاضة
٣٧٢	٢	تفاصيل اضبافةليه تتعلق بهذا الريق	تفاصيل اضافية تتعلق بهذا الطريق
٣٧٣	٤	(يضاف بعده)	ويقدم قدامة (الوضع نفسه) التفاصيل التالية
	١٩	يزى	يرى
٣٧٧	١٤	بطوظه	بطوطة
٣٧٨	١١	كيلو . متراً	كيلومتراً
٣٧٩	١٤	الناووسه ووصف	الناووسه ، الوسه ، هيت ، الانبار ، ووصف
٣٨٠	٢	٧٥	٣٦٩
٣٨٣	٤	الرزقة	الرذقة
٣٨٨	٤	وتاد	وتكاد
٣٩٢	١	سيانى	سياتي
	١٠	٢. ميلا	١٢. ميلا
	١٦	مرحليان	مرحلتان
٣٩٣	٢٠	الزراقى (الرازقى)	الذراقى (الذارقى)
٣٩٤	٧	واحتسبة	واحتسبت
٣٩٤	١٥	منها	منه
٣٩٥	٢٤	الفرة	الفرضة
٤٠١	٦	بان	بالفرات الذي كان
٤٠٤	٢١	الملك	الملك
٤٠٥	٥	ولابد الخزان	ولابد ان الخزان
٤٠٦	٣	(ابراتوشينيا)	(ابراتو سينيا
٤١٠	١٦	الاوسط	(يحذف مابعد الاوسط)
٤١١	١٥	استدل	استبدل
٤١٢	١٠	تاريه	تاريخيه
	١١	المعاكش	المعاكس
٤١٣	١	رواية	رواية اريان
٤١٤	١١	يقوم	يقول
٤١٥	٥	كانت	كانت سيتاس
٤١٦	٩	السرر	السور
	١٠	الانابيس	الاناباسيس

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤١٨	١٢	(ص ٦٤ و ٧١)	(ص ٣٥٥ و ٣٦٣)
٤٢٢	١٤	ابر	ابو
٤٢٤	٢٢	ابوب	أبواب
٤٢٥	٢	لايذكر	كما انه لايذكر
٤٢٦	٤	٧١	٣٦٣
	٥	١٠٢	٤٠٤
	٨	١٠٧	٤٠٧
٤٢٧	٢	٥٧	٣٤٨
	١٠/١٠	١٠٢	٤٠٤
	٢٤	١١١—١١٧	٤١٥ — ٤٢٣
٤٢٩	١٥	نهر	نهري
٤٣٣	١٣	صراء	الصراة
	١٧	صب	نهر
٤٣٧	١٧	بترا	بثرا
٤٣٨	٧	ان الفرات . يمر	ان « الفرات يمر
٤٤٠	١٣	مي ه	ميـاه
٤٤٢	٧	المؤلفان	المؤلفون
٤٦٠	٢	انه	انهـا
٤٦٣	١٨	الطيح	بالطبع
٤٦٥	٢٤	اجتمو ا	احتموا
٤٦٨	١٨	فرى	قرى
٤٧٧	٢١	الفرى	القرى
	٢٣	نعود	تعود
٤٨٠	٢	للجمع	للتجمع
٤٨١	١١	الزحف الى غير	الزحف غير
٤٨٥	٤	نسطوناه	نسطونا
	١٥	عل ها	عليها
٤٨٨	١٣	لا	لذا
٤٩٠	٩	فذهب	ذهب
٤٩١	٤	لايتحر كان	لايتحركان
	١٣	المهيوذان	المهبوذان
	١٩	الها	اليها
	٢٣	المتنى	المثنى

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٩٣	٢٤	واتهام التشكاك	والتشكك
٤٩٥	١٨	وزحف القعقاع	(تحذف)
٤٩٧	١٤	يمتقدودن	يعتقدون
٤٩٨	١١	انه وفى	انه في
٥٠١	٦	هيرايوليس	هيرابوليس
	٨	الكنى	الكنسي
٥٠٢	٣	للفراات	للفرات
	١٥	الف الفرس	الفرس
	٢٢	جابر	جابن
٥٠٤	٥	الدبسى	الدبس
	١٧	انضمرت	انغمرت
٥٠٥	١٥	يسكنه فيه	يسكنه
٥٠٩	٧	هاكوس	ثيساكوس
	٢٠	منلذ	منذ
٥١٠	٦	الت	التي
	١١	الاجباس	الاجناس
٥١٦	٢٣	من الفرات	الفرات
٥٢٠	١٠	عندما	وعندما
٥٢١	١٥	بين	بن
٥٢٣	٨	ريهما	ربما
٥٢٦	٥	كالبنيكس	كالينيكوس
٥٢٧	٧	القائد	القائد
٥٢٨	٤	كالينيكو	كالينيك
٥٢٩	١٣	بالانقال	بالاثقال
٥٣١	١٨/٢٠	ابن الطبرى	ابن العبري
	٢٤	مطر	مضر
٥٣٢	٤	جرال	حران
	٧	مالكه	مسالكه
	٢٥	يفيم	يقيم
٥٣٥	١٠	بفيض	ينفيض
	١٧	ديسا	اديسا
	٢٤	بثأرا	بثأره
٥٣٦	(السطر الاول يحذف)		
		ورحيا	ورجما

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٣٧	١	سمير وحفرت عنده	وحفرت عنده سمير .
٥٣٨	١	ققدو نوبوليس	مقدرنوبوليس
	٧	دير من كفرا	دير كفرا
	١١	٩١ — ٢ — ٤	٤٩١
	١٥	اسوسوم	الموسوم
٥٣٩	٣	سلوس	سلوقس
	٥	السورى	السرياني
	٢٣	الفرات ، مكانا	الفرات يذكر مكاناً
٥٤٠	١٩	ديو كليشيان	دقليانس
٥٤٢	٨	الافسوس	الافسوسي
٥٤٤	٦	الخابر	الخابور
	٢٤	أم	امر
٥٥٤	١٤	ققد	فقـد
٥٦٢	٢٤	(هيت غبرها	هيت وغيرها
٥٦٣	٣	ويجعلها	ويجلها
٥٦٨	٤	وتعود	تعود
٥٧٩	١٨	وعنما	وعندما
	١٩	حوت	حيث
٥٨٠	٩	اباريون	اباريون
٥٨٤	١٧	كايتالى	كايتاني
٥٨٨	٧	يقو	يقول
٦٠٤	١٠	جهيان	جيهان

ووردت « تباكوس » خطأ والصحيح « تبساكوس » (٣٢٠ — ٢١ ؛ ٣٢١ — ٢٠ ، ٣٢٧ — ١٦ ؛ ٥٠٩ — ٧) .

ووردت « ستياس » خطأ والصحيح « سيتاس » (٣٣٥ — ٢٢ ؛ ٣٣٧ — ١ ؛ ٣٣٨ — ١٤ ، ٤١٤ — ٢٤) .



